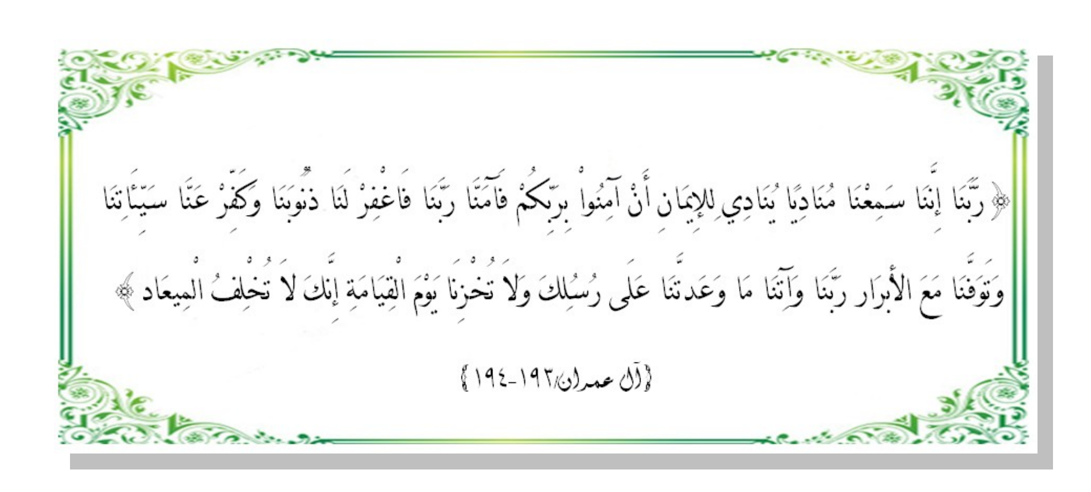
هذا الكتاب من سلسلة إصدارات المؤسسة العلمية الدعوية العالمية:ـ

مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان

Academic Research of Comparative Religion Initiative

www.arcri.org


بسم الله الرحمن الرحيم


﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
{آل عمران١٩٣-١٩٤}

الإهداء

❀❀❀❀❀

في زمن عزّ فيه النصير على الحق والرفيق في وحشة الدرب .. أهدي هذا الكتاب:

إلى **أهلي** .. مؤنستي في طريق الدعوة اللاحب .. إلى التي بذلت من راحتها لراحتي، ومن فراغها لفراغي، وصرفت عني الكثير من شواغل الدنيا؛ لأتمّ هذا الكتاب..

تراه اذا ما جئته متهللاً *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

إلى أخي الذي لم تلده أمي (**أبي مالك**) .. فيض عطاء لا ينضب .. وسيلٌ بَذل لا يركد ..

ما قال: (لا) قطُّ إلا في تشهدِهِ ... لولا التشهدُ كانت لاءَه نعمُ

إليهما .. أقول:

جزاكما الله خيرا

الفهرس

كلمة رئيس [مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان]
الأستاذ (فيصل عازر)

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل .. والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين ..

أما بعد .. فهذه دُرّة جديدة من عِقد العلم النافع المؤصَّل الذي تقدمه مؤسستنا العلميّة الدعوية للباحث (سامي عامري) يرد فيها على إحدى أهم الشبهات التي يرددها النصارى العرب، ومع أن هذه الشبهة قديمة قِدم بدء الدعوة المحمدية الا أنه لم يصدر قبل هذا الكتاب –فيما نعلم- مؤلّف موسوعي يثبت بطلانها وزيف دعواها.

إنّ هذا الكتاب هو رسالة علميّة موجهة إلى المسلمين حتى يزدادوا إيمانًا بما حباهم به الحق سبحانه من هدى .. وأداة دعوية نقدمها إلى دعاة الأمة كمشعل جديد ينيرون به دروب التائهين في أقطار الأرض .. وهو دعوة لغير المسلمين حتى يبصروا الحق عيانًا .. وحجة جديدة على المتأبين على الإذعان لرسالة القرآن العظيم ..

إننا نقدّم هذا الكتاب إلى القارئ وفاءً بواجب بذل العلم إلى طالبيه .. وهي أمانة نضعها في يد القرّاء لتبلغ من خلالهم من يبحثون عن الحق ..

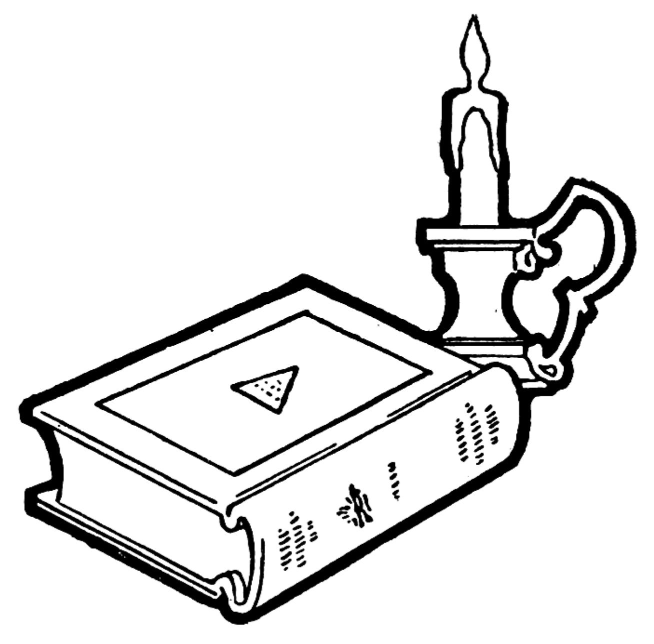
وإلى موعد جديد مع كتاب جديد من [مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان] بإذن الله!

محرم- 1432هـ/ ديسمبر-2010م

****

قالوا عن الكتاب

****



العلامة د. صلاح عبد الفتاح الخالدي
أستاذ علم التفسير - كلية الدعوة في جامعة البلقاء / الأردن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله

إلا اللـه، وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أنّ محمـدًا عبـده ورسـوله، صـلوات اللـه وسـلامه عليـه، وعلى آلـه وصـحبه أجمعين..

أما بعد:

فإن الشبهات التي أثارها الأعداء ضد القرآن قديمـة، بـدأت منذ نزول القـرآن على قلب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم، وإنّ نقض تلك الشبهات وإبطالها قديم، بدأ في آيات القـرآن نفسـه، حيث ذكـر القـرآن بعضـها، وتكفـل بنقضـها ودحضـها.. وإن كتب الانتصـار للقـرآن، ومواجهـة مطـاعن وشـبهات أعـداء، والقيـام بإبطالهـا وإزالتهـا عديـدة، صـاغها علماء مسلمون بصيرون، غيورون على القرآن، وبلغت تلـك الكتب العشـرات في القـرون الماضـية، لعـل في مقـدمتها كتـاب «الانتصـار لنقـل القـرآن» للبـاقلاني، وكتـاب «تنزيـه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار الهمداني..

وإننا نشهد في هذا الزمان هجمـة شرسـة على القـرآن من قبل اليهود والنصارى والمستشرقين والمستغربين تثار فيها الشبهات على القرآن ومصدره الرباني، وتشكك في صدقه وإعجازه، وتتهمه في أحكامه وموضوعاته وحقائقـه، وتـزعم أنه (بشري) الفكرة والصياغة، كتبة محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم بنفسـه، أو كتب لـه، وأنـه مقتبس من كتب اليهـود والنصارى وغيرهم.

وهذه الشبهات قديمة جديدة متجـددة، حـتى القـرآن نفسـه تكفـل بـذكرها وإبطالهـا. ولكنهـا في هـذا الزمـان اتسـعت وانتشرت وتكاثرت، وصـدرت بشـأنها كتب وأبحـاث، وكتبت فيهـا مقـالات، وذكـرت في محاضـرات، وأذيعت عـبر فضائيات، ورددها أعداء القرآن بمختلف اللغات..

وقد انبرى لـدحض هـذه الاتهامـات رجـال من أهـل القـرآن وبينـوا زيغهـا وباطلهـا. وكـان لي شـرف الانتصـار للقـرآن، وتفنيد أباطيل أعدائه، حيث أصدرت في ذلك كتابين:

الأول: «تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن» .. واجهت فيـه أباطيـل المتنـبئ الأمـريكي «أنيس شـروش» في كتابـه «الفرقـان الحق» الـذي ادعى فيـه النجـاح في معارضة القرآن والإتيان بمثله، بل بأحسن منه.

الثاني: «القرآن ونقض مطاعن الرهبان» .. الذي فندت فيـه شـبهات مجموعـة من الرهبـان في كتـابهم «هـل القـرآن معصوم» والذي زعموا فيه وجـود حـوالي مـائتين وخمسـين خطأ في القرآن، وقد نقضتها كلها ولله الحمد.

وأمامي الآن كتاب مهم وعظيم يتولى نفس المهمة، ويقـوم بنفس الواجب: الانتصار للقرآن، ونقض شـبهات أعدائـه من اليهـود والنصـارى والمستشـرقين. إنـه كتـاب «هـل القـرآن الكريم مقتبس من كتب اليهـود والنصـارى؟» وتحتـه عنـوان جـانبي (نقض شـبهة المنصـرين والمستشـرقين، وإثبـات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم).

تأليف الأستاذ سامي عامري جزاه الله خيرًا.

لقد ناقش الأسـتاذ «عـامري» هـذه الشـبهة مناقشـة علميـة موضوعية، وبحثها بحثًا علميًا أكاديميًا، وأثبت بطلانها بالأدلـة العلمية، والـبراهين العقليـة المنطقيـة، والحقـائق التاريخيـة اليقينيـة، وصـاغه بلغـة هادئـة، تخـاطب العقـل الانسـاني المنصف، الباحث عن الحقيقة.

وقد جاء هذا الكتاب العلمي الموضوعي التاريخي الرائع في خمسة أبواب مترابطة متكاملة، يأخـذ بعضـها برقـاب بعض، للوصـول إلى الحقيقـة العقليـة الـتي يسـلم بهـا كـل عقـل بشري محايد منصف: القرآن كلام الله.

ناقش الأستاذ عامري في الباب الأول احتمـالات أخـذ آيـات القرآن من أسفار اليهود وأناجيل النصـارى، وبين مصـادمتها لحقائق التاريخ، وكتب القوم.
وعـرض في البـاب الثـاني بعض مظـاهر الاتفـاق والاختلاف بين القـرآن وبين أسـفار أهـل الكتـاب، فـإذا كـان القـرآن مأخوذًا من تلك الأسفار فلماذا اختلف معها؟
وقارن في البابين الثالث والرابع بين حديث القرآن وحـديث الكتاب المقدس عن قصص بعض السابقين، كقصة يوسـف عليه السلام. واتفاق القرآن مـع حقـائق التـاريخ في حديثـه عنها. ومخالفة روايات الكتاب المقدس لحقائق التاريخ.
أمـا البـاب الخـامس فقـد سـجل فيـه أن أسـفار الكتـاب المقـدس هي المـأخوذة من ديانـات الآخـرين من الفـرس واليونان وغـيرهم، فكيـف يزعمـون أن القـرآن مقتبس من أسـفارهم. وهم الـذي اقتبسـوها و(اختلسـوها) من كتب غيرهم؟ (رمتني بدائها وانسـلت) كمـا يقـول المؤلـف! وقـد كـان الأسـتاذ «عـامري» باحثًـا موضـوعيًا جـادًا، واعتمـد في كتابه على مراجع عديـدة، ويكفيـك أن تعلم أنهـا زادت على مائة مرجع في اللغـة العربيـة، وقـاربت ثلاثمائـة مرجـع في اللغة الانجليزية، وهـذا يـدل على أهميـة الكتـاب وضـرورته. أرجو أن ينفع الله بهـذا الكتـاب العلمي الموضـوعي الجيـد، وأن يجـد فيـه المسـلمون مـا يفيـدهم. وأن يتعـرف منـه الآخرون على حقيقة القرآن، ليوقنوا أنه كلام الله، ويـدخلوا في الإسـلام دين اللـه.. وإن المكتبـة القرآنيـة لتفتخـر بهـذا الكتاب الذي انضـم إليهـا، والـذي سـد ثغـرة خطـيرة فيهـا. وأرجو الله أن يجـزي البـاحث الأسـتاذ سـامي عـامري على كتابه الرائع خير الجزاء.

العلامة أ.د. فضل حسن عباس
أستاذ التفسير وعلوم القرآن, وعلوم اللغة-
الجامعة الإسلامية/ عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمـد للـه الـذي أنـزل على عبـده الكتـاب ولم يجعـل لـه عوجًا» (الكهف 1) أحمدك ربي حمـدًا يليـق بجلالـك وعظيم سـلطانك، وأصـلي وأسـلم على خـير خلقـك حبيبـك محمـد صلى الله عليه وسلم كما تحب أن يصلى عليه وبعد،

فـإن القـرآن الكـريم كمـا يقـول أسـتاذ المقاصـد الإمـام الشاطبي: «كلية الشريعة وعمده الملة، وينبوع الحكمة». أو هـو بحسـب مـا يقـول الإمـام الشـاطبي: «مفجـر العلـوم ومنبعهـا، ودائـرة شمسـها ومطلعها». أو هـو كمـا وصـفه الأستاذ الرافعي: «آيات منزلة من حول العرش، فالأرض بها سـماء، هي منهـا كـواكب أغلقت دونـه القلـوب، فـاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه أعـراف الضـمائر فـابتزّ أنفالها»، وإذا كـان القـرآن الكـريم قـد جمـع في أسـلوبه ومضـمونه بين قصيد في اللفـظ ووفـاء في المعـنى، وبين خطـاب للعامـة وخطاب للخاصة، وبين إجمال وبيان، فإن فيه ما يقنع العقل ويمتع العاطفة، وفي النفس الإنسانية – كما يقـول الـدكتور محمـد عبـد اللـه دراز- قوتـان: قـوة تفكـير وقـوة وجـدان، وحاجة كل واحـدة منهمـا غـير حاجـة أختهـا، فأمـا إحـداهما فتنقب عن الحـق لمعرفتـه، وعن الخـير للعمـل بـه، وأمـا الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم.

أولًا ترى القرآن في معمعة براهينه وأحكامه، لا ينسى حـظ القلب من تشويق وترقيـق وتهويـل وتعجيب، والبيـان التـام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهـذين الجنــاحين، فيــؤتي حظهــا من الفائــدة العقليــة والمتعــة الوجدانية معًا.

ولقد كان من فضـل اللـه علي أن دفـع إلي الأسـتاذ سـامي عامري بكتابه هذا الذي وسـمه بسـؤال يسـتدعي نظـر من وقـع عليـه: «هـل القـرآن الكـريم مقتبس من كتب اليهـود والنصارى؟»؛ فوجدته قد جمع فعلًا بين هـذين الجنـاحين مـا

يقنـع العقـل ويمتـع العاطفـة، وعنـدما قلبت صـفحات هـذا الكتاب وجدته بحرًا لا ساحل له، فصاحبه قد أوتي حظًـا من العلم، قد جمع أصول مادتـه العلميـة من مظانهـا المبتغـاة، فمصادره متنوعة، جمعت قواميس وموسـوعات وترجمـات ودراسـات علميـة للكتـاب المقـدس، من لغـات مختلفـة كالانجليزية والفرنسية وغيرها، فضلا عن المصـادر القرآنيـة والتاريخية اللازمة له في تقرير ما يراه حقًـا، زان ذلـك كلـه أن الرجل قد أوتي نصيبًا وافـرًا من الموضـوعية فيمـا يقـرأ ويكتب، فهـو يتحـرى الدقـة والنزاهـة والانصـاف في كـل خطواته، ولعمري إنها لصفات حريّ بالعلماء أن يـتزينوا بهـا في كل شؤونهم، وصاحبنا هنـا ينـاقش الشـبهات والأباطيـل المفتراه حول القرآن الكريم وحول الأنبيـاء عليهم السـلام، من خلال مقارنات علمية جادة بين ما جاء في هـذا القـرآن وبين ما ورد في الكتاب المقـدس والأسـفار الموجـودة في العهدين: القديم والجديد، ولا أعلم أحدًا قدّم جهـدًا في هـذا المجال وبهذا الأسلوب كما فعل الأستاذ سـامي، فقـد اثبت بالاستقراء التـاريخي وبشـهادة المنصـفين من الغربـيين أن السجلات التاريخيـة فضـلا عن القـرآن والسـنة تُنكـر وجـود ترجمات عربية للكتاب المقدس قبل البعثة النبويـة، وبـذلك يزول الوهم وتسقط الـدعاوى بـأن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم قد أفاد من أهـل الكتـاب فيمـا قـرأه على قومـه من القـرآن، وهكـذا فـإن الـدعاوى مـا لم يقيمـوا عليهـا بينـات فأصـحابها أدعيـاء. ولقـد أثبت الأسـتاذ سـامي دلالـة هـذه الأسـفار والكتب على ربانيـة القـرآن بـل إنـه كشـف عن الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية فيما يخص ولادة المسـيح عليه السلام وطفولته وما يتعلق بقضية الصلب وغيرها، من خلال عودته للمصادر التاريخية المعتبرة والدراسات الغربية

المنصفة التي صوّبت الأخطاء التاريخية للكتاب المقدس، لا سيما ما يتعلق بصفات الأنبياء وقصصهم.
وضرب أنموذجًا على ذلك بقصة يوسف عليه السلام من خلال ما جاء في القرآن الكريم مع ما جاء في تلك الأسفار ليثبت بوجه قطعي أن الحق هو ما قرره القرآن، وأن مصادر أهل الكتاب ملوثة وقائمة على الوهن والظن الذي لا يثبت ولا ينهض أمام الحق.
لقد استطاع الأستاذ سامي عبر مناقشاته الهادئة المطولة، ومن خلال سعة اطلاعه على المصادر الأصيلة لكل قضية قررها، ومن خلال ما وهبه الله إياه من موضوعية وإنصاف أن يصل إلى ما أراده وأن يقرر ما أوصله إليه العلم القائم على التأصيل والتقعيد والاستدلال.
فأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعه وأن ينفع به، وأن يجزيه عن القرآن وعن المسلمين حسن الجزاء إنه سميع مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. فضل حسن عباس
الجامعة الإسلامية/ عمان
يوم الجمعة في الثاني والعشرين من غرة شوال
للعام 1431 من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم
الموافق للأول من شهر تشرين أول للعام 2010 ميلادي

د. إبراهيم عوض
من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر في مجال نقض دعاوى المستشرقين والتغريبيين

بعث لى صديق كريم منذ عدة أيام عن طريق البريد المشباكى بكتاب رائع عنوانه «هل القرآن الكريم مقتبَسٌ من كتب اليهود والنصارى؟» لمؤلف شاب هو الأستاذ سامى عامرى، مكتوبٍ بأسلوب قوى جميل. وقد تصفحتُ الكتاب على عجل انتظارًا لفرصة أخرى أرجو ألا تتأخر كثيرا فأقرأه بما يليق به من اهتمام نظرا لما يشتمل عليه من مباحث تبدو لى جديدة، أو على الأقل: قد تناولها المؤلف الشاب المبدع تناولًا جديدا، إذ رأيته يتوقف أمام كل تهمة وجهها الكذابون من المستشرقين والحاخامات والمبشرين إلى سيد الأنبياء والمرسلين على مدار الأربعة عشر قرنا الماضية يزعمون فيها أنه أخذ من المصدر اليهودى أو النصرانى الفلانى أو العلانى هذه الفكرة أو تلك وأودعها القرآن المجيد، فيدرس التهمة دراسة مفصلة راجعًا إلى كل المصادر المتاحة: إسلامية كانت أو كتابية، بما فيها، ولعله أهمها والجديد فيها، التلمود، وكذلك الأناجيل التى لا تؤمن بها الكنيسة مما يسمى بالأناجيل الأبوكريفية، فيقارن بين ما جاء فى تلك الكتب وبين القرآن الكريم ليخرج فى نهاية كل مقارنة بما يقطع أن تهمة النقل غير واردة البتة. ثم لا يكتفى بهذا، بل يمضى خطوة أبعد فيبين على نحو علمى موثق أن القرآن الكريم فى كل حالة من هذه الحالات قد أصاب الحقيقة، على حين أن المصدر الكتابى الذى يزعمون أنه هو المصدر المسروق يعج بالأخطاء التاريخية والعلمية.

والكتاب يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ومملوء بالمراجع الإسلامية والكتابية، وكثير من المراجع الأخيرة

مكتــوب بالإنجليزيــة، فضــلا عن اســتعانة المؤلــف ببعض المراجع العبرية والسريانية اللغوية التى من شأن الاستعانة بها حَسْم التهم الباطلـة السـخيفة وهَـدْمها نهائيـا وإلى غـير رجعة، تلك التهم التى يتقولها المدلّسون الكذابون من أهــل الكتاب ممن درجوا على إطلاق سـخافاتهم فى صـياح عـالٍ يحسـبون أنـه يـرهب المسـلمين ويُصِـمّ آذانهم فلا يعـودون يَقْوَوْن على الرد، فضلا عن التفنيد، وهو ما استطاع المؤلف المتمكن هتك الستر عمـا فيـه من ضـلال ووهم سـخيف، إذ كيف يعجز واحد من حواريى محمد صلى اللـه عليـه وسـلم صَحَّ منه العزمُ وسار على خطـا قائـده العبقـرى العظيم أن يعجز عن الانتصار فى مثل تلك المعركـة، وهـو على الحـق، وغريمه على الباطل؟

ولقد كان هذا الكتاب حافزًا لى على تناول موضوع كـان يشغلنى منذ زمن بعيد، وإن لم أفكر يومًـا فى معالجتـه فى دراسة منفردة، ألا وهو موضـوع الاتهامـات المضـحكة الـتى أرسلها المدعو بيوحنا الدمشقى، ذلك القسـيس الـذى كـان يعيش فى كنف الدولة الأموية، ثم ألف كتابًا تطرق فيه إلى الحديث، فى نحو عشر صفحات، عن الإسلام بوصـفه بدعـة نصرانية استعان فيها محمد صلى الله عليـه وسـلم بـراهب نصــرانى هــو الــراهب بحــيرا واتكــأ على بعض كتب أهــل الكتاب، إذ دفعنى ما كتبه الأستاذ المؤلـف عن بحـيرا، وهـو قليل بسبب كثرة المسائل الـتى كـان عليـه أن يغطيهـا فى كتابــه هــذا، دفعــنى إلى البحث عن نص مــا كتبــه يوحنــا الضلالىّ المفترِى وتناوُله فى دراسة مستقلة تجاوزت مائــة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، ربمـا لأول مـرة فى

تاريخ الفكر الإسلامى من حيث التفصيل الذى تناولته به، مما يسره الله للعبد الفقير إلى ربه فى غضون أيامٍ معدودة. فللمؤلف الشاب منى كل الشكر على أن جعله الله سببا فى كتابتى البحث المذكور.

وبعد، فينبغى أن يكون الشاب المسلم، كما تبدَّى لى الأستاذ سامى عامرى فى كتابه هذا الممتع، محبا لدينه العبقرى، مهتمًا بالمعالى، واثقًا بربه ودينه ونبيه ونفسه، مقبلًا على البحث والدراسة، حريصًا على أن يكون أسلوبه قويًا محكمًا منسابًا، بعيدا عن الإنشائيات، ملتصقًا بالمنهج العلمى، باذلا أقصى ما أنعم الله به عليه من جهد وموهبة فى سبيل إنجازِ كل ما ينفع أمّتَه وإتقانِه. بارك الله فى الأستاذ سامى عامرى، ونفع بكتابه الرائع الذى نرجو له الرواج فى سوق القراءة والقراء، فإنه يستحق ذلك استحقاقًا كبيرًا.

د. حاتم جلال التميمي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم- جامعة القدس / فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أرسله الله للعالمين هداية وفرجًا، وارض اللهم عن أصحابه الأبرار الأطهار، كانوا للعالمين أئمةً وسرجًا.

وبعد....

فـإن حكمـة اللـه تعـالى قـد اقتضـت أن يختم رسـالاته إلى الناس كافةً بكتابٍ شاملٍ كاملٍ، يبين للناس أمـور العقيـدة، والأحكام، والأخلاق. ومـا دام أنـه الكتـاب الخـاتم فلا بـد أن يُصـان عن أيِّ تحريـفٍ، وعن أيَّةِ زيـادةٍ أو نقصـانٍ؛ لأنـه سـيبقى الدسـتور الخالـد للنـاس كافـةً؛ إذ لا كتـاب بعـده، فضمن الله جلت قدرته لكتابه الخاتم أن يُحفظ فلا يتطـرق إليه شكٌّ ولا ريبٌ؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

واقتضت حكمة الله تعالى أيضًـا أن يكـون هـذا الكتـابُ هـو الـدليلَ على صـدق من أنزلـه عليـه، فلم تكن معجـزةُ هـذا النـبي معجـزةً حسـيةً ماديـةً؛ لأن آثـار المعجـزات الماديـة محصورةٌ فيمن يعاصرونها ويشاهدونها، ولكن كانت معجـزةُ هذا النبيِّ معجـزةً عقليـةً باقيـةً مـا بقيت الـدنيا، تحمـل بين أسطرها الدليل على أن هذا الكتابَ هو كلامُ ربِّ العـالمين. وكم من منصفٍ -قديمًا وحـديثًا- قـرأ في هـذا الكتـاب بعين بصـيرته قبـل أن يقـرأ بعين بصـره، وسـمعه بقلبـه قبـل أن تسمعه أذناه، فلم يكن أمامه خيـارٌ سـوى أن يقـرَّ بـأن هـذا الكتـابَ هـو كتـابُ اللـه تعـالى، وأنـه هـو الحـق الـذي يجب اتباعُه، وأنه كلَّ ما فيه حقٌّ وصدقٌ.

غير أن فئـةً من النـاس تنكـروا للحـق لمـا جـاءهم، فانـدفع فريـقٌ منهم بـدوافع شـتى للوقـوف في وجـه هـذا الكتـاب العظيم؛ بالتشـكيك فيـه، واتهامـه بتهمٍ لا أسـاس لهـا من الصـحة، ولا يمكن بحـال من الأحـوال أن ينطبـق مـا قـالوه على القرآن الكـريم. فمِنْ هـؤلاء مَنْ دفعـه إلى ذلـك عـدم التـدبر، وعـدم التثبت في فهم النص، أو نقـل المعلومـة. والخطـاب لهـؤلاء أن يعـودوا إلى القـرآن الكـريم مـرة تلـو المرة؛ وأن يقـرأوه قـراءةً متأنيـةً، متجـردةً عن أيَّةِ أحكـامٍ

مسبقةٍ، وسيهتدون بأنفسـهم إلى أن نظـرتَهم السـابقةَ عن القرآنِ الكريمِ لم تكن في مكانها، وأنهم تعجلوا في إصــدار الحكم عليـه. والتـاريخُ والواقـعُ شـاهدان على وجـود أنـاسٍ كثيرين ثـابوا إلى رشـدهم، ورجعـوا عن طعنهم في القـرآنِ الكريم.

وأما مَنْ وقف مِنْ هذا الكتـابِ موقـفَ الطـاعنِ والمشـككِ عن عمدٍ وعن قصدٍ بعدما تـبين لهم أنـه الحـقُّ، وظهـر لهم بالبرهانِ أنه الكتـابُ الـذي لا مِريـةَ فيـه، فالنصـيحةُ لهم أن يـتركوا هـذا المسـلك، وأن يعـودوا إلى صـوابهم، فـإن هـذا الكتـاب محفـوظٌ من ربِّ العـالمين، وأنهم مهمـا بـذلوا من الجهـود لطمسـه، وصـد النـاس عنـه، فـإنهم لن يسـتطيعوا الوصول إلى غايتهم؛ فقد كان لهم في هذا أسلافٌ كثـيرون، سلكوا ذات المسلك، وحاولوا ذات المحاولـة، ولكن هيهـات هيهات؛ ذهبت محاولاتُهم أدراجَ الرياح، وبقي القـرآنُ عزيـزًا شامخًا أبيًّا أن يُنال منه، أو أن يتطرق إليه تحريفٌ أو تبديلٌ.

وعلى الــرغم من كــون القــرآنِ هــو الحقيقــةَ الســاطعةَ الوضوح، الحقيقةَ التي لا لبسَ فيهـا ولا غمـوض، فـإنَّ بيـانَ وجهِ الحقِّ فيه لمن أراد هذا البيانَ، وتوضيحَ ما أشـكل منـه على من وُجـد عنـه شـيءٌ من هـذا القبيـل، هـو أمـرٌ تـدعو الحاجةُ إليـه أحيانًـا؛ ردًّا للشـاردين عن الحـقِّ إلى صـوابِهم، وإزاحةً لهم عن الشبهاتِ التي ربما علقت في أذهــانهم من بعض المشككين الطاعنين في هذا الكتاب العظيم.

ومن هنا فقد انبرى كثيرٌ من الغيورين على القـرآن الكـريم للردِّ على ما يُثار ضـده من الشـبهات، وكـان من بين هـؤلاء الأخُ الفاضلُ الأستاذُ سامي عامري جزاه اللهُ كلَّ خيرٍ؛ فقـد بذل جهدًا واضحًا في تفنيد زعمٍ باطـلٍ بـأن القـرآن الكـريم

مقتبسٌ من كتب اليهـود والنصـارى، وأن النـبي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قـد أخـذه عن أهـل الكتـاب. فعـرض المؤلـفُ الكريمُ لهذا الزعم، واستعرض جوانبـه ومـا يتفـرع عنـه، ثم بيَّن بطلان ذلـك الـزعم. كـلُّ هـذا بأسـلوب علميٍّ مُـدَعَّمٍ بالدليل والبرهـان، وحجـةٍ واضـحةٍ مقنعـةٍ لمن كـان مبتغـاه الحق، وكان يبحث عنه. وقد تنوعت الأدلة التي اعتمد عليها المؤلف تَنَوُّعًا يفي بالغرض من هذا الكتاب؛ فكان منها أدلة من القـرآن الكـريم، وأدلـة من التـاريخ، وأدلـة من العقـل، وغيرها من الأدلة، كلها تشهد ببطلان ما زعموا. ورافق ذلك أسلوبٌ شيِّقٌ في العرض والتسلسل، ولغـةٍ واضـحةٍ تُفْصِـحُ عن المـراد. فجـزاه اللـه عن القـرآن الكـريم خـير الجـزاء، وبارك اللـه فيـه وفي أمثالـه ممن يـذودون عن كتـاب اللـه تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. حاتم جلال التميمي

القدس الشريفة- 2/9/2010م

القديم المتجدّد

تعتبر (الكتابات الكنسيّة) في السجال العقدي الفكري بين الإسلام والنصرانيّة، إحدى أجلى الأوجه التي تكشف مناهج التدليس (العلمي) التي تلبّس بها من يرفعون شعار الحوار الموضوعي بغير حق، ويتخذونه مِجنًّا لمخططات تنصيريّة لا ترعى للعقل الإنساني حرمة.

والناظر في السيل الجاري لإصدارات المنصّرين منذ «يوحنا الدمشقي»[1] إلى «عادل تيودور الخوري» [2]؛ يرى أنّ القرآن الكريم كان غرضًا محبذًا لنشاطهم التأليفي ولعملهم الدعوي التلبيسي .. والمتتبّع لأدبيّات هؤلاء، لا يجد حرجًا ولا يلقى مشقة في أن يلاحظ أنّ عمدة شبهاتهم، وذروة سنام تحريشهم على كتاب الله، هما الزعم أنّ القرآن ليس وحيًا من الله سبحانه إلى عبده محمد ، وإنما هو اقتباس بشري –صرف-من أسفار أهل الكتاب، حِيكت أحداثه في ظروف لازالت آثارها باقية منحوتة في سجلاّت التاريخ المحفوظ...

إنّ دعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب؛ هي الشبهة القديمة المتجددة، والتهمة الطافية المكرّرة، قد شطّت فيها الأوهام وزلّت فيها الأقلام .. وهي تعود إلى جذر واحد، وتسعى إلى هدف فرد .. الجذر هو العلم بأنّ التشابه بين القرآن الكريم والكتاب المقدس إذا لم يُفسَّر بأنّ الرسول قد أخذ من أسفار أهل الكتاب مباشرة أو بطريق واسطة، فإنّه لا دلالة أخرى له غير الإقرار أنّ

---

1 يوحنا الدمشقي (676م-749م): سوري. أحد قدّيسي الكنيسة، وآخر الآباء –حسب الكنيسة الكاثوليكيّة-. كان راهبًا وقسيسًا، متعدد المعارف (لاهوت، فلسفة ...). خدم عند الخليفة المسلم. أهم شخصيّة شرقيّة أثّرت في صياغة التصوّر الذهني الاستشراقي عن الإسلام، وقد امتد هذا التأثير إلى الغرب في القرون الوسطى.

2 عادل تيودور الخوري (ولد سنة 1930م): لاهوتي كاثوليكي لبناني. رَأَس قسم اللاهوت في جامعة مانشستر بألمانيا. له اهتمام بالحوار الإسلامي-النصراني. معروف بنزعته المعادية للإسلام في كتاباته.

مصدر هذا التشابه هو الوحي الربّاني .. وإذا كان لا مجال عند القوم للتسليم بربّانية القرآن .. فلا محيص عندها عن إعلان الاقتباس القرآني المدّعى .. والهدف هو إسقاط ربّانية القرآن وافتراء بشريته المزعومة.. فكانت نهاية الدعوى؛ هي مبتدأ الفكرة!

وقد مرّت هذه الشبهة بطباق متعددة وأطوار متأرجحة، وأخذت ألوانًا غير منتظمة، ووُجِّهت وجهات متباعدة، حتّى إنّ بدايتها على يد ((يوحنا الدمشقي)) في زعمه أنّ الرسول قد حاور راهبًا آريوسيًا[3]-حوارٌ لا تَلمذة، وأريوسي لا نسطوري..- قد صارت قطعة من التاريخ القديم، وصارت الشبهة أوسع، وأعقد، وأكثر ضبابيّة رغم ما أريد لها من وضوح، وصرنا نقرأ عن مصادر يهوديّة، ونصرانيّة، ومجوسيّة، وحتّى هندوسيّة، وفرعونيّة[4]..

لقد صيغت مؤلفات عديدة بجميع اللغات الأوروبيّة في تغذية عروق هذه الدعوى بالبراهين المركّبة، دون أن يخضع (البرهان) إلى (الفحص) و(التقويم)، في استحضار للواقع (الفكري) القروسطي الذي لخّصه لنا قول ((نورمان دانيال)): ((كلّ الكتاب (النصارى في القرون الوسطى) يميلون إلى التمسك بخرافات غريبة حول الإسلام ونبيّه ..

---

3 انظر؛ Saint John of Damascus، '*the Fount of Knowledge*,' in *The Fathers of the Church, St. John of Damascus Writings*, tr. Frederic H. Chase , CUA Press, 2000, , p.153

4 انظر؛ Ibn Warraq, ed. *What the Koran Really Says: Language, Text, and Commentary*, NY: Prometheus Books, 2002, pp.245- 318

استعمال دليل باطل لمحاربة الإسلام كان أمرًا شائعا في العالم.[5]

لقد كان القول باقتباس القرآن من أسفار الأوّلين ذائعًا منذ قرون، وقد استقرّ في القرون الوسطى على الصورة التي رسمها كلّ من «بطرس المبجّل»[6] و«بطرس الطليطلي»[7] .. إلاّ أنّ كتاب المستشرق اليهودي الألماني «أبراهام جايجر»[8] «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة؟» (*Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*)[9] [10]قد فتح لهذه الفرية الطريق إلى المنصّات الأكاديميّة ودراسات أعلام المستشرقين[11] ؛ فقد استنسخ جوهر هذا البحث «نولدكه» (Nöldeke)[12] - الصديق الحميم «لجايجر»-، وتابع هذا المنهج الذي رسمه

---

[5] Norman Daniel, *Islam and the West,* Oxford: Oneworld, 1993, p.267

[6] بطرس المبجّل Peter the Venerable (1092م- 1156م): أهمّ من حرّض على النقض العلمي للإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، وقد بذل جهدًا كبيرًا في ترتيب عمل مترجمي القرآن الكريم إلى اللاتينيّة. أكّد في كتابيه «خلاصة كامل هرطقة السرسيّين» (*Summa totius heresis Saracenorum*) و«نقض فرقة أو هرطقة السرسيين» (*Liber contra sectam sive heresim Saracenorum*) على ما استقرّ في الذهنيّة الأوروبيّة القروسطيّة من أنّ القرآن ليس إلاّ مجمع هرطقات كثير منها مقتبس من الأريوسيّة والنسطوريّة والمانويّة ...

[7] بطرس الطليطلي Peter of Toledo (القرن الثاني عشر): أحد أهم العاملين في إعداد أوّل ترجمة لاتينيّة للقرآن الكريم، ومترجم مناظرة «الكندي» مع «الهاشمي»، ومؤلّف أحد الردود على الإسلام، وهي مؤلّفات شكّلت موقف النصرانيّة –الأوروبيّة- اللاتينيّة من الإسلام في القرون الوسطى.

[8] أبراهام جايجر (1810م-1874م): لاهوتي يهودي ألماني، شغل وظيفة حبر. من أعلام اليهود الإصلاحيين.

«جايجر»، «جولدتسهير» «Goldziher»13 و«غوستاف فيل» «Gustav *Weil*» 14 و«جوزف هوروتز» «Josef Horovitz» 15 و«أبراهام كاتش» «*Abraham Katsh*» 16... ثم خرج «ويليام سنت كلير تسديل» «*W*illiam St. Clair Tisdall» 17على القرّاء بكتابه «*The Original Sources of the Qur'ân*» ؛ ليفتح الباب على مصراعيه لنسبة قصص من القرآن الكريم إلى النصرانية

---

9 ألّف الكتاب أولًا باللغة اللاتينيّة تحت عنوان «*Inquiratur in fontes Alcorani seu legis Mohammedicae eos, qui ex Judaismo derivandi sunt*» وشارك به مؤلّفه في مسابقة في كليّة الفلسفة في بون سنة 1832م، ثم ترجم إلى الألمانيّة ليكون أطروحة دكتوراه في ماربورغ سنة 1834م.

10 كتبَ «أبراهام جايجر» بعد هذا المؤلّف بثلاثين سنة كتابًا لإثبات أنّ النصرانّية تعود في أصولها إلى اليهوديّة الفرّيسيّة، وفي حين استقبل كتابه ضدّ القرآن بترحاب غامر في أوروبا، لقي كتابه عن النصرانيّة ردودًا عنيفة وقاسية. (انظر؛ Susannah Heschel, *Abraham Geiger and the Jewish Jesus*, Chicago: University of Chicago Press, 1988, p.52)

11 لقي الكتاب مع ذلك معارضة من عدد من النقاد؛ فقد طعن المستشرق «هنريخ لبرخت فليشر» «Henrich Lebrecht Fleischer» في موضوعيّة مؤلّفه معتبرًا أنّ عقيدته كانت حاسمة قي صياغة الكتاب، وقال المستشرق «دو ساسي» «de Sassy» إنّ المؤلّف قد بالغ في ادّعاءاته؛ إذ إنّ الكثير من الأفكار المشتركة بين الإسلام واليهوديّة التي أوردها «جايجر» تتبنّاها جلّ الأديان في العالم. (انظر؛ المصدر السابق، ص59)

12 تيودور نولدكه (1836م-1930م): من أعلام المستشرقين الألمان. له اهتمام بدراسة الإسلام واللغات الساميّة.

13 إغنتس جولدتسهير (1850م-1921م): مستشرق يهودي هنغاري. من أهم من اشتغل في التشكيك في السنّة النبويّة، وقد نسب الفقه الإسلامي إلى القانون الروماني.

الهرطقيّة، ووجد مؤلَّفه رواجًا كبيرًا رغم أنّه ليس بحثًا علميًا، وإنّما هو «**مُزَعٌ** رديئة من الدعايات التنصيريّة» على حد تعبير الناقد «فرنسوا دو بلوا» «François de Blois» [18]...[19]

وتكاد الدراسات الحاليّة القائلة بهذا الاقتباس، تتوقّف – فيما يتعلق بالأصول الكتابيّة- عند المصادر التي حدّدها كلّ من «جايجر» و«تسديل»؛ لتبقى أصول الشبهة دائرة في مجال كتابيهما، مع تعديلات طفيفة للإيحاء بطرافة البحث وجديّته.

من أهمّ المؤلفات التي نشرت لاحقًا وروّجت لنفس الدعوى:

---

14 غوستاف فيل (1808م-1889م): مستشرق يهودي ألماني. له مؤلّفات في القرآن والسيرة وتاريخ الخلفاء.

15 جوزف هوروتز (1874م-1931م) حبر يهودي أرثودكسي. مستشرق ألماني. أسّس قسم الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبريّة في القدس، وكان رئيسه.

16 أبراهام كاتش (1908م-1998م): يهودي. كان والده وجده من الأحبار. متخصص في اللغة العبريّة. أدخل تدريس اللغة العبريّة الحديثة في مقررات الجامعات الأمريكيّة.

17 ويليام سنت كلير تسديل (1859م-1928م): منصّر بريطاني، كانت له عناية باللغات الشرقيّة.

18 François de Blois, "*Review of Ibn Warraq's The Origins Of The Koran: Classic Essays On Islam's Holy Book*", in *Journal Of The Royal Asiatic Society*, 2000, Volume 10, Part 11, p. 88 (Quoted by, M S M Saifullah & Imtiaz Damiel, *Comments On Geiger & Tisdall's Books On The 'Sources' Of The Qur'ân*)

19 حصر «هـ. شفارزبوم» بيبليوغرافيًا عناوين الدراسات التي تناولت موضوع اقتباس القرآن الكريم من مصادر يهوديّة ونصرانيّة حتى سنة 1982م، انظر: H. Schwarzbaum, *Biblical and Extra-Biblical Legends in Islamic Folk Literature*, Waldorf-Hessen: Verlagtur Orientkunke, 1982

الأثر اليهودي الحاسم في صناعة القرآن:

Arent Jan Wensinck, *Mohammeden de Joden te Medina (1908)*

Ch. C. Torrey, *The Jewish Foundation of Islam (1933)*

الأثر النصراني الحاسم في صناعة القرآن:

J. Wellhausen, *Reste Arabischen Heidentums (1897)*

Tor Andrae, *Der Ursprung des Islams and das Christentum (1926)*

Richard Bell, *The Origin of Islam in its Christian Environment (1926)*

Karl Ahrens, *Muhammmad als Religionsstifter (1935)*[20]

ظهر اليوم تيّار آخر لا يرى مذهب الأوّلين ولا الثانين؛ لاعتقاده أنّ نسبة نبيّ الإسلام إلى هذه المعرفة العميقة والملوّنة لثقافات أهل الكتاب وغير ذلك من معارف معقدة، لا يمكن قبولها؛ ولذلك نسب القرآن إلى الأجيال اللاحقة للرسول (!!)، ومن أبرز المنافحين عن هذا المذهب، ((جون ونسبروغ)) ((*John Wansbrough*))[21] في كتابيه ((*Qur’anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*)) (1977م) و((*The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History*)) (1978م).

يَعتبر ((ونسبروغ)) أنّ القرآن قد أُلِّف في القرن الثاني الهجري، وأنّه نتاج الجدليات الدينية الإسلاميّة- اليهوديّة.

---

20 Oliver Leaman, *The Qur’an*, New York, Routledge, 2006, p.477

21 جون ونسبروغ (1929م-2002م) : مؤرّخ ومستشرق أمريكي. درّس في جامعة لندن.

وقد تبنّى هذا المذهب عدد من تلاميذ ((ونسبورغ))؛ ((كأندرو ربّن)) ((Andrew Rippin))22 و((نورمان كالدر)) ((Norman Calden))23و((جيرالد هاوتنغ)) ((Gerald Hawting)) 24. وهو ما قاله أيضا كلّ من ((كرون)) ((Crone)) 25و((كووك)) ((Cook)) 26 في كتابيهما الشهير: ((The Hagarism: The Making of the Islamic World)) (1977م).27

---

22 أندرو ربن: أستاذ التاريخ وعميد إحدى الكليّات في جامعة فكتوريا. متخصص في التاريخ المبكّر للإسلام والتفسير (التقليدي) للقرآن الكريم.

23 نورمان كالدر (1950م-1998م) أستاذ الدراسات العربيّة والإسلاميّة في جامعة مانشستر. حصل على الدكتوراه تحت إشراف ((جون ونسبروغ)). كان له اهتمام بالجانبين التشريعي والفقهي في الإسلام.

24 جيرالد هاوتنغ (ولد سنة 1944م): مستشرق بريطاني. أستاذ متقاعد لتاريخ الشرق الأدنى والأوسط في مدرسة الدراسات الشرقيّة والإفريقيّة.

25 باتريسيا كرون (ولدت سنة 1945م) ولدت في الدنمارك. مؤرّخة ومستشرقة مهتمة بأصول الإسلام وتاريخه المبكّر. من أشهر دعاويها، قولها في كتابها المشهور ((Meccan Trade and The Rise Of Islam)) إنّ محمدًا (صلّى الله عليه وسلّم) لم يعش في مكّة التي نعرفها اليوم، وإنّما في منطقة أخرى تبعد عنها بأكثر من مئة ميل! وقد ردّت عليها الدكتورة ((آمال الروبي)) –أستاذ مشارك في قسم التاريخ اليوناني والروماني- في كتابها ((الرد على كتاب باتريشيا كرون: (تجارة مكة وظهور الإسلام)) –وهو ردّ علمي قيّم-.

26 مايكل كووك (ولد سنة 1940م): مؤرّخ ومستشرق إنجليزي-إسكتلندي. عضو الأكاديميّة الأمريكيّة للفنون والعلوم. من تلاميذ المستشرق ((برنارد لويس)).

27 Oliver Leaman, *The Qur’an*, p.477

يقف هذا التيّار أمام حقائق تاريخيّة ماديّة كثيرة وصلبة تمنعه من الخروج من دائرة كتب المستشرقين الشاطحين ومقالاتهم التي لا تستهوي الراغبين في الجدال المباشر مع المسلمين!

أمّا في العالم العربي؛ فلم يحمل عن المستشرقين القائلين بأصول يهوديّة/نصرانيّة للإسلام، هذه الدعوى غير قلّة قليلة ممن يدورون عامة في فلك (التنصير) أو (التغريب)، ولعلّ أشدّ هؤلاء جرأة- إلى درجة الوقاحة- في تبنّي هذا المذهب والاستعلان به، الكاتب المسمّى: ((هشام جعيط)) في كتابه: ((تاريخية الدعوة المحمدية في مكة))، وهو كاتب غرّ فكريًا إلى درجة الإحساس بفقدان الذات؛ قد أوقعه ضمور الحسّ النقدي عنده، وأميّته المعرفيّة البائسة في باب المعارف النصرانيّة -سواء المكتوبة بلسان كنسي أو المحرّرة من طرف منتقدي الكنيسة!، في ارتكاب عمايات علميّة، وإطلاق إجمالات بدائية تشفّ عن نفسيّة متشنجّة تسعى للشهرة ولو (بالتجمّل) بأطمار الجهل الفاضح! [28]

وإذا كان المستشرق ((وات)) ((*Watt*))[29]، يقول إنّ المستشرقين الغربيين يسيئون استعمال القالب العلمي لتأكيد أفكارهم المسبّقة[30]، فإنّ ((جعيط)) وأضرابه، يستغلون البداوة العلميّة لتلاميذهم للترويج لنقولهم غير الأمينة!

لا ريب أنّ الاستشـراق التنصـيري –كمـا كـان- هـو المصـدر الأوّل لدعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب؛ فهو

وإذا كان المستشرق «وات» (*Watt*)[29]، يقول إنّ المستشرقين الغربيين يسيئون استعمال القالب العلمي لتأكيد أفكارهم المسبّقة[30]، فإنّ «جعيط» وأضرابه، يستغلون البداوة العلميّة لتلاميذهم للترويج لنقولهم غير الأمينة!

لا ريب أنّ الاستشراق التنصيري –كما كان- هو المصدر الأوّل لدعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب؛ فهو الذي اختلقها، وهو الذي رعاها نطفة، فجنينًا، فوليدًا، وهو الذي وظّف كتابات الاستشراق غير الكنسيّ لخدمة هدفه، وهو الذي يروّج لهذه الدعوى بكثافة في كلّ اللغات المتاحة لديه- وهي كثيرة جدًا-.

ولما كان الذبّ عن كتاب الله سبحانه، هو من الفروض التي حثّ الشرع على القيام لها، والقيام بها .. فإننا سنتولى في هذا الكتاب الردّ على هذا الطعن مستضيئين

ولو كانت متشاكسة)، إلاّ أن كاتبه ليس على قبلة النصرانيّة عقيدة، أمّا الأمر الثاني- فهو الفقر الشديد في مراجع كتابه والعجز (المرضي) عن الإحاطة بجوانب الموضوع، والعرض (الباهت) لنتائج الأبحاث التي سطا عليها دون أن يبدي مقدماتها وأدّلتها، وثالث هذه الأمور-، جهله الظاهر بالدراسات الكتابيّة التي اقتحم بابها دون زاد من قراءة ناقدة، بل من قراءة مجرّدة، ولذلك وردت في كتابه أخطاء علميّة (ساذجة) ودعاوى فجّة (فاقعة) لا يقع فيها مبتدئ في العلم، سنعرض لها لاحقًا في هذا الكتاب.

29 ويليام مونتغمري وات (1909م-2006م): مستشرق إسكتلندي. كان أستاذًا للغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة في جامعة إدنبرة. عمل فترة من حياته قسيسًا.

30 Oliver Leaman, *The Qur’an*, p.477

بنور العقل الواعي، والتاريخ القاطع، والعلم اليقيني .. جاعلين الحقائق الموضوعيّة التي تستوي المناهج العلميّة في التسليم بحجيّتها والثقة في دلالتها، الفيصل في الحكم في هذه الدعوى. ولن يكون القرآن الكريم فيصلًا في إعلان الحكم النهائي من هذه الدراسة؛ لأنّه الخصم الذي لا يُسَلَّم له المخالف بالحجيّة، بل ويتخذه مرمى لشبهاته، فإن استدللنا بالقرآن الكريم فإنّما من باب أنّه (وثيقة تاريخيّة) معتبرة عند مخالفينا، وهذا أمر لا يمكن لمن لا يسلّم بربّانيّة القرآن الكريم أن يردّه.

وإنّ من غايات هذه الدراسة أن تفيد القارئ العربي بما يعينه على استيعاب آخر ما كتبه المستشرقون والمنصّرون مع ما تراكم سابقًا في المكتبتين الاستشراقيّة والتنصيريّة من دراسات كثيرة .. وإنّي لأرجو للقارئ الذي يستوعب مباحث هذا الكتاب أن يكون قد أحاط بأهم ما يتداوله الأكاديميون الغربيون في هذا الموضوع، وأن يكون قادرًا على أن يجادل في دقائق هذا الموضوع بعلم وبصيرة بما يجلو عن القرآن الكريم ران المحرّفين.

وإنّي لأرجو –بكرم الله جلّ وعلا- أن أكون قد وفّيت هذا الموضوع حقّه؛ فقد كان يراود ذهني منذ زمن بعيد، وما تهيّبت التأليف في بابه إلاّ لسبب وحيد؛ وهو ألاّ أجد سعة من الوقت لأحيط بأهم عناصره؛ فمثل هذا الموضوع لا يؤدّيه حقّه العرض السريع لمباحثه، ولا يقال في أمر فيه بالظن المجرّد، ولا يطلق فيه القول دون توثيق من أمّهات الكتب والمراجع المتخصصة التي هي عمدة الباحثين في

الغرب والشرق. وقد كنت أرجو أن يتناوله غيري في دراسة علمية يستفرغ فيها الوسع، غير أنني لما رأيت التجاهل (الغريب) لهذا الموضوع في المكتبة العربيّة، رغم أنّه مادة ثابتة في كتابات الطاعنين في القرآن الكريم[31]؛ توكّلت على الذي لا يخيّب رجاء عبده الضعيف، وسطّرت

---

31 انظر تعليق المستشرق ((برنارد لويس)) على تجاهل علماء المسلمين لما كُتِب عن الأثر اليهودي في صياغة القرآن الكريم، وقوله إنّ دعوى أنّ القـرآن الكـريم متـأثر بكتابـات اليهـود لم تـثر غـير حفيظـة النقّـاد غـير المسلمين الذين يرون أنّ القرآن الكريم متأثّر بالنصـرانيّة لا اليهوديّـة!!؟ (انظـر؛ Bernard Lewis, *The Jews of Islam*, New Jersey: Princeton University Press, 1984, p)
ولعلّه من أكثر ما يأسف له المرء هو أن يرى أنّ الـذين يـردّون على أهم الشبهات المحدثة حول القرآن الكـريم اليـوم هم من غـير المسـلمين، لا رغبة منهم في الانتصار لربّانيّة القرآن الكـريم، وإنّمـا لأنّهم يقـدّمون -في رأيهم- وجهًا أقوى للطعن في كتـاب اللـه سـبحانه؛ فهم إذًا (يتخاصـمون) في أمر (أقوى) الطعون !!.. وأمّة الإسلام بكتّابها المتكـاثرين و(خـرّيجي) جامعاتها الشرعيّة المتراكمين تراكمًـا لم يـزدهم إلاّ ضـعفًا، في غيبـة عن شهود هذه السجال التي ينال فيه المخالفون من قداسـة كتابهـا؛ ألا تـرى أننـــا نعيش في زمن ســيطرت فيــه عقليـــة (النقـــل) و(النســـخ) عن المتقـدمين؛ فلسـنا (نحسـن) إلاّ مـا أحسـنوه (!) ... ومن الأمثلـة الـتي (يحزنني) و(يدمي قلبي) أن أذكرها، مـا شـاع في الكتابـات الغربيـة على مدى قرون أنّ اسـم والـد ((إبـراهيم)) عليـه السـلام كمـا هـو في القـرآن الكـريم: ((آزر))، مـأخوذ خطـأ من كتـاب مـؤرّخ الكنيسـة ((يوسـابيوس)): ((تـاريخ الكنيسة)) حيث ورد أنّ اسم والـد ((إبـراهيم)) عليـه السـلام هـو ((Αθαρ)) (آثر). وقد قال أصحاب هذه الشـبهة إنّ تحـويرًا بسـيطًا في هـذا الاسم سيجعله ينطـق ((آزر))، واسـتمر تـداول هـذه الشـبهة في عشـرات الكتب منذ القرن السابع عشر، حتّى (تفضّل!) المستشـرقون بـالقول إنّ الكلمـة اليونانيّـة الأصـليّة الـواردة في كتـاب ((يوسـابيوس)) هي ((ατάρ)) (أتار) لا ((Αθαρ)) (آثر)، وأنّ النص في حقيقتـه لم يـذكر والـد ((إبـراهيم)) عليه السلام أصلًا؛ فالنص يقول (الترجمـة الإنجليزيّـة: (Of these, some excellent men lived before the flood, others of the sons and descendants of Noah lived after it, among them Abraham, whom

من الكلام ما أرجو به أجر الكريم المنان، وردّ الفتنة عن أبناء المسلمين، ودفع عادية الطاعنين في كتاب الله المبين ..

وقد قسّمت هذا البحث إلى خمسة أبواب ..

(the Hebrews celebrate as their own founder and forefather Eusebius, *The History of the Church*, tr. Arthur Cushman McGiffert, K.S.: Digireads, 2005, p.11)، (الترجمة الفرنسيّة: Plusieurs d'entre eux ont vécu avant le déluge; d'autres ont existé plus tard, tels les fils et les descendants de Noé, tel Abraham que les fils des Hébreux se glorifient d'avoir pour chef et pour premier père) ـ Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, Paris: Alphonse Picard, 1905, pp.45,47))، ثم اخترع المستشرقون احتمالات أخرى لتفسير أصل وجود اســم ((آزر)) في القرآن الكريم، كلّها تطعن في ربّانيّة كتـاب اللـه (انظـر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, Oriental Institute Baroda, 1938, pp. 53-55).. والأمثلـة أكـثر من أن تحصـر .. ولا حـول ولا قـوّة إلاّ باللـه العلي العظيم!

وليس (للكسالى) هنا محل للكلام باسـتعراض حجّتهم البليـدة بـالقول إنّ هذه الشبهات (سخيفة) ولسنا في حاجة إلى الرد عليها؛ فإننا لم نر هؤلاء يردّون على الشبهات (الذكيّة) ولا (السخيفة) ولا (ما بينهمـا!)، وإنّمـا هي حجّـة القاعـد المستسـلم (لرخـاوة) عقلـه. إنّ الشـبهات لا تقسّـم إلى (سخيفة) و(جادة)؛ فالباطل هو الباطل، وإنّما تقسّم إلى شبهات (رائجـة) وأخرى (غير رائجة)، ومن هـذه النقطـة يكـون مبتـدأ العمـل الفكـري في دفع الأباطيل؛ ألا ترى أنّ القرآن الكريم يزخر بالآيـات الـتي تنفي ألوهيّـة الأصنام وقـدرتها على النفـع والضـر، رغم أنّـه لا يسـتريب أحـد اليـوم أنّ عبادة الأصنام دين مسف في الضلال، ومـا جـاءت الآيـات في نقض هـذه العقيدة الباطلة إلاّ لأنّها كانت رائجة زمن نزول القرآن الكريم.

وإنّ أمانة الكلمة تدفعني لأقول إنّ الخطاب العلمي الإسـلامي لم يلامس إلى اليوم سـاحات النشـاط الأكـاديمي الغـربي؛ فلازالت عامـة الكتابـات التي تتحدث عن الغرب باللغـة العربيّـة، متشـبّعة (بالهلاميّـة) في التصـوّر والطـرح والنقـد، ومسـرفة في الإجمـال المخـل الـذي يقصـر عن طـرح (مشروع) علمي دعوي متكامل. كما أنّ الكتابات الإسلاميّة المترجمة من

الباب الأول، وفيه نعرض للاحتمالات التي تفرزها دعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب، فيما يتعلّق بمصدر تلقي هذه العلوم من طرف نبي الإسلام ، واضعين إياها في ميزان المنطق التاريخي السوي، مستضيئين بحقائق التاريخ وكشوفه.

الباب الثاني، وفيه نعرض لدلالة كلّ من الاتفاق والاختلاف بين القرآن الكريم وأسفار أهل الكتاب، على ربّانية القرآن الكريم وأصله السماوي.

الباب الثالث، وهو مخصص لتناول أوجه التصحيح والسبق القرآنيين في باب القصص التاريخي، مقارنة بما ورد في أسفار أهل الكتاب.

العربيّة إلى اللغات الأوروبيّة أو المؤلّفة باللغات الأوروبيّة ابتداءً، متوجهة فقط إلى مخاطبة عوام الغربيين، ويكاد يقتصر الخطاب الذي يريد دفع الشبهات الكبرى عن الإسلام في الدوائر الأكاديميّة الغربيّة على بعض الكتّاب الغربيين غير المسلمين –المتعاطفين مع الإسلام- كـ((جون إسبوزيتو)) ((John Esposito)) و((كارن أرمسترنج)) ((Karen Armstrong)) –إلاّ استثناءات قليلة جدًا من المسلمين- !!.. فمتى ندرك أنّنا نعيش اليوم في عالم لا يرحم (الكسالى)، ولا يحترم (مدمني البطالة الفكريّة)، ولا يعترف بـ (محبي الاسترخاء العقلي)؟!!

لقد كان سلفنا من أهل القرون الهجريّة الأولى هم الذين أسّسوا علم مقارنة الأديان، وكان اليهود عالة عليهم في الجدل الديني ضد النصرانيّة، وهم –أولئك الأجداد- الذين قدّموا لأوروبا العناصر التي بدأت منها في -ما يسمى- (بعصر النهضة) بتأسيس الدراسات الكتابيّة العلميّة (كلّ ذلك باعتراف المستشرقة الإسرائيلية ((Hava Lazarus-Yafeh))- انظر؛ Hava Lazarus-Yafeh, '*Some Neglected Aspects of Medieval Muslim Polemics against Christianity*,' in *The Harvard Theological Review*, Vol. 89, No. 1 (Jan., 1996), pp. 65-70)، لكننا في القرون الخمسة الأخيرة (من السادس عشر إلى العشرين) عشنا خارج (تاريخ) علم مقارنة الأديان .. فهل من عودة؟! وهذا هو الأمل!

الباب الرابع، وفيه نختبر من خلال نموذج عملي، دعوى الاقتباس، من خلال المقارنة بين الرواية القرآنية والرواية التوراتيّة لقصة نبي الله ((يوسف)) عليه السلام..

الباب الخامس، وفيه إثبات مختصر لاقتباس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من ديانات الوثنيين وفلسفة اليونان ..

والله الموفق .. وهو من وراء القصد ..

((اللهم اجعل هذا الكتاب ذخرًا لمؤلفه والناشر له -بكل سبيل-، في القبر .. وعند الصراط .. وعند تطاير الصحف! واغفر لي حظ النفس فيه!))

((اللهم ارحمــني وأهلي والمســلمين فــوق الأرض .. وتحت الأرض .. ويوم العرض!))

((ربّ اشرح لي صدري .. ويسّر لي أمري .. واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي!))

الأوّل

بحثا عن معلم لمحمد

رغم افتقاد النصرانيّة لأدنى الأصول العلميّة السليمة التي تسمح لها أن تطأ بقدمها أرض التدافع الديني، ورغم أنّ (دلائل صدق النصرانية) كما يقدمها أئمة التنصير؛ هي نفسها عند العقلاء (دلائل بطلان النصرانية)[32]؛ فإنّ المنصّرين إذا ما ولّوا أمرهم إلى الطعن في الإسلام، فإنهم يصنعون من الخاطر العابر أسطورة شائكة، ومن الأثر الساقط رواية متواترة، ومن الظنّ المرجوح حقيقة قاطعة ..

والذي يعجب له الناظر في مصنّفات الدفاعيين[33] النصارى يرى أنّ هؤلاء الكتّاب إذا كانوا بصدد الردّ على الطعون في أسفارهم وعقائدهم؛ يعمدون إلى أبعد الفروض وأغرب الاحتمالات لدفع التناقض وردّ الزلل عن مقدساتهم[34]، لكنهم إذا ما أنشبوا أقلامهم في صحائف القرآن الكريم،

---

32 أشهر هذه (الدلائل) نبوءات العهد القديم بظهور (يسوع المسيح)، ولا يكاد يخلو كتاب تنصيري من ذكرها أو ذكر بعضها، وقد فندتُ كلّ هذه النبوءات التي ادعاها مؤلفو الأناجيل الأربعة، في كتابي «محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة» ص 188-229 (مكتبة النافذة 2007م)، وهي في حقيقتها، قاطعةٌ أن كتّاب الأناجيل كانوا بشرًا مسوقين باجتهاداتهم الشخصية التي تعارض العقل والوحي.

33 (Apologists)، يسمون أيضًا (الاعتذاريين).

34 انظر مثلًا؛ «منيس عبد النور» في كتابه «شبهات وهميّة حول الكتاب المقدس» الذي يعتبر (إنجيل المنصّرين العرب).

تبدّل الحال وتهيّجت النفوس؛ فينكر القـوم على المسـلمين أوضح الـبراهين، وأصـحّ الأسـانيد، وأنقى المتـون، متشـبثين بأوهى اعتراض، وأوهن شبهة، وأرق احتمال..

ولمـا كنّـا في هـذه الدراسـة قاصـرين جهـدنا على شـبهة الاقتبـاس، فإننـا لن نرسـل القلم في تتبعهم في غـير هـذا البـاب، وإنمـا سنقصـر الأمـر على ملاحظـة الـدعاوى الـتي يسـوقونها لإثبـات زعم النقـل القـرآني عن أسـفارهم الـتي يقدّسونها.

وبالنظر إلى أصول شبهة المنصّرين وعناصرها، فإنّه من الممكن أن نلاحظ أنها مبنيّة على عدة دعاوى .. تحتاج كلّ واحدة منها إلى دراسة، وتحليل، وتفنيد ..وهي:

- محمد ﷺ كان يقرأ، بل هو صاحب مطالعات دينيّة جمّة!
- محمد ﷺ كان مطّلعًا على الأسفار المقدسة لأهل الكتاب، من يهود ونصارى!
- محمد ﷺ كان مطّلعًا على الكتب المقدسة الأبوكريفية[35] التي لا تعترف بها الفرق اليهودية والنصرانية الكبرى، وكان عميق المعرفة بالكتب الدينيّة التي هي أدنى في قداستها من الكتاب المقدس -مع حجيّتها عند أهلها-!

---

35 الأبوكريفيـة، من الكلمـة اليونانيّـة ((ἀπόκρυφος)) ((أبوكريفـوس)) أي مخفي، اصـطلاحًا: النصـوص والأسـفار المرفوضـة من طـرف الفـرق النصرانية (الأرثودكسيّة):(الأبوكريفا النصـرانيّة)، أو اليهوديّـة: (الأبوكريفـا اليهوديّة).

- كانت بلاد العرب تعيش ثقافة كتابيّة مزدهرة!
- استفاد محمد ﷺ من رؤوس الطوائف الدينيّة في زمانه، آخذًا عنهم الكثير من المعارف الدينية الدقيقة!
- عكف محمد ﷺ على مراجعة أسفار أهل الكتاب؛ بحذف أخطائها، وجبر نقصها!
- كان محمد ﷺ مع ذلك حريصًا على مراعاة الإعجاز في النظم القرآني!
- كان محمد ﷺ يتحدى بهذه المعارف الشخصية، العرب الوثنيين وأهل الكتاب على السواء!
- كـان محمـد ﷺ يـردّ -من كيس ثقافتـه الخاصـة- على أسئلة أهل الكتاب واختباراتهم، باقتدار وإتقان!

هذه الادعاءات لم يملك المستشرقون والمنصّـرون لإثباتهـا دليلًا صحيحًا واحدًا، وإن كانوا قد بنوا عليهـا مـزاعم طويلـة عريضـة منتفشـة، ومـع ذلـك فإننـا سنناقشـها كلّهـا بعـد أن نردّها إلى أصولها الثلاثة:

- إنكار أميّة محمد ﷺ.
- الأسفار النصرانية كانت متاحة بين يدي محمد ﷺ للنقل عنها.
- كانت مكة مرتعًا تعليميًا راقيًا للدراسات الدينيّة المقارنة.

أميّة الرسول ﷺ

تنبني دعوى الاقتباس المزعومة على عناصر أساسيّة لا بدّ منها لتكتمل شروط صحّة الإدانة -على فرض أنّ الرسول ﷺ قد أخذ عن أسفار أهل الكتاب مباشرة-؛ من أهمها

امتلاك محمد ﷺ للأدوات العلميّة المكتسبة للاطلاع المباشر على الأسفار المقتبس منها. ويعتبر التأكيد الإسلامي على أميّة الرسول ﷺ عقبة تقف دونها ركائب المنصّرين وعامة المستشرقين، فلا يمكن أن تعبر إلى إثبات الدعوى، إلاّ بإبطال حقيقة هذه الأميّة!

وأوّل ما يواجه المنصّرين والمستشرقين في هذا الشأن هو أنّ مصنفات الحديث والسيرة بالإضافة إلى القرآن الكريم، هي المصادر التاريخيّة الوحيدة المعتبرة لمعرفة خبر محمد ﷺ فيما يتعلّق بكلّ أمره .. وليس للمنصّرين والمستشرقين مدخل آخر لهذا الموضوع ولا أدوات أخرى موضوعية حاسمة للبحث فيه..

والناظر في منهج هؤلاء المخالفين؛ يرى بوضوح أنهم يعمدون إلى الضعيف من النقول، أو إلى المتشابه من الأقوال، أو البعيد من الاحتمالات التي لا تطيقها النصوص.. ويتركون في مقابل ذلك نصوص صريحة، صحيحة، محكمة، مباشرة ..

ويبدو أنّ من أسباب هذا النهج أمرين؛ أولهما: الرغبة المستحكمة في الوصول إلى النتيجة المرادة التي هي إدانة محمد ﷺ وإنكار ربّانية القرآن الكريم.. وثانيهما : التأثّر بالمناهج الغربيّة في نقد النصوص الدينية حيث يرفض الباحث النصوص الدينية منطوقًا ومفهومًا ويتعلّق بهوامش تاريخية ولغوية يبني عليها فهمه للشأن الديني والتاريخي كلّه. ولئن كان الناقد الغربي له شيء من العذر في نهج ذلك المسلك مع تلك الأسفار التي ثبت قطعًا أنها ساقطة

تاريخيًا وأنها كتابات ظرفيّة متشبّعة بالكثير من المعائب العلميّة والأدبيّة، حتّى اختفت معالم الوحي فيها وراء الدخيل الكثيف، فإنّ الأسفار الإسلامية (قرآنًا وسنة) لا تحمل من تلك الأوضار شيئًا، وإنما هي في طهرها التاريخي ناصعة نقيّة ..

لقد جاء أمر نسبة الرسول إلى الأميّة في الكتاب والسنة في مواضع عدة، والمنصّرون ومن شايعهم من المسشرقين، يعمدون أمام هذه النصوص إلى أحد نهجين:

أ- ردّ النصوص واعتبارها افتعالًا إسلاميًا لا حقيقة تاريخيّة. وهو موقف أيسر تكلفة من ناحية ترتيب المصادر والتوفيق بينها، لكنه الأعسر في نفس الآن من حيث علمية المنهج وحجيّة المصادر ..

ب- قبول مجمل النصوص التاريخية (الإسلاميّة)، ولكن مع رفض مضمونها المباشر، وإنّما استنطاقها خارج الحقل الدلالي النبوي، والأثري عامة.

ولما كان النزاع مع المنصّرين هو في فهم عبارة (الأميّة)؛ فإنّه علينا أن نفسّر هذا الاصطلاح في إفراده اللغوي، ثمّ في سياقه القرآني والنبوي؛ حتّى نكون قد استنطقنا بحق وعدل المرجع العلمي الوحيد في هذا الشأن.

شهادة اللغة

لا يَسلم التعريف اللغوي للفظ العربي من الخطأ، إلا أن نعود إلى أهل اللغة الذين تتبعوا استعمالات العرب للألفاظ المراد تبيّن معناها؛ لاستخراج نقشها الدلالي في الذهن

الجماعي زمن الخطاب. وقد شطّ في الطرح وتكلّف في الاستدلال، من جنح إلى تفسير اللفظ العربي خارج سياقه بين أهله؛ وإنّما بالعودة ابتداءً[36] إلى مقابله الكتابي – متجاهلًا تمايز الدلالة الاصطلاحيّة حين وجودها- أو استنطاقه في مشتركه السامي، بالعودة أساسًا إلى اللغة السريانيّة أو العبريّة اللتين تشاركان اللغة العربيّة الجذر السامي الأوّل، حال وجود تمايز دلالي محكم ..[37]

---

36 اللغات الساميّة مفيدة في فهم ما غمض من الألفاظ العربيّة، إذا كانت هذه الألفاظ دخيلة على اللسان العربي أو كانت من المشترك السامي، لكنّها غير معتبرة إذا ثبت لنا من خلال التصريح أو الاستقراء معنى مُحكمٌ في العرف اللساني البياني العربي ضمن السياق الزمني المقصود.

37 لعلّ هذه (الموضة) هي الأكثر رواجًا هذه الأيام في المكتبة الاستشراقيّة بين أصحاب (الفانتازيا) الفكريّة و(التقليعات) النقديّة الحديث؛ ولو كان رصيدها من الواقع شديد الهزال؛ ولذلك لا نستغرب أن نقرأ قول ((جبرائيل صاوما)) ((Gabriel Sawma)) في كتابه: ((*The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated and Misread : the Aramaic Language of the Qur'an*)) ص 103، مخاطبًا (الكائن الغربي) في سبيل إثبات أنّ القرآن كتاب (سرياني اللفظ والدلالة) (!): ((اليوم، من يتكلّمون السريانيّة أقدر على فهم معاني القرآن أكثر ممن يتكلّمون العربيّة؛ رغم أنّ الكثير من الألفاظ القرآنيّة قد تمّ تعريبها على مدى الأربعة عشر قرنًا الماضية.)) .. لا شكّ أنّه لا يمكن أن يجهر هذا المؤلّف بمثل هذه الدعوى (الموؤودة) في بيئتنا العربيّة .. علمًا أنّ هذا الكاتب الذي زعم أنّه يفسّر القرآن بالسريانيّة (!) والذي يحسن فهم لغة القرآن أكثر من أصحاب اللسان العربي(!)، قد عجز في بعض الأمثلة التي عرضها، عن قراءة اللفظ العربي أو نقحرة (transliteration) الآيات وأسماء الأعلام .. (إلاّ الحماقة أعيت من يداويها!)!!

وفي ما يتعلّق بمبحثنا هنا، نلاحظ ربط الكتابات الاستشراقيّة/ التنصيريّة بين الكلمة القرآنيّة «أمي» والكلمة الكتابيّة «أممي»؛ إذ يتم في الأغلب رد هذه الكلمة العربيّة القرآنيّة إلى المصطلح اليهودي العبري: «جويم» «גוים» الذي يطلق على غير اليهود؛ بمعنى «أمم» كمقابل «لأمّة بني إسرائيل» المصطفاة، ومفردها «جوي» «גוי» أي «أمّة (غير يهوديّة)». وظاهر من استعمال هذا اللفظ، دلالته السلبيّة على (غير الإسرائيليين)؛ فهم «أمم» في مقابل الإسرائيليّين «الأمّة»، ولسنا نجد هذا المعنى في وصف الرسول لنفسه أو وصف القرآن له، وإنّما قد وضع وصف الأميين للعرب باعتبارهم أمّة لا تعرف الحق والهدى:

{هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَـانُوا مِن قَبْـلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}38

{فَـإِنْ حَـآجُّوكَ فَقُـلْ أَسْـلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّـهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُـل لِّلَّذِينَ أُوْتُـواْ الْكِتَـابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْـلَمْتُمْ فَـإِنْ أَسْـلَمُواْ فَقَـدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}39

فضبطُ الدلالة القرآنيّة «للأمي» و«الأميين» بمعنى من ليسوا من أمّة (الإسرائيليين) أي الأغيار، لا تستنيخ له الآيات القرآنيّة التي تأبى سياقاتها حصر معنى هذا اللفظ ضمن إطار الدونيّة الدينيّة أو العرقيّة. وهو ما أكّده

---

38 سورة الجمعة/ الآية (2)

39 سورة آل عمران/ الآية (20)

«كيرلس جلاسي» «Cyril Glasse» 40في موسوعته «موسوعة الإسلام الموجزة» «*The Concise Encyclopedia of Islam*» بقوله في مقالة (أمي): «لقب للنبي. رغم أنّ كلمة أمي قد فهمت من المسلمين على أنّها تشير إلى أنّ النبي كان أميًا، فإنّ بعض النقّاد الغربيين نازعوا في إتيمولوجيّة الكلمة لزعمهم أنّها تعني (gentile) وذلك بربط كلمة أمي بكلمة أمّة، ويقولون إنّ ذلك بسبب أنّ محمدًا قد دعى إلى الوحي الإبراهيمي الـ (gentiles) أو غير اليهود. إنّ كلمة أمّة لا تعني (nation) بالمعنى العبري لكلمة «جوي»، وليس الإسلام ديانة منبثقة من اليهوديّة، على خلاف المسيحيّة ... وليس فهم المسلمين لكلمة أمي كفهم المستشرقين لها.»41

إنّ نكارة الأمر من الناحيتين الإتيمولوجية42 والفيلولوجيّة43 ترجع إلى:

---

40 كيرلس جلاسي (ولد سنة 1944م): مستشرق أمريكي من أصل روسي. اهتدى إلى الإسلام في شبابه. تخرّج في كليّة كولومبيا. درّس مقارنة الأديان في العديد من البلاد (نيويورك، وموسكو، ولاهور ...)

41 Cyril Glasee, *The Concise Encyclopedia of Islam*, San Francisco: Harper and Row, 1989, p.409

42 إتيمولوجيا Etymology: لغة: نتاج إدغام كلمتين يونانيتين: (ἔτυμος) أي (حقيقة) و(λόγος) أي (خطاب/كلمة) .. . اصطلاحًا: نسق علمي تاريخي في اللسانيات لدراسة أصول الكلمات يعتمد أساسًا على ملاحظة التطوّر الصوتي للكلمات في اللغات المختلفة ودلالاتها.

43 فيلولوجيا Philology: لغة: نتاج إدغام كلمتين يونانيتين: (φίλος) أي (حب)، و(λόγος) أي (خطاب/كلمة) ... اصطلاحًا: علم يهتم بدراسة اللغة من ناحية تاريخيّة انطلاقًا من النصوص المكتوبة بالنظر إلى التعبير اللساني شكلًا ومضمونًا. (وهذا من أوسع التعريفات)

- التجاهـل المتعمّـد للعـرف اللغـوي للكلِم العـربي.
- اللجوء إلى اللغة العبريّة لتحقيق الدلالة المعنويّة للفظ القرآني، مع وجود ثروة لسانيّة هائلة من الشعر والخطب والأمثال العربية السابقة للإسلام.
- الإعراض عن تفسير اللفظ القرآنيّ من خلال (العرف) القرآني والنبوي لنفس الكلمة!
- تجاهل نظرة العرب إلى اللغة العبريّة على أنّها لغة أجنبية يُتعامل معها عن طريق الترجمة.

إنّ استكشاف البيان العربي، يحتاج إلى استنطاق العرف اللغوي العربي القديم، خاصة الجاهلي منه الذي شكّل المعجم اللساني في القرن السابع ميلاديًّا.. وقد جمع علماء اللغة في معاجمهم الموروث اللغوي القديم، وقدّموا لنا ما يلي:

قال ((ابن منظور)): ((معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أمه أي لا يكتب فهو أمي لأن الكتابة مكتسبة؛ فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه.))[44]

وقال ((أبو حيان)): ((الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، أي لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحقّقوا ما فيها.))[45]

---

44 ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت، 12/34.

45 أبـو حيـان، تفسـير البحـر المحيـط، بـيروت: دار الكتب العلميّـة، 1422هـ، 2001م، 1/442

أما ((ابن قتيبة)) فقد نسب كلمة أمي إلى أمة العرب التي لم تكن تقرأ أو تكتب، فقال: ((قيل لمن لا يكتب أمي، لأنه نسب إلى أمّة العرب أي جماعتها، ولم يكن من يكتب من العرب إلاّ قليل؛ فنسب من لا يكتب إلى الأمّة ...))46

ومن الشهادات المبكّرة في تفسير معنى كلمة ((أميّ))؛ قول المـؤرّخ ((محمـد بن إسـحاق بن يسـار المـديني)) (ت151 هجرية) صاحب السيرة النبوية المشهورة: ((كـانت العـرب أميين لا يدرسون كتابًـا، ولا يعرفـون من الرسـل عهـدًا.))47 ..وقـول الحافظ ((يحـيى بن معين)) (ت223 هجرية): ((كـان جعفر بن برقان أميًا، لا يكتب و لا يقرأ)). وقال أيضًـا: ((كـان أبو عوانة أميًا يستعين بإنسان يكتب له.))48

لقـد كـانت كلمة ((أميّ)) بين أهـل اللسـان العـربي مرادفـة للعجـز عن القـراءة والكتابـة، وكـان العـرب (أميّين) لغلبـة الجهل بالقراءة والكتابة عليهم ..

شهادة القرآن الكريم

---

46 ابن قتيبـة، غـريب الحـديث، ت/ عبـد الله الجبـوري، بغـداد: مطبعـة العاني، 1397هـ، 1/384

47 ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ت/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت، 2/62

48 ابن معين، تـاريخ ابن معين، روايـة الـدوري، دمشـق: دار المـأمون للتراث، 1400 هـ، 3/419

قال تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُون}.[49]

تنفي هذه الآية الشريفة المحكمة عن الرسول دراسة أسفار أهل الكتاب.. كما تنفي عنه نسخ هذه الكتب – وبدلالة التضمّن، تداولها-؛ وفي هذا ردّ صريح مباشر على الزعم أنّ الرسول كان على علم واطلاع عميقين بأسفار القوم ..

إنّ هذه الآية تقرّر أنّ محمدًا لا علم له بأسفار أهل الكتاب، وجعلت سكوت مخالفيه دليلًا على صحة هذه الحقيقة وصواب هذه الدعوى .. ولكن يأبى (المولَّدون) إلا الجدال في ما لم يجادل فيه ألدّ خصوم هذا النبي من المعاصرين له، ممن لم يتورعوا عن محاولة سفك دمه وإهدار عرضه!!

وتؤيّد آيات أخرى علم أهل مكّة بعدم دراية محمد بأسفار أهل الكتاب، كقوله تعالى: {مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ}[50] وقوله: {قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون}[51]

---

49 سورة العنكبوت/ الآية (48)

50 سورة الشورى/ الآية (52)

51سورة يونس/ الآية (16)

وفي مقابل جحد المعاندين لمنطوق هذه الآيات التي تبطل أصل دعاويهم، يقول من استقام عندهم منطق الاستدلال، أمثال الإمام ((النحاس)): ((وذلك **دليل على نبوته**، لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب؛ فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك .))[52]

شهادة السنة

شهادة السيرة: تعددت الوقائع والأحداث الثابتة في السيرة، المظهرة لأميّة الرسول ، كما غابت المواقف التي تكشف ارتياد الرسول مجالس التعلّم والكتابة، أو استعماله للقرطاس والقلم، وهي مواقف لا يمكن أن تغيب عن حياة رجل يحسن القراءة والكتابة في بيئة عمّها الجهل واستوطنتها الأميّة.

وقد كانت المرحلة المدنيّة من الدعوة متميّزة بالحاجة إلى الكتابة بصورة خاصة، مع ظهور مراسلات الملوك، وتنظيم الجيش، والدولة، حتّى إنّه كان للرسول واحدٌ وستون كاتبًا[53]، ومع ذلك لم تظهر في هذه المرحلة (المعرفة المزعومة) للرسول بالقراءة والكتابة.

---

52 الشوكاني، فتح القدير، بيروت: دار الفكر، د.ت، 4/207

53 حقّق أمر هذا العدد من الكُتّاب، الدكتور ((محمد مصـطفى الأعظمي)) في كتابه: ((كتّاب النبي صلّى الله عليه وسلّم)) (انظر؛ محمد حميـد اللـه، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافـة الراشـدة، بـيروت: دار النفائس، ط6، 1407هـ، 1987م ، ص أ)

كما أنّ طفولة الرسول □ كانت على درجة كبيرة من الشدة والقسوة ممّا يمنعه من تقصّي أسباب التعلّم بما تتطلبّه من تفرّغ ولين عيش في تلك البيئة القاسية والحياة المرهقة.

وهل التعلّم يكون من غير معلّم؟ فأين سيرة من علّم الرسول □ في أخبار الصحابة عن نبيّهم، وقد عُلِم أنّهم كانوا يعظّمون كلّ أمره، ويبجّلون كلّ من كان عظيم الصلّة به؟ أليس معلّم الرسول □ أحرى الناس بالتعظيم؟!!

والأمر كما قالت المستشرقة ((كارن أرمسترونج)) ((Karen Armstrong))[54]:ـ ((يبدو أنّه من الانحراف في الرأي تحدّي التراث الإسلامي التفسيري لكلمة (أمّي). لا توجد أيّة إشارة في المصادر الأولى إلى ممارسة محمّد للقراءة أو الكتابة. كان محمد يملي كلامه على غيره، كَعَلِي المتعلّم، إذا ما أراد إرسال رسالة. إنّها لخدعة كبيرة أن يكون محمد قد أخفى طوال حياته قدرته على القراءة والكتابة. بعيدًا عن أنّ ذلك ليس من الأمور المعهوده، فإنّه يبدو من العسير جدًا المحافظة على هذا الغش؛ نظرًا للتقارب الشديد في المعيشة بين محمد وقومه.))[55]

---

54 كارن أرمسترونج (ولدت سنة 1944م): كاتبة بريطانيّة لها عناية بالحضارات الشرقيّة والأديان الكبرى. تعتبر عامُة كتبها من أهم المؤلّفات مبيعًا في الغرب.

55 Karen Armstrong, *Muhammad: a biography of the prophet*, New York: HarperCollins, 1993 , p.88

وقـد أقـرّ بأميّـة الرسـول عـدد من المستشـرقين مثل ((مرتشي)) ((Marraci))56 و((بريدو)) ((Prideaux)) 57 و((أوكلي)) ((Ockley))58 و((جـروك)) ((Gerock))59 و((أرمـون-بيـير كوسـن دو برسـفال)) ((Armand-Pierre Caussin de Perceval)) 60 و((ج. م. أرنولد)) ((J. M. Arnold)) 61 و((بالمر)) ((Palmer)) 63.62

---

56 لودفيجيـو مرتشـي (1612م-1700م): قسـيس كـاثوليكي إيطـالي. درّس اللغة العربيّة في جامعة سابينزا برومـا. تـرجم القـرآن الكـريم إلى اللاتينيّة. صاحب نزعة عدوانيّة اتجاه الإسلام.

57 همفري بريدو (1648م-1724م): ناقد وأستاذ دين. ألّف كتاب ((حيـاة محمد)) ((*Life of Mahomet*))، وهو مؤلَّف مشحون بالافتراء والطعن.

58 سيمون أوكلي (1678م-1720م): مستشـرق بريطـاني. درّس اللغـة العربية في جامعة كمبردج. اشتهر بكتابه ((*The History of the Saracen Empires*))

59 ك. ف. جروك: مستشرق. صاحب كتاب ((*Versuch einer Darstellung der Christologie des Koran*)) في التصوّر القرآني لطبيعة المسيح.

60 أرمـون-بيـير كوسـن دو برسـفال (1795م-1871م): مستشـرق فرنسـي. درّس اللغـة العربيّـة في (كـوليج دو فـرُنس). أشـهر مؤلّفاته: ((بحث عن تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام وأثنـاء عصـر محمد)) ((*Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme, pendant l'époque de Mahomet*))

61 ج. م. أرنولد (توفي 1882م): منصّر إنجليكاني.

شهادة الرسول: قال الرسول : ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين.))[64]

قال ((المباركفوري)) : ((قال إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب؛ أراد أنهم على أصل ولادة أمهم؛ لم يتعلموا الكتابة والحساب؛ فهم على جِبلّتهم الأولى.))[65]

لقد ورد هاهنا الشرح المحكم لمعنى الأميّة على لسان الرسول بما يمنع من الدخول في مماحكات تأويليّـــــــة، وبما يدفع عن هذا اللـــــــفظ أيّ غموض أو اشتراك دلالي موهم .. إنّ الأميّة

التي كان عليها الرسول هي عدم الدراية بالكتابة والحساب ..

---

62 إدوارد هــنري بــالمر (1840م-1882م): مستشــرق بريطــاني. درّس اللغة العربيّة في جامعة كمبردح. تعتبر ترجمته الإنجليزيّة للقـرآن الكـريم أشهر أعماله.

63 انظر؛ Samuel Marinus Zwemer, *The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition*, New York: Young People's Missionary Movement, 1905, p.92

64 رواه البخاري ، كتاب الصوم، باب قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: لا نكتب ولا نحسب، ح/ (1913)، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صــوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، ح/ (1080)

65 المبــاركفوري، تحفــة الأحــوذي، بــيروت: دار الكتب العلميّــة، د.ت، 8/212

اتّخاذ الرسول كتّابًا للوحي ولشؤونه الأخرى: كان للرسول عدّة كتّاب «كأبي بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» و«زيد» و«معاوية» –رضي الله عنهم- يكتبون الوحي، ويكتبون العهود، ويكتبون كُتُبَه إلى مَن بعثه الله إليهم مِن ملوك الأرض ورؤوس الطوائف، وإلى عُمّاله، وولاته، وسعاته. ولم يذكر التاريخ الصادق أنه قام بكتابة الوحي بنفسه أو أنّه تولّى كتابة أيّ من رسائله ..

الاصطلاح في البيئة العربية زمن البعثة النبوية: قال المؤرّخ «ابن خلدون» إنّ الكتابة في العرب كانت أعزّ من بيض الأنوق، وإنّ أكثرهم كانوا أميين، ولاسيما سكّان البادية، لأنّ هذه الصناعة من الصنائع التابعة للعمران[66]، ولذلك ما كان العرب يشيرون على الأميّ بالأميّة، وإنما كانوا يشيرون على من يعلم القراءة والكتابة، بالعلم في هذا الأمر؛ إذ إنّ علم القراءة والكتابة كان الاستثناء لا الأصل في الناس؛ وصمت نصوص الوحي وكتب التاريخ الإسلامي عن وصف محمد بالقراءة والكتابة يكفي لإلزام الباحث أن يستصحب الأصل في ذاك الزمان؛ وهو أنّ هذا النبيّ لا يقرأ ولا يكتب.[67]

---

66 أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، الردّ الشافي الوافر على من نفى أميّة سيّد الأوائل والأواخر، ضمن مجموعة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي رحمه الله، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، 1428هـ، 2007م، 6/248

67 انظر في شأن الأميّة في الأمم القديمة؛ William Harris, *Ancient Literacy,* MA: Harvard University Press, 1989

حجم المعرفة العلميّة المشترطة: إنّ دفع الأميّة عن الرسول لا يجدي – في حقيقته- المنصرين والمستشرقين في شيء؛ لأنّ العلم بخط الحروف ورصف الكلمات لا يثبت شيئًا من دعاوى الاقتباس؛ إذ إنّ إثبات علم الرسول بدقائق الأسفار المقدّسة السابقة لا يستقيم إلاّ بإثبات (ثقافة موسوعية) للرسول في أسفار أهل الكتاب وعقائدهم وفرقهم ولغاتهم .. وقد صدق الدكتور ((عبد الرحمن بدوي)) في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلا بد أنّ محمدًا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس- والمذاهب المسيحية.))[68]!!

إنّ التاريخ يخبرنا أنّ ذاك الزمان <u>لم يعرف رجلًا من أهل الكتاب أنفسهم، يحمل هذه العلوم الجمّة، بسعته ودقّتها وتلوّنها!</u>

شبهة:

روى ((البخاري)) في قصّة الحديبية عن ((البراء)) رضي الله عنه قال: ((لما اعتمر النبي في ذي القعدة، أبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها

---

68 عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ت/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العالميّة للكتب والنشر، 1999م، ص24

ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

قالوا : لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله!

فقال : أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله!

ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((امح رسول الله!))

قال علي: لا والله لا أمحوك أبدًا.

فأخذ رسول الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب.))

الردّ:

أولا: ليست كلمة ((كتب)) في هذا الحديث قاطعة في الدلالة على أنّ الرسول قد كتب الكلام التالي بنفسه؛ فإنّ العرب كانت تنسب الفعل إلى الرجل، إذا كان قد جاء به من ائتمر بأمره فيه؛ من ذلك ما رواه ((أنس بن مالك)) رضي الله عنه أنّ النبي اتّخذ ((خاتمًا من فضّة، نقشه محمد رسول الله.))[69]، ومعلوم أنّ الرسول لم يباشر ذلك بنفسه، وإنّما باشره غيره بطلبه .

---

69 رواه البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ح/ (5872)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صلّى الله عليه وسلّم خاتمًا لما أراد أن يكتب إلى العجم، ح/(2092)

ثانيا: جاءت الرواية عن «البراء» في صحيح ابن حبان مصرّحة أنّ الرسول كان آمرًا بالكتابة لا مباشرًا لها: «فأخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن يكتب فأمر فكتب مكان رسول الله محمدًا ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.»

ثالثا: روى هذا الحديث «المسور بن مخرمة» و«مروان» و«أنس بن مالك» رضي الله عنهم أجمعين، واتفقت تلك الروايات كلها على أمر النبي لعلي بالكتابة، فقد روى البخاري عن «المسور بن مخرمة» و«مروان» يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : «..فقال النبي :والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله»[70]، وكذلك قال «أنس بن مالك» رضي الله عنه في صحيح مسلم ما نصّه: «فقال النبي : اكتب من محمد بن عبد الله.»[71]

أما رواية «البراء» رضي الله عنه، فنلاحظ أن الرواة الذين نقلوها قد اقتصروا على بعض الألفاظ دون بعض، ومن هنا حصل اللبس والإيهام في هذه الرواية.[72]

---

70 رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط، ح/(2731)

71 رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح/(1784)

72 خالد كبير علال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبيّ الإسلام، دار المحتسب، نسخة الكترونيّة

رابعا: جاء في رواية البخاري أنّ الرسول قد قال: ((فأرنيه))؛ وفي ذلك دلالة على أنّه لم يكن يعرف القراءة، فكيف سيجيد الكتابة؛ إذ إنّ من لا يقرأ لا يكتب؟!

خامسا: نفس الحديث الذي يحتجّ به المنكرون لأميّة الرسول ، قد جاء فيه قول الراوي: ((وليس يحسن يكتب))؛ وهو مُثبت -بدلالة قاطعة- لأميّة الرسول .

سادسا: لو قبلنا الزعم أنّ الرسول قد باشر في هذه القصّة الكتابه بنفسه، فإنّ ذلك لا يرفع عنه الأميّة؛ قال الإمام ((العيني)): ((الأمي من لا يحسن الكتابة لا من لا يكتب))[73]، وقال الإمام ((ابن حجر)): ((وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالمًا بالكتابة ويخرج عن كونه أميًا، فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها وخصوصًا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا ككثير من الملوك.))[74]

أمّا عامة الأحاديث الأخرى التي استُدلّ بها لردّ أميّة الرسول ، فهي لا تصحّ، قال الإمام ((ابن حجر)) بعد أن أوردها: ((وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث.))[75]

---

73 العيني، عمدة القاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 17/263

74 ابن حجر، فتح الباري، 7/504

75 ابن حجر، فتح الباري، 7/503-504

الأحاديث هي:

-ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ.

وقفات مع دعاوى ((زويمر))

((صاموئيل زويمر))76، أو كما يُكنّى: ((الرسول إلى الإسلام)) ((*The Apostle to Islam*))، وَتَد من أوتاد الاستشراق التنصيري، وهو من أهم من عمل على تأكيد الارتباط بين (العمل الأكاديمي) و(العمل التنصيري) من خلال مجلّته الشهيرة ((العالم الإسلامي)) التي استقطب لفريق الكاتبين فيها أئمة الاستشراق .. وقد اخترنا مقالًا له من هذه المجلّة بعنوان ((النبي "الأمي"، هل كان محمد قادرًا على القراءة والكتابة؟)) ((*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*))، للعرض والنقد؛ لمقام صاحبه بين المنصِّرين، ولأنّ أسلوب كاتبه يمثّل الخط (الكلاسيكي) (الكنسي) المتجدد في تناول هذا الموضوع، بالإضافة لما تميّز به هذا المقال من استفادة من الأبحاث الاستشراقيّة السابقة وحشد

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة، فقال عيينة: أتراني أذهب بصحيفة المتلمس؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال : قد كتب لك بما أمر لك.
- ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك.
- ألق الدواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم.
- لا تمد بسم الله.

76 صاموئيل زويمر (1867م-1952م): منصّر أمريكي، مؤسسّ العمل التنصيري البروتستانتي في العالم الإسلامي، في صورته الحديثة. عمل في التنصير في عدد من البلاد الإسلاميّة. له عدد كبير من المؤلّفات – كتب ومقالات- حول الإسلام وتنصير المسلمين. درّس تاريخ الأديان في (Princeton Theological Seminary).

للأدلة المتراكمة. وهو مقال ذائع بين المستشرقين، بل هــو من أهم ما كُتِب منهم في هذا الموضوع.

العرض: صدر هذا المقال في مجلة العالم الإسـلامي سـنة 1921م، ورغم قِدَمه إلاّ أنّه لم يسـتجدّ عنـد المستشـرقين بعـده جديـد في هـذا الموضـوع؛ فهـو نفس الكلام المكـرّر وذات الاستدلالات المستنسخة قديمًا وحديثًا.

قسّــم «زويمر» مقالــه الــذي امتــد على مســاحة عشــرين صفحة إلى مدخل وأربعة مقاطع. وسنقدم ملخّصًــا لعناصــر المقال ثم نعرضه على ميزان العلم والتحقيق.

***

تحدّث «زويمر» في المدخل عن أهميّة هذا الموضوع، وذكــر استدلال عامـة المسـلمين بأميّـة الرسـول لـدعم قـولهم بإعجاز القرآن، مشيرًا إلى أنّ أميّـة نـبي الإسـلام قضـيّة خلافيّة بين المسلمين، وأنّه سيركّز فقط على قول القائلين بأميّته.

ثم ذكر أنّه على (وعي) أنّ مصدر هذا الموضـوع: (الـتراث المحمدي)، ما عاد حجّـة من الناحيـة العلميّـة بعـد أن أثبتت أبحاث «كايتــاني» «Caetani» والأب «لامنس» «Lammens» أنّــه حـتى المسـائل الـتي كـان يُظن أنّهـا موضـوعيّة من ناحيـة النقل في هذا التراث، قد تبيّن أنها مجرّد اختلاق! ثم أضاف أنّه وإن كان هذا التراث يقدّم معرفة ضئيلة متواضـعة، فـإن دراســات «فلهــاوزن» و«فســتنفلد» و«شــيخو» و«لامنس»

و«هـوار» وغـيرهم مكنتنـا أن نعـرف أكـثر حـول الوضـع في البلاد العربيّة ومكّة.

النقد:

أولا: القول السائد عند أهل السنّة –طائفة الحـق والحجّـة- هو إثبـات أنّ الرسـول قـد مـات أميًّا؛ ومن خـالف من أهـل العلم (وهم قلّـة شـاذة) فـإنّهم لم يثبتـوا مـا تُوهمـه عبـارة «زويمر» من أنّ الرسول كان يحسن القراءة والكتابة من أوّل أمره، وإنما قالوا إنّه اكتسب القراءة والكتابـة في آخـر سـنيّ عمـره، وكـانوا في ذلـك على قـولين؛ (الأول) أنّـه اكتسـب ذلـك بـالطريق البشـري المـألوف، و(الثـاني) أنّـه اكتسب ذلك على سبيل الخارقة دون جهد تعلّم[77]؛ والحجّـة الأساسيّة لأصحاب هذين القولين هي حديث الحديبيّـة، وقـد دفعنا هذا الفهم من هذا الحديث في ما مضى؛ فقولهم إذن لا يلتقي مـع زعم المنصّـرين أنّ الرسـول كـان يحسـن القـراءة والكتابـة بمـا أهّلـه للاطلاع على الكتب الدينيّـة الأخرى قبل أن يخرج على الناس معلنًا نبوّته؛ فقـول هـؤلاء غير قول أولئك!

وأمّا الاستدلال بكتب الشيعة؛ فلا يعنينا في شيء؛ لأسباب:

أ- روايـات الشـيعة لم تؤسـس على منهج علمي في النقل والتمحيص؛ ولذلك تكـثر في كتبهم الروايـات المتناقضة؛ حـتى قـال أحـد محققيهم «الطوسي» –شـيخ الطائفـة-: «لا يكـاد يتفـق خـبر إلا وبإزائـه مـا

77 انظر في عرض هذين القولين؛ قحطان الدروي، أميّة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ، 1996م، ص 33-61

يضـــاده، ولا يســـلم حـــديث إلا وفي مقابلتـــه مـــا ينافيه»[78]؛ وليس يصحّ في بدهيات العقـول أن يـرد المنصّر أو المستشرق روايات «البخاري» و«مسلم» الــتي محِّصــت تمحيصًــا في حين يقبــل روايــات الشيعة التي هي مجرّد (تدوين) و(تجميع)!

ب- لم يستدلّ الشـيعة بمحْكم من القـول أو بنقـل عن رسول الله أو كلام من عاصـره، وإنمـا عمـدتهم مــا نســبوه إلى رجــل من آل الــبيت ممن لم يــر رسول الله ؛ وليس عند الشـيعة حـرج في قبـول هذه الأقوال لأنهم يعتقدون عصـمة هـؤلاء الرجـال؛ وهـــــو مـــــا لا يرضـــــاه –بداهـــــة- المنصّـــــرون والمستشرقون.

ت- النص الأساسي الذي يستدلّ به الشيعة من روايات الآل-والـــذي نقلـــه «زويمر» في موضـــع آخـــر من مقاله- هو أنّ «محمـد بن علي الرضا» –رضـي اللـه عنــه وعن الآل والأصـحاب- (195هـ-220هــ) لمــا سُــئل: «يــا ابن رســول اللــه، لِمَ ســمي النــبي: الأمي ؟»، قال: «ما يقـول النـاس؟» فلمّـا قيـل لـه: «يزعمون إنمـا سـمي النـبي الأمي لأنـه لم يكتب»؛ قال: «كذبوا عليهم لعنة الله أنّىَ يكـون ذلـك واللـه تبـارك وتعـالى يقـول في محكم كتابـه: {هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُـــولاً مِّنْهُمْ يَتْلُـــو عَلَيْهِمْ آيَاتِـــهِ

78 الطوسي، تهذيب الأحكام، 1/2 (نقله؛ ناصر القفاري، أصـول مـذهب الشيعة الإماميـة الإثـني عشـرية، عـرض ونقـد، 1415هــ، 1994م، ط2، 1/361)

وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِن كَـانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِين}[79]؛ فكيف كان يعلمهم مــا لا يحسن؟! والله لقد كان رسول اللــه يقـرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو قال بثلاثة وسبعين لسـانًا، وإنمـا سـمي الأميّ لأنـه كـان من أهـل مكـة، ومكـة من أمهات القرى، وذلـك قـول اللـه تعـالى: {لِّتُنـذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [80].)) [81] .. فهذا النص:

- ✓ ليس رواية تاريخيّـة مُسـندة إلى الرسـول ؛ وإنما فهم خاص من رجـل عـاش بعـد قـريب من قرنين من وفاة الرسول .
- ✓ الفحش الشــديد في عبارتــه: ((كــذبوا عليهم لعنة الله))، لا يلتقي مـع مـا أُثِـر عن الآل من عفّــة لســان وخلــق طيّب؛ بمــا يقطــع أنــه مكذوب على ((محمد بن علي الرضا)).
- ✓ تهافت هذا التفسير أظهـر من أن تقـام عليـه الأدلة؛ فهو يزعم أنّ الرسـول كـان يعـرف 72 أو 73 لغة!!
- ✓ إثبات معنى (الأمي) بأنه من كان من مكة أم القــرى يعارضــه القــرآن الكــريم إذ يقــول: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُـواْ لَكُمْ وَقَـدْ كَـانَ فَرِيـقٌ

---

79 سورة الجمعة/ الآية (2)

80 سورة الشورى/ الآية (7)

81 الصفار، بصائر الدرجات، باب 4 في أن رسول الله كان يقرأ ويكتب بكل لسان

مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُون أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُون وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون}[82]؛ فلا سبيل هنا لربط (الأميّة) بالسكن في «مكّة» أم القرى؛ إذ هو وصف لفريق من اليهود بأنهم أميين على خلاف الطائفة الأخرى من اليهود التي أوتيت العلم[83]، كما أنّ هذ الآية ترد على الذين يقولون إنّ «الأميّين» هم من كانوا من غير «أمّة إسرائيل».

ومما يعجب له القارئ أنّ «زويمر» يستدل بما لا يعرف عنه شيئًا؛ فقد نقل عن غيره أنّ رجلاً اسمه «محمد بن محمد بن النعمان» –متوفى سنة 413هـ- قد كتب كتابًا في ردّ أميّة الرسول ، دون أن يعلم «زويمر» أنّ هذا الكاتب هو من كبار الطائفة الشيعيّة؛ فصورة الكلام موهمة أنّ الكاتب سنيّ لأنّ «زويمر» انتقل إلى الحديث عن موقف الشيعة

82 سورة البقرة/ الآيات (75-78)
83 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، 1/573

من أميّة الرسول في الفقرة التالية لخبر «محمـد بن محمـد بن النعمان»!
ثانيا: حـال «زويمر» مـع هـذا الموضـوع كحـال من وصـفه الشاعر بقوله:

(عَقَدَ الرِّهان،
ودعا إلى نصر الحوافر بعدما
قتل الحصان) (!)

فقد عقد (رهان) نفي أميّة الرسول ، ثم قتل مطيّتــه إلى ذلك، وهي مسانيد الأخبار الإسلاميّة؛ إذ لا طريق إلى سـيرة الرسول إلا ما جاء في كتب التراث الإسلامي!!
لقد (عَقَر) «زويمر» على هذا المدخل دابة مسيره إلى غايـة بحثه؛ فكان فيه حتفه!

ثالثا: لم تقدّم دراسـات الأب المتعصـب «لامنس» وإخوانـه شيئًا من الحقائق المـذكورة خـارج كتب الـتراث الإسـلامي؛ وإنّما أعملت فيها يد (التجـديع) و(التلفيـق) و(الانتقـاء) غـير المخلص للحقيقــة، وأعجب من ذلــك أن يســتدل «زويمر» بأبحاث الأب «لويس شيخو»[84] رغم أنها قد ولدت ميتة، ولم تلق القبول من يومها إلى يومنا؛ فصاحبها قد (قلب) التاريخ

84 لويس شيخو (1859م-1927م): أديب ولاهـوتي كـاثوليكي ولـد في العراق وعاش جل حياتـه في لبنـان، زار أوروبـا حيث درس اللاهـوت في بريطانيا. له اهتمـام خـاص بالنصـرانية العربيّـة المشـرقيّة. أهم مؤلفاتـه: «شعراء النصرانية قبل الإسلام» و«النصرانية وآدابهـا بين عـرب الجاهلية» حيث جعل جل شعراء الجاهلية وبعض شعراء الإسلام من النصـارى، وقـد رد عليه شططه بعض أبناء ملّتـه كـالأب «أنسـتاس الكـرملي» في مجلـة (لغة العرب) 5: 302 والأب «كميل حشيمه» اليسوعي في كتابه «لويس شيخو وكتابه النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية».

و(رفس)، الجغرافيا حتى بدت جزيرة العرب زمن البعثة النبويّة -في صحائف أبحاثه- قلعة النصرانية الكبرى؛ وكما اعترف بذلك «ويلارد أوكستوبي» «Willard Oxtoby»[85] فقد «انتقِد [عمله] بصورة حادة في أوروبا»[86]، وأمّا «فلهاوزن» فلا سبيل له إلى أن يبلغ مصادر بديلة عن كتب الحديث والسيرة؛ فهو مستشرق أداته الوحيدة هي دراسات فقه اللغات الساميّة؛ وهي لا ترقى به إلى (شيء) في هذا الباب، وأمّا «فستنفلد» «Wüstenfeld» فإنّه متخصص في اللغات الشرقيّة وجل مؤلفاته هي تحقيقات لكتب تراثيّة، ولم تشتهر له نظريّة مميّزة في طرح بدائل جديدة لقراءة السيرة! والأمر أطم مع «هوار»؛ إذ ليس له في هذا الشأن غير بحثه (الظريف!) حول المصدر الجديد للقرآن الكريم[87](!) الذي هو -في رأيه- شعر «أميّة بن أبي الصلت»؛ وهي دعوى لم يستحلّها -بل لم تخطر على ذهن- أشدّ العرب بغضًا للرسول ، ولم يدّعها «أميّة» نفسه!! كما أنّ هذا المستشرق قد صحّح نسبة مجموعة من الأشعار إلى «أميّة بن أبي الصلت» الشاعر الذي لم يحفل مؤرخو الإسلام بأمره -وهم الذين نقلوا قصائده-؛ فكيف

85 ويلارد أوكستوبي (توفي 2003م): أستاذ الأديان المقارنة في جامعة تورنتو.

86 Willard Gurdon Oxtoby, '*Reviewed work*: *Louis Cheikho et Son Livre "Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam," Étude Critique* by Camille Hechaïmé,' in *Middle East Journal*, Vol. 23, No. 1 (Winter, 1969), p. 98

87 انظر؛ Clément Huart, '*Une Nouvelle Source du Coran,*' in *Journal Asiatique*, Juilet- aout, 1904, pp. 125-167

يردّ مع ذلك الأخبار التي فحصها المؤرخون ذاتهم فحصًا ونخلوها نخلاً، إلاّ أن تكون (مزاجية) هذا المستشرق!

***

- ذكر «زويمر» أنّ التراث الإسلامي يزعم أنّ «حرب بن أميّة» هو من أدخل الكتابة إلى مكة حوالي سنة 560م، ثم ذكر روايات كثيرة تثبت أنّ أهل مكة كانوا يعرفون الكتابة، جلّها روايات تتحدث عن صحابة كانوا يعرفون الكتابة في آخر العهد المكي أو بداية العهد المدني!
- قال: «أعان صعود الإسلام –بلا شك- على انتشار المعرفة بالكتابة، لكنّه لم ينشئها.»[88]
- ذكر أنّ الرسول كان تاجرًا؛ وادّعى أنّ ذلك حجّة على أنّه كان يعرف القراءة والكتابة.
- ذكر مختصر حديث «عبيد الله بن مسلم»: «كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبيّ يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به، فقال: {لسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِين}[89]»

---

88 Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4, p. 346

89 سورة النحل/ الآية (103)

- ختم حديثه بقولـه: ((ربمـا تعلّم فن [القـراءة والكتابـة] من زوجــتين من زوجاتــه[يقصــد ((عائشة)) و((حفصة)) رضي الله عنهما وعن أبويهما.]))
- كان قد خلص قبل ذلك إلى أنّ ((التراث الإسـلامي في هذ الشأن غير موثوق فيه.)) 90

النقد:

أولا: ما جاء من أنّ أوّل من أدخل الكتابة مكّـة هـو ((حـرب بن أميّة))، هو من كلام الأخباريين الذين لا يُحتج بهم في هذا المقام، وقد روي عن الأخباريين غير هذا النقل أصلاً، وليس من ذلك كلّه شيء محكم السند ..

ثانيا: ليس بإمكاننا أن نخالف قول ((زويمر)): ((أعـان صـعود الإسلام –بلا شـك- على انتشـار المعرفـة بالكتابـة، لكنّـه لم ينشئها))، لكنّ ذلك لا يغيّـر من الأمـر شـيئًا لأننـا نخالفـه في أميّة الرسول بعينـه، وانتشـار الأميّـة في أهـل مكّـة أيـام الجاهليّة ..

ثالثـا: كــلّ مــا نقلــه ((زويمر)) لا يــرتقي إلى أن ينقض أنّ العرب أمّـة أميّـة لا تكتب كمـا هـو ثـابت عن الرسـول .. فإنّ أصـل أميّـة العـرب لا ينقضـه أن يحسـن بعض أفرادهـا القراءة والكتابة!

رابعا: معرفة بعض المسلمين الأوائل القـراءة والكتابـة لم تـؤهلهم لأن يحـوزوا المعرفـة الـتي نسـبها المنصّـرون إلى

90 المصدر السابق، ص 347

الرســول .. فهــو إذن اســتدلال بمــا ليس حجّــة؛ فهــذه الروايـات تتحـدث عن أفـراد كـانوا يحسـنون قـراءة الكلام ونسخه، لا غير .. فليست هاهنا قـراءة لمطـولات ولا تنقيب في بطون أمهات الكتب!

خامسا: كيـف يُسـقط (الـتراث الإسـلامي المحفـوظ) لأنّ خبرًا روي بلا إسناد متصل لم يصح؟!

وكيف يُسـقط (الـتراث الإسـلامي المحفـوظ) لأنّ (الـتراث الإســلامي المحفــوظ) أثبت عكس مــا ادعــاه (الــتراث الإسلامي المحفـوظ) من أنّ القـراءة كـانت في مكـة قبـل «حرب بن أمية»؟!

الإجابـة على هـذين السـؤالين كامنـة في رحم داء (الهـوس بإدانة الإسلام)!

سادسا: لم يمارس الرسول التجارة إلاّ لفـترة قصـيرة، ولم يثبت لنـا من طريـق واضـح أنّ التجـارة الـتي مارسـها الرسول كـانت تحتـاج معرفـة بـالقراءة والكتابـة، بـل لم يثبت لنا من النظر التاريخي أنّ التجارة التي كـان يمارسـها أهل مكّـة في الـداخل والخـارج كـان تقتضـي تعلّم القـراءة والكتابة .. فهو إذن احتجاج (عائم) (مائع) (سائل)!

سابعا: حديث «عبيد الله بن مسلم»: «كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابـًا لهما بلسـانهما، فكـان النبــيّ يــمرّ علــيهما، فـيقوم يستـمع منهما.. الحديث» ليس بحجّة؛ لأسباب:

(1) الحـــديث مـــروي عن «عبيـــد اللـــه بن مســـلم الحضـرمي»، وهـو من المختلَـف في صُـحْبَتِهِ؛ قـال فيــه الحافــظ «مغلطــاي» في كتابــه «الإنابــة إلى

معرفـة المختلـف فيهم من الصـحابة)): ((عبيـد اللـه الحضــرمي **تــابعي** روى عن: معــاذ ابن جبل)) 91؛ فالحديث بذلك مرسل لا يصح!

(2) صِغر سـن الغلامين92 وعجمـة لسـانهما ينفيـان أن يكون لهما فضل أو أثر على النبي .

(3) قــال الشــيخ ((ابن عاشــور)): ((كــان في مكّـة غلام روميّ كان مولى لعامر بن الحضـرمي اسـمه جَـبر كان يصنع السيوف بمكّة ويقرأ من الإنجيل ما يقـرأ أمثالُـه من عامّـة النصـارى من دعـوات الصـلوات، فاتّخــذ زعمــاء المشــركين من ذلــك تمويهًــا على العامة، فإن معظم أهـل مكّـة كـانوا أمّـيين فكـانوا يحسبون من يتلو كلمـات يحفظهـا ولـو محرّفـة، أو يكتب حروفًـا يتعلّمهـا، يحسـبونه على علم، وكـان النبي لما جَانبه قومـه وقـاطعوه يجلس إلى هـذا الغلام، وكان هذا الغلام قد أظهـر الإسـلام؛ فقـالت قريش: هذا يعلّم محمداً ما يقوله.))93

---

91 مغلطاي، الإنابة إلى معرفة المختلـف فيهم من الصـحابة، ت/ محمـد عوض المنقوش ومن معه، الرياض: مكتبة الرشد، د.ت، 2/44

92 قال الطـبري: حدثنــي الــمثنى، قـال: حـدثنا عمـرو بن عـون، قـال: أخبرنا هشيـم، عن حُصَين، عن عبد الله بن مسلـم الــحضرميّ: أنـه كـان لهم عبدان من أهل عير اليـمن، وكانا طفلـين، وكان يُقال لأحدهما يسـار والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله صلى الله عليه وســلم ربـما جلس إلـيهما، فقال كفـار قريش: إنـما يجلس إلـيهما يتعلـم منهمـا، فأنزل الله تعالـى: لِسانُ الّذِي يُـلْـحِدُونَ إلَـيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِــيّ مُبِـينٌ.

93 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 7/286

(4) لا تعلّـق لهـذا النص بمعرفـة الرسـول القـراءة والكتابة.

ثامنا: إذا كان الرسول قد توفي ولـ«عائشة» رضـي اللـه عنها من العمر 18 سنة[94]؛ فمتى تعلّم منها، وقد بـدأ نـزول القرآن الكريم قبـل ولادتهـا بخمس سـنوات؟!! ومـتى تعلّم من «حفصة» رضي الله عنها، وقد تزوّجها في السنة الثالثـة للهجرة[95]، كما أنّها –رضوان اللـه عليهـا- لم تـدّعِ ذلـك، ولم ينسب ذلك أحد إليها مع قيام مقتضيه عنـد المخـالفين، ولم يـرِد ذلـك في أي من الروايـات الصـحيحة أو الضـعيفة أو الموضوعة؟!!

تاسعا: من أبرز ما يلحظه القـارئ لمـا سـاقه «زويمر» من شهادات أنّ جلها لم يكن نقلاً عن أصـول وإنّمـا كـان نسـخًا من كتب المنصّرين/المستشرقين! ولـذلك تجـد أنّ «زويمر» –زعيم المنصرين الأكاديميين- يقع في أخطاء (بـاردة)؛ فهـو –مثلاً- يقول: «نجد ذكرًا لأبي العباس، عم محمد، وقـد تـرك وراءه حمل جمل من المخطوطات» محيلاً في الهامش إلى كتـاب «مـوير» (*The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed*) الصـفحة (114)؛ وهي إحالـة (غـير أكاديميّـة) وإنما على طريقة (الهواة) الذي يحيلـون إلى غـير الأصـل -لغير عجز-، بل وإلى ما لا يحيل إلى أصل، وبمراجعـة كتـاب

---

94 انظـر؛ أبـو نعيم الأصـبهاني، معرفـة الصـحابة، ت/ محمـد إسـماعيل ومسعد السعدني، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422ه، 2002مـ، 5/150

95 انظـر؛ ابن عبـد الـبر، الاسـتيعاب في معرفـة الأصـحاب، ت/ عـادل مرشد، عمّان: دار الإعلام، 1423هـ، 2002م، ص883

«موير» نجد أنّ «موير» الذي لم يحل أصلاً إلى مرجع لكلامه يقول: «نجد ذكرًا لابن عباس (عم محمد) وقد ترك وراءه حمل جمل من المخطوطات»96 .. لاحظ أنّ «زويمر» – المنصّر المتشنج- لم يحسن النقل عن هذا المرجع الذي لا يحيل إلى مرجع؛ إذ لم يدرك أنّ «موير» كان يقصد أنّ الحديث هو عن **ابن** «العباس» الذي هو ابن عم الرسول ؛ فجعل الحديث عن «العباس» نفسه! فهل بمثل هذا (الحرص) المفقود و(الدقة) المهدرة، يُكتب عن الإسلام؟!

***

- تساءل «زويمر»: إذا كان ما سبق، صحيح-قلت (ليس ذلك كذلك كما أتى لك!)-، فليس هناك إذن من سبب لنسبة محمد إلى الأميّة غير (1) ورود كلمة «أميّ» في القرآن، متعلّقة به، (2) وحديث بدء الوحي حيث قال جبريل للرسول : «اقرأ!»؛ فأجابه الرسول : «ما أنا بقارئ!». وقد رددنا في ما سبق على ما تعلّق بعبارة «أميّ» القرآنيّة، وسيأتي الرد على التشكيك في معنى كلمة «قرأ» في حديث بدء الوحي، في المقطع التالي الذي أبان فيه «زويمر» عن وجه التشكيك في معنى هذه الكلمة.

96 William Muir, *The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed*, Edinburgh: T. & T. Clark, 1897, p.114

- ادّعى ((زويمر)) أنّ (الأميّة) تعني الانتساب إلى غير بني إسـرائيل، وأنهـا تقابـل ((جـويم))، وأنّ هـذا يشـهد لـه المعجميون العرب، وقد سبق نقض هذه الدعوى.
- استدلّ بآية {لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون}97 وقصة إسـلام ((عمر)) رضي الله عنه التي جاء فيها أنّه كان عند أخت ((عمر)) رضـي اللـه عنهمـا شـيء من القـرآن في صحيفة؛ ليقول ((زويمر)) إنّ هذا القرآن المكتـوب ربمـا كان بخط محمد ﷺ!

النقد:

أولا: نحن لا نقول إنّ بعض القرآن الكريم كان مكتوبًا إبّان حياة الرسول ﷺ، وإنما نقـول إنّ القـرآن كلّـه كـان مكتوبًـا، ومع ذلـك نعجب أن يسـتدل رأس التنصـير بمـا ليس بـدليل على كتابة شيء من القرآن الكريم؛ إذ إنّ الآية التي سـاقها هي عند التحقيق في الملائكة المطهّرين والصحف التي بين أيـديهم وليسـت متعلقـة بـالقرآن الـذي كـان بين أيـدي الصـحابة98، وأمّـا قصّـة إسـلام ((عمر)) رضـي اللـه عنـه المشهورة، والتي فيهـا أنـه دخـل على أختـه وزوجهـا وأحـد الصحابة وكانت عندهم صحيفة فيها سورة طه، وأنّه ضـرب زوج أخته ثم ندم وأراد أن يقرأ من الصحيفة فرفضت أختـه لأنه مشـرك نجس إلا أن يتطهّـر؛ ولمـا تطهّـر وقرأهـا ذهب

97 سورة الواقعة/ الآية (79)

98 انظـر؛ ابن تيميـة، شـرح العمـدة في الفقـه، ت/ سـعود العطيشـان، الرياض: مكتبة العبيكان، 1413هـ، 1/384

إلى الرسول وأسلم، فهي قصة ضعيفة الإسناد لا تصحّ[99] .. فـانظر أين يقـود العجـز المنصّـرين؛ فلا يحسـن زعيمهم إثبات الصحيح الذي تواترت دلائل ثبوته!

أمّا مـا اسـتنبطه من وجـود سـور مكتوبـة؛ فهـو من عجيب الاستدلالات، إذا علمنا أنّ «زويمر» يقرّ أنّ للرسـول كتّابًـا كان يكتبون له ما شاء!؟

ثانيــا: من منكــرات مــا أورده «زويمر» عنــد نقلــه كلام المفسرين في معـنى كلمـة «أمي»، قولـه إنـه قـد جـاء في التفسـير المسـمّى (الخـازن) (the commentary called *al-khazin*) في تفسير الآية 19 من سورة آل عمران، كذا وكذا .. لكننا نعلم أنّ «الخازن» هو (لقب) صاحب التفسـير الـذي اشـتهر بـه، وقـد أُطلـق عليـه لأنّـه كـان أمينًـا لمكتبـة في دمشق، واسمه الحقيقي هو: «علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي»، وأمّا التفسير فاسمه: «لباب التأويـل في معاني التنزيل»[100]، والنص الذي سـاقه موجـود في تفسـير الآية 157 من سورة الأعراف[101]، وقد نقله نقلاً غير حرفي رغم وجود علامتي التنصيص! .. فهل اطّلع «زويمر» –حقًــا- على هذا التفسير؟!!

***

---

99 كل الروايات المتعلّقة بإسلام «عمر» رضي الله عنه، لا تصـحّ (انظـر؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمـة، الرياض: مكتبة المعارف، 1425هـ، 14/74)

100 لو قال: «تفسير الخازن» بنسبة التفسير إلى صاحبه؛ لأصاب، لكنّـه سمّى التفسير بـ«الخازن» ظنًا منه أنّه اسمه!

101 انظر؛ الخازن، تفسير الخـازن المسـمى: لبـاب التأويـل في معـاني التنزيل، بيروت: دار الفكر، 1399هـ، 1979م، 2/297

- اعترف ((زويمر)) أنّ أمر أميّة الرسـول محـلّ خلاف بين المستشرقين؛ إثباتًا ونفيًا.
- نقل عن المستشـرق ((نولدكه)) قولـه إنّ كلمـة ((أمي)) قد استُعملت في القرآن بما يقابل أهل الكتاب، علمًـا أنّ ((نولدكه)) نفسه لم يستطع أن يحسم الأمر؛ لزعمه تضارب الروايات الإسلامية. وقد سبق الـرد على هـذه الدعوى.
- نقـل ((زويمر)) خلاصـة دراسـة ((نولدكه))؛ وهي أنّ: (1) الرسول كان يخادع قومه موهمًا إيـاهم أنـه لا يقـرأ ولا يكتب، بل وكان يجعل كتّابه يقـرؤون مـا تأتيـه من مراســلات، لنفس الغــرض. (2) لم يُتح للرســول الاطلاع على الأسفار المقدسة للنصارى. (3) استعمل الرســول الــتراث اليهــودي- النصــراني الشــفوي المتداول بين قومه.
- نقل ((زويمر)) اتهام الكفّار للرسول اللـه الـوارد في القرآن: {وَقَـالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا إِنْ هَـذَا إِلاَّ إِفْـكٌ افْتَـرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَــاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَــا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْــهِ بُكْــرَةً وَأَصِيلاً}[102]، وأحال أيضًا إلى سورة النحل، الآيــة (105)، ويبـدو أنـه يقصـد الآيـة (103): {وَلَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُـونَ إِنَّمَـا يُعَلِّمُـهُ بَشَـرٌ لِّسَـانُ الَّذِي يُلْحِـدُونَ إِلَيْـهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَـانٌ عَـرَبِيٌّ مُّبِين}، وعقّب على ذلـك

102 سورة الفرقان/ الآيتان (4-5)

بقولــه إنّ محمــدًا لم يــرد على أيٍّ من التهمــتين بالقول إنه لا يحسن القراءة والكتابة.

- استدل بمجموعة من الروايات هي:
  - ✓ حديث: «ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم»
  - ✓ حديث رواه «ابن أبي شيبة»: «ما مات النبي حتى كتب وقرأ. سمعت أشخاصًا أكدوا ذلك.»[103]، وأضاف أنه إذا كان هذا الأثر صحيحًا فلا بدّ أن يولى أهميّة كبيرة لأنّ «ابن أبي شيبة» قد توفي سنة 105هـ.
  - ✓ ما نسبه المستشرق «موير» إلى «الواقدي» من أنّ الرسول قد كتب في أسفل صحيفة صلح الحديبية كلامًا من عنده.
  - ✓ قول الرسول عند مرضه الذي قبض فيه: «هلمّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده.»
  - ✓ حديث بدء الوحي وقول جبريل للرسول : «اقرأ»، وردُّ الرسول : «ما أنا بقارئ»؛ فقد ادعى «زويمر» أنّ هذا النص ليس إلاّ صياغة عربيّة لنص سفر التكوين 12/8 مع وصله بنص تكوين 4/26، كما أنّ «ابن إسحاق» و«البغوي» و«البيضاوي» وغيرهم قد اعتبروا هذه الحادثة مجرّد منام!

---

103 عرّبت الصيغة التي أوردها «زويمر» ولم أنقل الحديث كما رواه «ابن أبي شيبة»؛ لغرض سيتبيّن لك لاحقًا.

وأضاف «زويمر» أنّ قول الرسول : «ما أنا بقارئ!» لا يعني أنّه لا يحسن القراءة وإنما يعني: «أنا لا أقرأ الآن!».

- استدل بحادثة صلح الحديبية، وما جاء في حديث بدء الوحي من كتابة «ورقة بن نوفل» للإنجيل، وقد رددنا على هاتين الشبهتين سابقًا.
- حاول أن يوهم القارئ أنّ واقع الجزيرة العربيّة كان يقتضي وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس؛ لوجود نصارى في بعض مناطقها، وهي دعوى سيأتي الرد التفصيلي عليها لاحقًا في كتابنا هذا إن شاء الله.

النقد:

أولا: الزعم أنّ الرسول كان يخادع قومه؛ موهمًا إياهم أنه أميّ لا يحسن القراءة والكتابة، لا يستند إلى دليل نقلي ولا يركن إلى اشتباه عقلي، وإنّما هو تعبير عن حالة مرضيّة تسمى في علم النفس (بالوسواس القهري) (Obsessive–compulsive disorder)، وهو مرض كثيرًا ما يصيب المستشرقين دافعًا إيّاهم إلى البحث عن كلّ احتمال –دون النظر إلى تهافته أو تفاهته- لردّ ربانّية القرآن الكريم[104]؛ وإنّنا لو فتحنا الباب لمثل هذه الفرضيات؛ فلن يبق في عالم الناس (يقين) ولا (حقيقة)؛ فكل (شيء) يحتمل عندها

104 العرض المرضي الوحيد للوسواس القهري الذي لم يتلبّس به عامة المستشرقين هو (نفرة المريض من هذا الشعور المرضي)؛ إذ يُعتبر هذا الشعور المرضي –في المقابل- من أهم الدوافع (العلميّة) للكتابات الاستشراقيّة!

أن يكون على غير (كينونته)؛ ليستقر بنا المقام في بيداء (اللاأدريّة) البائسة ..
السؤال (الجاد) هو: هل في السيرة ما يفتح الباب للقول إنّ الرسول كان يخفي عن أصحابه تمكّنه من القراءة والكتابة؟ الإجابة: ليس في السيرة شيء من ذلك!
ثانيا: ما قيمة كلّ ما سرده «زويمر» من (أدلّة) لصالح الزعم أنّ الرسول كان يحسن القراءة والكتابة ويفعلهما بمحضر من أصحابه، إذا كان الرسول (مع ذلك) يخفي علمه بالقراءة والكتابة عن أصحابه؟!!
ثالثا: جلّ الذين اتهموا الرسول أنّه افترى القرآن من عنده، أسلموا بعد ذلك وفتحوا الأمصار .. فكيف لم ينسخ إيمانهم تهمتهم القديمة للرسول ؟!
رابعا: الآية التي نقلها «زويمر» هي نفسها ترد على دعواه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}[105] .. إنّ هذه الآية لم تنسب إلى الرسول إتقان القراءة فضلاً عن أن تنسبه إلى إجادة الكتابة؛ إذ هي تخبرنا أنّ المشركين قد قالوا إنّ الرسول قد (**اكتتب**) ما أورده في قرآنه؛ فهو **لم يكتبه**، وإنّما **كُتب له**. كما أنّ آية سورة النحل لا علاقة لها بتهمة معرفة الرسول القراءة والكتابة؛ فإنّ التهمة في هذه الآية قائمة على الزعم أنّ الرسول كان (يسمع) أو

105 سورة الفرقان/ الآيتان (4-5)

(يستمع) إلى أعجمي يرطن بلغته وليس فيها نسـبته إلى القراءة أو الكتابة.
خامسـا: لم يكن كفّـار مكّـة يرمـون الرسـول بتهمـة (قـراءة الكلمـات أو رصـفها)، وإنّمـا كـانوا يريـدون إثبـات معرفته (الكسبيّة) بما جاء في الكتب المقدسـة للسـابقين؛ ولـذلك جـاءهم الـرد القـرآني الحاسـم الـذي يليـق بسـياق الأحــداث: {وَمَــا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِــهِ مِن كِتَــابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِـكَ إِذًا لارْتَـابَ الْمُبْطِلُـون}[106] .. لم يكن الرسـول يقرأ الكتب السابقة، ولم يعهـد النـاس عنـه نسـخها بيـده .. فما جاء في القرآن من خبر السابقين إنّمـا هـو -إذن- وحي من ربّ العالمين!
سادسا: حديث: «ألق الدواة، وحرف القلم، وانصـب البـاء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم» ضعيف؛ ففي إسناده من لا يُعرف بتعديل، وفيه أيضًا «الوليد بن مسلم» وهو مــدلّس، وفي السـند انقطـاع بين «مكحـول» و«معاوية» رضـي اللـه عنه[107] ، وقد قال فيه الإمام «ابن حجر»: «باطل».[108]
سابعا: حديث «ابن أبي شيبة» أنّ الرسول ما مات حتى قرأ وكتب:

---

106 سورة العنكبوت/ الآية (48)
107 انظر؛ عبد الله الجديع، المقدمات الأساسيّة للقـرآن الكـريم، ليـدز: مركز البحوث الإسلامية، 1422هـ، 2001م ، ص151
108 ابن حجـر، لسـان المـيزان، ت/ عبـد الفتـاح أبـو غـدة، بـيروت: دار البشائر الإسلامية، 1423هـ، 2002م، 7/138

1- ضعيف؛ ففيه «مجالد بن سعد بن عمير الهمداني»، وقد ضعفه أئمة علم الرجال كـ«ابن معين» و«يحيى القطان»...[109]

2- توفي «ابن أبي شيبة» سنة 235 هـ وليس سنة 105هـ، وهو إمام شهير من أئمة الحديث، بل ولقِّب (بإمام الحفّاظ)؛ فكيف يجهل منصّر سخّر حياته لدراسة الإسلام خبر هذا الإمام؟!!

3- لم يكن «ابن أبي شيبة» –في هذا الأَثَر- هو من قال إنّ الناس قد أكّدوا له أنّ الرسول قد مات وهو يعرف القراءة والكتابة، وإنما هو في هذه الرواية «الشعبي» -وهو الذي قيل إنه قد مات سنة 104هـ- !

4- حتّى لو فرضنا صحّة الرواية إلى «الشعبي»، فإنّه مع ذلك لا يُعتد بها؛ لأنّها رواية عن مجاهيل، وهي بذلك ساقطة إجماعًا عند علماء الحديث.

وقد أخرج «البيهقي» هذا الحديث، وقال فيه: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين»[110]

ثامنا: لم يحل «زويمر» إلى مصدر رواية «الواقدي»، واكتفى بالإشارة إلى أنّه نقل ما ذكره «موير» في هامش كتابه دون أن يحدد اسم الكتاب وصفحة الإحالة! وبالنظر

---

109 انظر؛ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت: دار الفكر، 1404هـ، 1984م، 6/2414-2417

110 البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب لم يكن له أن يتعلم شعرًا ولا يكتب، ح/(13290)(ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424ه، 2003م، ط3، 7/68)

في ما كتبه «موير» تبيّن أنّ الإحالة هي إلى المجلد الرابع من سلسلة «حياة محمد»: «*The life of Mahomet and History of Islam, to the era of the Hegira*»، الصفحة 34، وقد ذكر فيها أنّه كان ينقل عن (سكرتير) «الواقدي» (!)؛ وهو يقصد تلميذ «الواقدي» وكاتبه: «ابن سعد»، وبالنظر في كتاب «الطبقات» «لابن سعد»، وجدنا أنّ الرواية ليست عن «الواقدي»[111]؛ فلَم يفهم «زويمر» حتى إحالة «موير» الذي نسب الرواية إلى (سكرتير) «الواقدي» لا إلى «الواقدي» نفسه!!

رواية «ابن سعد» تقول: «... وكتب رسول الله في أسفل الكتاب: ولنا عليكم مثل الذي لكم علينا» .. والاحتجاج بها مردود من أوجه:

1- نسبة الكتابة إلى الرسول لا تعني مباشرته لها بصورة شخصيّة كما سيأتي في الوجه الثامن من الرد.
2- متن هذا الحديث مخالف لما جاء في الأحاديث الصحيحة من أنّ شروط العقد لم تكن تمنح المسلمين ومشركي مكّة نفس الحقوق؛ فقد ثبت أنّ على المسلمين أن يردّوا إلى قريش من يأتيهم

111 ابن سعد، الطبقات الكبير، ت/ علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1421هـ ، 2001م، 2/97

منهـــا، وليس على قـــريش أن تــردّ من يأتيهـــا من المسلمين.112

3- الحــديث ضــعيف لا يصــح من جهــة الإســناد؛ فهــو مرسل عن «عكرمة» مولى «ابن عباس».

ومن (عجيب) مـا قـال إمـام المنصّـرين في تمهيـده لهـذه الشبهة: «بالنسبة لما يتعلّق بالاتفـاق الـذي كـان بين محمـد وقريش في الحديبية والمعروف باسم بيعة الرضـوان (oath of Ridhwan) ـ ...»113 .. فانظر كيـف أظهـر تعالمـه (البـارد) ليقنع القرّاء أنّه مـدرك لـدقائق السـيرة، بـل ويعـرف حـتى الكثير من خبرها باللفظ العربي!؟ رغم أنّ (بيعة الرضـوان) هي غير (صلح الحديبية)؛ فما كان بين الرسـول وقـريش هــو (صــلح الحديبيــة)، أمّــا (بيعــة الرضــوان) فكــانت بين الرسول والصـحابة على قتـال المشـركين بعـد أن بلغهم قتل «عثمان بن عفّان» رضي اللـه عنـه لمـا ذهب إلى مكـة ليخـبر كبراءهـا أنّ الرسـول يريـد العمـرة114 .. وهــذا المسـلك في التعـالم (الأجـدب) معـروف عنـد المنصّـرين الأعاجم، وقد رأيت منه نماذج (سخيفة) وأشـكالاً (طريفـة)؛ خاصة عند رغبتهم في إقناع بقيّة (الخواجات) أنهم يحسنون

112 ثبت ذلـك في الصـحيحين؛ البخـاري، كتـاب المغـازي، بـاب غـزوة الحديبية، ح/(4180-4181)، ومسلم، كتـاب الجهـاد والسـير، بـاب صـلح الحديبية في الحديبية؛ ح/(1784)

113 Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4, p. 359

114 انظر؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ت/ عمـر عبـد السـلام تـدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ، 1990م، ط3، 3/262

اللغـــة العربيّـــة؛ إذ تخـــرج منهم كلمـــات - لا أراك اللـــه (مطحونًا)- قد لفظتها أرحام المعاجم .. ومن شابه «زويمر» فما ظلم!

تاسعا: قول الرسول عند مرضه الـذي قبض فيـه: «هلمّ أكتب لكم كتابًـا لن تضـلوا بعـده.» صـحيحٌ، مخـرّج في الصحيحين وغيرهمـا، وفي نفس الحـديث أنّ الرسـول لم يكتب شيئًا لكـثرة اللغـط من الصـحابة رضـوان اللـه عليهم حولـه. وقـد أورد «زويمر» نفســه الـرد الأمثـل على هـذه الشـبهة بمـا نقلـه عن المستشـرق «نولدكه» في قولـه إنّ كلمة «كتب» عند العرب تستعمل أحيانًا بمعنى «أملى»[115] .. ولا شكّ أنّ هذا هو المعـنى الصـحيح بدلالـة سـيرته حيث ثبت أنه كتب إلى الملوك، مع إيراد مؤلفات السيرة نفسـها أنّه كان للرسول كتّاب يكتبون له مراسلاته..

عاشرا: نص تكوين 12/8:ـ «ثم نقل من هنـاك إلى الجبـل شرقي بيت إيل ونصب خيمتـه. ولـه بيت إيـل من المغـرب وعاي من المشرق. فبـنى هنـاك مـذبحا للـرب ودعـا باسـم الرب.»

نص تكـوين 4/26:ـ «ولشـيث أيضـا ولـد ابن فـدعا اسـمه أنوش. حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب.»

قلت:

---

115 انظـر؛ Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4, p. 355

(1) لا علاقة سياقيّة بين هذين النصين وحادثة بـدء الـوحي في غار حراء، وهذا أمـر لا يحتـاج إلى إقامـة برهـان لأنّ المخالف لم يقم البرهان على خلافـه؛ و(البيّنـة على من ادّعى)!!

(2) تشبَّث «زويمر» -في متابعة للمستشرق «هيرشـفيلد»- بالمشابهة اللفظيّة بين ما جاء في سفر التكوين وما جاء في نص حديث بدء الوحي، دون أن يـبيّن وجـه التشـابه؛ وذلـك لأنّ «زويمر» مجـرّد قَمَّاش، متكثّـر من (الرقـع)؛ يجمع الشبهات دون فهم لها!

جلي أنّ «هيرشفيلد» كان يحتج بالأصل العـبري لمـا جـاء في سفر التكوين:

تكوين 12/8:ـ «ودعا باسم الرب»، أصله العـبري «**ויקרא בשם יהוה**» (وَيِّقرا بشيم يهوه).

تكوين 4/26: «يدعى باسم الرب»، أصله العبري «**לקרא בשם יהוה**» (لِقْرو بشيم يهوه).

يبدو أنّ القشة التي تعلّق بها «هيرشـفيلد» هي فعـل «**קרא**» (قارا) الذي يزعم أنه نفسه في حادثـة بـدء الـوحي «قـرأ».. وليس الأمر كذلك إذ إنّ هذه (القشّة) ليست إلاّ سرابًا؛ فإنّ هذه الكلمة في العبريّة الكتابيّة لا تعني «قرأ» كما في اللغـة العربيّة إلاّ في مواضع محـدودة في العهـد القـديم؛ فمعناهـا الأكـثر تـداولاً هـو «نـادى» و«دعى»[116]، والمعـنى الثـاني هـو المقصـود في النصـين المشـار إليهمـا في سـفر التكـوين، بدلالة السياق وشهادة كلّ الترجمات..

---

116 انظر؛ William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, tr. Edward Robinson, Boston: Crocker and Brewster, 1858, p.937-939

إنّ الصلة السياقية واللغوية منعدمة بين سفر التكوين وحادثة بدء الوحي، فضلاً عن أنّ الرسول لم يقرأ سفر التكوين في شكله العبري، ولا حتى العربي .. وهو ما يجعل هذا الاستدلال –بحق- من الإسفاف الاستشراقي في أجلى سفوره!

الحادي عشر: تشكيك «زويمر» في أنّ حادثة الوحي كانت يقظة لا حجّة له:

(1) ابن إسحاق: رواية «ابن إسحاق» لقصّة بدء الوحي وأنّها كانت في المنام، ضعيفة لا تصحّ؛ فهي مروية عن «عبد الملك بن عبد الله» عن **مجاهيل**![117]

(2) البغوي: روى «البغوي» حادثة بدء الوحي بإسناده إلى الإمام «البخاري» إلى أم المؤمنين «عائشة» رضوان الله عليها في تفسيره للآيات الأولى لسورة «العلق»: «أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا **محمد بن إسماعيل** (أي البخاري)، حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي.. الحديث»[118]؛ فكيف يكون «البغوي» قد خالف ما جاء في رواية «البخاري» التي تثبت رؤية جبريل يقظة،

117 ابن إسحاق، السيرة النبوية، ت/ أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1424هـ، 2004م، ص167

118 البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ، 2002م، ص 1420

رغم أنّه قد نقل نفس الرواية لبيـان سـبب نـزول الآيـات القرآنيّة المتعلقة بتلك الحادثة.

(3) البيضـاوي:لم يُحـدث ‹‹البيضـاوي›› ذكـرًا لنسـبة هـذه الحادثة إلى المنام في تفسيره لسورة العلـق، ولا وجـود لهذا القول في تفسير ‹‹الكشاف›› ‹‹للزمخشري›› الذي هـو الأصل الذي اختصره ‹‹البيضاوي››. ولـو فرضـنا –جـدلاً- أنّ ‹‹البيضاوي›› قد ذهب إلى هذا القول، فليس لقولـه قيمـة لأنّـه لم تكن عنـده مرويـات بإسـناده؛ فليس لـه إذن أن يــأتي بروايـــة تنقض الروايـــة الصـــحيحة الثابتـــة في الصـحيحين؛ فـالخلاف هنـا بيننـا وبين ‹‹زويمر›› هـو حـول ثبوت الروايات وليس حول فهمها.

الثاني عشر: القـول إنّ رسـول اللـه ﷺ قـد قـال لجبريـل عليه السلام: ‹‹ما أنا بقارئ›› بمعنى أنّه ليس بصدد القــراءة، لما قال له: ‹‹اقرأ››، لا معنى له البتة في سياق ذلك الحــوار؛ فالسياق حجّة في كشف دلالة اللفظ!

الثـالث عشـر: من الغــريب نسـبة ‹‹زويمر›› روايــة خــبر الحديبية بإفاضة إلى كتاب ‹‹المواهب اللدنّية›› ‹‹للطـبري››؛ إذ ليس ‹‹للطبري›› كتاب بهذا الاسم، والصـواب هـو أنّـه كتـاب ‹‹للقسطلاني››، وعنوانـه الكامـل: ‹‹المـواهب اللدنيّـة بـالمنح المحمديّة›› وهو في السـيرة والشـمائل النبويّـة حيث أطـال الحديث عن كتابة صلح الحديبية وأميّة الرسول ﷺ.[119]

119 انظر؛ القسطلاني، المـواهب اللدنيـة بـالمنح المحمديـة، ت/ صـالح الشامي، بـيروت: المكتب الإسـلامي، 1425هــ، 2004م، ط2،ـ 1/496-501

***

استدلّ «زويمر» برسالة الرسول إلى المقوقس التي عثر عليها في إحدى الأديرة للقول إنّ الرسول قد كتبها.

النقد:

أولا: لا تتضمن هذه الرسالة ما يدلّ على أنها قد كتبت من طرف الرسـول ؛ فليس فيهـا اسـم من كتبهـا تصـريحًا أو تلميحًا!

ثانيا: الثابت –باعتراف «زويمر»- أنّـه كـان للرسـول من يكتبون له الرسائل؛ فلماذا استثنى هذه الرسالة منها؟!

ثالثا: قـال البـاحث المحقّـق د. «أكـرم ضـياء العمـري» في كتابــه القيم في الســيرة النبويــة الــذي صــاغه على منهج المحــدِّثين في توثيــق الأخبــار: «وقــد أخــرج البخــاري في صـحيحه نص كتـاب الرسـول الـذي بعث بـه دحيـة إلى عظيم بصري فدفعه إلى هرقل، وهـو **النص الوحيد** الـذي ثبتت صحته وفق شـروط المحـدثين من بين سـائر نصـوص الكتب التي وجهت إلى الملوك والأمراء التي ينبغي أن تنقد من جهة المتن والسند معًا قبل اعتمادها تاريخياً»[120]؛ فأمر هذه الرسالة لا يصح من ناحية التوثيق التاريخي؛ ممـا يفقـد تلك المخطوطة قيمتها العلميّة.

---

120 أكرم ضيام العمـري، السـيرة النبويـة الصـحيحة: محاولـة لتطـبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السـيرة النبويـة، 2/456، مكتبـة العلـوم والحكم، المدينة المنورة، ط6،ـ 1415هــ/ 1994م. الكلام هنـا منصـرف إلى مضمون الرسائل، وهـذا لا ينفي مراسـلة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم إلى حكام البلاد المجاورة.

رابعـا: من دلائـل الموضـوعية العلميـة (المهـدرة) عنـد «زويمر» أنه قد انتصر للقول إنّ التراث الإسـلامي كلّـه غـير أمين في نقل التاريخ الإسلامي المبكر، غير أنّـه يقـول هنـا: «**لا يوجد شكّ** أنّ النبي قد أرسل مثـل هـذه الرسـالة إلى المقـوقس حـاكم الإسـكندريّة، لقـد ذُكِـر في **كـل كتب السـيرة النموذجيّة** أنـه من بين الملـوك الـذين أرسـلت إليهم مثـــل هـــذه الرســـائل المتعلقـــة بالـــدعوة إلى الإسـلام»121 .. إنّ كلام «زويمر» هنـا –أيضًـا- ليس علميًـا؛ فكم من مسألة تـواتر ذكرهـا في كتب السـيرة النموذجيّـة، ولم يتواتر إسنادها بل لم يصح لهـا حـديث فـرد122؛ فتكـرُر نقل الرواية في كتب السـيرة، ليس بحجّـة عنـد أهـل العلم المسلمين على صحّة النقل؛ لعلمهم أنّ (فقه الروايـة) عنـد كتّاب السيرة غير (فقه الرواية) عند المحدّثين؛ ولذلك لا بـد أن (تفحص) الرواية الواردة في السيرة متنًا وسندًا قبـل أن تكون حجّة في دين الله تُؤخذ منهـا العقائـد وتُسـتنبط منهـا الأحكام!

***

ختم «زويمر» مقالـه بقولـه: «بـالنظر في الأدلـة المعروضـة سـابقًا؛ يبقى هنـاك **شـيء من الشك** حـول مـا إذا كـان

121 Samuel Zwemer, ‘*The ‘Illiterate’ Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,’ in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4, p. 361

122 انظر أمثلة من هذه الروايات، محمـد العوشـن، مـا شـاع ولم يثبت في السيرة النبوية، الرياض: دار طيبة، د. ت

بإمكـان محمـد أن يقـرأ ويكتب» 123 .. لقـد جمـع «زويمر» النصوص التي لها تعلّـق لهـا بموضـوع النقـاش وزاد عليهـا روايات باطلة واجتهادات لا تسعفها الأدلة التي سـاقها .. ثم هو رغم ذلك عاجز على أن يجزم بصواب استنباطاته!!

*

خلاصـة الكلام: من العسـير أن يصـف القـارئ مقالـة «زويمر» الشـهيرة بغـير القـول إنّهـا: (ركـام من أخلاط الكلام) .. إنّها تجميع (قلق) لكلّ ما (قيل) –وما أكثر القِيـلَ- دون النظر في صوابه أو حتى انسـجامه مـع بقيّـة (الأدلـة!) المعروضـة .. وقـد كشـف هـذا (التجميـع اللاهث) الواقـع العلمي للاستشراق التنصـيري؛ فقـد تبـدّت (عـورة) الجهـل وسـقطت ورقـة التـوت رغم نـبرة الثقـة المفتعلـة .. ولم تستطع (بِـزّة الأكاديميّـة) الـتي تـدثّر بهـا «زويمر» أن تغطي أنفاس جاهلية القـرون الوسـطى الأوروبيّـة الـتي نفثت في حـروف مقالـه روح الكلام .. ورغم كـل هـذه (الحماسـة) (المتشـنجّة)، لم يجـد «زويمر» في مـا حشـده من (نقـول) حجّة حاسمة لنفي أميّة الرسول .. ويبقى (همّ) نفي أميّة محمـد النـبي (الأمي)، بعـد ذلـك، (أمنيّـة) و(رجـاء)، تستعذبهما (أحلام) المنصّرين!

123 Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4, p. 363

هل كان الكتاب المقدس معرّبا زمن الرسول؟

يمثّل الكتاب المقدس النصراني ((*The Bible*)) المصدر الأوّل للاقتباس القرآني المدّعى. وإنّ إبطال وجود ترجمة عربية للأسفار المقدسة لليهود والنصارى زمن البعثة النبوية، هو حجة كافية في ذاتها لتفنيد مزاعم المخالفين.

ويعتبر أمر التحقيق في معرفة وجود ترجمة عربيّـة لأسـفار اليهـود والنصـارى، مسـألة تاريخيّـة اسـتقرائيّة بعيـدة عن

التشهّي أو الحماسة النقديّة أو التنبؤ والرجم بالغيب، وليس لنـا أن نبحثهـا في غـير المظـان التاريخيّـة المعتـبرة، وليس هنــاك أقــوى حجــة ضــد المنصّــرين ومن شــايعهم من المستشــرقين، من أن نـدعم قولنـا بشـهادات الأكـاديميين الغربيين أنفسـهم، وإقـرارات المخـالفين لنـا ممن لا تحـوم حولهم شبهة التعاطف مع الإسلام، وذلك بعد استنطاق أهم المصادر المباشرة: القرآن والسنة.

شهادة القرآن الكريم والسيرة النبوية

إنّ الناظر في ما جاء في القرآن الكريم والسيرة النبويــة – المصـدران التاريخيـان الوحيـدان المعتـبران لدراسـة حيـاة محمد ﷺ- ليلاحظ غياب أيّ دليل على وجـود ترجمـة عربيـة للكتـاب المقـدّس، بـل يفهم ممّـا جـاء في القـرآن الكـريم والسيرة النبوية النفي المباشر لوجود هذا النصّ ..

ولعلّ من أوضح البراهين لإثبات ما نحن بصدده؛ عدم إحالة أعداء محمد ﷺ إلى هذا النصّ العربي لما أرادوا نفي حقيقة النبوّة عنه؛ إذ إنّ أهل مكّة لما ضاقت عليهم الحيل وسُدّت أمامهم فُرَج التشكيك؛ زعموا أنّ فتى أعجميًا هو الذي كان يعلّم محمدًا ﷺ ما كان يدعو إليه غيره. ولو أنّ هذا النصّ العربي المزعوم كان موجودًا؛ لقال المناكفون لهذا النبي ﷺ إنّك قد قرأت هذا النصّ أو إنّ من أهلك أو رفاق الطفولة أو الشباب من قرأ عليك هذه النصوص، ووعيتها عنه، ثم جئتنا تتلوها علينا!!

ولو كان هذا النصّ متداولًا، لقال له العرب: إنك تتحدانا بمعارف مشاعة عندنا، وتزعم أنّ كتابك يُعلِمنا بما لا نعلم، مع أنّ ما تخبر به موجود في كتاب عربي قريب من أيدينا، لنا أن نخبرك بما لا تعلم منه .. لكنهم لم يفعلوا!

ولو أنّ هذا النصّ العربي كان متاحًا؛ لاتخذه العرب وسيلة لمحاججة هذا النبيّ وسبيلًا لمحاولة نقض ما جاء به وإبطال ما يدعو إليه .. ولكنهم لم يفعلوا!

كما أنه يفهم بصورة قاطعة من الحديث الذي أخرجه «البخاري» في صحيحه، أنّ العرب لم يعرفوا نصًا عربيًا لأسفار اليهود .. فقد قال «أبو هريرة» –رضي الله عنه- متحدثًا عن مصدر اطّلاع المسلمين أصحاب اللسان العربي زمن البعثة النبوية على مضمون (التوراة) : «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام؛ فقال رسول الله : «لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم، وقولوا : «آمنا بالله وما أنزل إلينا.» »»[124]

لقد كان يحول بين العرب وبين معرفة ما تتضمنه التوراة، أنّ لغة أسفار اليهود عبرانية لا يعرفها سكان الجزيرة من الوثنيين، وهو ما دفع أهل الكتاب إلى أن يقرؤوا نصوصهم أولًا باللغة العبريّة، ثم يقوموا بتفسيرها في غير لغتها .. ولو أنها كانت بلغة العرب ابتداءً لما كلّف اليهود أنفسهم عنتًا.[125]

---

124 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قولوا آمنا بالله وما أنـزل إلينا، ح/4485

125 قد يستدلّ البعض بحديث «جابر بن عبد الله» رضي الله عنه أن «عمر بن الخطاب» أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب

وإنّ في نهي محمد عن سؤال أهل الكتاب، دلالة على احتكار أهل الكتاب لهذه المعارف؛ فقد روى البخاري في صحيحه، في كتاب ((قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب))، عن ((ابن عباس)) رضي الله عنهما قال: ((يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أهْلَ الْكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم أحْدَثُ الأخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ اَنَّ أهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْألُكُمْ عَنِ الَّذِي أنْزِلَ عَلَيْكُمْ.))126

فقرأه على النبي ، فغضب النبي وقال: ((أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني.)) .. وهو حديث ليس بحجّة للمخالف لثلاثة أسباب:

(1) ليس الحديث محكم الدلالة أنّ ((عمر)) رضي الله عنه كانت عنده ترجمات عربية لأسفار الكتاب المقدس، ولعلّها -إن صحّ الحديث جدلًا- بعض الحِكم المنقولة منها.

(2) معارضة فهم المخالف للثابت من غياب ترجمة عربيّة.

(3) هذا الحديث لا يصحّ عند التحقيق:

قال الإمام ((ابن مفلح)): ((وهو مشهور رواه أحمد وغيره. وهو من رواية مجالد وجابر الجعفي وهما ضعيفان)) (الآداب الشرعيّة، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ، 1996م ، 2/100)

قال الهيثمي: ((فيه مجالد بن سعيد ضعّفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما)) (مجمع الزوائد، ت/ عبد الله محمد الدرويش، بيروت: دار الفكر، 1413هـ، 1992م، 1/420)

ولو أنّ مضمون أسفار أهل الكتاب كان متاحًا بين يدي العرب باللغة العربيّة؛ لما احتاج العرب إلى أن يسألوا أهل الكتاب؟!

ويفهم من قوله تعالى عن اليهود: {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُون}[127] أنّ اليهود يعلمون ألاّ سبيل للمسلمين لمعرفة ما جاء في الكتب اليهودية إلاّ ما أخبروهم به، وهو المعنى الذي أقرّ به الحبر اليهودي «جايجر»![128]

ويكشف قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون}[129] أنّ اليهود لما كانوا يلوون ألسنتهم أثناء ذكرهم بعض الخبر الديني إيهامًا أنّ قولهم هذا نقل لما جاء في الأسفار المقدسة، كان المسلمون في عجز عن مراجعة الأسفار لمعرفة صحة النقل عنها، وكان اليهود مطمئنين ألاّ سبيل للمسلمين إلى هذه الأسفار، وما ذلك إلاّ لأنّ أسفار أهل الكتاب لم تكن متاحة بلغة العرب.

---

126 صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لاَ يُسْأَلُ أهل الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ، وَغَيْرِهَا، ح/ (2685)

127 سورة البقرة/ الآية (76)

128 انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, New York: Ktav Publishing House Inc, 1970, p. 17

129 سورة آل عمران، الآية (78)

وقد قرّر الناقد «آرثور فووبوس» «Arthur Vööbus»[130] في بداية بحثه عن أقدم ترجمة عربيّة للعهد الجديد في كتابه «الترجمات المبكّرة للعهد الجديد» «Early Versions of the New Testament» أنّ المحاولة التي ادُّعِيَ من خلالها معرفة محمد ﷺ ببعض كتب العهد الجديد في اللغة العربيّة، وأنه استعمل هذه الكتب في تأليف القرآن، محتجين (باقتباس) (!) القرآن الكريم من إنجيل متّى والمزامير والأسفار الخمسة، هو احتمال «خاطئ وليس فيه تحقيق. ولا يفيدنا القرآن هنا، ولا بد أن يُترك خارج النقاش.»[131]

ويحتج كثــير من المنصّــرين -دون عامــة المستشــرقين-، لإثبات وجود ترجمة عربيـة للكتـاب المقـدس في مكـة بمـا أخرجه الإمام «مسلم» عن أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنهـا في حـديث بـدء الـوحي الطويـل، إذ قـد جـاء فيـه أنّ «ورقــة بن نوفل» «كــان يكتب الكتــاب العــربي <u>ويكتب من الإنجيل بالعربية</u> ما شاء الله أن يكتب.» .. والردّ من أوجه:

أولا: الحديث الذي ورد فيه النص الذي يحتج به المنصّرون، صحيح، فقد أخرجه البخاري ومسلم، إلا أنّ هذا النص الـذي نحن بصدده، والذي يشكل جزءًا صغيرًا من حديث «عائشة» رضي الله عنها الطويل، قد جاء على أكثر من صــورة، رغم أنّ مخرجه واحد، وكلام عامة الشرّاح فيـه، فيـه نظـر؛ حتّى قال الإمام «العيني»: «لم أر شارحًا من شرّاح البخاري حقّق

---

130 آرثور فووبوس: أستاذ العهد الجديد والتاريخ المبكّـر للكنيسـة في «The Lutheran School of Theology at Chicago». لـه عنايـة خاصـة بالدراسات السريانيّة والنصرانيّة المبكّرة.

131 Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament: Manuscript Studies*, Stockholm: 1954, *pp.274-275*

هـذا الموضـع بمـا يشـفي الصـدور.﴾[132]، وقـال الإمـام ﴿ابن حجر﴾: ﴿ووقع لبعض الشرّاح هنا خبط لا يعرج عليه.﴾[133] .

لفظ النص المحتج به من الحديث:

- جـاءت الروايـة في البخـاري عن: (يـونس) و(معمـر) عن: ابن شــهاب الزهــري عن عــروة بن الزبــير عن عائشة رضي الله عنهـا: يكتب الكتـاب العـربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب.

وهي في مسلم عن (يونس) فقط.

- وجـاءت الروايـة في البخـاري عن: (عقيـل) عن: ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضـي اللـه عنهـا: وكـان يكتب الكتـاب العـبراني؛ فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب.

لقد حاول كثير من أهل العلم الجمع بين هذه الألفـاظ، لكن يؤخذ على ذلك أمران:

- في الجمـع بينهمـا تكلّـف ظـاهر لأنّ ألفاظهمـا متباعدة دلالة.
- في الجمـع تعسـف شـديد؛ لأنّ مخـرج الحـديث واحد[134]؛ فكـلّ أسـانيد الحـديث في الصـحيحين

---

132 العيني، عمدة القاري، 1/51

133 ابن حجر، فتح الباري، 1/25

134 ذهب الإمام ﴿ابن حجر﴾ رحمه الله إلى الجمع بين اللفظين رغم أنّـه هـو نفسـه قـد ضـعّف اللفـظ الـوارد في صـحيح مسـلم لنفس الحـديث: ﴿فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ عَم﴾، واحتج لتضعيفه (شذوذه) بقولـه: ﴿قولهـا "يـا ابن عم" هذا النداء على حقيقته. ووقع في مسلم "يا عم" وهو وهم؛ لأنه وإن كـان صـحيحًا لجـواز إرادة التوقـير لكن القصـة لم تتعـدد ومخرجهـا متحد، فلا يحمــل على أنهــا قــالت ذلــك مــرتين، فتعين الحمــل على الحقيقة.﴾ وأضاف: ﴿وإنما جوزنا ذلك فيما مضـى في العـبراني والعـربي؛ لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة، واختلفت المخارج فـأمكن التعـداد،

تسوق هذا الحـديث عن «الزهـري» عن «عـروة» عن «عائشة» رضـــي اللـــه عنهـــا، فهـــل روت «عائشة» رضـــي اللـــه عنهـــا، وروى «عـــروة» و«الزهري» هذا الجزء من الحديث بهذه الألفـاظ المختلفة؟! هذا أمر غريب على منطق الرواية!

ثانيا: يعسـر أن نجـد معـنى غـير متكلّف لعبـارة (الكتـاب العربي)؛ فما هو الكتاب العـربي؟! هـل كـان عنـد النصـارى سفر مقدس عربي؟! إنّ هذا اللفظ دال على وهم كــلّ من (يونس) و(معمر)، أمّا رواية (عقيل) فهي قريبـة للإدراك؛ إذ العهد القـديم هـو الكتـاب العـبري، وكـان «ورقـة بن نوفل» يترجم الإنجيل من اليونانيّة إلى العبرانيّـة لتمكنـه من اللغـة العبرية.

ثالثًا: قال الإمام «ابن أبي حاتم» في كتابه الجليل «الجــرح والتعــديل»: «ســألت أبي (أي الإمــام الجليــل: أبي حــاتم الـرازي) عن عقيـل بن خالـد أحبّ إليـك أم يـونس؟ فقـال: عقيل أحب إلي من يونس، وعقيل لا بأس بـه ... سـئل أبي عن عقيــل ومعمر، أيّهمــا أثبت؟ فقــال: عقيــل أثبت؛ كــان صاحب كتاب.» 135. وهذا ما يرجّح كفّة «عقيل»، خاصــة أنــه كان يروي من كتابـه لا من حفظـه؛ فتكـون روايـة «العربيّة»

وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه» (المصـدر السـابق)، وهـو قـول لا يخلو من نظر؛ إذ إنّ اتحاد المخرج ثـابت للقـولين، وحجّـة التميـيز بينهمـا فيها مقال!

135 ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ت/ عبد الـرحمن المعلمي، بـيروت: دار الكتب العلميّـة، 1372هــ، 1952م، 7/43. هـذا اختيـار الإمـام «أبي حاتم»، وهو ما نميل إليه.

شاذة؛ لأنّ راويها وإن كان ثقة إلاّ أنه خالف من هو أوثق منه.

رابعًا: رواية «عقيل بن خالد» تدلّ على أنّ «ورقة» كان متمكنًا من اللغة العبريّة حتى إنه كان ينسخ التوراة العبريّة، ويترجم الإنجيل اليوناني إلى العبريّة، أمّا رواية «معمر» فمفككة؛ فهي تقول: «وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل»؛ إذ الصلة منقطعة بين (كتابة الكتاب العربي) و(يكتب بالعربيّة من الإنجيل)؛ فما دلالة الفاء هنا؟!

خامسًا: رواية «يونس» و«معمر» التي يتشبّث بها المنصّرون، تقول إنّ «ورقة بن نوفل» لم يكن يكتب بالعربيّة غير الإنجيل!

سادسًا: رواية «يونس» و«معمر» التي يتشبّث بها المنصّرون، لم تُثبت كتابة كامل الإنجيل باللغة العربيّة، وإنما أثبتت تعريب بعضه: «يكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب.»، ووجود بعض النصوص المعرّبة ليس هو محلّ النزاع هنا، فقد يثبت وقد لا يثبت، وعلى فرض ثبوته لا يعدّ حجّة لوجود (ترجمة عربيّة للكتاب المقدس)؛ إذ المسافة هائلة بين (نصوص متفرقة فيها بعض الصلوات والمواعظ) مستخرجة من الأسفار المقدسة، وبين (كتاب يضم نصوص أسفار العهدين بلغة العرب)!

سابعًا: يقول الكثير من المنصِّرين إن «ورقة» كان ينتمي إلى طائفة الأبيونيين.

قلت: طائفة الأبيونيين ترفض العهد الجديد (كاملًا) إلا إنجيل متى، فلها منه نسخة خاصة محذوفة الفصلين

الأوّلين. وعلى هذا القول؛ يكون «ورقة» قد عرّب أجزاء من إنجيل واحد بنكهة هرطقية!!

الحكم على «ورقة» أنه أبيوني ليس عليه دليل قاطع، لكن بإمكاننا أن نستشف من خلال رد فعله لما التقاه رسول الله أنه لا يحمل تصور جمهور النصارى المتأخرين (الأرثودكس)؛ بما يرجح أنه كان ينتمي إلى فرقة تعتبر عند الأرثودكس مهرطقة، وربّما كانت هي الأبيونيّة! علمًا أنّ إثبات أبيونيّة «ورقة» يزيد رواية «عقيل بن خالد» وضوحًا؛ إذ إن الأبيونيين –كما يقول قديس الكنيسة (إبيفانيوس)، كانوا يتبنون إنجيلًا باللغة العبريّة136 ؛ فيكون «ورقة» «يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب» كما في رواية «عقيل» أي: يستنسخ من نصوص الإنجيل العبري، نسخًا أخرى عبريّة –فعلى هذا المعنى يكون معنى (يكتب): (ينسخ) لا (يعرّب)-.

ثامنا: ما الحاجة التي من الممكن أن تدفع «ورقة» إلى أن يقوم بهذا الجهد العلمي الهائل والذي يحتاج كفاءات عالية جدًا- ومنها الإتقان التام للعبريّة الكتابيّة التي كانت قد ماتت في تلك الفترة، واستغنى عنها عامة اليهود بالترجومات الآراميّة- والمتمثل في ترجمة الكتاب المقدس إلى العربيّة، رغم غياب مجتمع نصراني في مكة، وعدم وجود عمل تنصيري فيها؟!!

تاسعا: لماذا اختفت تمامًا ترجمة «ورقة بن نوفل» إن كان لها وجود سابق، فهي ولا ريب قيمة علمية هامة؟!

---

136 انظر؛ Brooke Foss Westcott, *An Introduction to the Study of the Gospels*, Cambridge: MacMillan, 1881, 6th edition, p.*471*

عاشرًا: لماذا لم يقل كفار مكة للرسول إنك قد أخـذت من ((ورقة)) أخبار أهل الكتـاب معرّبـة، واكتفـوا بنسـبة هـذا التعليم إلى فتى أعجمي؟!

الحـادي عشر: لم يتعـرّف الرسـول على ورقـة إلا في تلك الحادثة، مع نزول الوحي، ومات ((ورقة)) بعدها سـريعًا، وكان عند التقائه بالرسول أعمى، كبير السن!

ولعـلّ إعـراض المستشـرقين عن الاسـتدلال بهـذا الحـديث لصالح ترجمة عربيّة للكتـاب المقـدس زمن البعثـة النبويّـة، ممّـا يقـال فيـه: (الصـمت في معـرض الحاجـة إلى البيـان؛ بيان)؛ فهو صمت يحمل اعترافًا (فصـيحًا) بأنّـه لا حجـة فيـه لما زعمه المنصّرون!

شهادة الاستقراء التاريخي

شـهد لغيـاب الترجمـة العربيـة لهـذه الأسـفار، العديـد من الأكـــاديميين المحقّقين، وأقـــرّت بـــذلك الموســـوعات المتخصّصة التي لم تحمل همّ دعـوى نقض أصالة القـرآن الكـريم، وذلــك بعــد أن ثبت بالاسـتقراء التـاريخي غيـاب الترجمة العربية للكتاب المقدس زمن البعثة النبويـة، ولعـلّ أهمّ من كتب في موضوع تاريخ ترجمـات الكتـاب المقـدس في لغـــات العـــالم، البحّاثـــة ((بـــروس مـــتزغر)) (Bruce Metzger)[137]، أسـتاذ لغـة العهـد الجديـد وآدابـه، في كتابـه

137 بروس متزجر (1914م-2007م): أحد أئمة دراسـات النقـد النصـي للعهد الجديد. له مؤلّفات متنوعة في موضـوعات متعـددة في الدراسـات الأكاديميّـة المتعلّقـة بالعهـد الجديـد. شـارك في إعـداد أهم نص يونـاني قياسي للعهد الجديد في القرن العشرين. كمـا شـارك في تحريـر العديـد من الترجمـات الإنجليزيّـة للعهـد الجديـد والتعليـق عليهـا. تعتـبر مؤلّفاتـه مراجع أساسيّة في الدراسات المتخصصة في الجامعات الغربيّة.

المرجعي ((*The Bible in Translation*)) المتعلّق بصورة مباشرة بتاريخ ترجمات الكتاب المقدس؛ فقد قال في هـذا الشـأن: ((من الراجح أنّ أقـدم الـتراجم (العربيّـة) للكتـاب المقـدس تعـود إلى القـرن الثـامن.)) 138 . وكتب المستشـرق المنصّـر ((توماس باتريك هوغز)) ((Thomas Patrick Hughes))ـ في معجمـه الذي خصّه للمصطلحات الإسلاميّة ((*The Dictionary of Islam*))- نقلًا عن المستشرق ((ج. م. رودويل)) ((J. M. Rodwell))139-: ((لا توجد حجة على أنّ محمّدًا قد اطّلع على الأسفار المسيحيّة المقدسـة... لا بـد أن يُعلم أنّـه لا توجـد آثـار واضـحة على وجود ترجمة عربيّة للعهدين القـديم والجديـد سـابقة لـزمن محمد ... أقدم ترجمة عربيّة للعهد القديم بلغنـا أمرهـا، هي ترجمة الحبر سعديا الفيـومي))140. واحتج بـالاختلاف الثـابت في الصياغة الأدبيّة بين الترجمات العربيّة المتأخرة لأسـفار العهدين واختلافها أيضًا في رسم أسماء الأعلام؛ للقول إنّهـا لا تعـود لترجمـة عربيّـة قديمـة سـابقة للإسـلام، وإنّمـا هي ترجمـات متـأخرة عن ذلـك، من أصـول لغويّـة مختلفـة (السبعينيّة، والفولجات، وسريانيّة، وقبطيّة)ـ141

---

138 Bruce Metzger, *The Bible in Translation*, Grand Rapids: Baker Academic, 2001, p. 46

139 جون مدوز رودويل (1808م-1900م): مستشرق إنجليزي.

140 Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam, being a cyclopaedia of the doctrines, rites, ceremonies, and customs, together with the technical and theological terms, of the Muhammadan religion*, London: W.H. ALLEN, 1895, pp.516-516

141 انظر؛ المصدر السابق، ص516

وخلص الباحث الإنجيلي المصري ((ألبرت إستيرو))142 في خاتمة أطروحته للدكتوراه حول (الترجمة العربيّة) التي اعتمدها ((ابن قتيبة)) في اقتباساته من الكتاب المقدس: ((الاقتباسات الكتابيّة لعبد الله مسلم بن قتيبة ومصدرها: التحقيق في شأن أبكر الترجمات العربيّة للكتاب المقدس)) *(('Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations))*143 إلى القول: ((ربّما ظهرت الترجمات العربيّة للكتاب المقدس في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي-في بداية القرن الثامن.))144، ومما استدلّ به لغياب ترجمة عربيّة قبل ظهور الإسلام؛ عدم حاجة يهود البلاد العربيّة لهذه الترجمة في لغة العرب؛ إذ دلّت النقوش على استعمالهم للآراميّة، أمّا النصارى فيشهد عدم وجود مجتمع نصراني في الحجاز، واعتماد الليتورجيا على اللغات الأخرى، على أنّه من غير المعقول أن يواكب ذلك وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس.145

142 يكتب بالحرف اللاتيني (Albert Isteero)، والمقابل العربي تقريبي إذ لم أعثر على اسمه كما يكتب باللغة العربيّة. جاء في مخطوطة الدكتوراه تعريفه أنه من مواليد سنة 1930م، في (بورسعيد) بمصر. رسّم قسيسًا سنة 1958 في الكنيسة الإنجيليّة. انتخب سنة 1965م كسكرتير عام لمجلس كنائس الشرق الأوسط. وهو يدرّس الأدب الكتابي في إحدى مدارس الكنيسة الإنجيليّة المصريّة.

143 ناقشها سنة 1990م في جامعة (*Johns Hopkins*) الأمريكيّة.

144 Albert Isteero, *'Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations*, p.236, manuscript

145 انظر المصدر السابق، ص 7-17

ولعلّه من الجيّد أن نفصّل في هذه القضيّة؛ دفعًا للوهم عمّن يحسب أنّ ما نقرّره مخالف لما انتهى إليه من صنّفوا في هذا الموضوع من أعلام الكتّاب الغربيين المتخصصين في هذه الدراسات الدقيقة، ولِيعْلَم القارئ من وافق المحقّقين من الباحثين، ومن أسلم نفسه إلى انفعاليتها وأتبع نفسه هواها.

الترجمة العربيّة للعهد القديم:

ذكر الدكتور ((إيرا موريس برايس)) ((*Ira Maurice Price*))–أستاذ اللغات الساميّة والآداب في جامعة شيكاغو -في كتابه الخاص باستقراء تاريخ مخطوطات الكتاب المقدس ونصوصها وترجماتها أن الفتح الإسلامي العربي لسوريا ومصر حيث تمّ تثبيت اللسان العربي هو الذي أوجد الحاجة لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربيّة. [146] ووافقته على ذلك ((موسوعة المسيحيّة)) (*The Encyclopedia of Christianity*) بقولها إنّ ((<u>الترجمات العربيّة تعود إلى الفترة الإسلاميّة</u>.)) [147]

ولما تحدثت ((الموسوعة الكاثوليكيّة)) (*The Catholic Encyclopedia*) –طبعة سنة 1913م- عن التراجم العربيّة

---

146 انظر؛ Ira Maurice Price, *The Ancestry of Our English Bible*, Philadelphia: The Sunday School Times Company, 1920, 7th edition, p.108

147 Geoffrey W. Bromiley, ed. *The Encyclopedia of Christianity*, Tr. Erwin Fahlbusch, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1999, p.242

للكتاب المقدس، لم تُحدث ذِكرًا لترجمة قبل القرن العاشر؛ وإنّما جاء فيها أنّه: ((توجد ست أو سبع ترجمات لأجزاء من العهد القديم طبق الترجمة اليونانيّة السبعينيّة، بعضها يعود إلى القرن العاشر.))[148]

والأمر كما قال أحد أعلام النصارى المحافظين البارزين، ((هورن)) ((*Horne*)) فإنّ: ((الترجمات العربيّة للعهد القديم لا تمتد إلى ما وراء القرن العاشر.))[149]

وممّا يؤكد صدق هذه الشهادة، ما قاله المفسّر اليهودي ((ابن عزرا)) (توفي 1164م) في تعليقه على نص تكوين 2/11 من أنّ ((سعديا الفيومي)) [150] قد ترجم الأسفار الخمسة لموسى إلى ((لغة إسماعيل وكتاباتهم ليظهر أنّها لا تضمّ أمورًا غير مفهومة.))[151] .. أي أنّ بداية النص العربي للأسفار الخمسة قد كانت مع ((سعديا الفيومي)) في القرن العاشر.[152] وهو ما أقّر به الدكتور القس ((صموئيل يوسف

---

148 *The Catholic Encyclopedia*, New York: The Universal Knowledge Foundation, INC., 1913, 15/ 369

149 Thomas Hartwell Horne, *An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scriptures*, New York: R. Carter & Brothers, 1852, 1/ 274

150 سعديا الفيومي (882-942م): حبر وفيلسوف يهودي. يعتبر رائد الكتابات اليهوديّة-العربيّة. تأثّر بالمناهج والمباحث الكلاميّة الإسلاميّة.

151 Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, New Jersey: Princeton University Press, 1992, pp.117

152 لا يبدو أنّ ما ذكره ((المسعودي)) من وجود ترجمة عربيّة من النص اليوناني السبعيني في القرن التاسع يعكّر على ما قرّرته في المتن؛ فإنّ قوله في كتابه: ((التنبيه والأشراف)) (ت/ م. ج. دو غوج، ليدن: بريل، 1843) ص 112:ـ ((ابطلميوس الكصندرس ملك اثنتين وعشرين سنة،

خليل›› في كتابه ‹‹المدخل إلى العهد القديم›› بقوله: ‹‹أوّل وأهم هذه الترجمات المأخوذة من اللغة العبريّة هي التي قام بها سعاديا الجاوون[153]، وهو رجل يهودي متعلم ومثقف جدًا. كان رئيسًا للمدرسة اليهوديّة في سورا في بابل ومات عام 942م.››[154]

وهو الذي نقلت له التوراة نقلها اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اليونانية. وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق (809م-877م) وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس.›› فيه نظر؛ لأسباب : (1)لا توجد أدنى شهادة من المخطوطات على هذه (الترجمات) (انظر؛ Meira Polliack, *The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation*, Leiden: Brill, 1997 , p.18) رغم أنّه قد عرفت ‹‹لإسحاق بن حنين›› ترجمات لكتب كثيرة منها عشرات الكتب للطبيب ‹‹جالن›› (انظر؛. Samir Johna, *Hunayn ibn-Ishaq: A Forgotten Legend*, American Surgeon, 00031348, May2002, Vol. 68, Issue 5, p.498)؛ فكيف يذكر التاريخ ترجماته لكتب الطب، ويغفل الكل-إلا المسعودي- ذكر ترجمته للتوراة؟!- (2) قال ‹‹المسعودي›› بعد هذا النص مباشرة (ص112-113):ـ ‹‹فأمّا الإسرائليون من الأشمعث وهم الحشو والجمهور الأعظم والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية التوراة والأنبياء والزبور وهي أربعة وعشرون كتاباً وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائليين المحمودين عندهم قد شاهدنا أكثرهم منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني إشمعثي المذهب وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمائة ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي إشمعثي المذهب أيضاً››، وهذه دعوى لا دليل عليها، كما أنّها مستبعدة جدًا؛ لأنّها تنفي عن ترجمة ‹‹سعديا›› -الذي سماه هنا ‹‹سعيد›› – مبررات إصدارها؛ إذ كيف يعرب الأسفار العبريّة مع ما في ذلك من مشقة وحرج علمي، مباشرة بعد أن قام بذلك أستاذه ‹‹أبو كثير يحيى بن زكريا››، ولماذا لا نرى ذكرًا لترجمة الأستاذ، ولم يبق في الخبر غير ذكر ترجمة التلميذ مع توافر الدواعي لذكر الاثنين معًا؟!، (3)‹‹المسعودي›› متهم عند علماء المسلمين بنقل الروايات المكذوبة؛ قال فيه شيخ الإسلام ‹‹ابن تيمية›› في كتابه ‹‹منهاج السنة›› (ت/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، 1406 هـ) 4/84:ـ ‹‹وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى،

وممّا لا بد من إضافته هنا هو أنّه رغم ظهـور ترجمـة عربيّـة للعهـد القـديم بعـد انتشـار الإسـلام، إلاّ أنّ هـذه الترجمـة – وغيرها إن وجدت-لم ترج بين المسلمين في قرون الإسلام الأولى، إلاّ مـا قـد يمكن أن يسـتثنى في بلاد أوروبـا - في الأندلس-155. وقد كـان النقـل في الكتابـات الإسـلاميّة عن الكتاب المقدس في تلك القرون أساسًا من الزاد الشـفهي غـير المباشر156، كمـا كـانت كتب المـؤرّخين الأخبـاريين

فكيف يوثق في كتاب (يقصد ((مروج الذهب))) قد عرف بكثرة الكذب.))، كما أنه كثيرًا ما ينقل دون إسناد (انظر؛ عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، الاسكندرية، منشئة المعارف، 1415هـ، 1995م، ص27) بما يضعف نقله بلا ريب.

لا ينفي مـا سـبق أن تكـون هنـاك بعض الترجمـات العربيّـة لمقـاطع من الكتاب المقدس (خاصة المزامير التي تستعمل في الليتورجيا) أو لأسفار صغيرة.

153 هو نفسه ((سعديا الفيومي))

154 صـموئيل يوسـف خليـل، المـدخل إلى العهـد القـديم، القـاهرة: دار الثقافة، 2005م ، ط2، ص68

155 وجود ترجمة عربيّة للعهـد القـديم زمن ((ابن حـزم)) في الأنـدلس لا يزال محلّ جدل بين النقاد لغياب الدليل المباشر والحاسم لصالح مـذهب الإثبـات أو النفي. (انظـر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.124). وقد ذهب بعض النقاد إلى أنّ ((ابن حزم)) قد اعتمد ترجمة عربيّة من اللاتينيّة عرّبت في القـرن العاشر على يد ((Ishaq ibn Balask)) (انظر؛ Ann Christys, *Christians in Al-Andalus, 711-1000*, Richmond: Curzon Press, 2002, p.155)

156 لعلّ الإمام ((أبا جرير الطبري)) يعـدّ من أهم الأمثلـة في هـذا البـاب، فقد أكثر من النقل عن أهل الكتاب، لكنه كـان في القليـل النـادر يوافـق النص الحـرفي للعهـد القـديم. ومن الملاحـظ أنّ المهتـدي ((علي بن ربن الطبري)) في القرن التاسع ميلاديًّا، وإن تميّز بالحَرفيّة في كتابـه ((الـدين والدولة)) إلاّ أنّه -على ما تدلّ عليه القرائن الداخليّة- كان يستعمل ترجمة سـريانيّة لا عربيـة. (انظـر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.112-113)

((كاليعقوبي)) وغيره، تخلط في نقلها عن اليهود بين نصـوص الأسـفار المقدسـة والكتابـات المدراشـيّة، بمـا ينفي -كمـا تقــول المستشــرقة ((هفــا لازاروس يافه)) ((-Hava Lazarus Yefeh))[157] - أن تكــون هنــاك ترجمــة عربيّــة رائجــة بين المسلمين في تلك الفترة.[158]

وتؤكّد الحقيقة التاريخيّة الاستقرائيّة السالفة عسر التعامـل مـع النصـوص الكتابيّـة لما كـانت بأيـدي أهـل الكتـاب، وإن كانت بلغة العرب .. فكيف يفترض أن تتاح بين يدي رسـول الله ليأخـذ منهـا ويـذر بيسـر، لمـا لم يكن لهـا وجـود في اللسان العربي!؟

الترجمة العربيّة للعهد الجديد:

قال الباحث النصراني المحافظ الشهير، والذي شغل منصب مدير المتحف البريطاني، ((فردريك ج. كنيون)) ((*Frederick G. Kenyon*))، عند سرده للترجمات المتاحة للعهد الجديد: ((عدة ترجمات عربية يُعلم وجودها (اليوم)، بعضها ترجمات عن اليونانية، وبعضها عن السريانية، وبعضها عن القبطية، في حين أن ترجمات أخرى هي مراجعات قامت على بعض (تراجم) اللغات السابقة أو كلّها. لا ترجع أيّ منها

157 هفا لازاروس يافه: إحـدى أهم من عملن في الحقـل الاستشـراقي من (الإسرائيليين) اليوم. حاصلة على جـائزة (إسـرائيل) للتـاريخ. تـوفيت منذ فترة قصيرة.
158 انظر؛ المصدر السابق، ص 114

إلى ما قبل القرن السابع، وربما لا توجد واحدة في ذاك الزمن المبكّر.»159

وقد عدّد «بروس متزغر» في دراسته المعنونة بـ«ترجمات عربيّة مبكّرة للعهد الجديد» «*Early Arabic Versions of the New Testament*» الشخصيات التي نسب إليها القيام بأوّل تعريب لنصّ العهد الجديد:

1- زعم «ميخائيل السرياني» (توفي سنة 1199م) في تاريخه أنّ «الأمير العربي» «عمرو» ابن الصحابي «سعد بن أبي الوقاص» (رضي الله عنه) قد طلب من البطريرك اليعقوبي «يوحنا» أن يعرّب الأناجيل من السريانيّة إلى العربيّة على أن يحذف المواضع التي تشير إلى ألوهيّة المسيح والصلب والتعميد، ونظرًا لإصرار البطريرك «يوحنا» على رفض حذف ما طلب منه من نصوص الأناجيل؛ فقد تمّت الترجمة على يد مجموعة من الأساقفة، دون إقصاء أيّ من النصوص.160

---

159 "Several Arabic versions are known to exist, some being translations from the Greek, some from Syriac, and some from Coptic, while others are revisions based upon some or all of these. None is earlier than the seventh century, perhaps none so early." (Frederick G. Kenyon, *Our Bible and The Ancient Manuscripts*, London: Eyre and Spottiswoode, 1898 , 3rd edition, p. 65)

160 انظر: Bruce Metzger, '*Early Arabic Versions of the New Testament*,' in Matthew Black and William A. Smalley, eds. *On Language, Culture, and Religion: In Honor of Eugene A. Nida*, Paris: Miton, 1974, p.158

2- قام الأسقف الإسباني «يوحنا الإشبيلي» (*John of Seville*) في بداية القرن الثامن بترجمة الأناجيل من لاتينيّة الفولجات إلى العربيّة.[161]

3- جاء في كتاب «الفهرست» «لابن النديم» –ألّف سنة 987م- قوله إنّ رجلًا اسمه «أحمد بن عبد الله بن سلام» مولى الخليفة «هارون الرشيد» قد عرّب التوراة والإنجيل.[162]

تقويم[163] هذا التراث:

1-كلّ هذا التراث يردّ الترجمات العربيّة إلى ما بعد ظهور الإسلام، ويثبت بذلك غياب دليل تاريخي على وجود ترجمة عربيّة سابقة للبعثة النبويّة.

2-سواء صحّ هذا التراث أو بعضه، فإنّ فيه دلالة قوّية على غياب دلائل مسندة –ولو ضعيفة- على ردّ الأمر إلى ما قبل البعثة النبويّة الشريفة.

3- لا نجد أثرًا لما زعمه «ميخائيل السرياني» في المؤلّفات العربيّة والإسلاميّة، رغم أهميّته، ولعلّه أراد من خلال هذه القصّة تمجيد هذا البطريرك أنّه رفض التنازل عن ولائه للأسفار المقدّسة، رغم أنه كان يعيش تحت سلطان المسلمين.

---

161 انظر المصدر السابق، ص 159

162 ابن النديم، الفهرست، بيروت: دار المعارف، د. ت، ص 32-33

163 يكتبها البعض (تقييم)، وهو خطأ!

القصّة تحمل نكارة بارزة في متنها بدعواها أنّ أميرًا عربيًا في التاريخ الإسلامي المبكّر قد طلب تعريب الأناجيل.
وأوجه النكارة هي:

- غياب الحاجة الدينيّة لذلك.
- مخالفة ذلك للشرع الذي منع من النظر في كتب أهل الكتاب لغير نقضها وإثبات دلالة بعض ما فيها على ربّانيّة الإسلام[164].
- حاجة هذا (الأمير) إلى ترجمة محذوفة الإشارات إلى ألوهيّة المسيح والصلب والتعميد لا تملك مبررًا تاريخيا أو دينيا أو منطقيًا، فالمسلمون لا يرون حجيّة الأناجيل، ويؤمنون –ديانة-بتحريفها، فلِمَ يُحتاج إلى تعديل ما ليس بحجّة؟!!

وممّا يؤكد بطلان قصّة «ميخائيل السرياني» الذي عاش في القرن الثاني عشر، أنّه قد جاء في كتاب تاريخ سرياني يعود إلى القرن الثامن أنّ لقاءً جمع قائدًا مسلمًا اسمه «عمرو» والبطريرك اليعقوبي «يوحنا الأول»، عرض فيه الطرف المسلم تساؤلاته حول مضمون الإنجيل[165]. وليس

164 قال «البهوتي» في «كشاف القناع» (بيروت: دار الفكـر، 1402هـ، 1/434): «ولا يجوز النظر في كتب أهـل الكتـاب ... ولا النظـر في كتب أهـل البـدع، ولا النظـر في الكتب المشـتملة على الحـق والباطـل، ولا روايتها، لما في ذلك من ضرر إفساد العقائد.»، وقـد نصّ أهـل العلم على إباحة النظر في هذه الكتب لنقضها لا للاستدلال بها!

165 انظر: M. J. Nau, '*Un colloque du patriarche Jean avec* l'émir *des agaréens et faits divers des années 712 a716*,' in *Journal Asiatique* 11th Series, 5 (1915), pp.225-279 (Quoted by, Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, 1985 Volume 69, p. 135)

في هذه الوثيقة إشارة إلى الطلب الغريب الذي نسب لاحقًا إلى القائد «عمرو». ولا شك أنه حري بالمؤرخين أن يشيروا إلى طلب هذا القائد تعريب الإنجيل؛ لقيمة هذه الواقعة ودلالاتها، وهو ما لم يكن؛ وفي ذلك دلالة على أنّها لم تقع!

ويرى «لويس لوبلوا» «*Louis Leblois*» أنّ هذه القصّة ما هي إلا خرافة (*légende*)، وأكّد أنّه لم تكن هناك ترجمة عربيّة للكتاب المقدس زمن الرسول ﷺ166، ووافقه «ترمنغهام» «Trimingham» 167 بقوله: «لا يمكن أن نمنح غير القليل من الثقة لهذه القصة»168، كما أثار الناقد «جورج غراف» «*Georg Graf*» عددًا من الاعتراضات الأخرى على تاريخيّتها.169

4- اختلف النقاد في أمر ترجمة الأسقف «يوحنا»؛ إذ تذكر عامة المراجع أنّ هذا الأسقف قد عاش في القرن الثامن

---

166 “Il est certain qu’il n’existait point de traduction arabe de la Bible au temps de Mohammed” Louis Leblois, *Les Bibles et les Initiateurs Religieux de L’Humanite*, IV.207, Paris, Librairie Fischbacher, 1888

167 جون سبنسر ترمنغهام John Spencer Trimingham: أستاذ اللاهوت في مدرسة الشرق الأدنى ببيروت. كانت له عناية بدراسة الإسلام في إفريقيا.

168 “Little credence can be given to this story” Trimingham, *Arabs*, p.225 (Quoted by, Yoel Natan, *Moon-o- Theism: Religion of a War and Moon God Prophet*, Yoel Natan, 2006, 1/595)

169 انظر؛ Georg Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur, Studi e testi* 118, Citta del Vaticano, p.35

ميلادي سنة 737م تبعًا لما نقله المؤرخ الإسباني ((ماريانا)) ((*Mariana*))، في حين ذهب ((*Simonet*)) و((*Tisserant*)) إلى أنّ ((يوحنا)) المذكور قد عاش في القرن التاسع[170] ، أمّا ((جيلدمايستر)) ((*Gildemeisten*)) فقد قرّر أنّ الأسقف ((يوحنا)) المعروف قد عاش في القرن العاشر.[171]. كما أنّ أوّل من تحدّث عن قصّة هذه الترجمة هو أسقف تولندو ((Rodrigo Ximenes)) (توفي: 1237م) الذي عاش أثناء حكم ((ألفونصو الثامن))، وقال إنّ العرب كانوا يسمون ((يوحنا)) هذا بـ((سعيد المطران))، ثم كرّر هذا الزعم في كتاب ((*Primera Cronica General*)) أثناء حكم ((ألفونصو العاشر))، وهو ما ردّده أيضًا وبصورة أوسع ((ماريانا)) في القرن السادس عشر.[172]

يكشف الفارق الزمني بين القصّة المدّعاة وزمن ذكرها، رخاوة الإسناد بل هشاشته. وممّا يضاف في هذا الشأن أنّ أقدم ترجمة عربيّة متاحة في الأندلس تعود إلى القرن العاشر وتضمّ الأناجيل الأربعة والمزامير.[173]

5-لا يُعلم متابع ((لابن النديم)) في قوله، من غير طريقه، وهو ما يضعف شهادته بصورة كبيرة. والكلام الذي نقله فيه

---

170 انظر؛ Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. *The Literature of Al-Andalus*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000, p.423

171 انظر؛ William Smith, ed. *A Dictionary of the Bible*, 3/1615, London, John Murray, 1893

172 انظر؛ Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. *The Literature of Al-Andalus*, p.423

173 انظر المصدر السابق، ص 423

مبالغة: «قرأت في كتاب وقع إلي قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه، فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه على لفظ الكتاب: «قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون -أحسبه الرشيد- ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه وهو كتاب فيه طول إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول وعن أصحابه وعن من أسلم من أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام ويامين بن يامين ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن التيهان وبحيرا الراهب.

قال أحمد بن عبد الله بن سلام: «ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية -وهي لغة أهل كل كتاب- إلى لغة العربية حرفًا حرفًا ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف...». 174

إنّ ضياع هذا العلم الضخم الناتج عن جهد علمي هائل في تلك الفترة المبكّرة، وغياب كلّ ذكر له -حتى لاسمه- في غير هذا الكتاب المغمور الذي نقل عنه صاحب

---

174 ابن النديم، الفهرست، ص 32-33

«الفهرست»؛ لمن الأمور التي تلقي بظلال قاتمة من الشك على صدق هذه الدعوى، كما أنّ الحديث عن أتباع نبي الله «إبراهيم» عليه السلام وأسفارهم المقدّسة هو أمر يجمع بين الإبهام المريب والغرابة، خاصة أنّ المسمّى «أحمد بن عبد الله بن سلام» لم يكن يذكر أمرًا عارضًا قد يحدث فيه التباس عفوي، وإنّما كان يتحدّث عن أسفار ضخمة قام هو نفسه بتعريبها! وزاد عدد من النقاد في إضعاف هذه الشهادة بإظهار شكّهم بمعرفة هذا الرجل باليهوديّة واللغة العبريّة من خلال ما ذكره عن منهجه في الترجمة.[175]

وممّا يزيد القول بوجود ترجمة عربيّة للعهد الجديد زمن البعثة النبويّة، نكارة، أنّ الترجمات العربيّة الأقدم المتاحة، فيها ركاكة وسوء تعبير باللسان العربي – رغم أنّها صادرة عن نفس الدوائر الكنسيّة التي كتبت في الجدل الديني ضد الإسلام بأسلوب عربي بليغ- حتّى إنّ الناقد «بلو» «Blau» يرى أنّه من العسير القول إنها تراجم عربيّة[176]. ولا ريب أنّ ذاك يعود للنقل الحرفي عن مخطوطات يونانيّة وسريانيّة، وغياب ترجمة أو ترجمات عربية قديمة تصل إلى عصر البعثة النبويّة.

ومن الملاحظات الأخرى الهامة التي تؤكّد النقطة السابقة، ما لاحظه الناقد «بومستارك» «Baumstark»[177] من أنّ «ابن قتيبة» و«الجاحظ» و«ابن ربن الطبري» –وقد عاشوا في

175 انظر؛ Meira Polliack, *The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation*, p.18

176 انظر المصدر السابق، ص 5

177 أنتون بومستارك (1800م-1876م) : عالم فيلولوجي ألماني.

القـرن التاسـع ميلاديًّا- قـد اقتبسـوا نصوصًـا من الأناجيـل، باللغة العربيّة؛ ممّا أظهر أنّ أصل هذه الاقتباسـات نصـوصٌ أصـلها سـرياني، وهـو مـا يَظهـر بأدلّـة جوهريّـة في هـذه الاقتباسات ذاتها، ومنهـا تضـمنّها كلمـات سـريانيّة.[178] وفي ذلك دلالة على غياب جـذر عـربي للترجمـات العربيّـة الـتي وجدت بعد انتشار الإسلام.

ويزداد الأمر وضوحًا من خلال ما يخبرنا بـه الناقـد ((بـول دو لاجارد)) ((Paul de Lagarde))[179] من أنّ عدد الترجمات العربيّة للأناجيـل أكـثر ممـا يـرغب فيـه طلبـة اللاهـوت(!)، فهي ترجمات متنوّعة إلى درجة مزعجة جدًا، وذاك ناتج عن تعدد مصادرها، حـتّى إن بعض الترجمـات يعتمـد جـزء منهـا على أصـل سـرياني، وجـزء آخـر على أصـل قبطي، وثـالث على أصل يوناني. وكان الناقد ((جراف)) ((Graf))[180] قد عمّق تأكيـد هذه الحقيقة من خلال تصنيفه للترجمات العربيّة.[181]

---

178 انظر؛ Anton Baumstark, *Arabische Ubersetzung*, p.169 (Quoted by, Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,* pp.276-277)

179 بول دو لاجارد (1827م- 1891م): مستشرق وناقد كتابي ألماني.

180 جورج جراف (1875م- 1955م): مستشرق ألماني. من أهم النقّاد الذين درسوا الشرق النصراني.

181 انظر؛ Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,* pp.287-288

وأشار ((سدني هـ جريف)) ((Sidney H. Griffith)) 182 إلى ملحظ علمي آخر له دلالة عظيمة على تأخر تأريخ أقدم الترجمات إلى ما بعد البعثة النبويّة؛ إذا كشف أنّ أقدم الترجمات العربيّة المتاحة لكتب العهد الجديد ظاهرة الصلة بمؤلفات الاعتذاريين النصارى المؤلفة باللغة العربية-خاصة كتابات ((ثيودور أبي قرة))183- .. وهو ما يعني أن كلّ هذه الكتب هي إفراز زمن واحد.184

كلّ ذلك يكشف أنّ بذرة الترجمات العربيّة للعهد الجديد التي ظهرت في العصر الإسلامي، لم تنبت في أرض عربيّة، وإنما قد أُخذت فسيلة من بيئة أعجميّة اللسان.

النتيجة: إنّ الباحث لا يمكنه أن يستخرج من المستندات التاريخيّة دليلًا على سبق الترجمة العربيّة للعهد الجديد، للبعثة النبويّة، فالدلائل المتاحة كلّها متأخّرة عن ذلك. وليس أمام المستقصي إلاّ أن يقبل ما ورد فيها أو أن يردّها ليتأخّر بذلك الزمن المقترح لظهور هذه الترجمة.

وممّا يلفت الانتباه، إقرار عدد ممن (امتهن) الدعاية ضد القرآن الكريم، غياب ترجمة عربيّة للعهد الجديد حتّى

---

182 سدني غريفث: يعمل الآن أستاذًا في قسم اللغات الساميّة والمصريّة وآدابها في الجامعة الكاثوليكيّة في أمريكا. هو اليوم أهم كاتب متخصص في الردود النصرانيّة -السريانيّة والعربيّة- المبكّرة على الإسلام، وله في ذلك كتب ومقالات كثيرة.

183 ثيودور أبو قرة (750م-825م): أسقف حران. لاهوتي نصراني على مذهب الملكانية. كان كثير التأليف في الرد على الإسلام واليهوديّة وغيرهما.

184 انظر؛ Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, 1985 Volume 69, p. 134

القرن السابع؛ ومن هؤلاء «تسديل» الذي يعتبر أشهر من كتب في زعم الاقتباس، إذ قد قال في كتابه «المصادر الأصليّة للقرآن» «*The Original Sources Of The Qur'an*»: «يبدو أنّه لا توجد حجّة مرضيّة على وجود ترجمة عربيّة للعهد الجديد في زمن محمد.» «There seems to be no satisfactory proof that an Arabic version of the New Testament existed in Muhammad's time.»[185]!

شهادة مخطوطات الكتاب المقدس

بعد أن ثبت بالاستقصاء التاريخي أنّ السجلات التاريخيّة تنكر وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس قبل البعثة النبويّة؛ فعلينا أن ننظر في محفوظاتنا من مخطوطات العهدين القديم والجديد، وحكم علماء الخطاطة (Palaeography) والنقد النصّي على زمن نسخها، وطبيعة أصالة هذه الترجمات؛ أي هل هي مستنسخة من ترجمات عربيّة سابقة أم أنها ترجمات حديثة عن أصول غير عربيّة؛ إذ إنّ ثبوت الاحتمال الأوّل يردّ تاريخ الترجمة العربيّة إلى ما قبل تاريخ النسخ المتاحة.

مخطوطات العهد القديم:

رغم اهتمام النقّاد بحصر مخطوطات العهد القديم في لغتها العبريّة وترجماتها القديمة، إلاّ أنّ رصيد الترجمات العربيّة كان شديد الضعف رغم أنّ اليهود قد عاشوا أفضل مراحل

---

185 St. Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, London: Society For The Promotion Of Christian Knowledge, 1911, p. 140

تاريخهم العلمي في أحضان الدولة الإسلاميّة التي تأسّست زمن البعثة النبويّة، حيث أنشؤوا أكبر مدارسهم وظهرت فيهم حماسة كبيرة للتأليف الديني.

وقد اتّفقت المراجع العلميّة الأكاديميّة الكبرى أنّ ترجمة «سعديا الفيومي» هي أقدم ترجمة عربيّة متاحة اليوم، ولا يذكر لنا التاريخ اليهودي المشرقي ترجمة قبلها. ومما يثير الانتباه أنّ يؤكد النقّاد أنّ ترجمة «سعديا» ليست نسخًا لترجمة عربية أخرى ولا تنقيحًا لسلف عربي؛ وإنّما هي ترجمة مباشرة عن العبريّة[186]. كما أنّ أقدم أسفار العهد القديم الأخرى مترجمة مباشرة عن السريانيّة واليونانيّة وبقيّة الترجمات الأخرى.[187]

ومن الملاحظات الهامة حول ترجمة «سعديا» أنّها كانت باللغة العربيّة لكن بالحرف العبري، وقد انتشرت على تلك الصورة وإن كانت ظهرت أيضًا بصورة أقل بالحرف العربي[188]؛ وفي ذلك بيان لانحسار المعارف الكتابيّة في حدود أهلها، وما يحتاجه انتقالها إلى غيرهم من وقت بطيء وجهد طويل.

إنّ ترجمة «سعديا» وما تلاها، ليست إلاّ استجابة لظهور حاجة طارئة في اللسان العربي الذي تبنّاه اليهود في البلاد

---

186 Ernst Würthwein, *The Text Of The Old Testament*, 1995, Tr. Erroll F. Rhodes, Michigan, William B Eerdmans Publishing Company, p. 104

187 المصدر السابق

188 انظر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.117

العربيّة؛ وفي هذا يقول «إرنست فرذفين» «*Ernst Würthwein*» في كتابه الحجّة في الدراسات الأكاديميّة «نصّ العهد القديم» «*The Text Of The Old Testament*»: «مع انتصار الإسلام انتشرت اللغة العربيّة بصورة واسعة، وأصبحت بالنسبة لليهود والمسيحيين في البلاد المفتوحة لغة الحياة اليوميّة. وقد أدّى هذا الأمر إلى بروز الحاجة إلى ترجمات عربيّة للكتاب المقدّس.»[189]

مخطوطات العهد الجديد:

قال «ف. س. بوركت» «F. C. Burkitt» في مقاله عن الترجمة العربيّة للعهد الجديد ضمن المعجم الكتابي «*Dictionary of the Bible*»: «إنّه من المرجوح بجِد أن يكون أي تأليف أدبي مسيحي عربي يعود في قدمه إلى زمن محمد. كان هناك مسيحيون في المملكة العربيّة للغساسنة، شرق دمشق، وفي نجران جنوب البلاد العربيّة، لكن أن نحكم على تطوّر الكنيسة في تلك المناطق من خلال معلوماتنا التاريخيّة الهزيلة جدًا؛ فإننا نقول إنّ اللغة الكنسيّة كانت السريانيّة. لم تظهر الحاجة إلى ترجمات للأسفار المقدّسة بالعربية العاميّة إلاّ بعد نجاح القرآن في تحويل العربيّة إلى لغة أدبيّة، وتحويل غزوات الإسلام أجزاءَ كبيرة من سوريا ومصر المسيحيتين إلى مقاطعات متحدّثة باللغة العربيّة.»[190]

---

189 Ernst Würthwein, *The Text Of The Old Testament*, p. 104

190 F. C. Burkitt, '*Arabic Versions*,' in James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, New York: C. Scribner's sons, 1911, 1/136

وقد كشفت آخر الأبحاث الخاصة بالأناجيل العربيّة أنّها تعود في الحقيقة إلى سلسلة من الترجمات ومراجعاتها من اللغات اليونانيّة والسريانيّة (البشيطا) والقبطيّة البحيريّة واللاتينية[191]؛ ممّا يظهر بجلاء أنّه ليس لهذه الترجمات سند وسلف من ترجمة أو ترجمات عربيّة قديمة (تناسلت) منها الترجمات التاليّة ..

وقد بيّن «سـدني جريف» –بعـد أبحـاث طويلـة-عـدم وجـود إنجيـل عـربي زمن البعثـة النبويّـة؛ فقـال: «إنّ أقـدم نسـخ مؤرخة معروفة للمخطوطات التي تحتـوي ترجمـات عربيّـة للعهد الجديد؛ هي مجموعة ديـر القديسـة كـاترين في جبـل سيناء . مخطوطة سيناء العربيّة رقم 151 تحتوي على نص ترجمـــة لرســائل بـــولس وأعمـــال الرســـل والرســـائل الكاثوليكيّة. إنّهـا أقـدم مخطوطـات مؤرخـة للعهـد الجديـد. البيانــات في نهايــة هــذه المخطوطــة تخبرنــا أنّ بِســر بن السري قام بـالتعريب من اللغـة السـريانيّة في دمشـق في شهر رمضان للعام الهجري 253هـ أي 867م.»[192]

وكـان «إبرهـارد نسـتل» «Eberhard Nestle» قـد قـال: «أقـدم مخطوطة معروفة هي ربّما مخطوطة في سيناء، كتبت في

---

191 انظـر؛ D. C. Parker, *An Introduction to the New Testament Manuscripts and their Texts*, Cambridge: Cambridge University Press, 2008, p.124

192 Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, 1985 Volume 69, p. 131-132

القرن التاسع، نقّحت منها السيدة جيبسن نصّ الرسالة إلى روما، والرسالة الأولى والثانية إلى كورنثوس، والرسالة إلى غلاطية، والرسالة إلى أفسس 1/1-2/9.»[193]

وقال قبله «ف. س. بوركت» إنّ مخطوطة «*Vat. Ar. 13*» – وهي تضمّ أجزاء من الأناجيل الثلاثة الأولى ورسائل «بولس»- هي الأقدم[194]، ورغم أنّه قد نسبها إلى القرن الثامن ميلاديًّا، إلاّ أنّه يبدو أنّ هذا التأريخ غير دقيق[195] فالعلامات المستدلّ بها لردّ هذه المخطوطة إلى القرن الثامن ضعيفة جدًا؛ فنحن نجد الميم ذات الذيل القصير المائل المشابه للراء، والنون في نهاية الكلمة دون نهاية إلى الأعلى، والباء والتاء المنتهيتين بخط أفقي لا عمودي... كلّها لها حضور في مخطوطات القرن التاسع والعاشر أيضًا؛ ولذلك لا يعرف لقول «بوركت» ذيوع بين النقاد بعده؛ وقد ردّ هذه المخطوطة إلى القرن التاسع كلّ من «جراف»

---

193 Eberhard Nestle, *Introduction to the Textual Criticism of the Greek New Testament*, New York, Williams and Norgate, 1901, p.143

194 انظر: F. C. Burkitt, '*Arabic versions*,' in James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, 1/136

195 أشار «بوركت» إلى أنّ هذه المخطوطة لم توصف بدقة إلا من طرف «Guidi»!! (المصدر السابق)

((Graf)) 196 و((فووبوس)) ((Vööbus))197و((ميشال فون إزبروك)) ((Michel van Esbroeck)) 198 199وغيرهم.

ورغم حماسة القس ((حكمت قشوع)) لرد المخطوطات العربيّة إلى أبكر زمن ممكن200 إلاّ أنّه قد رد أقدم مخطوطة –حسب اجتهاده-: (Sin. Ar. N. F. Parch 8,28)201 إلى القرن الثامن أو التاسع ميلاديًا.202

أما أقدم مخطوطة مؤرّخة203 متاحة للأناجيل الأربعة؛ فالمشهور أنها مخطوطة سيناء العربية 72 204وقد جاء في

---

196 انظر؛ Bruce Metzger, *The Early Versions of the New Testament: their origin, transmission, and limitations*, Oxford: Oxford University Press, 1977, p.261

197 انظر؛ : Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament Manuscript Studies,* p.288

198 ميشال فون إزبروك: أستاذ فيلولوجيا الشرق النصراني في جامعة لودفيج بألمانيا.

199 انظر؛ Michel van Esbroeck, '*Les Versions Orientales de la Bible: Une Orienatation Bibliographique*,' in Jože Krašovec, ed. *Interpretation der Bible*, England : Sheffield Academic Press, 1998, p.403

200 سيأتي بيان هذا الأمر لاحقًا.

201 تمّ تقسيم هذه المخطوطة عند اكتشافها في دير سانت كاترين سنة 1975م إلى مخطوطتين اثنتين متمايزتين خطأً: (Sin. Ar. N. F. Parch 8) و(Sin. Ar. N. F. Parch 28).

202 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/89

203 أي عليها تاريخ نسخها.

204 "Sinai Arabic MS 72"

وقد جاء في الموقع الالكتروني لوكالة الأنباء "رويترز" 2007\9\25 :

((القاهرة - يرجح يوسف زيدان مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الاسكندرية أن تكون النسخة "شبه المجهولة" في دير سانت كاترين

بيانات المخطوطة أنّها من إعداد ((اسطافنا الرملي)) سنة 283هـ الموافق لـسنة 897هـ.[205] غير أنّه قد اكتشفت في دير سانت كاترين بسيناء سنة 1975م مجموعة من

بسيناء المصرية "أقدم مخطوطة عربية للاناجيل الاربعة المعتمـدة" وهي متى ومرقس ولوقا ويوحنا وتعود المخطوطة لعام 284 هجرية.
وقال زيدان لرويترز في مقابلة إنّ المخطوطة تحمل تاريخ النسخ واسـم الناسـخ على النحـو التـالي ((وكتب الخـاطئ المسـكين الضـعيف الاثيم اصطافنا يعرف بالرملي.. وكتب المسكين في أشهر العجم في أول شهر اذار ويكون من حساب سني العالم على ما تحسبه كنيسة بيت المقـدس (القيامة المجيدة) من سنة ست الاف وثلثمائة وتسعة وثمانين سـنة ومن سني العرب في شهر المحرم من سنة أربع وثمانية ومائتين.))
وأضـاف أن المخطوطـة مدونـة على الـرق (الجلـد) بخـط كـوفي وعـدد رقوقها 119 رقا وهي موضوعة في غلاف خشبي منقوش مكسـو بغطـاء جلدي مزين برسـوم دقيقـة وعلى الـرق الاخـير وقـف نصـه ((بسـم الاب والابن وروح القدس اله واحد يكون هذا الانجيل المقـدس للـدير المبـارك عمره الله لا يباع ولا يشترى. وكتب بخطه الحقير ميخائيـل المـذنب غفـر الله خطاياه وخطايا من قرأ وقال.ـ آمين"
الرابط الالكتروني:

http://ara.today.reuters.com/News/newsArticle.aspx?type=internetNews&storyID=2007-09-25T072013Z_01_OLR525464_RTRIDST_0_OEGIN-EG-MANUSCRIPTS-MA4.XML

[205] Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, 1985 Volume 69, p.132

المخطوطات؛ جاء في نص إحداها- وهي المعروفة باسم (Arabic N. F. Parch 16)- أنّها قد نسخت سنة 859م[206]. [207]

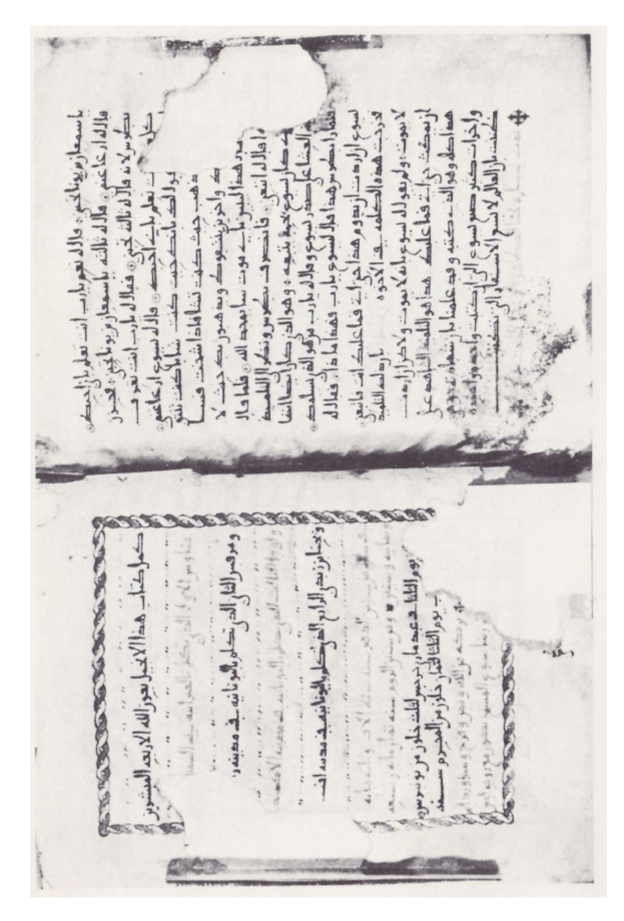
صورة عن مخطوطة

(Arabic N. F. Parch 16) وفيها تاريخ النسخ

---

206 انظر؛ يني ميماريس، كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء، أثينا: الهيئة القومية اليونانية للبحوث، 1985م، ص24-25

207 لا تضم المخطوطة (Arabic N. F. Parch 16) غير نص يوحنا 20/16-21/25. وقد زعم القس «حكمت قشوع» مؤخرًا أنّ المخطوطة (Arabic N. F. Parch 16) التي تعود إلى سنة 859م مكمّلة للمخطوطة (Arabic N. F. Parch 14) التي لا تحمل تاريخ نسخها والتي تضم أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا (انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/75). ويبقى أمر صحّة الجمع بين المخطوطتين محتاجًا إلى دراسة علميّة مقرونة بأدلتها؛ خاصة أنّ «يني ميماريس» –الذي يعتبر أوّل من عرّف بالمخطوطات المكتشفة سنة 1975م- قد قال عن المخطوطة (Arabic N. F. Parch 16): «من واقع الزخرفة يمكن القول بأنّ تاريخ المخطوط يرجع إلى القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر.» (يني ميماريس، مصدر سابق، ص24)



صورة عن مخطوطة

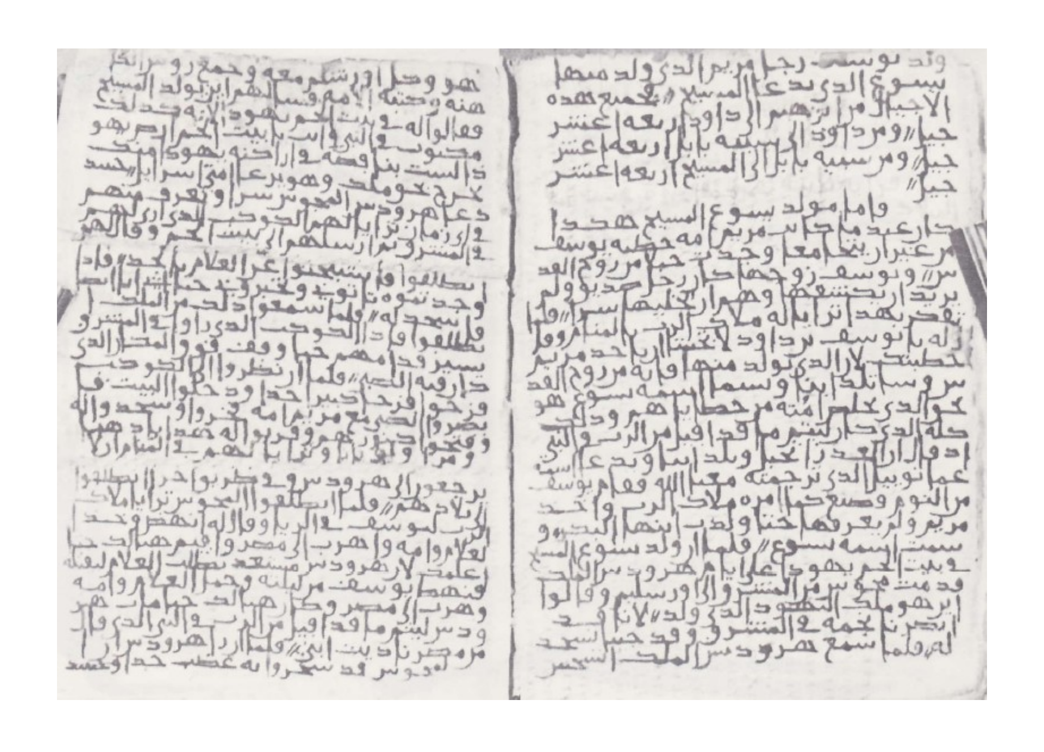
(Arabic N. F. Parch 14)



صورة عن مخطوطة سيناء العربية 72

صورة عن مخطوطة

Sin. Ar. N. F. Parch 8



صورة من مخطوطة سيناء التي نشرتها الناقدة
(جيبسن)



صورة من مخطوطة ***Vat.*** *Ar. 13*

(مرقس 6/15-24)

لاحظ مشابهة هذه المخطوطة -من حيث رسم الميم، والنون والباء والتاء في نهاية الكلمة -للمخطوطة التالية التي نُسخت سنة 289هـ، 901م

المخطوطة المنسوخة سنة 289هـ، 901م، كما هو منصوص عليه من ناسخها (ميخايل الشماس)**208**

208 اكتشفت هذه المخطوطة حديثًا –سنة 1975م- في دير سيناء، وقد نقلت هذه الصورة وبياناتها في كتاب: يني ميماريس، كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء، ص 145

وخلص ((جريف)) إلى أنّ : ((كـلّ مـا يمكن أن يقولـه الواحـد عن إمكانية وجود ترجمة عربية للإنجيل قبل ظهور الإسلام؛ هو أنّه لم تظهر علامة يقينيّة على هذا الأمر.))[209]، وقد نقـل ((ويليـام هـنري بنّـوك)) ((William Henry Pinnock)) أنّ القـول إنّ ترجمة العهد الجديد العربيّة لم تظهر إلاّ بعد ظهور الإسلام،

209المصدر السابق, ص166

هو قول عامة النقـاد في منتصـف القـرن التاسـع عشر[210]، ورغم أنّه قد عدّ «آدم كلارك» استثناءً رافضًا لهذا القول، إلاّ أنّ النظـر في حجّـة «آدم كلارك» من كتبـه تظهـر أنّ هـذا اللاهوتي النصراني قـد اعـترف صـراحة أنّـه لا حجـة ماديّـة لقوله، وليس دليل مذهبـه إلاّ أمـرًا واحـدًا، وهـو عجـزه عن تفسـير علم الرسـول بمـا جـاء من تفاصـيل في العهـد الجديد إلاّ أن يكون قد اطّلع على ترجمـة عربيّـة متاحـة بين يديه[211]، وهـو كمـا يظهـر دليـل (ذوقي) جعـل من محـلّ النزاع، حجّة!

ولازالت الدراسات النقديّة الأكاديميّة لعلماء (النقد النصّـي) (*Textual Criticism*) في الغـرب في منـأى عن التقـاطع مـع دعاوى المنصّرين حـول وجـود ترجمـة عربيّـة سـابقة لبعثـة الرسول.

وقد قدّم «جرهارد بورنغ» «*Gerhard Bowering*»[212] خلاصة آخر الأبحاث الاستشراقّية الحديثة في المصادر الكتابيّة للقـرآن، بقوله: «لا يوجد دليل على أنّ (محمّدًا) قد اعتمد على مـواد أجنبيّـة مكتوبـة لصـياغة القـرآن. وحتّى ظهـور حجّـة على عكس ذلك؛ فعلينا أن نؤيّد القـول إنّ المعلومـات الشـفهيّة

---

210 ‘The Arabic Version is thought by most critics to have been made subsequent to the time of Mohammed’ (William Henry Pinnock, *An Analysis of New Testament History*, Cambridge: J. Hall & Son, 1854, 4th edition, p.19)

211 انظر؛ Adam Clark, *The New Testament of our Lord and Saviour*, Philadelphia: Thomas, Cowperthwait, 1844, p.8

212 جرهارد بورنغ: أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة (يال) بأمريكا.

كانت هي المرجع المباشر للقرآن.))213، وهو عيّن ما قرّرته ((موسوعة الإسلام)) ((Encyclopaedia of Islam)) الاستشراقيّة الشهيرة –في طبعتها الثانية- في ختام حديثها عن الترجمات العربية للأناجيل بقولها: ((بإمكاننا أيضًا أن نستنتج مع ((جراف)) (Geschichte, i, 41) أنّه ليس بالإمكان-في مرحلتنا المعرفيّة اليوم- القول إنّ محمدًا وأتباعه الأوائل كان بوسعهم أن يحصّلوا معرفة مباشرة بالأناجيل باللغة العربيّة.))214، في متابعة للمستشرق الألماني ((جورج جراف)) ((Georg Graf)) في نتيجة بحثه في أضخم عمل علمي في القرن العشرين حول المخطوطات العربيّة للأناجيل ضمن كتابه ((تاريخ الأدب العربي المسيحي)) ((Geschichte den Christlichen Arabishen Literatur)).

الخلاصة

بعد سبرنا لموضوع احتمال وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس زمن البعثة النبويّة أو قبلها؛ نخلص إلى:

- ✓ غياب أيّ دليل مادي مباشر على وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس زمن البعثة النبويّة؛ وهو ما يشكّل

213 Gerhard Bowering, '*Recent Research on the Construction of the Qur'an,'* in Gabriel Said Reynolds, ed., *The Qur'an in its Historical Context*, New York,Routledge, 2007, p. 83

214 B. Carra de Vaux, '*Indjil*,' in *Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition, Brill Online

حجّـة ملموسـة لا يمكن نقضـها إلاّ بـدليل يوازيهـا أو يفوقها!

- ✓ غيـاب أي أثـر لترجمـة عربيّـة في المـوروث الـديني والأدبي الجاهلي.
- ✓ اعتماد أقدم الترجمات العربيّة لأسفار الكتاب المقدّس على أصول يونانية وسريانيّة وقبطيّة، يؤكّد غياب ترجمة عربيّة أقدم يستنتسخ منها.

وقفات مع أحدث الدعاوى

نُوقِشَـت في جامعـة برمنغهـام –بريطانيـا- سـنة 2008م أطروحة دكتوراه تحت إشراف الناقد «دافيد س. باركر»[215] لقسيس لبناني اسمه «حكمت قشوع»[216]، ونشرتها دار «De Gruyter» آخر سنة 2010م، تحت عنوان «الترجمات العربية للأناجيل؛ المخطوطات وعائلاتها» «*The Arabic Versions of the Gospels; The Manuscripts and Families*»، في أكثر من ألف صفحة.[217]

215 هو من أهم المتخصصين في النقد النصي لكنه لايُعـرف بالتخصـص في اللغة العربية ولا في التاريخ الإسلامي ولا في تاريخ النصارى العرب!! وسيسـتبين للقـارئ-بـإذن اللـه- أنّ هـذا القصـور من المشـرف كـان من عوامل السقوط العلمي لهذه الأطروحة.

216 اسـمه بـالحرف اللاتيـني في كتاباتـه باللغـة الإنجليزيـة: «Hikmat Kachouh»

217 نُصّب هذا القسيس مباشرة بعد مناقشته هـذه الأطروحـة عميـدًا لكليّة اللاهوت المعمدانيّة العربيّة في لبنان!

تتبّع القس ((قشوع)) الدراسات العلميّة التي بحثت تأريخ مخطوطات الترجمات العربية للعهد الجديد ونتائج الدراسات التي تمّت حولها، وسافر إلى عدد من الدول للاطلاع عليها[218]، وقام بجمع 210 مخطوطة عربية، إلاّ أنّه **لم يجد مخطوطة واحدة تعود إلى ما قبل البعثة النبويّة أو حتى موازية لها زمنًا** .. غير أنّه ادعى مع ذلك أنّ نصًا واحدًا من نصوص الأناجيل التي جمعها يعود إلى القرن السادس أو بداية القرن السابع؛ فهو إما سابق للبعثة النبويّة أو معاصر لها، وهو نص مخطوطة (Vat. Ar. 13) التي **اعترف هذا الباحث نفسه أنّها تعود إلى القرن التاسع**[219]! فهو إذن يزعم أنّ هذه المخطوطة قد نُسخت في القرن التاسع لكنّ نصها كان قد نقل إلى العربيّة في القرن السادس أو بداية القرن السابع؛ وهو لذلك يعتبرها تمثّل أقدم وثيقة نصرانيّة عربيّة على الإطلاق![220]

السؤال هو: ما هي القيمة العلميّة لهذه الدعوى؟ وكيف استطاع القس ((قشوع)) (القفز) إلى الخلف مسافة زمنية قد تمتد إلى ثلاثة قرون؟! وهل أثبتت هذه الدراسة أنّ زمن الرسول قد عرف ترجمة عربيّة للأناجيل؟[221]

---

218 جمع مخطوطاته من تسع دول.

219 انظر: Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/138

220 انظر المصدر السابق، 1/135

221 ليعذرني القارئ إن رأى في الحديث الآتي إسهابًا في الرد على الشبهة الناتجة عن بحث هذا القسيس؛ وليعلم أنّي فعلت ذلك لسببين رئيسيين:

نظرات عامة:

- **المدى الزمني للبحث**: اعترف القس «قشوع» أنّه أعدّ أطروحة الدكتوراه التي قدّمها، في ثلاث سنوات، رغم أنّه قد كتب في موضوع كبير جدًا لا شك أنّه يستوعب-عند الباحثين الجادين- كامل سنوات العمر، بل إنّ هذا الباحث قد أمضى فترات هامة من هذا البحث في السفر إلى عدد كبير من الدول لجمع المخطوطات .. فمتى جمع، ونظر، وحلّل، واستنبط، وكتب، وبيّض، وقبل ذلك رسخت قدمه في أصول علم النقد النصي..؟! ولا بد أن ينتبه القارئ إلى أنّ موضوع الأطروحة هو من المواضيع المعقدة و(الميتة) التي يحذر الكثير من النقاد الخوض فيها لأنها تحتاج نقشًا على الصخر الخام. فكيف إذا أضفنا إلى ما سبق الاجتهادات الجديدة (الثورية) الكثيرة لهذا الباحث.. لا شك أنّ ذلك يدفع القارئ إلى مزيد الريبة في القيمة العلميّة لهذه الأطروحة!

السبب الأول: أحدثت هذه الأطروحة صدى في الساحة العلميّة في الغرب عند المتخصصين في النقد النصي؛ بسبب أنها صادرة في قالب أكاديمي (أطروحة أشرف عليها ناقد علَم)، ولحجمها الكبير، ولندرة الكتب المتخصصة في هذا الموضوع؛ إذ جل ما صدر في الفترة الأخيرة كان على شكل مقالات أو فصول غير مستوعبة للموضوع ضمن كتب متنوعة الأغراض؛ ولذلك فأنا أتوقع أن تروج دعوى هذا الباحث في المكتبة الغربيّة وأن تجد لها مكانًا في مؤلفات المستشرقين إن لم ننقضها بالدليل القاطع والأدلة المتنوعة.
السبب الثاني: نقضنا لدعوى هذا القسيس مؤكد للفكرة التي نسعى لإثباها؛ وهي غياب ترجمة عربيّة للأناجيل قبل الإسلام.

- **أهليّة الباحث**: لم يظهـر هـذا البـاحث -الـذي يكتب في الأناجيــل العربيّــة الــتي نبتت في بيئــة عربيــة إسلاميّة- معرفة بتاريخ النصارى العرب، بل ويبـدو من بيانات بحثـه ومن مراجعـه أنّـه لا يحمـل القـدر الأدنى من المعرفــة بالدراســات العلميّــة عن النصــارى السريان[222]؛ خاصة الـدفاعيين الأوائـل منهم، فلم نـر أثرًا لدراسات «سيبسـتيان بـروك» و«سـدني جـرافت» وغيرهما في هذا الموضوع، رغم أنّ أهم المخطوطات الــتي درســها تعــود أصــولها الأولى إلى النصــارى السريان!

بــل أزيــد وأقــول إنّ هــذا البــاحث الــذي يــدرس المخطوطات العربيّة للأناجيل، ضعيف المعرفة باللغـة العربيّة نفسها؛ ويكفي أن أقدّم لذلك مثالين اثنين:

المثـال الأول: كتب ناسـخ المخطوطـة –الـتي نسـب القس «قشوع» أصلها إلى ما قبل الإسـلام- نص مـتى 23/14 هكذا: «بيوت الأتامى». وقد ظن هذا القس أنّ «الأتامى» تصـحيف للـــ«الأيتـامى» أو «الأرامل»!! رغم أنــه من الجلي أنهـا تصـحيف لكلمـة «الأيـامي» فهي تقابـل الأصـل اليونـاني «χηρων»_ ولا تحتـاج إلى تغيـير هيكـل الحـروف لتـدارك خطـأ الناسـخ؛ لكن لأنّ هـذا الباحث يجهل هذه الكلمة-كما يبـدو!؛ فقـد انتقـل إلى غيرها دون مبرر؛ حـتى إنـه قـدّم اختيـارين ولم يجعـل

222 هم أهم من حافظ على التراث النصراني الديني والعلمي في البيئة الإسلاميّة الحادثة.

«الأيامى» ثالثهما، رغم أنها البـديل الواضـح، بالإضـافة إلى أنّ الصواب هو: «الأيتام» لا «الأيتامى»!

المثــال الثــاني: زعم هــذا البــاحث أن ناســخ ذات المخطوطة قد أخطأ في نسـخه نص مـتى 11/28؛ إذ كتب كلمة «الأعدال» في حين أنّه يقصد «الأعتال»؛ لأنّ الكلمة الأصل غير مُعجمـة.. والصـحيح أنّ من معـاني كلمة «الأعدال»: «الأثقال التي تُحمل» كما هـو مبثـوث في معاجم اللغة!
أمّـا معرفـة هـذا البـاحث بالبيئـة الإسـلاميّة وبالثقافـة الإسلامية ... فالخطب فيها أجل!

ومن المنكــرات الأخــرى إدلاؤه بــدلوه في قضــايا الخطاطة (paleography) ودقائق الأحكام المتعلقـة بهـا دون أن يراجـع أهـل التخصـص في ذلـك؛ فقـد كـان قصارى ما فعله هو ربط مـا قـرأه في كتـاب واحـد أو اثنين بشكل الكتابة في المخطوطة؛ ليطلق بعـد ذلـك اجتهاداته العريضة!

نظرات تفصيليّة:

لا يملــك القس «قشــوع» دليلاً ماديًــا على دعــواه أنّ نص المخطوطة (Vat. Ar. 13) يعود إلى القرن السادس أو بداية السابع، وإنّما انطلق من أنّ:

(1) هذه النسخة ليست هي الأصل المعرّب وإنمـا هي نسخة عن الأصل. وهـذا أمـر لا ننازعـه فيـه بـدليل أخطاء النسخ التي لا يمكن أن تعزى إلى المعـرّب،

لكنّ ذلك في ذاته ليس حجّة للقفز قرابة ثلاثة قرون للخلف!

(2) ادّعى هذا الباحث أنّ المخطوطة الأصل التي انتُسخت منها هذه المخطوطة لم تكن معجمة (diacritical marks)[223] إلاّ قليلاً.

(3) ادّعى أنّها كُتبت بلغة غير متأثّرة بالقرآن الكريم ودالة على بيئة سابقة للإسلام–وهذا هو جوهر الاستدلال-!

لا تضم هذه المخطوطة من الأناجيل غير:

إنجيل متى: لا تنقصه إلا أعداد قليلة.

إنجيل مرقس: يبدأ من 5/19.

إنجيل لوقا: الفصول 4 و5 و6 وأعداد من الفصلين 3 و7.

أي أننا نفقد تقريبًا نصف فصول الأناجيل الأربعة .. وبما أنّ القس «قشوع» قد قال إنّ معرّب هذه المخطوطة قد اعتمد على ترجمة البشيطا السريانيّة كما استفاد من الترجمات السريانية القديمة؛ فسنقارن نص المخطوطة -أثناء عرضنا أدلتنا- بترجمة البشيطا[224] وبالمخطوطتين

223 النقط التي تميّز الحروف عن بعضها (الباء عن التاء عن الثاء ...)

224 ترجمة البشيطا: الترجمة الأشهر والأكثر رواجًا للكتاب المقدس السرياني في الكنائس السريانية منذ القرن الخامس.

الوحيدتين للسريانية القديمة[225]: المخطوطة الكورتونية[226] والمخطوطة السينائية السريانية[227] [228]. كما سنقارن نص هذه المخطوطة التي نسخت في القرن التاسع ميلاديًا بمخطوطة سيناء العربيّة 72 التي نسخت في نفس القرن.

وردّنا على دعوى القس «قشوع» هو:

أ-الإعجام:

أخطاء إعجام الحروف في هذه المخطوطة لا تثبت أنّ الأصل قد كتب قبل ظهور الإسلام أو أثناء البعثة النبويّة؛ وأدلّة ذلك:

---

225 أقرّ البحاثة «سيبستيان بروك» أننا لا نملك غيرهما كشواهد للترجمات السريانية القديمة للعهد الجديد (انظر؛ Sebastian Brock, *The Bible in the Syriac Tradition*, New Jersey: Gorgias Press LLC, 2006, p.33)

226 تعود هذه المخطوطة إلى القرن الخامس ميلاديًا، ولم يكتشف منها غير: متى 1/1-8/22؛ـ 10/32-23/25؛ مرقس 16/17-16/20؛ لوقا 2/48-3/16؛ـ 7/33-24/44؛ يوحنا 1/1-1/42؛ـ 3/5-8/19؛ـ 14/10-14/12؛ 14/15-14/19؛ 14/21-14/24؛ 14/26-14/29.

227 تعود هذه المخطوطة إلى القرن الرابع أو الخامس ميلاديًا، وقد اكتشفت في دير سانت كاترين بسيناء، وهي غير المخطوطة السينائية اليونانيّة المشهورة.

228 النص الذي سنعتمده للبشيطا والمخطوطة الكورتونية والمخطوطة السينائية (والترجمة الهرقلية التي سنحتاجها أحيانًا)؛ هو الوارد في أهم توثيق أكاديمي اليوم، والذي قام به «جورج كيراز» ضمن السلسلة العلمية المشهورة «*New Testament Tools and Studies*»، تحت عنوان: «*Comparative Edition of the Syriac Gospels*» (1996م)

أولا: أخطاء الإعجام موجودة أيضًا في مخطوطة 72 التي تعود إلى القرن التاسع، وهي وإن كانت أكثر في المخطوطة (Vat. Ar. 13)؛ فلا شك أن سبب ذلك يعود إلى أسباب؛ أهمّها:

- قلّة حرص الناسخ؛ ودليل ذلك أنّه قد يخطئ في إعجام كلمة في موضع ما من المخطوطة ثم هو يرسمها بصورة صحيحة في السطر التالي أو بعد أسطر قليلة...
- جلّ أخطاء النسخ التي مثّل بها القس «قشوع» على هذا الأمر لا تدلّ على خطأ في معرفة موضع النقاط وإنما هي مرتبطة بالضعف البين للناسخ في اللغة العربية؛ بدلالة أن شكل الكلمة الجديد الذي يحدثه الناسخ، لا معنى له في سياق الجملة؛ ومن أمثلة ذلك:
  - ✓ متى 3/8:ـ «اجعلوا الآن الاثمار التي تواقف (؟ توافق) التوبة».
  - ✓ متى 15/12:ـ «لما سمعوا هذه المقالة غضبوا وأفموا (؟أفحموا)».

- ✓ مـتى 16/24:ـ ((من أراد أن يتبعـني فليفكـر (؟ فليكفر) بنفسه)).229
- ✓ مـرقس 6/9:ـ ((لكن ليـتيلغوا (؟لاحـظ أنّ هـذه الكلمــة لا معــنى لهــا، كمــا أنّ اللام ســابقة للعين/الغين!) بالنعلين)).

وقد فسَّر القس ((قشوع)) سبب اختلاف الرسم أحيانًـا بـأمور بعيـدة لا تسـتقيم؛ إذ قـد علّـق على نص مـتى 7/29:ـ ((لأنه كان يعلّمهم كالمسلط وليس مثل الكهنة والأحبار)) بقوله إنّ كلمة ((الكهنة)) تعتبر قـراءة خاطئـة من الناسـخ لكلمــة ((كتبة)) بــزعم التشــابه بين (التــاء والباء) من جهة و(الهاء) في الجهة المقابلة، وهذا بعيد جدًا!!

ثانيا: تفســير أخطــاء الإعجــام بــالقول إنّ الأصــل لم يكن معجمًا إلاّ قليلاً، لا يستقيم مع إصابة الناسخ في إعجام جــل الكلمات.

ثالثا: وجــود مخطوطــات لا إعجــام فيهــا إلاّ قليلاً ثــابت في مخطوطــات ذات أهميّــة دينيّــة قصــوى عنــد المســلمين

229 الأصل السـرياني (ترجمـة البشـيطا والمخطوطـة الكورتونيـة- نص المخطوطة السينائية مفقود-) يقـرأ: (([illegible] [illegible])) (نِكفـور بنفشِـه) بنفس المعنى العربي المصحّح في المتن.

كمخطوطات للقرآن الكريم تعود إلى قرابة قرن بعد البعثة النبويّـة، بـل إنّ الإعجـام لم يسـتقر نظامـه إلاّ في النصـف الأول من القرن الهجري الأول، وبقي مع ذلك –كمـا يقـول- ((جونــدلر)) ((Gruendler)) المتخصــص في الخــط العــربي- ((انتقائيًا)) في القــرن الأول هجريًا[230]، ونحن نملــك اليــوم مخطوطات للقرآن الكريم تعود إلى القرنين الثاني والثالث هجريًا ليس فيها من الإعجـام إلّا القليـل؛ فليس في دعـوى أنّ أصل المخطوطة (Vat. Ar. 13) يغلب عليه ترك الإعجام، حجة لرده إلى زمن البعثة النبويّة أو ما قبلها.

رابعا: من (عجائب) هذا الباحث أنّه أثناء عرضه نتـائج بحثـه حول هذه المخطوطة، وعند ذكره لدلالة كون النص الأصلي لهــا كــان غــير معجم في أغلبــه؛ ادعى أنّــه من الممكن الاستنباط من ذلـك أنّ الأصـل قـد كتب في فـترة تمتـد من **النصـف الثـاني من القـرن السـادس** إلى **النصـف الثاني من القرن السابع**، وأضاف بين قوسين ((may be even early eighth century)) ((ربمـا حـتى **بدايـة القـرن الثـامن**)) [231] .. قلت: فـإذا كـان ذلـك كـذلك؛ فليس في

230 انظر؛ Beatrice Gruendler, '*Arabic Script*,' in Jane Dammen McAuliffe, eds. *Encyclopaedia of the Qur'an*, Leiden: Brill, 2001, 1/139

231 Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/163

مسألة الإعجام حجّـة لـردّ أصـل نص المخطوطـة إلى زمن البعثة النبويّة أو ما قبله!

إحدى مخطوطات القرآن الكريم
-صنعاء (القرن الثاني)-



ب-المعجم اللغوي لنص المخطوطة:

عمدة ما احتج بـه القس «قشـوع» للتـأريخ المبكّـر المـدعى لنص المخطوطة يكمن في معجمـه اللغـوي الـذي اسـتنبط

منه هذا الباحث أنّه يعود إلى القرن السادس أو بداية القرن السابع، وأنّه قد كتب في منطقة الحيرة في العراق.
ونحن وإن كنّا نعتقد أنّ نسبة نص المخطوطة إلى منطقة الحيرة في العراق يحمل شيئًا من الوجاهة لأنّ الرصيد المعجمي لهذا النص يخالف بصورة ملاحظة نصوص مخطوطات الأناجيل التي عُرّبت في فلسطين، إلا أنّنا نردّ مع ذلك التأريخ المبكّر لنص المخطوطة.. ولنا في هذا السياق وقفات:
وقفة أولى: من الممكن تفسير الاختلاف المعجمي بين هذه المخطوطة وعامة المخطوطات الأخرى بأمرين: اختلاف مكان التعريب (الشام/مصر/العراق)، واختلاف الأصل المترجم عنه؛ فمخطوطتنا معرّبة عن السريانية أمّا المخطوطة 72 –مثلاً- فهي معرّبة عن اليونانية كما هو ظاهر ومعترف به من القس «قشوع». فلا داعي إذن للزعم بوجود فاصل زمني كبير بين أصل كل من الترجمتين القديمتين!
وقفة ثانية: الأثر إسلامي: هذه النقطة هي الأهم، وهي أوضح المسالك التي تثبت وجود أثر إسلامي على الترجمة بما يؤكد أنها قد حُررت بعد الإسلام أو تثبت غياب آثار هذا التأثير بما يخرج هذه الآلية من رد الترجمة إلى العصر الإسلامي.
من الملاحظ هنا أنّ القس «قشوع» قد انتبه إلى أصل هذه الآلية، فقد عقد مبحثًا بعنوان: «*Qur'anic Influence?*» «تأثير قرآني ؟» لغرض النظر في إمكانيّة أن يكون القرآن الكريم

قد أثّر في المعجم اللغوي لنص المخطوطة، ولنا على منهج القس هنا ملاحظات:
الملاحظة الأولى: التأثير القرآني على الترجمات العربيّة الأولى التي صيغت في القرون الهجريّة الأولى ضعيف (عامة)؛ وبالتالي فليس بالإمكان بناء نتائج صلبة إذا كانت هذه الترجمة على المنهج العام بتنائيها عن لغة القرآن الكريم! وقد ذكر القس «قشوع» نفسه أنه يوافق من قال من الباحثين إنه لا يتصوّر الواحد أن يجد في نصوص الأناجيل «لغة عربيّة خاصة بالمسيحيين»!232
الملاحظة الثانية: ضيّق القس «قشوع» واسعًا عندما تحدّث عن (التأثير القرآني)؛ إذ الأولى أن يتحدّث عن التأثير الإسلامي عامة، والتأثير العربي الإسلامي خاصة على لغة هذا الإنجيل؛ إذ إنّ الغرض الأساسي من هذا المسلك هو البحث من خلال الألفاظ وخلفياتها عن زمن الصياغة؛ وبالتالي فالأصل أن تُوَسّع دائرة النظر لتشمل كامل العناصر المميّزة للبيئة الإسلاميّة؛ وهي أساسًا: القرآن الكريم، والسنة النبويّة، والعقيدة الإسلاميّة، والفقه الإسلامي، والأدب العربي بعد الإسلام، والبيئة السياسية والاقتصادية ... وسننحو نحن هذا المسلك في النظر لعلّنا نكتشف من ألفاظ هذه الترجمة وتراكيبها اللغويّة انعكاسًا للبيئة الإسلاميّة.
الملاحظة الثالثة: درس القس «قشوع» في هذا المبحث سبعة ألفاظ فقط:

232 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/16

(1) ((□□□□)) (يشوع) بمعنى ((يسوع))- (2)ـ ((□□□□□□)) (تلميدا) بمعنى ((تلاميذ))- (3)ـ ((□□□□□)) (يوحَنان) بمعنى ((يوحنا (المعمدان)))- (4)ـ ((□□□□)) (إلِيا) أي النبي ((إلياس)) عليه السلام- (5)ـ ((□□□□)) (يَونان) بمعنى النبي ((يونس)) عليه السلام -(6)ـ ((□□□□□)) (فرِيشا) أي ((الفريسيون))- (7) ((□□□□□)) (ناموسا) أي ((الناموس)) التشريعي. وقد استنبط منها غير دلالاتها المنطقيّة كما سيأتي تفصيله لاحقًا.

الملاحظة الرابعة: خلص القس ((قشوع)) في آخر هذا المبحث إلى أنّ الجماعة التي عُرِّب لها نص هذه المخطوطة ما كانت قد ألِفت اللغة السريانيّة ولا اليونانيّة .. وهذا زعم عريض ومغال في نكارته؛ لأنّه:

أ- لم يَثبت بأي دليل مادي أنّ النصارى العرب كانوا مستقلين لغويًا في النواحي العباديّة عن اللغات الأعجميّة الأرسخ منها صلة بالأسفار المقدسة؛ كاليونانية، والسريانية، والقبطية، واللاتينية .. كما أنهم كانوا من الناحية السياسيّة أتباعًا لأصحاب هذه اللغات[233]، علمًا أنّ لغة العهد الجديد يسيطر عليها (الاصطلاح الديني) بما يمنع من عزلها عن أصولها اليونانية أو ترجماتها العريقة.

233 انظر في الجرد الجغرافي-السياسي للنصارى العرب عند البعثة النبويّة وقبلها؛ سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها؛ من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بيروت: دار الطليعة، 1998م، ط2، ص 15-101،ـ 127-141 (على ما في الكتاب من ضعف في التحليل والنظر، وحتى الفهم!) -وهي أطروحة دكتوراه تحت إشراف ((هشام جعيط))!-.

ب- كــان نصــارى (الحــيرة) الــذين ينســب إليهم هــذا البــاحث هــذه الترجمــة العربيّــة، وثيقي الصــلة باللســان الســرياني، وفــكّ علاقتهم بهــذه اللغــة لا يقــوم لــه دليــل، كمــا أنّ (الحــيرة) كــانت مركــز النصرانيّة في العراق منذ القرن الخــامس، وكــانت فيها النصــرانيّة منظمــة ومتعــددة الألــوان العقديّــة، وقد كان العرب النصــارى فيهــا من قبائــل مختلفــة وهــو مــا يحــول دون اتفــاقهم على الجهــل بألفــاظ استقرّت في الثقافــة الدينيــة الشــعبيّة على صــورة مطّردة.[234]

نظرًا لقصور منهج القس «قشوع» في استنطاق (لغة) هذاه الترجمــة؛ فسنوسّــع نحن دائــرة النظــر –على المنهج الــذي سبق بيانــه-[235].. وســيفاجأ القــارئ –كمــا فوجئنــا- بــأنّ نص هذه المخطوطة مفصح بجلاء عن إسلاميّة عصره، وأســتبعد أن تكــون هنــاك مخطوطــة عربيــة من العصــور الإســلامية الأولى قــد كتبت بهــذه اللغــة الــتي تعلن جهــارًا عن بيئــة إسلاميّة اللسان .. بل أقول إنه يبدو أن من عرّب هذا النص هــو من **كــبراء أهــل الذمــة العــاملين عنــد الخلفــاء والمختلطين بخاصــة المســلمين من أهــل العلم والسياسة** .. وهنا ننقــل شــواهد ذلــك من خلال (كلمــات) دالــة على أنّ نص هــذه المخطوطــة قــد كتب بعــد نــزول القرآن الكريم، معتمدين على شروط هي:

---

234 انظر المصدر السابق، ص53-59

235 سندرس الجزء الخاص بالأناجيل دون الرسائل؛ لسـببين: أ- أن هـذا الباحث لم ينقـل لنـا نص الرسـائل. ب-زعمَ أن الرسـائل قـد عُـرِّبت في القرن الثامن من طرف معرِّبين غير الذين عرَّبوا الأناجيل!

- ✓ أن تكون من الكلمـات المتميَّزة بانتمائهـا إلى المعجم الإسلامي الديني والسياسي...
- ✓ ألا يكون لها مبرر من الترجمات السريانية –وهي التي كتبت بلسـان سـاميّ يوافـق في كثـير من الأحيـان اللسـان العـربي في هيكـل الكلمـات-؛ وذاك يظهـر أساسًا في تبديل معاني الألفاظ بصـورة لا يستسـيغها الأصل المترجم منه، أو بزيادة مقحمة على النص.
- ✓ أن تكون هذه الكلمات مع ذلـك غـير موجـودة أو غـير شائعة في المخطوطات العربيّة الأخرى؛ بما يؤكـد أنّ إقحامها ناتج عن سلطان البيئة الإسلامية. وهذا شرط التزمنـاه في كثـير من النمـاذج الآتيـة وليس كلّها[236]، ونحن ندلّل عليه بمقارنـة نص هـذه المخطوطـة بنص واحدة من أقدم المخطوطات، وهي مخطوطة سـيناء العربية 72.

1-(الله) اسم الجلالة: استعمل معـرّب هـذا النص اسـم الجلالة (الله) عند حديثه عن الربّ جل وعلا، ولئن كـان قـد شارك في ذلك جميع المخطوطات العربية المتاحة-بما فيها مخطوطة سيناء العربيّة 72- إلاّ أنّ ذلك في ذاته يرجّح كفة إسلاميّة بيئة هذا النص حيث يعتـبر هـذا اللفـظ هـو (الاسـم العَلَم) للربّ جل وعلا، ومن المستبعد ألاّ نجـد في أي مـرّة في نصٍ كُتب قبل الإسلام كلمة «ثيوس» اليونانيـة أو «ألاها» السريانية؛ فإنّ غياب بيئة مطلقة الولاء لهذا الاسم وارتباط المعـرّب بالأصـل اليونـاني للنص أو الترجمـة السـريانية المـترجم عنها؛ يسـتحثان المعـرّب إلى إظهـار معـالم من

236 لأنّ الترجمات العربية الأخرى هي أيضًا قد أنجزت في بيئة إسلاميّة.

الحـــرف الأصـــلي أو المـــترجم عنـــه، وهـــذه قضـــيّة ثابتـــة بالاســـتقراء تظهـــر خاصـــة في رســـم أســـماء الأعلام، وهي ظاهرة ثقافيـة/لسـانيّة معروفـة ناتجـة عن محاولـة الكـاتب التوفيق بين الأصل المترجم عنه والبيئة المترجمة فيها.

2-**الإيمان بالله ورسله ووعـده ووعيـده**: مـتى 23/23:ـ «... ورفضتم شرايع السنّة وشرفها وما أمـرت بـه العــدل والــبر والتحنن والرأفــة والإيمــان **باللــه ورســله ووعـــده ووعيـــده...**» .. هي ألفـــاظ متتاليـــة ذات رنين إسلامي، علمًا أنّ مقطـع (اللـه ورسـله ووعـده ووعيـده) لا وجود له في الأصل اليوناني والترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسـينائية)، وقـد أضـافه المعـرّب من كيسـه؛ تـأثرًا بـالمعجم الـديني الإسـلامي حيث يتكـرر الاقـتران بين (الإيمان بالله) و(الإيمان برسله) وهو ما لا نجد له مكانًا في الخطـاب اللاهـوتي الكنسـي حيث الإيمـان بالرسـل **ليس على رأس الخطــاب الــديني وإنمــا هــو (الإيمــان بالآب والابن وروح القدس) ..**

{ فَـآمِنُواْ بِاللّـهِ وَرُسُـلِهِ وَإِن تُؤْمِنُـواْ وَتَتَّقُـواْ فَلَكُمْ أَجْـرٌ عَظِيم}237

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُـرُونَ بِاللّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيُرِيـدُونَ أَن يُفَرِّقُـواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا}238

237 سورة آل عمران/ الآية (179)
238 سورة النساء/ الآية (150)

{فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلا}239

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيم}240

{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم}241

كما أنّ مصطلح (الوعد والوعيد) قد تكرّر في الجدل الكلامي المبكّر بصورة واسعة بين الفرق الإسلاميّة، بل هو **مبحث عقدي كامل بهذا الاسم** في كتب العقائد والفرق الإسلاميّة منذ القرون الهجريّة الأولى!242

3-**الله تبارك وتعالى:** متى 15/4: استعمل المعرّب عبارة ثلاثيّة لا ريب في مستقاها الإسلامي، دون فاصل بينها: (1) الله (2) تبارك (3) وتعالى: «لأنّ الله **تبارك وتعالى** قال أكرم أباك وأمك...»، وجاء أيضًا في متى 22/32: «**والله تبارك وتعالى اسمه** ليس بـرب للأموات»؛ فصارت رباعيّة إسلاميّة؛ وهي زيادات لا أصل لها

239 سورة النساء/ الآية (171)
240 سورة الحديد/ الآية (19)
241 سورة الحديد/ الآية (21)
242 انظر مثلاً أهم كتاب إسلامي مبكّر في الفرق والعقائد «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ت/ محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، 2/339) حيث خص الإمام «ابن حزم» (383هـ-456هـ/ 994م-1064م) هذا الموضوع بمبحث خاص، بدأه بقوله: «اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقولٍ...»

في النص اليوناني والترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية).

4-حمدوا الله وسبحوه: متى 9/8:- ((وحمدوا الله وسبحوه إذ أعطى البشر مثل هذا السلطان والقدرة)). ذكرت الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) التسبيح فقط، أما التحميد فمن كيس المعرّب المتأثّر باللسان الإسلامي حيث يرتبط التسبيح بالتحميد.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}243

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}244

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين}245

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}246

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا}247

243 سورة البقرة/ الآية (30)
244 سورة الرعد/ الآية (13)
245 سورة الحِجر/ الآية (98)
246 سورة الإسراء/ الآية (44)
247 سورة الفرقان/ الآية (58)

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون}[248]
{وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}[249]
{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب}...[250]
ومن دعاء المسلم في أذكاره التي جاءت في السنّة النبويّة: ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)) و((سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))...

5-الملائكة المقربون: متى 13/39، متى 24/31: استعمل المعرّب هنا عبارة قرآنية وهي: (الملايكه المقربون)؛ قال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا}[251]، علمًا أنّ كلمة (المقربون) لا أصل لها في النص اليوناني والبشيطا والسينائية[252]، ولم يستعملها صاحب ترجمة مخطوطة سيناء العربية 72!

6-الشيطان الرجيم: متى 13/39: استعملَ المعرّب تعبير (الشيطان الرجيم)؛ وهو تعبير إسلامي خالص. ترجمة البشيطا السريانية تقول (□□□□) (ساطانا) أي (الشيطان)،

248 سورة السجدة/ الآية (15)
249 سورة الزُّمَر/ الآية (75)
250 سورة ق/ الآية (39)
251 سورة النساء/ الآية (172)
252 المقطع الذي يضم هذا النص مفقود من المخطوطة الكورتونية.

وهي -(الشيطان)-الكلمة التي استعملتها مخطوطة سيناء العربية 72. المخطوطتان: الكورتونية والسينائية اعتمدتا كلمة ((□□□□)) (بِيشا) أي ((الشرير)) مكان كلمة ((الشيطان)) الواردة في البشيطا .. أمّا (الرجيم) فهي عبارة إسلاميّة المشرَب زائدة عن أصل النص، وهي إضافة من المعرّب المتأثر باقتران كلمة (شيطان) بكلمة (رجيم) في المعجم الديني الإسلامي النابع من آي القرآن الكريم:

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[253]

{وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ}[254]

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}[255]

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[256]

{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ}[257]

7-الحواريون: استعمل معرّب هذه الأناجيل خمسة ألفاظ للدلالة على حواريي المسيح: (1) (أربا) (2) و(أردا) (3) و(أوليا) (4) و(تلاميذ) (5) و(الحواريون) .. وقد اعترف

---

253 سورة آل عمران/ الآية (36)
254 سورة الحِجر/ الآية (17)
255 سورة الحِجر/ الآية (34)، وسورة ص/ الآية (77)
256 سورة النحل/ الآية (98)
257 سورة التكوير/ الآية (25)

القس «قشوع» أنّ لفظة «الحواريـون» مـأخوذة من القـرآن الكريم[258]، لكنه عـزا ذلـك إلى أنّ نسّـاخ هـذه المخطوطـة هم الذين أقحمـوا هـذه اللفظـة في الترجمـة (!)، ولم يجـد دليلاً على ذلــك غــير أنّ لفظــة «أربا» قــد وردت أكــثر من خمســين مــرة في نص الأناجيــل في حين وردت كلمــة «الحواريون» 16 مرّة فقط!

(انتقائية) هذا الباحث غير مبرّرة علميًا؛ إذ إنّه:

1- لم تكن من عادة نسّاخ المخطوطـات إدخـال الألفـاظ الإسلاميّة، خاصـة أنّ النسـخ كـان يتـولاّه الرهبـان في أديـرتهم المنعزلـة عن المسـلمين. وقـد اعـترف هـذا الباحث نفسه أنّ الترجمات العربيّة التي كانت توافــق القرآن في لغته كانت تُهمل ولا تُستنسخ![259]

2- كــان الأولى بمن أراد أن يغيّــر العبــارة الدالــة على (التلاميذ) من (أربـا) إلى ألفـاظ أخـرى ألاّ يُبقي كلمـة «أربا» في النص، وأن يحافـــظ فقـــط على كلمـــة (تلاميذ)؛ فهي الكلمـة السـائرة على ألسـن النصـارى العــرب تحت الحكم الإســلامي، وهي المضــمنة في الترجمات العربيّة لذاك الزمـان، وهي أيضًـا الموافقـة لغة للأصل اليوناني «μαθηται»، والموافقة من نــاحيتي المعنى والفونولوجيا للكلمـة السـريانية المضـمنة في المخطوطات السريانية «□□□□□» (تَلميدا)!

258 زعم أنّ ناسخ المخطوطة قـد أقحم كلمـة «التلاميذ» تـأثرًا بالأصـل السرياني!

259 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/18

3- يرى القس «قشوع» أنّ كلمة «أربا» قد أضحت غير مفهومة في البيئة التي نسخت فيها هذه الترجمة؛ وجعل ذلك حجّة على رد هذه الترجمة إلى القرن السابع أو ما قبله، رغم أنّ محافظة الناسخ عليها حجة في الأصل لمعرفته معناها. ومن (العجيب) أنّ المخطوطة (B. O. 430) التي يرى القس «قشوع» أنّها تعود في الأصل إلى (Vat. Ar. 13) نفسها، لم تبقِ على غير كلمة «التلاميذ» .. فلِمَ غاير بين منهج ناسخ (Vat. Ar. 13) ومنهج ناسخ (B. O. 430)؟!

إنّ من أبرز آفات عمل هذا القس؛ (العجلة)؛ فهو (يقفز) إلى النتائج دون تقليب الأمر على أوجهه المحتملة، وأحيانًا دون النظر في أرجح الاحتمالات أو حتى الحل الواضح المحكم؛ فمن ذلك أنّه كان بإمكانه أن يصل إلى معنى «أربا» التي حار في مبناها ومعناها وقال إنّها من (عتيق) اللغة العربيّة التي أصبحت مجهولة المعنى في القرن التاسع مما اضطر الناسخ إلى أن يضع مكانها في مواضع من المخطوطة كلمة «الحواريين»، بالبحث عن مفردها في نص المخطوطة، ولو فعل لوجد أنّ كلمة «تلميذ» قد وردت في صيغة المفرد في الأصل اليوناني في مساحة الجزء المحفوظ من الأناجيل في المخطوطة، في أربعة مواضع:
متى 10/24: «مع أنه ليس ربيب ولا تلميذ أفضل من مؤدبه ومعلمه ولا عبد أفضل من سيده». هذا نص مهم جدًا لأنّ المعرّب استعمل فيه المترادفات مخالفًا الأصل السرياني المترجم عنه:

أ- نصّ البشـيطا والسـينائية[260] يضـمّ كلمـة واحـدة: «□□□□□» (تَلميـدا)، في حين اسـتعمل المعـربّ كلمتين: «ربيب» و«تلميذ».

ب- نصّ البشيطا والسينائية[261] يضمّ كلمة «□□□» (رَبِه) أي «ربِّه» واسـتعملت الترجمـة الحرقليّـة كلمـة «□□□□□» (مَلفانا) أي «المعلّم» في موافقة للأصـل اليوناني الذي اعتمـد كلمة «τον διδασκαλον»، في حين اسـتعمل المعـرّب كلمـتين اثنـتين: «مـؤدب» و«معلّم» .. وهذا ما يؤكّد قصد المعرّب أن يستعمل كلمتين مترادفتين لمعنى واحد.

متى 10/25: حذفت المخطوطة المقطع الـذي يضـم كلمـة «تلميذ»: «يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه، والعبد كسيده» .
لوقا 6/40: «لا ربيب أفضل ممن (كذا) مودبه».
متى 10/42:ـ «وكل من سقا احد هاولي الصـغار المومـنين بي شربه مـا قـراح قـط باسـم ردا من ارادييـ الحـق أقـول لكم ان ثوابه لا [يتيه/يبيد] ولا ينقطع».
النتيجة:

(1) (أربا) جمع (ربيب).
(2) أردا جمع رِدء -إذ ليس في نص هـذه المخطوطـات همزات-.[262]

---

260 المقطع مفقود من المخطوطة الكورتونية.
261 المقطع مفقود من المخطوطة الكورتونية.
262 أثبتت مـع ذلـك الهمـزات في نقلي من المخطوطـة في المواضـع الأخرى.

كلمـة «أربا» –إذن- ليسـت كلمـة (عتيقـة) صـارت مجهولـة المعنى في القرن التاسع كمـا يـزعم القس، وإنّمـا هي من مـألوف اللغـة، ولا يشـغّب على هـذا التفسـير أنّ الجمـع المستعمل لهذه الكلمة في مخطوطتنـا هـو: «أربـاي»؛ فـإنّ الأخطاء الكثـيرة في النحـو والصـرف والرسـم فيهـا لتكفي لتفسير ذلك، كما يُفسّر هيكل هذا الجمـع بـأنّ المعـرّب قـد جعله على نفس هيكل «أردا» و«أوليا» بختم الكلمة بالألف لا الباء.

كما أنّ استعمال المعـرّب لكلمـة «ربيب» في مقابـل كلمـة «تلميذ» يفسِّر لنا استعماله لكلمات أخـرى لا تطـابق حرفيًـا معـــنى كلمـــة «تلميذ»؛ فـــ «الأردا» هي «الأرداء» –لغيـــاب الهمـزات في نص المخطوطـة- جمـع «الـرِدء» أي المعين والنصير، و«الأوليا» هم «الأوليـاء» جمـع «ولي» أي النصـير .. وهـو مسـلك مطّـرد من المعـرّب في تعاملـه مـع الأصـل السرياني؛ فـإنّ نص هـذه المخطوطـة كمـا وصـفه النقّـاد - وأقرّهم على ذلك القس «قشوع»- هـو «ترجمـة حـرّة» «free translation»[263].

أمّا لـو تركنـا معـنى «أربا» كمـا شـرحه صـاحب النصّ ذاتـه؛ وبحثنا عن معناه خارج ذلك؛ فإننا سنصل إلى ما اقترب منه القس وهو أنّ هذه الكلمة توافـق كلمـة «الربيـون» الـواردة في قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَـا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَـعُفُواْ وَمَـا اسْـتَكَانُواْ

---

263 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/135, 147

وَاللّـهُ يُحِبُّ الصَّـابِرِين}264؛ فقـد أخـرج الإمـام «الطـبري» بإسناد صحيح عن «عمـر بن محمد بن زيـد بن عبـد اللـه بن عمر بن الخطاب» المتـوفى في النصـف الثـاني من القـرن الثـامن (767م)265 قولــه إنّ الربــيين هم: «الأتبــاع»266؛ وهكـذا تكـون كلمـة «أربـا/ء» مرادفـة لغـة لكلمـة «تلاميذ»؛ ويكون صاحب الترجمة متأثرًا باللسان القرآني كما هو ثابت في مواضع أخر كثيرة كما سيأتي بيانه، وتكون هذه الكلمــة معروفـــة المعـــنى في زمن قـــريب من كتابـــة نســـخة مخطوطتنا، قاطعين تـردد القس «قشـوع» الـذي لم يعـرف صاحب هذا التفسير فقال إنه من القرن الثامن وربمـا قبـل ذلك!!267؛ وهو ما يذهب بدلالة هذه الكلمـة (العتيقـة) على أنّها من الكلِم العربي المتداول قبل الإسلام لا بعده!

---

264 سورة آل عمران/ الآية (146)

265 انظر؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 21/499

266 قال «الطبري»: «حدثني يونس، قال: أخبرنـا ابن وهب، قـال: قـال ابن زيـد فـي قولـه: «وكـأيِّنْ مِنْ نَبِـيّ قُتِـلَ مَعَـهُ رِبِّـيُّونَ كَثِـيرٌ» قـال: الربـيون: الأتبـاع» (الطبري، جامع البيـان في تأويـل القـرآن، بـيروت: دار الفكر، 1405ه، 4/119)، وقد نقل القس «قشوع» هذا الإسـناد ثم قـال: «لا ندري من هو «ابن زيد» » (1/155)!! فلم يكلّف نفسه عناء النظر، أو لعلّه-وهو الأرجح- لا يعرف سبيل ذلـك، ودليلـه أنّـه بحث فقـط في اسـم «ابن وهب»؛ وذلـــك لأنّ اســـمه موجـــود في «موســـوعة الإســـلام» الاستشـراقيّة (!!)؛ وهـذا أمـر (عجيب) من رجـل يكلّـف نفسـه دراسـة موضوع وثيق الصلة بالإسلام وبيئته وتاريخ رجاله؛ ثم هو لا يعرف مصــادر علوم الرجال؛ ويلتجئ إلى موسوعة استشـراقيّة عامـة المواضـيع للبحث في رجــال أســانيد الأحــاديث، رغم أنّ الــذي يُبحث عنــه قــد روى لــه «البخاري» و«مسلم» ، والكتب الخاصة برجال الصحيحين، وبالكتب الستة عامة، مشهورة، مبذولة للقرّاء!؟

267 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/55

وأخيرًا نقول: لقد استعملت عائلة المخطوطات (ل) كلمة «أربا» بمعنى «تلاميذ»[268]؛ وقد أقرّ القس «قشوع» أنّ هذه العائلة من المخطوطات كانت هي السائدة في الشرق منذ القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر[269]؛ وهو ما يظهر أنّ هذه الكلمة كانت مدركة المعنى عند النصارى العرب بعد الإسلام لقرون؛ ولا يُردّ ذلك بدعوى القس أنّ هذه العائلة تعود في أصلها إلى مخطوطتنا (Vat. Ar. 13)؛ وذلك لسببين:

السبب الأوّل: القس «قشوع» نفسه لم يستطع أن يجزم بالعلاقة بينهما؛ فقد قال عن عائلة المخطوطات (ل): «مصدرها العربي من الممكن أن يكون العائلة (ه) *270*أو نص مماثل للعائلة (ه)» «Its Arabic source could possibly be family *h* or a similar text to family *h*»؛ وهذا مسلك (الظنّ المجرّد) الذي لا تقوم به حجّة.

السبب الثاني: لماذا لم يقم ناسخو مخطوطات العائلة (ل) بحذف كلمة «أربا» تمامًا إذا كانت غير مفهومة في زمانهم؛ خاصة أنّ نص هذه العائلة قد روجع وغيّر من الناحيّة اللغويّة بصورة كبيرة جدًا حتى غدا من شبه المستحيل معرفة علاقته بالصورة الأصل التي نُسِخ عنها –باعتراف القس «قشوع» نفسه[271]-؟!

268 قد علمنا هذا الأمر من النماذج التي عرضها القس نفسه (انظر؛ 2/594)

269 انظر المصدر السابق؛ 1/378

270 العائلة (*h*) هي نفسها مخطوطتنا (Vat. Ar. 13).

271 انظر المصدر السابق؛ 1/213

8-الياسين: استعمل معرّب نص المخطوطة في حديثه عن النبي «إليـاس» -والـذي هـو في العهـد القـديم «**אליהו**» (إيليّاهو)، وفي الأصل اليوناني للأناجيـل «Ηλιας» ـ «إيليـاس»، وفي السـريانية: «□□□□» (إلِيـا)، و«□□□□□» (إليـاس)[272] – أكثر من كلمة:

الاسم	إيلياس	إيليا	إليا	إلياسين
عـــــدد المرات	2	1	6	11

وردت عبـارة (إل ياسـين) في سـورة الصـافات في سـياق الحديث عن النبي «إلياس» عليه السـلام؛ وأعقب اسـم «إل ياسين» السلام عليه، وذاك لا يكـون إلاّ لنـبي: {وَإِنَّ إِلْيَـاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِين إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُون أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَـنَ الْخَـالِقِين وَاللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَـائِكُمُ الأَوَّلِين فَكَـذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُون إِلاَّ عِبَـادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِـين وَتَرَكْنَـا عَلَيْـهِ فِي الآَخِرِين سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِين}. [273]

وقد قال الإمام الطبري: «واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: {سَـلاَمٌ عَلــى إِلْــياسِينَ}؛ فقرأتـه **عامـة قـرّاء مكـة والبصـرة والكوفة**: {سَـلاَمٌ عَلــى **إِلْــياسِينَ**} بكسـر الألف من إلـياسين؛ فكان بعضهم يقول: هـو اسـم إلــياس، ويقول: إنه كان يُسمى بـاسمين: إلــياس، وإلــياسين، مثـل

---

272 انظر في استعمال «□□□□□» (إلياس)؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur’an, p.68*

273 سورة الصافات/ الآيات (123-130)

إبراهيـم، وإبراهام، يُستشهد علـى ذلك أن ذلـك كـذلك بـأن جميع ما فـي السورة من قوله: {سَلامٌ} فإنـه سـلام علــى النبـيّ الذي ذكر دون آله، فكذلك إلـياسين، إنـما هـو سـلام علـــى إلـــياس دون آلـــه.»274، ولا يعــرف هــذا الاســم في اليونانيّـة ولا في الترجمـات السـريانيّة؛ بمـا يقطـع بأصـله القرآني.

لا نجـد كلمـة «إلياسـين» في أي من المخطوطـات العربيّـة الأخرى؛ وهو ما جعل القس «قشوع» يدّعي أنّ هذه الكلمــة كـانت معروفـة بين النصـارى العـرب في القـرن السـادس لكنّها أصبحت مجهولة المعنى في القرن السـابع مـع مجيء الإسلام!275

الإشــكال في هــذا المنطــق الــذي يسـيطر على منهج هــذا الباحث في الاستدلال هو انطلاقه إلى الفروض البعيدة التي تستدعي من الأسـئلة أكـثر ممـا تقـدم من إجابـات، مـع أنّ الجواب المنطقي قريب منه، دان من يده ..

منطقة «الحِيرة» كانت ذات لسان سرياني، والقول باعتمـاد القبائـل العربيّـة النصـرانيّة الـتي كـانت تعيش هنـاك اسـم «إلياسين» كاسم للنـبي «إليـاس» عليـه السـلام رغم أنّ كـل الترجمـات السـريانيّة لا تعـرف هـذا الاسـم ولا حـتى الآبـاء السريان الذين عاشوا في القرنين الخامس والسادس -كما هو ظاهر من كتاباتهم-276، لا ينتهض؛ لأنه لا دليل عليه، في حين أنّه بين أيدينا دليل مادي حيّ على إسلاميّة هذه الكلمة

274 الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 23/94-95

275 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/158-159

بورودها في القرآن الكريم؛ فكيف نترك الدليل المادي الملموس إلى مجرّد (توهّمات) بعيدة يزيدها وهاءً أنّ المسلمين الأوائل ما كانوا يعرفون أنّ هذا الاسم هو من أسماء «إلياس» عليه السلام إلاّ من خلال فهمهم لسياقات القرآن الكريم ذاته وليس من خلال الثقافة الخارجيّة!

لقد كان نصارى الحيرة تحت الحكم الإسلامي على اتصال بمصادر المعرفة الإسلاميّة، ولا أدلّ على ذلك من أنّ «ثيودور أبي قرّة» الذي كان أحد أبرز من كتبوا في الجدل الدفاعي النصراني المبكّر ضد الإسلام، قد كان في فترة من حياته مطرانًا لطائفة الملكانية في الحيرة في آخر القرن الثامن وبداية التاسع (795م-812م)، وقد كان يقتبس في كتاباته من القرآن ويشير إلى المفاهيم والعادات الإسلاميّة بوضوح، وقد كان يفعل ذلك حتى في بعض مؤلفاته الخاصة بالأمور النصرانيّة البحتة![277]

9- الجمل من سم الخياط: متى 24/19:ـ «لدخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الغني ملكوت الله»

.. عبارة «سم الخياط» مطابقة –عن غير صدفة- للتعبير القرآني: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

276 لم يُحل أي من المستشرقين إلى أصل سرياني لهذه الكلمة رغم حرصهم على رد الألفاظ القرآنية إلى أصول أعجميّة، وقد سألت -مراسلة- البروفسور «سيبستيان بروك» إمام الدراسات السريانية اليوم-، فجزم أنّه لم ير البتة هذا الاسم في المؤلّفات السريانيّة.

277 انظر؛ Sidney H. Griffith, ‘Theodore Abū Qurrah's Arabic Tract on the Christian Practice of Venerating Images,’ in *Journal of the American Oriental Society*, Vol. 105, No. 1 (Jan. - Mar., 1985), p. 65

الْخِيَـاطِ وَكَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُجْـرِمِين}278 .. أصـل الصـورة الذهنية موجود في الأصل اليونـاني والترجمـات السـريانية، وذاك لا يلغي دلالـة هـذا التطـابق اللفظي على النقـل من النص القـرآني، وممـا يؤكـد هـذه الاسـتنباط أنّ مخطوطـة سيناء 72 تنقل النص على صورة بعيدة عن مطابقة اللفـظ القرآني: «أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة»!

10-أكمه: متى 9/27: استعمل المعرّب كلمـة (أكمهـان) في مقام الحديث عن رد المسيح البصر لرجلين بهما عمى، وجـاءت هـذه الكلمـة في صـيغة الجمـع: (الكمـه) في مـتى 11/5، وفي متى 12/22 (أكمه) في المفرد ... والأكمه هـو من ولد أعمى، وقد جاء وصف المسيح في القـرآن الكـريم أنه يبرئ (الأكمه) لا (الأعمى): {وَرَسُـولاً إِلَى بَنِي إِسْـرَائِيلَ أَنِّي قَــدْ جِئْتُكُم بِآيَــةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُــقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْـرِ فَـأَنفُخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَيْـرًا بِـإِذْنِ اللّـهِ وَأُبْـرِىءُ الأكْمَـهَ والأَبْـرَصَ وَأُحْيِــي الْمَــوْتَى بِـإِذْنِ اللّـهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَـا تَأْكُلُونَ وَمَـا تَـدَّخِرُونَ فِي بُيُـوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لآيَـةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}279.. ونحن لا نجد سندًا من الأصـل اليونـاني أو الأصـل السـرياني المـترجم عنـه، لهـذه الكلمـة، كمـا أنّ مخطوطة سيناء العربية 72 لا تعرفها حيث استعملت كلمـة (أعمى).. ولا يبقى إلاّ أن يكــون هــو النقــل عن القــرآن الكريم.

11- أخدود: متى 13/42:ـ «ويلقونهم في أخـدود من نـار يضـطرم» .. من المهم أن نلاحـظ أنّ الترجمـات السـريانية

278 سورة الأعراف/ الآية (40)
279 سورة آل عمران/ الآية (49)

(البشـيطا والكورتونيـة والسـينائية) تسـتعمل هنـا كلمـة (□□□□□ □□□□□) (أتونـا دنـورا) أي (أتـون نـار)[280]، ومن عادة معرّب نص المخطوطـة الـتي نحن بصـدد دراسـتها أن يحافظ على الصـيغة السـريانية إذا كـان لهـا مقابـل يشـابه بناءها الصوتي في اللغة العربيّة، غير أنه خالف هنا الترجمة السريانيّة ليستعمل كلمة (الأخـدود) الـتي أخـذها –بلا ريب- من سورة البروج القرآنيّة التي تـذكر التعـذيب (بالنـار) في (الأخدود): {قُتِـلَ أَصْـحَابُ الأُخْـدُود النَّارِ ذَاتِ الْوَقُـود إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُود وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُود}[281]. وقد تكرر نفس الأمر في متى 13/50، علمًـا أن نص مخطوطـة سيناء العربية 72 قد استعمل عبارة (قـامين النـار)، وكلمـة (قـامين) تعـني (أتـون)، وهي مسـتعملة في كتابـات رجـال الكنيسة القدماء الذين كتبوا بالحرف العربي كالأنبا «بـولس البوشي» (ولد:1170م) في تفسيره لسفر الرؤيا...[282]

12-العامل-الوالي: متى 27/2: «فأوثقوه وانطلقوا به فدفعوه إلى فيلاطس العامل»... تكرّر وصف «بيلاطس» بأنّ وظيفتـه: «عامل»، في مقابـل كلمـة «□□□□□□» (هِجمُونـا) الـواردة في الترجمـات السـريانية (البشـيطا والكورتونيـة والسينائية) والتي هي نقل صوتي للأصل اليوناني «ηγεμονι» (هِجموني) الذي يعني (حاكم) في الإمبراطوريـة الرومانيـة. ومعلـوم أنّ مصـطلح «العامل» هـو مصـطلح إسـلامي كـان

---

280 هو نفس معنى الأصل اليوناني.
281 سورة البروج/ الآيات (4-7)
282 التفسير موجود على النت:
http://www.stmacariusmonastery.org/st_mark/sm020808.htm

يطلـق على حكّـام المقاطعـات الإسـلاميّة الكـبرى؛ فيقـال: (عامل الخليفة على مصر) و(عامل الخليفة على الشام)!

واستعمل المعرّب في متى 8/13 كلمـة (والي) في مقابـل الكلمة اليونانية (εκατονταρχη) التي تعني (قائد المئة) وهو موظف رسمي في الجيش الرومـاني يقـود في الأغلب 83 جنـديًا، وإن كـان اللقب يرفـع الـرقم إلى مئـة. وقـد جـاءت الكلمـة السـريانية «ܩܢܛܪܘܢܐ» (قِنطرونـا)[283] في البشـيطا والمخطوطـة الكورتونيـة نقلاً صـوتيًا للكلمـة اليونانيـة (أو مقابلها اللاتيـني)، أمّـا المخطوطـة السـينائية فقـد اختـارت كلمـة «ܟܠܝܪܟܐ» (كِلِيَركـا) الـتي هي نقـل صـوتي للكلمـة اليونانية «χιλιαρχος» التي تعني (قائد ألف)، وهي لقب قائـد الوحدة العسكرية التي تضم ألف رجل!!

كلمـة (والي) لا أصـل لهـا في النص اليونـاني والترجمـات السـريانية، ولا تلتقي معهمـا معـنى، وإنمـا هي من المعجم العربي الإسـلامي حيث –أيضًـا- لم يكن هنـاك (قائـد مئـة). وقـد جـاءت عبـارة (قايـد المايـة) في هـذا الموضـع من مخطوطة سيناء العربية 72.

13-صـاحب الاسـتخراج: جـاء في مـتى 5/25: «والقاضـي يـدفعك إلى صـاحب الاسـتخراج» .. مصـطلح (صاحب الاستخراج) كان مستعملاً أيام الحكم الإسلامي في القـرون الهجريّـة الأولى -على الأقـل-؛ ودليـل ذلـك قـول «الجاحظ» (150هـ-255هـ/781م-869م) في كتابه «البيـان والتبـيين» في حديثـه عن «ابن المقفع» (106هـ- 142هـ / 724م - 759 م): «وأما عبد الله بن المقفـع فـإنّ **صـاحب**

283 اختارت الترجمة الحرقلية ترجمة معنى الكلمة اليونانية: (رأس/قائد مئة) (ܪܝܫ ܡܐܐ).

الاستخراج لما ألحّ عليه في العذاب، قال لصاحب الاستخراج: أعندك مال وأنا أربحك ربحاً ترضاه؟» [284].. وقد عرّف الشيخ «عبد السلام هارون» محقّق الكتاب (صاحب الاستخراج) بأنّه: «الموكّل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء والكتاب والولاة وجباة الخراج. وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه الأموال...» [285] .. وهذا ما يقطع أنّ عبارة (صاحب الاستخراج) قد خرجت من بيئة تحكمها الدولة الإسلاميّة، وقد استعملها الكاتب في مقابل كلمة (جابي) «□□□□» (جبايا) الواردة في البشيطا والكورتونية[286]، ورغم أنّ كلمة (جابي) هي الأولى أن تكون في هذا المقام لأنها من مشترك اللغتين العربية والسريانية من ناحيتي اللفظ والمعنى إلاّ أن مُعرِّب النص قد غلبه تأثّره بالبيئة الواقعة تحت سلطان الدولة الإسلاميّة والسمعة المخيفة لمن يجمع مال الدولة فيها؛ فأخذ بكلمة (صاحب الاستخراج).

14-الأحبار: استعمل المعرّب كلمة (الأحبار) مقابل كلمة (الفريسيون)[287] دون سند من مقابل سرياني حيث كلمة:

---

284 الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ، 1998م، ط7، ت/عبد السلام هارون، 2/166-167

285 المصدر السابق، ص 166

286 ابتعدت الترجمة الحرقلية –التي أنتهى من إعدادها «توما الحرقلي» «Thomas of Harkel» سنة 616م-عن المعنى الأصلي باعتمادها هنا كلمة «□□□□□□» (مشَمشانا) أي (خادم)! أمّا المخطوطة السينائيّة فقد حذفت هذا المقطع.

287 وردت كلمة (الفريسانيون) مرة واحدة فقط مكان (الأحبار) (متى 16/1)، وفي متى 19/3 جاء النص (الأحبار الفريسانيون)، وفي أصالة النص الثاني شك كما يقول القس «قشوع».

«□□□□□» (فريشـــا) في الترجمــات الســـريانية (البشـــيطا والكورتونية والسينائية) ولا سـند من الأصـل اليونـاني حيث كلمــة: «φαρισαιοι» (فَريســيوي)، وإنمــا هــو التــأثّر بالبيئــة الإســـلاميّة الـــتي مـــا كـــانت تعـــرف (الفريســـيين) أو (الصدوقيين)[288] وتكتفي بتسـمية كـبراء اليهـود: (الأحبـار). علمًا أنّ القس «قشوع» قد اعترف أنّ المخطوطات العربيّة الأخرى تستعمل كلمة (الفريسيون) لا (الأحبار) للدلالة على الفريسيين.[289]

وقــد قــال القس «قشــوع» في محاولتــه التملّص من الأثــر الإسلامي البادي هنا: «ليس من الممكن معرفة إن كان نص مخطوطـة (Vat. Ar. 13) قـد تـأثّر بـالقرآن. من الممكن أن يكـون تعبـير «الأحبـار» قـد اسـتعمل في البلاد العربيّـة قبـل ظهور الإسلام للإشارة إلى الفريسـيين.»[290] .. وهـو منطـق (منكوس) في استحضار الأدلة؛ ويُعترض عليه من وجهين:

الوجه الأول: البيئة الإسلاميّة أقرب صلة بهذا النص من بيئة ما قبل الإسلام؛ إذ إنّ ربط الترجمات العربيّة للأناجيل ببيئـة الإسلام هو الأصل عند جميع النقّاد، ولا يُنتقل إلى غـير ذلـك إلاّ بدليل!

الوجه الثاني: وَصْل هـذا التعبـير بالبيئـة الإسـلامية أولى من وصله ببيئـة قبـل الإسـلام؛ لأنّ البيئـة الإسـلاميّة الصـرفة لا تعـرف (الفريسـيين) وغـيرهم من اليهـود؛ وإنمـا تحيـل إلى اليهود بكبرائهم في كثير من الأحيان: (الأحبار)، في حين أنّ

---

288 فرقتان من فرق اليهود.

289 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/160

290 المصدر السابق، 1/169

البيئة النصرانيّة -أينما كانت- موصولة بالقوالب الصوتية المضمّنة في النصوص المترجم عنها.

15-**الربانيون**: مرقس10/2:ـ «فدنا الربانيون فجعلوا يمتحنونه ...». لا يوجد مبرّر لغوي لاستعمال كلمة «الربانيون» مقابل الأصل اليوناني وترجمة البشيطا[291] حيث كلمة «الفرِّيسيون». ولا يبدو أنّ هناك مصدر آخر غير القرآن الكريم لكلمة «الربانيون» هنا؛ إذ قد استُعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى (علماء اليهود) -على الأرجح[292]-:

{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُون}[293]

{لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُون}[294]

291 الجزء الذي فيه هذا النص من المخطوطة الكورتونية مفقود، أما المخطوطة السينائية فلا تضم كلمة «الفريسيون» هنا والسائل فيها هم (الجموع) الوارد ذكرها في العدد السابق.

292 قال «ابن عطيّة» في تفسيره: «{الربانيون} عطف على "النبيين" أي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء، وفي البخاري قال: "الرباني" الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل: "الرباني" منسوب إلى الرب أي عنده العلم به وبدينه، وزيدت النون في "رباني" مبالغة كما قالوا: منظراني، ومخبراني، وفي عظيم الرقبة: رقباني» (ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت/عبد السلام محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422ه، 2001م ، 2/195)

293 سورة المائدة/ الآية (44)

294 سورة المائدة/ الآية (63)

16-الفقهاء: متى 11/25: استعمل المعرّب كلمة (الفقها) في سياق الحديث عن كبراء أهل العلم: «.. وقال اشكر لك يابت رب السماوات والارض اذ اخفيت هذه الامور عن الحكما **والفقها** والفهما واعلنتها للاطفال والوِلدان»، وهي عبارة عربيّة إسلاميّة خالصة في مثل هذا السياق، علمًا أنه لا أصل لها في النص اليوناني والبشيطا[295] وإنما أضافها المعرّب لبيان المعنى بين كلمتي (الحكما) و(الفهما)، والنص في مخطوطة سيناء العربية 72 هو: (الحكما والفهما) .. فالمعرّب هنا قد زاد لفظة إلى أصل النص المعرّب منه، وكانت هذه اللفظة من المعجم الإسلامي!

17-المؤدب: مرقس 5/35..: استعمل المعرّب كلمة «مؤدب» كمقابل لكلمة «معلّم» الواردة في الأصل اليوناني والترجمات السريانية. ومعلوم أنّه من الشائع تسمية المعلّمين بـ(المؤدبين) في البيئة الإسلاميّة كما هو متواتر في الكتب التراثية؛ حتى غلبت كلمة «المؤدّب» كلمة «المعلّم» في دلالتها على وظيفة القائم على التعليم، علمًا أنّ مخطوطة سيناء العربيّة 72 قد استعملت كلمة «معلّم».

18-المنبر: متى 19/28:ـ «إذا جلس ابن البشر على عرش مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر منبرًا وتحكمون على أسباط بني إسرايل الاثنى عشر.» متى 23/2:ـ «وقال لهم لقد جلس الأحبار والكتبة على منبر موسى» .. كلمة «منبر» غير مبررة لغويًا هنا؛ إذ الكلمة في

295 ترجمتا السريانية القديمة (الكورتونية والسينائية) حذفتا كلمة (□□□□□□□) (فهماء) ولم تبقيا غير كلمة (□□□□) (حكماء)!

الأصـــل اليونـــاني وفي الترجمـــات الســـريانية (البشـــيطا والكورتونية والسينائية) هي «كرسي»، وهذه الكلمة هي من المشترك اللفظي في اللغتين العربية والسريانية؛ فهي في الترجمـــات الســـريانية: «□□□□□□» (كُورسَـــوان) جمـــع «□□□□□□» (كورسـيا)؛ ولـذلك اسـتعملت مخطوطـة سـيناء العربية 72 كلمة «كرسي». كلمـة (منـبر) لهـا اتصـال وثيـق بالبيئة الإسلاميّة حيث (المنبر) مرتبط بالمسـاجد والخطابـة والسلطان.

19-**السُنّة**: متى 22/35...: استعمل المعـرّب في الكثـير من المواضع كلمة «السنّة» في مقابل كلمة «النـاموس»[296] الـتي وردت بنفس البنـاء الصـوتي في الأصـل اليونـاني «νομος» (نومـــوس) وفي الـــتراجم الســـريانية «□□□□□» (ناموسـا) وفي الـتراجم العربيـة الأخـرى «النـاموس»، وهي مستعملة هنا أساسًا بمعنى التشـريع التـوراتي، وهي تقابـل عنـد المسـلمين (القـرآن الكـريم) و(السـنّة النبويّـة) في جانبهما التشريعي.

انتبه القس «قشوع» إلى أنّ كلمة «السنّة» هي من العبارات المميّزة لهذه الترجمة أثناء بحثـه لفرضـيّة التـأثير القـرآني على معرّب هذا الإنجيل، غـير أنّـه فـرّ من دلالتهـا الإيجابيّـة على هذا التأثير بزعمه أنّه:

(1) ربمـا لم تكن الجماعـة الـتي عـرّب لهـا هـذا الإنجيـل تعرف هذه الكلمة.

---

296 اسـتعملت أيضًـا كلمـة «التـوراة» كمقابـل لكلمـة «نـاموس»، ولم تسـتعمل كلمـة «النـاموس» إلا مـرة واحـدة، من طـرف ناسـخ متـأخر للمخطوطة (القرن العاشر) في متى 5/17 (انظر؛ 1/161)

(2) أو أنّ معنى هذه الكلمة كان محل جدل (contentious)؛ واستدلّ لذلك بمقال عن «الناموس» في إحدى الموسوعات!!

وهو تفسير متهافت جدًا:

أ- كيف يقال إنّ الجماعة النصرانيّة التي عُرّب لها العهد الجديدلم تكن تعرف معنى «الناموس» رغم أنّ هذه الكلمة قد كانت من أهم المصطلحات الدينيّة المستعملة عند النصارى، ولها حضور مكثف في الكتابات التعلميّة والنصوص التعبديّة!

ب-أحال القس «قشوع» عند حديثه عن الجدل حول معنى «الناموس» إلى مقال ما(!)، وعلى هذه الإحالة ملاحظات:

- يبدو أنّ القس «قشوع» لم يقرأ هذا المقال[297]، لأسباب:

---

297 ليست هي المرة الوحيدة التي يوهم فيها القارئ أنه يحيل إلى نص قد اطّلع عليه؛ فيبدو أنّه أيضًا لم يطّلع على الدراسة الهامة لـ«فووبس» «Vööbus»-رغم أنه قد عقد لها مبحثًا خاصًا في أطروحته؛ إذ إنه قد زعم (1/138) أنّ «فووبس» قد نسب مخطوطة (Vat. Ar. 13) إلى القرن الثامن، والصواب أنّ «فووبس» قد نسب صراحة أقدم جزء في هذه المخطوطة إلى القرن التاسع (*Arthur* Vööbus, *Early Versions of the New Testament* : *Manuscript Studies, p.288*)، كما أنّ القس «قشوع» لما أحال إلى المقال الهام «لبوركت» في الموسوعة الكتابية «لهاستنجز»، كانت الإحالة إلى الصفحات فقط مما يوهم أنّ هذه الموسوعة هي في مجلد واحد في حين أنها في خمس مجلدات؛ مما يلزمه كباحث أن يحيل أولاً إلى المجلد...! ولعلّ العجلة في إنجاز الأطروحة هي التي ألجأته إلى (النقل) عن مالم يقرأه!!

- أحال في الهـامش إلى: (F. Vise, 'Namus' EI2. Vol. 7, 953-956). علامــة (EI2) هي اختصـــار لاســـم كتـــاب (الموســـوعة الإســلامية) (*Encyclopaedia of Islam*) – الطبعــة الثانيــة-، لكنــه في آخــر المجلــد الأول عندما ذكر نفس المقال وذكر اســم المرجع بالتفصيل؛ كتب: (Vise, F. " Nāmūs " Encyclopaedia of the Qur'an. 2nd edn. Vol. 7: 953-956) أي أنّ الإحالــــة هي إلى «موســـوعة القـــرآن» لا إلى «موســـوعة الإسلام»!! فلِمَ لم يكن الاسم المختصــر (EQ)، علمًا أنّه من المتعارف عليه أكاديميًا أنّ مختصر (*EI*) خـاص بموسـوعة الإسـلام الشهيرة!
- الموسوعة الشهيرة باســم «*Encyclopaedia of the Qur'an*» ليس فيهــا مجلــد ســابع، ومؤلـف مقـال «Nāmūs» فيهـا هـو «Harald Motzki»!
- المقـال الـذي أحـال إليـه القس «قشـوع» موجـود فعلاً في «موسـوعة الإسـلام» في طبعتها الثانية، في المجلـد السـابع، ويبـدأ فعلاً من الصفحة 953 غير أنه ينتهي عنــد 955 لا 956، كما أنّ كاتبه ليس (F. Vise) وإنما هو (M. Plessner)، وقد كتب (F. Vise) المقـال الخـاص (بالنـاموس) الحشـرة!!

علمًا أنّ هذا المقال هو نفسه المنشور في الطبعة الأولى التي صدرت في بداية القرن العشرين.[298]

- تطرّق مقال «الناموس» في موسوعة الإسلام إلى اختلاف علماء الإسلام حول معنى «الناموس» في البيئة الإسلاميّة؛ وهنا:
    - o الجدل الإسلامي سببه استعمال كلمة «الناموس» في حديث بدء الوحي أساسًا على غير المعنى الكتابي المتعارف عليه، ولا يوجد تشكيك في وضوح معناه عند النصارى العرب. وقد حاول المقال في بدايته أن يجد معنى لكلمة «ناموس» في اللسان اليوناني بما يوافق المعنى المتبادر من حديث بدء الوحي.
    - o جوهر النقاش هو حول معنى كلمة «الناموس» بين العرب المسلمين وأصلها في اللغة العربيّة.
    - o المقال الذي أحال إليه القس «قشوع» نفسه يقول: «المعنى المفضّل [في اللغة العربيّة] هو القانون الإلهي» «The favourite meaning is divine law»[299]، وهو المطابق للمعنى المستقر لهذه الكلمة في اللغة السريانيّة!

---

298 انظر: Martin Theodoor Houtsma, ed. *E. J. Brill’s First Encyclopaedia of Islam,* 1913-1936, Leiden: Brill, 1987, 2/844-846 وهي طبعة حديثة للنسخة القديمة.

o لا علاقة لهذا الجدل الإسلامي برسوخ معنى هذه الكلمة في المعجم الديني النصراني وإحكام معناه؛ خاصة أنّ الترجمات العربية الأقدم كانت تستعمل هذه الكلمة في بيئة إسلاميّة؛ **فهل تكون البيئة النصرانية قبل الإسلام عاجزة عن إدراك دلالة مصطلح ديني يوافق صوتيًا اللغة الدينية فيه (السريانية) في حين تستوعب البيئة الإسلامية التي عاش فيها أصحاب الترجمات التالية هذا المصطلح رغم أنه يحكمها (الإسلام) و(اللسان العربي)؟!!**

o ذكر الناقد ((ف. س. بوركت)) نقطة مهمة وهي أنّه يبدو أنّ نصّ هذا الإنجيل قد عرِّب في بيئة كانت **السريانيّة فيها هي اللغة الكنسيّة**[300]**،** وهذه الحقيقة-التي نراها مؤكدة من نسيج النص- تمنع بصورة قاطعة أن تكون هذه البيئة العربيّة جاهلة بمعنى كلمة ((ناموس)) ذات البناء الصوتي العربي-السرياني الواحد، والتي وردت في جميع الترجمات السريانيّة على رسم ((□□□□□))

---

299 M. Plessner, ‘*Namus’* in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, 2010

300 انظر؛ F. C. Burkitt, ‘*Arabic Versions*,’ in James Hasting, *A Dictionary of the Bible*,1/136

(ناموسَـا)كمقابـل للاصـل اليونـاني ((νομος))
(نوموس)!

20-الزكاة: مرقس 12/41: ((فلمّا جلس إيسوع إذا بيت الخزانة جعل ينظـر إلى الجمـوع إذ يلقـون الزكـاة في بيت الخزانة)) .. (الزكـاة) اصـطلاح إسـلامي، واسـتعماله في الصيغة المصدرية من طرف المعرّب مع ألف لام التعريـف، مؤكـد لأصـله الإسـلامي. وقـد اسـتعملت مخطوطـة سـيناء العربيـة 72 كلمـة ((نحـاس)) وفـاءً للأصـل السـرياني الـذي يسـتعمل كلمة ((□□□□□□))ـ (عورفانـا) وهي العملـة النحاسـية الرخيصة.

21- الجزية: متى 17/24:ـ ((فلما أتوا كفرناحوم اقـترب الذين كانوا يأخذون درهمي الجزية وذلـك ليس للجزيـة بـل [لمزمـه/لمرقـه] بيت اللـه إلى الصـفا...)). النص اليونـاني والترجمـات السـريانية (البشـيطا والكورتونيـة والسـينائية) تتحـدث عن عملـة فضـيّة، والمعـرّب يسـتعمل هنـا عبـارة (الجزية)!

اسـتعمل المعـرّب في العـدد التـالي مباشـرة (25) كلمـة ((جزية)) كمقابـل للكلمـة الـواردة في الترجمـات السـريانية (البشـيطا والكورتونيـة والسـينائية): ((□□□□)) (مكسـا) وهي كما هو ظاهر تعني في لغة العرب: المكس لا الجزية!

22-يصلى عذابا أليما: متى 23/14: ((ولذلك تقبلون وتصـلون عـذابًا [أليمًـا])).. التعبـير عن عـذاب النـار بفعـل (صلى) هو طابع قـرآني متميّـز وليس من المعجم الكنسـي النصراني:

{إِنَّ الَّذِينَ يَـأْكُلُونَ أَمْـوَالَ الْيَتَـامَى ظُلْمًـا إِنَّمَـا يَـأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}301

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَار}302

{اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُون}303

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَاد}304

{اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَـا كُنتُمْ تَعْمَلُون}305

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِـالإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَمَعْصِـيَتِ الرَّسُـولِ وَإِذَا جَـاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَـذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِير}306

{ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه}307

{يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين}308

{وَيَصْلَى سَعِيرًا}309

{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}310

{تَصْلَى نَارًا حَامِيَة}311

---

301 سورة النساء/ الآية (10)
302 سورة إبراهيم/ الآية (29)
303 سورة يس/ الآية (64)
304 سورة ص/ الآية (56)
305 سورة الطور/ الآية (16)
306 سورة المجادلة/ الآية (8)
307 سورة الحاقة/ الآية (31)
308 سورة الانفطار/ الآية (15)
309 سورة الانشقاق/ الآية (12)
310 سورة الأعلى/ الآية (12)
311 سورة الغاشية/ الآية (4)

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَب}[312]

العدد 14 غير موجود في أقدم المخطوطات اليونانية، وقد ورد في المخطوطات اليونانيّة المتأخرة؛ وفيها ((περισσοτερον κριμα)) وهو نفس ما جاء في مخطوطة سيناء العربيّة 72:ـ ((دينونة أكثر))، وهو أيضًا المعنى الوارد في البشيطا والكورتونية[313]: ((□□□□ □□□□□)) (دِينا يَتيرا).

23-البعث: اعترف القس ((قشوع)) عند دراسته للمخطوطة (Codex B. O. 430) التي نسخت في القرن التاسع عشر أنّ لغتها قديمة (archaic)، وختم حديثه حول ألفاظها بقوله: ((بعض هذه الألفاظ استعملت في القرآن؛ مثل ((بعث))؛ انظر سورة النحل/ الآية 38 وسورة الإسراء/ الآية 49))[314]. وكان قد أشار قبل ذلك إلى أنّ هذه المخطوطة قد استعملت كلمة ((البعث)) في يوحنا 11/24 و 25 وكلمة ((الانبعاث)) في يوحنا 20/9، مكانَ كلمة ((القيامة)) (الكلاسيكية في المعجم النصراني-وأضيف أنها توافق فونولوجيًا الأصل السرياني ((□□□□□)) (قيامتا)[315])-.. فلِمَ لم ينتبه هذا الباحث إلى أنّ كلمة ((البعث)) قد وردت في المخطوطة (Vat. Ar. 13) (متى 25/13)،كما وردت كلمة ((الانبعاث)) في نفس المخطوطة (22/23) وكلمة ((ينبعث))

312 سورة المسَد/ الآية (3)

313 المخطوطة السينائية لا تضم هذا المقطع.

314 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/119

315 النص الذي قصده القس ((قشوع)) هو يوحنا 11/24،ـ 25، وقد وردت فيه كلمة ((□□□□□)) (قيامتا) في المخطوطة السينائية، ووردت هذه الكلمة بمعنى قيامة الميت أيضًا في البشيطا في عدد من المواضع (متى 22/31، مرقس 12/18...)

(متى16/21ـ 17/9ـ 23، 20/19) وكلمة «انبعث» (متى 27/64، 28/6)...؛ بما يثبت أثر المعجم القرآني عليها!!؟

24-يوم القيامة: متى 11/24:ـ «ولكني أقول لك إن سدوم يصل إليها من الطمأنينة والدّعة **يوم القيامة** أو أنّ الراحة تكون لأهل سدوم **يوم القيامة** أفضل منك» ..نص هذه المخطوطة ينقل العدد 24 على صورتين[316]، وفي كليهما عبارة «يوم القيامة» رغم أنّ النص اليوناني لا يتعلّق بقيامة الأموات وإنما يتعلّق بمحاسبة الناس بعد القيامة، وقد وردت في ترجماته السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) عبارة «□□□□ □□□□□» (يوما دَدِينا) أي «يوم الدِّين/ الدينونة»؛ وهي في مخطوطة سيناء العربيّة 72: «يوم الدينونة». ويبدو أنّ معرّب النص قد أخذ بالتسمية الإسلاميّة الأشهر لهذا اليوم وهي: «يوم القيامة».

وقد جاء في متى25/13:ـ «لأنكم لا تعرفون يوم **البعث** وساعة **القيامة**...». الأصل اليوناني يقول: «οτι ουκ οιδατε την ημεραν ουδε την ωραν» أي «لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة»، المخطوطات اليونانيّة المتأخرة تضيف في آخر النص: «εν η ο υιος του ανθρωπου ερχεται» أي «التي يأتي فيها ابن الإنسان»، وقد أخذت كل من ترجمة البشيطا والمخطوطة السينائية[317] بالقراءة اليونانيّة الأقدم -وهو

---

316 تكرّر تعريب نفس النص على أكثر من صورة في نفس الموضع، في أعداد مختلفة من هذه المخطوطة.

317 المخطوطة الكورتونية لا تضم هذا الموضع.

أيضًا ما جاء في مخطوطة سيناء العربيّة 72-؛ فالأصل المترجم عنه إذن لا يذكر كلمة (البعث) و(القيامة).

وجاء في مرقس 13/32:ـ «فأما يوم **الانبعاث** وساعة **القيامة** فليس أحد يعرف ذلك...»، وما يقال في النص السابق يقال في هذا النص.

25-كافر: مرقس 7/26:ـ «وكانت هذه المرأة عابدة أوثان كافرة». كلمة «كافرة» هنا هي مصطلح إسلامي وليست هي نقلٌ لأصل سرياني؛ إذ الكلمة في البشيطا: «□□□□□» (حَنفتا)[318] في مقابل ما عندنا في هذه المخطوطة: «عابدة أوثان كافرة». وقد استُعمل جذر «□□□» (كفَر) السرياني في الترجمات السريانية بمعنى (أنكر)[319]. علمًا أنّ نفس المرأة قد وُصفت بعد بضعة أسطر أنها قد أصبحت «مؤمنة» (مرقس 7/30) وهي عبارة مضافة من المعرّب؛ إذ لا أصل لها في الأصل اليوناني والترجمات

---

318 المخطوطة السينائية لا تضم هذه العبارة، والمقطع الذي يضمها في المخطوطة الكورتونية مفقود..

319 انظر في البشيطا: متى 10/33ـ؛ 16/24ـ؛ 26/34ـ 35،70ـ 72، 75؛ مرقس 8/34ـ 14/ـ 30ـ 31ـ 68 ـ 70ـ 72؛ لوقا 8/45ـ 9/23، 12/9ـ 22/34ـ، 57ـ 61؛ يوحنا 1/20ـ؛ 13/38ـ؛ 18/25ـ، 27؛ أعمال الرسل 3/13ـ 14؛ 4/16ـ؛ 7/35ـ؛ 1تيموثاوس 5/8ـ؛ 2تيموثاوس 2/12، 13؛ـ 3/2؛ العبرانيين 11/24؛ تيطس 1/16؛ـ 2/12؛ـ 2بطرس 2/1؛ 1يوحنا 2/22ـ 23، يهوذا 4 ؛ الرؤيا 2/13ـ؛ 3/8 (The Way International research team, ed. *The Concordance to the Peshitta version : of the Aramaic New Testament*, Ohio : American Christian Press, 1985, p.176)

السـريانية .. فلاحـظ: (1) ثنائيـة: مؤمنـة-كـافرة، (2) دون سند من الأصل السرياني المترجم عنه.

وقد استعملت مخطوطة سيناء العربيّـة 72 كلمـة: «يونانيّة» في مقابـل «عابـدة أوثـان كـافرة»-وفـاءً للأصـل اليونـاني المترجم عنه- «Ελληνις» (هِلِّينيس)-.

26-الحَنوط: متى 26/ 12: «فأما هذه التي أفرغت هذا الطيب على رأسي إنما صنعت هذا مثالاً لحنوطي ودفـني». كلمـة «حنـوطي» زائـدة لا أصـل لهـا في الأصـل اليونـاني والترجمة السريانية (البشـيطا والمخطوطـة السـينائية[320])، ولا وجـود لهـا في نص مخطوطـة سـيناء العربيـة 72، حيث (الدفن) فقد دون (الحنوط)، ومن المعلوم أنّ (الحنوط) هو لفظ قد ورد في الحديث النبوي –بمعنى الطِيب- في سـياق تجهـيز الميت؛ فهـو سُـنّة إسـلاميّة أضـاف لفظهـا مُعـرّبُ الإنجيل إلى النص. وحتى لو افترضـنا أنّ هـذه الكلمـة بهـذا المعنى كانت تستعمل عند النصـارى العـرب قبـل الإسـلام- وهو مستبعد[321]-، فـإنّ إضـافة هـذه الكلمـة –مـع ذلـك-إلى أصـل النص يـرجّح أصـلها الإسـلامي؛ لأنّها سـنّة أكّـد عليهـا الرسول ﷺ **بهذا الاسم بعينه**، وقد كان يكفي المعرّب لو

---

320 الجزء الذي يضم هذا المقطع في المخطوطة الكورتونية مفقود.

321 «قـال «الشـافعي» (150هــ، 204هـ/766م-820م) فيمـا يفعلـه الأعاجم من صبّ الـراوق في أذنـه وأنفـه، ووضـع المرتـك على مفاصـله والتابوت وغيره: ولست أحب هذا ولا شيئًا منه، ولكن يصنع بـه ما يصـنع أهـل الإسـلام؛ الغسـل، والكفن والحنـوط والـدفن...» (الـبيهقي، معرفـة السنن والآثار، ت/ عبد المعطي قلعجي، القـاهرة: دار الـوعي، 1412هــ، 1991م، 5/217) .. الظاهر أنّ الأعاجم هنا هم النصارى.

لم يكن في بيئة إسلاميّة أن يقتصر على عبارة (الطيب) الواردة أصلاً في النص!

27-افتح لنا باب رحمتك: متى 25/11:ـ ((وقلن يا ربنا يا ربنا افتح لنا **باب رحمتك**))، النص اليوناني وترجمة البشيطا والمخطوطة السينائية[322] ومخطوطة سيناء العربيّة 72، جاء فيها كلّها: ((افتح لنا))؛ فمن أين جاءت الزيادة إلا أن تكون بالدعاء المشهور الوارد في السنة والذي يتكرر على المنابر: ((اللهم افتح لنا أبواب رحمتك))؟!

بالإضافة إلى الألفاظ السابقة، وردت ألفاظ أخرى في نص المخطوطة ذات أصل إسلامي جليّ، وقد وضعها القس ((قشوع)) بين معقوفين لأنه شاك في قراءته لها؛ ومنها:

28-اتقوا الله حق تقايته: متى 22/21:ـ ((فقالوا له لقيصر. قال لهم فأدوا الآن إلى قيصر جزيته [واتقوا الله حق تقايته])). نص ((واتقوا الله حق تقايته)) هو تغيير لما جاء في الأصل اليوناني والترجمات السريانيّة: ((ما لله لله))، وهو ما ورد في مخطوطة سيناء العربية 72 في صيغة: ((والذي لله لله))؛ وأصل التعبير من المعجم الإسلامي؛ ونجد في القرآن الكريم قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[323].

29-حصب جهنم: متى 23/15:ـ ((الويل لكم يا معشر الكتبة والأحبار المرايون الآخذون بالوجوه لأنكم تجولون البر والبحر لتجدوا لكم مولى [متمولًا] إليكم فإذا [تماولا]

322 النص مفقود من المخطوطة الكورتونية

323 آل عمران/ الآية (102)

إليكم جعلتمـــوه [خصـــب] جهنم ليضـــعفوا عليكم العـــذاب الأليم». الكلمة هي -**بداهة**- «حصب» لا «خصب»، وهي غـير مـبررة لغويًـا إذ إنّ الأصـل اليونـاني والترجمـات السـريانيّة (البشيطا والكورتونية والسينائية) تستعمل هنا كلمة «ابن» « υιον» «□□□»؛ ولذلك اختارت مخطوطة سيناء العربيّـة 72 كلمـة «بن» أي «ابن». عبـارة «حصب[324] جهنم» هي عبـارة قرآنيـة خالصـة؛ فقـد وردت في قولـه تعـالى: {إِنَّكُمْ وَمَـا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون}[325]

30-تكوير الشـمس: مـتى 24/29:ـ «في تلـك الأيـام تظلم الشـمس [وتتكـور/تتكـود]»، مـرقس 13/24:ـ «وفي تلكم الأيام بعد ذلك الضيق تظلم الشـمس و[تتكـور/تتكـود] والقمر لا يظهر نوره...» .. لا ريب أنّ أصل هذه العبـارة هـو القرآن الكريم الذي يذكر أنّ من علامات الساعة؛ تكوير[326] الشمس: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت}.[327] البشيطا والسينائية[328] استعملتا كلمة «□□□□» (نِحشَك) «سَتُظلِم»، أمّا مخطوطتنـا فقد استعملت هذه الكلمة وأضافت عليهـا التعبـير القـرآني دون سند من الأصل اليوناني أو الترجمات السريانيّة، علمًـا أنّ نص مخطوطـة سـيناء العربيّـة 72 يقـول: «الشـمس تظلم».

---

324 أي وقود
325 سورة الأنبياء/ الآية (98)
326 أي ذهاب ضوء الشمس
327 سورة التكوير/ الآية (1)
328 المقطع الذي يضم هذا النص في المخطوطة الكورتونية، مفقود.

وأخـيرًا، لا يسـعني أن أتجاهـل الاعـتراف (الغـريب) للقس «قشوع» في مقدمة أطروحته أنّـه لم يعتنِ بالجـانب اللغـوي في المخطوطات العربية التي درسها -210 مخطوطة!- إلاّ في هـذه المخطوطة (Vat. Ar. 13)[329]!! فمـاذا يقـال في القيمة العلميّة لعامة دراسته إذا كان هذا حال ما درس نصّه اللغوي؟!

كمـا أنـني (أعجب) من إصـراره على القـول إنّ نص هـذه المخطوطـة لم يكن متـداولاً خـارج البيئـة النصـرانيّة[330] .. فمن أين إذن التشـابه، بـل التطـابق الحـرفي حـتى في الاصطلاحات السياسيّة بينه وبين المعجم الإسلامي.

ت-لغة نص المخطوطة لا تخلـو من ركاكـة وأخطـاء نحويـة كثـيرة، وهـو أمـر يبعـد أن يصـدر عن نصـارى العـرب (في الحـيرة أو في غيرهـا) وإنمـا هـو أقـرب إلى أن يصـدر عن نصـارى فتحَ المسـلمون بلادهم؛ فكـان اكتسـابهم للسـان العـربي من البيئـة المسـلمة لا من المـيراث المتلقى من آبائهم وأجدادهم.

ث-الـدليل السـلبي: من أهم الأدلـة الـتي من الممكن أن نضيفها: (الدليل السلبي)؛ أي غياب علامـات لغويّـة قاطعـة تدلّ بذاتها على بيئة نصرانية منقطعـة الصـلة بالإسـلام بمـا يميّز ترجمتها عن بقيّة نصـوص الترجمـات العربيّـة الأخـرى المعروفة!

329 انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, 1/15

330 انظر المصدر السابق، 1/165

لم يكتفِ القس «قشـوع» بمـا سـبق من الاسـتدلالات وإنّمـا أضاف في آخر حديثه وفي أثناء جمعه لنتائج بحثه حول هذه المخطوطة (!) دليلاً جديـدًا لصـالح دعـواه، أكّـد بـه منهجـه (المتكلّـف) في استحضـار مؤيّـدات قولـه، وزاد بـه دعـواه وهاءً؛ فقد قال إنه إذا صحّت دعواه فإنــه من المفـترض أن تشابه عربيّة هذه المخطوطة عربيّة أهل الحيرة في القــرن السادس، وأضاف أننا لا نملك وثـائق لأهـل الحـيرة من ذاك الزمان، غير أنه عاد فقال في نفس الفقرة إننا نعرف نقشًا نصرانيًا عربيًا يعود إلى ما قبـل الإسـلام في ديـر من أديـرة بلاد الحيرة، وقد جاء في هذا النقش: «بَنَت هذه البيعـة هنـد بنت الحــارث بن عمــرو بن حجــر الملكــة بنت الأملاك وأمُّ الملك عمرو بن المنذر أمَة المسيح وأمُّ عبـده وبنت عبيـده في ملــك ملــك الأملاك خســرو أنوشــروان في زمن مــار أفـراييم الأسـقف، فالإلـه الـذي بنت لـه هـذا الـدير يغفـر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبـل بهـا وبقومهـا إلى إقامة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الــداهر.». ثم شــطّ فــزعم أنّ عربيّــة هــذا النص «قريبــة جــدا من لغة» المخطوطـــة، وأنّ ذلـــك يجعـــل اســـتنباطه أكـــثر حســـمًا للأمر!![331]

وبين يــديك المقارنــة الــتي أجراهــا بين نص هــذا النقش وموضعين اختارهما بعناية من المخطوطة:

متى 12/31: «ولذلك أقول لكم إنّ كل خطيّة وافترى يغفر للناس بعد توبتهم فأمـا الافـترى على روح القـدس لا يغفـر للناس أبد الدهر.»

---

331 انظر المصدر السابق، 1/167

متى 16/18: «وأنا أقول لك أيضًا إنك أنت الصفا وعلى هذه الصفاه أبني بيعتي وأبواب الجدث لن تقهرها»
-«بنت هذ البيعة» .. «أبني هذه البيعة»
-«يغفر خطيئتها» ... «كل خطية ... يغفر»
-«الدهر الداهر» ... «أبد الدهر»
-تكررت الأفعال «رحم» و«قبل» و«أقام» في النصين.
-استعملت كلمة «قوم» مكان «شـعب» و«جمع» في النقش، وتكررت هذه الكلمة في المخطوطة.
قلت:
-1- هذه انتقائية للكلمات.
-2- هـذه الكلمـات مألوفـة في اللسـان العـربي على مـدى قرون بعد البعثة النبويّة، بما فيهـا كلمت «بيعة» الـتي وردت في قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَـقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَـهُم بِبَعْضٍ لَّهُـدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَـا اسْـمُ اللَّهِ كَثِـيرًا وَلَيَنصُــرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُــرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَــوِيٌّ عَزِيــز}[332] ، إلاّ عبارة «الدهر الداهر» التي تختلف –أصلاً- عن «أبد الدهر».
-3- سيظن القارئ لما كتبه «القس» أنه كان ينقل من نقش محفوظ إلى هذا اليـوم، في حين أنّ الحقيقـة هي أنـه كـان ينقــل كلامًــا عن «معجم البلــدان» «ليــاقوت الحمــوي»[333] المتوفى في القـرن الثـالث عشـر ميلاديًـا، أي أنّـه بين هـذا

332 سورة الحج/ الآية (40)
333 أحال في الهامش إلى هذا الكتـاب لكنـه لم يـبيّن أنـه كتـاب يسـير على منهج الأخبـاريين في مثـل هـذه المواضـع، علمًـا أنّ المشـرف على الرسالة لا علاقة له البتة بالدراسات العربيّة أو العلوم الإسـلاميّة؛ ولـذلك فترك بيان طبيعة المرجع المحال إليه هو من التدليس العلمي.

الكاتب والزمن المتحدث عنه **سبعة قرون**؛ علمًا أنّ «ياقوت الحموي» قد صدّر نقله لنص النقش في كتابه «معجم البلدان» بقوله في مفتتح مقال: «دير هند الكبرى»: «وهو أيضا بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي، وكان في صدره مكتوب:...»334.. فهو ينقل الكلام بلا إسناد، وبلا رؤية ومعاينة؛ وإنما هو خبر معلّق لا نعرف أصله: «كان في صدره مكتوب»!!

خلاصة القول في دعوى القس (قشوع):

(أولا) هذا الباحث غير متمرّس بأدوات النقد النصي وأساليبه ليطرق موضوعًا بهذه السعة وهذا التعقيد.335

(ثانيا) الثقافة الإسلامية لهذا الباحث ضعيفة جدًا؛ مما منعه من اكتشاف الصلة الوثيقة بين معرّب هذا الإنجيل والبيئة الإسلاميّة التي اكتنفته من كل جهة.

(ثالثا) معرفته باللغة العربيّة متواضعة جدًا؛ مما يجعل تأريخه تعريب نص المخطوطة في القرن السادس أو بداية السابع غير معتبر ابتداءً!

(رابعا) استدلّ بما ليس بحجة في ذاته لرد النص إلى زمن البعثة النبوية أو ما قبلها.

---

334 ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1397هـ، 1977م، 2/542

335 لم أسلب هذا الباحث كل فضيلة علميّة (!) فإنّ له مقالات علميّة في النقد النصي كتبها ونشرها أثناء إعداده للأطروحة، فيها فوائد وجهد لا ينكران؛ لكنّ ذلك لا يرتقي به إلى أن يفلح في موضوع هذه الأطروحة الذي يحتاج ملكات أعظم، وأدوات أكثر، وخبرة أطول...

(رابعا) أخطأ المنهج في التعامل مع صلة البناء اللفظي لهذه الترجمة بالمعجم الإسلامي.

(خامسا) انكشاف محاولة هذا الباحث الهروب من العناصر الإسلامية التي تبدّت له من معجم ألفاظ هذه الترجمة؛ بتأويلات بعيدة.

(سادسا) نُسِخت المخطوطة (Vat. Ar. 13) في القرن التاسع ميلاديًا، وعُرِّب نصها بعد البعثة النبويّة بدلالة معجمها اللفظي المتأثّر بالبيئة الإسلاميّة: المعجم القرآني والحديثي والمصطلحات السياسيّة في الدولتين الأمويّة والعباسيّة...؛ **فلا يثبت إذن عندها وجود ترجمة عربيّة قبل البعثة النبويّة**.

وأخيرًا .. من العسير أن يغمض الناظر عينيه عن الخلفية النصرانية المشرقية لهذا الباحث وهو يطالع نتائج دراسته و(طفرات شطحاته)؛ وهو للأسف الشديد –داء عضال- متمكن من نصارى الشرق العربي حيث ينزعهم عرق دسّ الشبهات إلى إفساد أبحاثهم (العلميّة)![336]

---

336 قد يصل الأمر إلى مستوى متدن جدًا من (الرداءة) في كتابات النصارى المشرقيين؛ فأنت تقرأ المحاولة المستميتة للأب الدكتور ((بولس الفغالي)) إثبات أنّ الكتاب المقدس قد عرِّب قبل الإسلام، لكنك- وأنت تقرأ كلامه- ستقسم (بالأيمان المغلّظة) أنه لم يبحث في الموضوع ساعة من نهار، وإنما كان يعرّب نصًا أمامه؛ فقد قال: ((كيف نتصوّر هذا الحضور المسيحي دون النصوص البيبلية؟ يقول التقليد إنّ القس ورقة بن نوفل نقل الكتاب المقدّس إلى العربية. وفي سنة 631، دعا الأسقف اليعقوبي يوحنا الثالث الأنطاكي علماء من قبائل طيء وتنوخ وعقيل فترجموا الأناجيل بناء على طلب عمير بن سعد أمير الجزيرة. ضاع النص، ولكن بقيت منه مقاطع في كتاب علي بن ربان الفيلسوف النسطوري (780-ـ 723).)) (بولس الفغالي، المدخل إلى الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية)!! الحديث لم يقل إنّ ((ورقة بن نوفل)) قد

نقل «الكتاب المقدس» إلى العربيّة وإنما تحدث عن (ترجمة؟ نَسخ؟) شيء من (الإنجيل) إلى (العبرية؟ العربية؟).. والأمير هو «عمرو» وليس «عمير» .. ولا توجد البتة أية حجة على صلة هذه الترجمة المدعاة بكتاب «الدين والدولة» «لعلي بن ربن الطبري» الذي كتبه هذا القسيس «ربان»، والذي هو رجل مسلم مهتد من النصرانية وليس نصرانيًا، كما أنه طبيب له شيء من الاشتغال بالفلسفة وليس فيلسوفًا!!

هل اطّلع الرسول ﷺ على الكتب الدينية اليهودية والنصرانية؟

نزعت الدراسات الاستشراقيّة -خاصة ذات النزعة التنصيريّة- منذ القرن التاسع عشر إلى الخروج عن النمط القديم في ردّ القرآن مصدريًا إلى الكتاب المقدس، وذلك بردّه إلى الكتب الدينيّة للطوائف المهرطقة أو الكتابات الدينية التفسيريّة التي يغلب عليها الطابع الخرافي. وقد سيطر هذا المسلك النقدي على الكتابات الاستشراقيّة مدة من الزمن، ثم تقلّص لصالح قراءات أخرى، لكنّه لا يزال بارزًا في الكتابات التنصيريّة ذات النكهة الكلاسيكيّة حيث يتمّ التركيز على تضخيم كم الشبهات وإشغال المسلمين باعتراضات عديدة متعلّقة بالتفاصيل القرآنيّة ..

وسنعرض هنا إلى المصادر التي ادّعاها المنصّرون وتقليديو المستشرقين، مراعين ما توصّلت إليه آخر الأبحاث الأكاديميّة المعتبرة في الغرب ذاته عن زمن تأليف هذه الكتب، في إطار رؤية معتدلة لواقع الكيانات الدينيّة وأسفارها المقدّسة في القرون الميلاديّة الأولى:

الكتابات الدينية اليهودية:

لما أراد المنصّرون وعامة المستشرقين تضخيم رصيدهم من الأدلّة على بشريّة القرآن، التفتوا إلى الكتابات اليهوديّة الضخمة المتاحة منذ قرون للنظر في ما فيها من تفاصيل موافقة لما جاء في القرآن الكريم.

وقد فتح لهم كتاب الحبر اليهودي «جايجر» الطريق واسعًا للتأكيد على الاقتباس القرآني من الأدبيات اليهوديّة المتأخّرة. وقد هدم «جايجر» صدق ادعائه قبل أن يبدأ في سرد الاقتباسات المدّعاة؛ إذ إنّه قد نسب الرسول إلى (الجهل) وعدم المعرفة، ونفى عنه بذلك الاطلاع على الأسفار اليهودية الكثيرة والضخمة حجمًا، لكنّه زعم رغم ذلك أنّ الرسول قد علم مضمونها من خلال ما شاع على ألسنة اليهود في بيئته[337]، وهذا زعم متهافت، عليه ملاحظات، منها:

أولا: الجمع بين نفْي اطلاع الرسول على الأسفار اليهوديّة غير المقدسة -وقد أوردها «جايجر» بعد ذلك، تفصيلًا-، والزعْم أنّ الرسول قد أحاط بما فيها من عقائد وشرائع وقصص من خلال ما سمعه من اليهود، لا يستقيم

337 انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, pp. 19-21

عقلًا؛ إذ إنّ العلوم مهما كانت سهلة؛ لا تؤخذ بهذا الطريـق؛ فالسماع لا يـورث معرفـة! فكيـف إذا كـانت هـذه المعرفـة بهذا التنوع والسعة والعمق؟!

ثانيا: قـال «جـايجر» إنّ الرسـول لم يطّلـع البتـة على الأسفار اليهوديّة المقدّسة (التناخ)[338][339]؛ وهو ما يعني أنّـه قد أحاط بما فيها من خلال السماع العارض من اليهود!! وهذا منتهى التكلّف للدعوى!

ثالثا: إذا كان الأمر بهذا اليسر؛ فلمَ لم يَظهر في العرب من يحمل هذا العلم الكتابي الواسع غـير محمـد ؟! ولِم اتخـذ محمد من التفاصيل الغيبيّة عن أخبار أهـل الكتـاب حجّـة لربّانيّـة القـرآن الكـريم؟! ولِم تجـرّأ اليهـود أنفسـهم على امتحانه أكثر من مرة في أمـر أخبـار الأوّلين إن كـانت هـذه المعرفـة مشـاعة ومن السـهل أن يحيـط بهـا السـامع غـير الدارس؟!

رابعًا: من المقطوع به أنّ اليهود في الجزيـرة العربيّـة زمن البعثة النبويّة، بل في جميع عصورهم السابقة، كانوا طائفـة دينيّة منغلقة على نفسـها؛ فكيـف أخـذ عنهـا محمـد علم الكتب المقدسة وغير المقدسة، وهي على هذه الحال؟!

---

338 التناخ: مجموعة الأسفار اليهوديّة المقدّسة الـتي يسـميها النصـارى: العهد القديم

339 انظر؛ المصدر السابق، ص 17-19

خامسا: الأسـفار الـتي ادّعى «جـايجر» أنّهـا مصـدر القـرآن الكـريم، لا يعـرف أخبارهـا إلاّ خاصـة اليهـود؛ فكيـف يكـون عامة اليهود الذين لم يدرسوا دينهم، مصدر علم لغيرهم؟!

سادسا: أقرّ «جايجر» نفسه أنّ معرفة يهود الجزيرة العربيّة (ولم يستثن كبراءهم) باليهوديّة ضعيفة .. فإذا كان الخاصـة من اليهود لا يعرفون دقائق دينهم؛ فأنّى للعامـة أن يحيطـوا بهذه الدقائق علمًا!![340]

لقـد سـيطرت الرغبـة في إدانـة الرسـول على «جـايجر» حتّى إنّه قد زعم أنّ التشـابه بين القـرآن الكـريم والأسـفار اليهوديّـة سـببه رغبـة الرسـول في اسـتمالة اليهـود[341]، رغم أنّ الأمر أوضح من أن يجادل فيه ممار؛ وهـو أنّ عامـة الخبر الديني الذي جاء في القرآن الكـريم، قـد أبلغـه أنبيـاء بني إسرائيل قومهم على مدى قرون طويلـة، وأنّ الإسـلام مؤكد له، لا غير!

وقد تميّز طرح «جايجر» –بالإضـافة إلى مـا سـبق- بطـابعين آخرين، وهما: (1) التكلّف في ادّعـاء التشـابه، (2) وإهمـال النظر في زمن تأليف هذه المصادر المدّعاة ..

---

340 انظر؛ المصدر السابق، ص 18

341 انظر؛ المصدر السابق، ص 25

وسـيكون تركيزنـا في النظـر التفصـيلي على أهمّ هـذه الاقتباسـات المزعومـة الـتي بسـقوطها تسـقط الشـبهات الأدنى.342

الأسفار المزعومة:

- فرقي دي ربي إليعازر **פרקי דרבי אליעזר**343:

يعتبر كتاب الحبر اليهـودي ((جـايجر)) : *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?* من أشـهر المؤلّفـات الـتي نشـرت في الكتابـات التنصـيريّة دعـوى الاقتبـاس القرآني من كتـاب ((فـرقي دي ربي إليعـازر)) .. وقـد قـدّم ((جايجر)) تفاصيل أريد منها إثبات دعوى الاقتباس: تفاصـيل من قصة ((قابيل)) و((هابيل))، والعجل الذهبي، ويد ((موسى)) الـتي بهـا بـرص، وتوبـة فرعـون، وإسـلام ((إبـراهيم)) وفدائـه ...، ولكنّ النظـر في تـاريخ هـذا السـفر الـديني

---

342 سنذكر المصـادر اليهوديّـة المـدّعاة من طـرف ((جـايجر)) .. وهنـاك مصدر يهودي قد أشـار إليـه بعض المنصّـرين لن نعـرض إليـه في المتن، وهو: ((الزوهر)) ((זהר)) ، والسبب هو: (1) هذا المصـدر مهمـل تمامًـا من المستشـرقين القـائلين بمصـدريّة الـتراث اليهـودي للقـرآن الكـريم. (2) **أجمعت** المراجع العلميّة المعتبرة على أنّ هذا الكتاب منحول، قد نسـب زورًا إلى الحـبر ((شـمعون بن يوحـاي)) ((**שמעון בר יוחאי**)) من القـرن الثاني ميلاديًّا، في حين أنّه قد كتب على الحقيقة في الأندلس في القـرن الثالث عشر ميلاديًّا. (انظر: *Encyclopedia Judaica*, Detroit: Thomson Gale, 2006, 2nd edition, 21/657-658)

343 لم نضـع هـذا السـفر ضـمن (المدراشـات) الـتي سنناقشـها لاحقًـا؛ لتميّزه المنهجي عن الشكل التكويني (للمدراش).

اليهـودي يغـني عن تتبـع هـذه الموافقـات المـدّعاة لنقض دلالتها على الاقتباس المزعوم.

لقد قاد النظر التشريحي لهذا السفر، النقّادَ إلى نسبته إلى ما بعد ظهور الإسلام، لأسباب عديدة؛ منها ورود ذكر أسماء شخصــيات إســلاميّة فيــه، وذكــره «لقبّــة الصــخرة» في فلسطين، وحديثه عن الفتوحات الإسلاميّة، ورمـزه (الجلي) إلى المســلمين من خلال حديثــه عن (بــني إســماعيل)، ووصــمهم بالأوصــاف البشــعة، على خلاف أســفار العهــد القديم[344] والمدراشات السابقة التي لم تضـعهم في بـؤرة اهتمامهـا السـردي أو العقـدي، وتفسـيره الطريـف لمعـنى كلمة «إسماعيل» «**ישמעאל**» (يشماعيل)[345]؛ إذ هي تعـني – كمـا هـو في هـذا السـفر- أنّ الـربّ سيسـمع مـا سـيفعله الإسماعيليون ببني إسرائيل!! كما أنّ تصـوير الإسـماعيليين على أنهم أشــدّ أعــداء الإســرائيليين، لا يمكن أن يفهم إلاّ على أن الكـــاتب يتحـــدّث بمنطـــق المبغض للفتوحـــات الإســلاميّة، إذ لم يكن للإســماعيليين حضــور في تــاريخ العداوات البارزة لليهود![346]

344 ورد ذكر الإسماعيليين في العهد القديم، في خمسة سـياقات فقـط، كلّها هامشيّة.

345 معنى الاسم هـو «سَـمِعَ إيل» أي سـمع اللـه «إيل» دعـاء «إبـراهيم» ليكون له ولد.

346 انظر؛ Carol Bakhos, *Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first* Arab, SUNY Press, 2006 ,pp. 96-123

وقد أثبتت المقارنات المباشرة والدراسات الفيلولوجيّة اقتباس مؤلّف هذا السفر من القرآن الكريم والتراث الإسلامي.[347]

ولعلّنا نسوق هنا شهادات كبرى المراجع العلميّة الغربيّة المتخصصّة، وعدد من الكتاب الغربيين؛ حتى لا نُرمى بالتكلّف بالدعوى لدفع الشبهة عن الإسلام:

- تقول الموسوعة اليهوديّة ((*The Jewish Encyclopedia*)): ((كان جوست أوّل من أشار إلى أن المؤلّف قد لمح بصورة مميّزة في آخر الفصل الثالث عشر إلى المراحل الثلاث للغزو المحمدي، في البلاد العربيّة (**משא בערב**)، وإسبانيا (**איי הים**)، وروما (**כרך גדול רומי**: 830م)، ووجد اسم فاطمة وعائشة بجانب إسماعيل؛ مما يقود إلى القول إنّ <u>الكتاب يعود إلى الزمن الذي كان فيه الإسلام مسيطرًا على الأناضول</u>. كما أنّه قد جاءت الإشارة في الفصل السادس والثلاثين إلى أخوين يحكمان بصورة متتالية، ثم يأتي بعدهما المسيح. من الممكن أن ينسب هذا الكتاب إلى <u>بداية القرن التاسع</u>؛ لأنه في ذاك الوقت كان ابنا هارون الرشيد: الأمين والمأمون يحكمان المملكة الإسلاميّة...

---

347 انظر شهادات النقاد وتحليلاتهم لزيارة ((إبراهيم)) ((لإسماعيل)) عليهما السلام في هذا السفر مقارنة بالتراث الإسلامي؛ Carol Bakhos, ‘*Abraham Visits Ishmael: a revisit*,’ in *Journal for the Study of Judaism 38 (2007) 553-580*

لا يمكن البتّة أن تصحّ نسبة هذا الكتاب إلى الحبر إليعازر (80م-118م)؛ إذ إنّ هذا الحبر كان من ((التانا))[348]، في حين أنّ هذا الكتاب فيه اقتباس عن فرقي أفوت[349]. المراجع التلموديّة المتأخّرة التي تعود إلى القرن الثالث كـ((شمعيا)) (الفصل 23)، و((زيرا)) (الفصل 21، 29)، و((شيلا)) (الفصل 42، 44)، قد اقتُبست هي أيضًا.))[350]

وكانت هذه الموسوعة قد بدأت حديثها عن هذا السفر بقولها: ((عمل أجادي[351]-مدراشي لسفر التكوين، وسفر الخروج، ومواضع قليلة من سفر العدد. نُسب إلى إليعازر ب. هايركانوس))
وأضافت أنّه ألّف ((<u>بعد فترة قصيرة من سنة 833م</u>.))[352]

- تقول الموسوعة اليهوديّة ((*Encyclopaedia Judaica*)): ((عمل أجادي يعود إلى <u>القرن الثامن ميلاديًّا</u> ...

348تانا **תנא**: جمعه ((تنايم)) ((**תנאים**))، وهم الأحبـار الحكمـاء (من 70م إلى 200م) الذين دوّنت أقوالهم في المشناه.

349فرقي أفوت **פרקי אבות**: مجموعة التعـاليم الأخلاقيّـة والحكم الـتي صدرت عن الأحبار في المرحلة المشنويّة.

350 *The Jewish Encyclopedia*, Ktav, 1925, 10/59

351 أجاده: من الآراميّة (**אגדה**). الأدبيات اليهوديّة غـير التشـريعيّة الـتي تشمل أساسًا الجانب القصصي والأخلاقي والحِكمي ... وتسمّى الأدبيـات التشريعيّة في المقابل: ((هلاخاه)) ((**הלכה**)).

352 المصدر السابق، 10/58

مُلئ الكتاب بالأعراف التشريعيّة الموجودة في أرض إسرائيل في بداية الفترة الجيونيّة[353]. وهو يضمّ أساطير عربيّة، ووصفًا مميّزًا للحكم الإسلامي الأموي، ويؤمّل سقوط هذا الخليفة (الأموي) كفأل لنهاية السبي. تثبت كلّ هذه العلامات أنّ هذا الكتاب قد ألّف في أرض إسرائيل أثناء النصف الأوّل من القرن الثامن، مباشرة قبل سقوط الحكم الأموي، وقبل ظهور الحكم العباسي.))[354]

- تقول الموسوعة اليهوديّة ((*The Universal Jewish Encyclopsedia*)): ((جلّ النقّاد يتّفقون مع نظرة ((ليبولد زونز)) أنّ هذا العمل لم يؤلّف قبل القرن الثامن.))[355]
- جاء في معجم الديانة اليهوديّة ((*The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*)): ((حُدّد تاريخ تأليف جلّ الكتاب على أنّه القرن الثامن ... ذَكَرَ خرافات عربيّة ووصفًا مميّزًا للحكم الإسلامي الأموي، مؤمّلًا سقوطه، معتبرًا ذلك فألًا لنهاية السبي. يذكر العديد من الأعراف التشريعيّة الموجودة في أرض إسرائيل في بداية الفترة الجيونيّة. يثبت هذا الأمر

---

353 الفترة الجيونيّة *Geonic period*: فترة تمتد من 690م إلى القرن الحادي عشر.

354 *Encyclopaedia Judaica*, 16/182

355 *The Universal Jewish Encyclopedia*, New York: University Jewish Encyclopedia, 1942, 8/541

أنّ هذا الكتاب فلسطيني النشأة وأنّه يعود إلى النصف الأوّل من القرن الثامن، مباشرة قبل سقوط الدولة الأمويّة وقبل صعود الدولة العباسيّة.[356]

- أهمّ بحث علمي في المكتبة الغربيّة حول هذا السفر هو ما كتبه الناقد «ليوبولد زونز» (*Leopold Zunz*)[357] في كتابه (*Die Gottesdienstliche Vorträge den Juden historish entwickelt*)، وقد قرّر فيه أنّ هذا السفر قد ألّف في الفترة (الجيونية)، في القرن الثامن، ومما استدلّ به:
  - o تآلفه مع الشكل المتأخّر للعبريّة.
  - o اقتباسه من المدراشات المتأخّرة.
  - o خلطه في ما هو متعلّق بشخصيات كبار الأحبار وزمنهم.
  - o إحالاته إلى الإسلام والغزو الإسلامي.[358]
- جاء في كتاب «مدخل إلى التلمود والمدراش» (*Introduction to the Talmud and Midrash*) –وهو من أهم

356 R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, New York: Oxford University Press, 1997, p.534

357 ليوبولد زونز (1794م- 1886م): حبر من اليهود الإصلاحيين. مؤسس ما عرف باسم «علم اليهوديّة» (*Wissenschaft des Judentums*) المتعلّق باستعمال المناهج العلميّة لدراسة جذور التراث اليهودي.

358 انظر؛ Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, Berlin: Walter de Gruyter, 2009, p.3

المراجع الأكاديميّة الأحدث في هذا الباب- : ((يبدو أنّ هذا العمل يعود إلى القرن الثامن أو التاسع. وقد أشار بصورة متكرّرة إلى الحكم العربي، خاصة في القصص المتعلّقة بإسماعيل الذي يذكر أنّ زوجتيه اسمهما: عائشة وفاطمة (الفصل 30). وقد جاء في نفس الفصل ذكر قبّة الصخرة في أرض الهيكل ...))[359]

- ذهب ((جون س. ريفز)) ((John C. Reeves))[360] إلى أنّ هــذا الســفر قــد ألّــف في القــرن الثــامن أو التاسع[361]، وأنّــه يتضــمن نصوصًــا جدليّــة متعلّقــة ((بادعاءات الإسلام والسلطان السياسي)) –كما هــو الأمر أيضًـا في ترجـوم[362] يوناثـان المنحـول -[363]، وأنّ فيه حديثًا عن توقّـع زوال سـلطان المسـلمين والنصـارى على اليهـود، بقـوة اللـه؛ إذ يُرمـز في الأدبيات اليهوديّة إلى (رومـا) والنصـارى بـ((عيسو)) ونسـله، كمـا يُرمـز إلى المسـلمين بـ((إسـماعيل)) ونسله؛ فقـد جـاء في هـذا السـفر هـذا النص: ((...

359 H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash*, tr. Markus Bockmuehl, Minneapolis: Fortress Press, 1996, p. 329

360 جــون س. ريفــز: أســتاذ الدراســات اليهوديّــة في جامعــة نــورث كارولاينا.

361 انظر؛ John C. Reeves, *Trajectories in Near Eastern apocalyptic: a postrabbinic Jewish apocalypse reader*, Atlanta: Society of Biblical Literature, 2005, p.67

362 الترجوم **תרגום** : لغة: ترجمـة. اصـطلاحًا: الترجمـة الآراميّـة للتنـاخ (العهد القديم). وقد امتد إنجازها قرونًا.

363 انظر المصدر السابق، ص68

القدّوس، تبارك، سيدمّر بني عيسو، لأنّهم أعداء بني إسرائيل، وكذلك الأمر سيكون مع بني إسماعيل، لأنهم خصوم. أكدت الأسفار أنّه: ((سترفع يدك على أعدائك، سيباد جميع أعداؤك. (ميخا 5/8))) ((...**עתיד הקבייה להשמיד לבני עשו שהם צריו לבני ישראל ובן לבני ישמעאל שהן אויבין שנאמר תרום ידך על צריך וכל אויביך יכרתו**)) 364!!

- اعترفت ((ليغ ن. ب. شبمان)) ((Leigh N. B. Chipman))365 <u>المهتمة بموضوع الأصول اليهوديّة للقصص القرآني</u> (!)، بأنّ هذا السفر قد ألّف في القرن الثامن أو التاسع، وقد ذكرت أنّ فيه إشارات كثيرة إلى الحكم الإسلامي.366
- بعدما أشار ((روفن فايرستون)) -في كتابه ((مدخل إلى الإسلام، لليهود)) الذي خصّصه لتقديم الإسلام لبني عقيدته- إلى استعمال المؤرّخين المسلمين لمصادر يهوديّة لتفصيل ما أجمله القرآن الكريم، أضاف: ((وفي أخرى، يبدو أنّ <u>المصادر اليهوديّة المتأخّرة أخذت بعض معلوماتها من المصادر الإسلاميّة</u>. مثال مشهور جدًا على هذا الأمر هو

---

364 انظر المصدر السابق

365 ليغ ن. ب. شبمان: أستاذ في الجامعة العبريّة في القدس.

366 انظر؛ Leigh N. B. Chipman, *Adam and the Angels: An Examination of Mythic Elements in Islamic Sources* , in *Arabica*, T. 49, Fasc. 4 (Oct., 2002), p. 432

مدراش يُدعى «فرقي دي ربي إليعازر» (الفصل 30)، حيث لإسماعيل زوجتان تحملان اسم زوجة محمد، عائشة، واسم ابنته، فاطمة.»[367]

- قال «بيير بريجون» (*Pierre Prigent*): «يمكن تحديد تاريخ تحريره في القرن التاسع.»[368]
- قال «دافيد م. جولدنبرج» (David M. Goldenberg): «قُدِّر تاريخ التحرير بين القرن الثامن والقرن التاسع، ومكانه فلسطين. مَدَّ «م. بيرز فرنانديز» هذا التاريخ بين القرن السابع والقرن التاسع.»[369]

ومما يزيد في تأكيد تأخّر كتابة هذا السفر إلى ما بعد بعثة الرسول ﷺ، هو أنّ أول إشارة تاريخيّة[370] إلى هذا السفر

---

367 Reuven Firestone, *An Introduction to Islam for Jews*, Philadelphia: Jewish Publication Society, 2008, p.19

368 Pierre Prigent, *L'image dans le judaïsme du IIe au VIe siècles*, Labor et Fides, 1991 , p. 132

369 David M. Goldenberg, *The Curse of Ham: race and slavery in early judaism, christianity, and islam*, Princeton University Press, 2003 , pp.386-387

370 هـذا مـا ذكرتـه بعض المراجـع العلميّـة متـأثّرة بمـا قـرّره «لـويس جنزبرغ» (Louis Ginzberg) في كتابـه (*Ginzei Schechten*) (1924م)، وقد اعتُرِض على هذا القول بأنّ المادة مشتركة بين (Pirkoi ben Bavoi) وبين التلمود البابلي، وليست هناك إحالة صريحة إلى سفرٍ للربي إليعازر، ورجّح «فينسنجر» (Finesinger) أنّ أوّل إشارة حقيقيّة صريحة إلى سفر «فرقي دي ربي إليعازر» قد وردت في (*Seder of R. Amram*) الذي ألّفه «عمرام جاون» (עמרם גאון) المتوفى سنة 875م (انظر: Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, p.2)

كانت من العالم التلمودي «Pirkoi ben Bavoi» في القرن التاسع![371]

ومن الطريف هنا أن نذكر أنّ «جايجر» ذاته قد صرّح في مقدمة كتابه: «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة؟» أنّه لن يعتمد غير الكتب التي أُلّفت قبل ظهور القرآن، إلاّ أنّه وفي نفس الفقرة أضاف أنّ سفر «فرقي دي ربّي إليعازر» «عمره غير معروف على التدقيق»!![372]

والأمر فيما يبدو من خلال ملاحظة مجموع منهج الرجل وأسلوبه في الاستنباط؛ خيانة علميّة نابعة من معرفته بدلائل علميّة ومنطقيّة أنّ هذا السفر متأخّر عن (ظهور) القرآن الكريم، ولذلك فقد حاول أن يتترّس بشيء من التواضع العلمي بدعوى عدم المعرفة بتاريخ هذا السفر، لكنّه عاد وبنى أهم مادة كتابه (التشابه في القصص) على هذا السفر المتأخّر عن بعثة الرسول.

ويحسن في الآخر أن ننقل ما قاله الناقد «نورمان أ. ستيلمان» «Norman A. Stillman» في مقاله الذي خصّه للحديث عن قصّة ابني «آدم» في القرآن الكريم والكتابات اليهوديّة: «كُتِب الكثير حول العناصر اليهوديّة-المسيحيّة في الإسلام

---

371 انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, 1971, Volume 13, *Encyclopaedia Judaica Jerusalem*, col. 559 (Quoted by, M S M Saifullah and Abdullah David, *On Pirke De-Rabbi Eli`ezer As One Of The Sources Of The Qur'an)*

372 A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. viii

وأسفاره منذ كتـاب أبراهـام جـايجر: ((مـاذا أخـذ محمـد من اليهوديّة؟)) الذي ظهر أوّل مرّة سـنة 1833م. أحـدث كتـاب ((جايجر)) أثرًا كبيرًا في زمانه، رغم أنّه قد سـعى إلى تقـديم نظرة مبالغ فيها حول مساهمة اليهوديّة في صياغة القـرآن. العديد من مصـادر الـتراث الـتي ذكرهـا هي من المسـيحيّة الشـرقيّة والأدبيـات التلموديّـة والأجاديّـة. تأريخنـا الحـالي للأدبيـــات العبريّـــة المتـــأخرة أفضـــل ممـــا كـــان في زمن ((جايجر))، وقد نُشِرت العديد من النصوص الأخـرى-إسـلاميّة ويهوديّة ومسيحيّة- منذ صدور كتابه. بإمكاننا أن نقرّر اليـوم في ضوء ذلـك أنّـه في بعض الأحيـان الـتي كنّـا نعتقـد فيهـا وجود تأثير أجادي على النصّ الإسلامي؛ تبيّن لنـا أنّ العكس هو الأرجح. يبدو أن فرقي دي ربي إليعازر كمثال، قـد حـرّر بعد ظهور الإسلام.))[373]

ملحوظة: ثبت أنّ هذا السفر المنحول[374]الذي ألّفه يهودي من فلسطين[375] زمن الحكم الإسلامي لفلسطين، قد استعمل كتابات الأحبار التنايم والتلمود الأورشليمي والبابلي والترجوم الآرامي[376]، وهي كلّها سابقة لظهور

---

373 N. A. Stillman, "*The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations*", *Journal Of Semitic Studies*, 1974, V. 19 , p.231

374 أي المنسوب إلى غير المؤلّف المدعى له رسميًا.

375 انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, 10/59

376 انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, 16/182

الإسلام، لكننا لا نجد له في الموافقات المدعاة بينه وبين ما جاء في القرآن الكريم، سلف يهودي له؛ مما يدلّ قطعًا على أنّ القرآن الكريم هو مصدر هذا السفر لا العكس؛ إذ إنّ تفرّده بعدد كبير من هذه التشابهات مع تأخّره الزمني، لا يمكن أن يعزى إلى غير النقل عن القرآن الكريم.

لقد قاد يقين كبار النقّاد – كـ«ليوبولد زونز» «Leopold Zunz» و«برنارد هلر» «Bernard Heller» و«جوزيف هينمان» «Joseph Heinemann» و«روفن فايرستون» «Reuven Firestone» و«أفيفا شوسمان» «Aviva Schussman» في أنّ هذا السفر قد ألّف بعد ظهور الإسلام في قرونه الأولى، إلى استعماله كوسيلة لمعرفة النظرة اليهوديّة إلى الإسلام في القرون الأولى له، وطبيعة النمط السجالي في هذه الفترة بين أتباع الديانتين![377]

وفي الختام، لا بدّ من إضافة أمر هام جدًا عند النظر في (تاريخ) هذا السفر، وهو ما يخفيه المنصّرون ويتجاهله عمدًا المستشرقون المغرضون، وهو أنّ «التحريفات لا بدّ من

---

377 انظر؛ Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, p.157

وانظر أيضًا؛ Moritz Steinschneider, *Polemische und apologetische Literature* in *arabischer Sprache zwischen Muslimen, Christen und Juden, nebst Anhangen verwandten Inhalts* (Leipzig, 1877; repr. , Hildesheim: Georg Olms, 1966), 338-40; Bern (h)ard Heller, "*Muhammedanisches und Antimuhammedanisches in den Pirke R. Eliezer*, " MGWJ 69 (1925): 47-54; M. Ohana, "*La Polemique judeo-islamique d'Ismael dans Targum Pseudo-Jonathan et dans Pirke de Rabbi Eliezer*," Aug 15 (1975): 367-87

اعتبارها دون ريب»[378]، وهي تحريفات واختلافات فاحشة جدًا بين المخطوطات حتّى إنّ أحد النقّاد قال إنّ: «فرقي دي ربي إليعازر، اسم أطلق على أعمال متماثلة لكن غير متطابقة، طوّرت عبر الزمن تراثًا له تاريخ طويل. تمثّل المخطوطات والشذرات هذه الأعمال المتفرّقة. فحص هذه المخطوطات والشذرات سيظهر لنا أنّه لم يكن هناك البتّة عمل موحّد. يمثّل ما لدينا نوع مادة فرقي دي ربي إليعازر كما أعيد إصلاحها وتشكيلها من طرف النسّاخ على المدى الزمني لتناقلها.»[379]

الطبعة الأولى لسفر فرقي دي ربي إليعازر

القسطنطينية، 1514م

378 H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to the Talmud And Midrash*, p. 329

379 *Agendas for the Study of Midrash in the Twenty-First Century,* Williamsburg, Va.: College of William and Mary, 1999, p.51



פרקי רבי אליעזר

تفاصيل الاقتباس المدّعى:

قابيل وهابيل:

قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِين إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِين فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِين مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون}[380]

المصدر المدّعى:

هذه الشبهة هي من أشهر الاقتباسات المزعومة. وقد ادّعى المنصّرون أنّ هذه القصّة لها عدّة مصادر(!):

380 سورة المائدة/ الآيات (27-32)

1. تقـــديم القربـــان من ((قابيل)) و((هابيل))[381]، وقتـــل ((قابيل)) ((لهابيل)) من الكتاب المقدّس.[382]

2.الحـــوار بين ((قابيل)) و((هابيل)) من ((ترجـــوم يوناثـــان المنحول)) و((الترجوم الأورشليمي)).

3.دفن الغــراب لغــراب آخــر ميت، مقتبس من ســفر ((فــرقي دي ربي إليعــازر)):21 :ـ ((جلس آدم ومرافقــه يبكيان وفي حداد عليه (هابيل)، ولم يعرفـا مـاذا يفعلان بـه؛ إذ مـا كانـا يعرفـان الـدفن. جـاء غـراب قـد مـات صـاحبه، وأخــذ جثتــه، وحفــر في الأرض، وأخفــاه عن عينيهما؛ فقـال آدم؛ سـأفعل مثلمـا فعـل هـذا الغـراب؛ فأخذ جثّة هابيل، وحفر في الأرض، ودفنه.))

הָיוּ אָדָם וְעֶזְרוֹ יוֹשְׁבִים וּבוֹכִים וּמִתְאַבְּלִים עָלָיו וְלֹא הָיוּ
יוֹדְעִים מַה לַּעֲשׂוֹת לְהֶבֶל שֶׁלֹּא הָיוּ נוֹהֲגִים בִּקְבוּרָה בָּא עוֹרֵב
אֶחָד שֶׁמֵּת לוֹ אֶחָד מֵחֲבֵרָיו לָקַח אוֹתוֹ וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ
לְעֵינֵיהֶם אָמַר אָדָם כָּעוֹרֵב אֲנִי עוֹשֶׂה מִיָּד לָקַח נִבְלָתוֹ שֶׁל
הֶבֶל וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ

---

381 سمّاهما القرآن الكـريم ((ابـني آدم))، ولم يصـحّ عن الرسـول صـلّى الله عليه وسلّم في تسميتهما شيء، وإنما جاءت هذه التسـميّة عن أهـل الكتاب مع شيء طفيف من التغيير: (قايين وهابيل). قـال الشـيخ ((أحمـد شاكر)): ((.. أمّا تسميتهما قابيل وهابيـل، فإنّمـا هـو من نقـل العلمـاء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سنّة ثابتة فيما نعلم.)) (انظــر؛ بكر أبو زيد، معجم المنـاهي اللفظيّـة، الريـاض: دار العاصـمة، 1417هــ، 1996م، ط3، ص673)

382 انظر؛ تكوين 4/3-8

4.ما كتب على بني إسرائيل أنّ من قتل نفسًا أو أفسد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعًا من مشناه سنهدرين 4/5.

التعليق:

1- لا يصحّ اليوم –في القرن الواحد والعشرين- القول إنّ أحدًا من أهل زماننا قد استطاع الاطلاع على هذه المعلومات الدقيقة من كتب تبلغ في مجموعها في طبعاتها الحديثة عشرات المجلّدات، إلاّ أن يكون ممن يحملون قدرًا جيّدًا من التخصص في الكتب اليهوديّة ومعرفة بسبيل الحصول على مواضع هذه القصّة فيها، مع علم باللغتين العبريّة والآراميّة! فكيف يستقيم هذا الأمر للرسول ﷺ الأميّ الذي لم يقرأ كتابًا، والذي عاش في بيئة لا تعرف المكتبات والمؤلّفات الميسّرة للطالبين!

2- لا إشكال في (مشابهة) القصّة القرآنيّة لأختها الواردة في العهد القديم؛ لأنّ القرآن الكريم لا يردّ الأصل الربّاني للتوراة، وإنّما يقرّر أنّه قد لحق أصلها السماوي تحريفٌ أرضي؛ فالمسألة هي (موافقة) لا (اقتباس).

3- «ترجوم يوناثان المنحول» هو نفسه «الترجوم الأورشليمي»[383]، لكنّ المنصّرين قد ظنوا أنهما كتابان مختلفان، فأوردوهما من باب التكثّر الباطل بالحجج!!

4- تأليف «ترجوم يوناثان المنحول» متأخّر زمنًا قطعًا عن البعثة النبويّة؛ وبالتالي فمن غير الممكن أن يكون مصدرًا لحوار ابني «آدم» الوارد في القرآن الكريم.

ومن الشهادات على تأخّره الزمني ما قرّره «مايكل ماهر» «Michael Maher» في مقدّمته لترجمته الإنجليزيّة «لترجوم يوناثان المنحول»: «رغم أنّه من المؤكّد أنّ يوناثان يضمّ تراثًا قديمًا، فإنّ الكتّاب الحديثين يرون أنّ هذا الترجوم قد أخذ شكله النهائي بعد الغزو العربي للشرق الأوسط.

يعتقد د. م. سبلنسكي أنّ يوناثان المنحول من الممكن تأريخه في <u>القرن التاسع أو العاشر</u>. من الممكن تلخيص حججه الأساسيّة في ما يأتي:

---

383 انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, 14/185 . ترد الموسوعة اليهوديّة هذا الخطأ إلى المفسّر «مناحيم ركنتي» –في القرن الرابع عشر- الذي وهم من اختصار «ترجوم أورشليمي» (ת״י) (التاء والياء) أنه يعني «ترجوم يوناثان»!

- الإشـــــارة إلى «عائشة» و«فاطمة» في يوناثـــــان المنحــول تكــوين 21/21 لا يمكن اعتبارهــا نصًــا إلحاقيًا. مصدر المـدراش لا يمكن أن يعـود إلى مـا قبل 633م في أبكر تأريخ له.

- اســتعمل «يوناثــان المنحــول» ســفر «فــرقي دي إليعازر» و«التنحوما»، وهي حقيقة تشير إلى القرن التاسع أو العاشر كتأريخ لجمع «يوناثان المنحول».

- الطريقــة الــتيّ قــدّم فيهــا «يوناثــان المنحــول» المــدراش الخــاص بــرفض «إبــراهيم» مباركـــة إسماعيل في تكـوين 25/11 تكشـف جـدلًا معاديًـا للإسلام (*anti-Moslem polemic*)

- الإشارة إلى هجاء «إســماعيل» وهجــاء «عيسو» في «يوناثــان المنحــول» في تكــوين 35/22 بالإمكــان تفسيرها بصورة جيّدة بخلفيّة ما كـان عليـه العـالم من انقسام بين العرب والمسيحيين.

- هنــاك إشــارات ممكنــة في نصــوص أخــرى في «يوناثان المنحول» (مثال: تكوين 16/12، 25/13، 49/26، العدد 7/87) إلى تاريخ تال للغزو العربي.

- الإشارة الدقيقة إلى مسائل التقويم في «يوناثان المنحول» تكوين 1/16 تظهر أنّ هذا الترجوم قد كتب في النصف الثاني من القرن التاسع كأبكر تأريخ ممكن.[384]

قرّر «شنان» أيضًا أنّ «يوناثان المنحول» قد اعتمد على سفر «فرقي دي إليعازر» وأنّه عَمَلُ كاتب-محرر كان نشطًا في القرن السابع أو الثامن. أكّد «لو ديو» أنّ التحرير النهائي ليوناثان المنحول لا يمكن أن يكون قد تمّ قبل القرن الثامن. تحليل «كوك» للغة يوناثان قاده إلى وجود عدد من الإشارات التي تضع «يوناثان المنحول» بعد غزو المسلمين للشرق. قرّر «ج. أ. فوستر» بناء على لغة «يوناثان المنحول» أنّ هذا الترجوم من الممكن تأريخه بداية من القرن الثامن أو التاسع.

اكتشافات هؤلاء النقّاد أو أولئك من الذين قاموا بدراسات خاصة لمضمون «يوناثان المنحول» ولغته تسمح لنا أن نقبل بثقة الرأي القائل إنّ هذا الترجوم لا يمكن أن يعود في صورته النهائيّة إلى ما قبل القرن السابع أو الثامن.»[385]

---

384 أورد الكاتب هذه الحجج متصلة في فقرة واحدة، وقد فصلت بينها لتبدو أكثر وضوحًا للقارئ، مع العلم أنني قد عرّبتها دون زيادة أو حذف.

ولا بــدّ في هــذا الســياق من إضــافة حقيقــتين أخــريين مهمتين:

أولًا: ذهب النقّـــاد إلى أنّ هـــذا النصّ قـــد تمّ تحريـــره وتحويره مرّات كثيرة.386

ثانيًــا: المخطوطــة الوحيــدة المتاحــة لــترجوم «يوناثــان المنحول»، تعود إلى القرن السادس عشر.387

هاتان الحقيقتان تزيدان حجّة المنصّرين وهنًــا على وهن؛ إذ تبعدان دعوى مصدريّة هذا السـفر للنصّ القـرآني إلى أقصى مدى!

5- رغم أنّ «جايجر» هو أهمّ من روّج لهذه الشبهة؛ إلاّ أنه هو نفسه قد قال بعد أن أوردها: «قُدّم الحوار بصــورة

---

385 M. Maher, *Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction And Notes*, Minnesota: The Liturgical Press, 1992, pp. 11-12

386 انظر: E. G. Clark, *Targum Pseudo-Jonathan: Deuteronomy Translated, With Notes*, 1998, T & T Clark Ltd.: Edinburgh, p. 3(Quoted by, M S M Saifullah, Mansur Ahmed and Elias Karim, *On the Sources of the Story of Cain and Abel in the Qur'an*)

387 انظـــر: M. Maher, *Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction and Notes*, pp. 12-13

مختلفـة جـدًا في (الكتـابين)؛ حتّى إننـا لا نـرى للأمـر قيمة إذا قارنا الموضعين عن قرب.»[388]

وقد كان «تسديل» الثاني في الترويج لهذه الشبهة؛ لكّنــه هــو أيضًــا قــد وصــف هــذا التشــابه أنّــه: «غــير ملفت للنظر»[389]

6- الحوار الوارد في «ترجوم يوناثان المنحـول» هـو قـول «قـايين»: «لا عقوبـة للخطيئـة، ولا جـزاء للإحسـان.»؛ فقــال لـــه «هابيل» إنّ اللـــه يجــازي على الإحســـان ويعـاقب على الخطيئـة؛ فقـام «قـايين» بضـرب أخيـه بحجر حتّى قتله.[390]

لا شكّ أنّ هذا الحوار لا يمكن البتّة أن يكون مصدرًا لمــا جاء في القرآن الكريم: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِـالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَـا قُرْبَانًـا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَـدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَـرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَـدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَـا أَنَـاْ بِبَاسِـطٍ يَـدِيَ إِلَيْـكَ لأَقْتُلَـكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِين إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُـوءَ بِـإِثْمِي وَإِثْمِـكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِين}[391]

---

388 A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. 80

389 St. Clair Tisdall*, The Original Sources of the Qur'an* , p. 63

390 المصدر السابق

391 سورة المائدة/ الآيات (27-29)

7- سفر ((فرقي دي ربي إليعازر)) متأخّر تأليفًا عن البعثة النبويّة كما سبق بيانه، كما أنّ رواية هذا السفر تخالف منصوص القرآن الكريم في تحديد من تعلّم من الغراب الدفن؛ فهو في سفر ((فرقي دي ربي أليعاز)) ((آدم)) عليه السلام، وفي القرآن الكريم هو القاتل أخو المقتول.

8- نصّ مشناه سنهدرين 4/5 يقول في سياق حديثه عن الجرائم الكبيرة: إنّ التوراة قد استعملت كلمة ((دم)) في صيغة الجمع، في قصّة ((هابيل)) وأخيه: ((**קול דמי אחיך، צעקים אלי**)). ((صوت دماء أخيك يصرخ إلي)) (تكوين 4/10)، والدم في صيغة الجمع يعني -كما تقول المشناه- دم القتيل ونسله؛ وأضاف النصّ بعد ذلك مباشرة: ((لذلك خُلِق الإنسان وحده؛ ليظهر أنّ من أباد نفس واحد من إسرائيل؛ فقد عدّ له ذلك في الأسفار المقدّسة كأنّه أباد كلّ العالم (الكون)، ومن حفظ نفس واحد من إسرائيل فإنّ ذلك يعد له في الأسفار المقدّسة كأنّه حفظ كلّ العالم.)) .. إنّ القرآن الكريم لا يشارك المشناه ربطها اللغوي وتبريرها النصّي، كما أنّنا لا نرى هذا الأمر في كتب المفسّرين المسلمين-كما أقرّ بذلك ((ستيلمان)) ((Stillman))392،

392 انظر؛ N. A. Stillman, "*The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations*", *Journal Of*

وإنمّا جاء الربط في القرآن الكـريم بين قتـل «هابيل» لأخيه، وبين حكم قتل النفس المعصومة وإحيائها؛ من باب بيان عظم حرمة النفس الآدميّة عند الله سبحانه.

9- رغم أنّ «جـايجر» قـد نقـل النصّ الأصـلي لمشـناه سـنهدرين 4/5؛ إلاّ أنّـه حرّفـه رغم أنّـه حـبر يتقن العبريّـة؛ إذ إنّ النصّ يتحـدّث عن: من يزهـق (نفس واحد من إسرائيل) (**נפש אחת מישראל**)؛ فكأنّما أباد كـل العـالم، ومن حافـظ على (نفس واحـد من إسرائيل) (**נפש אחת מישראל**)؛ فكأنّما حافظ على كـلّ العـالم، وهي القـراءة الأوثـق، واختارتهـا أهمّ ترجمات المشناه[393] والتلمود[394]. وقـد أورد «جـايجر» نفسه النص العبري، وفيـه «من إسـرائيل» «**מישראל**»، لكنّـه لمـا ترجمـه إلى الألمانيّـة للقـرّاء ألغى «من إسـرائيل»[395] وكـذلك فعـل صـاحب الترجمـة الإنجليزيّة[396] خداعًا للقـرّاء .. وفي المقابـل يتحـدث القرآن الكريم عن النفس الإنسانيّة بـإطلاق. كمـا أنّـه من غـير المعقـول أن تكـون قصـة ابـني «آدم» عليـه

Semitic Studies, 1974, V. 19 , p.238

393 مثال ترجمة «Isidore Fishman»

394 مثال ترجمة «Isidore Epstein»

395 انظـر؛ Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, Leipzig: M.W. Kaufmann, 1902, p.103

396 انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.81

السلام حجّة لبيان عظمة قدر (الدم الإسـرائيلي) رغم أنّ بـني إسـرائيل لم يظهـروا للوجـود بعـد .. فالآيـة القرآنيّة تقدّم إذن تصحيحًا للتصوّر اليهودي الذي جعل في (الآدميّـة الإسـرائيلية) تميّـزًا خاصًـا عنـد اللـه سبحانه!

صورة نصّ المشناه كما أورده «جايجر» في كتابه –الأصل الألماني-397، وفي المستطيل كلمة «من إسرائيل» «מישראל» التي حذفها «جايجر» في ترجمته الألمانيّة!

אָחִיו נֶאֱמַר בּוֹ קוֹל דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים אֵינוֹ אוֹמֵר דַּם אָחִיךָ אֶלָּא דְּמֵי
אָחִיךָ דָּמוֹ וְדַם זַרְעִיּוֹתָיו לְפִיכָךְ נִבְרָא אָדָם יְחִידִי לְלַמֶּדְךָ שֶׁכָּל הַמְאַבֵּד
נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ אִבֵּד עוֹלָם מָלֵא וְכָל הַמְקַיֵּם
נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ קִיֵּם עוֹלָם מָלֵא

10- ما جاء في القرآن الكريم لا يعدّ اقتباسًـا من المشـناه التي تمثّل التراث الشفهي اليهودي القديم المسـتنبط من التوراة، وإنّما هو تعقيب على هـذا الحكم وتعـديل لهذا الفهم الذي استقرّ في أذهان اليهـود الـذين كـانوا زمن البعثة النبويّة بفعل تقديسهم للمشناه وتفسـيرها الوارد في التلمودين البابلي والأورشليمي.

لقد جاء تحريم القتل في نصّ المشناه:

---

397 Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.102

(1) خاصًا بالإسرائيليين.

(2) قتل النفس الواحدة أو إحياؤها قورن بإحياء (كامل الكون) (**עולם מלא**) وإبادته.

في حين جاء منع القتل في القرآن الكريم حكاية عن شريعة بني إسرائيل الموحاة من الله سبحانه:

(1) متعلّقًا بجنس الآدمي بلا تمييز في الحرمة بين جنس وآخر.

(2) استثني منه القتل المشروع، وهو قتل القاتل وقتل المفسد في الأرض.

(3) قتل الفرد البشري كقتل كلّ البشر؛ إذ إنّ سياق الحديث خاص فقط بقتل الأناسي الذين هم الخلق المكرّم، ولا يتعلّق بالكون بما فيه من بشر وبقيّة الموجودات.[398]

يد ((موسى)):

قال تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى}[399]

---

398 قيل أيضًا في تفسير هذا الموضع: يتعلق قوله تعالى {من أجل ذلك} بقوله: {مِنَ النَّادِمِينَ} أي صار من النادمين بسبب القتل، ويكون كتبنا على بني إسرائيل استئناف كلام.

399 سورة طه/ الآية (22)

المصدر المدّعى: قال «جـايجر» إنّ وصـف إخـراج «موسى» ليده بيضاء من البرص أمام فرعون، أصله في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» 48:

«ووضـع في صـدر ثوبـه؛ وأخرجهـا بيضـاء كـالثلج من أثـر الـــبرص، ووضـــعوا هم أيضًـــا أيـــديهم في صـــدور ثيـــابهم؛ وأخرجوها بيضاء من البرص.» 400

הִכְנִים יָדוֹ לְחֵיקוֹ וְהוֹצִיאָהּ מְצוֹרַעַת כַּשֶּׁלֶג וְגַם הֵם הִכְנִיסוּ יְדֵם לְחֵיקָם וְהוֹצִיאוּ אוֹתָם מְצוֹרָעוֹת כַּשָּׁלֶג

التعليق:

1- ورد أمــر معجــزة يــد «موسى» أمــام الــربّ في العهــد القديم: «ثم قال الرب أيضا: «أدخل يدك في عبك». فأدخل يده في عبه. وعندما أخرجها إذا بهـا برصـاء كـالثلج. وأمـره الرب: «رد يدك إلى عبك ثانية». فرد يده إلى عبه ثانيــة ثم أخرجهـا من عبـه، وإذا بهـا قـد عـادت مثـل بـاقي جسـده.» (الخروج 4/6-7)، وهي معجزة وإن لم تتمّ أمام فرعـون إلاّ أنّها ثابتة في النصّ التوراتي؛ مما يدفع أصل تهمة الاقتبـاس من سفر «فرقي دي ربي إليعازر».

2- القصّة القرآنيّة هي وحدها المنطقيّة وقد تجـاوزت خطـأ النصّ التوراتي، فقد أمر الله سبحانه «موسى» عليه السلام

---

400 انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.125

أن يقـوم بتلـك المعجـزة كمـا سـبق في الآيـة، ثم جـاء في سورة الأعراف أنّ «موسى» عليـه السـلام قـد أجـرى هـذه المعجزة أمام فرعون بعد معجزة تحويل العصا إلى ثعبان:

{قَـالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَـةٍ فَـأْتِ بِهَـا إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِين فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين وَنَزَعَ يَدَهُ فَـإِذَا هِيَ بَيْضَـاء لِلنَّاظِرِين}401

في حين نقرأ في التـوراة أنّ الـربّ قـد طلب من «موسى» عليه السلام أن (1) يجري معجزة تحويل العصا إلى حيّـة، (2) فـإن لم يسـتجب فرعـون؛ فليـدخل يـده إلى عبّـه، ثم يخرجها برصاء كالثلج، ثم ليعدها إلى عبّه ويخرجهـا سـليمة. وقال الربّ له: «إذا لم يصدقوك، أو يعيروا المعجـزة الأولى انتبـاههم، فـإنهم يصـدقون الثانيـة. وإذا لم يصـدقوا هـاتين الآيـتين ولم يصـغوا لكلامـك، (3) فـاغرف من مـاء النهـر واسكبه على الأرض الجافة، فيتحول الماء الذي غرفتـه من النهـر إلى دم فـوق الأرض.»402.. لكننـا نـرى أنّ «موسى» و«هارون» قد أجريا (1) معجزة تحويل العصا إلى حيّة أمـام فرعـون، ثم مباشـرة (3) حـوّلا المـاء إلى دم، دون أن (2)

---

401 سورة الأعراف/ الآيات (106-108)

402 خروج 9-4/8

يجريا معجزة تحويل اليد السليمة إلى يـد برصـاء ثم إبرائهـا بعد ذلك403 ..

لقد أصلح القرآن الكريم خطأ التوراة المحرّفة!

3- لم يرِد البتّة في النصّ القرآني أنّ «موسى» عليه السلام سـيحوّل يـده السـليمة إلى يـد برصـاء (كـالثلج) (**כשלג**) ثم يردّها سليمة، وإنما جاء في القـرآن الكـريم أنّ يد «موسى» عليه السلام كان بها أذى؛ فكـانت المعجـزة أن تحـولت إلى البيـاض دلالـة على العافيـة. وهنـا خـالف القـرآن الكـريم التوراة وسفر «فرقي دي ربي إليعازر».

إسلام فرعون:

قال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْـرَ فَـأَتْبَعَهُمْ فِرْعَـوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَـدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَـهُ الْغَـرَقُ قَـالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَـاْ مِنَ الْمُسْـلِمِين آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين فَالْيَوْمَ نُنَجِّيـكَ بِبَـدَنِكَ لِتَكُـونَ لِمَنْ خَلْفَـكَ آيَـةً وَإِنَّ كَثِـيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَـا لَغَافِلُون}404

المصدر المدّعى: ذهب عـدد من المنصّـرين إلى أنّ القـرآن الكريم قـد اقتبس هـذا المشـهد من سـفر «فـرقي دي ربي إليعاز» في قوله إنّ فرعون قد نجّاه الله من الموت، وآمن، وحسن إيمانه، وذهب ليحكم بعد ذلك نينوى.

---

403 انظر؛ خروج 7/8-21

404 سورة يونس/ الآيات (90-92)

التعليق: ليس في النصّ القرآني أدنى مشابهة لنص «فرقي دي ربي إليعازر»؛ إذ إنّ القرآن الكريم قد:

(1) نفى نجاة فرعون، وأثبت غرقه، وما كانت النجاة إلاّ لجثته عند موته.

(2) في القرآن الكريم، انقطع أمر فرعون بعد موته، فليس هناك من سبيل للحديث عن رحلته إلى نينوى.

(3) إيمان فرعون لم يقبل؛ لأنّه وقع حين دهمه الموت، وانقطعت فسحة التوبة.

(4) كرّر القرآن الكريم ذكر أمر فرعون باعتباره نموذج الكفر والطغيان، في حين تبدو الصورة في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» على خلاف ذلك؛ باعتباره من التائبين المنيبين.

(5) تبدو الصورة التي عرضها سفر «فرقي دي ربي إليعازر» منكرة حتّى بالنسبة للكتاب المقدس حيث جاء القطع بموت فرعون وجميع جيشه[405]، والجزم بتقبيح ذكره بعد موته.[406]

(6) لما تحدثت الموسوعة اليهودية «*Encyclopaedia Judaica*» عن صورة فرعون في الإسلام، ذكرت ما

---

405 انظر؛ خروج 14/28، 4/15-5، مزمور 136/13-15

406 انظر؛ مزمور 74/14، الرسالة إلى روما 9/17

قررّه القرآن الكريم من غرقه ونجاة جسده وما جاء في «الأجاده» من نجاته، وقالت: «**القصص الإسلامي أثّر بصورة كبيرة في الأجاده اليهوديّة المتأخّرة**.»[407] ولا أرى في هذا النص غير اعتراف بأن القصّة الواردة في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» متأثرة بما جاء في القرآن الكريم من حديث عن (نجاة) جثّة فرعون، غير أنّ الخيال اليهودي أفاض في توسيع مفهوم (النجاة)!

اللاويون، الأمة الصالحة!

قال تعالى: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُون}[408]

المصدر المدّعى:

جاء في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» 45 قول الأحبار: «من الواضح من سفر الخروج 32/26 أنّ سبط اللاويين لم يتورط في قضيّة العجل الذهبي...»

שֵׁבֶט לֵוִי לֹא שִׁתֵּף עַצְמוֹ בְּמַעֲשֵׂה הָעֵגֶל שֶׁנֶ' וַיַּעֲמֹד מֹשֶׁה
בְּשַׁעַר הַמַּחֲנֶה וַיֵּאָסְפוּ אֵלָיו כָּל־בְּנֵי לֵוִי

التعليق:

الآية القرآنيّة لا تحمل البتة أدنى إشارة إلى سبط بعينه من بني إسرائيل، وكلمة «أمّة» تعني هنا «الجماعة الكبيرة من الناس».

سبب قتل الولدان

407 *Encyclopaedia Judaica*, 16/30

408 سورة الأعراف/ الآية (159)

قال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين}409

المصدر المدّعى:

زعم ((جايجر)) أنّ سفر ((فرقي دي ربي إليعاز)) 48 هو مصدر النص القرآني؛ إذ إنّه يذكر أنّ السحرة قد أخبروا فرعون –تفسيرًا لرؤياه المناميّة- أنّ طفلًا سيولد وسيقود خروج الإسرائيليين من مصر؛ ولذلك رأى فرعون أنّه برمي الأولاد الذكور الإسرائيليين في النهر؛ سيموت هذا الطفل معهم.

אמרו החרטמים לפרעה עתיד נער להולד והוא יוציא
את ישראל ממצרים וחשב ואמר בלבו השליכו כל הילודים
הזכרים אל היאור והוא מושלך עמהם

التعليق:

1- ليس في الآية القرآنيّة شيء من الحديث عن الرؤيا المزعومة، بل الآية صريحة أنّ فرعون قد قتل أبناء الإسرائيليين من باب النكاية فيهم والعلو في الأرض فسادًا. وما تذكره بعض كتب التفسير مما يوافق بعض ما جاء في سفر ((فرقي دي ربي إليعاز)) لا دليل عليه من قرآن ولا سنّة، وإنّما هو ممّا بثّه أهل الكتاب بين المسلمين.

2- القرآن الكريم قد وافق التوراة في أمر ذبح الأبناء، ولم يوافق سفر ((فرقي دي ربي إليعاز))؛ إذ قد جاء في سفر الخروج 1/15-22 أمر فرعون بقتل الذكور والإبقاء على الإناث مخافة تكاثرهم!!

409 سورة القصص/ الآية (4)

3- كان «جايجر» يعلم أنّه يفتري الكذب على القرآن الكريم، ولذلك اكتفى بنقل رقم السورة والآية – وقد أخطأ في رقمها إذ أشار إلى الآية الخامسة، في حين أنّ الآية المقصودة هي الرابعة من سورة القصص- دون أن يذكر لفظها، على خلاف عادته في نقل النص العربي للآية وترجمته!

- المدراشات: كلمة «مدراش» «מדרש»، تعني لغة «بحث» و«درس»، واصطلاحًا هي: «منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض مقاطعه وكلماته، والتوسع في تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع في الإضافات والتعليقات، وصولًا إلى المعاني الخفية»[410]، وهي تنقسم إلى تفاسير تشريعيّة، وتفاسير أجاديّة متعلّقة أساسًا بالعقائد والقصص الديني.

وقد تمّ تدوين هذا التفسير في مرحلة متأخّرة، واكب ذلك إحداث إضافات متجددة إلى هذا التراث، ويمكن تقسيم الكتب المدراشيّة إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ الكتب المدراشية المبكرة (وتم جمعها في الفترة 400 ـ 600).

2 ـ كتب المرحلة الوسطى (640 ـ 1000).

3 ـ كتب المرحلة المتأخرة (1000 ـ 1200).[411]

---

410 عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونية، نسخة إلكترونية

411 عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق

يقول المنصّرون إنّ عددًا من التفاصيل القصصيّة الواردة في القرآن، لها مثيل في بعض هذه المدراشات الأجاديّة، ولما كانت هذه المدراشات (1) متأخرة زمنيًا عن نزول الأسفار المقدّسة؛ بما يعني أنّها تضمّ خرافات وأساطير لا أصل لها في الوحي (2) ومدوّنة قبل ظهور الإسلام؛ فإنّه يلزم من ذلك القول إنّ القرآن قد اقتبس منها خرافاتها وأساطيرها!

الردّ:

- عامة هذه المدراشات التي ادُّعي أنّها مصدر للقرآن للكريم، قد دوّنت بعد ظهور الإسلام، وكتبت في جو إسلامي، فالقول بالنقل العكسي هو الصواب، خاصة أنّ أصول القصص واحدة في القرآن الكريم والكتاب المقدس والمدراشات؛ بما يعني أنّ ما تفرد به القرآن الكريم عن الكتاب المقدس، هو مصدر علمي للمدراشات في بيئة كان القرآن الكريم واللغة العربية يحكمان أجواءها العلميّة.[412]

---

412 كان التأثير الإسلامي على البيئة اليهوديّة كبيرًا حتى إنّ الترجمة العربيّة الأولى للتوراة، وهي التي قام بها «سعديا الفيومي» في القرن العاشر ميلاديًّا، كانت متأثّرة بالقرآن الكريم والتفاسير من ناحيتي الألفاظ والمعاني (انظر؛ David M. Freidenreich, *The Use of Islamic Sources in Saadiah Gaon's Tafsir of the Torah*, in *The Jewish Quarterly Review*, XCIII, Nos, 3-4 (January-April, 2003) 353-395) كما تأثّرت العبادات اليهوديّة بالعبادات الإسلاميّة (انظر كتاب العالم التلمودي «نفتالي ويدر» (1905م-2001م) «التأثيرات الإسلاميّة على العبادات اليهوديّة» «**השפעות אסלאמיות על הפולחן היהודי**». وقد صدر سنة 1947م (عرّبه الدكتور «محمد سالم الجرح» ونشر ضمن سلسلة «فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة» التي يصدرها «مركز اللغات الشرقيّة بجامعة القاهرة»، وانظر في أثر الإسلام في اليهودية ثقافة

تأريخ تدوين المدراشات كما هو في الموسوعة اليهودية ((*ENCYCLOPAEDIA JUDAICA*)) 14/184

Midreshei Aggadah According to Types and Periods

Aggadic Works	Midrashim	Date C.E.	The Era
	Genesis Rabbah	400–500	Classical Amoraic
	Leviticus Rabbah		Midrashim of the
	Lamentations Rabbah		Early Period
	Esther Rabbah I		(400–600)
Apocalyptic and Eschatological Midrashim	*Pesikta de-Rav Kahana*	500–640	
	Songs Rabbah		
	Ruth Rabbah		
Megillat Antiochus	Targum Sheni	640–900	The Middle Period (640–1000)
Midrash Petirat Moshe ("Death of Moses")	Midrash Esfah		
Tanna de-Vei Eliyahu ("Seder Eliyahu")	Midrash Proverbs		
Pirkei de-R. Eliezer	Midrash Samuel		
Midrash Agur (Called "Mishnat R. Eliezer")	Ecclesiastes Rabbah		
Midrash Yonah	Midrash Haserot vi-Yterot		
Midrash Petirat Aharon	*Deuteronomy Rabbah*[1]	(775–900)	مجموعة مدراش
Divrei ha-Yamim shel Moshe	*Tanḥuma*[1]		تنحوما
Otiyyot de-R. Akiva	*Tanḥuma (Buber)*[1]		
Midrash Sheloshah ve-Arba'ah	*Numbers Rabbah II*[1]		
Midrash Eser Galuyyot	*Pesikta Rabbati*[2]		
Midrash va-Yissa'u	*Exodus Rabbah II*[1]		
	Va-Yeḥi Rabbah[1]		
	The Manuscripts of the Tanḥuma		
	Yelammedenu Midrashim[1]		
Throne and Hippodromes of Solomon	Midrash Tehillim I	900–1000	
Midreshei Ḥanukkah	Exodus Rabbah I		
Midreshei Yehudith	*Aggadat Bereshit*		
Midrash Hallel	Aggadat Shir ha-Shirim (Zuta)		
Midrash Tadshe	Ruth Zuta		
	Ecclesiastes Zuta		
	Lamentations Zuta		
Midrash Aseret ha-Dibberot	Midrash Shir Hashirim	1000–1100	The Late Period
Midrash Konen	Abba Guryon		(1000–1200)
Midrash Avkir	Esther Rabbah II		
Alphabet of Ben Sira	Midrash Tehilim II		
Midrash va-Yosha			
Sefer ha-Yashar			
Pesikta Ḥadta	Panim Aḥerim le-Esther (version 1)	1100–1200	
Midrash Temurah	Lekaḥ Tov (c. 1110)[3]		
	Midrash Aggadah[2]		
	Genesis Rabbati[2]		
	Numbers Rabbah[2]		
	Yalkut Shimoni[3]	1200–1300	The Period of the Yalkutim
	Midrash ha-Gadol[3]	1300–1400	(anthologies)
	Yalkut Makhiri[3]		1200–1500
	Ein Ya'akov[3]	1400–1500	
	Haggadot ha-Talmud[3]		

تتركّز دعاوى المصدريّة المدراشيّة للقرآن الكريم في:

- ((مـــدراش تنحوما)) ((**מדרש תנחומא**)) وهـــو مجموعة مدراشات لأسفار من العهد القديم. وكما هـــو في الجـــدول المنقـــول أعلاه عن الموسوعة

ودينًا؛ Bernard Lewis, *The Jews of Islam*, pp.77-82)ـ، وممّا قالـه المستشرق ((برنارد لويس)) في هـذا الكتـاب (ص80): ((ظهـور اللاهـوت اليهودي أخذ مكانه تقريبًا بالكامل في الأراضي الإسلاميّة.))

اليهوديـــــة ((Encyclopaedia Judaica))؛ فــــإنّ هــــذه المدراشات قد دوّنت بعد ظهور الإسلام.

وقد علّق الناقد ((س. د. غوتين)) ((S. D. Goitein)) على التوافق الموجود بين قوله تعالى: {فَلما سَـمِعَتْ بِمَكْـرِهِنَّ أَرْسَـلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَـدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـأً وَآتَتْ كُـلَّ وَاحِـدَةٍ مِّنْهُنَّ سِـكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْـدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم}[413] وبين مـا جـاء في مـدراش تنحومـا ومـدراش ياشـر، بقولـه: ((هـذا المشـهد الـذي كثـيرًا مـا صـوّر من طـرف الرسّـامين المسلمين، موجود في <u>الأدب اليهـودي المتـأخّر عن القـرآن زمنيًا</u>... لا يوجد في المدراشات القديمـة.))[414] مؤكّـدًا بـذلك نفي مصدريّة مدراش تنحوما لهذا النص القرآني.

ومن طرائـف مجموعـة ((مـدراش تنحوما)) أنّـه قـد ورد في مدراش ((سفر التثنيّـة رَبـاه)) أنّ ((موسى)) عليـه السـلام قـد طلب من الربّ معاقبة ((إبراهيم)) عليه السلام؛ لأنّ من ابنـه ((إسماعيل)) عليه السلام، قد جـاء ((الإسـماعيليون)) الأشـرار الذين أثاروا (غضب الرب)[415] .. وجليّ أنّ الإسماعيليين هنا هم ((أمّـة الإسـلام))؛ إذ لا قيمـة (للإسـماعيليين) في تـاريخ البيئة التي عاش فيها اليهود، قبل ظهور دولة الإسلام!!

---

413 سورة يوسف / الآية (31)

414 S. D. Goitein, *Jews and Arabs*, p.194 (Quoted by, Shalom Goldman, *The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*, p. 86 (الإحالة إلى صفحة مخطوطة هذه الأطروحة كما هي في جامعة نيويورك)

415 انظر؛ Carol Bakhos, *Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first Arab*, p.88

وتقــول الموســوعة اليهوديــة ((*Encyclopaedia Judaica*)) تحت عنــوان ((المرحلــة الوســطى (للمدراشــات))): ((تنتمي عــدة أعمــال مدراشــيّة وأجاديّــة إلى الفــترة من مرحلــة الغــزو الإسلامي (640م) إلى نهاية القرن العاشر ... أهم مجموعة مدراشيّة لهذه الفترة هي ((مدراش تنحوما)).))416

واستدلّ ((زونز)) في تحديــده زمن ظهــور ((مــدراش تنحوما)) في النصــف الأوّل من القــرن التاســع بالتشــابه بينــه وبين كتـــاب ((أســـئلة)) ((**שאלתות**)) للعـــالم التلمـــودي ((أحـــاي)) ((**אחאי**))417 وكتابات الأحبار في الفترة الجيونيّة418، وكــذلك ما يظهره من معرفة بجدليات اليهــود القــرّائين، وهــو نفس ما اســتدلّ بــه ((صــاموئيل برمــان)) ((Samuel Berman)) لتحديــد تاريخه في آخر القرن الثامن أو بداية القرن التاسع.419

صورة من إحدى مخطوطات ((مدراش تنحوما))

---

416 *Encyclopaedia Judaica*, 14/185

417 أحاي (توفي سنة 782م): كــان من أئمــة علمــاء اليهــود في زمانــه. ألّف كتابه ((أسئلة)) في فلسطين.

418 انظر؛ L. Zunz, *Die Gottesdienstlichen Vorträge der Juden: Historisch Entwickelt*, pp. 246-247 (Quoted by, M S M Saifullah, Mansur Ahmed & Elias Karim, On The Sources Of The Story Of Cain & Abel In The Qur'an)

419 صرّح ((صاموئيل برمــان)) أنّ هــذا المــدراش قــد تضــمّن مقــاطع من كتاب ((أسئلة))؛ وهــو تعبــير صــريح في دلالتــه على النقــل المباشــر الــبيّن (انظــر؛ Samuel Berman, *Midrash Tanhuma-Yelammedenu: An English Translation Of Genesis And Exodus From The Printed Version Of Tanhuma-Yelammedenu With An Introduction, Notes, And Indexes*,New Jersey: KTAV, 1996, p. xii)

وقد تعرّض «مـدراش تنحوما» إلى التحريـف الفـاحش حتّى قيل إنّـه (نـوع) (genre) لا (نص) (text)[420]؛ ممـا يجعل التعامل مع أصالة نصوصه محل نظر وحذر!

---

420 انظر: Jeffrey L. Rubenstein, *From Mythic Motifs to Sustained Myth: The Revision of Rabbinic Traditions in Medieval Midrashim*, in *The Harvard Theological Review*, Vol. 89, No. 2 (Apr., 1996), p.133

- مـدراش «التكـوين رَبـاه»[421] «בראשית רבה»: ذكـر «جـايجر» مـدراش «التكـوين ربـاه» أكـثر من مـرة كمصـدر للقصـص القـرآني لبعض الأنبيـاء، دون أن يخبر القارئ عن تاريخ نص هذا المدراش!

يضم مدراش «التكوين رباه» شروح أحبار لما جاء في سـفر التكوين، ورغم أنّ عامة النقّاد يـرون أنّ هـذا المـدراش قـد ألّف في حدود القرن الخامس أو السادس، إلاّ أنهم أيضًا قد أشاروا إلى أنّ هذا النص قد تعرّض إلى التحريف، وأنّه كان معرّضًـا دائمًـا لإضـافات طويلـة وأخـرى قصـيرة[422]؛ حتّى وصـفه الناقـد «بكر» «Becker» بأنّـه «نص مفتـوح» لأنّـه تعليـق قابل للتوسّـع[423]، وأنّـه «يبـدو أنّـه نقّح بصـورة متـأخرة في القرون الوسطى»[424]. وقـد أثبتت المقارنـة بين أقـدم ثلاث مخطوطات لهذا المدراش والشواهد النصيّة المتأخّرة وجود عدد كبير من الزيادات اللاحقة التي لا شك في أنّها نصـوص غـير أصـيلة؛ إذ لا تربطهـا ببقيّـة النصـوص المحيطـة بهـا سـياقات منطقيّة[425]، كمـا أشـار النقّـاد إلى أنّـه بداية من

421 كلمة «رباه» العبريّة تعني «كبير»، وتستعمل هنـا بمعـنى: المـدراش الضـخم بـالمعنى المجـازي. (انظـر؛ Jacob Neusner, *A Theological Commentary to the Midrash: Genesis Rabbah*, Maryland: University Press of America, 2001 , p.xxvii)

422 انظر؛ *The Jewish Encyclopedia, 3164*

423 انظر؛ Chaim Milikowsky, ‘*On the Formation and Transmission of Bereshit Rabba and the Yerushalmi: Questions of Redaction, Text-Criticism and Literary Relationships*,’ in *The Jewish Quarterly Review*, New Series, Vol. 92, No. 3/4 (Jan. - Apr., 2002), p.526

424 Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, Maryland: Scarecrow Press, 2002, p.124

425 المصدر السابق، ص 527

المقـاطع الـتي تعلّـق على الفصـل 32 من سـفر تكـوين فصـاعدًا، بـدأت تظهـر مقـاطع تحمـل علامـات الأجـاده المتأخّرة ومرتبطـة في عـدد من النقـاط بالشـرح الموجـود في مدراش تنحوما.[426]

وإذا قلنا برأي الناقد «زونز» إنّ هذا المـدراش قـد ألّـف في القرن السادس[427]؛ علمنا أنّ كلّ الزيادات التي لحقت هـذا المدراش كانت بعد ظهور الإسلام!

وبالنظر في جميع الأمثلة التي أوردها «جـايجر» نلاحـظ أنّهـا كلّهـا لا يمكن أن تكـون مشـابهة لمـا جـاء في القـرآن الكريم[428] إلاّ نصين اثنين:

---

426 انظر؛ *The Jewish Encyclopedia, 3l64*

427 انظر؛ H. Freedman, *The Midrash Rabbah, Genesis*, London: The Soncino Press, 1977, p.xxix

428 هنا كلّ النصوص التي استدلّ بها «جايجر» من مدراش التكوين رباه:

1- الفصـل 8 من مـدراش «التكـوين ربـاه» : فُتِنت الملائكـة بـآدم، وأرادت أن تقدسه، لكن لما جعله الرب ينام؛ أدركت الملائكـة أنـه من الأرض.
2- الفصل 17 من مدراش «التكوين ربـاه» : «منـذ بدايـة الكتـاب إلى هذه النقطة، لم يوجـد حـرف السـين، ومـا إن خلقت المـرأة حتّى خلق السطان שטן (أي الشيطان).»
3- الفصل 42 من مدراش «التكوين رباه»: «ولقّب إبـراهيم بـالعبري؛ لأنّه من نسل «عبر». »
4- الفصـل 38 من مـدراش «التكـوين ربـاه» عن قـوم «عـبر» الـذي يعتقد «جايجر» أنّه «هود» عليه السلام: «ولما سافروا منـذ البدايـة (أو من الشرق)، ابتعدوا عنه وهو بداية العالم.»
5- الفصلان 63 و68 من مدراش «التكوين رباه» جاء فيهما ذكر سفر «رفقة» و«يعقوب» إلى بلاد «عبر».
6- الفصـل 38 من مـدراش «التكـوين ربـاه» : أبـو «إبـراهيم» عليـه السلام من النـاجين «لـه نصـيب في الحيـاة الأبديّة». وقـد اعـترف «جـايجر» أنّ هـذا النص ينـاقض مـا جـاء في القـرآن عن والـد

~ ورد النص الأول في الفصل 91 من مدراش «التكوين رباه»، وهو في قول «يعقوب» عليه السلام لبنيه ألاّ يدخلوا مصر من مدخل واحد، وهو يشابه ما جاء في القرآن الكريم: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ}[429]، ويقع هذا الفصل ضمن الجزء الذي قرّر النقّاد أنّه يُظهر علامات أجاديّة متأخّرة على عكس الفصول الأولى؛ بما يعني صراحة أنّه ضمن الجزء الذي يحمل علامات ما بعد البعثة النبويّة المحمّدية.

وقد جاء في الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» : «توجد عدة أجزاء في التكوين رباه (في 75 و84 و88 و91 و93 و95) لا يمثّل أسلوبها ولغتها وطابعها التفسيري جزءًا مكملًا للمدراش الأصلي وإنّما هي إضافات متأخّرة».[430]

كما أنّ طلب «يعقوب» عليه السلام من بنيه ألاّ يدخلوا مصر من مدخل واحد قد ورد في مدراش «التكوين رباه» تعليقًا على نص تكوين 42/1 حيث الرحلة الأولى لأبناء «يعقوب» إلى مصر[431]، في حين أنّ الرواية القرآنيّة تذكر أنّ قول «يعقوب» عليه السلام متعلّق بالرحلة الثانية لأبنائه إلى مصر.

«إبراهيم».

7- الفصل 38 من مدراش «التكوين رباه»: «ستقبر في سن كبير طيّب، وأرى الله إبراهيم أنّ إسماعيل سيتوب.»

بقيّة الأمثلة سنذكرها لاحقًا في المتن.

429 سورة يوسف/ الآية (67)

430 *Encyclopaedia Judaica*, 7/449

431 انظر؛ Jacob Neusner, *Genesis Rabbah*, Georgia: Scholars Press, 1985, 3/264

~ ورد النص الثـاني في الفصـل 38 من مـدراش ((التكـوين رباه)) وهو في قصّة ((إبراهيم)) مع الأصـنام والنـار، ورغم أن فيه شبهًا بالقصة القرآنية إلا أنّه يلاحظ هنا:

* تخالف القصّة المدراشـيّة القصّـة القرآنيّـة في التفاصـيل من أوجه كثيرة.

* تعـرّض هـذا المـدراش للتغيـير الشـديد ولا يملـك المستشرقون والمنصّرون حجّة على أصالة هذه القصّة في هذا المدراش أو على ثبوت وجودها فيه قبل البعثة النبويّـة، علمًا أنّ أقدم مخطوطة لهذا المدراش بحوزتنا اليـوم: (Vat. 30) تعود إلى 400-500 سنة بعد البعثة النبويّة[432]، كمـا أنّ النصّ المنشور اليوم باللغة الأصليّة والذي أعـدّه ((ثيـودور)) ((Theodor)) و((ألبك)) ((Albeck)) (1929م) لا يطابق أية مخطوطة قديمة لكثرة الاختلافات بينها![433]

* قصّة ((إبراهيم)) عليه السلام مع أصنام قومه، وإلقائـه في النار، من أثبت القصص في التراث الشفوي اليهـودي؛ فقـد وردت في التلمـود وفي ((سـفر اليـوبيلات)) ((ספר היובלים))

---

432 انظـر؛ L. M. Barth, *An Analysis Of Vatican 30*, 1973, Monographs of the Hebrew Union College No. 1, Hebrew Union College - Jewish Institute Of Religion, pp. 88-89 (Quoted by, M S M Saifullah, *The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah*)

433 انظر؛ Hans-Jürgen Becker, "*Texts And History: The Dynamic Relationship Between Talmud Yerushalmi And Genesis Rabbah*", in Shaye J. D. Cohen (ed.) *The Synoptic Problem In Rabbanic Literature*, 2000, Brown Judaic Studies: Providence (RI), pp. 154-155 (Quoted by, M. S. M. Saifullah, *The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah*)

الـــذي ألّــف في القـــرن الثـــاني قبـــل الميلاد -على قـــول الموسوعة اليهوديّة ((*Encyclopaedia Judaica*))434، أي بعد إعادة كتابة التوراة على يد ((عزرا)) بثلاثة قرون، وكانت القصّة في مجملهـــا ذائعـــة بين اليهـــود في زمن قـــديس الكنيســـة ((جيروم))435؛ وهو ما يظهر أنّ لها أصلًا ثابتًا قديمًا.

- مدراش ((الخروج (شموت) رباه)) ((**שמות רבה**)) :
استدلّ ((جايجر)) بمدراش ((الخروج رباه)) في حديثـه عن الاقتبـاس القـرآني من قصّــة ((موسى)) عليــه السلام.

ذهب الناقد ((زونز)) إلى أنّ هذا الكتاب يشكّل كتلــة واحــدة، ويعود كلّـه إلى القـرن الحـادي عشـر أو الثـاني عشـر، وإن كـان يـرى أنّ فيــه أجــزاء داخليــة مــأخوذة من مدراشــات أقـــدم436، في حين ذهب الناقـــد ((هر)) ((Herr)) إلى أنّ هـــذا المدراش في حقيقته ليس كتلة واحدة متجانسة، وإنّمـا هـو مكوّن من جزأين، الجزء الأوّل يشمل الفصول الأربعة عشر الأولى، وهـــو يغطي التعليـــق على تكـــوين 1-10، في حين

---

434 انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, 11/473-474 .. هذا هو أقصى تاريخ متأخّر متصوّر لتأليف هذا السفر؛ إذ إنّه قد وجدت منه 15 مخطوطــة في مغـاور قمـران، وترجـع أقـدمها إلى سـنة 125ق م- 100 ق م (انظـر؛ James C. VanderKam, *The Book of Jubilees*, Sheffield: Continuum International Publishing Group, 2001, p.16)؛ ممّـا يؤكـد ذيـوع هـذا السـفر في ذاك الـزمن القـديم، ولعلّـه يعـود إلى زمن أبكـر ممـا ذكرتـه الموسوعة اليهوديّة. ولايزال هذا السفر مقدسًا في الكنيسة الأثيوبيّة.

435 أشار إلى ذيوع القصّــة بين اليهـود (مـع اختلاف في التفصـيل) في كتابه ((*Quaestiones Hebraicae in Genesim*))

436 انظـر؛ H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash*, p. 309

يستوعب الجزء الثاني باقي الفصول (15-52). يعود الجـزء الأوّل إلى فـترة زمنيّـة لا يمكن أن تكـون سـابقة للقـرن العاشر، أمّا الجزء الثاني فيسبق الجزء الأوّل تاريخيًا.[437]

وبالنظر في جميع الأمثلة التي أوردها «جـايجر» نلاحـظ أنهـا كلّها موجـودة في الجـزء الأوّل (الفصـلان الأوّل والخـامس) الذي ألّف –على قـول من يمـيز بين جـزأي المـدراش- بعـد نزول القرآن الكريم بثلاثة قرون على أدنى تقدير، علمًـا أنّ أوّل اقتباس صريح من هذا المدراش كان في القرن الثالث عشر!![438]

- مدراش «العدد رَباه» «**במדבר רבה**» : تكرّر قـول المنصّرين والمستشرقين إنّ مدراش «العدد ربـاه» من مصـــادر القـــرآن الكـــريم؛ حتّى لكأنّـــه من المسلّمات!

يتكون هذا المدراش المرتبط بشرح سفر العدد، من جزأين متباعدين زمنًا ومصدرًا، ومتأخّرين تدوينًا؛ تقول الموسـوعة اليهوديّـة «*The Jewish Encyclopedia*»:ـ «يتمثّل مـدراش «العـدد رباه» في جزأين مختلفين في المصدر والمضمون. يحتـوي الجـزء الأوّل على المقـاطع 1-14 وهـو تقريبًـا ثلاثـة أربـاع الكتاب، ويضم شرحًا أجاديًا متأخرًا على سـفر العـدد 1-7. يضـمّ الجـزء الثـاني المقـاطع 15-33، وهـو إعـادة صـياغة لمدراش تنحومـا من سـفر العـدد 8 كلمـة كلمـة تقريبًـا ... حتّى الجزء الأوّل يضمّ الكثير ممّا هو مـأخوذ من تنحومـا ...

437 انظر؛ المصدر السابق
438 انظر؛ المصدر السابق

هذا الجزء من العدد ربّاه أظهر كلّ علامات الـزمن الأجـادي المتـأخّر ... هـذا العمـل طبقًـا لمـا قالـه ((زونز)) ((Zunz)) من الصعب أن يؤرّخ قبل القـرن الثـاني عشـر ميلاديًّا ويبـدو أنّ الموسوعة اليهوديّة ((*Encyclopaedia Judaica*)) –كمـا يظهـر من الجدول- تقول أيضًا بنفس هذا القول.

وتقول الموسوعة اليهودية ((*The Universal Jewish Encyclopedia*)) إنّ الجزء الأوّل من مدراش العدد متأخر جدًا ومتأثر بكتابات الأحبـار الفرنسـيين، وإنّ الجـزء الثـاني، كمـا بيّن ذلـك ((بوفنست)) ((Boveniste)) تكـرار حـرفي لمـدراش تنحومـا. وأضافت أنّ أوّل ذكر لهذا المدراش كان في القـرن الثـالث عشر؛ واستنبطت من ذلك أنّ إتمام هـذا المـدراش لا يعـود إلى زمن أقدم من القرن الثاني عشر،[439] وهـو تقريبًـا مـا صـرّحت بـه الموسـوعة اليهوديّـة ((*The New Standard Jewish Encyclopedia*))![440]

وقال الناقد ((يهوذا ج. سلوتكي)) ((Judah J. Slotki)) في مقدمته للترجمة الإنجليزيّة لمـدراش ((العـدد ربّـاه)): ((يُظهـر الكتـاب كلّ علامات الأصل المتأخّر ... من المتّفق عليه عمومًا أنّـه لم يكن موجودًا في شكله الحالي قبل القـرن الثـاني عشـر الميلادي. أقدم مخطوطة متاحة ... تعود إلى سنة 1291... لم يشـر أيّ عـالم إلى (هـذا الكتـاب) قبـل القـرن الثـالث عشر.))[441]

---

439 انظر: *The Universal Jewish Encyclopedia*, 7/540

440 انظر: Cecil Roth and Geoffrey Wigoder, eds. *The New Standard Jewish Encyclopedia*, New York: Doubleday, 1970, p.1457

ويقول الناقد ((ماريون ب. لرنر)) ((Myron B. Lerner)) إنّ الناقـد ((هــ. مـاك)) ((H. Mack)) قـد أثبت أنّ هـذا المـدراش هـو نتـاج القرن العاشر-الحادي عشر، وإنّه قد أخذ شكله النهائي في منتصـف القـرن الثـاني عشـر، وإنّـه نتـاج نشـاط تفسـيري لأحبـار منطقـة ((بـروفنس)) بفرنسـا أثنـاء القـرنين العاشـر والحادي عشر. 442

وخلاصة الخلاف بين النقاد هنا هو اعتبار هذا المدراش كتابًـا واحـدًا متجانسًـا، أو كتابًـا هـو تجميـع لعملين مختلفين من ناحية زمن التأليف؛ فعلى القـول الأوّل الـذي انتصـر لـه ((أ. هـ. فايس)) ((I. H. Weiss)) و((مركن)) ((Mirkin)) فإنّ هذا الكتاب قد ألّفه ((موشه هادرشان)) كلّه في القرن الحادي عشر443، وعلى القول الثاني فـإنّ جـزءًا من هـذا المـدراش قـد كتب في القـرن التاسـع في حين كتب الجـزء الآخـر في القـرن الحادي عشر.

إنّ العلامات الداخليّة تجزم أنّ هـذا المـدراش قـد كتب في زمن بعيد بقرون عن البعثة النبويّة، كما أنّ أقدم مخطوطـة

---

441 H. Freedman and Maurice Simon, eds. *The Midrash Rabbah, translated into English with notes*, London: The Soncino Press , p.vii

442 انظر؛ Mack, *Prolegomena*, pp.191-193 (Quoted by, Myron B. Lerner, '*The Works of Aggadic Midrash and the Esther Midrashim*.' In Shmuel Safrai and others, ed. *The Literature of the Sages: Second Part: Midrash and Targum, Liturgy, Poetry, Mysticism, Contracts, Inscriptions, Ancient Science and the Languages of Rabbinic Literature*, Minnesota: Fortress Press, 2006, 2/155)

443 انظر؛ Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p. 310

متاحة وأقدم إحالة لهذا المدراش تفصلهما مساحة زمانيّة واسعة جدًا عن زمن

نزول القرآن الكريم![444]

- «مدراش الجامعة» «קהלת רבה»: ذكرت الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» أنّ «مدراش الجامعة» من ضمن المدراشات التي ألّفت بعد ظهور الإسلام. ورجّح صاحبا كتاب «*Introduction to the Talmud and Midrash*» أنّه قد ألّف في القرن الثامن في فلسطين.[445]

- «مدراش هجادول» «מדרש הגדול»: مما يكشف بجلاء واضح (فصيح) غياب أخلاقيات الحوار العلمي في كتابات المنصّرين، استدلالهم لدعوى الاقتباس بالتشابه بين «مدراش هجادول» والقرآن الكريم في بعض تفاصيل القصص، رغم أنّ هذا المدراش قد كتب بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر -كما هو واضح في الجدول السابق للموسوعة اليهوديّة-!!

وقد نسبه بعض النقاد سابقًا إلى «إبراهيم» ابن الفيلسوف اليهودي المشهور «موسى بن ميمون» (توفي:

444 انظر المصدر السابق، ص 310-311

445 انظر: Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p. 318

1237م)446، لكنّه –كما يقول مؤلّفو كتاب ((مدخل إلى التلمود والمدراش)) ((*Introduction to the Talmud and Midrash*)): ((ينظر اليوم من الكلّ تقريبًا إلى داود بن عمرام على أنّه مؤلّف مدراش هجادول.))447، وهو ما تبناه معجم الديانة اليهوديّة ((*The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*)).448

وقد نسبته الموسوعة اليهوديّة ((*The Encyclopedia of Judaism*)) إلى القرن الثالث عشر، وذكرت أنّ صاحبه قد اقتبس فيه بصورة موسّعة من الترجمة العربيّة للتوراة ((لسعديا الفيومي))، وأنّه لم يقتبس مباشرة من التلمود وإنّما أخذ عنه من خلال قواميس القرون الوسطى!449

- ((يَلقوط شِمعوني)) ((**ילקוט שמעוני**)): أُلّف هذا المدراش في فترة قريبة من ((مدراش هاجادول)) – في القرن الثالث عشر كما هو في جدول الموسوعة اليهوديّة- ورجّح صاحبا كتاب ((*Introduction to the Talmud and Midrash*)) أنّه قد أُلّف في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر450 .. ومع

446 انظر: S. Fisch, *Midrash Haggadol on the Pentateuch*, Manchester University Press ND, 1940 , pp.6-41

447 Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p.354

448 انظر: R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, p.463

449 انظر: Phil. D. Wigoder and others, eds. *The Encyclopedia of Judaism*, New York: Macmillan Publishing Company, 1989, 489

450 انظر المصدر السابق، ص 352

ذلك فقد وجد لـه المنصّـرون مكانًـا بين (المصـادر البشريّة للقرآن الكريم)!!

- «سـفر هياشـار» «ספר הישר»: ينتمي مـدراش «سفر هياشار» إلى نفس الفترة الزمنيّة للسـفرين السـابقين؛ إذ تـردّه الموسـوعة اليهوديّـة «Encyclopaedia Judaica» إلى آخـر القـرن الحـادي عشـر، وتـرجح أنّـه ألّـف في الأنـدلس (جنـوب إسبانيا)451 وقالت فيه صراحة: «استعمل المؤلّـف أحيانًا خياله بِحريّة، وتـأثّر بصـورة كبـيرة بخرافـات المسـلمين. يحتـوي هـذا العمـل على عـدّة أسـماء عربيّة ولاتينيّة وأيضًا التعريف الفلسفي الـذي يعـود إلى القرون الوسطى المتمثّل في أنّ الإنسـان هـو روح حيّة رُزِقت نطقًا. اقتُبس لأوّل مرّة في يلقوط شمعوني.»452

وقـالت «الموسـوعة التاريخيّـة للأنبيـاء في الإسـلام واليهوديّة» «Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism» إنّ هذا السفر قد ألّف في القرن الثالث عشر، وإنّـه «يضـم عدة عناصر من التفسيرين اليهوديّ والإسلامي.»453

وقد ذهب الناقـدان «ج. دان» «J. Dan» و«ج. جينو» «J. Genot» إلى تـرجيح أن يكـون تأليفـه قـد كـان في القـرن السـادس عشر، واستدل «ج. جينو» لهذا الأمر بمـا أورده المؤلّـف من

---

451 انظر؛ Encyclopedia Judaica, 14l189

452 انظر المصدر السابق, 13/ 188

453 Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p. 56

ذكـر لاسـتعمال الإسـطرلاب، وأن ((يوسف)) كـان فلكيًا في محكمة للأمميين، ومـا جـاء فيـه من تفاصيل كتابيّـة كـانت شائعة في القرن السادس عشر454 .. ولم يصرفه ذلك عن قائمة مصادر القرآن المنزّل في بداية القرن السابع!

- مــدراش ((أوتيــوت دي ربي عقيبا)) ((**אותיות דרבי עקיבא**)) نسبه (مؤلّفه/مؤلفوه) إلى الحـبر ((عقيبا))، وهو متعلّق بأسماء الحروف العبريّة.

ألّف هذا المدراش بعد ظهور الدعوة المحمّديّة، وفي واقـع متأثّر بالبيئة الإسلاميّة؛ إذ قد ردّ الناقـد ((جلّينك)) ((Jellinek))455 تأليفه إلى فترة متأخرة بسبب ما يبدو فيـه من إشـارة إلى الشكل العربي للحروف ومن إشارة إلى الحياة العربيّة.456

ذهبت ((الموسوعة التاريخيّة للأنبياء في الإسلام واليهوديّة)) ((*Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*)) إلى أنّ هذا المدراش قد ألّف في القرن الحادي عشر.457

وذهب مؤلّفا كتاب ((*Introduction to The Talmud and Midrash*)) إلى أنّ ((أوتيوت دي ربي عقيبا)) قد ألّـف في فـترة مـا من القرن السابع إلى القرن التاسع.458

---

454 انظر: Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p.339

455 أدولف جلينك (الاسم العبري: أهارون يلينق **אהרן ילינק**) (1821م-1893م): حبر يهودي نمساوي. ناقد مهتم بدراسة المدراشات.

456 انظر: *The Jewish Encyclopedia, 1*I311

457 انظـر: Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.20

458 انظر: H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash,* p.349

وقـــرّرت الموســـوعة اليهوديّـــة «The Universal Jewish Encyclopedia» أنّه قد ألّف في القرن الثامن أو التاسع.459

واختارت الموسوعة اليهوديّة «Encyclopedia Judaica» القول إنّ هذا المدراش يعود جمعه إلى القرن التاسع ميلاديًّا460علمًـا أنّ هـذه الموسـوعة ذاتهـا تقـرّر أنّ لهـذا المـدراش عـدة نصوص مختلفة (different versions)، وأنّ هناك نسـخًا أخـرى له (أكثر من المطبوع) لم تنشـر بعد461، كمـا أنّ جميـع مـا هو منشور أصله متأخّر جدًا عن الزمن الافتراضي للتـأليف؛ كـلّ ذلـك يجعـل القـول بأصـالة مـا يُسـتدل بـه في هـذا المدراش لإثبات دعوى الاقتباس في حاجة إلى دليل مباشر على أنّه ليس ملحقًا في زمن متأخر عن زمن التأليف الذي هو أصلًا متأخّر عن البعثة النبويّة المحمّديّة!؟؟

المثـال الوحيـد المـدّعى من «جـايجر» ومن شـايعه من المستشرقين والمنصّرين هو ما جاء في مـدراش «أوتيـوت دي ربي عقيبا» 8ـ 1:ـ «أمـير النـار يقـول يوميًـا أعطـوني المزيد من الأكل لإرضائي لأنّه قيل: (إشـعياء 5/14): لـذلك وسعت الهاوية نفسـها وفغـرت فمهـا بلا حـد فيـنزل بهاؤهـا وجمهورهـا وضـجيجها والمبتهج فيهـا.» وهـو أصـل جـاء في القرآن الكريم -بـزعمهم- : {يَـوْمَ نَقُـولُ لِجَهَنَّمَ هَـلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيد}462، وهي دعوى مردودة من أوجه:
أوّلها: تأخّر تأليف هذا المدراش عن نزول القرآن الكريم.

459 انظر: *The Universal Jewish Encyclopedia, 1/144*
460 انظر: *Encyclopedia Judaica, 14l188*
461 انظر المصدر السابق
462 سورة ق/ الآية (30)

ثانيها: مضـمون هـذا النص المدراشـي ثـابت في الكتـاب المقدس ذاته؛ إذ قد ورد في سفر إشعياء 5/14، ومنه أخـذ مؤلّف هذا المدراش الفكرة التي ساقها.

ثالثها: مجمل معنى ما جاء في الآية القرآنيّـة الكريمـة ورد أيضًا في سـفر الأمثـال 30/15-16:ـ «ثلاثـة أشـياء لا تشـبع قط، والرابعة لا تقول كفى: الهاوية، والـرحم العقيم، وأرض لا ترتوي من الماء، والنار التي لا تقول أبدًا كفى.»

رابعا: النص القـرآني ليس مطابقًـا لمـا جـاء في مـدراش «أوتيـــوت دي ربي عقيبا»؛ إذ إنّ الطـــالب في مـــدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» هو «أمـير النـار»، في حين أنّ النـار نفسها تطلب المزيد في الآية القرآنيّة الكريمة.

صورة لغلاف مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» (طبعة 1914م)


מדרש

אותיות דרבי עקיבא

השלם

בשתי נוסחאות

ע"פ כתבי־יד ישנים, ודפוסים שונים

עם

מדרש אלפא ביתות

ע"פ כת"י יחידי בעולם שנעתק בבוכארה

בשנת אתת"ז לשט'

יוצא לאור פעם ראשונה

עם באורים והערות וציונים ומבוא

מאתי

שלמה אהרן ווערטהיימער

פה ירושלים עה"ק ת"ו שנת תרע"ד

בדפוס הר' ר' פרומקין הי"ו

من الاقتباسات المدّعاة في عامة المدراشات:

هامان وقارون

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِين إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّاب}[463]

المصدر المدّعى:

لم تذكر شخصيّة باسم «هامان» في الكتاب المقدّس إلا في سفر إستير[464]، في زمن بعيد عن زمن «موسى» عليه السلام، وقد كرّر المنصّرون والمستشرقون أنّ هذا خطأ تاريخي جليّ في القرآن الكريم[465]، وفي محاولة لإيجاد سبب لورود هذا الخطأ (المدّعى) قالوا إنّ مدراش «العدد ربّاه» هو مصدر هذا الخلط؛ إذ قد جاء فيه: «وظهر كذلك رجلان ثريّان في العالم، قورح[466] في إسرائيل وهامان بين أمم الأرض، وقد قُطِع كلّ منهما من العالم.»

التعليق:

1- الكتاب المقدّس صريح في نسبة «هامان» إلى زمن بعيد جدًا عن «قارون»، ولا يستقيم في ذهن عاقل أن تجتمع دعوى أنّ نبي الإسلام ﷺ يعرف دقائق الأسفار المقدسة

---

463 سورة غافر/ الآيتان (23-24)

464 الترجمات النصرانيّة العربيّة تضبط الاسم بفتح الهمزة (أستير) رغم أنّ الألف في العبريّة ممالة (عليها حركة سيجول لا البتاح) وفي السبعينيّة يبدأ الاسم بحرف الإبسيلون لا الألفا!

465 جاء التفصيل في الردّ على هذه الدعوى، وكشف إعجاز القرآن الكريم، في الكتاب الذي بين يديك، فانظره فضلًا!

466 هو «قارون» كما هو قول عامة النقاد.

والأبوكريفا اليهوديّة والتراث اليهودي التشريعي والتفسيري، مع القول بخطئه في التمييز بين البيئة الزمنيّة والمكانيّة لسفر العدد وسفر إستير!

2- لم يقل مدراش «العدد ربّاه» إنّ «هامان» كان معاصرًا «لقارون»، إنما جاء الحديث عنهما على أنهما كانا من الأثرياء في التاريخ البشري.

3- لا يبدو أنّ هذا المدراش يخالف الكتاب المقدس في تمييزه بين «هامان» سفر إستير و«قورح» الذي عاصر «موسى» عليه السلام؛ إذ قد نسب «قورح» إلى بني إسرائيل، ونسب «هامان» إلى غيرهم، وهو ما يوافق منصوص الكتاب المقدّس.

4- مدراش العدد متأخّر زمنيًا عن بعثة الرسول كما سبق بيانه.

سرق أخ له من قبل:

قال تعالى حكاية عن إخوة «يوسف» عليه السلام لما اتّهموا أخاهم بالسرقة: {إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ}[467]

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» 92: «سارق ابن سارقة».

التعليق:

---

467 سورة يوسف/ الآية (77)

1- النصّ القرآني يقول إنّ الإخوة قد رموا «يوسف» عليه السلام بالسرقة، في حين يقول مدراش «التكوين رباه» إنّ إخوة «يوسف» فد رموا أمّ أخيهم بالسرقة.468

2- يقع هذا المقطع في مدراش «التكوين رباه»، في الجزء الذي أكّد النقّاد أنّه تبدو عليه علامات الأجاده المتأخّرة وأنّه متأثرّ بمدراش «تنحوما» الذي ألّف بعد البعثة النبويّة!

وصيّة «يعقوب» عليه السلام لبنيه

قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}469

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» 98، ومدراش «التثنية رباه» 2:ـ «نادى يعقوب أبناءه الاثنى عشر لما كان مغادرًا الدنيا، وقال لهم: «اسمعوا أباكم إسرائيل! أفي قلوبكم شك في الله؟»، فقالوا: «اسمع يا أبانا إسرائيل، كما أنّه ليس في قلبك شيء من الشك في الله، فكذلك الأمر عندنا، الرب إلهنا، رب واحد»، ثم خاطبهم قائلًا: «مبارك اسم المملكة العظيمة، إلى الأبد.»»

468 قال «فريدمان» في تحقيقه لهذا المدراش إنّ هذه التهمة تحيل إلى نص تكوين 31/34:ـ «وكانت راحيل قد أخذت الأصنام وأخفتها في رحل الجمل وجلست عليها، فبحث في كل الخيمة دون أن يعثر على شيء.»

469 سورة البقرة/ الآيتان (132-133)

בְּשָׁעָה שֶׁהָיָה יַעֲקֹב אָבִינוּ נִפְטָר מִן הָעוֹלָם קָרָא לִשְׁנֵים עָשָׂר בָּנָיו אָמַר לָהֶם שִׁמְעוּ אֶל יִשְׂרָאֵל אֲבִיכֶם שֶׁמָּא יֵשׁ בְּלִבְבְכֶם מַחֲלֹקֶת עַל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אָמְרוּ לוֹ שְׁמַע יִשְׂרָאֵל אָבִינוּ כְּשֵׁם שֶׁאֵין בְּלִבְּךָ מַחֲלֹקֶת עַל הַקָּ' בָּ' ה' כָּךְ אֵין בְּלִבֵּנוּ מַחֲלֹקֶת אֶלָּא ה'' אֱלֹהֵינוּ ה' אֶחָד אַף הוּא פֵּרַשׁ בִּשְׂפָתָיו וְאָמַר בָּרוּךְ שֵׁם כְּבוֹד מַלְכוּתוֹ לְעוֹלָם וָעֶד

التعليق:

1- ليس يخفى على القارئ الخلاف في عـرض وصـيّة ((يعقوب)) لبنيه في النصين؛ ففي الآية القرآنيّة سئل الأبنـــاء عمّن ســيعبدون بعـــد وفـــاة أبيهم، وفي المدراش كان السؤال إن كان في قلوبهم شك في الله.

2- التــوراة نفســها ذكــرت أنّ الــرب قــد قــال عن ((إبراهيم)) عليه السلام: ((لأنـني قـد اخترتـه <u>ليوصـي بنيه وأهل بيته من بعده كي يحفظوا طريـق الـرب</u>، عاملين البر والعدل، حتى ينجـز الـرب مـا وعـد بـه إبراهيم.))[470]

3- جــاء الفصــل 49 من ســفر التكــوين في وصــيّة ((إسـحاق)) لبنيـه، في تفصـيل طويـل لمـا سـيكون منهم، والمطلـوب منهم. وقـد جـاء النص القـرآني مصوّبًا لما غفلت عنه هذه الوصيّة، بالأمر بالإخلاص (لأصل) الدين؛ وهو التوحيد.

4- جاء هذا النص في الجزء الذي أكّد النقّـاد أنّـه تبـدو عليه علامات الأجاده المتأخّرة وأنّه متـأثرّ بمـدراش ((تنحوما)) الذي ألّف بعد البعثة النبويّة!

---

470 تكوين 18/19

نسيان ساقي الملك

قال تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين}471

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» 89: «كلام الشفتين يقود فقط إلى الفقر؛ لأنّه رغم أنّ يوسف قد ذكّر الساقي مرّتين أن يذكُره، لكنّه كان عليه أن يبقى سنتين أخريين في السجن؛ لأنّه مكتوب: «وبعد سنتين»472.»

التعليق:

1- لبث «يوسف» في السجن رغم طلبه من ساقي الملك أن يذكره عند حاكم مصر، مذكور في التوراة473 نفسها التي لها أصل سماوي؛ فالتوراة تتضمّن (الطلب) و(نسيان الساقي) و(اللبث في السجن بعد ذلك).

2- ردّ القرآن الكريم نسيان ساقي الملك «ليوسف» عليه السلام إلى الشيطان الذي أنسى الساقي أن يذكر لسيّده حاكم مصر أمر «يوسف» عليه السلام، لا إلى

---

471 سورة يوسف/ الآية (42)
472 تكوين 41/1
473 تكوين 40/14

عقاب الله سبحانه لنبيّه؛ إذ إنّ القرآن الكـريم قـد أثـنى على «يوسف» لصبره على المحنـة؛ فكيـف يرميـه بـترك التوكّل على الله جلّ وعلا؟!

يقول الإمام «ابن حزم»: «وأما قوله تعالى:{فَأَنسَاهُ الشَّـيْطَانُ ذِكْـرَ رَبِّهِ} فالضـمير الـذي في أنسـاه وهـو (الهـاء) راجـع إلى الفتى الذي كان معه في السجن، أي أنّ الشـيطان أنسـاه أن يذكر ربه أمـر يوسـف عليـه السـلام. ويحتمـل أيضًـا أن يكـون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر اللـه عـزّ وجـل لـذكر حاجة يوسف عليه السلام. وبرهان ذلـك قـول اللـه عـز وجل: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}فصحّ يقينًا أن المدكر بعد أمّة هو الذي أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر.»[474]

3- يقع هذا المقطع في مدراش «التكـوين ربـاه» في الجـزء الذي أكّد النقّاد أنّه تبدو عليه علامـات الأجـاده المتـأخّرة وأنّـه متـأثرّ بمـدراش «تنحوما» الـذي ألّـف بعـد البعثـة النبويّة!

o التلمود תלמוד:[475]

474 ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/298

475 لا بدّ أن نعـترف-بكـل أسـف- أنّ عامـة مـا كُتب باللغـة العربيّـة عن التلمود لا يكاد يصـنّف خـارج دائـرة (السـباب) و(الكلام العـائم)، رغم أنّ الدراسات التلموديّة تعتبر من أدقّ التخصصات العلميّـة في الغـرب، وهـو تخصـص يحتـاج أدوات علميّـة عاليّـة وتمكّن معـرفي وصـبر على البحث. نحن في بلادنا -للأسف الشديد- لا نعـرف ترجمـة عربيّـة واحـدة للتلمـود، فكيف سنتحدّث عن (الدراسات التلموديّة) ..؟!!

يملـك اليهـود تلمـودين اثـنين: التلمـود البـابلي والتلمـود الأورشـليمي476، ألّـف الأوّل في بابـل وألّـف الثـاني في فلسطين. يحتـل التلمـود البـابلي مقامًـا أعظم بين اليهـود؛ حتّى إنـه إذا أطلقت كلمـة (تلمـود)؛ انصـرف المعـنى إليـه مباشرة.

لا بدّ أن نخرج من دائرة (الكلام الإنشائي) عن اليهوديّة والتلمود، ونتجاوز (عبثيّـات) الكلام الخطـابي الموصـول بشـعارات جاهليّـة تـركب متن (القوميّة العربيّة)، وندرس اليهوديّـة من أصـولها ومراجعهـا المعتـبرة في ضوء حقائق الوحي (القرآن الكـريم والسـنّة النبويّـة) والأدوات المعرفيّـة المعتبرة.

إنّ التلمود -بالتـاء المفتوحـة لا المضـمومة كمـا هـو شـائع!- في الذهنيّـة العربيّة هو في اختزال مخل جدًا: (كتاب سري مخيف)!! لكنّه في حقيقـة أمره يمثّل التراث الشفهي اليهودي الذي يجمع الحق والباطل، وفيه بقيّة من رسالات الأنبياء مـع كم هائـل من خيـالات الأحبـار واجتهـاداتهم. وهـو يجمـع إلى الأهـواء البشـريّة المنحرفـة، بعض الحِكم النديّـة. ولا تـزال الدراسات الغربيّة اليـوم -رغم مـا بـذلت من جهـد- على شـاطئه تحـاول الغوص في أعماقه ومعرفة منابعه.

وقد صدر كتاب ((التلمود، كتاب اليهود المقدس)) للـدكتور ((أحمـد أبيش)) -دار قتيبة 2006- وقدّم له المؤرّخ ((سـهيل زكّـار)) رحمـه اللـه، كمـدخل لدراسة التلمود بنفس علمي يجمع بين الرؤية القرآنيّة الأصـيلة والقـراءة العلميّة الموضـوعيّة الهادئـة، ولعلّـه يكـون بدايـة لتأسـيس مكتبـة عربيّـة علميّة جادة في هذا الموضـوع؛ للخـروج من مرحلـة (الطيش الصـبياني) التي يمثّلهـا الكتـاب المزيّـف بإجمـاع المتخصصـين (بروتوكـولات حكمـاء صهيون) والكتابات الخطابيّة (الجوفاء) التي تضخّها مطابعنـا والـتي تنفي عن أمتنـا كـلّ تقصـير أو انحـراف، وتـرى أنّ (حكمـاء صـهيون) هم الـذي يتصرفون في الكون ويعلمون السرّ وأخفى .. وهو منهج (التخـدير) الـذي يلبس لبوس (الوعي السياسي) .. وقد نسي هؤلاء أنّ أمتنا لا تهـزم البتّـة من خارجهـا، وإنّمـا هزيمتهـا لا تكـون إلاّ من داخلهـا حين تـترك الانتصـار لرسالة الوحي التي نزلت بين أظهرها، وصدق ربّي إذ قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم} سورة محمد/ الآية (7)

ورغم ضخامة التلمود وغـزارة مادتـه وتنوّعّهـا وتغلغلهـا في الثقافـة الشـعبيّة اليهوديّـة؛ إلاّ أننـا لا نجـد صـدى كبـيرًا لهـا كمصـدر للقـرآن الكـريم عنـد المنصّـرين والمستشـرقين، ويكاد ينحصر أمر ادّعاء مصدريتها للقـرآن الكـريم في بعض التفاصيل القصصية القصيرة علمًا أنّ المادة الأجاديّة تشغل ثلث التلمود البابلي وبقيّة حديثه خاص بالجـانب التشـريعي، ويبلغ عدد كلمات التلمود البـابلي مليـونين ونصـف المليـون كلمة في نسخته الأصليّة[477]، وقد طبع في عشـرين مجلّـدًا وفي أكثر من ذلك!

من الاقتباسات المدعاة:

السامري

قال تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي قَالَ بَصُرْتُ بِمَـا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَـرِ الرَّسُـولِ فَنَبَـذْتُهَا وَكَـذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَـاةِ أَن تَقُـولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَـهُ وَانظُـرْ إِلَى إِلَهِـكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا}[478]

المصدر المدّعى:

قال «جايجر»: « «سامري» كان اسـمًا للسـامري، وطبـق مـا قالـه العـرب فـإنّ السـامريين يقولـون: «لا تمسّـنا» -أحـال «جايجر» في الهـامش إلى قـول «المقريـزي»: «ويـذكر أنّهم يقولون لا مساس»، وقول «البيروني»: «إن السـامرة تعـرف

476 هي تسمية غـير صـحيحة لأنّ هـذا التلمـود لم يكتب في (أورشـليم) وإنما كتب في (طبرية)، ولكننا مع ذلك سنحافظ عليها مراعاة للعرف.
477 انظر؛ أحمد أبيش، التلمود، كتاب اليهود المقدس، ص 33
478 سورة طه/ الآيات (95-97)

باللامساسيّة». وأضاف قـائلًا: «لا يعلم بـأيّ قـدر من الحجّـة تمسّك العرب بهذا القول، ربّما فقط بسبب مـا فهمـوه عن فرقــة الفرّيســيين الــتي قبّح التلمــود أمرهــا إذ ســمّاها: «المنبوذة، لا تمسـني»، ولكن ليس عنـدي غـير جمـع بـاهت لهذا المقطع. باختصار، كان السامريون معروفين لمتـأخّري العرب بهذا الاسم، وكان محمد دون شك يعرفهم بـه أيضًـا؛ وبما أنّه سمّى صانع العجـل بالسـامري؛ فلا بـدّ أنّـه بـدا لـه على أنّه مؤسس هذه الفرقة، ولا بـد أنّ «لا مسـاس» تعـود إليـه، وهي كعقوبـة كـانت معروفـة لمحمـد من نفس قصّـة اليهودي الهائم على وجهه.»[479]

التعليق:

1- من الغريب في هذا الشـبهة أنّ «جـايجر» قـد خــالف ســنّته الثابتــة في التصــريح بموضــع الاقتبــاس، إذ قــد اكتفى هنــا بالإشــارة إلى التلمود؛ دون أن يضبط موقعه فيه!؟

2- قول «المقريزي»: «يـذكر»، بصـيغة التمـريض، دال على أنّ الأمــــر ليس إلاّ نقلًا بلا حجّــــة محكمـة. وكـذلك قـول «البـيروني» الـذي لم يسُق له «جايجر» حجّة.

3- مصدر قول من قـال إنّ السـامريين هم قـوم كـــانوا يقولـــون «لا مســـاس» هـــو فهمهم السطحي للآية القرآنيّة؛ فقـد اسـتنبطوا ممـا لحق بالسامري في قصّته مـع «موسى» عليـه السلام أنّ قومه قد ورثوا ما ابتلي به.

---

479 A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. 131-132

4- لم يعرف «جايجر» نفسه كيف (يمنطق) هـذه الشـبهة؛ ولـذلك أكـثر من الـتردّد والاعـتراف بعجزه عن ضبط مصادر لها.

5- لا علاقــة البتّــة من الأوجــه الفونولوجيّــة والإتيمولوجيّــة والمذهبيّــة والتاريخيّــة بين (الفريسيين) و(السـامريين)؛ فكيـف يفـترض «جايجر» قسرًا جمع العرب بينهما!

التنور

قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِـلْ فِيهَـا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَـبَقَ عَلَيْـهِ الْقَـوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيل}[480]

المصدر المدّعى:

ادّعى «جـايجر» أنّ الآيـة القرآنيّـة مقتبسـة ممـا جـاء في التلمود (روش هاشناه 16ـ 2 وسنهدرين 108) من أنّ ماء الطوفان كان حارًا.[481]

التعليق:

لم تذكر الآية القرآنيّة أنّ ماء الطوفان كان حارًا، بل ظــاهر من الآيـات القرآنيّـة عكس ذلـك بـذكر نـزول المطـر من السماء وتفجّر العيون في الأرض:

{فَفَتَحْنَا أَبْـوَابَ السَّـمَاء بِمَـاء مُّنْهَمِـر وَفَجَّرْنَـا الأَرْضَ عُيُونًـا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِر}[482]

480 سورة هود/ الآية (40)
481 انظر: A. Geiger, *Judaism And Islam*, 1970, p. 86
482 سورة القمر/ الآيتان (11-12)

أمّا أمر (التنّور) فقد اختلف فيه أهل العلم، والصواب أنّ أمره لا يخرج عن اثنين؛ إمّا أنّ التنور هنا علامة على بداية الطوفان، ودليل ذلك أن سياق الآيات يظهر أنّ فوران التنور كان العلامة التي أعطيها «نوح» حتّى يركب في الفلك، أو أنّ خروج الماء الدافق من الأرض قد شبّه بفوران التنور.

على القول الأوّل لا يكون للتنور علاقة بحرارة الماء لأنه تنور واحد، له وظيفة واحدة، وهي أن يخرج منه النار إعلانًا لبداية الطوفان، وعلى القول الثاني يكون الأمر متعلقًا بتشبيه خروج الماء الدافق من الأرض بفوران التنور.

وفي الأخير أقول إنّ كلمة «تنّور» هي كلمة ساميّة لها نفس المعنى في الكثير من اللغات الساميّة وترسم بنفس الرسم تقريبًا؛ فهي في العبريّة «תנור» (تَنّور) وفي الآراميّة «תנורא» (تَنّورا) وفي السريانيّة «ܬܢܘܪܐ» (تنورا) وفي الأكاديّة «تِنورو» 483.. وذلك يستدعي أن يكون الأصل (اليهودي؟) الذي (نقل عنه!) القرآن الكريم يضم نفس هذه الكلمة .. وليس الأمر كذلك!

شجرة الزقوم

{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِين إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيم طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِين فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُون ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيم}484

المصدر المدّعى:

483 انظر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, pp.93-94

484 سورة الصافات/ الآيات (62-67)

جاء في التلمود (Sukkah 32b): «نخلتان تكبران في وادي بن هِنُّوم، يخرج من بينهما دخان، وهذا مدخل جهنّم.»

שְׁתֵּי תְמָרוֹת יֵשׁ בְּגֵי בֶן הִנֹּם וְעוֹלֶה עָשָׁן
מִבֵּינֵיהֶם וְזוֹ הִיא פִּתְחָהּ שֶׁל גֵּיהִנֹּם

التعليق:

القرآن الكريم يذكر شجرة واحدة، وليست هي قطعًا نخلة، ولا يخرج منها دخان، وإنّما يأكل منها المعذّبون في النار، كما أنّها تنبت في قعر جهنّم لا في مدخله!!

الخيط الأزرق والخيط الأبيض

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ...}[485]

المصدر المدّعى:

جاء في مشنا التلمود (بركوت 1ـ 2): «من أي وقت بإمكان المرء أن يقرأ الشِمع[486] في الصباح؟ من الوقت الذي بالإمكان أن يميّز المرء بين الأزرق والأبيض.» «**מאימתי קורין את שמע בשחרית משיכיר בין תכלת ללבן**»

التعليق:

هذا التشابه هو من أشهر أدلّة الاقتباس المدّعى؛ إذ يكثر نقله في الكتابات التنصيريّة والاستشراقيّة المهتمة بإثبات تهمة النقل عن التلمود، والردّ:

---

485 سورة البقرة/ الآية 187

486 شمع שמע: صلاة يهوديّة.

1- روّج «جايجر» لهـذا الاقتبـاس المـدّعى، وعنـه نقلـه من جـاء بعـده. وقـد دلّس «جـايجر» في نقلـه إذ اقتصر على نقـل القـول الأول «**משיכיר בין תכלת ללבן**»[487] الذي ينصّ على التمييز بين اللون الأزرق واللـون الأبيض، وتجاهـل بقيّـة الكلام حيث صـرّح الحـبر «إليعـازر» أنّـه وقت التميـيز بين الأزرق والأخضر؛ حرصًا من «جايجر» على المحافظـة على (اللون الأبيض) الذي يجمع بين الآية القرآنيّـة ونص المشناه!!؟

النص بأكمله: «من أي وقت بإمكان المرء أن يقرأ الشِمع في الصباح؟ من الوقت الذي بالإمكان أن أن يميّز المرء بين الأزرق والأبيض. قـال الحـبر إليعـازر: بين الأزرق والأخضر.» «**מאימתי קורין את שמע בשחרית משיכיר בין תכלת ללבן ר' אליעזר אומר בין תכלת לכרתי**»

2- جـاء في جمـاره التلمـود البـابلي في تفسـير هـذا النص: «ما معنى (بين الأزرق والأبيض)؟ هل أقول: بين كومة صـوف أبيض وكومـة صـوف أزرق؟ هـذا أمـر من الممكن تميـيزه في الليـل! إنـه يعـني بـالأحرى: بين الأزرق فيـه والأبيض فيـه.» «**מאי בין תכלת ללבן אילימא בין גבבא דעמרא חיורא לגבבא דעמרא דתכלתא הא בליליא נמי מידע ידעי אלא בין תכלת שבה ללבן שבה.**»، ثم أورد التلمـود اجتهادات أخـرى لعلمـاء اليهـود حـول بدايـة قـراءة الصلاة صباحًا؛ منهـا عنـد بدايـة التميـيز بين الـذئب والكلب أو التميـيز بين الحمـار والحمـار الوحشـي وغير ذلك ...

---

487 انظـر؛ Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.87

وهنا:

- أ- اليهود أنفسهم غير متفقين على معنى اختلاف الألوان لمعرفة بداية الصلاة.
- ب- ظاهر أنّ اليهود متّبعون لقول الربي ((إليعازر)) لا القول السابق له لتحديد بداية الصلاة كما هو بيّن من تفصيل الجماره في شرحها لهذا القول، وهو قول لا يشترك مع القرآن الكريم في ما ذكره من الألوان.
- ت- النص التلمودي يتحدث أساسًا عن تمييز المرء بين الألوان التي تكون في الصوف أو ألوان الأشياء عامةً، في حين أنّ النصّ القرآني يقصد تمييز سواد الليل من بياضه؛ قال الإمام ((ابن كثير)) في تفسيره: ((أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة في الجماع أيَّ الليل شاء الصائم إلى أن يتبيّن ضياء الصبح من سواد الليل، وعبّر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللَّبس بقوله: {من الفجر}، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((أُنزلت: {وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود}، ولم ينزل: {من الفجر}، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، وفلا يزال يأكل حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله بعدُ: {من الفجر}، فعلموا أنما يعني الليل والنهار.))[488]
- ث- فهم أحد الصحابة من الآية أنّ المقصود بها هو التمييز بين ألوان الخيوط أو ما شابهها؛ فكان يضع تحت

488 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: مؤسسة الريّان، 1428هـ، 2007م، ط2، 1/255

وسادته عقالين[489] اثنين، فلما علم الرسول بذلك أنكر عليه فهمه للآية، وقال له: ((إنّما ذلك سواد الليل وبياض النهار.))[490]

ج- جماره التلمود الأورشليمي واضحة أيضًا في أنّ الحديث عن الألوان غير متعلّق ببياض النهار وسواد الليل؛ إذ قد جاء في تفسير التمييز بين الأبيض والأزرق أنّه التميز بين الحواشي (الأهداب) الزرقاء للباس والحواشي البيضاء فيه، وقالت إنّ الأحبار قد استنبطوا هذا الفهم من نص سفر العدد 15/39: ((فترون أهدابكم هذه.)) علمًا أنّه قد ورد في العدد السابق له[491] حديث عن الأهداب الزرقاء للثياب. وشرحت جماره التلمود الأورشليمي قول الحبر ((إليعازر)) بنفس الفهم.[492]

3- توقيت العبادات في الإسلام قائم أساسًا على ملاحظة الظواهر الكونيّة كالظل وتحرّكه وطوله، والشمس وشروقها وغروبها، والشفق وحمرته؛ وهي لغة عالميّة في ذاك العصر في جميع الديانات لعدم وجود ساعات كالتي عندنا اليوم لضبط الأوقات؛ فلا شكّ عندها أنّه لو قلنا جدلًا بالتشابه هنا بين القرآن الكريم والتلمود، فإنّ ذلك لا يدلّ

---

489 عقال: الحبل الذي يعقل به البعير.

490 رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ((وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل))، ح/1916، ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ح/ (1090)

491 العدد 38

492 انظر؛ Jacob Neusner, ed. *The Talmud of the Land of Israel*, Chicago: The University of Chicago, 1989, 1/31

على (مقتبس) و(مقتبس منـــه)؛ إذ الحـــديث عن الصبح مقـترن بانقشـاع الظلمـة والتميـيز البصـري للأشياء، وقـد كـان الحـديث في التلمـود عن صـلاة الصـبح -بعـد أن كـان الحـديث عن صـلاة المسـاء: ((من أي وقت بإمكـان المـرء أن يقـرأ الشِـمع في المساء.)) ((**מאימתיי קורין את שמע בערבין**))

4- الآية القرآنيّة متعلّقة بعبـادة (الصـيام)، في حين أنّ حديث التلمود هو عن عبادة (الصلاة) .. ؟!

سبع سماوات

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْـقِ الـرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}[493]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (حجيجا 9 ب)

שִׁבְעָה רְקִיעִין הֵן וילוֹן רָקִיעַ שְׁחָקִים זְבוּל מָעוֹן מָכוֹן עֲרָבוֹת

التعليق:

1- رقم (7) لـــه دلالـــة قدســيّة في كثــير من الديانات؛ وقد ذهب التلمود نفسه إلى أنّ من أقـوال الأحبـار أنّ العـالم قـائم على ((سـبعة أعمدة)) ((**עמודיה שבעה**)) (حجيجا 12 ب)

2- النص الذي استدلّ بـه ((جـايجر))، والـذي قـرّر أنّ هنـاك سـبع سـماوات، نسـبه التلمـود إلى الحبر ((رش لكش))، وقد ذكر التلمود مباشـرة

493 سورة الملك/ الآية (3)

قبلـه مـا قـرّره الحـبر «يهـوذا» من أنّ هنـاك سماءين اثنتين فقط.

3- المقطع التلمودي التالي مباشرة (حجيجـا 13 أ) نقل قول الحبر «أحا بن يعقوب» «**אחא בר יעקב**» الذي صرّح بوجود سـماء ثامنـة «توجـد أيضًـا سـماء أخـرى فـوق رؤوس الكائنـات الحيّة.» «**עוד רקיע אחד יש למעלה מראשי החיות**»

4- عنـدما فصّـل «رش لكش» أمـر السـماوات السـبع، ذكـر أمـورًا تخـالف صـراحة التصـوّر القرآني لهذه السماوات؛ فقد ذكر أنّ السماء الأوّل تدخل في الصـباح وتخـرج في المسـاء، وذكر أنّ الشمس والقمر والنجـوم توجـد في السماء الثانيـة، وأورد تفصـيلات أخـرى لبقيّـة السماوات لا نرى لها أثرًا في القرآن الكريم.

5- القول إن السماوات سـبعٌ، موجـودٌ أيضًـا في عـدد من الأسـفار الأبوكريفيّـة النصـرانيّة المبكّرة «صعود إشعياء» (القرن الأوّل)، «رؤيا إبـراهيم» (القـرن الأول أو الثـاني)، «أخنـوخ» (السـلافية) (القـرن الثـاني)، «رؤيـا بـولس» (القرن الثالث)، «حياة آدم وحواء» (اليونانيّـة) (من القرن الأوّل إلى الرابع؟)، «أسئلة عزرا» (الزمن غير معروف) 494، وهو اعتقاد اليهود-المسيحيين الـذين يعتـبرون أقـرب الطوائـف النصـرانية إلى رسـالة «ابن مـريم» عليهمـا

494 انظر: Daniel C. Harlow, *The Greek Apocalypse of Baruch (3 Baruch) in Hellenistic Judaism and Early Christianity* , Leiden: BRILL, 1996 , p.46

السلام[495]؛ بما يظهر أنّ القـول بوجـود سـبع سماوات ليس من أفراد الاعتقادات اليهوديّة، وإنما له وجود في أكثر من مصدر غير يهودي قديم.

حجم الجنة

{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين}[496]

المصدر المدّعى:

جـاء في التلمـود (*Pesachim 94، Taanith 10*):ـ ((يمثّـل العـالم الجزء السادس من الجنّة، وتمثّل الجنّة الجزء السـادس من عدن))

עוֹלָם אֶחָד מִשִּׁשִּׁים בְּגַן גַּן אֶחָד מִשִּׁשִּׁים בְּעֵדֶן

التعليق:

1- ليس في القـرآن الكـريم شـيء من هـذا التقسـيم والحساب التلمودي، بل النص القرآني صـريح في مخالفتـه لحجم الجنّة التلموديّة:

(أ) الجنة حجمها في حجم السـموات والأرض وليسـت أقـلّ منها أبعادًا (السدس أو دون ذلك).

(ب) العالم الذي نحن فيه ليس جزءًا من الجنّة.

2- من (الظريـف) (الطريـف) أن يقـول ((جـايجر)) إنّ الآيـة القرآنيّة مقتبسة من التلمود، رغم أنّ اليهود الـذي عاصـروا

---

495 انظر؛ Stephen J. Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, New York: Oxford University Press, 2002, p.214

496 سورة آل عمران/ الآية (133)

الرسـول والصـحابة رضـوان اللـه عليهم اعترضـوا على دلالــة هــذه الآيــة؛ فكيــف تكــون الآيــة مســتلة من كتبهم التفسيرية(؟!):

قال الإمام «ابن كثير»: «وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقـل كتب إلى النـبي ، إنـك دعوتـني إلى جنـة عرضـها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي : «سبحان الله فأين الليل إذا جـاء النهـار؟» وقـد رواه ابن جرير[497] فقـال: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني مسـلم بن خالـد عن أبي خُثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة، قال: لقيت التنـوخي رسـول هرقـل إلى رسـول اللـه بحمص شيخًا كبـيرًا قـد فسـد، فقـال: قـدمت على رسـول اللـه بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلًا عن يسـاره، قـال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتـاب صـاحبي: إنــك كتبت تــدعوني إلى جنــة عرضــها الســموات والأرض أعـدّت للمتقين، فـأين النـار؟ قـال: فقـال رسـول اللـه : «سبحان الله، فأين الليـل إذا جـاء النهـار؟». وقـال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسـلم عن طـارق بن شهاب: إن ناسًا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضـها السـموات والأرض، فـأين النـار؟ فقـال لهم عمـر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جـاء الليـل أين النهـار؟

---

497 قال الشيخ «أحمد شاكر» في تحقيقه لمختصر تفسـير «ابن كثـير»: «هو جزء من حـديث طويـل، عن التنـوخي رسـول هرقـل، في المسـند (15719). ونقله الحافظ ابن كثـير في التـاريخ (5/ـ 15ـ، 16)، عن روايـة المسند، كاملًا. ثم قال: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس بـه. تفـرد بـه أحمد». وراية الطبري مختصرة (7831).»ـ (أحمد شاكر، عمـدة التفسـير عن الحافـظ ابن كثـير، مختصـر تفسـير القـرآن العظيم، المنصـورة: دار الوفاء، 1426هـ، 2005م، ط2، 1/414)

فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة، رواه ابن جرير من ثلاثة طرق، ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن برقان، أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلًا من أهل الكتاب قال: يقولون: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ } فأين النار؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه: أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ وقد روي هذا مرفوعًا، فقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد ابن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ} فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله، قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل»[498] [499]

سليمان والجياد

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَاد فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن

498 قال الشيخ «أحمد شاكر» في تحقيقه لمختصر تفسير «ابن كثير»: «حديث ابن عباس -الموقوف- رواه عنه ابن خالته «يزيد بن الأصم بن عبيد» التابعي الثقة. وهو في الطبري (7836) وإسناده صحيح. وحديث أبي هريرة -المرفوع- رواه عنه «يزيد بن الأصم» أيضًا. وإسناد البزار صحيح. وذكره الهيثمي في الزوائد (6/327)، وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح» ورواه أيضاً بنحوه ابن حبان في صحيحه (103 بتحقيقنا). ورواه الحاكم (1/ـ 36) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.» (المصدر السابق)
499 المصدر السابق

ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَاب رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاق}[500]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (سنهدرين 21 ب) أنّ «سليمان» –عليه السلام- قد ارتكب خطيئة باقتنائه لأعداد كبيرة من الخيول.

التعليق:

يقول النص بكامله: «وقال الحبر إسحاق: لماذا لم تُجلَّ أسبابُ أحكامٍ توراتيّة؟ لأنّه في نصين كشف السبب، وتسبب ذلك في عثرة الأعظم في العالم [سليمان]؛ فقد كتب: عليه ألاّ يضاعف عدد زوجاته، ولذلك قال سليمان: سأضاعف عدد زوجاتي وأمنع رغم ذلك قلبي من الانحراف. ومع ذلك نقرأ أنّه: لما شاخ سليمان، أزاغ نساؤه قلبه[501]. وكتب: عليه ألاّ يضاعف عدد خيوله، وقال في ذلك سليمان: أنا أضاعف عدد خيولي ولا أتسبب في عودة [الإسرائيليين إلى مصر]، ونقرأ رغم ذلك: وخرجت المركبة من مصر بست [مئة شاقل من الفضة][502]» «**ואמר ר' יצחק מפני מה לא נתגלו טעמי תורה שהרי שתי מקראות נתגלו טעמן נכשל בהן גדול העולם כתיב לא ירבה לו נשים אמר שלמה אני ארבה ולא אסור וכתיב ויהי לעת זקנת שלמה נשיו הטו את לבבו וכתיב לא ירבה לו סוסים ואמר שלמה אני ארבה ולא אשיב וכתיב ותצא מרכבה ממצרים בשש וגו'**»

500 سورة ص/ الآيات (30-33)

501 انظر؛ الملوك الأوّل 11/4

502 انظر؛ الملوك الأوّل 10/29

1- النص القرآني يـذكر قصّـة وقعت ((لسـليمان)) عليـه السلام، وقد أبهم سياقها لكنّـه سـاق لهـا مـع ذلـك بعض التفاصـــيل، وهي أنّـــه لمـــا عرضـــت على ((سليمان)) عليه السلام خيله ذات الحركة الخفيفـة؛ اشـتغل بأحوالهـا حبًـا لهـا حـتى غـربت الشـمس؛ ففاتته عبادة كان يؤدّيها في المساء قبـل الغـروب؛ فقال عقب عرض الخيل وقد انصرفت: إني أحببتُ الخيـــل؛ فغفلت عن طاعـــة كنت أؤديهـــا، ثم أمـــر سائس خيله أن يردها إليه ليذبحها[503] لأنّها جعلته لا يؤدي الكمـال المطلـوب في العبـادة[504].. ولا نجـد من هذا التفصيل القرآني شيئًا في النص التلمـودي السابق.

2- مـا أُنكـر على ((سـليمان)) عليـه السـلام في النص التلمودي محلّ البحث هو اضـطراره بـني إسـرائيل أن يذهبوا إلى مصر ليشتروا من هناك الخيل، وهــو معـنى ظـاهرٌ من خلال مـا استُشـهد بـه من سـفر الملوك الأوّل 10/29 القائل: ((وشـرع تجـار الملـك يستوردون المركبـات من مصـر، فيـدفعون سـتمئة شاقل (نحو سبعة كيلوجرامات) من الفضة عن كل مركبة، ومئة وخمسـين شـاقلًا (نحـو كيلـوجرامين) عن كل فرس. ثم يصدرونها لجميـع ملـوك الحثـيين وملوك الأراميين.)) .. أمّا القصّة القرآنيّة فتـذكر أنّ

503 الظـاهر أنّـه أطعم الفقـراء لحمهـا بعـد ذلـك؛ إذ إنّ ذبحهـا دون أن يستفيد الناس من لحمها إهدار لنعمة، وهذا لا يليق بنـبي مجتـبى من ربّ العالمين.

504 هذا هو التفسير الأقـرب لـدلالات الألفـاظ وتعـاقب المعـاني، انظـر؛ الألوسي، روح المعاني، ت/محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، 2000م، 23/252-262

«سليمان» عليه السلام قد ندم لقضائه الوقت في تأمّل حركة هذه الخيول الجميلة؛ فلا ذِكر هنا لمصر، ولا لبني إسرائيل، ولا للسفر، ولا للتجارة!

3- لم أقف على قول لأحد من الصحابة أو التابعين يشير إلى المعنى التلمودي لهذه الآيات؛ بما يظهر أنّ ما أورده التلمود ما كان معلومًا للرسول ﷺ.

سن الأربعين

قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[505]

المصدر المدعى:

جاء في المشناه 5. 21: «أربعين للذكاء/الحكمة»

تعليق:

1- أقرّ المستشرق «يشوع فنكل» «Joshua Finkel»[506] بأنّ «جايجر» لم يوفّق في سوقه هذا التشابه للقول بالاقتباس من الديانة اليهوديّة -رغم أنّ «فنكل» ممن انتصروا لدعوى الاقتباس القرآني من اليهوديّة وأثنى بصورة واسعة على كتاب «جايجر»-،

---

505 سورة الأحقاف/ الآية (15)

506 يشوع فنكل (1897م-1983م): مستشرق يهودي له عناية خاصة بالتراث اليهودي-العربي القديم.

وقــال إنّ قريشًــا كــان فيهــا مجلس للحكمــاء لا ينتسب إليه إلاّ من بلغ الأربعين.507

2- الترجمــة الإنجليزيّــة لكتــاب ((جــايجر)) نفســها قــد أوردت –في الهــامش- كلام الفيلســوف ((فيلو)) في أنّ سن الأربعين هو سن النضــج العقلي508؛ فليس القول التلمودي إذن من نوادر الأفكار البشريّة، بـل هـو قـول يشـهد لـه الواقـع البشـري؛ ولـذلك تبنّـاه البشر في القديم والحديث.

3- الآيــة القرآنيّــة تقــول ((أشــدّه))؛ دلالــة على منتهى النضج في العقل كمرحلة عمريّة، وهـو مـا لا نـراه في الســياق الــذي ورد فيــه الكلام المقتبس من المشــناه؛ إذ قــد ورد مباشــرة بعــده: ((خمســون [لتقديم] مشورة/عظة)) ((**חמישים לעצה**))؛ فالإنسان يبلـغ الأهليّـة التامـة لتقـديم المشـورة، في سـن الخمسـين .. فـإن قيـل إنّ المقصـود في القـرآن الكـريم ببلـوغ المـرء أشـدّه الإشـارة إلى قوتـه الجسـديّة؛ قلنـا إنّ النص السـابق مباشـرة لمـا اقتبسه ((جايجر)) من المشناه يقول ((ثلاثـون للقـوة)) ((**שלושים לכוח**))؛ فليسـت الأربعـون إذن هي سـن النضج على هذا المعنى!

مدة الرضاع

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ}509

المصدر المدّعى:

507 انظر؛ Joshua Finkel, '*Old Israelitish Tradition in the Koran*,' in *Proceedings of the American Academy for Jewish Research*, Vol. 2 (1930 - 1931), p.8

508 انظر؛ Philo*, De Opficio Mundi*, pp.70-72 (Quoted by, A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.71)

509 سورة البقرة/ الآية (233)

جـاء في التلمـود (كتبـوت 60 أ) إنّ أدنى مـدّة الرضـاع 24 شهرًا.

التعليق:

1- بـتر ((جـايجر)) الآيـة لتوافـق غرضـه؛ فالآيـة تقـول: {وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِـعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَـوْلَيْنِ كَـامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[510]، لكنّـه حـذف منهـا قولـه تعالى: { لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} لأنّ المحذوف دال على أنّ مـــدة الســـنتين هي أقصى[511] مـــدة للإرضاع لا أدناها!

2- ممّا يُعجب له أيضًـا أنّ ((جـايجر)) قـد نقـل لنـا قـولًا نسبه إلى عالم مسلم كان يسـمّيه ((Elpherar))، وقـد أورد هذا القول بـالحرف العـربي: ((يريـد أقـل مـدة الحمـل سـتة أشـهر وأقـل مـدة الرضـاع أربعـة وعشـــرون شـــهرًا.))[512] .. وقـــد حـــار كثـــير من المستشـرقين في معرفـة الاسـم العـربي لهـذا العـــالم، وذهب البعض إلى أنّـــه ((الفـــراء))؛ ولمـــا راجعت تفسير ((الفراء)) المسمّى ((معاني القـرآن))؛ لم أجـد هـذا النص، وهـو قـول دون شـك مصـادم صراحة للآية القرآنيّة التي تقول إنّ كمـال الإرضـاع سـنتين لا أدنـاه. علمًـا أنّـه لا دليـل على حـد أدنى لمـــدة الإرضـــاع؛ قـــال الإمـــام ((ابن العـــربي)): ((**والصحيح أنه لا حد لأقلـه، وأكـثره محـدود بحـولين مـع التراضـي بنص القـرآن**))[513]،

---

510 سورة البقرة/ الآية (233)

511 لا يمنع ذلك من جواز الإرضاع فوق مدة السنتين.

512 Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.90

513 ابن العربي، أحكام القرآن، ت/ محمد عبـد القـادر عطـا، لبنـان: دار الفكر، د.ت، 1/273

وللوالدين حق فطام الولد أنّى شاءا –إن لم يضر ذلك ابنهما-؛ قال الإمام «ابن كثير»: «وقوله: {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} أي: فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك.»514

3- ورد مباشرة في التلمود بعد القول الذي اقتبسه «جايجر» قول الحبر «إليعازر» والحبر «يهوشع» إنّ الرضاع من الممكن أن يستمر «أربع أو خمس سنوات» «**ארבע וחמש שנים**»؛ ولذلك ورد في كتاب «المائدة المنضودة» «**שולחן ערוך**»**515** للفقيه اليهودي «يوسف قارو» إنّ الحد الأدنى للرضاعة سنتان (*Even Haezer* 143. 8)، والحد الأقصى خمس سنوات (*Yore Deah* 81. 7).

التراث الشفوي التلمودي ورسالة الأنبياء:

لا يعني ما سبق نفي وجود تشابه بين بعض التفاصيل القرآنيّة وما جاء في التلمود، وإنما قد تكلّف المستشرقون في المطابقة بين عدد من نصوص القرآن الكريم وما جاء في التلمود.

أمّا التشابهات الحقيقيّة بين القرآن الكريم والتلمود في بعض التفاصيل القصصيّة، فهي قليلة جدًّا516، وتفسيرها

514 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/324

515 شولحان عروخ שולחן ערוך: جمع لقوانين التلمود، وآراء واجتهادات فقهاء اليهود الذين اطّلعوا عليها. يعدّ المرجع الفقهي والشرعي الأساسي لليهود منذ تاريخ ظهوره عام 1564م.

516 بسبب جهل المنصّرين العرب بالكتابات اليهوديّة وأقسامها؛ فقد توسّعت قائمة هذه التشابهات!! ولعلّ من أسباب ذلك النقل عن الكتاب

المنطقي الـذي يجمـع كـلّ الحقـائق الموضـوعيّة هـو أنّ التلمود كالعهد القديم قد جمع حقًا إلى باطل، وأنّـه لا يخلـو من بقايا وحي ربانيّ، وحجّتنا هي:

1. يقـول اليهـود التقليـديون (الأرثـودكس) إنّ التلمـود يمثّـل **الـتراث الشـفهي** لليهـود، أي (التـوراة الشفهيّة) (**תורה שבעל פה**) التي حفظت مع التراث المكتوب الذي تمثّله أسـفار أسـفار ((**موسى**)) –عليـه السلام- الخمسة التي هي (التوراة المكتوبـة) (**תורה שבכתב**). وقد حُفظ التلمود شفهيًا على مدى قـرون قبل تدوينه[517]، وهو يعتبر أوّل تـدوين لهـذا الـتراث.

المتاح على النت ((خرافات اليهود)) للحبر ((لـويس جـنزبرغ))، دون معرفـة منهج المؤلف في عرضـه لمادتـه؛ إذ إنّـه قـد قـام في المجلّـدات الأربعـة الأولى بعرض المادة المجمعة على شكل قصص متّصلة، وكـان يضـع في النسخة المطبوعـة (على خلاف نسـخة النت) رقمًـا للإحالـة، ثم قـام في المجلدين الخامس والسادس بعرض مصادر المـادة الـتي أوردهـا سـابقًا، وهي واسعة جدًا ليس التلمود بأقسامه إلاّ واحدًا منها.

517 قال الحبر ((عدين ستينزالص)) ((**עדין שטיינזלץ**)) –أحد كبـار العلمـاء اليهـود المعاصـرين (ولـد سـنة 1937م)، وهـو ناقـد وفيلسـوف ومؤلّـف اشـتهر بتعليقــه على التلمــودين البـابلي والأورشـليمي وترجمتهمــا إلى العبريّة والفرنسيّة والروسيّة والإسبانيّة، وحاصل على العديد من شهادات الـدكتوراه الفخريّـة من الجامعـات الغربيّـة-: ((حفظت مـادة التلمـود في الذاكرة وتم تناقلها على مـدى قـرون.)) ((The material of the Talmud was memorized and transmitted orally for centuries)) (Adin Steinsaltz, *The Talmud. The Steinsaltz Edition. A Reference Guide*, N.Y.: Random House, 1989 (Quoted by, Jacob Neusner, *The Reader's Guide to the Talmud*, Leiden: Brill, 2001 , p.xv)

وقـال ((ب. أ. نـوردل)): ((التلمـود هـو مسـتودع الشـريعة، واللاهـوت، والتفسـير، والفلسـفة، والقـانون الطـبيعي، والتعليم الطـبي، والأخلاق، والسياسـة، والاقتصـاد المـنزلي، كمـا فهمت ونوقشـت في المـدارس الحاخاميّة على مدى ما يقـارب ألـف سـنة بعـد العـودة من بابل.)) (P. A. Nordell, *The Origin and the Formal Contents of the Talmud*, The Hebrew Student, Vol. 2, No. 1 (Sep., 1882), p. 15)

ومن الخطأ أن يُظنّ أنّ اليهود قد حفظوا كلّ ما أخذوه عن «موسى» عليه السلام وعشرات الأنبياء الذين تلوه في هذه الأسفار القليلة التي بين أيدينا المجموعة في (التناخ). كما أنّ الزعم أن اليهود قد حفظوا التراث الديني المكتوب (التناخ) أو جلّه أو جوهره، مع تلفيقهم التام للتراث الشفهي المتمثّل

وقال الدكتور «أحمد أبيش»: «كان أول تدوين فعلي للتراث الديني اليهودي في القرن الخامس قبل الميلاد، على يد عزرا الكاتب **עזרא הספר** «عزرا هسوفير»، الذي يعده اليهود واحدًا من أنبيائهم الاخرونيم (أي التالين)، وله في العهد القديم سفر خاص به، ورد فيه لقبه: «عزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب». وعلى ذلك، ما كان مجرد المدون الأول لأسفار اليهود، بل والمؤسس الفعلي لليهودية الباكرة المستندة إلى التوراه (كتاب العهد) **ספר הברית** «سيفر هبريت».

بعد عزرا، قام بمتابعة مهمة التدوين طائفة من الكتبة (أو كتبة الشريعة) عرفوا بالعبرية باسم «سوفريم»، فجمعوا أسفار التوراه وشرحوها، وربطوا بها التراث المروي شفاهياً، وراحوا يتناقلونه كشرح متواتر. وعلى امتداد 300 سنة، قاموا باستنباط أحكام التوراه وتكييفها حتى أضحت شريعة تفاعلية، كما أنهم سنوا طائفة من الشرائع اصطلح على تسميتها «كلام السوفريم». وبنهاية هذه المرحلة، كانت اليهودية الربانية أو الحاخمية قد تأسست بشكل واضح. ثم في بداية القرن الثاني قبل الميلاد، تألفت هيئة قضائية برئاسة الـ «زوجوت» זוגות – أي المثاني من حكماء الدين- وصارت بمثابة سلطة هلخائية (تشريعية). ومن هؤلاء المثاني ظهر خمسة أجيال بين حوالي عام 150-30 ق.م، قام أول جيل منهم بوضع الأسلوب المشنائي في تداول الشريعة الشفاهية. غير أن تدوين المشناه لم يتم في الواقع إلا بين القرنين الثاني والثالث، على يد الجيل الأخير من «الزوجوت»: هليل وشماي، في عصر التنائيم (معلمي المشناه) أواخر القرن الأول ق.م. وهذه الفترة تميزت بمحاولات متكررة لجمع مواد المدراش والمشناه المبعثرة، فتم جمع المشناه بأكملها في

أساسًا في التلمود، يعد تناقضًا محكمًا في الحكم على الأمور، مع ما عُلم من أنّ الأمم السالفة كانت تنقل تراثها القديم أساسًا على الطريقة الشفهيّة.

2. قال رسول الله في الحديث المتفق عليه: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي...»[518]، وقد جاء أيضًا في نصوص (التناخ) أنّ الأنبياء في بني إسرائيل كانوا كثرة هائلة[519]، وهذا

مدرستي هليل وشماي مطلع القرن الثالث الميلادي، وتابعها حاخامات أخر مثل يوحنان بن زكاي (في مدرسته بيبنه)، والرابي عقيبا الذي جمع مواد متميزة من المدراش والمشناه والهجداه.

بعد قيام الثورة اليهودية ضد الرومان بقيادة شمعون باركوخبا 132-135م، تم إحياء السنهدرين (المحكمة التشريعية العليا)، فأقر رئيسها يهوداه هناسي (الرئيس) المجموعة التشريعية التامة للمشناه، وهي التي يضمها التلمود اليوم. ولم يتم آنذاك إضافة مواد من المدراش أو الهجداه، ثم شرع تلامذته يضيفون "البرايتوت" (المواد الدخيلة) ومنها التوسفتا (التذييل)، بينما تم جمع المدراشيم في مصنفات مستقلة. وخلال الثلاثة قرون التالية قام "الأمورائيم" بإضافة الجمار (الفلسطينية والبابلية)، حتى اكتمل جمع التلمود بصورة عامة في القرن السادس الميلادي.» (التلمود، كتاب اليهود المقدس، ص26-27)

518 رواه البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح/ (3455)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل، ح/ (1842)

519 عدد المذكورين في الأسفار المقدّسة: خمس وخمسين، ويذهب التلمود إلى أنّ عدد الأنبياء يبلغ مئات الآلاف (انظر؛ Christine J. Haven, *Conveyance of Eternal love*, Lulu.com, 2007, p.114)

أمر أدعى لحفظ شيء من التراث الشـفهي القـديم من خلال تعاليم الأنبياء وإخباراتهم.

3. كتب التلمود البابلي –الذي اعتمد عليه ((جايجر)) ومن بعده- في بابل (العراق)، حيث استقرّت جماعات من اليهـود منـذ السـبي البـابلي[520]؛ وهـذا سـبب قـويّ لحفـظ الـتراث المتجمـع في الـذاكرة اليهوديّـة في القرن الخامس قبل الميلاد الذي عرف إعادة اليهـود لصياغة التوراة المكتوبة من خلال الـذاكرة الشـفهيّة وما هو محفوظ عندهم من النصوص المكتوبة، على يد ((عزرا)).

4. إذا أضفنا إلى ما سبق أنّ اليهـود لمـا أعـادوا كتابـة التوراة عنـد السـبي البـابلي، قـد شـوّهوا النص بمـا أسقطوه من حديث وما أدخلـوه فيـه؛ أدركنـا عنـدها أنّ التراث الشفهي اليهـودي المحفـوظ في التلمـود ليس خرافة محضةً، وإنّما هو خليط من حقّ وباطل، كما هو الأمر أيضًـا في الـتراث المقـدس المكتـوب: (التناخ)، خاصـة أنّ التلمـود قـد كتب أساسًـا لحفـظ التراث القديم الأصيل.

5. تكشـف الطبيعـة غـير المرتّبـة ولا السلسـة لمـادة التلمود، جانب القـدم فيهـا؛ إذ إنّ من طبيعـة الكتب التي يختلقهـا أفـراد أو تصـنعها بالكامـل مجموعـات متأخّرة، أن تكون (مسبوكة) لتخفي جـانب الاختلاق. ولكن لا يمنع ما سبق من التقرير أنّ الخيال اليهودي كـان لـه النصـيب الأوفـر في صـناعة (الـذاكرة الشفهيّة) الأجاديّة في التلمود.

---

520 انظر؛ حسـن ظاظـا، الفكـر الـديني الإسـرائيلي، أطـواره ومذاهبـه، معهد البحوث والدراسات العربيّة، 1971م، ص 95

6. اضطرّ ((جايجر)) إلى أن يقول في ختام كتابه-تحسّبًا لما قد يُعترض به عليه- إنّه يقرّ أنّه ليس بالإمكان الزعم ببطلان جميع ما أوردته الأسفار اليهوديّة غير الرسميّة، وإن بدا في أذهاننا أنّ ما أوردته ليس إلاّ خرافة؛ لأنّه قد يكون له معنى آخر في صورته الأصليّة قبل أن يتغيّر شكله على ألسنة الناس[521] .. وهذه شهادة تحسب لنا، ولا يعكّر عليها أنّ صاحبها حبر يهودي؛ لأنّه كان في الحقيقة من (اليهود الإصلاحيين) الذين لا يرون قداسة هذه الأسفار على خلاف اليهود الأرثودكس.

هل اطّلع النبي على التلمود؟

لا شكّ أنّ محمدًا لم يعرف طريقًا إلى التلمود، لأسباب كثيرة، منها:

1. يقول ((دليل كمبردج للتلمود والأدبيات الحاخاميّة)) ((*The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature*)) إنّ التلمود البابلي ((يضمّ تراثًا يمتد في أدنى الأحوال على مدى 500 سنة (200م-700م)[522]. جلّ هذا التراث لا يمكن تحديد تاريخه بدقة؛ ولذلك فإنّه ليس بإمكاننا أن نعرف إذا كان مصدر (تراث ما منه) يعود إلى بداية هذه الفترة أو آخرها.))[523] ، وصرّح الناقد الكبير ((جونتر ستمبرجر)) ((Günter Stemberger))

521 انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.161

522 اختلف النقاد في زمن الانتهاء من صياغة التلمود البابلي بين 500م و700م، وليس عند من يقررون أنّ زمن الانتهاء من الصياغة هو سنة 500 م دليل حاسم للنزول إلى هذا التاريخ، كما أنهم هم أنفسهم لا ينكرون أنّ تنقيح التلمود والإضافة إليه كان ممارسًا على مدى القرن الثامن على يد الأحبار ((السفورايم)) ((**סבוראים**)).

في بحثه المعنون بـ((تـأريخ الـتراث الحاخـامي)) ((Dating *Rabbinic Traditions*))_ 524 بترجيحـه أن يكـون التلمـود البابلي قد انتهي من تأليفه بعد ظهور الإسلام: ((تـاريخ في فترة ما بعد الغـزو الإسـلامي، يبـدو أكـثر واقعيّة)) ((a date somewhere after the Islamic conquest seems to be more realistic))525.. فمن أين للجازم أنّ يحسم القـول إنّ القرآن الكريم قد أخذ من التلمـود البـابلي526 وأنّ (المقتبَس) هو تراث يهودي سابق للإسلام لا لاحق له، خاصـة أنّ بابـل (العـراق) قـد فتحت سـنة 633م، وأصـبحت معقلًا للثقافـة الإسـلاميّة في ذات القـرن السابع الميلادي؟!

2. كتب التلمود بالآراميّة وبالعبريّـة، ولا تعـرف لـه قطعًـا ترجمة عربيّة زمن البعثة النبويّة، بل ولا تعرف ترجمة عربيّة البتّة.
3. إذا كـان قـد ثبت بالـدليل القـاطع-كمـا بيّنـاه سـابقًا، وسـيزداد وضـوحًا لاحقًـا- أنّ الرسـول لم يطّلـع على العهد القديم الـذي كـان متاحًـا لعامـة اليهـود؛ فكيـف

---

523 Charlotte Elisheva Fonrobert and Martin S. Jaffee, eds. *The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature*, Cambridge: Cambridge University Press, 2007, p.59

524 جونتر ستمبرجر (ولد 1940م): عضو الأكاديميّة النمساويّة. حاصـل على دكتـوراه فخريّـة من الكليّـة اللاهوتيّـة لجامعـة جـوتنجن. عمـل في مؤسسـة الدراسـات اليهوديّـة في جامعـة فيينـا كمـا درّس في جامعـة كولونيا.

525 Reimund Bieringer and others, eds. *The New Testament and Rabbinic Literature*, Leiden: BRILL, 2009 ,p. 82

526 المقصود طبعًا (الجماره) لا (المشناه).

سـيطّلع على التلمـود الـذي لا يتداولـه إلاّ خاصـة الأحبار؟!

4. التشـابهات الحقيقيّة بين بعض التفاصـيل التلموديّـة وبين ما جاء في القرآن الكـريم (وهي قليلـة جـدًا)، لا نجـد في كلام المفسـرين من الصـحابة والتـابعين – وفيهم من كـان قبـل إسـلامه على دين أهـل الكتـاب- أثـرًا لنسـبتها إلى أخبـار بـني إسـرائيل -تصـريحًا أو إضـمارًا-؛ ممـا ينفي أن تكـون حاضـرة في ثقافـة الجزيـرة العربيّـة لأهـل الكتـاب والوثنـيين، رغم أنّ السياق يقتضي استحضارها في مقام تفسير النصوص القرآنيّة.

5. هذه التشابهات القليلة لا يمكن البتّة أن تشرح ما يدّل عليه القرآن الكـريم من معرفـة (صـاحبه) بالتفاصـيل الدقيقة والواسعة الـواردة في أسـفار التنـاخ، كمـا أنّ هذه التفاصيل مجتمعة لا تبلغ عشر معشار التشابهات الموجودة بين القرآن الكريم والعهد القديم!!

مرجعيّة التراث الشفوي اليهودي في العهد الجديد:

ليس للمنصّـرين أن ينكـروا على القـرآن الكـريم ذكـره لتفاصـيل تاريخيّـة حفظتهـا الـذاكرة الشـفهيّة لليهـود دون الأسفار المكتوبة المعروفة اليـوم، وذلـك لأنّـه قـد جـاء في العهد الجديد ذكر كثير من التعاليم والقصص غير الموجـودة في العهد القديم رغم تعلّقها بزمن الأنبياء السابقين، ممـا لا يعلم بالاجتهاد المحض. . منها:

- رسالة يهوذا 6:ـ «وَأَمَّا الْمَلاَئِكَـةُ الَّذِينَ لَمْ يُحَـافِظُوا عَلَى مَقَـامِهِمِ الرَّفِيـعِ، بَـلْ تَرَكُـوا مَرْكَـزَهُمْ، فَمَـازَالَ الـرَّبُّ يَحْفَظُهُمْ مُقَيَّدِينَ بِسَلاَسِـلَ أَبَدِيَّةٍ فِي أَعْمَـاقِ الظَّلاَمِ، بِانْتِظَارِ دَيْنُونَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.»

- رسالة يهوذا 7 ـ: ((وَتَعْرِفُونَ كَذَلِكَ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ بِمَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَبِالْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَهُمَا. فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْمُدُنِ هَذِهِ، مِثْلَ أُولئِكَ الْمُعَلِّمِينَ، مُنْدَفِعِينَ وَرَاءَ الزِّنَى، وَمُنْغَمِسِينَ فِي شَهَوَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلطَّبِيعَةِ. لِذَلِكَ عَاقَبَ الرَّبُّ هَذِهِ الْمُدُنَ بِالنَّارِ الأَبَدِيَّةِ، فَدَمَّرَهَا. فَكَانَتْ بِذَلِكَ عِبْرَةً لِلآخَرِينَ.))
- رسالة يهوذا 14-ـ 15:ـ ((عَنْ هَؤُلاَءِ وَأَمْثَالِهِمْ، تَنَبَّأَ أَخْنُوخُ السَّابِعُ بَعْدَ آدَمَ، فَقَالَ: «انْظُرُوا إِنَّ الرَّبَّ آتٍ بِصُحْبَةِ عَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنْ قِدِّيسِيهِ، لِيَدِينَ جَمِيعَ النَّاسِ، وَيُوَبِّخَ جَمِيعَ الأَشْرَارِ الَّذِينَ لاَ يَهَابُونَ اللهَ، بِسَبَبِ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَجَمِيعِ أَقْوَالِهِمِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي أَهَانُوهُ بِهَا وَالَّتِي لاَ تَصْدُرُ إِلاَّ عَنِ الْخَاطِئِينَ الأَشْرَارِ غَيْرِ الأَتْقِيَاءِ!))
- الرسالة إلى العبرانيين 12/21:ـ ((وَالْوَاقِعُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ كَانَ مُرْعِبًا إلى دَرَجَةٍ جَعَلَتْ مُوسَى يَقُولُ: «أَنَا خَائِفٌ جِدًّا بَلْ مُرْتَجِفٌ خَوْفاً.))
- الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 3/ـ 8 :ـ ((وَمِثْلَمَا قَاوَمَ (السَّاحِرَانِ) يَنِّيسُ وَيَمْبِرِيسُ مُوسَى، كَذَلِكَ أَيْضًا يُقَاوِمُ هَؤُلاَءِ الْحَقَّ؛ أُنَاسٌ عُقُولُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لِلإِيمَانِ.))
- أعمال الرسل 7/ـ 23-ـ 28 :ـ ((وَلما بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمْرِ خَطَرَ بِقَلْبِهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ إِخْوَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَى وَاحِدًا مِنْهُمْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ مِصْرِيٌّ، فَتَدَخَّلَ لِيُدَافِعَ عَنِ الْمَظْلُومِ، وَانْتَقَمَ لَهُ فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ،

عَلَى أَمَلِ أَنْ يُدْرِكَ إِخْوَتُهُ أَنَّ اللهَ سَيُنْقِذُهُمْ عَلَى يَدِهِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا!

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَجَدَ اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَتِهِ يَتَعَارَكَانِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، قَائِلًا: أَنْتُمَا أَخَوَانِ، فَلِمَاذَا يَعْتَدِي أَحَـدُكُمَا عَلَى الآخَرِ؟
فَمَا كَانَ مِنَ الْمُعْتَدِي عَلَى قَرِيبِهِ إِلاَّ أَنْ دَفَعَهُ بَعِيـدًا، وَقَـالَ: مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟
أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ أَمْسِ؟»

هذه القصة جاء ذكرها في سفر الخروج 2/ـ 11-ـ 14 :
«وَحَـدَثَ بَعْـدَ أَنْ كَبُـرَ مُوسَـى أَنَّهُ ذَهَبَ لِيَفْتَقِـدَ إِخْوَتَـهُ الْعِبْرَانِيِّينَ وَيَشْهَدَ مَشَقَّتَهُمْ، فَلَمَحَ رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْـرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا،فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَـاكَ قَتَـلَ الْمِصْـرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.

ثُمَّ خَـرَجَ فِي الْيَـوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَضَـارَبَانِ، فَقَالَ لِلْمُسِيءِ: «مَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟

فَأَجَابَهُ: «مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِـيًا عَلَيْنَـا؟ أَعَـازِمٌ أَنْتَ عَلَى قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَـافَ مُوسَـى وَقَـالَ: «حَقًّا إِنَّ الْخَبَرَ قَدْ ذَاعَ.»

وكما هو ظاهر ، فإنّ نص أعمال الرسل قد أضاف تفاصيل لم تذكر في نص سفر الخروج.

- الرسالة الثانية إلى بطرس 2/ـ 4:ـ «فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُشْـفِقْ عَلَى الْمَلاَئِكَـةِ الَّذِينَ أَخْطَـأُوا، بَـلْ طَـرَحَهُمْ فِي أَعْمَـاقِ هَاوِيَةِ الظَّلاَمِ مُقَيَّدِينَ بِالسَّلاَسِلِ، حَيْثُ يَظَلُّونَ مَحْبُوسِينَ إلى يَوْمِ الْحِسَاب.»

دلالة العهد القديم على وجود كتابات دينيّة مندثرة:

يشهد العهد القديم على وجود أسفار يهوديّة لا نعرف اليـوم لهـا أثـرًا، بـل ولا كـانت تعـرف زمن المسـيح، وإنمـا كـانت معروفة لليهود قبل المسيح بقرون، ومن الـراجح أنّ أجـزاء منها قد خرجت من الحفظ الكتابي إلى التـوارث الشـفهي؛ وأهم هذه الأسفار:

- «سفر حروب الرب» «**ספר מלחמת יהוה**»: ورد ذكره في سفر العدد 21/14.
- «سـفر ياشر» «**ספר הישר**»: ورد ذكـره في سـفر يشـوع 10/13 وسفر صموئيل الثاني 1/17.
- «سفر أخبار أيام ملـوك إسـرائيل»: ورد ذكـره في سـفر الملوك الأول 14/19 و16/5 و16/4.[527]
- «سفر تاريخ ملوك إسـرائيل ويهـوذا» «**ספר מלכי-ישראל ויהודה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثـاني 27/7 و 36/8
- «سفر أخبار أيام ملوك يهوذا» «**ספר דברי הימים--למלכי יהודה**»: ورد ذكــره في ســفر الملــوك الثــاني 24/5 و 21/25
- «أخبار جاد النبي» «**דברי גד החזה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الأول 29/29
- «رؤى النـبي يعـدو» «**חזות יעדי החזה**»: ورد ذكـره في سفر أخبار الأيام الثاني 9/29

527 هـذا غـير سـفر أخبـار الأيـام المضـمن في الكتـاب المقـدس؛ إذ إنّ الكتاب المذكور في الأعلى قد كتب قبل فترة طويلة من الكتاب القانوني الموجود بين دفتي الكتاب المقدس (انظر؛ Richard Barrett, *A Synopsis of Criticism Upon those Passages of the Old Testament in which Modern Commentators have Differed from the Authorized Version*, (London: Longman, 1847, 2/824

- «نبــوءة أخيــا الشــيلوني» «**נבואת אחיה השילוני**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني 9/29
- «تــاريخ عــدو الــرائي» «**דבר עדו החזה**»: ورد ذكــره في سفر أخبار الأيام الثاني 12/15 و13/22
- «تاريخ شمعيا النبي» «**דבר שמעיה הנביא**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني 12/15
- «تاريخ ياهو بن حناني» «**דברי יהוא בן-חנני**»: ورد ذكــره في سفر أخبار الأيام الثاني 20/34
- «سفر كتاب إشـعياء النـبي عن الملـك عزيا»: ورد ذكــره في أخبار الأيام الثاني 26/22
- «مــدراش ســفر الملــوك» «**מדרש ספר המלכים**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني 24/27
- «أخبار الرائين» «**דברי חוזי**»: ورد ذكــره في ســفر أخبــار الأيام الثاني 33/19
- «سفر أخبار سليمان» «**ספר דברי שלמה**»: ورد ذكره في سفر الملوك الأول 11/41
- «سفر يهـوه» «**ספר יהוה**»: ورد ذكــره في ســفر اشـعياء 34/ 16
- «سفر أخبار الأيام» «**ספר דברי הימים**»: ورد ذكــره في سفر نحميا 12/23.[528]
- «تــاريخ ناثــان النــبي» «**דברי נתן הנביא**»: ورد ذكــره في سفر أخبار الأيام الثاني 9/29 الذي استنبط منــه قــديس الكنيســة «يوحنــا ذهــبي الفم» أنّ «الكثــير من كتابــات الأنبياء قــد انــدثرت» «Πολλὰ τῶν προφητικῶν ἠφάνισται βιβλίων».[529]

528 هو غير سفر أخبــار الأيــام (الأول والثــاني) القــانوني (انظــر؛ Joseph Blenkinsopp, *Ezra-Nehemiah: A Commentary*, Pennsylvania: The Westminster Press, 1988, p.340)

ومن الأبوكريفـــا الـــتي يـــؤمن بقداســـتها الكاثوليـــك والأرثودكس:

- «سجلات إرمياء» ورد ذكرها في 2مكابيين 2/1.
- «ذكريات نحميا» ورد ذكرها في 2مكابيين 2/13.
- خمســـة كتب «لياســـون القيريـــني» ورد ذكرهـــا في 2مكابيين 2/23.

هـل خلـط القـرآن الكـريم بين الـتراثين: المكتـوب والشفهي؟

قد يقال- وقد قيل- إنّ الرسول قد خلط بين ما جــاء في الكتاب المقدس وما أورده التلمود .. والردّ هو:

أولا: افترض الطاعنون من المستشرقين في ربانيّة القرآن أنّ محمدًا له معرفة عميقة جدًا بالعهد القديم من ناحيــة العقائد والأحكام التشريعيّة والقصص والتفسير والمذاهب – سواء أكان هذا (العلم) راجعًا إلى قــراءة مباشــرة للأســفار المقدســة أو أخــذًا عن معلّم- ...فكيـف يسـتقيم مـع ذلـك الزعم أنّه لم يميّز بين الأسفار الربّانيّـة المقدّســة والـتراث الشفهي المدوّن في التلمود؟!

ثانيا: لم يفـترض المستشـرقون علم الرسـول بالأسـفار الدينيّة فقـط، بـل زادوا على ذلـك زعمهم أنـه كـان يشـكّل هذه المادة على الصورة التي توافق أفكاره؛ فيزيــد وينقص ويغيّر، بدقّة عالية وتمكّن فذ!! فكيـف يُجمـع بين ذلـك وبين خلطه بين النصوص المقدسة وما هو دونها.

---

529 Patrologiæ cursus completus, Apud Garnier Fratres et J.-P. Migne Successores, 1862, 57/180, John Chrysostom, '*Homily IX*, *the Gospel of St Matthew*,' in *Nicene and post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1888, 5/58

ثالثا: تدلّ النصـوص النبويّـة الكثـيرة، وفهم الصـحابة لهـا – وفهمهم حجّة بلا شك في بيان دلالات الأقوال النبويّـة- على أنّ الرسول لم يكن يـرفض مـا يـذكره اليهـود عن تـاريخ الأنبيـاء إذا لم يكن منصوصًـا عليـه في الأسـفار المقدّسـة؛ ومن أدلّة ذلك حديث: ((لا تصدقوا أهل الكتـاب ولا تكـذبوهم وقولوا: ((آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَـآ أُنـزِلَ إِلَيْنَا)) (الآية))).530، فقـد فهمـه علمـاء الإسـلام منـذ زمن الصـحابة إلى اليـوم على أنّـه لا يختص بالقصــص المضــمنة في التــوراة المحرّفــة، وإنّمــا يشمل كل ما يرويه اليهود من قصـص السـابقين وأقـوالهم، سواء وردت في الأسفار المقدسة أم لم ترد، وكذلك الأمــر بالنسبة للنصارى وأسفارهم؛ إذ لم يُعهد عن الصحابة وأهــل العلم في الأجيال التالية سؤالهم أهل الكتـاب عن أصـل مـا يخــبرون بــه، أمن الأســفار المقدّسة هــو أم من القصــص المتوارثة غير المكتوبة.

o مصادر أخرى:

نظرًا لما أبداه المنصّرون وعامـة المستشـرقين من هَمّ وهِمَّة لنسـبة مـا جـاء في القـرآن الكـريم إلى أسـفار أهـل الكتـاب وكتاباتهم؛ فقد امتـد بهم البحث إلى مصـادر كثـيرة غـير الـتي سبق ذكرها؛ ومنها:

تفسير ((راشي):

530 رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ((قولوا آمنا بالله وما أنــزل إلينا))، ح/4485

ذكــر كــلّ من ((جــايجر))531 و((تســديل))532 أنّ قولــه تعــالى : {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء}533 مأخوذ من اليهود، ودليلهما قول ((راشي)) في تعليقــه على تكــوين 1/2 إنّ عــرش الــربّ على الماء.

والردّ هو:

أولًا: ((راشي)) المتحـدّث عنـه، هـو حـبر يهـودي شـهير اسـمه الحقيقي ((شلومو يتسحاقي)) ((**שלמה יצחקי**)) ولد سنة 1040م وتـوفي سـنة 1105م!! فكيـف يكـون كلامـه مصـدرًا للقـرآن الكريم النازل في القرن السابع؟!

ثانيًا: نظرًا لعلم ((تسديل)) بتهافت دعواه؛ فقـد أضـاف لحبـك شبهته أنّ ما قاله ((راشي)) هو نقـل لـتراث يهـودي معـروف .. وهي خديعة مفضوحة منه؛ لأنه:

(1) لو كان له مصدر واحد سابق للإسلام لاستعرضـه، إذ إنـه و((جايجر)) قد نبشا في كـلّ الـتراث اليهـودي المتـاح، ولا يمكن أن تخفى مثل هـذه المسـألة العقديّـة عن كتب السـابقين من اليهود، إن كان لها وجود في التراث القديم.

(2)لم يقل ((راشي)) نفسه في تعليقه على تكوين 1/2 إنّ ما ذكــره هــو نقــل عن تــراث يهــودي؛ فمن أين جــاء ((تســديل)) بتفصيله المدّعى؟!

---

531 انظر؛ A. Geiger, *Judaism and Islam*, 1970, p. 72

532 انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur’an* , 1911 , p.123

533 سورة هود/ الآية (7)

ثالثًا: كان «راشي» بصدد استنطاق نص تكوين 1/2 لاستلهام الدلالة منه؛ فقد قال:

כִּסֵּא כָבוֹד עֹמֵד בָּאֲוִיר וּמְרַחֵף עַל
פְּנֵי הַמַּיִם בְּרוּחַ פִּיו שֶׁל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא

أي: «كرسي المجد معلّق في الهواء ويرفرف على وجه المــاء بريح/نَفَس فم القدوس، مبارك هو.»

جليّ هنا أنّ «راشي» بصدد محاولة إعطاء تصوّره الخاص لمعنى النص الذي هو بصدد التعليق عليه، والقائل: «كــان روح الله يرفرف على سطح المياه» (تكوين 1/2)، وهو نصّ يحتمل المعنى الذي استنبطه منه «راشي»، خاصة أنّ اليهود يؤمنون باستواء الربّ على عرشه كما هو مذكور في العهد القديم[534] -وهو أيضًا ما يؤمن به النصارى[535]-.

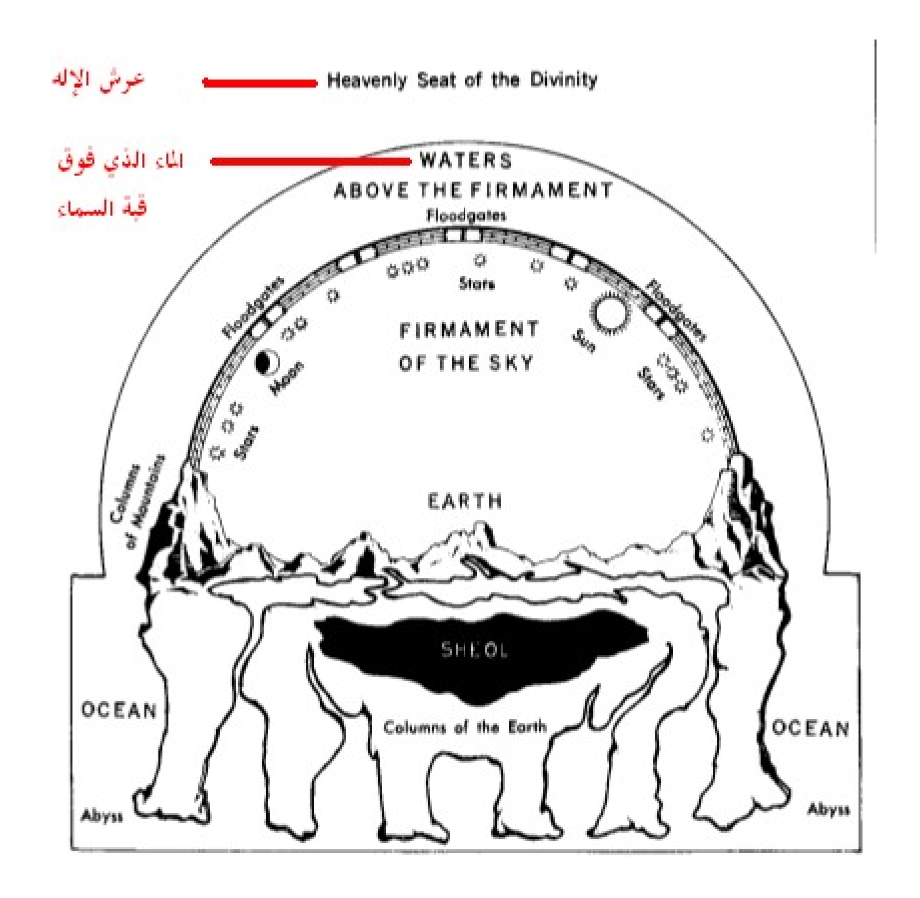
رابعًا: أوردت إحدى طبعات الترجمة الكاثوليكيّة للكتاب المقدس «*The New American Bible*» صورة للتصوّر اليهودي

---

534 جاء في الموسوعة اليهوديّة «*The Encyclopedia of Judaism*» ص 704 في مقال «عرش الله» «*Throne of God*»: «مفهوم أنّ الله جالس على عرش، بما يرمز لقوة سلطانه، شائع في الكتاب المقدس»، وجاء في معجم «*A Popular Dictionary of Judaism*» في مقال بنفس الاسم السابق: «عرش الله: المكان المفترض لله. وصِف الله أنّه جالس على العرش في إشعياء (الفصل 6)، حزقيال (الفصل1) ودانيال (الفصل 7)...» (Lavinia Cohn-Sherbok and Dan Cohn-Sherbok, *Dictionary of Judaism*, Curzon Press, 1995, p.181)، وقد ورد ذكر العرش أيضًا في سفر الحكمة 9/4 ...

535 انظر؛ عبرانيين 12/2...

للكــون، وفيهــا عــرش الــربّ فــوق الميــاه الــتي تعلــو قبّــة السماء.[536]



THE WORLD OF THE HEBREWS

THE WORLD OF THE HEBREWS — Graphic representation of the Hebrew conception of the world. God's heavenly seat rests above the superior waters. Below these waters lies the firmament or sky which resembles an overturned bowl and is supported by columns. Through the openings (floodgates) in its vault the superior waters fall down upon the earth in the form of rain or snow. The earth is a platform resting on columns and surrounded by waters, the seas. Underneath the columns lie the inferior waters. In the depths of the earth is Sheol, the home of the dead (also called the nether world). This was the same prescientific concept of the universe as that held by the Hebrews' pagan neighbors.

---

[536] *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.4

خامسًا: عاش «راشي» صاحب الثقافة الواسعة والذي ولد في شمال فرنسا، في زمن تراكمت فيه كتابات اليهود في الأندلس المجاورة له حيث بسطت الثقافة الإسلاميّة سلطانها وبلغت أوج إشعاعها و«قد كانت إسبانيا (الأندلس) الأرض الخصبة للمسلمين والمسيحيين واليهود لتبادل الأفكار؛ ولذلك لا يُستغرب أن نرى أنّ طبقة أكبر المفسّرين اليهود كانت من اليهود الإسبان»537، وفي ذاك الزمن، عاش «راشي» ملاصقًا لبلاد الإسلام (الأندلس) ومتواصلًا مع ثقافة المسلمين من خلال الاطلاع على أفكارهم التي كانت الأكثر (إثارة) في أوروبا في زمن شهد الحرب الصليبيّة الأولى، وبالاستفادة من أقوال الشراح اليهود الأندلسيين الذين استفادوا قبله من العلوم الإسلاميّة.

وقد قرّر أصحاب كتاب «حواء وآدم: قراءات يهوديّة ومسيحيّة وإسلاميّة في التكوين والنوع» «*Eve and Adam: Jewish, Christian, and Muslim readings on Genesis and gender*» الذي قدّم عرضًا لموقف الشرّاح والمفسّرين من قصّة خلق «آدم» و«حواء» عند علماء اليهود والنصارى والمسلمين: «مُعَلِّقون (commentators) مثل المفسّر الفرنسي راشي -كمثال- <u>مدينون لعلماء القرآن في القرون الوسطى</u> الذين طوّروا الأدوات الفيلولوجيّة والنحويّة المساعدة في دراساتهم القرآنيّة. علاوة على ذلك، فإنّه بسبب أنّ عددًا كبيرًا من اليهود كانوا يسكنون البلاد

537 Stephen M. Wylen, *The Seventy Faces of Torah: the Jewish way of reading the sacred Scriptures*, New Jersey: Paulist Press, 2005, p.139

الناطقة بالعربيّة، وأراض يحكمها المسلمون؛ لا نفاجأ بأنّ نجـد تأثيرًا إسلاميًا على كتّاب يهود آخرين.))[538]

وقال الناقد اليهودي ((أفراهام جروسـمان)) ((Avraham Grossman)) في بحثه المعنـون بـ((مدرسـة التفسـير اليهـودي الحـرفي في شمال فرنسا)) ((*The School of Literal Jewish Exegesis in Northern France*))- بعـد أن قـرّر أنّ الثـورة الـتي عرفهـا علم التفسـير اليهودي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ترجـع إلى ثلاثة عوامل، أوّلها (تأثير الثقافـة الإسـبانيّة-اليهوديّـة): ((علمـاء النحو اليهـود في إسـبانيا الـذين كـانوا كثـيرًا مـا يتعـاملون مـع تفسـير الأسـفار المقدسـة، كـان لهم تـأثير كبـير على راشـي وتلاميذه. كقاعدة، كان هناك اتصال وثيق بين المراكز اليهوديّة في فرنسا وفي إسبانيا منذ النصـف الأوّل من القـرن الحـادي عشر ... إدراك راشي لأهميّـة اللغـة العربيّـة لشـرح الكلمـات العبريّة للأسفار المقدسة يعود بدرجـة كبـيرة إلى تـأثير النقّـاد الإسبان.))[539]

إنّها شهادة رصيدها الاستقراء المباشر!

---

538 انظـر؛ Kristen E. Kvam, Linda S. Schearing and Valarie H. Ziegler, eds. *Eve and Adam: Jewish, Christian, and Muslim readings on Genesis and gender*, IN: Indiana University Press, 1999, p.172

539 Avraham Grossman, '*The School of Literal Jewish Exegesis in Northern France*,' in Magne Saebo, *Hebrew Bible, Old Testament: the history of its interpretation, the middle ages*, Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 2000 , V. 1/2 p.327

كلّ ما سبق يجعل معرفة ((راشي)) بالحديث القرآني عن بدء الخلق راجحًا؛ فيكون تأثّره بالقرآن -إن ثبت أمر التأثير والتأثّر في هذه النقطة- هو الأصل لا العكس!

الترجوم الثاني **תרעום שני** لإستير:

هذا الترجوم هو الترجمة الآراميّة الثانية لسفر إستير، وفيه توسّع شديد في التفصيل القصصي رغم أنّ الترجومات لم تكتب في الأصل إلاّ لتقريب النص المقدس إلى اليهود الذين نسوا العبريّة الكتابيّة وتبنوا اللغة الآراميّة. وبين الترجوم الأوّل لسفر إستير والترجوم الثاني اختلافات كبيرة، علمًا أنّ الترجوم الأوّل قد ألّف سنة 500م تقريبًا.[540]

ادّعى المنصرون أنّ الترجوم الثاني هو أحد مصادر القرآن الكريم (قصّة سبأ)، لكنّ النظر في أصل هذا الترجوم يكشف لنا أنّه قد ألّف بعد الإسلام؛ فقد ذكرت الموسوعة اليهوديّة ((*Encyclopaedia Judaica*)) أنّ من النقّاد من رأى أنّ مؤلّف هذا الترجوم قد استعمل مصادر عربيّة[541]، أي أنّه قد استعمل ما جاء في التفاسير القرآنيّة وقصص الآنبياء في كتب التفسير الإسلامي.

وكانت الموسوعة اليهوديّة ((*The Encyclopedia of Judaism*)) أكثر حسمًا عند قالت: ((بعض الأفكار مقتبسة من القرآن؛ وهو ما يشير إلى أنّ زمن تأليف [هذا الترجوم] كان في آخر القرن السابع أو أوّل القرن الثامن.)) ((Some of the motifs are borrowed))

540 انظر؛ Graig Evans, *Ancient Texts for New Testament Studies, a guide to the Background Literature*, Massachusetts: Hendrickson Publishers, 2005 , p.201

541 انظر؛ *Encyclopaedia Judaica, 19/514*

from the Koran; this points to the late seventh or early eighth century 542((.as the time of its composition

وقــد أشــارت موســوعة ((*Encyclopaedia Judaica*)) إلى الآراء المتباينة حول زمن تأليف هذا الترجوم، ورَجَّحَتْ أنّه قـد ألّـف في آخر القرن السابع وبداية القـرن الثـامن - وهـو مـا قـرّره أيضًا معجم الديانة اليهوديّة ((*The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*)).543-، ومن الأدلّة على ذلك علاقة هذا الترجوم بسـفر ((فرقي دي ربي إليعازر)).544

ولا شكّ أنّ ظهـور هـذه التشـابهات في ترجـوم إسـتير الثـاني الذي ظهر بعد الإسلام وغيابـه عن ترجـوم إسـتير الأوّل الـذي كتب قبل الإسلام، يحمل دلالة ظاهرة على أنّ القرآن الكـريم هو مصدر الاقتباس لا العكس!

ومن أهمّ مـا ورد في الحـديث عن (أصـل) هـذا الـترجوم، مـا ذكـره الناقـد ((برنـارد جروسـفلد)) ((Bernard Grossfeld))545 في مقدمته لترجمته الإنجليزيّة للترجوم الأوّل والثاني لإستير؛ فقد أشار إلى التشابه الكبير بين هـذا الـترجوم وسـفر ((فـرقي دي ربي إليعازر))، وهو 17 تشابهًا كما هو في تحليله الخاص. وذكر

542 Phil. D. Wigoder and others, eds. *The Encyclopedia of Judaism,* p.690

543 انظر؛ R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, p.676

544 انظر المصدر السابق, 19/515

545 برنـارد جروسـفلد: رئيس قسـم الدراسـات اليهوديّـة في جامعـة ويسكونسـن قبـل التقاعـد. من أعلام الدراسـات الآراميّـة ومن أهم المتخصصـين في الترجومـات. لـه عـدد من المؤلفـات في ترجمـة الترجومات إلى اللغة الإنجليزيّة والأدوات العلميّة المتعلّقة بها.

أنّ ((بوزنر)) ((Posner)) و((زونز)) ((Zunz)) قد أشارا أيضًا إلى أنّ هـذا الترجوم قد أخذ من سفر ((فرقي دي ربي إليعازر)) على عكس الترجوم الأوّل لإستير الذي كان من مصادر سـفر ((فـرقي دي ربي إليعازر))، وأرّخا تأليف الترجوم الثـاني لإسـتير في القـرن الثامن، فيما اعتـبر ((برنـارد جروسـفلد)) أنّ أبكـر تـأريخ ممكن لتـأليف هـذا الـترجوم هـو سـنة 800م، أي بدايـة القـرن التاسع[546]، وهـو نفس مـا اختارتـه الموسـوعة اليهوديّـة ((*The Jewish Encyclopedia*)).[547]

وتُعدّ ملاحظة ((برنارد جروسفلد)) أنّ هذا الترجوم قـد ألّـف في فلسـطين[548] حجّـة مؤكّـدة لمصـدرية القـرآن والتفاسـير الإسـلاميّة لـه؛ إذ إنّ الثقافـة الإسـلاميّة كـانت مهيمنـة على فلسطين في القرنين الثامن والتاسع ميلاديًّا، وقـد أثّـرت على أهـل الكتـاب عامـة؛ حـتى شـهد الناقـد ((سـدني جـريفث)) أنّ ((النماذج النصرانية الأبكر باللغة العربيـة ظهـرت في المنطقـة الفلسطينية.))[549]

وممّـا يلاحـظ في هـذا الـترجوم أنّـه لم يقتصـر على مشـابهة النص القــرآني، وإنّمــا شــابه أيضًــا مــا جــاء في التفاســير

---

546 انظـر؛ Bernard Grossfeld, *The Two Targums of Esther, translated, with Apparatus and Notes*, Minnesota: The Liturgical Press, 1991, p.20

547 انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, 5/243

548 انظـر؛ Bernard Grossfeld, *The Two Targums of Esther, translated, with Apparatus and Notes*, p.19-20

549 Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, 1985 Volume 69, p. 161

القرآنيّة[550]؛ بما يظهر عمق تأثّره بالثقافة الإسلاميّة المهيمنـة على فلسطين.

ويعتـبر عجزنـا عن امتلاك مخطوطـة مبكّـرة للـترجوم الثـاني لإستير (ليست لدينا مخطوطة تعود إلى ما قبل القـرن الثـاني عشر[551]) محنـة أخـرى لمن يقولـون بمصـدريّة هـذا الـترجوم للقرآن الكريم؛ فهـل تبـنى الـدعاوى الكبـيرة على التخرّصـات والظنون؟!

أبوكريفا العهد الجديد:

1- أناجيل الطفوليّة:

اعتراضات أوّلية:

تعتبر بعض تفاصيل ميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما الواردة في القرآن الكريم، أهم قضيّة قال فيها المنصّرون بمصدريّة الأناجيل الأبوكريفيّة للقرآن الكريم. وتواجه هذه الدعوى خمسة عشر عائقًا في مبتدأ البحث؛ وهي:

1) غياب الدليل التاريخي المحكم على انتشار الأسفار الأبوكريفيّة للطوائف المهرطقة، في الجزيرة العربيّة زمن البعثة النبويّة. ويبدو أنّ هذه الحقيقة هي التي جعلت ((موسوعة الإسلام)) ((*Encyclopaedia of Islam*)) الاستشراقيّة تعلّق على التشابهات بين بعض القصص القرآني وما جاء في بعض الأناجيل الأبوكريفيّة بقولها

550 انظـر؛ Jacob Lassner, *Demonizing the Queen of Sheba: boundaries of gender and culture in Postbiblical Judaism and medieval Islam*, Chicago : University of Chicago Press, 1993, p.130

551 انظر المصدر السابق، ص 131

إنّ ذلك لا يدلّ على وجود صلة مباشرة بينهما، وأنّ الأرجح -بزعمها- هو وجود تراث شفوي مشترك كان مصدرًا لهما.[552]

2) غياب ترجمات عربيّة لهذه الأسفار الأبوكريفيّة زمن البعثة النبوية.

3) كثرة هذه الأسفار المدّعى مصدريّتها، وتنوّع أصولها (يوناني، سرياني، قبطي، لاتيني ...) وتباعد مواطنها؛ يطرح سؤالًا جادًا حول قدرة نبي الإسلام على الإحاطة بها، مع ما افتُرض أيضًا من إحاطته بما جاء في الأناجيل الرسميّة التي لم تعرف لها هي أيضًا ترجمة عربيّة في زمانه!!

4) لم تظهر هذه الدعوى عند الكتّاب الدفاعيين النصارى الأوائل، خاصة أنّ تأليف النصارى في الهجوم على القرآن الكريم قد بدأ مبكّرًا مع (يوحنا الدمشقي) -المولود في آخر حكم ((معاوية بن أبي سفيان)) رضي الله عنه- (676م- تقريبًا 56هـ/ 749م- 132هـ)، فلو أنّ تلك الأسفار كانت مشتهرة في البيئة العربيّة في القرن السابع ميلاديًّا لكان الدفاعيون النصارى الذين عاشوا داخل الدولة الإسلاميّة وكتبوا مؤلفاتهم في السرّ، أو الذين عاشوا في الإمبراطوريّة الرومانيّة

552 انظر؛ A. J. Wensinck, '*Maryam*,' in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, 2010

الشرقيّة[553] المحاذية للعالم الإسلامي، وصنّفوا كتاباتهم ضدّ الإسلام بدعم من البابوات والأباطرة، قد ذكروها؛ لكنهم لم يفعلوا ذلك، واكتفوا أساسًا بالحديث عن «الراهب بحيرى» الذي علّم –بزعمهم- الرسول ما هو مفصّل في الأناجيل الرسميّة الأربعة.

5) عامة مؤلفات الدفاعيين النصارى تنسب الراهب «بحيرى» إلى المذهب النسطوري، وهو مذهب يعترف بالأناجيل الأربعة الرسميّة، وبإمكاننا أن نلاحظ هذه الدعوى في أشهر كتاب في الطعن في القرآن الكريم في القرون الوسطى «*Summa Totius Haeresis Saracenorum*» «لبطرس المبجّل» الذي يعتبر المحرّك الديني للحروب الصليبيّة؛ فقد زعم هذا الكتاب أن «سرجوس/بحيرى» النسطوري قد علّم محمدًا العهد القديم والجديد طبق الفهم النسطوري، ثم تدخّل اليهود فعلّموه خرافاتهم لمنعه من أن يتحوّل إلى النصرانيّة![554]

6) غزت الإسرائيليات كتب التفسير في فترة مبكّرة من النشاط التفسيري الإسلامي، ولا نرى رغم ذلك في

---

553 تُعرف باسم (الإمبراطوريّة البيزنطيّة)، وهي تسمية أطلقها عليها المؤرّخ الألماني «Hieronymus Wolf» سنة 1557م، بعد قرن من سقوطها!

554 انظر؛ Susannah Heschel, *Abraham Geiger and the Jewish Jesus*, Chicago: University of Chicago Press, 1988, p.60

هذه الكتب نقلًا حرفيًا أو مقاربًا لما جاء من تفصيل في روايات ميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما كما هي في الكتب الأبوكريفيّة في المواضع التي ادّعى المنصّرون أنّ القرآن الكريم قد اقتبسها من الأبوكريفا كما سيأتي ذكرها.

7) كانت الأناجيل الأربعة مختصرة جدًا في أمر طفولة المسيح، وهي بذلك منطقة مظلمة في حياة المسيح في النصوص الرسميّة للكنيسة؛ وبالتالي فإنّ ردّ ما جاء في القرآن الكريم لمجرد غياب ذكر له في الأناجيل الرسمية –على فرض صحة عامة ما جاء في الأناجيل الرسميّة تاريخيًا- لا يرقى للطعن في إضافات القرآن الكريم.

8) الخلاف حول طفولة المسيح كان معروفًا بين النصارى في القرون الأولى؛ حتّى إنّ فرقة الأبيونيين[555] كانت تؤمن بإنجيل –كما يقول «إبيفانيوس»- هو نسخة من إنجيل متّى دون الفصلين الأوّلين[556] ؛ أي أنّه إنجيل قد حذفت منه قصة طفولة المسيح.[557]

---

555 الأبيونيّة: الأبيونيون אביונים لغة: (الفقـراء). اصـطلاحًا: فرقـة تنتمي إلى ما يعرف (بالمسيحيّة اليهوديّة)، كانت ترى وجوب الالـتزام بالتشـريع والعادات اليهوديّة. ترفض هذه الفرقة ألوهيّة (يسوع) وترى مـع ذلـك أنّـه (المسيح)، كما تمجّد (يعقوب) الحواري وترى ضلال (بولس).

556 انظر؛ Epiphanius Of Salamis, *Panarion*, 30. 14

557 ذهب «جيمس ر. إدواردز» (James R. Edwards) في مقال حديث له إلى أنّه من المحتمل أن يكون «إنجيل الأبيونيين» أحد مصادر إنجيل لوقا!

9) لايزال النقّاد إلى اليوم يعيدون قراءة نصوص الأناجيل وقصصها في ضوء ما يستجد لهم من اكتشافات حديثة لمخطوطات أبوكريفيّة، ولعلّ أفضل مثال لهذا الأمر؛ ((إنجيل توما))[558] المكتشف في نجع حمادي في مصر سنة 1945م، حيث يعدّ اليوم عند عامة النقّاد أحد مصادر الأناجيل الرسمية أو النصّ الذي ينقل الكثير من أقوال المسيح في هذه الأناجيل في صورة أقرب إلى الأصل[559]، وأحد أهمّ الكتابات التي تعين على فهم تشكيلها التاريخي واللاهوتي.

10) الاتفاق الإجمالي بين القرآن الكريم والأسفار الأبوكريفيّة في أمر طفولة المسيح، منصب أساسًا على قصص المعجزات، وهي تشابهات قليلة جدًا لا ترقى إلى أن تكون حجّة على (التشبّع!) القرآني

انظر؛ *James R Edwards,* New Testament Studies. Cambridge: Oct 2002. Vol. 48, Iss. 4; p. 568-586

558 هو غير إنجيل الطفولة لتوما الذي سيأتي ذكره لاحقًا.

559 يقول الناقد الكتابي الموسوعي ((هلمت كووستر)) ((Helmut Koester)) (ولد سنة 1926م): ((إذا نظر الواحد إلى شكل أقوال (المسيح) في إفرادها وألفاظها، في مقارنة لها بالشكل الذي حفظت فيه في العهد الجديد؛ فإنّ إنجيل توما سيبدو دائمًا تقريبًا محافظًا على شكل أكثر أصالة للقول التقليدي أو سيُظهر ترجمات قائمة على أشكال أكثر أصالة.)). وقال: الناقد ((ستيفن ل. ديفيز)) ((Stevan L. Davies)) أستاذ الدراسات الدينيّة في كليّة مزركوريا في دالاس: ((لاحظ العديد من النقّاد أنّ إنجيل توما يحمل أجلى صورة بدائيّة ممكنة للتراث المكتوب.)) (انظر؛ Stevan L. Davies, *The Gospel of Thomas*, Massachusetts: Shambhala Publications, 2002, p.xlii ((

بالتراث الأبوكريفي المتخم بالقصص والتفاصيل والعقائد.

11) ردّ تاريخيّة كلّ ما جاء في أبوكريفا الطفولة، باعتباره من آثار التراث النصراني المتأخّر الذي يبدأ من القرن الثاني ميلادي، يحمل الكثير من الغرور والتنطّع في القول والحسم غير المبرّر[560]؛ إذ إنّ معرفتنا بالأبوكريفا النصرانية عامة وأبوكريفا الطفولة خاصة، لا تزال على درجة كبيرة من الضعف، كما أنّنا لازلنا إلى اليوم نكتشف مخطوطات كتب أبوكريفيّة لم نكن نعلم عنها شيئًا أو لم نكن نعرف غير اسمها، علمًا أنّ بعضها يعود أصل تأليفه إلى القرن الأوّل ميلادي، ومنها- كما هو مذهب الناقد البارز ((جون دومينيك كروسان))[561]-:

---

560 اتّهم الناقد ((طوني بورك)) ((Tony Burke)) –متخصص في أبوكريفا العهد الجديد- الدفاعيين النصاري بالجهل بدراسات الأسفار الأبوكريفيّة، والاعتماد على دراسات عامة غير نقديّة، والانتقائية في اختيار نتائج أبحاث المتخصصين ...

انظر؛ Tony Burke, "*Heresy Hunting in the New Millennium*," *SBL Forum* , n.p. [cited Aug 2008]. Online:

http://sbl-site.org/Article.aspx?ArticleID=787

561 جون دومينيك كروسان (ولد سنة 1934م): قسيس كاثوليكي سابق، وأحد مؤسسي ((ندوة يسوع)). أحد أئمة دراسات النقد الأعلى للعهد الجديد في العالم، وأحد أهم من كتب حول ((يسوع التاريخي)) ((*Historical Jesus*)) في النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن

- ((إنجيل توما)) ((*Gospel of Thomas*)): تحريره الأوّل 50م.

- ((إنجيل أجرتن)) ((*Egerton Gospel*)): 50م.[562]

- ((شذرة الفيوم)) ((*Fayyum Fragment*)): 50م.

- ((البرديّــة البهنســيّة1224))_ ((*Papyrus Oxyrhynchus 1224*)): 50م.

- ((البرديّة البهنسيّة 840م)) ((*Papyrus Oxyrhynchus 840*)): 80م.

- ((مجموعة الحوار)) ((*Dialogue Collection*)): نسخة مهذّبة للرسالة الغنوصيّة القبطيّة ((حوار المخلّص)) ((*Dialogue of the Savion*)): آخر العقد السابع من القرن الأول.

- ((الكتاب السري ليعقوب)) ((*Apocryphon of James*)): ألّف في النصف الأوّل من القرن الثاني، لكنه يضمّ تراثًا يعود إلى سنة 50م.[563]

الواحد والعشرين.

562 ذكر المعجم الكتابي ((*Dictionary of New Testament Background*)) (ص72) أنّ من النقّاد من انتصر للقول إنّ هذا الإنجيـل هـو أحـد مصـادر إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا.

12) من الأمور التي تكشف وجود تراث متعلّق بطفولة المسيح مواز لما في الأناجيل الرسميّة في المرحلة المبكّرة للنصرانيّة، قول ((أريجن))564 إنّ المسيح قد ولد في كهف565، وهو ما قاله أيضًا ((جستين الشهيد))566، 567 و((جيروم)) 568،569 وقد وردت هذه القصّة في إنجيل يعقوب الأوّلي؛ الفصول 18-19-20، رغم أنّ ذلك يخالف ما يفهم ممّا جاء في العهد الجديد من أنّ المسيح قد ولد في اصطبل أو ((

---

563 انظر؛ John Dominic Crossan, *The Historical Jesus: The Life of a Mediterranean Jewish Peasant*, San Francisco: Harper Collins, 1991, pp. 427-434

564 أريجن Ὠριγένης (185م-254م): أحد أئمّة اللاهوت النصراني في قرونه الأولى. كانت له عناية خاصة بالدراسات التفسيريّة للكتاب المقدس.

565 انظر؛ Origen, '*Against Celsus*,' in *Ante Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885,4 /418

566 جستين الشهيد (103م-165م): قديس وفيلسوف. من أوائل الكتاب الدفاعيين النصارى.

567 انظر؛ Justin the Martyr, '*Dialogue with Trypho,*' 78, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885, 1/237

568 جيروم (347م-420م): قديس. من أهم آباء الكنيسة. صاحب أهم ترجمة لاتينية للكتاب المقدس والمسماة ((Vulgate)). له مؤلفات أخرى كثيرة.

569 انظر؛ Jerome, *Epistle to Paulinus*, 58. 3 in *Post-Nicene Fathers*, New York: The Christian literature company, 1893, 6/120

καταλυμα)) (فندق/مضافة في بيت570)571، علمًا أنّ ولادة المسيح في كهف قد دخلت مخطوطات العهد الجديد نفسها؛ فقد وردت كلمة ((كهف)) ((σπηλαίω)) مكان ((مَعلَف)) ((φάτνῃ)) في لوقا 2/7 في قراءة ((إبيفانيوس))، وجاءت صيغة نفس النص عند ((أريجن)): ((معلف الكهف)) ((τῷ σπηλαίω φάτνῃ))572. كما أنّ التراث النصراني قد قَبِل أنّ والدي ((مريم)) اسمهما: ((يواقيم))573 و((حنّة)). ومعلوم أنّ هذا التفصيل لم يرد في الأناجيل القانونيّة، وإنّما ورد أوّلًا –فيما نعرف

---

570 الكلمة اليونانيّة تحتمل هذين المعنيين (انظر؛ I. Howard Marshall, *The Gospel of Luke: a commentary on the Greek text*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1978, p.107; Compare, Marvin R. Vincent, *Word Studies in the New Testament*, Virginia: MacDonald Publishing, 1/268-269)

571 انظر؛ لوقا 2/7، خروجًا من التناقض وجمعًا بين التراث القانوني والأبوكريفي ذهب قديس الكنيسة ((جيروم)) أيضًا إلى أنّ المسيح قد ولد في إسطبل/معلف؛ فقال عن المسيح في تمجيد (!) ميلاده: ((إنّه لم يولد بين الذهب والأثرياء, وإنّما بين الخرء، في إسطبل)) (!!) (انظر؛ Arthur A. Just, ed. *Ancient Christian Commentary on Scripture, Luke*, IL: Intervasity Press, 2003, 3/39)؛ أي أنّ المسيح قد ولد في اسطبل موجود في كهف!

572 انظر؛ Richard Wilson, *New Testament Manuscripts by Type of Manuscripts*, CD version (BibleWorks)

573 يزعم بعض النصارى أنّ اسم والدها هو ((هالي)) بناءً على تفسيرهم المتكلّف لسلسلة النسب الواردة في الفصل الثالث من إنجيل لوقا، وهو مذهب يخالف ما استقرّ عليه آباء الكنيسة من أنّ اسم والد ((مريم)) هو: ((يواقيم)).

اليوم- في إنجيل يعقوب الأوّلي، وكذلك الأمر حول الزواج السابق لـ((يوسف النجار))، وأولاده، وسنّه عند الزواج من ((مريم))574، وغير ذلك من التفاصيل ...

كما أورد ((جيمس دنهوو)) ((James Donehoo)) في كتابه ((الحياة الأبوكريفيّة والخرافيّة ليسوع)) ((The Apocryphal and legendary life of Christ)) أقوالًا كثيرة نسبها الآباء في كتبهم إلى المسيح دون أن تكون موجودة في العهد الجديد (كجستين الشهيد، وأريجن، وكلمنت السكندري، وإيرانيوس، وجيروم ...)575، وهذا دليل على حجيّة ما ورد عن المسيح من غير طريق الأسفار المقدّسة عند معصومي الكنيسة (الآباء).

13) مادام القرآن الكريم قد تناول محّطات عمريّة من حياة المسيح وأمّه، قد أغفلتها –أو كادت- الأناجيل الرسميّة؛ فإنّه من المنطقي أن يقع نوع من التقاطع ولو في الخطوط العريضة لبعض ما ذكره القرآن الكريم من قصّة طفولة المسيح وحياة أمّه قبل ميلاده، وما جاء في الأناجيل الأبوكريفيّة؛ خاصة أنّ

---

574 تذكر أبوكريفا الطفولة أنّ سن ((يوسف النجّار)) عندما تزوّج ((مريم)) كان في حدود التسعين، وهو ما تبنّاه عدد من كتّاب الكنيسة الأوائل، ووجدوا في قصّته الأبوكريفيّة المتعلّقة بزواجه السابق وأبنائه وسنّه؛ جوابًا على إشكاليّة ((إخوة الربّ)) (انظر؛ Catholic Encyclopedia, New York: Encyclopedia Press, 1913, 8/505)

575 انظر؛ James Donehoo, *The Apocryphal and legendary life of Christ: being the whole body of the Apocryphal gospels and other extra canonical literature which pretends to tell of the life and words of Jesus Christ, including much matter which has not before appeared in English*, New York: The Macmillan company, 1903, pp.242-265

الأناجيل الأبوكريفيّة قد غطّت مساحة تاريخيّة كبيرة من حياة «مريم» وطفولة المسيح –عليهما السلام- حيث امتزج التراث الشفهي الموروث، بخيال الكتّاب؛ فكانت الرواية جامعة بين التاريخ الحقّ والخرافة المختلقة.

ولو نظرنا إلى الأمر بصورة عكسيّة؛ فسيبدو الأمر أبعد عن المنطق التاريخي المقبول:

يذكر القرآن الكريم تفاصيل لميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما، فلا يوافق ما جاء في الأناجيل الرسميّة؛ لأنّ هذه الأناجيل لم تتعرّض إلى هذه المحطات التاريخيّة من حياة المسيح وأمّه. ولا يوافق القرآن الكريم أيضًا المصدر التاريخي الثاني وهو الأناجيل غير المعترف بها من الكنيسة .. أي أنّ القرآن الكريم قد تفرّد بأمر أفاضت فيه نصوص أخرى قريبة (نوعًا ما) من الحدث الأصلي .. فكان ذلك دليلًا على أصالة صحّة التفصيل القرآني!؟ أمّا إن وافق أحدهما؛ فذاك دليل على خرافية هذا الرواية!!

14) لو صدقنا –جدلًا- وجود هذا العمل الاقتباسي؛ فإنّه يبقى مع ذلك إشكال لا يمكن حلّه، وهو أنّ القرآن الكريم لم يتبنّ أيًا من الروايات الكليّة لهذه الأسفار، بل لم يوافقها إلا في أقل القليل، كما أنّ هذه الانتقائية (!) المدّعاة في التعامل مع هذه الكتب، لم توظّف عامة بصورة مميزة لخدمة فكرة تحتاج من

نبي الإسلام أن يترك الأناجيل الرسميّة ويتبنى روايات الأناجيل الأبوكريفيّة!

15) القـــول إنّ الرســـول كـــان على اطّلاع على هـــذه الأســـفار، يزيـــد شـــبهة المنصّـــرين رهقًـــا ولا يفتح لهـــا أبواب القبول والمنطقيّة؛ لأنّ تضخيم معارف الرسول لتبلغ العلم بنصـــوص التـــوراة والأســـفار التشـــريعيّة والأجاديّة اليهوديّة والعهد الجديد والأسفار الأبوكريفيّـــة الدقيقة في زمن تخفِّي الفرق المهرطقة بكتبهـــا؛ يعـــدّ إفراطًـــا شـــنيعًا في تصـــوّر التكـــوين العلمي الممنهج والدقيق والضـــخم لعلم الرســـول بالأديـــان القديمـــة، وفرقها، وكتبهـــا المقدّســـة، وشـــروحها المعتـــبرة وغـــير المعتبرة...!!

تاريخيّة طفولة المسيح في الأناجيل الرسميّة:

إنّ قراءة ميلاد المسيح وطفولته في العهد الجديد في ضوء التاريخ ونصوص العهد الجديد نفسها؛ لتسقط تاريخيّة عامة ما ورد فيها، وقد جمع «جون إ. رمسبرغ» «John E. Remsberg» في كتابه «خرافة يسوع» «*The Christ Myth*» 72 اعتراضًا على قصّة طفولة المسيح في العهد الجديد، فأصاب في أغلبها عين الحقيقة المبطلة لتاريخيّة هذه النصوص، وكان قد قال في مبتدأ حديثه: «من الصعب القول باستحقاق هذه الكتب للمصداقيّة كوثيقة تاريخيّة. قصّة «ألف ليلة وليلة» مساويّة في مصداقيتها للأناجيل الأربعة. توجد في كليهما نقول لأمور ممكنة وأخرى مستحيلة. المحال (لا بدّ أن يعتقد أنّه)

خرافة محضة، أمّا الممكن فالإيمان به لمجرّد أنّه ممكن؛ يعدّ سذاجة عمياء.))[576]

ونكتفي نحن في هذا المقام ببعض الأمثلة الكاشفة لهشاشة البناء التاريخي لقصة طفولة المسيح في العهد الجديد، داعمين موقفنا بإقرار النقاد الغربيين الذين قالوا ببطلانها:

• تناقضات:

-أين ولد المسيح؟ رغم أنّ إنجيل متّى وإنجيل لوقا قد قرّرا أنّ المسيح قد ولد في ((بيت لحم))، إلاّ أننا لا نعرف المسيح في الأناجيل إلاّ منسوبًا إلى الناصرة؛ فهو ((الناصري)) عند ((بطرس))[577] و((بولس)) [578] و((فيلبس)) [579] و ((كليوباس)) ومرافقه[580]، و((بيلاطس)) [581]، و((يهوذا)) ومن جاء معه للقبض على المسيح[582]،

576 John E. Remsberg, *The Christ Myth- a Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, NuVision Publications, LLC, 2007, p.39

577 انظر؛ أعمال الرسل 2/22, 3/6

578 انظر؛ أعمال الرسل 26/9

579 انظر؛ يوحنا 1/45

580 انظر؛ لوقا 24/19

581 انظر؛ يوحنا 19/19

582 انظر؛ يوحنا 18/5، 7

وخادمة رئيس الكهنة[583]، و«بارتيماوس» الأعمى[584]، والروح النجس[585]، والجموع التي حضرت اجتماعاته[586].

- نسب المسيح؟: قدّم كلّ من مؤلّف إنجيل متّى ومؤلّف إنجيل لوقا سلسلة لنسب المسيح، وهما سلسلتان مختلفتان غاية الاختلاف، وللهروب من هذه المعضلة؛ فقد زعم النصارى أنّ سلسلة النسب الواردة في إنجيل متّى هي «ليوسف النجار»، أمّا الأخرى الواردة في إنجيل لوقا فهي «لمريم»، وهذا الحلّ مرفوض لأسباب عديدة، منها:

  * جاء التصريح الواضح في سلسلتي النسب أنهما متعلقتان «بيوسف النجار»، ففي متّى 1/16: «ويعقوب <u>أنجب</u> يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح»، وفي لوقا 3/23-24: «ولما بدأ يسوع (خدمته)، كان في الثلاثين من العمر تقريبًا، وكان معروفا أنه ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي ...»

  * لا ذكر البتّة «لمريم» في سلسلة لوقا، ولم يكن هناك مانع شرعي عند اليهود من ذكر النساء في

---

583 انظر؛ مرقس 14/67

584 انظر؛ مرقس 10/47

585 انظر؛ مرقس 1/24, لوقا 4/34

586 انظر؛ متّى 21/11, لوقا 18/37

سلسلة النسب، وهذا ظاهر أصلًا من وجود أكثر من امرأة في نسب المسيح، رغم أنّ لهن أزواجًا؛ فمن باب أحرى أن تذكر «مريم» التي ليس لها زوج!

* لا يوجد أي أثر في العهد الجديد يشير إلى أنّ «مريم» من نسل «داود»، وقد جاء في لوقا 2/4 أنّ «يوسف» قد صعد إلى بيت لحم في اليهوديّة للتسجيل في الإحصاء؛ لأنّه من بيت داود، مما يوحي أنّ «مريم» ليست كذلك.

* جاء في لوقا 1/5 أنّ «مريم» قريبةٌ «لإليصابات»، وأنّ «إليصابات» من نسل «هارون»؛ فهي من سبط لاوي، لا من سبط يهوذا الذي منه «داود»، وقد جاء في شريعة العهد القديم أنّه لا يجوز للمرأة أن تتزوج من غير سبطها[587]؛ فكانت «مريم» بذلك هارونيّة لا داوديّة.

* اتّفق آباء الكنيسة –كما أقرّت بذلك الموسوعة الكاثوليكيّة- على أنّ سلسلتي النسب هما «ليوسف النجار»[588]، وأوّل من ادّعى أنّ سلسلة

---

587 انظر؛ العدد 36/8

588 قالت «الموسوعة الكاثوليكيّة» بعد عرضها لقول من ادّعى أنّ سلسلتي النسب في متى ولوقا تعودان لشخصين اثنين «يوسف» و«مريم»: «التراث الآبائي لا ينظر إلى سلسلة لوقا على انّها تمثّل سلسلة نسب مريم المباركة.» (*The Catholic Encyclopedia*, 6/411)، وأثبت أيضًا معجم «*Dictionary of Jesus and the Gospels*» الإجماع على أنّ سلسلتي النسب هما «ليوسف النجار» ، حتى نهاية القرن الخامس عشر (انظر؛ Joel B. Green, Scot McKnight and I. Howard Marshall,

لوقا هي «لمريم» هو «أنيوس الفيتربي» (Annius of Viterbo) المعروف بأنّه قد اعتاد تزييف الوثائق التاريخيّة[589]، فقد اختلق في آخر القرن الخامس عشر كتابًا نسبه إلى الفيلسوف اليهودي «فيلو»[590] قال فيه إنّ لكلّ واحد من أجداد المسيح، من «داود» فنزولًا، اسمين، وأنّ «يواقيم» هو نفسه «هالي». والنقّاد متّفقون على أنّ هذا الكتاب ليس لـ«فيلو»، وإنّما هو من المؤلّفات التي اختلقها «أنيوس الفيتربي».[591]

* من الغريب أنّ قديس الكنيسة «كلمنت السكندري»[592] قد قدّم فرضيّة عكسيّة؛ وهي أنّ

(Dictionary of Jesus and the Gospels, IL: InterVasity, 1992, p.65) ، ولا يستثنى إلاّ «كلمنت السكندري» كما سيأتي.

589 أدانه العديـد من النقـاد، وردّ عليه «Girolamo Mei» في كتابه «*De origine urbis Florentiae*» (انظــر؛ Arthur Charles Hervey, *The Genealogies of our Lord and Saviour Jesus Christ*, Cambridge: Macmillan, 1853, p.112 , Alfred Hiatt, *The Making of Medieval Forgeries: false documents in fifteenth-century England*, University of Toronto Press, 2004, pp.9-10)

590 فيلــو (20ق م- 50 م): فيلســوف يهــودي هلنســتي عــاش في الإسكندريّة.

591 انظر؛ William Smith and John Mee Fuller, *A Dictionary of the Bible*, London: John Murray, 1893, 1/1145; George Trumbull Ladd, *The Doctrine of Sacred Scripture*, New York: Charles Scribners's Sons, 1883, 1/407

592 كلمنت السكندري (150م-215): أحد آباء الكنيسة الأوائل. لاهوتي، كان يرأس مدرسة الإسكندريّة في زمانه.

سلسلة النسب الواردة في متّى هي «لمريم»، في حين أن سلسلة النسب الواردة في لوقا هي «ليوسف»[593] .. وهو ما يكشف غياب دلالة نصية حقيقيّة على دعوى نصارى اليوم.

والأمر كما قال الدكتور «جيكي» «*Geikie*»: «سلسلة النسب كما قدّمت من طرف كلّ من متّى ولوقا تبدو بلا ريب متعلّقة بيوسف.»[594]

- إلى من أعلن الملاك بشارة الميلاد العذري؟: متّى 1/20-21 : إلى «يوسف». لوقا 1/26-38: إلى «مريم».
- هل بشرى الميلاد العذري كانت قبل الحمل أم بعده؟ لوقا 1/26-31: قبل. متّى 1/18-20: بعد.
- ماذا وقع بعد العلم بما نواه «هيرودس» من قتل المسيح الصبي؟ متّى 2/13-15:سافر المسيح وأمه و«يوسف» إلى مصر. لوقا 2/22-52: مكثوا في فلسطين.

إنّه تناقض (كبير) (مكشوف).. وكما قال الناقد الشهير «شلايرماخر» «Schleiermacher»[595] فإن كل محاولات

---

593 انظر؛ Clement Of Alexandria, ‘*Stromata*,’ 1. 21, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885, 2/334

594 Geikie, *Life of Christ*, 1/531 (Quoted by, John E. Remsberg, *The Christ Myth- a Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, 2007, p.52)

التوفيق بين هذين التقريرين المتعارضين ليست إلاّ جهدًا متكلّفًا.596

• أخطاء

- جـــاء في متّى 2/1 أنّ المســيح قـــد ولـــد في زمن «هــيرودس»، وأنّ «هــيرودس» قــد قتــل الصــبيان من ابن سنتين فما دون في بيت لحم وجوارها بعد فترة قصيرة من ذلك .. لكننا نعلم في المقابل أنّ «هيرودس» قد توفيّ سنة 4 قبل الميلاد!

النتيجة: ولد المسيح في السنة الرابعة قبل الميلاد، أو قبلها بقليل أي السنة 5 ق م أو 6 ق م.
نقرأ في المقابل في إنجيل لوقا 2/1-7 أنّ المسيح قد ولـد إبّان إحصاء «كيريـنيوس»، ومعلـوم أنّ هـذا الإحصـاء قـد تمّ سنة 6-8 ميلاديًّا!

الفارق الزمـني بين تـاريخ ميلاد المسـيح في متّى وتاريخـه في لوقا لا يقلّ عن عشر سنوات!!

وقد اضطر «ألفرد بلامر» (Alfred Plummer) في تفسيره الشهير إلى القول: «علينا أن نرضى بترك هذا الإشكال بلا حل»597، رغم ما أظهره من حرص لفكّ عقده!!

595 شــلايرماخر (1768م-1834م): فيلســوف ألمــاني. من أعلام اللاهوتيين. لقّب بـ(أبي اللاهوت البروتستانتي العصري).

596 John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.60

597 Alfred Plummer, *The International Critical Commentary, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St.*

- قدّم كلّ من مؤلّف إنجيل متّى ومؤلف إنجيل لوقا سلسلة لنسب المسيح، وهما تعودان بنسبه إلى «يوسف النجار»، رغم أنّ «يوسف النجار» ليس بأب له؛ إذ المسيح له أم وليس له أب (بشري)؛ فقد ولد من عذراء!

سلسلة النسب في متّى: «هذا سجل نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم ... ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح.» «βιβλος γενεσεως ιησου χριστου υιου δαυιδ υιου αβρααμ ... ιακωβ δε εγεννησεν τον ιωσηφ τον ανδρα μαριας εξ ης εγεννηθη ιησους ο λεγομενος χριστος»[598]

سلسلة النسب في لوقا: «ولما بدأ يسوع (خدمته)، كان في الثلاثين من العمر تقريبا، وكان معروفا أنه ابن يوسف بن هالي» «και αυτος ην ιησους αρχομενος ωσει ετων τριακοντα ων υιος ως ενομιζετο ιωσηφ του ηλι»[599]

- جاء في سلسلة النسب في متّى بعد عرض التفاصيل: «ومن السبي البابلي إلى المسيح أربعة عشر جيلا.»[600] في حين يفهم من الفصل 3 من سفر أخبار الأيام الأول أنّ هذه الفترة قد استغرقت 18 جيلًا.

Luke , New York: Charles Scribner’s Sons, 1896, p. 50

598 متّى 1/1-16

599 لوقا 3/23

600 متّى 1/17

- جاء أيضًا: «فجملة الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا؛ ومن داود إلى السبي البابلي أربعة عشر جيلا؛ ومن السبي البابلي إلى المسيح أربعة عشر جيلا»[601].. لكن بحساب هذه الأجيال؛ من اليسير أن نعلم أنّ عددها في هذه السلسلة التي أوردها مؤلّف إنجيل متّى ليس (14+14+14=42) وإنما 41 جيلًا!

- جعل مؤلّف إنجيل متّى[602] بين «راحاب» أم «بوعز» و«داود» ثلاثة رجال فقط، في حين المسافة الزمنيّة بينهما تبلغ قرابة أربعة قرون!

- يفهم من لوقا أنّ «شالح» هو حفيد «أرفكشاد»[603]، في حين يفهم من سفر التكوين أنّ «شالح» هو ابن «أرفكشاد»[604] .. والخلط في الأنساب طويل لا مجال هنا لاستقصائه كلّه![605]

- يُدعى ناصريًا: جاء في متّى 2/23: «فوصل بلدة تسمى «الناصرة» وسكن فيها، ليتم ما قيل بلسان الأنبياء إنه سيدعى ناصريًا!» .. وهذا خطأ؛ إذ إنّه لا ذكر البتّة

601 متّى 1/17

602 متّى 1/5-6

603 لوقا 3/35-36

604 انظر؛ تكوين 11/12

605 انظر؛ John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.50-52

للناصرة في العهد القديم، بل ولا ذكر لها البتّة في أيّة وثيقة تاريخيّة في تلك الفترة؛ مما دفع العديد من النقّاد إلى القول إنّ الناصرة لم تعرف قبل المسيح، وإنما اخترعت بعده![606]

- ملك بلا سلطان!: جاء في لوقا 1/32: «إنه يكون عظيما، وابن العلي يدعى، ويمنحه الرب الإله عرش داود أبيه» .. غير أننا نقرأ في الأناجيل أنّ المسيح لم يكن ذا سلطان على أحد، وقد قُتل من طرف أعدائه –كما هو مقرر في ذات الأناجيل-!

•خرافات

النجم الذي ظهر عند ولادة المسيح:

جاء في متّى 1/2-2: «وبعدما ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق،

---

606 انظر كتاب؛ René Salm, *The Myth of Nazareth, : the invented town of Jesus*, N.J. : American Atheist Press, 2008 وهو خاص بالتفنيد التفصيلي لتاريخيّة «الناصرة» زمن المسيح.

يسألون: «أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعًا في الشرق، فجئنا لنسجد له.»

اعتقاد ولادة نجم عند ميلاد أحد العظماء هو اعتقاد خرافي ساقط علميًا إذ إنّ النجوم لا تولد في لحظة، وإنما تستغرق أحقابًا طويلة جدًا لذلك، كما أنّ هذا الاعتقاد كان منتشرًا في الأمم الوثنيّة، وله نظير في التراث الهلنستي حيث يظهر نجم عند ولادة أكثر من شخصية مهمّة؛ فقد ادّعِيَ ظهور هذا النجم عند ولادة «الإسكندر الأكبر» و«مثريداتس» و«الإسكندر سفروس»، وادّعيت أيضًا هذه الخرافة في تراث الأحبار اليهود عند ولادة «إبراهيم» و«إسحاق» و«موسى» عليهم السلام. 607

النجم المتحرك شرقًا:

جاء في متّى 2/9: «فلما سمعوا ما قاله الملك، مضوا في سبيلهم. وإذا النجم، الذي سبق أن رأوه في الشرق، يتقدمهم حتى جاء وتوقف فوق المكان الذي كان الصبي فيه».. هذا تصوّر علمي ساذج لتقريره أنّ النجم يتحرّك بهذا البطء حيث من الممكن أن يوازي في السماء حركة الماشي على الأرض!!

---

607 انظر: Donald A. Hagner, *Word Biblical Commentary, Volume 33a: Matthew 1-13*, (Dallas, Texas: Word Books, Publisher) 1998, CD edition

مجزرة هيرودس:

جاء في متّى 2/16: «وعندما أدرك هيرودس أن المجوس سخروا منه، استولى عليه الغضب الشديد، فأرسل وقتل جميع الصبيان في بيت لحم وجوارها، من ابن سنتين فما دون، بحسب زمن ظهور النجم كما تحققه من المجوس.»

يعتبر قتل «هيرودس» لجميع الصبيان في بيت لحم وكلّ المناطق المجاورة «πασι τοις οριοις αυτης» دعوى يكذّبها التاريخ لأسباب عديدة؛ من أهمّها أنّ المؤرّخين الذين عايشوا تلك الفترة –«كيوسيفوس»- لم يذكروا عنها شيئًا رغم أنهم قد ذكروا عن «هيرودس» أمورًا أقلّ قيمة، ومنكرات أقلّ شناعة، والأمر لا يعدو أن يكون محاولة للمماثلة بين قصّة «موسى» عليه السلام مع فرعون كما وردت في الكتاب المقدّس[608] والتراث اليهودي[609] حيث قتل فرعون المواليد الجدد خشية ظهور مولود جديد يهدد ملكه[610]، وهو ما له نظير أيضًا في التراث الوثني.[611]

•اقتباسات للتكييف التاريخي

بيت لحم في اليهوديّة:

---

608 انظر؛ الخروج 1/15-22

609 انظر؛ 1/15 Josephus, *Antiquities*, 2. 205-209, *Tg. Ps.-j. on Ex*.

610 انظر؛ : William David Davies and Dale C. Allison, *Matthew 1-7*, Continuum International Publishing Group, 2004 , p265, John Nolland, *The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek Text*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2005, p.214

611 انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب.

جاء في متى 2/5-6:ـ «ولما سمع الملك هيرودس بذلك، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلها؛ فجمع إليه رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم جميعا، واستفسر منهم أين يولد المسيح. فأجابوه: «في بيت لحم باليهودية، فقد جاء في الكتاب على لسان النبي: وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست صغيرة الشأن أبدا بين حكام يهوذا، لأنه منك يطلع الحاكم الذي يرعى شعبي إسرائيل!»

-هذه الترجمة العربيّة (ترجمة كتاب الحياة) لا توافق النص اليوناني لإنجيل متّى كما سيأتي.-

وردت هذه النبوءة المزعومة في ميخا 5/2، لكنّها تختلف في الأصل العبري -وحتّى في الترجمة اليونانيّة السبعينية- عن نصّ متّى.

(1) تحريف مؤلّف إنجيل متّى للنصّ العبري:

- غيّر اقتباس متّى «بيت لحم أفراته» «**בית-לחם אפרתה**» إلى «بيت لحم أرض يهوذا» «βηθλεεμ γη ιουδα»
- غيّر اقتباس متّى «صغرى لتكوني في عشائر (حرفيًا: ألوف) يهوذا» «**צעיר להיות באלפי יהודה**» إلى «لست صغرى لتكوني من بين حكّام يهوذا» «ουδαμως ελαχιστη ει εν τοις ηγεμοσιν ιουδα»
- غيّر اقتباس متّى «منكِ يخرج لي من يكون متسلّطًا في إسرائيل» «**ממך לי יצא، להיות**

מושל בישראל)) إلى ((لأنّ منـكِ سـيأتي حـاكم سـيرعى شـعبي إسـرائيل)) ((εκ σου γαρ εξελευσεται ηγουμενος οστις ποιμανει τον λαον μου τον ισραηλ))

(2) مخالفة مؤلّف إنجيل متّى للنص السبعيني، رغم ما يقال عن متابعته للترجمة السبعينيّة في عامة اقتباساته من العهد القديم:

- غيّر اقتباس متّى: ((بيت لحم بيت أفراته)) ((βηθλεεμ οἶκος τοῦ εφραθα)) إلى ((بيت لحم أرض يهوذا)) ((βηθλεεμ γη ιουδα))
- غيّر اقتباس متّى: ((قليلة جدًا أن تكوني بين ألوف يهوذا)) ((·ὀλιγοστὸς εἶ τοῦ εἶναι ἐν χιλιάσιν ᾿Ιούδα)) إلى ((لست صغرى لتكوني من بين حكّام يهوذا)) ((ουδαμως ελαχιστη ει εν τοις ηγεμοσιν ιουδα))
- غَيَّر اقتباس متّى: ((منكِ يخرج لي من يكون حاكمًا على إسرائيل)) ((ἐκ σοῦ μοι ἐξελεύσεται τοῦ εἶναι εἰς ἄρχοντα ἐν τῷ ᾿Ισραήλ)) إلى ((لأنّ منكِ سيأتي حاكم سيرعى شعبي إسرائيل)) ((εκ σου γαρ εξελευσεται ηγουμενος οστις ποιμανει τον λαον μου τον ισραηλ))

من الاشكالات الأخرى في هذه البشارة المزعومة :

(3) يتحدث ((ميخا)) في النص المقتبس عن شخص يظهر من سلالة أصلها من بيت لحم لينقذ قومه من الأشوريين .. ونحن نعلم أنّه لا وجود للأشوريين في فلسطين زمن المسيح!

(4) يقول ميخا 5/ـ 6:ـ ((فيرعون أرض أشور بالسيف وأرض نمرود في أبوابها فينقذ من أشور إذا دخل أرضنا وإذا داس تخومنا)). ويسوع لم يحارب الأشوريين ولم يذد عن فلسطين بالسيف.

(5) يتحدّث نص ميخا عن قبيلة أصلها من بيت لحم (ويظهر الأمر بوضوح في الترجمة السبعينية) لا عن منطقة اسمها بيت لحم كما هو فهم مؤلف إنجيل متّى.

(6) القول إنّ ((بيت لحم)) في ميخا يقصد بها مدينة لا قبيلة، يجعلنا نسأل: ((وهل يوجد في يهوذا ألوف المدن ؟!!))

(7) نُسب يسوع إلى الجليل لا إلى بيت لحم في أكثر من موضع في الأناجيل: متّى 26/ـ 69، ـ 21/ـ 11، لوقا 23/ 6...

(8) لو كان يسوع من بيت لحم لسمّي ولو مرة واحدة ((يسوع البيتلحمي)) .. علما بأنّ والد ((داود)) قد سمّي ((البيتلحمي)) ((**בית-הלחמי**)) كما هو في سفر صموئيل الأول 16/ 1.

من مصر دعون ابني:

جاء في متّى 2/14-15: ((فقام يوسف في تلك الليلة، وهرب بالصبي وأمه منطلقا إلى مصر، وبقي فيها إلى أن مات هيرودس، ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: من مصر دعوت ابني.))

رحلة المسيح إلى مصر ليست إلاّ خرافة نصرانيّةمختلقة، وقد أراد مؤلّف إنجيل متّى صناعة موازاة بين قصّة المسيح وقصّة

«موسى» عليهما السلام، والنصّ المقتبس هو من هوشع 11/1.

هوشع 11/1-2:ـ «عنـدما كـان إسـرائيل صـغيرا أحببتـه، ومن مصر دعوت ابني، لكن كلمـا دعـاهم الأنبيـاء لعبـادتي أعرضـوا عني، ذابحين قرابين للبعل، ومصعدين بخورا للأوثان.»

وهنا:

(1) النصّ يقـول صـراحة في مبتدئـه «عنـدما كـان إسـرائيل صغيرًا أحببته» «**כי נער ישראל، ואהבהו**»؛ فموضوع الحديث هو «شعب إسرائيل» لا «يسوع».

(2) تتمّة الحديث أيضًا متعلّقة بشعب إسرائيل، وقـد ورد فيهـا الحديث بصيغة الجمع «دعاهم» «أعرضوا»...

(3) تـرجمت الترجمـة السـبعينيّة اليونانيّـة النص على هـذه الصـورة: «...لأنّ إسـرائيل كـان طفلًا، وأحببتـه، ومن مصـر نـاديت **أبنـاءه/أطفاله**» «ὅτι νήπιος ᾿Ισραήλ، καὶ ἐγὼ...ἠγάπησα αὐτὸν καὶ ἐξ Αἰγύπτου **μετεκάλεσα τὰ τέκνα αὐτοῦ**.» .. فالمنـادَون هنـا هم: أبنـاء إسـرائيل، أي شـعب إسرائيل، ونسبة الأبناء هي لإسرائيل لا إلى الربّ.

راحيل الباكية والمجزرة الوهميّة:

جاء في متّى 2/17-18:ـ «عندئذ تم ما قيـل بلسـان النـبي إرمياء القائل: «صراخ سمع من الرامة: بكاء ونحيب شـديد! راحيـل تبكي على أولادهـا، وتـأبى أن تتعـزى، لأنهم قـد رحلوا!»

اقتباس مؤلّف إنجيل متّى هو من إرمياء 31/15:ـ ((وهذا ما يعلنه الرب: ((قد تردد في الرامة صوت ندب وبكاء مر. راحيل تنوح على أبنائها وتأبى أن تتعزى عنهم لأنهم غير موجودين.))

قلت:

(1) قال ((و.ف. ألبرايت)) ((W.F.Albright))612 و((س.س.مان)) ((C.S.Mann))613في تعليقهما على إنجيل متّى: ((الاقتباس من إرمياء 31/15، ليس من الترجمة اليونانية السبعينية، بل هو ترجمة من النصّ العبري))614. والمقصود ترجمة قام بها متّى أو غيره للنصّ العبري، تخالف النص السبعيني والعبري القياسي على السواء؛ فهي ترجمة متميّزة، مجهولة !!!

(2) وقعت أحداث قصة راحيل قبل ولادة المسيح بستة أو سبعة قرون!

---

612 و.ف.ألبرايت : (1891م ـ 1971م) مستشرق أمريكي، أحد أعمدة الدراسات الكتابية في القرن العشرين، وهو محسوب على التيّار التقليدي، له اهتمامات مميزة بالأركيولوجيا والتاريخ الكتابي القديم واللسانيات.

613 س.س.مان: (ولد سنة 1917م) ناقد كتابي. عميد مؤسسة ((*Ecumenical Institute Theology*))

614 William F. Albright and C. S. Mann, *Mathew, new translation with introduction and commentary*, New York: Doubleday, 1971, p.19

(3) القصــة المزعومــة في إنجيــل متّى، (وقعت) في بيت لحم لا الرامـة المـذكورة في سـفر إرميـاء (الرامـة تبعـد 5 أميال عن بيت لحم).
(4) كيف سمع صوت النحيب والبكـاء من الرامـة رغم أنهـا تبعد عن بيت لحم أميالًا لا أمتارًا!
(5) لا يظهــر من فعــل «راحيل»، أو نص إرميــاء، أنّ فعــل «راحيل» له دلالة تنبئية!
(6) نصّ إرمياء يتحدّث عن شعب بني إسرائيل المشرّد في السبي، لا المقتول (كما هو في قصة متّى)؛ ولذلك جاء في إرمياء 31/17:ـ «يرجـع بنـوك إلى بلادهم ويكـون في غـدك رجاء.»
(7) تقـع بيت لحم في أرض يهـوذا (متّى 2/ـ 6) وينسـب أبناؤها إلى «ليئة» الزوجة الأولى «ليعقـوب»، لا إلى «راحيل» الزوجة المفضلة عند «يعقوب».

قراءة في الاقتباسات المُدّعاة:

سنجمع هنا جميع الاقتباسات المدّعاة من المنصّرين والمستشرقين التي كرّرتها الكتب المعادية للإسلام بصورة مستقرة في جميع اللغات الكبرى، والتي أضحت مادة أساسيّة في كلّ الكتب التنصيريّة باللغة الإنجليزيّة والفرنسية ..615 واضعين الأمر في سياقه التاريخي

615 من السـهل أن يتـبيّن للبـاحث أنّ عامـة المعلومـات المـذكورة في المراجـع الإنجليزيّـة والفرنسـيّة عن أبوكريفـا الطفولـة فاقـدة للتحقيـق، وكثير منها غير متابع لأحدث الدراسات النقديّة، وكثـيرًا مـا تخـتزل الكتبُ القضايا المعقدة لأصول هذه الأسفار في فقرة واحدة مجملة الدلالة غـير دقيقة العبـارة. وقـد تتبعنـا بحمـد اللـه المواضـيع المتعلّقـة بأصـول هـذه

الصحيح، بعيدًا عن العرض السريع للنصوص كما هو ممارس من المنصّرين والمستشرقين الراغبين في مباغتة القارئ بما يراه من تشابهات:

ولادة المسيح تحت نخلة:

قال تعالى: {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا}

الرواية الأبوكريفيّة: جاء في كتاب أبوكريفي اسمه ((متّى المنحول))[616]: ((لكن في اليوم الثالث بعد ارتحاله حدث أنّ مريم تعبت في البريّة من شدة حرارة الشمس. فلما رأت شجرة قالت ليوسف: لنسترح هنيهة تحت ظلّ هذه الشجرة. فبادر يوسف وأتى بها إلى تلك النخلة وأنزلها من دابتها. ولما جلست شخصت بعينيها إلى أعلى النخلة فرأتها

الأسفار في أهم الكتب والدراسات والمقالات العلميّة الإنجليزيّة والفرنسيّة، وأثبتنا أحدث النتائج التي استقرّ عليها أهل التحقيق؛ ولذلك أرجو ألاّ يغتر القارئ بما قد يراه في الكتابات التنصيريّة من ادعاءات مخالفة لما هو مثبت في هذا الكتاب؛ إذ هي تعتمد على الانتقائيّة المغرضة في اختيار الأقوال، وترجع إلى كتب ضعيفة التحقيق وغير متابعة للدراسات النقديّة الأحدث.

616 يُعرف هذا الكتاب بأكثر من اسم مثل ((إنجيل الطفولة لمتّى)) و((كتاب حول أصل مريم المباركة وطفولة المخلّص)).

ملآنة بالثمر، فقالت ليوسف: يا ليتني آخذ قليلًا من ثمر هذا النخل. فقال لها يوسف: يا للعجب! كيف تقولين هذا وأنت ترين أن أفرع هذه النخلة عالية جدًا؟ لكنّي في غاية القلق بخصوص الماء، لأنّ الماء الذي في قربتنا قد نفد ولا يوجد مكان نملأ القربة منه لنروي ظمأنا. ثم قال الطفل يسوع الذي كان متكئًا على صدر أمه مريم العذراء ووجهه باش: يا أيتها الشجرة، أَهبِطي أفرعك لتنتعش أمي بثمرك. وحالما سمعت النخلة هذا الكلام طأطأت فورًا رأسها عند موطئ قدمي مريم، فالتقط الجميع من الثمر الذي كان عليها وانتعشوا، وبعد ذلك لما التقطوا جميع ثمرها استمرت النخلة مطأطئة رأسها، لأنها كانت تنتظر الارتفاع بأمر مَن قد طأطأت رأسها بأمره. فقال لها يسوع: ارفعي رأسك يا أيتها النخلة وانشرحي صدرًا وكوني من أشجاري التي في جنة أبي. افتحي بجذورك الينبوع المستتر في الأرض، ولتفِض المياه من هذا الينبوع.. ففي الحال انتصبت النخلة ونبعت من جذورها مجاري مياه زلال صافية باردة آية في غاية الحلاوة. ولما رأوا مجاري المياه هذه فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا، فرووا ظمأهم مع جميع بهائمهم وخدمهم وحمدوا الله.»

الردّ:

مما يلاحظ هنا:

- تختلف القصة الأبوكريفيّة عن القصّة القرآنيّة من عدة نواح، وهي:
  - الزمان :

القرآن الكريم: عند ميلاد المسيح # حكاية مولد مريم: بعد ميلاد المسيح.

- المكان :

القرآن الكريم: قريبًا من مسكن مريم في مكان متخفٍ # حكاية مولد مريم: في البريّة، أثناء رحلة الهروب إلى مصر.

- الحضور:

القرآن الكريم: مريم لوحدها # حكاية مولد مريم: مريم والمسيح ويوسف النجار والخدم والبهائم.

- من أجرى المعجزة:

القرآن الكريم: الله سبحانه خرق «لمريم» السنن الكونيّة، و«مريم» هي التي هزّت الجذع بيدها # يسوع الوليد هو الذي أجرى المعجزة.

- سبب المعجزة:

القرآن الكريم: دفع الجَزع عن مريم وإقرارِ عينها # حكاية مولد مريم: إطعام العائلة أثناء رحلتها، وسقايتها.

- وجه الإعجاز:

القرآن الكريم: هزّ «مريم» جذع النخلة ليسقط الرطب، وجريان الماء تحتها من جدول # حكاية مولد مريم: أمر «يسوع» النخلة أن تنحني، وأن تخرج الماء من الأرض.

o كانت النخلة/الشجرة في البيئة الفلسطينية زمن المسيح حاضرة في المشهد اليومي بصورة مكثّفة؛ ولذلك لا يجد المرء نكارة في حضورها في النص القرآني والنص الأبوكريفي في روايتين مختلفتين مضمونًا. وقد كان للشجرة حضور أيضًا في القصص التي كانت تروى عن المسيح؛ من ذلك ما ذكره المؤرّخ «سوزُمان»[617] من أنّ أهل مصر يروون أنّه لما دخل المسيح وأمّه قرية الأشمونين بمصر انحنت شجرة للمسيح في سجود عبادة، وأنّ هذه القصّة شائعة جدًا بين الناس[618]، وما جاء في «كتاب موت مريم» (*Liber Requiei*) –الترجمة الأثيوبية والترجمة الجورجية- من أنّه لما هربت (العائلة المقدسة) ووجدت نفسها في الصحراء بلا أكل؛ انحنت نخلة لتطعم العائلة من ثمرها بعد أمر المسيح الوليد لها بذلك.[619]

---

617 سوزمان Σωζομενός (400م-450م): أحد أهم مـؤرّخي الكنيسـة الأوائل.

618 انظـر؛ Sozomen, *The Ecclesiastical History of Sosomen*, tr. Edward Walford, London: Henry G. Bohn, 1855, , p.239

619 انظر؛ Stephen J. Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, pp.294-295 .. يشابه هذا النص ما جـاء في إنجيـل مـتى المنحـول إلاّ أنـه لا يـذكر معجـزة نبـوع المـاء من الأرض .. وتعود الترجمة الأثيوبية له إلى القرن الخامس، ويبـدو أنّ أصـل هذا السفر –اليوناني-أقدم من ذلك-من القرن الثاني إلى الرابع كما يقول الناقـد «شـومايكر»، واعتـبر بعض النقـاد الكاثوليـك أنّـه من تـراث اليهـود-المسـيحيين الـذين عاشـوا منـذ فـترة مبكـرة في فلسـطين وحفظـوا الـتراث المـريمي (انظـر؛ Emmanuele Testa, 'L'origine e lo sviluppo della *Dormitio Mariae*', in *Augustinianum*, 23 (1983),' pp.249-250, 254)-، والثابت أنّ قصة معجزة النخلة المنحنية للعائلة المقدسـة كـانت متداولـة

- تاريخ هذا الإنجيل غامض جدًا، وقد رجّح العديد من النقّاد أنّ إنجيل متّى المنحول قد ألّف في القرن الثامن أو قريبًا من ذلك -قبلًا أو بعدًا-:

- قال الناقد ((روبرت ملر)) ((*Robert Millen*)): ((ربما كان القرن الثامن أو التاسع احتمال جيّد. ألّف الإنجيل باللاتينيّة، ولا يوجد أي شيء يوحي أنّه قد ترجم عن العبريّة كما هو الزعم الوارد في الرسالتين المضمّنتين في مقدمته[620]. توجد أكثر من 130 مخطوطة لهذا النص، كلّها لاتينيّة.))[621]

- قال ((لينت ر. موير)) ((Lynette R. Muir)): ((إنجيل متّى المنحول: نسب إلى جيروم ولكن ربما لم يؤلّف قبل القرن الثامن.))[622]

في القـرن الثـالث وربمـا حـتى قبلـه (انظـر الفصـل الثـالث من كتـاب ((شومايكر))). وقد تكرر ذكر النخلة في هذا السـفر في أكـثر من موضـع؛ ولعلّ ذلـك يعـود إلى واقعـة ولادة مـريم للمسـيح عنـد النخلـة؛ إذ أخـذت القصة شكلًا مختلفًا تمامًا في القرون التاليـة بسـبب تعـارض قصـة ميلاد المسيح في اصطبل/كهف مع القصة الأصليّة؛ ولـذلك انتقـل بعض القصـة الأصـليّة إلى واقعـة الهـروب إلى مصـر حيث من السـهل إقحـام النخلـة المثمرة كسبب من أسباب نجاة (الأسرة المقدسة) من الجـوع في أثنـاء الرحلة الشاقة المهلكة!

620 أثبتت الدراسات الحديثة أنّ هذه المقدمة ملحقة في فـترة متـأخّرة بإنجيل متّى المنحول، وأنّ الصورة الأقدم تضم مقدمة تنسب هذا الإنجيل إلى ((يعقـوب الصـغير)) (انظـر؛ François Bovon et Pierre Geoltrain, *Écrits Apocryphes Chrétiens*, Paris: Gallimard, 1997 , 1/112)

621 Robert Miller, *Born Divine, the Births of Jesus and other Sons of God*, California: Plebridge Press, 2003, pp.309-310

- جاء في موسوعة ((The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism)) أنّ هـذا الإنجيـل ((مؤلّـف لاتيـني من القرن الثامن.)) 623

- قال الناقد ((ج. ك. إلّيوت)) ((J.K. Elliott)): ((ربّما يعود في شكله الحالي إلى القرن الثامن.))624

- قال ((ج. أ. تزيولاس)) ((J. A Tasioulas)): ((مؤلَّف من القرن الثامن أو التاسع.))625

- قال صاحبا كتاب ((Documents for the Study of the Gospels)): ((ربّما كتب هذا الإنجيل في القرن الثامن أو التاسع.))626

---

622 Lynette R. Muir, *The Biblical Drama of Medieval Europe*, New York: Cambridge University Press, 2003, p.89,

623 Richard P. McBrien, eds. *The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*, New York: HarperCollins, 1995, p.53

624 J. K. Elliott, *The Apocrypahl Jesus*, Legends of the Early Church, Oxford: Oxford University Press, 2008, p.11

625 J. A. Tasioulas, '*Between Doctrine and Domesticity: The Portrayal of Mary in the N-Town Plays*,' in Diane Watt, ed. *Medieval Women in their Communities*, Toronto: University of Toronto Press, 1997 ,p.228

- جاء في كتاب ((*Illuminating Luke: the public ministry of Christ in Italian renaissance and baroque painting*)) أنّ هـذا الإنجيـل قـد ((كتب في القـرن الثـامن أو التاسع.)) 627

- قال عنه معجم ((*The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric*)):ـ ((جمعٌ لإنجيل الطفولة ليعقوب وإنجيـل الطفولة لتوما في القرن الثامن مـع بعض المـواد الحرّة في الفصول 18-24.))628

- أبكر تـاريخ ادّعي في الدراسـات الحديثـة الجـادة لتـأليف هـذا الإنجيـل هـو آخـر القـرن السـادس ميلاديًّا629، وذلـك يوافـق زمن ولادة الرسـول ﷺ،

---

626 David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, Minneapolis: Fortress Press, 1994, 2nd edition, p.91

627 Heidi J. Hornik and Mikeal Carl Parsons, *Illuminating Luke: the public ministry of Christ in Italian renaissance and baroque painting*, MI: Continuum International Publishing Group, 2/47

628 David E. Aune, *The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric*, London: Westminster John Knox Press, 2003, p.203

629 رغم تصريح الناقد ((جون جيجسل)) (Jan Gijsel) بهذا القول، إلاّ أنّـه قد اختار مع ذلك أنّ هذا الإنجيل قد ألّـف في بدايـة القـرن السـابع، وأنّـه من الأولى أن نقـول إنّ زمن تأليفـه يمتـد من آخـر القـرن السـادس إلى

وهو تاريخ لا ينصـر دعـوى الاقتبـاس القـرآني في شيء؛ لأنّه:

(1) لا يعرف للقصّة الـواردة في إنجيـل مـتى المنحول سلف في التراث النصراني؛[630] فهي قصّة محدثة مع ظهور هذا الإنجيل.

(2) أُلّف هذا الإنجيل باللغة اللاتينيّة.

(3) جميع النسخ المتاحـة لهـذا الإنجيـل كتبت باللاتينية، كما سبق ذكره.

(4) أقدم نسخ هذا الإنجيـل (القـرن التاسـع) وجدت في أوروبـا (فرنسـا وألمانيـا)[631]؛ وهو ما يثبت أصلها الأوروبي؛ إذ إنّ عـادة الكتب الدينية النصـرانيّة الـتي تظهـر في

القرن الثامن. وكان قد صرّح في مستهل مبحث زمن تأليف هذا الإنجيـل أنّ ((المشـكلة ليسـت بسـيطة وبقيت إلى اليـوم دون حـل مرضـي.)) ((Le problème n’est pas simple et est resté jusqu'à ce jour sans solution satisfaisante)) (Jan Gijsel, *Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius*, Turnhout: Brepols, 1997, p.59)

630 انظر: Suleiman A. Mourad, ‘*From Hellinism to Christianity and Islam: The Origin of the Palm-tree Story Concerning Mary and Jesus in the Gospel of Pseudo-Matthew and the Qur’an*,’ in *Oriens Christianus* 86 (2002), p.206,

631 انظر: Jan Gijsel, *Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius*, pp.60-63

الشــرق أن تنتشــر بصــورة واســعة في الشـرق قبـل أن تأخـذ فـترة من الـزمن لتنتقل إلى أوروبا.

(5) أقــرّ الناقــد ((ج. ك. إلّيــوت)) صــراحة أنّ إنجيــل ((متّى المنحــول)) لم يُعــرف في الشــــرق ولا في ترجمــــات اللغــــات الشرقيّة.[632]

وقـــد لخص الناقـــد ((ســـتيفن ج. شـــوميكر)) ((.Stephen J Shoemaker))[633] النقـــاط الســـابقة –رغم حماســـته الأولى للتشابهات بين القصتين وترجيحه لتاريخ تأليف هـذا الإنجيـل بين القرنين السـادس والسـابع-في قولـه: ((يبـدو أنّ إنجيـل متى المنحول قد كتب متأخرًا نوعًـا مـا؛ ممـا يمنعـه من أن يكون لـه أثـر على النص القـرآني، والأهم من ذلـك أنّ هـذا الإنجيل الأبوكريفي قد ألف ابتداءً باللغة اللاتينيـة في مكـان ما في الغـرب النصـراني وكـان مجهـولًا تمامًـا في الشـرق

---

632 انظـر؛ J K. Elliott, *The Apocryphal New Testament*, Oxford: Oxford University Press, 2005, p.84

633 ستيفن ج. شوميكر: أستاذ النصرانية المبكرة ونصرانية القرون الوسطى في جامعة أورجن الأمريكية. متخصص في الدراسات المريمية والأبوكريفا.

النصراني.))634وهي الأسباب التي دعته لرفض مصدرية هذا الإنجيل للقرآن الكريم.

لا بـدّ من التقريـر -في ظـل الحقـائق السـابق- أنّ انتقـال القصّة من أوروبا إلى الجزيرة العربيّة –وهما عالمان بينهمـا مســافات زمانيّــة هائلــة في ذاك العصــر-، ومن اللاتينيّــة فالسريانيّة إلى العربيّة؛ يحتاج مدى زمنيًا طويلًا؛ على فرض إمكانيّة انتقال هذا التراث أصلًا؛ نظرًا لانحساره في اللسان اللاتيني.

- غياب ترجمة سريانيّة لإنجيل متّى المنحول يجعـل الحـديث عن تـراث عـربي لـه دعـوى مرفوضـة تاريخيّة في ظلّ بيئة دينيّة كـان العـرب النصـارى فيها (نصارى نجران..) يحتفظون بـتراثهم الـديني باللسان السرياني.

- إنّ صحّ القول بالاقتباس؛ فلا شكّ أنّه اقتباس هذا الإنجيل من التراث الإسلامي؛ إذ إنّه قد ألّف على الراجح بعد الفتح الإسـلامي للأنـدلس حيث كـانت الثقافة الإسلاميّة منارة مشـعّة، كمـا أنّ للتمجيـد

---

634 Stephen J. Shoemaker, *Christmas in the Qur'an: The Qur'anic Account of Jesus' Nativity and Palestinian Local Tradition.* Jerusalem Studies in Arabic and Islam 28 (2003), p.19

الإسلامي «لمريم» عليها السلام (جاذبيّة) و(إثارة) في البيئة النصرانيّة.

النتيجة: التحليل الداخلي لتفاصيل القصّة، وتأخّر تأليف هـذا الإنجيـل عن البعثـة النبويّـة، ولغتـه الأعجميّـة، ونشـأته وانتشـاره بعيـدًا عن مكّـة، وغيـاب ترجمـة عربيّـة أو حـتى سريانيّة له... كلّ ذلـك يؤكّـد أنّ إنجيـل متّى المنحـول ليس من مصادر القرآن الكريم.

الحديث في المهد:

قال تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}[635]

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في «إنجيل الطفولة العربي»[636]: «قد وجدنا في كتاب يوسف رئيس الكهنة الذي كان على عهد المسيح -وقال أناسٌ إنّه قيافا-، أنّ هذا الرجل قد قال إنّ يسوع تكلّم حين كان في المهد، وقال لمريم أمّه: «إنّي أنا المسيح ابن الله

---

635 سورة مريم/ الآيات (29-33)

636 عنوانه الحقيقي «كتاب يوسف قيافا»

الذي ولدتني كما بشّرك جبرائيل الملاك، وأبي أرسلني لخلاص العالم.»

ادّعى «تسديل» أنّ القصّة القرآنيّة مقتبسة من «إنجيل الطفولة العربي» غير أنّه لم يجد مناصًا من الاعتراف أنّ الأسلوب العربي لهذا الإنجيل سيء جدًا إلى درجة يعسر معها القول إنّه يعود في لغته العربيّة إلى زمن الرسول ﷺ[637]، ثم قال إنّ الراجح أنّ هذا الإنجيل قد كتب باللغة القبطيّة، ومادام الرسول ﷺ قد تزوّج «مريم القبطيّة»، فلا شكّ أنّها قد بلّغته ما علمته من هذا الإنجيل ظنًا منها أنّه من الإنجيل الصحيح. وزاد تكثرًا منه في الدعوى قولَهُ إنّه لا بدّ أن هناك آخرين قد أخبروا محمدًا ﷺ بالخرافات القبطيّة!![638]

وقبل الردّ أنّبه أنّ هذا الإنجيل قد سُميّ «بإنجيل الطفولة العربي» لا لأنّه قد ألّف باللغة العربيّة، وإنّما –كما يقول «ستيفن ديفيز» «(Stevan Davies)»- لأنّ نسخة له باللغة العربيّة كانت متاحة في القرن السابع عشر، ومنها تم إصدار أوّل طبعة أوروبيّة، وأصبح هذا الإنجيل بسبب هذه الطبعة معروفًا في الدوائر الأكاديميّة، وأضاف أنّه «لا يؤمن النقّاد عامة أنّه قد ألّف باللغة العربيّة ... تسميّة هذا النصّ بـ«إنجيل الطفولةالعربي» يعطي انطباعًا خاطئًا أنّ الكتاب

637 انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur’an* , p.170

638 المصدر السابق, ص 170-171

أصله من البلاد العربيّة وأنّه يحتوي بصورة خاصة موادًا عربيّة، وليس الأمر كذلك.)) [639]

الردّ:

- اعترافُ ((تسديل)) بغياب مرجع: (1) عربي، (2) متداول في البيئة العربيّة؛ كافٍ بذاته لإبطال دعوى الاقتباس.
- تزوّجَ الرسول ((مارية القبطيّة)) في السنة السابعة بعد الهجرة[640]، أي قبل وفاته بثلاث سنوات، وكانت عامة سور القرآن، بما فيها سورة مريم، قد نزلت.
- اعترف ((تسديل)) ذاته أنّ ((إنجيل الطفولة العربي)) لم يكن ينظر إليه كوحي من أي من الفرق النصرانيّة[641]؛ فكيف تخطئ ((ماريّة)) القبطيّة باعتقادها أنّه هو الإنجيل الصحيح؟! وما الفائدة في

---

639 انظر؛ Stevan Davies, *The Infancy Gospels of Jesus: apocryphal tales From the childhoods of Mary and Jesus*, Vermont: SkyLight Paths Publishing, 2009 , p.xxv

640 انظر؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت/ علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ، 8/111

641 انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur’an*, p.171

أن يستدلّ الرسول بكتاب لا تعترف له أيّة طائفة بالقداسة!؟

o قـرّر الناقـد ((ج. ك. إليـوت)) ((J. K. Elliott))642 أنّ هـذا الإنجيـل يعـود إلى أصـل (archetype) سـرياني، وممّـا استدلّ به ما جاء في تفسير ((يشـوعدد المـروزي)) ((Isho'dad of Merv)) لإنجيــل متّى في القــرن التاســع ميلاديًّا؛ ممــا يــوحي بمعرفتــه به643. وأكّــد الناقــد ((مِيـني)) ((Migne)) 644الأصـل السـرياني بإشـارته إلى اعتماد هذا الإنجيل التقويم اليونـاني لميلاد المسـيح، وهو تقويم كان يستعمل عند النساطرة645 . واعتمد ((ميشال نيكولا)) ((Michel Nicolas)) على الألقـاب الـتي أطلقت على ((مــريم)) والمســيح في هــذا الإنجيــل للدلالـــة على أنّـــه كتـــاب ســـرياني، ألّفـــه نسطوري646..647 الشهادات السابقة مبطلة لأصــل نسبة نقل فحوى هذا الإنجيـل إلى ((مـريم القبطيّة))،

---

642 جيمس كيث إليوت: يعمل اليوم أستاذًا للنقـد النصـي للعهـد الجديـد في جامعـة ليـدز. لـه عنايـة خاصـة بالأسـفار الأبوكريفيّـة والنصـرانيّة في القرن الثاني ميلاديًّا.

643 انظر؛ J K. Elliott, *The Apocryphal New Testament*, p.100

644 جاك بول ميني Jacques Paul Migne (1800م-1875م): قسيس فرنسي، نشر عددًا ضخمًا من كتابات الآباء، وبها عُرف.

645 انظـر؛ Migne, ed. , *Dictionnaire des Apocryphes*, Paris: J.-P Migne, 1856 , 1/982

646 انظر؛ Michel Nicolas, *Etudes sur les évangiles apocryphes* , Paris: Libr. Michel levy, 1866 , p.346- 347

إذ لا علم لها -رضي الله عنها- بالسريانيّة، كما تـدفع عن هذا الإنجيل الذي ألّف –على دعـوى المنصّـرين- في فـترة قريبـة من البعثـة النبويـة، هـذه الشـهرة المدّعاة بين عوام النصارى.

- أوّل من أشـــار إلى إنجيـــل الطفولـــة في أصـــله السـريانى هـو «يشـوعدد المـروزي» في القـرن التاسع[648]، وهـذا مـا يجعـل القـائلين بوجـود هـذا الإنجيل قبـل البعثـة النبويّـة في حـرج شـديد لأنّـه لا توجد لهم حجّة يقينيّـة على ردّه إلى مـا قبـل القـرن السابع!

- رغم أنّ الكثير من المراجع الأجنبيّة تـردّ زمن تـأليف هذا الإنجيل إلى ما قبل البعثة النبوية –بقليـل- إلاّ أنّ حجّتها –الحقيقية- الوحيدة المكرّرة صـراحة، هي أنّ القرآن الكريم قد أورد تفاصيل مشابهة لما جـاء في هذا الإنجيل؛ فصار محلّ النزاع بيننا وبين المخـالفين هو عين الحجّة عندهم!!

والناظر بتمعن يرى أنّ المخالفين ليست لـديهم أدنى حجّـة تاريخيّة أو فيلولوجيّة من نسـيج النص على أنّ هـذا الإنجيـل

---

647 «هنري سيك» الذي نشر لأوّل مرّة النصّ العربي لهذا الإنجيـل سـنة 1677م هو أيضًا لم يحل إلى أصل قبطي، وإنّما قال إنّ النصّ العربي هو ترجمة عن أصل يوناني أو سـرياني. (انظـر؛ Migne, ed. , *Dictionnaire des Apocryphes*, 1856 , 1/973)

648 هذا أمر رجّحه النقّاد ولم يثبت العلم به من طريق لا يحتمل النظر.

قـد كتب قبـل البعثـة النبويّة649. وقـد علمتَ سـابقًا هيمنـة القصـص القـرآني على البلاد الـتي حكمهـا الإسـلام، حـتى دخلت التفاصيل القرآنيّة في الكتابات الأجاديّة اليهوديّة.

وقـد اعـترف الناقـد الـدكتور ((ريـدل)) ((Riddle)) –أحـد أكـبر العلماء الأمريكان المتخصصين في دراسـات العهـد الجديـد في زمانـه- بغيـاب الأدلّـة المباشـرة الـتي يمكن من خلالهـا تحديد تاريخ تأليف هذا الإنجيل، في قوله: ((لا توجد معطيات كافية لتحديد الزمن الذي أُلّف فيه أو جمع فيه هـذا الإنجيـل بدقة.))650 ولذلك عرّف بـه وبمخطوطاتـه دون أن يـورد لـه تاريخ تأليف.

ومما لا يخفى على الباحث الموضوعي الحصيف أنّ تحديد زمن تأليف هذا الإنجيل قبل البعثة النبويّة بقليل، واعتباره مصدرًا للرواية القرآنيّة، يتعارض مع الحركة البطيئة للأبوكريفا المتأخّرة وتقاعس الهمة لتعريبها في بيئة لا تعرف أصلًا الأناجيل القانونيّة في ترجمتها العربيّة، بالإضافة إلى أنّ هذا الإنجيل ليس له أنصار ابتداءً من الطوائف الأرثودكسيّة أو المهرطقة.

---

649 من الشـهادات الفاضـحة لهـذا الأمـر، مـا جـاء في ((الموسـوعة الكاثوليكيّة)): ((من المحال التحقق من زمن (تأليفه)، لكن ربّما أُلّـف قبـل العصر المحمّدي.)) ((It is impossible to ascertain its date, but it was probably composed before the Mohammedan era.)) (*The Catholic Encyclopedia*, 1/607) !!؟

650 "There are not sufficient data for fixing with any accuracy the time at which it was composed or compiled" (Alexander Roberts, and James Donaldson, eds. *Apocryphal Gospels, Acts and Revelations*, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870, 16/xi)

o لم يعتمد الذين نسبوا تأليف هذا الإنجيل إلى ما قبل البعثة النبويّ بقليل نسيج القصّة كحجّة، وإنّما اتّخذوا من إدانــة القــرآن الكــريم حجّــة لهم، في حين أنّ النقّاد الذين درسوا هـذا الإنجيـل دراسـة فيلولوجيّـة جادة، ذهبوا إلى أنّه قد ألّف بعد البعثة النبويّـة؛ حتّى إنّ المستشــرق الشـهير، والمتهم بموقفـه السـلبي ضد الإسـلام، ((مرجليـوث)) ((Margoliouth))651 لمـا كتب مقالـه في الـردّ على مقـال ((فرنـك فوسـتر)) ((Frank Foster))652: ((هل الإسلام هرطقة مسيحيّة؟)) ((*Is Islam a Christian Heresy?*))653، أنكر عليه بشـدّة دعـواه أنّ إنجيل الطفولة العربي قد ألّف قبـل البعثـة النبويّـة، قـائلًا: ((عنـدما قـال الـدكتور فوسـتر إنّ ((الإنجيـل العـربي لطفولـة المخلّص كـان مصـدرًا لمقطـع أو مقطعين من القـرآن)) وأنّ ((تـاريخ هـذه الوثيقـة ... يعـود إلى مـا قبـل ظهـور محمـد في أقصـى تقـدير متأخّر)) فإنه يبعد عن الظن أنّه قد أخذ تصديق النقّاد المتخصصـين في العربيّـة على هـذين الاجتهـادين. النقّـاد الـذين يُعـدون حجّـة اليـوم يقـدّرون أنّ هـذا

---

651 مرجليوث (1858م-1940م): من أعلام المستشرقين. عمل لفـترة قصـيرة قسيسًـا. أسـتاذ اللغـة العربيّـة في جامعـة أوكسـفورد. أحـد المسـاهمين في كتابـة ((دائـرة المعـارف الإسـلاميّة)) المتحاملـة على الإسلام.

652 فرنك فوستر (1851م-1935م): قسيس أمـريكي، درّس الفلسـفة وتاريخ الكنيسة.

653 نشر في مجلة ((العالم الإسلامي)) ((The Moslem World))، مجلد 22، العدد الثاني، ص 126-133

الإنجيل قد أخذ قصّة حـديث المسـيح في المهـد من القـرآن. بمـا أنّ لغـة هـذا الكتـاب متـأثّرة بصـورة واضحة بالقرآن؛ فإنّ هذا القول هو الراجح.»[654]

ورغم أنّ «فوسـتر» قـد اسـتاء جـدًا من تعقيب «مرجليـوث» على مقاله، ممّا اضطره إلى أن يرد عليه في العـدد التـالي من مجلّة «العالم الإسـلامي» إلاّ أنّـه مـع ذلـك قـد أعلن أنّـه مسـتعد أن يحـذف من مقالـه السـابق مـا ادّعـاه من أنّ «إنجيل الطفولة العربي» قد ألّف قبل الإسـلام، إقـرارًا منـه أنّ كلام المستشرق «مرجليـوث» أهـل لأن يكـون حجـة في هذا الباب.[655]

وتبرز المعالم الإسلاميّة بصـورة فجـة في أقـدم مخطوطـة لهذا الإنجيل، وهي مخطوطة «لورنتيانوس»[656]؛ إذ تكثر فيها

---

654 David S. Margoliouth, '*Is Islam a Christian Heresy?,*' in *The Moslem World*, 1933, V.23, p.9

655 انظـر؛ Frank Hugh Foster, '*Reply to professor Margoliouth's Article, Jan, 1933*,' in *The Moslem World*, , April1933, Volume 23, p.198

656 توجد ثلاث مخطوطات لإنجيل الطفولة العربي معروفة اليوم:

- مخطوطة «لورنتيانوس» «*Laurentianus*».
- المخطوطة التي نشرها «سايك» «Sike» والتي انتشر نصها باللغات الحديثة؛ إذ هي الترجمة التي عرّفت النقّاد بهذا الإنجيل لأوّل مرّة، وهي السائدة في الكتب الحديثة.

المصطلحات الإسلاميّة؛ فقد بدأت مثلًا بـ: ((بسم الله الرحمن الرحيم. كان على عهد موسى النبي عليه السلام...))، وعبارات ((شيطان رجيم))، و((إمام)) للكاهن، و((المعتزلة)) للفريسيين ...657

وممن صرّح من النقّاد أنّ هذا الإنجيل قد ألّف بعد الإسلام، ((بنيامين هاريس كوبر)) ((Benjamin Harris Cowper)) الذي نسبه إلى القرن الثامن أو التاسع658، وهو نفس ما قرّره الناقد ((طوني شارترند-بورك)) ((Tony Chartrand-Burke)) في أطروحته للدكتوراه التي ناقشها منذ سنوات قليلة في جامعة تورنتو659، ولعلّ رأيه يمثّل قول آخر الأبحاث الأكاديميّة الغربيّة في هذا الموضوع، خاصة مع ما تميّزت به هذه

▪ المخطوطة الفاتيكانيّة لإنجيل الطفولة العربي ((*Vaticanus syriacus 159*)) (انظر؛ François Bovon et Pierre Geoltrain, *Écrits Apocryphes Chrétiens*, 1/208)

657 Mario E. Provera, *Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. 387)*, Gerusalemme: Franciscan Print, 1973, pp.35-36

658 انظر؛ B. Harris Cowper, *The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ*, Edinburgh: Williams and Norgate, 1870, 3rd edition, p.171

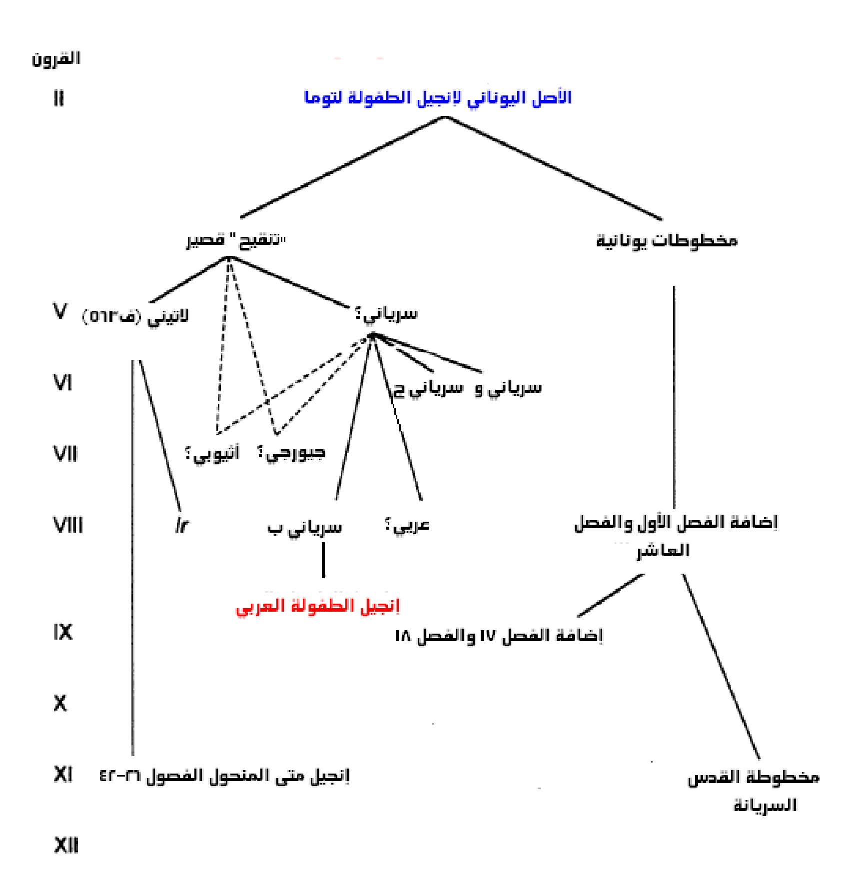
659 انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001, p.127 (manuscript)

الأطروحة من استيعاب جيّد لخريطة مخطوطات أناجيل الطفولة، وتاريخها، وعلاقاتها البينيّة. وقد نقلت الناقدة «ماري دزون» (*Mary Dzon*)[660] رأيه في أحدث دراسة منشورة لها، مُقرّة له.[661]

تطوّر نص (إنجيل الطفولة لتوما) وكيف انبثق منه إنجيل الطفولة العربي كما هو في أطروحة الناقد «طوني شارترند-بورك» ص 287

660 ماري دزون: أستاذ أدب القرون الوسطى في جامعة تنسي. متخصصة في الأدب الديني الإنجليزي الأوسط. تُعِدّ الآن دراسة حول صور طفولة المسيح في أواخر القرون الوسطى.

661 انظر؛ Mary Dzon, '*Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris* in *the Middle Ages*,' *Mediaeval Studies* 71 (2009), p.265



o ممّن تحدّث بمنطق علمي محايد في زمن تأليف هذا الإنجيل؛ عالم الأديان والقسيس المنصّر ((جيِوفري بارندر)) ((Geoffrey Parrınder))662 فقد قال في الفصل الذي اختار له عنوان ((ابن مريم)) ((*Son of Mary*)) في كتابه ((يسوع في القرآن)) ((*Jesus in the*

662 جيِوفري بارندر (1910م-2005م): أستاذ علم الأديان المقـارن في كليّة (كنج) بلندن، وقسيس ميثودوسـتي. لـه أكـثر من ثلاثين كتابًـا. عمـل سنوات طويلة في التنصير في أكثر من بلد. رأس عـددًا من المؤسسـات المتخصصة في دراسة أديان العالم.

«Qur’an»، إنّ القرآن الكريم قد ذكر لقب «ابن مريم» ست وعشرين مرّة، في حين لم يرد هذا اللقب في الكتاب المقدس غير مرّة واحدة[663]، وأنّ هذا اللقب لم يستعمل في الكنيسة المبكّرة عامة، ولا ذكر له في الأدبيات النصرانيّة الأرثودكسيّة[664] بعد كتابة العهد الجديد، وإن كان من الممكن أن يكون قد استعمل مرّات قليلة جدًا، وحتّى الكتابات الأبوكريفيّة والهرطقيّة لم تستعمله إلاّ قليلًا. وبالنظر في مجموعة الأسفار الأبوكريفيّة التي جمعها «م. ر. جيمس»؛ نلاحظ أنّ لقب «ابن مريم» لم يرد بصورة بارزة في غير إنجيل الطفولة السرياني والعربي، وذاك دليل على العلاقات المتقاربة جدًا بين الكنيسة السريانيّة والإسلام المبكّر. ثم قال: «تاريخ تأليف

---

663 مرقس 6/3: «أليس هذا هو النجار <u>ابن مريم</u>»، الغريب هنا أنّ هذا المقطع قد ورد في صورة مختلفة في بقيّة العهد الجديد: متّى 13/55 «أليس هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم»، لوقا 4/22: «أليس هذا ابن يوسف؟»!! والأغرب أنّ عددًا من المخطوطات القديمة قد حرّفت هذا النصّ ليرِد على صورة: «<u>ابن النجار و</u>(مريم)» «<u>του τεκτονος υιος και</u>» (ابن مريم) -وهي القراءة الواردة عند «أريجن»- أو «<u>ابن النجار</u>، (ابن مريم)» «<u>του τεκτονος υιος μαριας</u>» لا «<u>النجار ابن مريم</u>» «<u>ο τεκτων ο υιος της μαριας</u>»!، (انظر: Kurt Aland, Matthew Black, Bruce Metzger and Allen Wikgren, eds. *The New Testament in Greek and English*, New York: American Bible Societ, 1966, p.141)

664 الأرثودكسيّة: أي التي تتبع تعاليم المسيح (بزعمها)، في مقابل الهراطقة وكنائسهم. (تستعمل «الأرثودكسية» أيضًا كمصطلح للدلالة على الكنائس التي تقول بمذهب الطبيعة الواحدة، وليس ذاك مقصودنا هنا).

هذا الإنجيل غير معروف على القطع، رغم أنّ الطبعة الفرنسيّة التي حرّرها ((ب. بيتر)) تقول إنّ القصص في هذا الكتاب ((لا بد أنّها كانت معروفة بصورة مبكّرة بين العرب المسيحيين لأنّها قد دخلت القرآن.)). من الممكن تحدي هذا التقرير لأنّه وإن كانت بعض هذه القصص لها مواز في القرآن نوعًا ما، فإن القصص التي تستعمل لقب ابن مريم لا نظير لها في القرآن. من الممكن أن يكون إنجيل الطفولة العربي قد ألّف بعد الإسلام، وتأثّر بالعرف الإسلامي، وإن كان من خلفه النص السرياني الأقدم.))665 .

إنّ القول إنّ إنجيل الطفولة العربي قد ألّف بعد ظهور الإسلام وتأثّر بقصص القرآن الكريم لهو أقرب إلى المنطق التاريخي والتحليلي الفيلولوجي المحايد!

- إنجيل الطفولة العربي هو أوّل وثيقة تحدّثت عن حفظ غرلة المسيح بعد ختانه، وإذا علمنا أنّ الاحتفال بعيد (ختان الربّ!) والخرافات الكثيرة المتعلّقة بحفظ هذه القطعة من الجلد كان منتشرًا في القرون الوسطى666، وأنّ أوّل ذكر لهذه

665 Geoffrey Parrinder, *Jesus in the Qur'an*, Oxford: Oneworld Publications, 1996, p.27

666 بلغ الهوس بهذه القطعة من العضو الذكري ((للرب يسوع!!)) أنّ قدّيسة الكنيسة ((Catherine of Siena)) قد ادّعت أنّ المسيح قد اتخذها عروسًا وكانت هذه القطعة من الجلد هي خاتم العرس!! (انظر؛

القطعة المحفوظة كان في القرن الثامن[667] -وإن كان الاحتفال بعيد الختان سابق لها ببضعة قرون- مال اعتقادنا أكثر لنسبة هذا الإنجيل إلى القرن الثامن أو ما بعده؛ لأنّ المنطق التاريخي يستدعي أن يكون هذا الإنجيل الأبوكريفي خاضعًا لانتشار هذه الخرافة لا منشئًا لها؛ إذ إنّه إنجيل أبوكريفي لا تعرف طائفة تتبنّاه، وقد وجد في زمن استقرت فيه قداسة الأناجيل الأربعة؛ فأن يكون مسايرًا في روايته للخرافات المنتشرة، أقرب للمنطق من أن يكون منشئًا لها مع ما عُلِم من فقدانه للسلطان الديني أو الأدبي في الزمن الذي ظهر فيه.

- إذا كان تأليف النصّ السرياني متأخرًا على هذه الصورة، فلا شكّ أنّ تعريبه كان بعد ذلك بزمن يقدّر بقرون؛ لأنّ الحاجة إلى تعريب الأسفار الدينيّة الأبوكريفيّة النصرانيّة لم تكن مبرّرة قبل ظهور الإسلام.
- اعترض «يوحنا الدمشقي» على الكثير من التفاصيل القرآنيّة في أمر المسيح وقصص الأنبياء، إلاّ أنّه رغم ثقافته الموسوعيّة ومعرفته المستفيضة بالفرقة (المهرطقة) وكتبها المقدسة، ولغته السريانيّة الأم

Barbara G. Walker, *The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets*, New York: HarperCollins, 1983, p. 795)

667 انظر؛ Stuart B. Schwartz, *Implicit Understandings*, New York: Cambridge University Press, 1994, pp.578-579

التي اكتسبها من بيئته السريانيّة التي يعزى إليها هذا الإنجيل، لم يشر أدنى إشارة في كتابه «ينابيع المعرفة» إلى التشابه المزعوم بين القرآن الكريم وإنجيل الطفولة (العربي) أو إنجيل متّى المنحول المذكور في التشابه السابق؛ وفي ذلك دلالة هامة على أنّ هذين السِفرين قد أُلّفا بعد ظهور الإسلام. وهو ما يظهر أيضًا في واحد من أشهر المؤلّفات الطاعنة في الإسلام والتي أفاض فيها مؤلّفها في ذكر ما يستنكره من الأمور التي وردت في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وهو المسمّى بـ«رسالة عبد الله بن إسمعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام؛ ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية» وهو كتاب أُلّف في القرن العاشر ميلاديًّا[668]، وترجم إلى اللاتينيّة في القرن الثاني عشر على يد «بطرس الطليطلي».

إنّ (اختلاق) القرآن الكريم لقصّة لم ترد في الأناجيل الرسميّة، وفيها يثبت المسيح لنفسه عبوديّته لله جلّ وعلا -وبذلك ينقض دعوى تأليهه-، ووجود نفس أصل الرواية في إنجيل أبوكريفي متاح بين النصارى أصحاب اللسانين العربي والسرياني بما يعارض الرواية القرآنيّة، ويثبت للمسيح قوله عن نفسه إنّه إله؛ ليستدعيان دون ريب ولا شك أن يبدي الدفاعيون

668 انظر؛ Avery Cardinal Dulles, *A History of Apologetics*, San Francisco: Ignatius Press, 2005 , p.95

النصـارى الأوائـل –خاصـة السـريان- اعتراضـهم بـأن يشـــيروا في جـــدلياتهم العنيفـــة إلى هـــذا (الاختلاق) القرآني ومصدره الأبوكريفي، ومخالفتـه لهـذا المصـدر في مضمون الدعوى؛ فقد قام مقتضي الإنكـار، وانتفى مـانع إعلانـه .. لكنّنـا لا نـرى لـذلك أثـرًا في الكتابـات الجدليّة النصـرانيّة المبكّـرة في الشـرق والغـرب، رغم علم الدفاعيين النصارى بما جاء في القرآن الكريم من أمر حديث المسيح في المهـد، واعتراضـاتهم المتكلّفـة على القرآن في مواضيع أخرى أدنى قيمة!

وإذا ربطنا ما سبق بما ذكرتـه ((الموسـوعة الكاثوليكيّة)) من أنّ هـذا الإنجيـل كـان معروفًـا بصـورة واسـعة بين النساطرة السـريان[669]؛ كـان تـأخير تـأريخ تـأليف هـذا الإنجيل بعد البعثة النبويّة ببضعة عقود حريًا بالقبول.

- بالإضافة إلى ما يثبته نص ((إنجيل الطفولـة العـربي)) من تأخر تأليف نصّه عن البعثة النبويّة؛ يخبرنا الناقـد ((مونتـاج رودز جيمس)) ((Montague Rhodes james)) في كتابــه الشــهير ((العهــد الجديــد الأبــوكريفي)) ((*The Apocryphal New Testament*)) أنّ مقدمـة هـذا الإنجيـل- وهي تضمّ معجزة نطق المسـيح في المهـد- ليسـت أصـــليّة في هـــذا الإنجيـــل، وإنّمـــا تمّت أضـــافتها لاحقًا!![670]

---

669 انظر؛ *The Catholic Encyclopedia*, 1/607

670 ((is a late note prefixed)) انظر؛ Montague Rhodes james, *The Apocryphal New Testament*, Oxford: Clarendon Press, 1985, p.80

وباب البرهنة على الزيادة في النصّ ثابت من خلال ما هو ملاحظ من الاختلاف الظاهر بين مخطوطات كل إنجيل من أناجيل الطفولة، وقد صرّح الناقد ((رولاند هـ ورث)) ((Roland H. Worth)) بهذا الأمر في حقّ إنجيل الطفولة العربي بعينه، في قوله: ((ربّما تعرّض النصّ إلى توسّع كبير وتغيير من الذين تولّوا ترجمته؛ حتّى يوافق بصورة أفضل تصوّر من سيقرؤونه وأفكارهم المسبقة.))671.

وقد حدّد ((دانيال روسّو)) ((Daniel Russo)) تاريخ نقل هذا الإنجيل من السريانية إلى العربية في القرن الثالث عشر672.

خلق الطير من الطين:

قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ}673

الرواية الأبوكريفيّة:

إنجيل الطفولة لتوما: ((لما كان للصبيّ يسوع خمس سنوات، كان يلعب عند مخاضة674 جدول، وكان يجمع المياه الجارية في أحواض، ويجعلها مباشرة طاهرة. كان

671 Roland H. Worth, *Alterrnative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early middle ages*, North Carolina: McFarland, 2003, p.28

672 Daniel Russo, '*La Vierge Apocryphe des Recits Visionnaires*,' dans *Marie et la Sainte Famille: Les Recits Apocryphes Chretiens*, Paris: Mediaspaul Editions, 2006, p.103

673 سورة آل عمران/ الآية (49)

يفعل هذه الأشياء بمجرّد نطق كلمة منه. ثم صنع شـيئًا من الطين الناعم بعد ذلـك، وشـكّل منـه اثـنى عشـر عصـفورًا، وقـد كـان ذلـك منـه يـوم السـبت. كـان عـدد من الصـبيان الآخرين أيضًـا يلعبـون معـه، لكنّ أحـد اليهـود رأى مـا فعـل يسوع يوم السبت لما كان يلعب؛ فغادر مباشرة، ونقل ذلك إلى أبيه، يوسف، قائلًا له: ((انظر، ابنك عند الجدول قد أخـذ طينًـا وشـكّل منـه اثـنى عشـر عصـفورًا. لقـد دنّس يـوم السبت!

لما جاء يوسف إلى المكان ورأى ما وقع، ناداه صـارخًا: ((لِمَ تفعل ما هو محرّم في السبت؟)) فصـفّق يسـوع وصـاح في العصافير: ((اذهبي!))؛ فطارت العصافير ومضت مغرّدة.

لما رأى اليهود هذا الأمر، أصيبوا بالذهول، وانصرفوا وأخبروا قادتهم بما رأوا يسوع يفعله.))[675]

ووردت نفس المعجزة في موضعين من إنجيل الطفولة العربي مع فارق ظاهر في التفاصيل.

الردّ:

674 المخاضـة: الموقـع قليـل المـاء في النهـر يسـتخدمه النـاس للعبـور السهل.

675 النص عن الترجمة الإنجليزيّة ((لبارت إيرمان))؛ Bart Ehrman, *Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament*, New York: Oxford University Press, 2003, p.58

o اعترف «تسديل» أنّ القصّة كما وردت في موضعين من «إنجيل الطفولة» ليست إلاّ إعادة صياغة من «إنجيل الطفولة لتوما» الذي هو أصلها.676

o قال الناقد «بارت إيرمان»677: «يعتقد جلّ النقّاد أنّ «أناجيل الطفولة» قد بدأ تداولها أثناء النصف الأوّل من القرن الثاني. يبدو أنّ إنجيل الطفولة لتوما أحد أوائل هذه الأناجيل من ناحية التاريخ»678. وقال الناقد «رون كامرون» «(Ron Cameron)»679 : «اتفق النقّاد عامة على أنّ إنجيل الطفولة لتوما هو نفسه الكتاب (الأبوكريفي) الذي استعمله المرقيونيون واستشهد به إيرانيوس.»680، وإذا علمنا أنّ فرقة المرقيونية قد ظهرت في آخر النصف الأوّل من القرن الثاني ميلاديًّا

676 انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an* , p.176

677 بارت إيرمان (ولد 1955م): رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولاينا الشمالية. ناقد متخصص في دراسات العهد الجديد، كما أنّ له اهتمامًا بالفرق النصرانيّة الأولى. يعدّ اليوم من أئمة النقد الكتابي. تعتبر كتبه الأخيرة من أكثر الإصدارات رواجًا في أمريكا. ذكر قصة خروجه من الإيمان الأعمى، إلى الكفر بالنصرانية وأسفارها في مقدمة كتابه «*Misquoting Jesus*» ص 1-15

678 Bart Ehrman, *Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament*, p.58

679 رون كامرون: أستاذ الدين في جامعة (Wesleyan) بولاية كنتكوت الأمريكيّة. له عناية خاصة بدراسة بداية النصرانيّة.

680 Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts*, London: Westminster John Knox Press, 1982 , p.122

انظر؛ كلام إيرانيوس: *Against Heresies* 1,20,1

–وقد ولد «إيرانيوس» قبل ذلك بعقود قلائل-؛ أدركنا أنّ ما جاء في إنجيل الطفولة لتوما كان معروفًا في بداية القرن الثاني، وهو زمن غير بعيد عن تأليف آخر الأناجيل الأربعة (إنجيل يوحنا)؛ وبالتالي فالموقع الزمني لإنجيل الطفولة لتوما وإنجيل يوحنا يبطل زعم النصارى حجيّة الاستدلال بتأخّر زمن التأليف للقول ببطلان تاريخيّة القصّة الواردة في إنجيل توما.[681]

- النص القرآني وإن وافق النص الإنجيلي في خلق الطيور من الطين وبث الحياة فيها، إلاّ أنه يخالفه بصورة ظاهرة في سياق هذه المعجزة؛ ففي حين تبدو المعجزة في إنجيل توما أقرب إلى أن تكون عبثيّة[682]، تبدو المعجزة في القرآن الكريم متّصلة

---

681 معجزة خلق المسيح للطير من الطين وبثّ الحياة فيها موجودة أيضًا في كتاب لليهود اسمه «*Toldot Jeschu*» بالعبري «**תולדות ישו**» «سيرة يشو»، وفيه مجموعة من القصص عن المسيح من منطلق يهودي عدواني. رغم أنّ عامة النقاد يردون هذا السفر في صورته الحالية إلى القرون الوسطى، إلاّ أنّه لم تدرس مصادره وأصوله الأقدم إلى اليوم دراسة جادة.

682 الأناجيل الرسميّة نفسها لا تخلو من (معجزات) ذات طابع عبثي؛ كلعن المسيح شجرة التين حتّى إنّها قد ذبلت وما عادت تثمر (متّى 21/19، مرقس 11/14، 20)، وتحويل المسيح الماء إلى خمر لإسكار من حضر عرس قانا (يوحنا 2/1-11)!!

بدلالة الخوارق التي تجري على يدي المسيح لإثبات نبوّته.

- هذا الإنجيل هو من أقدم الأناجيل التي تمّ تداولها في زمن كان فيها التراث الشفوي المبكّر شائعًا على الألسن[683]، وقد اختلطت فيه الرواية التاريخيّة الصحيحة بالروايات الباطلة والخرافات. وحاله بذلك كحال الأناجيل الرسميّة التي اعتمدت على التراث الشفوي الشائع، والتي نقلت روايات صادقة، وأخرى باطلة بيّنة المنبع الخرافي.
- يعترف النقّاد أنّنا لا نعرف شيئًا عن الشكل الأصلي لهذا الإنجيل[684]، وإذا علمنا أنّ أقدم مخطوطة لهذا الإنجيل تعود إلى القرن الخامس[685]؛ أدركنا أنّ الحكم السلبي على تاريخيّة هذا الإنجيل لا بد أن يقف عند حدود النص في صورته المتاحة بعد قرابة ثلاثة قرون من تأليفه!

---

683 ذهب الناقد ((رون كامرون)) ((Ron Cameron)) إلى أن التراث الشفوي وإنجيل لوقا هما أصل/مصدر هذا الإنجيل. (انظر؛ Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts*, p.123), وقال الناقد ((طوني شارترند-بورك)) إنّ هذا الإنجيل يبدو كتجميع لقصص أكثر منه إنشاءً روائيًا حرًا. (انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001, p.275 (manuscript))

684 انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001, p.245 (manuscript)

685 انظر؛ Thomas Rosén, *The Slavonic translation of the apocryphal Infancy Gospel of Thomas*, Uppsala: Almqvist & Wiksell Int., 1997, p.17

- سبب استشناع القرّاء المعاصرين للقصص الواردة في إنجيل الطفولة لتوما راجع إلى أنّها خاصة بالمعجزات وأنّها عرضت المسيح في صورة (الطفل الغاضب). وهو موقف لم يراع أمرين، أولهما: أنّه لم يقرّ أنّنا لا نملك الصورة الأصليّة لهذا الإنجيل، خاصة أنّ هذا النوع من القصص يستهوي الجماعات الدينيّة للزيادة والتضخيم، وثانيهما: إهماله أن يضع في اعتباره أنّ هذا النوع من القصص هو في أغلبه تجميعي؛ يتلقّف فيه المؤلّف القصص السيارة بين الناس، خاصة أنّ التراث الشفوي في تلك الفترة كان هو الحاكم على تشكيل التصوّر الديني العام والخاص، كما أنّه كثيرًا ما (يقتلع) القصّة من أصلها الأوّل – سواء كان هذا الأصل حقيقة أم اختلاقًا- ليضعها في سياق جديد يخدم غرض الإِحداث الديني-الأدبي الجديد؛ وهو ما وقع هنا مع قصّة خلق العصافير من الطين، حيث خرجت هذه القصّة من سياق جاد لدلالة هذه المعجزة على نبوّة المسيح إلى سياق دال على خارقيّة الطفل (يسوع)!

- جاء في إنجيل «أسئلة برثولماوس» 2/11–الـذي يعـود تأليفه إلى فترة بين القرن الثـاني والقـرن السـادس، مع ترجيح نسبته إلى القرن الثاني أو الثالث[686]-: «λεγει αυτοις Μαριαμ κατα την εκτυπωσιν υμων επλασεν ο

[686] انظر؛ Hans-Josef Klauck, *Apocryphal Gospels: an introduction*, tr. Brian McNeil, New York: Continuum International Publishing Group, 2003, p.99

Θεος τα στρουθια και απεστειλεν αυτα εις τας τεσσαρες γωνιας του κοσμου)). ((قالت لهم مـريم (أي للحــواريين): ((شــكّل اللــه على شــبهكم العصــافير وأرسلها إلى أركان العالم الأربعة.))

ذهب الكثير من النقّاد إلى أنّ ما جـاء في هـذا النص هـو إحالة إلى نفس القصّة الواردة في إنجيل الطفولة لتوما؛ وهو ما يؤكّد وجود تراث شفوي قـديم يضـمّ قصّـة خلـق المسيح للعصافير.

o جاء في كتاب ((حوار مع تريفو)) قـول قـديس الكنيسـة ((جستين)) إنّ المسيح كان يعمل في نجـارة المحـراث والنير[687]، وورد في الفصـل الثـالث عشـر من إنجيـل الطفولـة لتومـا أنّ ((يوسـف النجـار)) كـان يعمـل في نفس الميـدان، وأنّ الطفـل ((يسـوع)) قـد أعانـه -في إحـدى معجزاتـه- على إتمـام عمـل طلب منـه، وجـاء أيضًــا في ((رســالة الرسل)) ((*Epistula Apostolorum*)) – الفصل الرابع- التي تعـود إلى منتصـف القـرن الثـاني ميلاديًّا أو آخـره[688] ذكـر نفس تحـدي المسـيح للمعلّم في الهيكـل عنـدما طلب منـه أن يقـول (ألفـا) (بيتـا) الــوارد في إنجيــل الطفولــة لتومــا –الفصــل 6-...

---

687 انظر؛ Justin the Martyr, '*Dialogue with Trypho,*' 88, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885, 1/244

688 انظـر؛ Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts,* p.133

التفاصيل السابقة مشـابهة لبعض مـا جـاء في إنجيـل الطفولة لتوما، وهو ما يؤكّد أنّ إنجيل الطفولـة لتومـا لم يكن كلّـه اختلاقًـا لقصـص وأقـوال وإنّمـا لـه أيضًـا امتـداد في الـتراث الشـفوي المبكّـر الـذي نقـل عنـه الآباء واستفادت منه الأسفار الأبوكريفيّة.

- ذكر الناقد «طوني شارترند-بورك» في دراسته القيّمة الموسّعة حول «إنجيل الطفولة لتوما» أنّ هذا الإنجيل قد **تمّ تعريبه في القرن الثامن أو التاسع**689 .. فكيف يقال عندها إنّ الرسول قد اقتبس منه؟!

تلقّي «مريم» عليها السلام الطعام من الملائكة:

قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب}690

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في إنجيل يعقوب الأولي691:

---

689 انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001, p.278 (manuscript)

690 سورة آل عمران/ الآية (37)

691 سميّ هذا الإنجيل بالأولي (proto)ـ لأنّه يذكر قصصًـا سـابقة لـولادة المسيح وطفولته. (انظر؛ Bart Ehrman, *Lost Christianities: the Battle*

«وكانت مريم في هيكل الرب كأنما كانت يمامة تقطن هناك وتتناول طعامها من يدي ملاك»
«وتلقت طعامًا من يد ملاك» .. وقد جاء ذكر نفس القصّة في إنجيل متّى المنحول وإنجيل ميلاد مريم وكتابات أبوكريفيّة أخرى. 692
الردّ:

- كان إنجيل يعقوب الأوّلي معروفًا قطعًا «لأريجن» (185م-254م)، ومن الراجح أنّه كان معروفًا أيضًا «لكلمنت السكندري» (150م-215م)693 .. وقد جمع «هلجنفلد» «Hilgenfeld» مجموعة توافقات بين ما جاء في هذا الكتاب وما جاء في كتابات «جستين الشهيد» (100م-165م)694، واستنبط الناقد المعروف «تشندورف» «Tischendorf» من هذه التوافقات أنّ هذا الإنجيل بصورته التي نعرفها اليوم، كان موجودًا في النصف الأوّل من القرن الثاني.695

---

for Scripture and the Faiths We Never Knew, Oxford: Oxford University Press, 2003, p.207)

692 انظر؛ F. Holweck, '*Feast of the Presentation of the Blessed Virgin Mary*,' in *The Catholic Encyclopedia*, 12/400

693 انظر؛ Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*, ed. Wilhelm Schneemelcher, tr. R. McL. Wilson, Philadelphia: The Westminster Press, 1963, 1/372

694 جستين الشهيد: أحد قديسي الكنيسة الأوائل وكتّابها الدفاعيين.

695 انظر؛ William Smith and Henry Wace, eds. *A Dictionary of Christian Biography, Literature, Sects and Doctrines*, London: John

- رغم عدم انتصار الناقد «بول فوستر» «Paul Foster»[696] لتاريخيّة عامة أحداث إنجيل يعقوب الأوّلي، إلاّ أنّه قد قال إنّه من الخطأ وصف هذا الإنجيل بالأبوكريفي، «من الأفضل وصفه أنّه «تحت-قانوني» «sub-canonical» أو حتّى «يكاد يكون قانونيًا» «almost canonical» على الأقل بالنسبة لبعض التراث الكنسي. لا يزال ينظر إليه في المعتقد الأرثودكسي كنص فيه تعاليم مهمة. فشلُ هذا الإنجيل في الحفاظ على عذرية يوسف ومريم، قاد الروم الكاثوليك إلى رفضه، لكن رغم هذا الرفض الظاهر، فإنّ لاهوته له تأثير كبير على التصوّر المريمي لكنيسة روما.»[697]
- رغم أنّ الناقد الكاثوليكي البارز «جوزيف فتزماير» «Joseph A. Fitzmyer»[698] قد قال إنّ هذا الإنجيل يعود إلى نهاية القرن الثاني، إلاّ أنّه أضاف أنّه يضمّ

Murray, 1880 , 1/703r

696 بول فوستر: محاضر في لغة العهد الجديد وأدبه ولاهوته في جامعة إدنبره. له عناية خاصة بالنصرانية المبكرة. حصل سنة 2007م على جائزة (*the Royal Society of Edinburgh*) لدراساته النقدية في النصرانيّة المبكّرة، وخاصة الأناجيل غير القانونيّة.

697 Paul Foster, ‘*The Protevangelium of James*,’ in *The Expository Times*, Volume 118, Number 12, p.582

698 جوزيف فتزماير: من أئمة النقاد الكاثوليك المعاصرين. قسيس يسوعي (كاثوليكي) تمّ ترسيمه سنة 1938م. متخصص في دراسات العهد الجديد. كان أستاذًا للدراسات الكتابية في «الجامعة الكاثوليكيّة في أمريكا». له مؤلفات كثيرة ومتنوعة، من أهمها تعليقه على إنجيل لوقا في مجلدين.

بالإضـافة إلى روايـات من خيـال المؤلّـف، «تفاصـيل ربّما تعود إلى تراث بدائي، صحيح.»[699]

- رغم رفض «بارت إيرمان» لتاريخيّة ما ورد في هذا الإنجيل[700]، إلاّ أنّه أقرّ بقيمة هامة جدًا فيه، وهي أنّه «لا يبدو أنّ (هذا الإنجيل) يعمل على تعزيز برنامج لاهوتي لفرع خاص من النصرانيّة- الغنوصيّة أو الأرثودكسيّة الأولى أو غيرهما.»[701] . إنّ هذه الخصيصة التي لا تتوفّر في أيّ من الأناجيل الأربعة الرسميّة لترفع من تاريخيّة بعض ما يروى في هذا الإنجيل؛ لأن هذا الإنجيل يبدو بذلك متصلًا بصورة أكبر بالتراث الشفهي المتناقل عبر الأجيال بما فيه من حق وخيال شعبي، دون أن يكون خاضعًا لخدمة فرقة نصرانيّة بعينها.
- دخل إنجيل يعقوب الأوّلي في المخطوطات الجماعيّة لليتورجيا النصرانيّة في زمن مبكّر جدًا[702]، والشواهد قائمة على أنّ ذلك لتفاصيل «طفولة

---

699 Joseph Fitzmyer, *A Christological Catechism: New Testament answers*, new revised and expanded edition, New York: Paulist Press, 1991, p.19

700 وهو يرفض أيضًا تاريخيّة الكثير ممّا جاء في الأناجيل الرسميّة.

701 Bart Ehrman, *Lost Christianities: the battles for scripture and the faiths we never knew*, 2003 , p.206

702 Wilhelm Schneemelcher, ed. *New Testament Apocrypha*, tr. Mcl. Wilson, London: Westminster John Knox Press, p.421

مريم» فيه. ولا ريب أنّ ذلك يعطي دعمًا تاريخيًا لمجمل قصّة «مريم» فيه، ويدفع عنها النكارة المزعومة من المنصّرين.

0 أكّد المعجم الكتابي «*The Interpreter’s Dictionary of the Bible*» أنّ إنجيل يعقوب الأوّلي وإن اعتبر هرطقيًا بصورة مبكّرة، إلاّ أنّه رغم ذلك كان له تأثير كبير على النصارى[703]. وعلى هذه الشهادة تعقيب، ودعم وتأكيد.

(أ) أمّا التعقيب؛ فهو أنّ كلمة «هرطقي» لا تحمل دلالة مدركة إلا مع انتصار فريق «أثناسيوس» في مجمع نيقيّة في القرن الرابع ميلاديًّا؛ أمّا قبل ذلك؛ فقد كانت الكلمة بلا دلالة لأنّه لم يكن هناك فريق يفرض سلطانه باعتباره التيار (القويم) في مقابل الفرق (المنحرفة)؛ وقد أكّد الناقد «فالتر باور» «Walter Bauer»[704] في كتابه الخطير «الأرثودكسيّة والهرطقة في المسيحيّة القديمة» «*Rechtgläubigkeit und Ketzerei im ältesten Christentum*» أنّ النصرانيّة السابقة لمجمع نيقيّة كانت فسيفسائيّة، وأنّ التيار المنتصر في مجمع نيقيّة لم يكن هو التيار الغالب قبل ذلك، وإنّما كان تيارًا من التيارات التي كانت تمور بها الجماعة (النصرانيّة) الكبرى، وكانت جاذبيّته متركّزة في

---

703 انظر؛ George Arthur Buttrick and others, eds. *The Interpreter’s Dictionary of the Bible*, New York: Abingdon Press, 1962, 4/800

704 فالتر باور (1877م-1960م): لاهوتي ألماني وناقد متخصص في النصرانيّة المبكّرة.

روما البعيدة عن موطن النصرانيّة (فلسطين)؛ ويترتّب عمّا سبق نفي دلالة وصف هذا الإنجيل بالهرطقي على سفول مرتبته عند جماعات النصارى الأولى.

وقد أكّد الناقد «بول فوستر» هذه الحقيقة في سياق ردّه الحاد على النظرة الكلاسيكيّة للأناجيل الأبوكريفيّة، متعقّبًا إيّاها من وجهين في دراسته الخاصة بإنجيل يعقوب الأوّلي، وجه عام وآخر خاص:

الوجه العام : وهو متعلّق بانتشار الأناجيل المبكّرة؛ إذ لا يبدو هذا الأمر حجّة لصالح الانتصار للأناجيل القانونيّة وإثبات دونيّة الأناجيل غير القانونيّة؛ فهذه الأناجيل الأربعة لم تكن حجّة في القرن الأوّل، وإنّما أَخَذ أمرُ إلزام جماعات النصارى في القرون الأولى بأنّها المعبّر الوحيد عن الرواية الأصليّة الحقيقيّة لقصة المسيح، زمنًا ومراحل. ويعتبر إنجيل يوحنا خير معبّر عن هذا الأمر؛ فقد كان هذا الإنجيل محلّ ريبة في بداية ظهوره، في حين أنّ إنجيل بطرس وإنجيل توما –والراجح أنّهما يعودان إلى سوريا- كمثال قد وُجدا في مخطوطات تعود إلى مناطق مختلفة في مصر؛ وهو ما يدلّ على انتشارهما الجغرافي الواسع. 705

الوجه الخاص : هو نموذج إنجيل يعقوب الأولي، فرغم أنّ هذا الإنجيل لا يعتبر اليوم إنجيلًا قانونيًا؛ إلاّ أنّه «كانت له جاذبيّة شعبيّة كبير، وانتشار عريض، وتأثير غير مباشر على

705 انظر؛ Paul Foster, ed. *The Non-Canonical Gospels*, pp.110-111

المساجلات حول طبيعة المسيح في القرنين الرابع والخامس» .706

(ب) أمّا الدعم والتأكيد؛ فهو موافقة ما قرّره هذا المعجم الكتابي في أمر ذيوع مادة هذا الإنجيل بين النصارى الأوائل على اختلاف مذاهبهم، وفي ذلك دلالة على اتصاله الوثيق بالتراث الشفوي الشائع في القرنين الأوّل والثاني ميلاديًّا.

- ذهب «كونرادي» «(Conrady)» إلى أنّ هذا الإنجيل هو أحد مصادر الأناجيل الأربعة707، وهو قول يجعله بلا ريب أقرب النصوص إلى الأصل الغائب لقصة المسيح.

- ذَكرَ القرآن الكريم أنّ «مريم» كانت تتعبّد في المحراب، وجاء في إنجيل يعقوب الأوّلي ذكر تعبّدها في الهيكل، وقد شنّع العديد من المخالفين على ما أورده القرآن الكريم؛ إذ إنّ الهيكل كان محرّمًا على النساء بزعمهم، والردّ من أوجه:

- قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنـدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَـالَتْ هُـوَ مِنْ عِنـدِ اللّـهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب}.708

من المعاني المقبولة لكلمة «المحراب» هنا: أشرف مكان في البيت، كما هو في وجه من أوجه لسان العرب الذي

706 المصدر السابق، ص111

707 انظر؛ Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*, 1/372

708 سورة آل عمران/ الآية (37)

نزل به القرآن الكريم[709]، أو هو محراب صنعه لها كافلها «زكريا» أو زوجته لتعبد الله بمنأى عن الناس[710]، خاصة أنّ القرآن الكريم قد ذكر أن «مريم» قد غشيت مكانًا قصيًّا عند وضعها «عيسى» عليه السلام، ولعلّ ذاك هو المكان الذي اعتادت أن تأتيه للعبادة متّخذة حجابًا يفصلها عن الناس، وقد كان ذاك منها قبل أن تحمل، فهناك جاءتها البشارة بالحمل: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ

709 قال «القرطبي» في تفسير قوله تعالى: «كلّما دخل عليها زكريا المحراب»: «المحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس» (الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ، 2003م، 4/71)، وقال «ابن الأثير» في حديث «أنس» رضي الله عنه «أنه كان يكره المحاريب»: «أي لم يكن يحبّ أن يجلس في صدر المجلس ويترفّع على الناس. والمحاريب: جمع محراب.» (النهاية في غريب الحديث والأثر، ت/محمود الطناجي وطاهر أحمد زاوي، الحلبي، 1383هـ، 1963م، 1/359)، وقال المناوي: «قال الحراني: المحراب صدر البيت ومقدمه الذي لا يكاد يوصل إليه إلا بفضل منه وقوة جهد. وفي «الكشاف» في تفسير: «كلما دخل عليها زكريا المحراب»، ما نصه: قيل بنى لها زكريا محرابًا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلّم، وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع في بيت المقدس، وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب انتهى. وقال في تفسير: «يعملون له ما يشاء من محاريب» (سورة سبأ/ الآية (13) المحاريب المساكن والمجالس الشريفة سميت به لأنه يحامى عليها ويذب عنها، وقيل المساجد انتهى... وفي «الفائق»: المحراب، المكان الرفيع والمجلس الشريف لأنه يدافع عنه ويحارب دونه ومنه قيل محراب الأسد لمأواه، وسمي القصر والغرفة المنيفة محرابًا» (فيض القدير، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1391هـ/ 1972م، 1/144-145)

710 جاء في إنجيل يعقوب الأوّلي (الفصل السادس) أنّ أمّ «مريم» قد صنعت «لمريم» محرابًا في البيت، قبل أن تدخل الهيكل.

أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا}711 ..

وإذا اعترض معترض بنذر أمّ «مريم» أن تجعل المولود موقوفًا على الخدمة في الهيكل: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}712، فالردّ هو أنّ:

- النذر كان قبل معرفة جنس الوليد، إذ الآية التالية مباشرة تقول: {فَلما وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم}713 ؛ فهذه الآية تظهر أنّ أم «مريم» قد فوجئت بوضع أنثى لا ذكر؛ إذ لم تكن تنتظر ذلك؛ وفي قولها «وذريّتها» دلالة على أنّها لم تنو أن تنذرها للهيكل.
- أو أنّها لم تنذرها طول عمرها للهيكل، وإنّما نذرتها لفترة موقوتة؛ إذ إنّ المنذورين كامل عمرهم للهيكل، لا يتزوجون.
- أمر كفالة «زكريا» «لمريم» في طفولتها يزيد وجاهة القول إنّ «مريم» لم تكن منذورة للهيكل، وإنّما كانت في بيت «زكريا» ليرعاها.

---

711 سورة مريم/ الآيتان (16-17)

712 سورة آل عمران/ الآية (35)

713 سورة آل عمران/ الآية (36)

وعلى القول إنّ «مريم» قد نُذِرَت فترة من عمرها للهيكل؛ فإنّ ذاك غير مردود من الناحية التاريخيّة بالدعوى التي يطلقها المنصّرون (وأضرابهم) بالزعم إنّ ذاك خطأ في القرآن الكريم؛ إذ إنّ النساء لم يمنعن من خدمة الهيكل، وهو ما أثبتته الناقدة اليهوديّة «تال إلن» «Tal Ilan» –أستاذ الدراسات اليهوديّة في الجامعة الحرّة في ألمانيا، وأبرز المتخصصات اليوم في دراسات المرأة واليهوديّة التلموديّة- عند حديثها عن حياكة النساء لحجاب الهيكل، وممّا استدلّت به ما جاء في «توسفتا شقاليم» 2/6[714]: «النساء اللواتي يحِكن حجاب الهيكل .. يأخذن رواتبهن من مساهمة الغرفة.». يتحدّث هذا النصّ عن الطريقة التي يستخلص بها النساء العاملات في الهياكل أجورهن من ضرائب الهيكل زمن المسيح ابن مريم عليهما السلام، وأكّدت «تال إلن» هذه الحقيقة من الناحية التاريخيّة بما جاء في «رؤيا باروخ السريانيّة»، وهو سفر أبوكريفي ألّف بعد فترة قصيرة من هدم الهيكل سنة 70م، وقد جاء في الفصل العاشر منه أنّ الحياة من غير الهيكل لا قيمة لها، وقال «باروخ» في الأعداد الأخيرة من هذا الفصل 10/18-19:

«أيّها الكهنة خذوا مفاتيح المقدّس،

وارموها إلى أعلى سماء،

وأعطوها إلى الربّ وقولوا:

«احفظ بيتك بنفسك،

---

714 التوسفتا: عمل تشريعي مكمّل للمشناه، وهو أشبه بالتذييل له.

لأنّه قد اكتُشِف أنّنا وكلاء مزيّفين.»

وعذاراك اللواتي يحِكن الكتان الناعم،

والحرير مع ذهب أوفير،

عجّل وخذ كلّ شيء،

وارمه في النار ...»

يتحدّث هذا النصّ الذي يعدّ وثيقة تاريخيّة هامة على حال الهيكل زمن المسيح، عن العذارى اللواتي في الهيكل، واللواتي يقمن هناك بالخدمة، وفي كلمة «عذارى» دلالة على أنّهن منذورات للخدمة في الهيكل، منقطعات عن الدنيا لذلك؛ فلا يعرفن الزواج. وكما تقول «تال إلن» فإنّ هذه: «الإشارة من الواضح أنّ لها تعلّقًا بسياق شعائري. النساء اللواتي وصفن هنا بأنّهن عذارى، هنّ الأعضاء (الرسميـ(ـين)) الوحيدون المذكورون بجانب الكهنة.»715. كما أثبتت نفس الناقدة أنّ المشناه نفسها كانت تذكر النساء من بين من يخدمن في الهيكل716، واستدل الناقد «س ليبرمان» «S. Lieberman» بإنجيل

715 Tal Ilan, *Mine and Yours are Hers: retrieving women's history from Rabbinic literature*, Leiden: Brill, 1997, p.140

716المصدر السابق، ص 140-142

يعقوب الأوّلي لإثبات نفس المسألة المتعلّقة بوجود نساء في خدمة الهيكل.[717]

ومما يضاف في هذا الشأن أنّ الروم الكاثوليك والأرثودكس يحتفلون منذ القرون الوسطى بـ«عَرْض مريم العذراء المباركة» كما هو المسمّى في الغرب أو «دخول الثيوتوكوس[718] الأقدس إلى الهيكل»، وهو احتفال شعائري بإدخال «مريم» إلى الهيكل حين كان لها من العمر ثلاث سنوات[719] ، ويعتبر هذا الاحتفال، واحدًا من أهم الاحتفالات الكبرى للكنيسة الشرقيّة –إلى جنب الفصح وعيد الميلاد[720]؛ فَلِمَ ينكر المنصّرون على الإسلام ما أقرّت به الكنيسة ذاتها؟!

الاقتراع لكفالة «مريم» عليها السلام:

---

717 انظر؛ S. Lieberman, *Hellenism in Jewish Palestine*, New York: 1962 (Quoted by, Tal Ilan, Ibid)

718 ثيوتوكوس Θεοτόκος : لقب أطلق على «مـريم»، وأُقِـرّت قانوتيّتـه في مجمع أفسـس (431م)، وهـو إدغـام كلمـتين يونـانيتين، ويعنيـان في مجموعهما: والدة الإله.

719 انظر؛ F. Holweck, '*Feast of the Presentation of the Blessed Virgin Mary*,' in *The Catholic Encyclopedia*, 12/400

720 انظـر؛ J. K. Elliott, *Apocryphal Jesus, legends of the Early Church*, p.32

قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون}721

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في إنجيل طفولة يعقوب الأولي: ((حين بلغت سن الاثني عشر، عقد الكهنة مجمعًا وقالوا: انظروا! لقد بلغت مريم اثني عشر عامًا، وهي في الهيكل. ماالذي علينا أن نفعله لها حتّى نمنعها من تنجيس هيكل الربّ إلهنا؟)). قال الكهنة لرئيسهم: ((لقد وقفت على مذبح الرب. اذهب وصَلِّ لأجلها، وسنفعل كلّ ما يكشفه الربّ الإله لك.))

ذهب رئيس الكهنة آخذًا الرداء مع اثني عشر جرسًا إلى قدس الأقداس، وصلّى من أجلها. فظهر ملاك الرب وقال له: ((زكريا! زكريا! اخرج واجمع الأرامل من الشعب، واجعل كل واحد منهم يأتي بعود722، وستكون زوجة لمن يمنحه الربّ الإله علامة.)) فخرج المنادون إلى كلّ نواحي اليهوديّة ونُفِخ في بوق الرب، وجاء الجميع مسرعين.

721 سورة آل عمران/ الآية (44)

722 من الطريف أنّ المنصّرين العرب لما نشروا هذا النصّ ضمن الترجمة العربية لكتاب ((تسديل))، وضعوا في مكان كلمة ((عصا))، كلمة ((قلم)) في موافقة للرواية القرآنيّة، رغم أنّ النصّ اليوناني يستعمل كلمة ((ραβδοζ)) (عصا/عود)!

ألقى يوسف فأسه الذي كـان يسـتعمله في النجـارة وذهب إلى لقاء القوم. لما اجتمعوا سويًا، ذهبوا إلى رئيس الكهنة، ومعهم أعـوادهم. ولمـا أخـذ رئيس الكهنـة عـود كـلّ واحـد منهم؛ ذهب إلى الهيكل وصلّى. لما انتهى من الصـلاة، أخـذ الأعواد، وخرج، وأرجعهـا لهم، ولم تظهـر أيّـة علامـة بينهم. لكن لمـا أخـذ يوسـف العـود الأخـير؛ خـرجت منـه حمامـة وطارت إلى رأس يوسف؛ فقال الكـاهن ليوسـف: «لقـد تمّ اختيـارك لتأخـذ عـذراء الـرب إلى مأمنـك.» إلاّ أنّ يوسـف رفض قائلًا: «إنّ لي أبنـاء وأنـا رجـل كبـير، وليسـت هي إلاّ طفلة...»

ثم تستمر الرواية حيث وافق «يوسف» على أخذ «مـريم».. وقـد نقلت بعض أسـفار الأبوكريفـا المتـأخّرة عن إنجيـل يعقوب الأوّلي نفس أصول القصّة.[723]

الردّ:

- الاقتراع الوارد في إنجيل طفولة يعقوب الأولي وغيره، كان لمن يتزوّج «مريم» أو تكون له خطيبة، في حين أنّ الاقتراع الوارد في النص القرآني متعلّق بكفالة مريم الصغيرة.
- تذكر الأبوكريفا أنّ من أخذ مريم هو «يوسف النجار»، والغاية من هذه الرواية التي لها مثيل في العهد الجديد، هي نسبة المسيح إلى «يوسف النجار» في ما بعد؛ ليكون من نسل «داود» النبي؛ إذ منه –كما تقول الأناجيل- كان اليهود ينتظرون (المسيح الرئيس)، في حين أنّ النصّ القرآني لا يقرّ بوجود شخصية «يوسف

723 مثل «حكاية رحلة يوسف»

النجار»، كما أنّه قد جعل القرعة من نصيب قريبها «زكريا» ؛ لأنّ «مريم» كانت يتيمة فيما يبدو؛ يقول الشيخ «ابن عاشور» في تفسيره: «وقوله: {إذ يلقون أقلامهم} وهي الأقلام التي يكتبون بها التوراة كانوا يقترعون بها في المشكلات: بأن يكتبوا عليها أسماء المقترعين أو أسماء الأشياء المقترع عليها، والناس يصيرون إلى القرعة عند انعدام ما يرجّح الحق، فكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام، وجعل اليهود الاقتراع بالأقلام التي يكتبون بها التوراة في المِدراس رجاء أن تكون بركتها مرشدة إلى ما هو الخيْر. وليس هذا من شعار الإسلام وليس لإعمال القرعة في الإسلام إلاّ مواضع تمييز الحقوق المتساوية من كل الجهات وتفصيله في الفقه. وأشارت الآية إلى أنّهم تنازعوا في كفالة مريم حين ولدتها أمها حنّة، إذ كانت يتيمة كما تقدم فحصل من هذا الامتنان إعلام بأنّ كفالة زكرياء مريم كانت بعد الاستقسام وفيه تنبيه على تنافسهم في كفالتها.»[724]

الخلاصة:

أولا: إن ثبت تشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في الأسفار الأبوكريفيّة ممّا ألّف بصورة قاطعة قبل بعثة الرسول ، فهو تشابه مع «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، وكلاهما يعود -على قول عامة النقاد- إلى القرن الثاني، ولكن جزءًا من مادتهما قديم يعود إلى القرن

724 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 3/245

الأوّل ميلادي على قول الكثير من النقّاد، وقد أخذ آباء الكنيسة بشيء مما جاء فيهما، كما أخذت منهما الكنيسة نفسها تفاصيل لقصصها عن سيرة المسيح ومبررات بعض شعائرها المتوارثة.

ولما كانت الأناجيل الرسميّة الأربعة ساقطة تاريخيًا على الإجمال -وإن كانت تضم في سطورها نقلًا صادقًا لبعض الوقائع-، ولم يكن ذلك سببًا للطعن في ربّانية القرآن الكريم في موافقته لها في نقل تلك المواضع، رغم أنها قد دوّنت في الفترة بين العقد السابع من القرن الأوّل إلى بداية القرن الثاني؛ مما يثبت بُعدها زمنيًا عن تاريخ سير الوقائع المدوّنة -وهو نفس العيب الموجود في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»-؛ فلا يعدّ ذلك بذاته -إذن- عذرًا للتشكيك في الموافقات الثابتة بين هذين السفرين وما جاء في القرآن الكريم.

ثانيا: فيما يتعلّق ببقيّة التشابهات المدّعاة بين القرآن الكريم وبقيّة الأبوكريفا؛ فهي إما:

- تشابهات مع أبوكريفا في مادة موجودة أصلًا في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، ومنهما قد أخذت الأبوكريفا المتأخّرة هذه المادة، وقد علمت حكم التشابه بين القرآن الكريم وهذين الإنجيلين.
- أو تشابهات مع تفاصيل لم تعرف في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، وردت في أبوكريفا أخرى، وهي لا تخرج عن إنجيل متّى

المنحول وإنجيل الطفولة العربي، وقد علمت أنّه لا يوجد دليل مادي واحد على أنّ هذين السفرين قد ألّفا قبل البعثة النبويّة، بل الأدلّة على خلاف ذلك، بالإضافة إلى أنّ تعريبهما يستدعي مزيدًا من التأخير بما يستغرق بضعة قرون إضافية لزمن التأليف–كما هي العادة-، كما أنّ قصّة الحديث في المهد ملحقة أصلًا بإنجيل الطفولة العربي.

ثالثا: لم يكن أهل مكة يعرفون شيئًا عن أبوكريفا الطفولة، بل لم تكن لهم أدنى معرفة بالعهد الجديد القانوني نفسه؛ وهو ما يفتح الباب لنا للجزم بالإعجاز القرآني في هذا المقام؛ إذ أخبر القرآن الكريم عن (1) مسائل موافقة في عمومها لوقائع لم يكن العرب يعلمون عنها شيئًا، (2) وردت في كتب لم تكن موجودة في مكة، (3) ولم يكن يعرفها غير المطّلعين عليها من النصارى في لغاتها الأعجمية!

2- الأناجيل الغنوصيّة وصلب المسيح:

تكرّر الحديث في عدد من الدراسات الاستشراقيّة أنّ القرآن الكريم قد أخذ من الأناجيل الغنوصيّة قوله:
{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}[725]

725 سورة النساء/ الآية (157)

الردّ:

- لا يوجد دليل واحد مادي على شيوع –بله وجود- الفرق الغنوصيّة وأناجيلها في الجزيرة العربيّة؛ يقول المستشرق «ج. م. رودويل» – في مقدمة ترجمته الإنجليزيّة الشهيرة للقرآن الكريم-: «لقد افتُرِض أنّ محمّدًا قد اشتق الكثير من مفاهيمه عن النصرانيّة من الغنوصيّة، وأنّ القرآن قد أشار إلى الفرق الغنوصيّة الكثيرة عندما قال إنّ المسيحيين {فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا}[726].

دعوى اختلاط الأمر على محمد بين الغنوصيّة والمسيحيّة، يَفترض أن يكون انتشار الغنوصيّة في البلاد العربيّة أكثر عالميّة مما هو في تصورنا لحقيقة توسع الغنوصيّة. في الحقيقة، **ليست لدينا أيّة حجّة تاريخيّة على الإطلاق لافتراض أنّ عقائد هؤلاء الهراطقة كانت تُعلّم أو تُعتنق في البلاد العربيّة**. إنّه لمن المؤكّد، من جهة أخرى، أن «الباسلديين» و«الفالنتانيين» والفرق الهرطقيّة الأخرى قد ماتت أو أعيد استيعابها مرّة أخرى في الكنيسة الأرثودكسيّة عند منتصف القرن الخامس، واختفت من مصر في القرن السادس.»[727]

---

726 سورة الأنعام/ الآية (159)

727 J. M. Rodwell, *The Koran*, London: J.M. Dent & Sons, ltd., 1913 , pp.9-10

وقد نقل عنه هـذا التقريـر -مقـرًا لـه-المستشـرق المنصّـر «توماس باتريك هوغز» في معجمه للمصطلحات الإسـلاميّة.[728]

- بالإضـافة إلى أنّ النصـارى العـرب كـانوا قلّـة وفي أمــاكن بعيــدة عن مكــة وجلّهم في الشــام، فــإنّ الغنوصيين نزّاعـون إلى الانعـزال والعيش في منـأى عن الناس، كمـا أنّ لهم ميلًا إلى التفكـير الفلسـفي المجـرّد والتشـقيق في اللاهوتيّـات بمـا لا يتّفـق مـع الطبائع الحياتيّة والعقليّة والعقائديّة لعرب الجزيرة.

- لم تكن الفــرق الغنوصــيّة ذات جاذبيّــة في القــرن السابع ميلاديًّا؛ فليس هناك مبرّر للاقتباس منها، وقد انتشـر في كتب آبـاء الكنيسـة التحـذير المركّـز من هذه الفرق والتشويه المتعمّد لمقولاتها الدينيّة.

- لم تكن قضيّة صلب المسيح من العقائد الجدليّة في القــرن الســادس ميلاديًّا، وإنّمــا كــان الــنزاع حــول طبيعة الناسوت واللاهـوت في المسـيح، اجتماعهمـا وامتزاجهما، خاصة بعد الموقف الشـديد الـذي اتُّخـذ ضدّ «نسطور» والنساطرة ...

- عامة الأناجيل الغنوصيّة التي أنكرت صلب المســيح، بنت ذلـك على أنّ المسـيح ليس لـه جسـد بشـري؛ وإنّما هو مجرّد مظهر تبصره العين دون أن يكون له لحم وعظم، وهــو مــذهب الفــرق (الدوســيتيّة)

---

728 انظر؛ Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam,* p.515

الغنوصية[729] التي تـردّ الصـلب لا من بـاب إنكـار أن يكون الصلب من أحداث التاريخ، وإنمـا لأن المسـيح لم يكن لـه جسـد، وأنـه كـان مجـرد مظهـر تبصـره العين دون كيان مادي على الحقيقة، كما ذهبت فرق غنوصيّة أخرى إلى ردّ الصـلب من بـاب التميـيز بين «يسوع البشر» و«المسيح الإله»؛ إذ لما صلب «يسوع البشر» كـــان «المســـيح الإلهي» يشـــهد الحـــدث كمتفرّج[730]، وليس يجد المرء البتّة هذين التصـوّرين في النصّوص القرآنيّـة أو النبويّـة المتعلّقـة بالمسـيح

---

729 الدوسيتيّة: من الكلمة اليونانية «δοκεω» (دوكيـو) أي (بـدا) (ظهـر)؛ وهو اعتقاد أنّ المسيح لم يكن له جسد بشري، وأنّه لم يتألّم ولم يصلب؛ لأنّ جسده ليس إلاّ مظهرًا (يبدو) للعين ولا حقيقة مادية لـه. وأصـل هـذا الاعتقاد هو اعتبار (المادة) شـرًا؛ ولـذلك فإنّـه لا يستسـاغ أن يتّخـذ الإلـه جسدًا ماديًا! (انظر؛ Walter A. Elwell, ed. *Evangelical Dictionary of Theology*, Michigan: Baker Book House, 1984, p. 326; Peter M. J. Stravinskas, *Catholic Dictionary*, Indiana: Our Sunday Visitor Publishing, 2002 , p.270

730 انظـر؛ Bart Ehrman, *Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend*, New York: Oxford University Press, 2006, p.46

عليه السلام[731]، كما أنّهما لا يلتقيان مع التصوّر القرآني للمسيح ابن مريم، البشر النبي!

- يقول الناقد «جيرارد ستيفان سلويان» («Gerard Stephen Sloyan») من وحي النصوص الغنوصيّة المتاحة؛ إنّه: «لا بدّ أن نلاحظ أنّه ليست كلّ الشواهد الغنوصيّة تذهب إلى أمر إنكار الصلب. بعض الوثائق المتاحة تظهر نفسها على أنّها في توافق مع الشاهد الإنجيلي.»[732].. يضاف إلى ذلك أنّ من الأسفار الغنوصيّة المكتشفة من لم تتعرض للصلب نفيًا أو إثباتًا.
- الخلاف حول صلب المسيح ليس علامة فارقة بين الغنوصيّة وغيرها، وهذا إنجيل يوحنا قد رمي من

---

731 قول القمص عبد المسيح بسيط في كتابه «هل صلب المسيح حقيقة، أم شبّه لهم؟» -نسخة إلكترونية-: «اعتمدت هذه الروايات بالدرجة الأولى على الفكر الغنوسي، الذي تأثر به بعض البسطاء من عامة البادية وذلك إلى جانب الفكر النسطوري الذي انتشر بواسطة الرهبان النسطوريين الذين عاشوا في الصحاري وكان بعضهم يعيش بالقرب من طرق الرحلات التجارية، والذين كانوا يعتقدون أن المسيح مكون من شخصين متصاحبين هما الإله الذي كان يقوم بالمعجزات والإنسان الذي كان يتحمل الآلام، وبالتالي فقد صُلب الإنسان لا الإله.» ساقط تاريخيًا، وإنّما هو من التكلّف المحض الناتج عن هروب هذا القمّص إلى مبرّرات تلفيقيّة لدعواه بعد أن عدم أي دليل تاريخي يسند به زعمه.

732 Gerard Stephen Sloyan, *The Crucifixion of Jesus: history, myth, faith*, Minneapolis: Fortress Press, 1995, p.203

طرف عدد من النقاد بالغنوصيّة[733]، ومع ذلك هو يقول بصلبه!

- لا يوجد أيّ مبرّر نفعي للقرآن الكريم للاقتباس من الغنوصيين؛ إذ إنّ موت المسيح على الصليب أو نجاته، لا يضيفان إلى القرآن أيّ مكسب دعوي في البيئة العربيّة حيث عامة المدعوين هم من الوثنيين –في مكة والمدينة-أو الأقليّة اليهوديّة –في المدينة- التي لا تستريب في قتل المسيح المزيف (يسوع)، وطوائف من النصارى –في نجران وأماكن أخرى بعيدة عن مكة والمدينة- ترى أنه لا نجاة لها في الآخرة إلا بالإيمان بيسوع المصلوب، بل إنّ نفي الصلب يزيد في مباعدة الشقّة بين الإسلام والنصرانيّة ويقلص من جاذبيّته عند عامة النصارى، كما أنّ اليهود قد أخذوا ما يذكره النصارى عن قتل

---

733 بل ذهب ((ريتشارد هووبر)) ((Richard Hooper)) إلى أنّ العديد من الأرثودكس في القرن الثاني قد ذهبوا إلى اتهام هذا الإنجيل بأنّه هرطقي لاستعماله مصطلحات وتصوّرات، وربما أيضًا لاهوت، غنوصي. (انظر؛ Richard Hooper, *The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it*, AZ: Sanctuary Publications, 2005, p.216)

المسيح، حجّة ضدّه باعتباره نبيًا[734] مزيّفًا كما هو منصوص سفر التثنية 18/18-20.[735]

- النصّ القرآني لم يحدّد كيفيّة نجاة المسيح من الصلب، ولا يصحّ في هذا الباب حديث مرفوع إلى الرسول [736]، وكما قال المفسّر «الطاهر بن عاشور» في تفسيره للآية 157 من سورة النساء:

734 يؤمن النصارى بألوهيّة المسيّح ونبوّته (!)؛ لأنّ المسيح قد وُصف بالنبوّة في العهد الجديد غير مرّة، كما أنّ عددًا من النصوص التي وردت في العهد القديم وزعم النصارى أنّها نبوءات عن المسيح، تقرّر بشريّة المتحدّث عنه ونبوّته.

735 «لهذا أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. فيكون أن كل من يعصى كلامي الذي يتكلم به باسمي، فأنا أحاسبه. وأما النبي الذي يتجبر فينطق باسمي بما لم آمره أن يتكلم به، أو يتنبأ باسم آلهة أخرى، فإنه حتمًا يموت.»

736 لا يصحّ في الباب حديث مرفوع صراحة أو حكمًا!

ما جاء عن «ابن عباس» رضي الله عنهما من تفصيل لقصّة صلب المسيح عليه السلام، وإن صحّ موقوفًا، فإنّه لا يصحّ رفعه حكمًا؛ لأسباب؛ من أهمّها أنّه وإن كان الخبر متعلّقًا بالغيبيات بما يرجّح -إذا جرينا على الأصل- أن يكون مرفوعًا حكمًا إن جاء عن صحابي، إلاّ أنّ «ابن عباس» معروف أنّه ينقل الإسرائيليات (وقد أشار إلى ذلك الإمام «ابن كثير» في تفسيره غيرما مرّة)؛ وقد تكون هذه عن مسلمة أهل الكتاب. والقاعدة عند المحدّثين أنّ من يُعرف برواية الإسرائيليات لا يعدّ حديثه مرفوعًا حكمًا وإن كان في أمور الغيبيات التي لا تدرك بالاجتهاد (انظر؛ ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ت/ عبد الله الرحيلي، الرياض: مطبعة سفير، 1422هـ، 2001م، ص 132-134). وقد قال الشيخ «أحمد شاكر» رحمه الله: «أما إطلاق بعضهم أنّ تفسير الصحابة له حكم المرفوع، وأنّ ما يقوله الصحابي، ممّا لا مجال فيه للرأي مرفوع حكمًا

«والّذي يجب اعتقاده بنصّ القرآن: أنّ المسيح لم يُقتل، ولا صُلب، وأنّ الله رَفَعَه إليه ونجّاه من طالبيه، وأمَّا ما عدا ذلك فالأمر فيه محتمل.»[737]

- لا يوجد أيّ دليل من التفاسير والإسرائيليات الواردة في شرح الآية 157 من سورة النساء، يظهر علم المفسّرين أو أهل الكتاب المهتدين إلى الإسلام بما ورد في الأناجيل غير الرسميّة، سواء تلك المتلبسة بالغنوصيّة أو غيرها[738]، علمًا أنّ تفسير هذه الآية قد كان مصدرًا للكثير من الروايات المختلَقة عن قصّة صلب المسيح ورفعه، وظاهرٌ نسبتها إلى خيال أصحابها الذين نقلت عنهم في كتب التفسير[739]،

كذلك، فإنّه إطلاق غير جيّد؛ لأنّ الصحابة اجتهدوا كثيرًا في تفسير القرآن؛ فاختلفوا ... وأمّا ما يحكيه بعض الصحابة من أخبار الأمم السابقة، فإنّه لا يعطى حكم المرفوع أيضًا؛ لأنّ كثيرًا منهم رضي الله عنهم كان يروي الإسرائيليات عن أهل الكتاب...» (ابن كثير، أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت، ص45)

737 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 4/22

738 انظر؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 6/12-17، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/643، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت/عبد الله التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، 5/96-105

739 انظر مثلًا الروايات المتخالفة في تفسير عبد الرزاق (توفي 211هـ) وتفسير الطبري (توفي 310هـ) وتفسير مقاتل (توفي 150هـ) ....

علمًا أنّ عامة التفاسير تذكر روايات تتحدّث عن تلميذ للمسيح وقع عليه الشبه برضى منه فداءً للمسيح، بما لا يتفق مع القصة الدوسيتيّة.

- قال «يوحنا الدمشقي» في كتابه «ينبوع الحكمة»، في الجزء الخاص بالهرطقات، كلامًا يعتبر من أقدم ما كتب عن الإسلام، في وصف ما جاء في حديث القرآن الكريم عن المسيح: «وقال-محمد- إنّ اليهود أرادوا صلبه –أي المسيح- في مخالفة للشريعة، وأنّهم قد قبضوا على ظلّه وصلبوه، لكن كما قال -محمد- فإنّ المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل؛ لأنّ الله أخذه إليه في السماء بسبب حبّه له.»[740] .. ولسنا نجد هنا تهمة النقل عن الغنوصيين[741] ، ولا إيراد التفسير الغنوصي الذي يردّ (جسديّة) المسيح؛ إذ قد جعل «يوحنا الدمشقي» (حبّ الربّ للمسيح) الداعي لإنقاذ الرب لمسيحه، علمًا أنّ «يوحنا الدمشقي» يعتبر من أهم الشخصيات في التاريخ النصراني العالمة بالفرق النصرانيّة، والردّ عليها، وقد تعرّض هو نفسه في الجزء الخاص بالهرطقات من كتابه السالف إلى الكثير من الفرق الغنوصيّة –

---

740 Saint John of Damascus, ‘*the Fount of Knowledge*,’ in *The Fathers of the Church, St. John of Damascus Writings*, tr. Frederic H. Chase , CUA Press, 2000, , p.154

741 ادّعى «يوحنا الدمشقي» أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم «بعد أن تحاور مع راهب أريوسي، اخترع هرطقته الخاصة.» «ἀρειανῷ προσομιλήσας δῆθεν μοναχῷ ἰδίαν συνεστήσατο αἵρεσιν» (المصدر السابق، ص 153)

أو المتهمـــــــة بالغنوصـــــــيّة- كالســــــيرنثيين[742] والباسليديين[743] والكربوكراتيين[744] ...

- ذكر القرآن الكريم أنّ أهل الكتـاب قـد اختلفـوا في أمر صلب المسيح فرقًا، وهذه حقيقة تاريخيّة دقيقـة تكشــفها الأناجيــل الأبوكريفيّــة الــتي تبنّتهــا فــرق نصرانيّة مبكّرة، كما يكشفها أيضًا ما جاء في إنجيــل متّى 28/11-15 من أنّ قبر المسيح قد وجد فارغًــا، وأنّ رؤساء الكهنة والشيوخ قد رشـوا الجنـود الـذين كانوا يحرسون القبر؛ ليقولوا إنّ تلاميـذ المسـيح قـد سـرقوا الجثّـة، وعقّب مؤلّـف هـذا الإنجيـل بقولـه: «فَأَخَذَ الْجُنُودُ الْمَالَ، وَعَمِلُوا كَمَا لُقِّنُوا. وَقَدِ انْتَشَرَتْ هَـذِهِ الإِشَـاعَةُ بَيْنَ الْيَهُـودِ إِلَى الْيَـوْمِ»[745،746] ففي عبارة «انْتَشَرَتْ هَذِهِ الإِشَاعَةُ بَيْنَ الْيَهُودِ إِلَى الْيَـوْمِ» «διεφημισθη ο λογος ουτος παρα ιουδαιοις μεχρι της σημερον» إقرار صريح أنّ لغطًا كان معروفًـا وسـائدًا

---

742 انظر المصدر السابق، ص 118

743 انظر المصدر السابق، ص 117

744 انظر المصدر السابق، ص 118

745 متّى 28/15

746 ذهب الإمام «ابن حـزم» إلى أنّ الشـيوخ والشُـرط قـد صـلبوا أحـد الأشخاص، ثمّ ادعوا أنّه المسيح: «إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليـد أسلافهم من النصارى واليهود: أنه عليه السلام قتل وصلب. فهـؤلاء شُـبِّهَ لهم القول. أي أدخلوا في شبهة منه. وكان المشبِّهون لهم شـيوخ السـوء في ذلك الوقت وشُرَطهم المدعون لهم أنهم قتلوه وصلبوه، وهم يعلمون أنـه لم يكن ذلـك. وإنمـا أخـذوا من أمكنهم، فقتلـوه وصـلبوه في اسـتتارٍ ومنعٍ من حضور الناس. ثم أنزلوه ودفنوه تمويهًا على العامة الـذين شُـبِّهً لهمٍ الخبر.» (الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/77)

حول مصير جثّة المسيح بعد صلبه، وفي هـذا اللغـط كَشْف لاضطراب مسار القصّة وأصـلها؛ إذ إنّ قصّـة الصلب موصولة الأجزاء بقصة القبر والقيامة!

- قصّة صلب المسيح في الأناجيل الرسميّة كثيرة التناقض والعيوب التاريخيّة التي تنفي عنها جوهر الأصالة التاريخيّة، وهي كثيرة جدًا نكتفي ببعض الجداول التي تجلّي بعضها[747]، وهي إشكالات نصيّة وتاريخية تبلغ المئتين عددًا[748]:

747 الجداول عن، أحمد عبد الوهـاب، الإسـلام والأديـان الأخـرى، نقـاط الاتفاق والاختلاف، القاهرة، مكتبة التراث، د.ت، ص 92-100

748 ساق «رمزبرغ» 132 اعتراضا على روايات الصـلب، و70 اعتراضًـا على رويات قيامة المسيح من الموت؛ ليكون المجمـوع 203 اعتراضـات جـادة على صـلب المسـيح وقيامتـه في العهـد الجديـد!، انظر؛ John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.123-192

العشاء الأخير وعملية القبض

مسلسل عام	نقَاط البحْث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١	توقيت العشاء الأخير	عشاء الفصح ١٤ : ١٢	عشاء الفصح ٢٦ : ١٧	عشاء الفصح ٢٢ : ٧	عشاء عادي قبل الفصح ١٣ : ١
٢	دور التلاميذ في إعداد العشاء	أرسل إثنين منهم ١٤ : ١٣	أرسل التلاميذ جميعا ٢٦: ١٨ــ ١٩	أرسل إثنين منهم (بطرس ويوحنا) ٢٢: ٨، ١٣	......(١)
٣	علامة التلميذ الخائن	الذي يغمس مع المسيح في الصحفة ١٤ : ٢٠	الذي يغمس مع المسيح في الصحفة ٢٦ : ٢٣	الذي يده مع المسيح على المائدة ٢٢ : ٢١	الذي غمس المسيح اللقمة وأعطاه إياها ١٣: ٢٦
٤	متَى دَخَل الشيْطَان في يهُوذا الخائِن	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٤: ١٠ ــ١٢	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٦: ١٤ ــ١٧	قبل العشاء الأخير (بيوم الأقل) ٢٢: ٣ ــ ٧	أثناء العشاء الأخير بعد أن أعطاه المسيح اللقمة ١٣ : ٢٧
٥	كَيْفَ تعرفَ الجنْد عَلى المسيح	بعد قبلة يهوذا ١٤: ٤٥ ــ٤٦	بعد قبلة يهوذا ٢٦: ٤٩ ــ٥٠	بعد أن دنا يهوذا من المسيح ليقبله ٢٢ : ٤٧	قدم المسيح نفسه متحدياً، بلا قبلة ١٨: ٤ ــ٨
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ١٤ : ٤٣	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٦ : ٤٧	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٢ : ٤٧	قبل عشاء الفصح (مساء الأربعاء) ١٨ : ٢٨
٧	سُلوك التلاميذ عند القبض	تركه الجميع وهربوا ١٤ : ٥٠	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٢٦ : ٥٦	......	......

(١) هذه النقاط الست (......) تحت أي انجيل في أي من الجداول تعني أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئاً محدداً يتعلق بنقطة البحث .

المحاكمات

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٨	المحاكمة الأولى				
	ـ التوقيت	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح)	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح)	نهاراً في اليوم التالي للقبض (الجمعة)	ليلاً بعد القبض مباشرة (الليلة السابقة لليلة عيد الفصح)
	هيئة المحكمة	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	حنان حموقيافا ثم قيافا رئيس الكهنة
		١٤: ٥٣ـ٥٥	٢٦: ٥٧ـ٥٩	٢٢: ١٣	١٨ : ١٢ ـ ١٣
٩	المحاكمة الثانية				
	ـ التوقيت	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الخميس)
	ـ هيئة المحكمة	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي
		١:١٥	١:٢٧	١:٢٣	٢٨:١٨ـ٣٣
١٠	المحاكمة الثالثة				
	ـ التوقيت	.....	.....	صباح اليوم التالى (الجمعة)	.....
	ـ هيئة المحكمة			هيرودس حاكم الجليل	
				٢٣: ٧ـ١٠	

عدد المحاكمات

مسلسل عام	الوقت	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١١	ليلا بعد القبض مباشرة	١	١	...	١
١٢	نهار اليوم التالي للقبض	١	١	٣	١
١٣	المجموع الكلي	٢	٢	٣	٢

*

يوم الصلب

مسلسل عام	نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٤	يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة	الجمعة	الجمعة	الخميس يوم تذبح خراف الفصح «وكان استعداد الفصح»
		١٥:١٥،٢٠	٢٧:٢٦،٣١	٢٣:٢٤،٣٣	١٩:١٤ــ١٨

التحركات منذ القبض حتى الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٥	الرحلة الأولى	مساء الخميس «إلى رئيس الكهنة» ١٤ : ٥٣	مساء الخميس «إلى قيافا رئيس الكهنة» ٢٦ : ٥٧	مساء الخميس «إلى بيت رئيس الكهنة» ٢٢ : ٥٤	مساء الأربعاء «إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة» ١٨ : ١٣
١٦	الرحلة الثانية	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ١٥ : ١	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ٢٧ : ١	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ٢٢:٦٦،٢٣:١	مساء الأربعاء «إلى دار رئيس الكهنة» ١٨:١٥،١٨
١٧	الرحلة الثالثة	نهار الجمعة «إلى موضع جلجثة» مكان الصلب ١٥ : ٢٢	نهار الجمعة «إلى موضع يقال له جلجثة» ٢٧ : ٣٣	نهار الجمعة «إلى هيرودس .. في أورشليم» ٢٣ : ٧	صباح الخميس «إلى دار الولاية (إلى بيلاطس) وكان صبح» ١٨ : ٢٨ ــ ٢٩
١٨	الرحلة الرابعة	......	......	نهار الجمعة «رده (هيرودس) إلى بيلاطس» ٢٣ : ١١	نهار الخميس «مضوا به إلى موضع جلجثة» ١٩ : ١٦ ــ ١٧

مسلسل عام	نقَاط البحْث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٩	الرحلة الخامسة	......	......	نهار الجمعة «مضوا إلى الموضع الذي يدعى جمجمة» ٢٣ : ٣٣	......
٢٠	عدد الرحلات	٣	٣	٥	٤

أحداث الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢١	إستهزاء العسكر قبل الصلب (إكليك الشوك ــ الضرب ــ البصق)	«جنود بيلاطس» ١٥: ١٦ــ٢٠	«جنود بيلاطس» ٢٧: ٢٧ــ ٣١	«جنود هيرودس» ٢٣: ١١	«جنود بيلاطس» ١٩: ١ــ ٥
٢٢	حامل الصليب	سمعان القيرواني ١٥ : ٢١	سمعان القيرواني ٢٧ : ٣٢	سمعان القيرواني ٢٣ : ٢٦	المصلوب نفسه ١٩ : ١٧
٢٣	شراب المصلوب قبل صَرخة اليأس	خمرا ممزوجة بمر فلم يقبل ١٥ : ٢٣	خلا ممزوجا بمرارة ولما ذاق لم يشرب ٢٧ : ٣٤	....	....
٢٤	علة المصلوب	«ملك اليهود» ١٥ : ٢٦	«هذا هو يسوع ملك اليهود» ٢٧ : ٣٧	اليهود» [يونانية ــ رومانية ــ عبرانية] ٢٣ : ٣٨	ملك اليهود» [عبرانية ــ يونانية ــ لاتينية] ١٩ : ١٩ ــ ٢٠
٢٥	اللصان والمصلوب	«كانا يعبرانه» ١٥ : ٣٢	«كانا يعبرانه» ٢٧ : ٤٤	كان أحدهما يعيره والآخر يدافع عنه ٢٣:٣٩ ــ٤٠	....

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة	....	قبل الساعة السادسة	الساعة السادسة
		١٥ : ٢٥		٢٣: ٣٣ ـ ٤٤	١٩: ١٤ ـ ١٦
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	«إلهي، إلهي لماذا تركتني»	«إلهي، إلهي لماذا تركتني»	«يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»	
		١٥ : ٣٤	٢٧ : ٤٦	٢٣ : ٣٤	
٢٨	شهود الصلب	«نساء ينظرن من بعيد»	«نساء كثيرات ينظرن من بعيد»	«جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن»	أمه وأخت أمه ومريم المجدلية واقفات عند الصليب (عن قرب)
		١٥ : ٤٠	٢٧ : ٥٥	٢٣ : ٤٩	١٩ : ٢٥

- قصّة صلب المسيح في الأناجيل الرسميّة نبوءات صِيغت تاريخًا: يقول الناقد الشهير ((جون دومينيك كروسان)) في كتابه الذي يعدّ من أهم ما ألّف في المكتبة الغربيّة في تاريخيّة قصّة صلب المسيح ((من صلب يسوع؟)) ((*Who Killed Jesus?*))، إنّ قصّة صلب المسيح الواردة في العهد الجديد هي ((نبوءة قد صيغت تاريخًا)) ((*prophecy historicized*)) لا ((تاريخٌ متذكّر)) ((*history remembered*)) ؛ إذ إنّ كُتّاب الأناجيل كانوا يتعمّدون صياغة أحداث قصّة صلب المسيح

من خلال ما ظنّوه نبوءات عن المسيح ممّا هو وراد في العهد القديم.749

- أصل المادة الروائيّة في العهد الجديد: قال الناقد البارز: ((برتن ماك)) ((Burton Mack))750 بعد إخضاعه إنجيل مرقس إلى نسق حاد من التحليل الفيلولوجي والتاريخي: ((لا توجد إشارة إلى موت المسيح صلبًا في المادة السابقة (لإنجيل) مرقس المتعلقة بعيسى.))751 ، وهو هنا يقرّر ما عليه عامة من يؤمنون بوجود مادة افتراضيّة أولى تسمّى ((Q)) تعتبر الأصل المبكّر للأناجيل752؛ فمادة القصّة إذن مُحْدَثة غير أصيلة!

أفرام السرياني واليوم الآخر:

هذه الشبهة وما يليها، قد نقلها (العجوز) المراهق (علميًا) ((هشام جعيط))753، وهي على درجة عظيمة من

---

749 انظر؛ John Dominic Crossan, *Who Killed Jesus*, New York: Harper Collins, 1996, pp. 1-12

750 برتن ماك: أستاذ متقاعد من (*Claremont School of Theology*) في كاليفورنيا. من أعلام المتخصصين اليوم في أصول النصرانيّة، والنصرانيّة المبكّرة.

751 Burton Mack, *Who Wrote the New Testament?,* New York: HarperCollins, 1995, p.87

752 وهم جمهور النقّاد المعاصرين.

753 هشام جعيط (ولد سنة 1935م): مؤرخ تونسي. من رموز التيار العالماني في العالم العربي عامة، وشمال إفريقيا خاصة.

(السذاجة)، وربّما كان من الصواب تجاوزها، إذ إنّ نقض كبرى شبهات المتخصصين الغربيين في الأدبيات الدينيّة اليهوديّة والنصرانيّة يُغني عن نقض (شخبطات) أغمار جهلة العرب (المتعلمنين) (المنسحقين) أمام أصحاب العيون الزرق، وسأحاول أن أمنع شعور (العطف) الذي يراود قلمي كلّما كتبتُ عن (غليّم) من المتغّربين (عقلًا وحسًا) يتحدّث في أمور لا يعرف (وجهها) من (قفاها) ولا (رأسها) من (أدناها)؛ فاللهم لا تجعل (رحمتي!) تغلب (إنصافي)!!

أظهر هذا الأبتثي[754] فقرًا موجعًا في المراجع، وجفافًا بارزًا في معرفة نصوص الكتاب المقدس والدراسات الآبائيّة، حتّى إن التفاصيل التي ذكرها في مبحث الاقتباس في كتابه (الخفيف) في السيرة –على صاحبها أزكى السلام وأعطر التسليم- لا تكاد تغادر فصلين من كتاب واحد «لتور أندري» إلاّ ما ندر! - ..

كتب «الهش...» –فله من الهشاشة نصيب وافر وحظ غامر!- تحت عنوان: «الكارثة الكوسميّة وتوصيف الآخرة، الكنيسة السوريّة» –أرجو أن تهمل النظر في عبارة «كوسميّة» التي تعني «كونيّة»، وهي من الكلمة اليونانية «كوزموس» «κόσμος» التي تعني «نظام»؛ لأنّ (صاحبنا!!) يريد أن يقنعنا أنّه يتنفّس الحرف اللاتيني حتّى إنّ أصابع يديه ورجليه لا تطيق الألفاظ العربيّة المعروفة، وربّما عبارة «كوسميّة» ستجعل القارئ (ينبهر!) و(ينشطر!) ثم (يندثر!)، من هول هذا العلم الفائض!!- .. أعود، فأقول: قد

754 أبتثي: لا يعرف من الكلام إلاّ حروفه: ألف، باء، تاء، ثاء ...

كتب: «لقد كان إفـرائيم في عظاتـه يتّجـه إلى الشـعب من وثنيين ومسيحيين، وفي آرائه أكثر من قاسـم مشـترك مـع القرآن. بـل التشـابهات كبـيرة إلى درجـة أنّـه يصـعب على المـؤرّخ أن يعتـبر أنّهـا من محض الصـدفة أو حتّى إنّ هـذه الأفكار أُخذت بصفة شفهيّة عن رهبان متجـوّلين سـواء في عكـاظ أو في اليمن كمـا يـرى ذلـك تـور أنـدري. ذلـك أنّ التشابهات ليست فقط في الفكر بـل في التعـابير والصـور والاستعارات»[755]..!

طبعًـا (!) (سـيقف شـعر) القـارئ من هـول الأمـر؛ إذ إنّ «الهش» قد خالف سيّده الأعجمي الأسقف السويدي «تـور أنـدري» «Tor Andrae» الـذي كـانت عنـده بقيّـة (حيـاء) فلم يـزعم أنّ الرسـول كـان عاكفًـا على مطـوّلات اللاهـوت النصراني المعقّد والآبائيّـات المرهقـة؛ دراسـة ونقـدًا ونقلًا، وإنما ادّعى أنّ الرسول قد أخذ هذه الأفكار من اللقاءات الشخصيّة والتراث الشفهي[756]!!

لقـد أوحى إلى «الهش...» شـيطانُه (البليـد) أنّ الرسـول قد اطّلع على كتابات «أفـرام» -306م-373م –الـذي يكتبـه

---

755 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/167-168

756 قال «تور أندري» (الترجمة الفرنسيّة لكتابه- ص 146): «Mais il va de soi qu’il ne faut pas anticiper et penser a une dépendance litteraire directe. Ce que Mahomet a reçu du christianisme, il l’a seulement appris par la prédication orale et par des contacts personnels.»

(صاحبـ(ـنا)!) (أفـرائيم)!ـ .. لقـد قـرأ (!) الرسـول هـذه الكتب بعينيــه، وتحسســها (!) بيديــه، بلغتهــا الســريانيّة الفصيحة وبأسلوبها الشعري البليـغ الـذي كتب بـه «أفـرام» عامة مؤلّفاته، حتّى عُدّ ذلك طابعًـا ممـيزًا لـه، لقّب بسـببه «أفرام» «بقيثارة الروح القدس»!

ولما جاد علينا «الهش...» بذكر هذه التوافقـات المذهلـة (!) التي جعلتـه يكفـر بعصـمة سـيده الأشـقر: «أنـدري»؛ كـانت الفاجعة التي كشفت أنّ «الهش...» يحتاج (رقية شرعيّة) لا دورات في الدراسـات الكتابيّـة والآبائيّـة- أو (البـاترولوجي) حتى لا يغضب هذا (المتفرنس)-!

لقد كتب مفصحًا عن (علمه!) أو هكذا ظنّ، فلم يضنّ علينا بعبقريّته (المتفجّرة)، ولا شكّ أنّ الشوق قد اسـتبدّ بـالقرّاء ليعرفوا الدليل الصلب على أنّ الحبيب كـان أيضًـا إمامًـا في معرفــة اللغــة الســريانيّة وتــذوّق شــعرها الصــوفي الفلسـفي (رحمتك يـا اللـه!!) .. كتب (صاحبـ(ـنا!): «عنـد إفرائيم، علامـات السـاعة أيضًـا كارثيّـة: السـماوات تطـوى والنجوم تتساقط والشمس تكفهر والجبال تذوب.»[757]

قلت: رحم اللــه الحيــاء؛ فقــد كــان أبــتر؛ لم يخلّــف عيــالًا (متفرنسـين)! ورحم اللـه الحيـاء –مـرّة أخـرى، ولا ضـير!- فإنّه يمنع صاحبه من أن يقول عن كتابه: «هذا الكتـاب جـزء من مشـــروع قـــديم طويـــل النفس، لكن حفّـــزني على

757 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/168

التفكـــــــــــــير فيــــــه ناشـــــــر فرنسي»[758] ... إنّ الحيـــــــــــــاء لا يأتمر

بأوامر (الإليزيه) ولا (حواشيه)![759]

العلامات الثلاث الأولى مذكورة أصـلًا في الكتـاب المقـدّس الذي قرّر القـرآن الكـريم أنّ لـه أصـلًا سـماويًا، وإن لحقـه التحريف، وليست هي من مبتكرات «أفرام»:

---

758 هشام جعيط، في السيرة النبوية، الوحي والقـرآن والنبـوة، بـيروت: دار الطليعة، 2000، ط2، 1/7

759 من غـرائب هـذا (المتفـرنس) أنّـه قـال في لقـاء معـه على قنـاة الجزيـرة الفضـائيّة (13/04/1999م) إنّ عـرب اليـوم عنـدهم عقـدة (الخواجـة)!! ولم يجـد نموذجًـا لهـذه (العقـدة) غـير احتفـاء المسـلمين بالفيلسوف الفرنسي «روجي جـارودي» بعـدما أعلن إسـلامه (!) وزاد أن رمى أهـل الخليج العـربي بمـا هـو عظيم في قولـه: «هم نـاس بـدو، مـا عندهمش (ليست عندهم) ثقافة -إلا مثقفين مريدين- ويعتبروا بما أن هذا خواجـة وعلى أنـه فيلسـوف أسـلم فهـو..» ولمـا قاطعـه مقـدم البرنـامج بقوله: «ولكن دكتور، لماذا لا ننظر لهذا الموضوع -مثلًا- من وجهـه أخـرى يعني، لماذا لا يعتبر هذا التمجيد لجارودي تعبـير عن ربمـا عن رغبتهم في رؤيـة نمـوذج؟»؛ قـال: «لا، لا، يعتـبر تعبـير عن تخلـف ذهـني واضـح أولًا، وتعبير عن عدم الثقة في النفس، وفي آخر المطـاف أنـا عـدم الثقـة في النفس أعتبرها طبيعية، إذا أنت –فعلًا- متخلـف وتعـترف بـالتخلف، فـأنت رجل عندك توازن عقلي، توازن عقلي هو ما فيهاش (ليس فيهـا) اختلال، إذن أنت ضعيف، وتعترف بأنك ضعيف، وتخضع للواقع، فأنت من الوجهــة النفسية مش (لست) مختل، أنت لست بمختـل، ليس بمختـل، أنت جيـد، لكن ضــعيف لا شــيء.» .. إذن أهــل الخليج (أهـل بلادةٍ) لأنهم يبجلــون (جـارودي) الـذي كـان في يـوم مرشـحًا لرئاسـة فرنسـا عن الحـزب الشيوعي، وأمّا «هشام جعيط» الذي يسبّح بحمد فرنسـا، ويتخـذها قبلـة؛ فلا لوم عليه!؟!

إنّه مرض نفسي شائع عند بني (علمان)، وهو (الإسقاط النفسـي) بـرمي مخالفيهم بما باؤوا به من الخسران والعقد المرضيّة التي لا سـبيل لفكّهـا إلاّ بدعوة مستجابة في جوف الليل!

السماوات تطوى: ((وتنحل كل كـواكب السـماء، وتطـوى السماوات كدرج)) (إشعياء 34/4)

النجوم تتسـاقط: ((وحـالًا بعـد الضـيقة في تلـك الأيـام، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهـاوى النجـوم من السماء)) (متّى 24/29)

((وتتهاوى نجوم السماء)) (مرقس 13/25) .. مع الملاحظـة أنّ القـرآن الكـريم يتحـدّث عن اختلال الكـون، ولا يـذكر سقوط النجوم على الأرض!

الشمس تكفهر فاقدة لضوئها: ((وتتحول الشمس إلى ظلام)) (يوئيل 2/31)

((قد أظلمت الشمس والقمر، وكفت الكـواكب عن الضـياء)) (يوئيل 3/15)

((وعندما أخمـدك أحجب السـماوات وأظلم نجومهـا، وأكفن الشمس بسحاب، ولا ينير القمر بضـوئه. وأعتم فوقـك كـل أنوار السماء المضيئة، وأجعل الظلمـة تغمـر أرضـك يقـول السيد الرب.)) (حزقيال 32/7-8)

((فإن نجوم السـماء وكواكبهـا لا تشـرق بنورهـا، والشـمس تظلم عند بزوغها، والقمر لا يشع بضوئه.)) (إشعياء 13/10)

((وحالا بعد الضيقة في تلك الأيـام، تظلم الشـمس، ويحجب القمر ضوءه)) (متى 24/29)

أمّا فيما يتعلّق بالعلامة الرابعة، فإنّنا لا نجد في القرآن الكريم حديثًا عن (ذوبان الأرض)، وإنما تُدك الجبال دكًا[760]، فأين التطابق اللفظي بين القرآن الكريم وما ذكره «أفرام»؟! ومع ذلك نقول إنّ هذا الوصف قد ورد في الكتاب المقدّس، وليس هو من مبتكرات «أفرام»:

«تتزلزل الجبال أمامه، وتذوب التلال.» (ناحوم 1/5)

«فتذوب الجبال من تحت قدميه، وتتصدع الوديان كالشمع أمام النار، كالمياه المنصبة في المنخفضات» (ميخا 1/4)

«في ذلك اليوم، تزول السماوات محدثة دويًا هائلا وتنحل العناصر محترقة بنار شديدة، وتحترق الأرض وما فيها من منجزات» (2بطرس 3/10).

وأضاف «الهش...» أنّ القرآن الكريم قد أخذ من «أفرام» قوله: «الساعة تأتي بسرعة لمح البصر» وذلك في قوله جلّ وعلا: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ}[761، 762] رغمّ أنّ:

1- وصف حدوث الأمر السريع بأنّه يقع في لمح البصر، هو من المشترك البشري في الوصف؛ فهو موجود في الكتابات الأدبيّة في عامة

---

760 {وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَة}سورة الحاقة/ الآية (14)

761 سورة النحل/ الآية (77)

762 انظر؛ هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/168

لغـات العـالم بصـورة مكثّفـة، وليس هـو من مبتكرات «أفرام». والشاعر العربي يقول:

ما بين عين **وانتباهتها** *** يغيّر الله من حال إلى حال

بـل لـو كـان «الهش...» يملـك من أدوات النظـر مـا يؤهّلـه للحـديث في هـذا البـاب دون نقـل مِسـطري (أعشـى) بـل (أعمى)؛ لَعَلِمَ أنّ تشبيه حـدوث الأمـر السـريع بلمح البصـر معروف أيضًا في الكتابات اليهوديّة الدينيّة القديمة، ويكفيـه أن ينظر في أهم معجم للتلمود والمدراشات والترجومات «*A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature*» تحت كلمة «**הרף**»؛ ليدرك أنّ هذا التعبير قد ورد في التلمود الأورشليمي وغيره.[763]

הֶרֶף m. (רפף, v. הֲרִיפָה) *trembling;* ה׳ עַיִן *wink, an indefinable portion of time.* Y. Ber. I, 2[b] bot. בין השמשות כה׳ ע׳ the time called *ben-hash-sh'mashoth* is really like a wink of the eye. Ib.[c] top. Ib[d] top; Lam. R. to II, 19; v. רֶגַע. Cant. R. to III, 6 בה׳ ע׳ (not כה׳) instantaneously; a. fr.

2- لم تقـترن عبـارة «في لمح البصر» في كتابـات «أفرام السـرياني» بقيـام السـاعة-كمـا يـوحي إلى ذلـــك كلام «الهش...» من طـــرف خفي

763 Marcus Jastrow, *A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature*, London: Luzac, 1903, 1/368

ليثبت هــذا التطــابق (المــدهش!!) بين كلام «أفرام» و(النص القرآني)!-؛ وإنّما كان «أفرام» يكـثر من اسـتعمال هـذا التعبـير في كتاباتـه للدلالة على سرعة وقوع الأمر؛ فقد ذكـر هـذا التعبـير –مثلًا- أربـع مـرات في تعليقـه على الفصـلين الأولين من سـفر التكـوين[764]، رغم سعة معجمه البياني!

3- ورد هـذا الوصـف ذاتـه في الكتـاب المقـدّس: «في لحظة، بل في طرفة عين عندما ينفخ في البـوق الأخـير. فإنـه سـوف ينفخ في البـوق، فيقــــوم الأمــــوات بلا انحلال. وأمــــا نحن، فسنتغير.» (1كورنثوس 15/52).

لاحـظ عبـارة وصـف سـرعة النفخ في الصـور دلالـة على قيامة الأموات: «εν ριπη[765] οφθαλμου» «في طرفـة عين»، وهي في الترجمة السريانيّة «[illegible]» «رفـاف عينا» أي رفّة عين-نفس المعنى- بلغة ساميّة كاللغة العربيّة ..

---

764 انظر؛ St Ephrem the Syrian, *The Fathers of the Church, St. Ephrem the Syrian, selected prose works*, tr. Edward G. Mathews and Joseph P. Amar, D.C : Catholic Univ. of America Press, 1994 , pp.80-89-98-105

765 بعض المخطوطات اليونانيّة تستعمل كلمة «ροπη» مكان «ριπη» (P46, D*, F, G, 0243, 6, 1739), والكلمتـان بنفس المعـنى (انظر؛ Joseph Fitzmyer, *First Corinthians, A New Translation with Introduction and Commentary*, London : Yale University Press, 2008, p.605)

ولنا أن نسأل هنا: كيف يُنسب (أصل) الاقتباس إلى «أفـرام السرياني» الذي عاش في القرن الرابع رغم أنه موجود في رسالة «لبـولس» من القـرن الأوّل؟! إنّـه الجهـل يـدبّ على أظلافه!!

4- اســتعمل القــرآن الكــريم نفس العبــارة في موضع آخر بما يبعد وهم نقـل العبـارة للمعـنى الأوّل -يـوم القيامـة-: {وَمَـا أَمْرُنَـا إِلاَّ وَاحِـدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}[766]؛ فأمر الله للشيء أن يكـون سريعٌ، بكلمة (كن)؛ فيكون.

5- الآية القرآنية عينها التي استدلّ بهـا «الهش...» تقول: {وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْـرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَـرِ أَوْ هُـوَ أَقْـرَبُ إِنَّ اللّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}[767] .. فالآية تجعل أزوف يوم القيامة أقرب من لمح البصر!

وعليّ أن أضـيف هنـا أنّ «هشـام جعيط» وإن كـان يشـارك «تــور أنــدري» أســلوب التــدليس، إلاّ أنّــه يفوقــه بمنهج «استحمار» القارئ؛ إذ إنّ «تور أندري» قد أحـال القـارئ في الهــامش إلى نصّ 1كورنثــوس 15/52[768] لعلمــه أنّ من القــرّاء من لهم (علم)، ويقــرؤون (بــأعين مفتوحــة)، أمّــا

766 سورة القمر/ الآية (50)

767 سورة النحل/ الآية (77)

768 انظر؛ Tor Andrea, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1955, p.148

«جعيط» فقد ساق الأمر على أنّه من نوادر «أفرام» بصورة صارخة، لظنّه أنّه من اليسير سوق القرّاء العرب إلى حتفهم كما تساق (الأغنام) أو عامة (بهيمة الأنعام) إلى مسلخها!

وممّا (افتراه)- وقل إن شئت من غير وجلٍ- (نهبه) من غيره، قوله إنّ القرآن الكريم قد أخذ من «أفرام» أمر نفختي الصور عند القيامة. وقد أورد هذه الدعوى في سياق ينضح بالتعالم والغرور –على ما في الرجل من فقر (أنيمي) حاد!-؛ فقد قال: «قد يكون أندري محقًا عندما يعتبر أنّ هذه الرؤى وبُنى التقوى الممزوجة بالخشية لدى إفرائيم وفي القرآن إنما هي نماذج دينيّة مقولبة، كليشيهات معبّرة عن منهاج الذهنيّة الساميّة آنذاك، فينكر أيّ نقل مباشر من القرآن عن إفرائيم. لكنّ ذهنيّة عرب الحجاز ليست ذهنيّة أهل الشام ولا الحيرة ولا الغساسنة، فهم لا يدخلون في قوالب الكليشيهات المسيحيّة الشرقيّة التي قد تتمايز عن التقليد القبطي. فمحمد رجل من نمط آخر، ومن ناحية أخرى إذا تابعنا نقاط الشبه حتى في الشكل وفي التفاصيل، فهي تتكاثر. مثلًا: نفختان في الصور عند إفرائيم بخصوص قيام الساعة، توازيها الآية 8 من سورة الزّمر حيث نجد نفس الفكرة.»[769]

قلت:

---

769 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/168

1- أمـــر النفخ في الصـــور ثـــابت في الكتـــاب المقــدس في أكــثر من الموضــع دلالــة على أزوف الأمـــور الأخرويّــة –بمعناهـــا الأرضـــي والسماوي-770، وأن يكـون التشـابه في العـدد القليل: هل هـو واحـد أو اثنـان أو ثلاث؛ فـذاك مما لا يعتدّ به ليبنى عليه وهم الاقتباس؛ خاصة إذا كـان المعـنى هـو: نفخـة أولى ليمـوت من بقي من الخلق، والثانية؛ ليحـيى كـل الأمـوات؛ فهذا مما يتبادر إلى المنطق البشري بعد علمه أنّ القصـد من النفخ هـو الإعلان والانتقـال من حال إلى حال، من الـدنيا إلى الآخـرة؛ إذ ليس الرقم كبيرًا أو مركّبًا حتى يكون التطابق محـلّ ريبة ومصدر إثارة للذهن!

2- اختلف أهل العلم المسلمين في عدد النفخـات هل هما نفختان أم ثلاث، وقد اختار بعض أهــل العلم أنهـــــا ثلاث نفخـــــات كالإمـــــام «ابن العربي»،771 وقيل أيضًا أربع نفخات.772

3- من الممكن أن يفهم من الكتـــاب المقـــدس وجـــود نفخـــتين للقيامـــة، واحـــدة لمختـــاري المسيح: «لأن الرب نفسه سينزل من الســماء

770 انظر؛ إشعياء 27/13، يوئيـل 2/15، الرؤيـا 8/2، 6، 13، 11/15، متّى 24/31، 1كورنثوس 15/52، 1تسالونيكي 4/16.

771 انظـر؛ العيـني، عمـدة القـاري، 23/99، القرطـبي، الجـامع لأحكـام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ، 1985م، 13/240

772 ابن حجر، فتح الباري، 8/552

حالما يدوي أمر بالتجمع، وينادي رئيس ملائكة، ويبوق في بوق إلهي، عندئذ يقوم الأمـوات في المسـيح أولًا.»773، والأخـرى لعامـة الأمـوات «في لحظة، بل في طرفة عين عندما ينفخ في البـوق الأخـير. فإنـه سـوف ينفخ في البـوق، فيقـــوم الأمـــوات بلا انحلال. وأمـــا نحن، فسنتغير»774؛ فلعلّ الفهم ينساق إلى أن يفهم من كلمـة «البـوق الأخـير» أنّ البـوق الأوّل هـو لمختاري المسيح.775

4- من التـــدليس (اللاأخلاقي) الـــذي مارســـه «الهش....» احتجاجـه بمـا أورده «تـور أنـدري» للقـول بالتشـابه بين القـرآن الكـريم وبين مـا قاله «أفرام» حول النفخـتين، رغم أنّ الصـورة في حقيقتهـا هي أنّ «تـور أنـدري» قـد ذكـر أنّ «أفرام» قد قال إنّـه في اليـوم الأخـير من هـذا العالم تكون هناك قصفة رعد قويّة، عند أزوف يوم القيامـة، «يـأتي فجـأة من السـماء ضـجيج

773 1تسالونيكي 4/16، وانظر أيضًا متّى 24/30

774 1كورنثوس 15/52

775 عامـة المفسّـرين للكتـاب المقـدس على أنّ النفخـة واحـدة فقـط، وقيل هي النفخة السابعة والأخيرة (يوحنا يذكر سبع نفخـات، الرؤيـا 8/2، 6) (انظر؛ Adam Clarke, *The Holy Bible, Containing the Old and the New Testament*, New York: Phillips & Hunt, 1823, 2/263)

كبـــير ورعـــود مخيفـــة وبـــروق مفزعـــة وزلازل.›› 776، هذا ما قاله ‹‹أفـرام›› عن العلامـة الكبرى ليوم القيامة، وقد اعترف ‹‹تور أنـدري›› أنّ ‹‹أفرام›› لم يصرّح هنا أنّ الحديث عن النفخ في البـوق، وللخـروج من هـذه الورطـة ادّعى ‹‹تور أندري›› دعوى فاقعـة، باقعـة من بواقعـه؛ فقـال: ‹‹لم يُـذكر صـراحة هنـا عنـد أفـرام (ولا حتّى في القـرآن) أنّ هـذه الصـرخة المخيفـة التي تهزّ العالم هي النفخـة الأولى في البـوق، لكن يبدو لنا أنّه لا بد من اعتبار الأمـرين شـيئًا واحدًا.›› 777

وهنـا ثلاث دعـاوى قبيحـة تكشـف اجتمـاع التـدليس والجهل في (رأس) ‹‹تور أندري››:

أولهـا: صـرّح القـرآن الكـريم أنّ هنـاك نفخـتين في الصور، بوضوح وجلاء؛ قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَــعِقَ مَن فِي السَّــمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَـــاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيـــهِ أُخْـــرَى فَـــإِذَا هُم قِيَـــامٌ يَنظُرُون}778 لا كما ادّعى ‹‹تور››!

---

776 Tor Andrae, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, 1955, p.147

777 المصدر السابق

778 سورة الزمر/ الآية (68)

ثانيها: من الجليّ البيّن أنّ «أفرام» كـان يتحـدّث عن صوت رعد، وجلبة عظيمـة مخيفـة، ولا يمكن ادّعـاء مطابقـة هـذا الوصـف لصـوت البـوق المميّـز في الكتاب المقدس والكتابات الكنسيّة.

ثالثهـا: ذكـر «تـور» في تتمّـة حديثـه عن «أفـرام» أنّ الموتى يقومون بعد ذلك عند نفخـة البـوق[779]، ممّـا يعني أنّ «أفرام» لم يتحاش في هذا المقام التصريح بأمر البوق؛ فإذا كان قد صـرّح في الثانيـة بـأمر ورد في الكتاب المقدّس كما سبق ذكره، فلِمَ لم يصـرّح به في الأمر الأوّل؟!!

5- لقد تحـدّث «أفـرام» في موضـع آخـر من كتاباتـه عن نفخة البوق، ولم يشر إلى غير واحدة[780].

6- يبدو أنّ «أفرام» كان يقتبس من سفر الرؤيا عنـد حديثه عن الرعد والبرق والزلازل:

«ثم ملأ الملاك المبخرة من النار التي على المـذبح وألقاها إلى الأرض، فحدثت رعـود وأصـوات وبـروق وزلزلة. واستعد الملائكـة السـبعة، أصـحاب الأبـواق السبعة، لينفخوا فيها.»[781]

---

779 انظر المصدر السابق

780 انظر؛ *Select Works of S. Ephrem the Syrian*, tr. J. B. Morris, Oxford: John Henry Parker, 1847 , P. 353

781 رؤيا 8/5-6

«ونفخ الملاك الســابع في بوقه فســمعت أصــوات عالية في السماء تقول: «قد صار ملك العـالم لربنـا ومسيحه. إنه يملك إلى أبـد الآبـدين... وانفتح هيكـل اللـه في السـماء، وظهـر تـابوت العهـد في داخلـه. وحدثت بروق وأصوات ورعـود وزلزلة، وسـقط بـرد كبير»782

«وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العـالم كلهـا في مكان يسمى بالعبرية «هرمجدون»، ثم سكب الملاك السابع كأسه على الهواء، فدوى صـوت من العـرش في الهيكل السماوي يقول: «قد تم!» فحدثت بــروق وأصوات ورعود وزلـزال عـنيف لم تشـهد الأرض لـه مثيلا منذ وجد الإنسان على الأرض، لأنه كـان زلـزالا عنيفا جدا!»783

وفي الختـــام .. أقـــول؛ إنّــه ممّــا يصــيب المـــرء (بــالحيرة)، أنّ «الهش...» المتفــرنج -رديء العقــل والكتابــة-، جـريء جـدًا على علمـاء الإسـلام؛ فقـد أسقط كلّ علم «البخاري» و«مسلم» وأئمـة الحـديث في كتابــه، بكــل وقاحــة لا تمت للعلم بنســب ولا وشيجة، لكنّه منبطح –شديد الانبطاح- إذا تعلّق الأمر بأصحاب العيون الزرق؛ إنّه يشعر أمامهم (بالذوبان) و(السيلان) و(التبخّر) فـ(الفنـاء)؛ حتّى إنّـه قـد قـال في هذا المنصّر –«تور أندري»-: « في الثلاثينــات من

782 رؤيا 15/11-19

783 رؤيا 16/16-18

القرن العشرين، خصّص كتابًا كاملًا عنونه بــ أصول الإسلام والمسيحيّة درس فيه عن كتب الموافقات الكبيرة بين المسيحيّة السوريّة وبين القرآن الأوّلي (!!)، يعني بذلك الأغراض الإسكاتولوجيّة الخاصة بالآخرة. وكتابه دقيق جدًا لمعرفة الرجل بهذه المسيحيّة السوريّة ولمعرفته الجيّدة بالقرآن أيضًا.)) [784] .. مع أنّ الرجل ليس من المتخصّصين – بالمعنى الأكاديمي- في النصرانيّة الشرقيّة[785]، وهو شديد التكلّف في دعواه، أمّا معرفته بالقرآن الكريم، فقد استبان لك في إنكاره أن يكون القرآن الكريم قد صرّح بنفختين في الصور/البوق، ما يكفي لتعلم أنّ (أربـاب) ((الهش...)) لهم من الهشاشة نصيب ورصيد![786]

على أنّ الإنصاف يقتضي منّا أن نقول أيضًا إنّ ((الهش....)) وإن ادّعى أنّه ينقل أصل الفكرة ومادتها من ((تور أندري))، إلاّ أنّ ((تور أندري)) قد كرّر في الحقيقة اعتقاده أنّ الرسول لم يعرف النصرانية مباشرة، وإنما خبر أمرها من نصارى لهم معرفة **ضعيفة** بالنصرانيّة[787]، بل وذهب ((تور أندري)) إلى ردّ تاريخيّة قصّة التقاء الرسول ((ببحيرى)) الراهب،

784 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/165

785 كان مدرسًا لتاريخ الأديان، وله اهتمام (بالتصوّف الإسلامي)

786 لا تظهر مراجع كتبه حول الإسلام سعة اطّلاع ولا تنوّع معرفة بأبواب العلوم الإسلاميّة!

787 تكرّرت دعوى أنّ القرآن الكريم يعكس معرفة ضعيفة ومشوّهة بالنصرانيّة، وحجّة هؤلاء هي وجود (أخطاء)(!) في القرآن الكريم في نقل صورة النصرانيّة، وهي:

محتجًا بأمرين أساسيين وهما أنّ الرسول لم يُظهر معرفة بالأحوال الشكليّة الخارجيّة للنصارى، وأنّ ما ذكره في القرآن الكريم عن النصرانيّة فيه ضعف وغلط (!) لا يظهران معرفة جيدة بالنصرانيّة788.. في حين ذهب ((الهش...)) في المقابل إلى أنّ الرسول عظيم المعرفة

---

(1) قول القرآن إنّ (مريم) أم (عيسى) عليهما السلام هي نفسها أخت (مريم) أخت (موسى) عليه السلام المذكورة في العهد القديم.

النص المستدل به من طرف هؤلاء المخالفين هو: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}[مريم:28]

الرد:

أ- وردت هذه الشبهة على لسان النصارى في زمن البعثة النبويّة، **وردّ عليها الرسول صلّى الله عليه نفسه**؛ فقد روى مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النَّهْيِ عَنِ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الأَسْمَاءِ، ح/(2135)، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: ((لما قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا . فَلما قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ **بِأَنبِيَائِهِمْ** وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ.))؛ فالأخوّة هنا ليست أخوة الدم والنسب.

وقد جاءت عبارة: ((أخت هارون)) –في القصّة القرآنيّة- على لسان الإسرائيليين من قوم ((مريم)) عليها السلام، وسببها استغرابهم أن تقع هذه الفتاة الصالحة التي هي من نسل النبي ((هارون)) الصالح، في الزنى؛ فتذكيرها بأصلها الشريف فيه مبالغة في التقريع واللوم الشديدين. ونصوص الأناجيل ذاتها دالة على أنّ ((مريم)) هارونيّة كما سنبيّنه في موضع آخر من هذا الكتاب.

إذن؛ قد سمى القوم ((مريم)) عليها السلام باسم أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو النبي الذي جاءت من نسله.

ب- الخلط بين (مريم) أخت (موسى) عليه السلام و(مريم) أم المسيح عليه السلام، غير متصوّر البتة؛ لأن هذا الأمر يقتضي أن يكون (موسى) خال (المسيح) عليهما السلام، ونحن لا نجد أدنى أثر لهذا الأمر في القرآن الكريم ولا السنّة النبويّة، وقد جاءت الأخبار الكثيرة في القرآن والسنّة في سير الأنبياء عليهم السلام، ولم يرد البتة ما يظهر أو حتى

بالأسفار المقدّسة، و(متخصص) في الدراسات الكتابيّة الخاصة بالكنيسة السوريّة، وصاحب مطالعات جمّة في الآبائيات، خاصة المؤلّفات الضخمة «لأفرام»!!

الغنوصيون، وآباء الكنيسة السورية وتحريف اليهود:

يوهم القارئ وجود هذه القرابة اللصيقة المباشرة بين هذين النبيين. وهذا أمر على درجة كبيرة من الأهميّة مما لا يمكن أن يختفي بين السطور.

ت- قوله تعالى عن المسيح: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا **النَّبِيُّونَ** الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ...}سورة المائدة/ الآية (44) دليل على أنّ هناك الكثير من الأنبياء الذين جاؤوا بعد «موسى» عليه السلام، حكموا بعين أحكام التوراة، وكانت رسالتهم كلّهم في بني إسرائيل. ومعلوم أنّ «عيسى» عليه السلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل عند المسلمين (روى البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ح/ 3442، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوله عن المسيح: «ليس بيني وبينه نبي»). فلا شك إذن أنّه كان هناك أنبياء كثر بين «موسى» عليه السلام و«عيسى» عليه السلام.

ومما يزيد في توضيح هذه الحقيقة القرآنيّة قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}سورة البقرة/ الآية (246) إلى قوله {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ } سورة البقرة/ الآية (251)؛ مما يعني أنّ «داود» عليه السلام قد عاش بعد «موسى» و«هارون» عليهما السلام، ومعلوم أنّ النصارى يرون أنّ المسيح هو ابن «داود» البعيد جيلًا، فكيف يكون القرآن قد خلط بين زمني «هارون» و«موسى» عليهما السلام و«عيسى» عليه السلام؟!

وقد أقرّ عدد من المستشرقين أنّ السرد التاريخي القرآني يمنع بلا شك أن يُظنّ فيه أنّه قد خلط بين المريمين، ومن هؤلاء «سال» «Sale» و«جيروك» «Gerock» (انظر؛ فنسنك، موسوعة الإسلام، 3/359، الطبعة الأولى، نقله، عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ص 175)

ث- «مريم» التوراتيّة أخت «هارون» عاشت مرحلة شبابها بجانب أخويها «موسى» و«هارون»، في حين أنّ «مريم» أم المسيح، عاشت في القرآن

قال ((الهش...)) بعد أن اختلط عليه أمر معرفــة ((كوعه)) من ((كرســوعه)): ((أمّــا اتّهــام اليهــود في القــرآن بــأنّهم حــوّروا الكتـاب فهي (كـذا!)، أيضًـا من تـراث اللاهوتـيين السـوريين مرورًا بالغنوصيين القدامى، وهؤلاء كانوا من أعداء الــتراث اليهـودي. فتهمـة القـرآن لليهـود لا ترجـع فقـط إلى كـونهم

الكريم والأناجيل في بيئة أخرى مختلفة تمامًا، فبينهمـا تباعـد في الزمـان والمكان.

(2) القرآن الكريم يقول إنّ التثليث النصراني هو: الآب والابن ومـريم، في حين أنّ التثليث النصراني هو: الآب والابن وروح القدس.

النص المستدل به من طرف هؤلاء المخالفين هو: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}سورة المائدة/ الآية (116).

الرد:

أ- قال ((الألوسي)) في تفسيره: ((روح المعاني)) 7/84: ((واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحداً من النصارى اتخـذ مـريم عليهـا السـلام إلٰهـاً. وأجيب عنه بأجوبة.

الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً لزمهم أن يجعلـوا والدته أيضاً كـذلك لأن الولـد من جنس من يلـده فـذكر { إِلَٰـهَيْنِ } على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإلٰه أطلق عليها اسم الإلٰه كمـا أطلـق اسم الـرب على الأحبـار والرهبـان في قولـه تعـالى:{ ٱتَّخَـذُوٓاْ أَحْبَـٰـرَهُمْ وَرُهْبَـٰــنَهُمْ أَرْبَابــاً مِّن دُونِ ٱللَّهِ } ســورة التوبــة/ الآيــة (31) لمــا أنهم عظموهم تعظيم الرب. والتثنية حينئذٍ على حد ـ القلم أحد اللسانين ـ.

والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضـد هـذا القـول مـا حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كـان فيمـا مضـى قـوم يقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنها إلٰه. وهذا كما كـان في اليهـود قوم يعتقدون أن عزيراً ابن الله عز اسمه)).

ب- الآية القرآنيّة تتحدّث عن (اتّخاذ) ((مريم)) كإلهة؛ والاتّخاذ يقصد به هنـا –في هذا السياق- (الممارسة) و(التعاطي) معها كإلهـة، أي صـرف أنـواع العبادة إليهـا، كالتوسّـل والـدعاء. وتتّهم الكنيســة المصـريّة الأرثوذكسـيّة

فسخوا التنبّؤ بالرسول كما ترى ذلك التفاسير، بل هي أعمّ وأعمـق وترجـع إلى عهـد قـديم وقـد تبنّتهـا على أيّـة حـال الكنيسة السوريّة.»789

قلت: هنا، (محنة العقل) (وانقطاع أبهــره) .. إنّ «الهش...» يحتاج بحقّ (رقية شرعية)، وإن زيـد لـه من (كـريم، سـخي

(المرقسيّة) صراحة أكـبرَ كنيسـة في العـالم (الكنيسـة الكاثوليكيّـة) أنّهـا تؤلّه «مريم» من هـذا البـاب؛ فقـد جـاء في «موسـوعة الخـادم القبطي» الجزء الثاني (أ) لاهوت مقارن، ص 89-90:ـ «الكنيسـة الكاثوليكيّـة تؤلّـه العذراء مريم وتقول إنّها صعدت حيّة إلى السماء وتصنع لها التماثيــل في كنيستهم، كمـا يصلّون للعـذراء مـريم، ويعتقـدون في الثـالوث المـريمي والحبل بلا دنس مثل المسيح له المجد.» (نقله؛ معاذ عليّان، عبادة مــريم في المسيحيّة والظهورات المريميّـة، القـاهرة: مكتبـة النافـذة، 2009م، ص 5). وقـال الأنبـا «غريغوريـوس» الـذي يعـدّ من أكـبر أعلام الكنيسـة المصــريّة الأرثودكسـيّة (المرقسـيّة) في القــرن العشــرين، في كتابــه: «العذراء مـريم، حياتهـا، رموزهـا، وألقابهـا، فضـائلها، تكريمها» ص 129: «وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقـام الألوهيّة والعصـمة كـذلك ضـلّ البروتستانت ضـلالًا شـنيعًا حين احتقروهـا...» (عليـان، ص 7)، وقـد اتّهم البروتستانت أيضًا الكاثوليك بعبـادة «مـريم»؛ فقـد قـال القس «صـموئيل بندكت» في كتابه: «العقائـد الكاثوليكيّـة في الكتـاب المقـدس»: «تصـلّي الكنيسة الكاثوليكيّة لله، ولكنّها تصلّي لمريم أكثر ممّـا لله.» (عليـان، ص 11).

واعـترفت الراهبـة «مـاري آن كولـنز» بهـذه الحقيقـة في كتابهـا «عبـادة مريم، دراسة خاصة بالممارسات والمذاهب والعقيدة الكاثوليكيّة» بقولها: «كمؤمنة كاثوليكيّة، وبعـد ذلـك كراهبـة، مارسـتُ عبـادة العـذراء لأعـوام عديدة دون أن أكون مدركة لذلك.» (عليان، ص 20).

وقال الأب «أوغسطين دوبره لاتور» في كتابه «خلاصة اللاهوت المريمي» الصفحة 98:ـ «أعطى الابن أمّه، على نحو مخلوق، المشاركة في الكيـان الإلهي.» (عليان، ص54).

وجاء في «وثائق المجمـع الفاتيكـاني الثـاني المسـكوني» (صـفحة 435) الذي انعقـد في العقـد السـادس من القـرن العشـرين: «انتقلت العـذراء النقيّة التي عصمها الله من وصمة الخطيئـة الأصـليّة، جسـدًا وروحًـا، إلى المجد السماوي. وهكذا أقامها الربّ ملكة العالمين، لتكـون أكـثر تشـابهًا

النفس) بعض دروس –بـــل قـــل ((كورســـات))- في النقـــد الكتــابي والآبائيــات وتــاريخ الكنيســة، فــذاك (زيــادة) في العطاء لعليل أسكره (هواه) وأغراه (جهله) على أن يرسـل (لسانه) في غير ميدانه ..
وأقول:

بابنها ربّ الأرباب)) (عليان، ص41)
وقال المؤرّخ ((أندرو ملر)) في كتابـه ((مختصـر تـاريخ الكنيسة)) ص 292، عن الكنيسـة في قرونهـا الأولى: ((نشـأت عبـادة مـريم أصـلًا من الـروح التقشفية التي سادت في القـرن الرابـع ... أصـبح من المعتـاد أن يطلـق على العذراء مريم اسـم والـدة الإلـه الأمـر الـذي تسـببت عنـه المجادلـة النسطوريّة غير أنّه رغمًا عن كل معارضة انتشرت العبادة المريمية. وفي القرن الخامس وضعت في جميع الكنائس تماثيل وصـور جميلـة للعـذراء وهي تحمـل بين ذراعيهـا الطفـل يســوع وبهـذه الصـور تطـورت الأمـور بصورة غريبة حتى صارت العذراء غرضًا مباشرًا للتعبد وأصبحت المريمية من ذلك الحين هي شهوة كنيسة الله المتحكمة فيها.)) (عليان، ص 12)
وتصوّر موسوعة الأديان ((*The Encyclopedia of Religion*)) الواقع العقدي الذي كان في القرن الخامس في الشرق (أي في فترة قريبة من البعثــة النبويّة المباركة): ((في السجالات المسيحانيّة في القرن الخامس، أخذت مريم أكثر فأكثر من مقام ابنها)) ((In the Christological controversies of the fifth century, Mary took on more and more of the status of her Son)). Mircea Eliade, eds. *The Encyclopedia of Religion*, New York: Macmillan Publishing Company, 1987, 9/251
ت- استبعد عدد من المستشرقين أن يكون القرآن أخطأ في هذا المقــام وإن كــانوا مــع ذلــك يــردّون إلهيّــة النص القــرآني، ومن هــؤلاء المنصّــر ((صــاموئيل زويمر)) المعــروف بتكلّفــه الشــديد في الطعن في الإســلام، والســبب هــو أنّ التثليث النصــراني معــروف، ومن الممتنــع في مجــرى العادة أن يخطئ في وصفه من عاش في بيئة العرب كما يقـول ((زويمر)) (انظر؛ Samuel Zwemer, *The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition,* pp.88-92)
وهــو مــا رجحتــه ((موســوعة الإســلام)) ((*Encyclopaedia of Islam*)) الاستشراقية بقولها إنّ هـذه الآيـة تعكس ممارسـة تقـديس ((مـريم))، ولا تشير إلى أي اعتقاد ديني خاص (انظر؛ A. J. Wensinck, ‘*Maryam,*’ in P.

1- هـل أطبـق الغنوصـيون على القـول بتحريـف اليهـود لأسـفارهم؟ طبعًـا لا! والسـبب هـو أنّ (الغنوصيّة) ليست فرقـة محـدّدة المعـالم، بـل هي وعاء لجماعات دينية ذات منظـور اتّسـعت فيه دائرة الخلاف إلى درجـة العجـز عن ضـبط حدوده، وسـبب ذلـك انطلاق النقـاد في ضـبط ماهية الغنوصـية من مجمـوع الأقـوال والفـرق الـتي عـدّها الآبـاء غنوصـيّة، ولم ينضـبط إلى

Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. (Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, 2010

(3) يذكر القرآن الكريم أنّ النصارى يؤلهون علماءهم ورهبانهم.

النص المسـتدل بـه من طـرف هـؤلاء المخـالفين هـو: {اتَّخَـذُواْ أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون} سورة التوبة/ الآية (31)

الردّ:

أ- فسّـر الرسـول صـلّى الله عليـه وسـلّم بنفسـه هـذا النصّ؛ فقـد روى «الترمذي» عن «عدي بن حاتم» قال : أتيت النبي صلى الله عليـه وسـلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة}اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله{. قال أما إنهم لم يكونـوا يعبـدونهم ولكنهم كـانوا إذا أحلّـوا لهم شـيئا اسـتحلوه وإذا حرمـوا عليهم شـيئا حرمـوه.» (حسـنّه الألبـاني). فالعبـادة هنـا هي الطاعة في التحليل والتحريم.

ب- الظنّ أنّ عـرب الجزيـرة كـانوا يعتقـدون أنّ النصـارى يؤمنـون أنّ علماءهم ورهبانهم آلهة أزليّة، لا يمكن تصوّره أصلًا لنكارته الشديدة!

788 انظـر؛ Tor Andrae, *Mahomet, sa Vie et sa Doctrine*, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1945, pp.36-37, ,

789 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/174

اليـوم عنـد عامـة النقّـاد المتخصّصـين تعريـف للغنوصيّة![790]

2- اعتبر الكثير من النقاد إنجيل يوحنـا غنوصـيًا أو حاملا لمسحة غنوصيّة، ومع ذلـك لم يقـل أحـد إن هذا الإنجيل يقرّر تحريف اليهود أسفارهم.

بل وقالت «إلين باجلز» «Elaine Pagels»- أستاذة الدين في جامعة «برنسـتون» وإحـدى أشـهر المتخصصـات في الفكـر الغنوصـي في العــالم[791]، إنّ «بــولس» كــان غنوصــيًا وإنّ كتاباته التي تظهر معاداته للغنوصيّة، مزيّفة لا تصـحّ نسـبتها إليه[792]. ومـع ذلـك لا نـرى أثـرًا في رسـائله لاتهـام اليهـود بتحريـف النصـوص. ولا شـكّ أنّ غنوصـيّة «بـولس» حقيقـة مؤكدة في رسائله!

3- لم يكن الغنوصــيون مصــدر القــول بتحريــف اليهود لكتبهم، وإنّما كان فريق من الغنوصــيين (كــالمرقيونيين) يــردّون العهــد القــديم بأكمله باعتبار أنه كتاب يقدّم الإله في صـورة تخـالف صورة الإله الذي يمثّله المسيح[793]، ولمـا كـان العهد الجديـد يقـرّ بحجيّـة العهـد القـديم؛ فقـد

---

790 انظر في إشكالات ضبط ماهيّة الغنوصيّة؛ Karen L. King, *What is Gnosticism?*, Cambridge: Harvard University Press, 2003,pp. 5-19

791 من مؤلّفاتها في الغنوصيّة: *The Gnostic Gospels* (1979), *Adam, Eve and the Serpent* (1988), *The Origin of Satan* (1995), *Beyond Belief: The Secret Gospel of Thomas* (2003), *Reading Judas: The Gospel of Judas and the Shaping of Christianity* (2007).

792 انظر؛ Elaine Pagels, *The Gnostic Paul: gnostic exegesis of the Pauline letters*, Continuum International Publishing Group, 1992

قـــالوا بتحريـــف العهـــد الجديـــد نفسه[794] ..
وبالتالي «فمرقيون» لا يعترف بالعهد القـديم لا
أنه يقول بتحريفه، ولا يمكن البتّـة الربـط بينـه
وبين الآبـــاء الســـريان، إلاّ عنـــد مثقفي آخـــر
(زمـان) .. ورحم اللـه العلم الممتهن في هـذ
الزمان!!

4- قول «الهش..» إنّ الكنيسـة السـوريّة قـد تبنّت (بهذا الإطلاق) القول بتحريف اليهود لأسفارهم دليـل على أنـه لا يعـرف شـيئًا (ولا شـيء من الشـــيء) عن (الكنيســـة الســـوريّة) إذ إنّ (الكنيسـة السـوريّة) قـد قبلت العهـد القـديم اليهودي بأسفاره وألفاظه كـاملًا –في ترجمتـه السبعينية- باعتبار ذلك أحد أصول (اسـتقامتها) المقابلة لهرطقات بعض المارقين عن الإيمـان الحقّ!

ولو أنّه قرأ في أدبيات الدفاعيين السريان؛ لعلم أنّهم كـانوا كثـيرا مـا ينكـرون علي المسـلمين قـولهم تحريـف العهـد

---

793 انظــر: Sidney Greidanus, *Preaching Christ from the Old Testament: A Contemporary Hermeneutical Method*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1999, pp.18-19

794 انظر: Oskar Skarsaune, *In the Shadow of the Temple: Jewish Influences on Early Christianity*, IL:InterVarsity Press, 2002, p.255

القـديم، وممّـا اسـتدلّوا بـه لـذلك، أنّ العـداوة بين اليهـود والنصارى تمنع اتفاقهم على تحريف هذه الأسفار.795

5- ظهـرت تهمـة التحريـف بين اليهـود أنفسـهم، فهذه طائفة اليهود السـامريين تـردّ كـلّ العهـد القديم، باستثناء أسفاره الخمسة الأولى.796

6- اليهود هم أساسًا من يتّهمون النصـارى بقبـول أسفار يهوديّة غير مـوحى بهـا من الـربّ، وهي ((أبوكريفـا العهـد القـديم)) الـتي ردّهـا معهم البروتستانت حين نشوئهم!

7- ظهـر القـول بـالتحريف بين النصـارى بصـورة مبكّرة ولم يكن البتّة مخصوصًا بالآباء السريان ولا الغنوصـيين، وحجّـة هـؤلاء الأساسـيّة هي تحريف اليهود للبشارة بالمسـيح؛ إذ إنّ الـنزاع قد قام في القرون الأولى بين النصارى الـذين قبلوا الترجمة السبعينيّة اليونانيّة واليهود الذين أخذوا النصّ العبري، وكما يقول الناقد ((موسى ستيوارت)) ((Moses Stuart))797 فإنّه ((في الجـدل بين اليهـود الـذين لم يتحوّلـوا إلى المسـيحيّة،

---

795 انظر؛ Sidney Griffth, '*Jews and Muslims in Christian Syriac and Arabic texts of the ninth century*,' in *Jewish History*, Volume 3, Number 1, March, 1988, pp.67-69

796 تذكر بعض الكتب العربيّة أنّ السامريين يلحقون سفر يشوع بقائمة الأسـفار القانونيّـة، وهـذا خطـأ (انظـر؛ Carl Friedrich Keil, *Manual of historico-critical introduction to the canonical Scriptures of the Old Testament*, tr. George C. M. Douglas, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870, (2/344

والمسيحيين، حول معنى نبوءات العهد القـديم عن المسـيح، اتّهم اليهـود الترجمـة السـبعينيّة أنّها ترجمـة محرّفـة، في حين اتّهم العديـد من الكتـاب المسـيحيين اليهـود بتحريـف الأسـفار العبريّة.»[798]

ومعلوم لمن قرأ شيئًا (أو بعض الشيء) في الجدل الـديني النصراني-اليهودي المبكّر، اتهام قدّيس الكنيسـة «جسـتين» النصـراني، «لـتريفو» اليهـودي-في ردّه الشـهير عليـه الـذي ألّف في القرن الثاني ميلاديًّا- بتحريف اليهود لترجمة العهـد القـديم: «... لكنّـني بعيـد عن أن أضـع ثقـتي في أسـاتذتك (اليهود) الذين يرفضون قبـول صـحّة التفسـير الـذي قدّمـه السبعون شيخًا الذين كانوا مع بطليموس (ملك) المصريين، وقـد حـاولوا اختلاق آخـر. وأريـد منـك أن تلاحـظ أنّهم قـد حـذفوا (περιειλον) العديـد من نصـوص الترجمـات الـتي أنجزها هؤلاء الشيوخ السبعين الذين كـانوا مـع بطليمـوس، والتي أعلن فيها صراحة أنّ هذا الرجل الذي صُـلب هـو إلـه وإنسان، وأنّه صُلِب ومات.» [799]

---

797 موسى ستيوارت (1780م-1852م): عـالم كتـابي أمـريكي. أسـتاذ الكتابـات المقدسـة في (Andover Theological School). لـه عـدد من المؤلّفات في شرح أسفار من الكتاب المقدس.

798 M. Stuart, ‘*Inquiry Respecting the Origianl Language of Matthew’s Gospel, and the Genuinness of the First Two Chapters of the Same*...,’ in *The American Biblical Respository*, New York: Gould and Newman, 1838, 12/162

799 Justin Martyr, ‘*Dialogue With Trypho*, 71’ in *The Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885, 1/234

ولما طلب «تريفو» التفصيل في أمر هذا التحريف؛ ذكـر لـه «جستين» نصوصًا من سفر عزرا، وإرمياء، والمزامير.800

وقد اتهم قديس الكنيسة «يوحنا ذهبي الفم»-وهـو من أعلام الآباء اليونـان- أيضًـا اليهـود بتحـريفهم كتبهم وإفسـادها في تعليقه على نص متّى 2/32.801

وقــد قلت ســابقًا إنّ الحجّــة (الأساســيّة) لاتهــام اليهــود بالتحريف هي إخفاء خـبر (يسـوع المسـيح) .. وهنـاك حجج أخرى تكشـفها أقـوال الآبـاء أنفسـهم؛ فقـد جـاء في كتـاب أصدرته الكنيسة المرقسيّة المصريّة، واسمه: «العهد القديم كمـا عرفتـه كنيسـة الإسـكندريّة»: «أمّـا سـبب غيـاب بعض الأسفار اليونانية من العهد القديم العبري لدى اليهود فيرجع ـ حسب تعليل أوريجانوس ـ إلى رغبتهم في إخفـاء كـل مـا يمس رؤساءهم وشيوخهم، كمـا هـو مـذكور في بدايـة خـبر سوسنا: «وعُيّن للقضاء في تلك السنة شـيخان من الشـعب وهما اللذان تكلم الرب عنهما أنـه خـرج الإثم من بابـل من القضاة الشيوخ.» ويقدّم أمثلة من الأنجيل لتأكيد مـا يقولـه، حيث يخـاطب السـيد المسـيح الكتبـة والفريسـيين بقولـه: «لكي يـأتي عليكم كـل دم زكي سُـفك على الأرض من دم هابيل الصـديق إلى دم زكريـا بن برخيـا الـذي قتلتمـوه بين

النص اليوناني: S. Justin, *Philosophi et Martyris cum Tryphone Judaeo Dialogus*, ed. W. Trollope, Cambridge: J. Hall, 1846, 1/145, p.145.. وقد أشار محقق هذه النسخة في الهامش إلى أن «يوسابيوس» قـد ذكـر نفس التهمة في تاريخه 4. 18؛ وهو كما قال!

800 انظر؛ المصدر السابق، 1/234-235

801 انظر؛ John Chrysostom, '*Homily X*,' in *Nicene and post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1888, 5 /58-59

الهيكل والمذبح» (متى 23 / ـ 35) فالسيد المسيح هنا يتكلم عن وقائع حدثت، كما يكتب أوريجانوس، ومع ذلك لم تذكر في العهد القديم. ثم يتساءل: أين جاء في الأسفار المقدسة شيء عن الأنبياء الذين قتلهم اليهود؟ ثم يورد أوريجانوس مثلًا آخر من رسالة العبرانيين: « آخرون تجرّبوا ... نُشروا، جُرِّبوا ماتوا قتلًا بالسيف.» عب 11 /ـ 36 و37 لأنّه معروف في التقليد اليهودي خارجًا عن الأسفار العبرية أن أشعياء النبي فقط هو الذي نُشر بالمنشار.»[802]

لكن «الهش...» لا يقرأ .. ولا يعلم من العلم الذي يدّعي به علمًا قدر لمعة، ولو أنّه كان يعلم العلم الذي يزعم العلم به؛ لما أبان عن جهله بهذا العلم الذي يعلم هو نفسه ألا سبيل لتعليمه الناس إلاّ بالعلم بمقدماته ومواضيعه ..!!

إنّها عقول عليلّة أعلّها استعلاؤها بغير ما يُعليها على من تستعلي عليهم!

وصدق القائل: أهل (العقول)، في طمأنينة، وسكينة، وراحة، ونعيم .. واسترخاء!

8- قصرُ «الهش...» قول المفسّرين بتحريف اليهود أسفارهم، على محو البشارة بالرسول ﷺ، دليل على أنّه لم يقرأ هذه التفاسير، فقد نص غير واحد منهم على تحريف العقائد،

---

802 العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندريّة، دار مجلة مرقس، 1994م، ص 57-58 (نقله؛ علي الريس، تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، نسخة إلكترونيّة)

والشــرائع، والمنظومــة الأخلاقيّــة، وقصــص الخلق، وسير الأنبياء ...

الليتورجيات والبسملة:

قال «الهش...» : «... البدء بـ«بســم الله» للســور وُجِـد قبـل في «الليتورجيا» اليهوديّــة والمســيحيّة (زبــور 20/8، ومتّى 23/39)[803]

قلت:

1- الســور القرآنيــة تبــدأ بـــ«بســم اللــه الــرحمن الــرحيم» لا «بســم الله» .. وفــرق بين الاثــنين، خاصة إذا تعلّق الأمر بالحديث عن نسبة كتــاب إلى الاقتباس من غيره!

2- البداءة بالبسملة معروفة في الكتابـات الدينيـة القديمــة المــدّعى لهــا القداســة؛ إذ هي إعلان لافتتــاح قــراءةِ كلام مميّــز في أصــله ومبنــاه، وليست هي من (غرائب) اليهوديّـة ولا (فرائـد) النصرانيّة ولا (نوادر) المجوسيّة ...

3- نص العدد الثامن من المزمور 20 الذي قصده «الهش...» موجود في الكثـير من الـتراجم في العدد الســابع، وهــو يقــول: «يتّكــل هــؤلاء على مركبات الحرب، وأولئك على الخيـل. أمـا نحن فنتّكل على اسم الرب إلهنا».

---

803 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/179

عبــارة: «باســم إلهنا» هي في الأصــل العــبري «בשם-יהוה אלהינו» (بشــيم يهــوه إلوهينــو): «باســم يهــوه إلهنا»، وهــذا النصّ :

- أولا: لا تعلّـــق لـــه بالليتورجيـــا؛ إذ إنّ مصـــطلح «الليتورجيا» هــو مقابــل الكلمــة الإنجليزيّــة «Liturgy» التي أصلها الكلمة اليونانيّة «λειτουργία» «ليتورجيا» والــتي هي بــدورها اتحــاد كلمــة «λαός» «لاؤس» (شــعب) وجــذر «ἔργο» «إرجو» (فعــل)، و(قــام)، واصـطلاحًا: الطقس الـديني التعبـدي؛ إذ المزمـور بأكملـه يتحـدّث عن «مسـيح الـربّ» (داود؟)، الـذي ينقذه الربّ من أعدائه ويحبط مـا يحيكـون لـه من شـرّ، في إطـار تصـويري حـربي .. ولسـت أدري –حقيقة- هـل يعـرف «الهش..» معـنى الاصـطلاحات الأعجميّــة للقــاموس الــديني النصــراني، أمّ أنّــه يستكثر من الألفاظ حتى (ينبهر) القارئ (اندهاشًــا) و(يندهش) (انبهارًا) بما يقول –أقصد (ينقل)!-؟!!
- ثانيًا: لا يوجــد تطــابق بين «بســم اللــه الــرحمن الــرحيم» في مبتــدأ الســور القرآنيّــة بمــا فيهــا من افتتاح وتمجيد ودعاء، وقــول صــاحب المزمــور إنّــه يتّكل على (اسم) الربّ أي سلطانه وقوّته؟!
- ثالثًا: البسملة موصولة بمعــاني الرحمــة (الــرحمن الرحيم)، أمّا ما جاء في المزمور فموصول برحمــة الــربّ بصــاحب المزمــور، وبدرجــة أعظم (انتقامــه من أعدائه)!

4- نصّ متّى 23/39:ـ ((فـإني أقـول لكم إنكم لن تــروني من الآن، حــتى تقولــوا: مبــارك الآتي باسم الرب!))

هذا النصّ:

أولا: لا تعلّق له بالليتورجيا!؟!

ثانيا: لم تبدأ به النصوص النصرانيّة المقدّسة.

ثالثًا: البسملة القرآنيّـة تقـول: ((بســم اللـه الـرحمن الـرحيم))، أمّـا نصّ متّى فيقـول: ((بســم الـربّ)) ((εν ονοματι κυριου)) (إن أُنوماتي كيريو)، وقد اعتُــبر مــا جاء في مخطوطة بـيزا ((بسـم ((الله)) ((θεου)) (ثيــو))) قراءة شاذة؛ ولذلك ردّت كـلّ الترجمـات المعروفـة أصالته.

رابعًا: لا علاقــة البتّـة لهـذا النصّ بـالمعنى القـرآني المقصــود للبســملة؛ إذ إنّ معـــنى البســـملة على المشهور هو الابتداء باسم الله ذي الرحمة الواسعة، الــراحم لخلقــه، في قــراءة القــرآن الكــريم طلبًــا للبركة[804]، في حين أنّ معـــنى مـــا جـــاء في متّى 23/39 في الفهم الكنســي متعلّــق بعـودة المسـيح

804 انظر؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايـا الكتـاب الكـريم، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1419هـ، 1999م، 1/16-19

في آخر الزمان[805]، ومرتبط بمفهـوم الخلاص الـذي يقدّمه المسيح[806] حيث يأتي كممثّل (لله الآب)!

خامسًـــا: نصّ متّى 23/39 مقتبس في الأصـــل من المزمور 118/26، وهو في سياقه كاشـف ألاّ تعلّـق لـه بالليتورجيـا ولا ببـداءة قـراءة النصـوص الدينيّـة: ((الحجر الذي رفضه البناؤون قد صـار رأس الزاويـة. من لدى الرب كان هذا، وهو مدهش في أعيننا. هـذا هـو اليـوم الـذي أعـده الـرب، فيـه نبتهج ونفـرح. آه يـارب خلص. يـارب اكفـل لنـا النجـاح. مبـارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب.))[807]!!

حسرة الكافرين

قال ((الهش..)): ((في هذا اليوم، يكون الإنسان وحيدًا يحمــل وزره وعبئه، لا يعينه على ذلك أب ولا أم ولا أخ ولا ولد، ولا وجــود لأيّــة شــفاعة. والآثمــون يتلوّمــون من اســتهزائهم بـالوحي والهـدى فيقولـون: ((كيـف اسـتهزأنا عنـد سـماعنا للكتـاب المقـدّس (المقـدس))). والقـرآن عبّـر عن نفس الفكرة في عديد المواقع.))[808]

---

805 انظر؛ St. John Chrysostom, *Homily LXXIV*, in *Nicene and Post Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1888 ,10 /447-448

806 انظر؛ St. Jerome, *Commmentary on Matthew*, tr. Thomas P. Scheck, CUA Press, 2008 , p.234

807 مزمور 118/22-26

808 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/168

قلت: قد انتقل «الهش» هنا من (التحريف) إلى (التخريف)، ومن (البلادة العقليّة) الغرّة إلى (التبالد الذهني) المرّ!

الرسول لم يوح إليه في أمر حال الكافرين شيء، وإنّما كان ينقل هنا عن «أفرام»!؟؟

السبيل الوحيد لإثبات أنّ الرسول لم يأخذ عن «أفرام» ولا عن غيره من قديسي النصارى السريان؛ هو أن يقول – صلوات ربّي وسلامه عليه- إنّ الكافرين عند الحساب يكونون في غاية (السرور)، وفي منتهى (السعادة)، وفي غاية (الالتذاذ) ؛ حتّى إنّ الواحد منهم يدخل يده كاملة من فتحة أنفه اليمنى ويخرجها من تحت حاجبه الأيسر تعبيرًا عن نشوته بدخول جهنّم، وربّما أرسل إلى خلاّنه الذين سيرافقونها في رحلة (الشوي الجهنّميّة) رسائل (SMS)؛ يبشرّهم بهلاكهم المؤّكد وعذابهم المؤبّد!؟

وقد كرّر «الهش...» هذا (الهذر) أيضًا في قوله إنّ محمدًا قد أخذ عن «أفرام» وصف المعرضين عن الوحي أنّهم في غفلة عن الساعة وانغماس في متاع الدنيا الزائل[809].. ربّما كان على الرسول حتّى يثبت أصالة كلامه وربانيّته أن يمدح عبّاد الأوثان ويسرف في تمجيد إغفالهم ليوم الحساب وأمر المآب!!؟

إنّني على يقين أنّ جهل هذا «الهش» يحتاج إلى رجل (سرّه باتع) في الكرامات والخوارق؛ إذ إنّ الانتقال من (الوادي)

---

809 انظر؛ هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/171-172، وقد حاول ألاّ يظهر أنّه يقطع بالاقتباس، لكنّ صيغة كلامه توحي بترجيح هذا الأمر!

إلى (السـفح) في «لمح البصر» يحتـاج دون ريب إلى مَـدد من الربّ -جلّ وعلا-!

(الله) إله وثني!

الظرافـة (البليـدة) هـذه المـرّة، هي قـول «الهش ...» إنّ «الله» ربّ العالمين الذي بَرَأنا ونحن له من العابـدين، ليس إلاّ (إلهًـا وثنيًـا صـنعته قـريش ثم عبدتـه، بعـد أن اسـتعارت شيئًا من صفاته من الوثنيين السابقين، ثم تمّ (مزجه) بالإله الآب (الرحمن) النصراني)!!

قال «الهش ...»: «الآلهة الكبرى المعروفة في الحجـاز زمن البعثة كانت موجودة من قديم لدى النبط: آل= ألاه= اللـه بعد تطوّر الكلمة... هذه كلّها آلهـة عربيّـة في تلـك الفـترة، ولو أنّها ترمي بعروقها في تراث سامي مشترك.»[810]

«إنّ شخصية الإله السماوي «الله»، وهي تسمية قديمة جـدًا نجـدها في نقـوش أوغـاريت/رأس الشـمرة حـوالي 1400 ق.م على شكل «آل»، هذه الشخصـيّة القديمـة في الـتراث السامي ما قبل الموسوي (إيلوهيم) صارت تستعمل حـديثًا للتعبير عن الإله الأعلى لدى الثموديين (ألاَة أبتر في نقوش القرن الثالث ق.م) أو لـدى مسـيحيي سـوريا من السـريان (إلاَة أو ألاه)، وهو اللـه عنـد عـرب الجاهليّـة. هـذه الكلمـة قديمة وصميمة في التراث السامي، لكن المحتـوى تطـوّر. وهذا الإلـه غلب على غـيره في اليهوديّـة والمسـيحية، وهي

810 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/96

أديان سامية، والعرب بذاتهم ساميون يعيشون في نفس المنطقة.»[811]

«بما أنّ القرآن اتّجه نحو توحيد صارم يرجع إلى الخالق، فهو يبتعد بقوّة عن المسيحيّة ويتّخذ موقف إنكار من مماهاة الله بالمسيح، وهنا مفهوم الرحمان يلعب دوره، فنحن نجده في الأدبيات المسيحيّة اليمنيّة، لكنّ أندري يعتبر أنّه انتقل من الشمال، من سوريا. والكلمة تعني الإله-الأب بالنسبة للمسيحيين في التثليث، ومحمد يعتمده لمماهاة إلهه بالخالق الأصلي مع إنكار أي تجسيد وأي بنوّة. فالإسلام رجوع إلى الإله الأصلي المتعالي، من فوق المسيحيّة، مع أنّه ليس رجوعًا إلى اليهوديّة الوطنيّة. ولم يكن القرشيون يعرفون الرحمان، فيقولون: «وما الرحمن»، إنما يعرفون الله الإله السماوي العالي إذ هو من تراثهم العتيق. فالقرآن أراد المماهاة بين الله وألاه وبين الرحمان المسيحي، أي تجاوز ال «ألله» القرشي الذي له جذور وثنيّة، وبالتالي ربط الصلة مع المسيحيّة مع إنكار التجسيد.»[812]

قلت .. هنا .. أخطاء لا تغتفر .. ورتوق لا تلتئم!!

أولا: من البيّن أن «الهش..» قد أراد أن يجمع بين (شطحات) المستشرقين، متكثّرًا منها، لكنه قد غفل عن أنّها أفكار مبعثرة لا تجتمع، وأنّ عمدتها الأولى: الحدس، والظنّ، والتكلّف في الدعوى!

811المصدر السابق، 2/91-92

812 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/180

ثانيا: يزعم «الهش...» أنّ «الله»-سبحانه- إلهٌ قرشي وثني، وأنّ له أصولًا ساميّة عريقة، دون أن ينفذ إلى دلالة استعمال هذا الاسم عند الأمم الساميّة القديمة، كما أنّه لم يذكر أصل هذا الاسم في (بدايته) عند الساميين!

فهل هذا الاسم حديث مبتكر؟ وهل هو صريح الدلالة على الآلهة الوثنيّة ؟!

الجواب: يذكر الناقد «ج. هـ. بارك-تايلر» «G. H. Parke-Taylor» أنّ جميع الشعوب الساميّة-باستثناء الأثيوبيّين- تستعمل كلمة «إل» للدلالة بصورة عامة على المعبود[813]، وهو اسم «يمثّل أحد أقدم الأسماء المستعملة للألوهيّة في العالم القديم.»[814]، فهو في العبريّة «**אלה**» «إلوهي»، وفي الآراميّة «**אלה**» «إلاه»، وفي السريانيّة «□□□□»، «ألاها»، وفي السبئيّة « »[815].

وتخبرنا النقوش الأثريّة السابقة للإسلام عن جذر: (الألف) و(اللام) و(الهاء)، في دلالته على معنى (الإله):

ا ل هـ: ورد هذا الاسم المفرد المذكر المطلق بمعنى إله في النقوش الساميّة: الآراميّة القديمة، والآراميّة الدوليّة، والحضريّة، والآراميّة الفلسطينيّة، والسبئيّة، والقتبانيّة.

ا ل هـ: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف بمعنى إله بشكل مكثّف في النقوش النبطيّة. وقد جاء بهذه الصيغة

---

813 انظر؛ G. H. Parke-Taylor, *Yahweh: The Divine Name in the Bible,* Ontario: Wilfrid Laurier University Press, 1975, p.35

814 Watson E. Mills, eds. *Mercer Dictionary of the Bible*, Mercer University Press, 1990, p.240

815 Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, p.66

في النقوش الساميّة الأخرى: الآراميّـة الدوليّـة، والتدمريّـة، والسبئيّة.

ا ل هـ ا: ورد هذا الاسم المفـرد المـذكّر المعـرّف بمعـنى الإله بشكل مكثّف في النقوش النبطيّة، وهو معروف بهــذه الصيغة في النقوش الساميّة الأخرى مثل النقـوش الآراميّـة الدوليّة، والتدمريّة، والحضريّة، والسبئيّة بصيغة ا ل هـ ن.

ا ل هـ ي ا: ورد هذا الاسم الجمع المذكّر المعرفة بمعـنى آلهـة في النقـوش النبطيّـة، وفي معظم النقـوش السـاميّة الأخرى، مثل النقوش الآراميّة القديمـة، والآراميّـة الدوليّـة، والتدمريّة. أمّا في الحضـرية فـورد بصـيغة ا ل هــ ا بـدون الياء.

ا ل هـ ي: اسـم جمـع مـذكر مضـاف بمعـنى آلهـة، وهـو معــروف بهــذه الصــيغة في النقــوش العبريّــة القديمــة، والآراميّة القديمة، والآراميّة الدوليّة، والتدمريّة.

ا ل هـ ي: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف، مع يـاء المتكلّم في النقوش النبطيّة بمعنى إلهي.

ا ل هـ هـ م: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف، مــع الضمير المتصل الجمع المذكر للغائبين في النقوش النبطيّة بمعنى إلههم. وعُرف في النقـوش التدميريـة بصـيغة ا ل هـ ي هـ و ن.

ا ل هـ ت: ورد هـذا الاسـم المفـرد المـؤنّث المضـاف في النقوش النبطيّة بمعنى إلهة. وقـد عُـرف بهـذه الصـيغة في النقوش السبئيّة.

ا ل هـ ت ا: ورد هذا الاسم المفـرد المـؤنث المعـرف في النقوش النبطيّة بمعنى الإلهـة، وقـد جـاء بهـذه الصـيغة في النقوش الآراميّة الدوليّة.

ا ل هـ ت هـ م: ورد هذا الاسم المفرد المـؤنث المضـاف إلى الضمير المتصـل الجمـع المـذكّر للغـائبين في النقـوش النبطيّة بمعنى إلهتهم.[816]

وقد أثبتت النقوش المكتشفة أنّ كلمة «إل» كانت تسـتعمل في أحيـان كثـيرة كجـزء من اسـم مـركّب للآلهـة ك : «إل ملك» بمعنى الإله الملِك، و«إل دن» أي الإله القاضي/الديّان كما في النقوش الأوغاريتيّة[817]؛ ممّـا يؤكـد دلالـة «إل» على معنى الألوهيّة في ذاتها، وإن ركّبت في أسـماء آلهـة بعينهـا أو أطلقت على الآلهة الكبرى.

وقد كان «إل» على رأس الآلهة الكنعانيّة[818]، وسـمّي «بـأبي الآلهة»[819] ، و«من الواضح أنّ هذا الإله كان ينظر إليــه على أنّه الإله الخالق» [820]، وظهـر هـذا الاسـم في «إلـوهيم» في

---

816 انظـر؛ سـليمان بن عبـد الـرحمن الـذييب، المعجم النبطي، دراسـة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّـة، الريـاض: مكتبـة الملـك فهـد الوطنيّة، 1421هـ، 2000م، ص 18-21

817 انظر؛ G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren and Heinz-Josef Fabry, eds. *Theological Dictionary of the Old Testament*, art. *Elyon*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1974, 11/130

818 انظر؛ Watson E. Mills, eds. *Mercer Dictionary of the Bible*, Mercer University Press, 1990, p.746

819 انظر؛ E. Theodore Mullen, *The Divine Council in Canaanite and Early Hebrew Literature*, Scholars Press, 1980,p.15

820 المصدر السابق

اليهوديّة و«ألاها» في الكنيسة السوريّة على أنّهما اسم الإله الحقّ، وكذلك الأمر في الإسـلام، حيث لفـظ الجلالـة «الله» هو اسم الإله الواحد الأحد! فما دلالة ذلك؟

الدلالة تبـدو واضـحة في أنّ عـرب الجاهليّـة كـانوا يعلمـون دلالـــة كلمـــتى «إل» و«إله» على معـــنى الألوهيّـــة، وكـــانوا يعتقدون أنّ للكون إلهًا واحدًا خالقًا، وأنّ هنـاك آلهـة أخـرى وسيطة بينهم وبينه؛ ولـذلك فقـد ميّـزوا بين الإلـه الـذي لـه الخلـق، والآلهـة (الأدنى) الوسـيطة؛ فـألحقوا أداة التعريـف (ال) بكلمة (إله) تمييزًا لهذا (الإله) عن غيره؛ فكان الاســم بعد الإدغام: الإله=الله، بعـد حـذف الهمـزة، وهـو مـا عليـه عامة علماء المسلمين؛ ولذلك قال «ابن القيم» رحمه اللـه: «ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كمـا هـو قـول سيبويه وجمهور أصـحابه إلا من شـذّ منهم.»[821] وقـال «ابن منظــور»: «روى المنـــذري عن أبي الهيثم أنّـــه ســـأله عن اشتقاق اسم الله تعـالى في اللغـة، فقـال: كـان حقّـه إلاه، أدخلت الألف واللام تعريفًـا فقيـل ألإلاه. ثم حـذفت العـرب الهمزة استثقالًا لها. فلما تركوا الهمـزة حوّلـوا كسـرتها في اللام الـتي هي لام التعريـف. وذهبت الهمـزة أصـلًا، فقـالوا (أللاه). فحرّكـوا لام التعريـف الـتي لا تكـون إلا سـاكنة. ثم التقى لامـان متحركـان فـأدغموا الأولى في الثانيـة، فقـالوا (الله).»[822]

---

821 ابن القيم, بدائع الفوائـد، ت/ هشـام عبـد العزيـز عطـا وعـادل عبـد الحميد العـدوي وأشـرف أحمـد، مكـة المكرمـة: مكتبـة نـزار، 1416هــ، 1996م، 2/473

822 ابن منظور، لسان العرب، 13/467

وبالنظر في القرآن الكريم، بإمكاننا أن نستبين هذا المعنى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}823 {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ}824.. وهنا دلالة واضحة على تمييز عرب الجاهليّة بين «الله» صاحب الخلق والسلطان، و(الآلهة) الأخرى!

وجاء في القرآن الكريم: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}825.. فالأوثان ليست بالآلهة التي بيدها الأمر، وإنما هي وسائط إلى الإله الواحد الذي خلق الكون، وتخضع لسلطانه الكائنات.

وإذا نظرنا إلى دلالة الجذر «أ-ل» على معنى التأليه والألوهيّة في الأسفار الخمسة التي تنسب إلى «موسى» عليه السلام، والتي تعتبر وثيقة دينية/تاريخيّة هامة في هذا الشأن، وبقيّة الأسفار الكتابيّة التالية لها؛ ازددنا يقينًا بالتحليل السابق، إذ إننا نقرأ مثلًا:

-التكوين 46/3:

«**ויאמר، אנכי האל** (هاإيل) **אלהי אביך**»

«فقال: «أنا هو الله، إله أبيك»

- 2صموئيل 22/31

823 سورة العنكبوت/ الآية (61)

824 سورة العنكبوت/ الآية (63)

825 سورة الزمر/ الآية (3)

«**האל**(هاإيل)، **תמים דרכו**»

«طريقه الله كامل»

- 2صموئيل 22/33

«**האל**(هاإيل) **מעוזי، חיל**»

«الله ملجئي الحصين»

-2صموئيل 22/48

«**האל**(هاإيل)، **הנתן נקמת לי**»

«الله ينتقم لي»

- مزمور 68/19

«**ברוך אדני، יום יום: יעמס-לנו--האל** (هاإيل) **ישועתנו**»

«تبارك الرب الذي يحمل أثقالنا يوما فيوما. إنــه إله خلاصـنا (الترجمة الحرفيّة: الإله، خلاصنا)»

- مزمور 68/20:

«**האל לנו** (هاإيل لانو- حرفيًـا: الإلهنـا)، **אל למוֹשעות: וליהוה אדני--למות، תצאות**»

«إلهنا هو إله الخلاص، وعند الرب السيد منافذ من الموت»

النصـوص السـابقة تتحـدّث عن الإلـه الحـقّ، فتعتمـد أداة التعريف العبريّة (ها) (**ה**) مع كلمة «إيل» «**אל**» .. وهي نفس التسمية العربيّة «ال»+ «إله»= «الله»

- العدد 12/13

«**ויצעק משה، אל-יהוה לאמר: אל** «إيل»، **נא רפא נא לה.**»

«فصرخ موسى إلى الرب وقال: «اللهم اشفها!»

- المزمور 7/12

«**אלהים, שופט צדיק; ואל** «إيل»، **זעם בכל-יום**»

«الله قاض عادل، وإله يتوعد كل يوم.»

- هوشع 11/9

«**לא אעשה חרון אפי, לא אשוב לשחת אפרים: כי אל** «إيل» **אנכי, ולא-איש**»

«لن أنفذ فيهم قضاء احتدام غضبي، ولن أدمر أفرايم ثانية، لأني الله لا إنسان،»

وردت كلمة «إيل» «**אל**» في النصوص السابقة دالة على الإله الحق دون أداة تعريف.

- الخروج 15/2:

«**עזי וזמרת יה, ויהי-לי לישועה; זה אלי** (إلهي) **ואנוהו, אלהי אבי וארממנהו**»

«الرب عزتي وتسبيحي.جاء فخلصني.أمدحه فهو إلهي.إله آبائي تعالى.»

مزمور 18/3:

«**אלי** (إلهي) **צורי**»

«إلهي صخرتي.»

إشعياء 44/17:

«**ושאריתו, לאל עשה לפסלו; יסגוד לו וישתחו, ויתפלל אליו, ויאמר הצילני, כי אלי** (إلهي) **אתה**»

«وأما نصفه الآخر فيصنع منه تمثال إله ويسجد له ويركع ويصلي ويقول: «أنقذني، فأنت إلهي!».»

النصوص السابقة دالة على نسبة الإله إلى المتحدث باعتبار المتحدث عابدًا وخاضعًا لهذا الإله.

- الخروج 34/14:

«**כי לא תשתחוה، לאל אחר** (لإيل أحير)»

«إياكم أن تعبدوا إلهًا آخر غيري» .. فالربّ المعبود الحقّ هو أحد الآلهة التي يعبدها البشر.

- الخروج 15/11:

«**מי-כמכה באלם** (إيلِم) **יהוה**»

«فمن مثلك يارب بين كل الآلهة؟»

- دانيال 11/36:

«**ועשה כרצנו המלך، ויתרומם ויתגדל על-כל-אל** (كول إيل)، **ועל אל אלים** (إيل إيليم)»

«ويصنع الملك ما يطيب له، ويتعظم على كل إله، ويجدف بالعظائم على إله الآلهة»

يكشف هذا النصّ دلالة كلمة «إيل» «**אל**» على معنى «إله». ومع اعتراف الكتاب المقدس بوجود «آلهة» «إيليم»، فقد قرر وجود «إيل» واحد يستحقّ العبادة.

إنّ اسم الجلالة «الله» كما هو في القرآن الكريم، لدليل على أصالة القرآن الكريم الصادقة؛ إذ إنّ الكتاب الذي يعترف بالرسالات السابقة، لا يمكن أن يردّ جميع ما جاء فيها زمن نزوله؛ لأنّه لا يقول بالاختلاق المحض لها، وإنّما هو يقرّر أنه قد أصابها من دخن التحريف شيء.

ثم إنّ اسم الجلالة (الله) هذا لا يدلّ على أيّ معنى باطل؛ سواء تعلّق بأمور الألوهيّة أو الربوبيّة أو الخلق والمعاد، أو غير ذلك من المعاني الدينيّة.. إنّه يعني ببساطة: الإله الحقّ ..!!

لقـد أدرك اليهـود الـذين عاشـوا في القـرون الأولى التاليـة للبعثــة النبويّــة في أرض المســلمين هــذه الحقيقــة الــتي يتعـامى عنهـا «الهش...»، ولم يجـدوا غضاضـة في تسـمية معبودهم في التوراة: «الله»؛ فقد عـرّب «سـعديا الفيـومي» العـدد الثـاني من الفصـل الأوّل من سـفر التكـوين هكـذا (بالحرف العبري826 كما كتبه «الفيومي»):

«ואלארץ כאנת ג'מרה מסתבחר וצלאמ עלי וגה אלג'מר וריאח

אללה (الله) **תהב עלי וגה אלמא»**

بالحرف العـربي: «والأرض كـانت غمـره مسـتبحرة، وظلام على وجه الغمر، ورياح الله تهب على وجه الماء.»

وقـد أحسـنت «الموسـوعة التاريخيّـة للأنبيـاء في الإسـلام واليهوديّة» «*Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*» عندما قالت في مقالة «الله» «Allah»:ـ «يبدو أنّ كلمة (اللـه) العربيّة هي نتـاج جمـع بين أداة التعريـف (ال) و(إلـه) الـتي هي كلمـة سـاميّة شـائعة دالـة على الألوهيّـة. وباجتماعهمـا تتكوّن كلمة (ال-إله) أو (الله) التي تعني الإله The God»827

ثالثــا: ثبت وصـــف/ تلقيب الإلـــه الآب في بلاد اليمن أنّـــه «رحمن» كما قال «الهش...»، لكن ثبت أيضًـا - في مـا كتبـه عالم السـاميات المستشـرق «هـارتفج هيرشـفيلد» «Hartwig

---

826 قصدي بالحرف العبري: الحرف الذي استعمله اليهود لكتابـة أسـفار التناخ بلغتهم كمـا هي في المخطوطـات الـتي نملكهـا اليـوم، وإن كـانت الدقّة تقتضي أن أسمي هذا الحرف بالحرف الآرامي المربع، إذ إنّ اليهود قد أخذوا هذا الحرف عن غيرهم وكتبوا به أسفارهم المقدسة منذ القـرن الرابـع قبـل الميلاد وقـد كـانوا من قبـل يسـتعملون الأبجديـة الكنعانيّـة الفينيقيّة.

827 Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p. 20

Hirschfeld))- أنّ المسيح كان يوصف من النصـارى السـوريين أنّه ((رحمانا)) !![828]

رابعـــا: تحـــدّثت النقـــوش الســـبئيّة عن ((حَـــوْل/قـــوّة)) ((الرحمن)) ... فليس الأمر تمييزًا لصفة الرحمة في هذا الإله عن كـلّ صـفة أخـرى، وإنّمـا هـو وجـه من أوجـه الـذكر والتعظيم!

خامسا: استعمل اليهود (بالإضافة إلى النصارى) في جنـوب الجزيرة العربيّة عبارة ((رحمانان)) ((𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬)) عند حـديثهم عن إلههم، ومن النقوش المحفوظة اليوم، نذكر:

I. Inscription Ry 515

التعريب:

5 ((بالرحمن (رحمانان)، ربّ اليهود.)) **829**

[828] انظر؛ H. Hirschfeld, *New Researches into the Composition and Exegesis of the Qoran*, 1902, Asiatic Monographs - Volume III, Royal Asiatic Society: London, p. 68

Inscription Ry 520

التعريب:

4 ((... لربّهم

5 الرحمن (رحمانان)، سيّد السماء، ليمنحه هو وزوجاته

6 وأبنائه، الرحمن (رحمانان)، أن يحيى حياة صدّيقيّة، و

7 يموت موتة صديقيّة. وأن يمنحه الرحمن (رحمانان) أولادًا

829

G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Dixième Série*", *Le Muséon*, 1953, Volume 66, pp. 314-315, picture of the inscription taken from p. 314. and the translation from: J. C. Greenfield, "From *'LH RḤMN* To *AL-RAḤMĀN*: The Source Of A Divine Epithet" in B. H. Hary, J. L. Hayes & F. Astren (eds.), *Judaism And Islam: Boundaries, Communication And Interaction - Essays In Honor Of William M. Brinner*, 2000, Brill: Leiden, p. 387 (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

8 أصحّاء يحـاربون من أجـل اسـم الـرحمن (رحمانـان)...» [830]

Inscription Ry 508

التعـريب: «... والله الـذي لـه السـماء والأرض سـيحفظ ملكنا...

... وترحم كلّ العالم، يا رحمن (رحمانان)، أنت ربّ.» [831]

---

830 G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Onzième Série*", *Le Muséon*, 1954, Volume 67, pp.99-105, picture of the inscription taken from p.100. and the translation from: J. C. Greenfield, op. cit., p.388 (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

831 G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Onzième Série*", *Le Muséon*, 1953, Volume 67, pp.295-303, picture of the inscription taken from p.297. and the translation from: J. C. Greenfield, op. cit., p.388 (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

سادسا: يخبرنـا الناقـد «لـويس جـاكوبز» «Louis Jacobs» في كتابه «اللاهوت اليهودي» «*A Jewish Theology*» عند حديثه عن «أسماء الله في كتابات الأحبار»[832]، أثناء تناولـه للاسـم السابع في قائمة هـذه الأسـماء أنّ «الشـكل العـبري لـ«the Merciful» هو «هارحمن»[833]، وهـو موجـود بكـثرة في كتابـات الأحبار، ويوجد مقابلـه الآرامي بصـورة مكثّفـة جـدًا، خاصـة في السياق التشريعي.»[834]

وإننا لنجد «رحمنا» «**רחמנא**» الآراميّة، في التلمـود في كثـير من المواضع:

«لقد جاء التعليم باسم الحـبر «عقيبا»: على المـرء أن يعـوّد نفسه دائمًا على أن يقول: «كلّ ما يفعله الـرحمن جيّد» «**כל דעביד רחמנא לטב**» » (براخوت 60-ب)

«قال الرحمن: ليس له ابن» «**בן אין לו אמר רחמנא**» (نداه 44-أ) ...

سابعا: تكـرّر في الكتـاب المقـدس وصـفُ الـربّ بالرحمـة؛ مثال:

- الخروج 34/6

---

832 "*The Names of God in the Rabbinic Literature*"

833 الهاء العبريّة هنا تقابل (ألف لام) التعريف في اللغة العربيّة.

834 Louis Jacobs, *A Jewish Theology*, New Jersey: Behrman House, 1973 , p.145

«**ויעבר יהוה על-פניו, ויקרא, יהוה יהוה, אל <u>רחום</u>** (رحوم) **וחנון--ארך אפים, ורב-חסד ואמת**»

«وعبر من أمام موسى مناديا: «أنا الرب. الـرب إلـه رؤوف <u>رحيم</u>، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء»

- تثنية 4/31

«**כי אל <u>רחום</u>**(رحوم) **יהוה אלהיך**»

«لأن الرب إلهكم إله <u>رحيم</u>»

- 2 الأيام 30/9 :

«**כי בשובכם על-יהוה, אחיכם ובניכם לרחמים לפני שוביהם, ולשוב, לארץ הזאת: כי-חנון ו<u>רחום</u>**(رحوم)**, יהוה אלהיכם, ולא-יסיר פנים מכם, אם-תשובו אליו**»

«لأن رجـوعكم إلى الـرب يجعـل إخـوتكم وأبنـاءكم يلقـون رحمـة من آسـريهم فـيرجعون إلى هـذه الأرض، لأن الـرب إلهكم رؤوف رحيم، ولا يحول وجهه عنكم إن رجعتم إليه»

- نحميا 9/31

«**וברחמיך הרבים לא-עשיתם כלה, ולא עזבתם: כי אל-חנון ו<u>רחום</u>**(رحوم)، **אתה**»

«ولكن من أجـل مراحمـك العميمـة لم تبـدهم، ولم تتخـل عنهم، لأنك إله حنان <u>رحيم</u>»

- مزمور 116/5

«**חנון יהוה וצדיק; ואלהינו <u>מרחם</u>** (مرحيم)»

«الرب حنون وبار. إلهنا رحيم»

ثامنا: صُوّر الآب في العهد الجديد ذاته بأنّه متّصف بالرحمة؛ فليست هناك حاجة إلى النظر في تراث نصارى سبأ:

لوقا 6/36: «فكونوا أنتم رحماء، كما أن أباكم رحيم (οικτιρμων) (إيكتِرمون)»[835]

تاسعا: جاء وصف الربّ الإله الواحد (الذي هو مجمع الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، كما هو معتقد الكنيسة) في العهد الجديد أنّه «رحمن»؛ بما لا يترك مجالًا للحديث عن تحويل القرآن الكريم (للأب الرحمن) في النصرانيّة السوريّة إلى (الله الواحد الرحمن) في الإسلام:

يعقوب 5/11: «فنحن نقول عن الصابرين على الألم: «طوبى لهم!» وقد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم كيف عامله الرب في النهاية. وهذا يبين أن الرب كثير الرحمة والشفقة»، وفي الترجمة السريانية «[illegible]» «مرحمان».. هذا الإله الذي رحم «أيوب» هو إله العهد القديم، الإله الذي يعتبره النصارى مُثلّثًا: آب وابن وروح القدس. وليس كما يدّعي «الهش...» أنه الإله الآب حصرًا!!

عاشرا: القول إنّ العرب الجاهليين ما كانوا يعرفون الإله «الرحمن» -الذي هو الإله الآب في النصرانيّة-، وأنّ الرسول ﷺ قد (استعاره) من النصرانيّة، هو خبط أعمى في ليل بهيم، وإن احتجّ «الهش...» بما جاء في القرآن الكريم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ

835 يقرأ أيضًا (أوكترمون)، وذلك تبعًا لاختلاف قواعد قراءة يونانيّة العهد الجديد.

لِمَـا تَأْمُرُنَـا وَزَادَهُمْ نُفُـورًا}836؛ إذ إنّ الإلـه الآب ليس هـو الشخصـيّة المركزيّـة في العهـد الجديـد، ولا في التصـوّر النصراني، وإنّما (يسوع) هـو الموضـوع الأساسـي للأناجيـل والرسـائل؛ فليس هنـاك من داعٍ لإقحـام (الإلـه الآب النصراني) في التصوّر الإسلامي أصلًا –تنزلًا في هذا البـاب، كمـا أنّ القـرآن الكـريم لا يظهـر في الآيـة السـابقة جهـل العرب بوجود الإله «رحمن»، وإنّما يكشف سوء فهم العـرب لكون تعدد الصفات لا يقتضي تعدد الذوات، فالربّ سـبحانه لـه أسـماء حسـنى تكشـف عظمتـه وجميـل صـفاته، وهي تسـتدعي في النفس البشـريّة معـاني التعظيم والخضـوع والحبّ، ولذلك جاء قوله تعالى: {قُـلِ ادْعُـواْ اللّـهَ أَوِ ادْعُـواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَـهُ الأَسْـمَاء الْحُسْـنَى }837 .. وهـذه الآية كاشفة لمعنى تلك! فليس هنا مزج للآلهة، ولا اقتبـاس من النصرانيّة، ولا نقل عن العقائد الوثنيّة!

وهنـا أتوقّـف .. لأقـول إنّ تصـوير الخلاف بين (الأعـراب) المتفـرنّجين ودعـاة الإسـلام، على أنّـه نـزاع بين (الإسـلام) و(الحداثة) كما يحلو لبعض (السذّج!) من الجانبين تصـويره، هو عجز عن معرفة حقيقة الصورة، إنّه –ولا أزيد- نـزاع بين دعاة الإسلام وبين من يقـال فيهم بالفرنسـيّة «Les Imbéciles Heureux» «البُله السعداء» ممن ينتشي الواحد منهم بالحرف اللاتيـني إلى حـدّ السـكر؛ رغم أنّـه لا يحسـن كتابـة بحث بمراجع أجنبيّة من الثقافة التي ينافح عنها، لأنّه لا يعرف من

836 سورة الفرقان/ الآية (60)

837 سورة الإسراء/ الآية (110)

العلم إلاّ اسمه .. ومن ذاق –ما ذقنا من كتاباتهم، ككتاب «الهش»- عَرَف، وإن شئت قل: من ذاق؛ (تسمّم)!838

الألفاظ الأعجميّة .. والاقتباس!

قال «الهش...»: «الأقرب إذن، إذا قلنا بوجود تأثيرات كتابيّة على القرآن، أنّ المسيحيّة السوريّة كان لها الحظّ الأكبر في ذلك. ومن الأدلّة أنّ المعجم الديني السرياني دخل في لغة القرآن أكثر بكثير من المعجِم العبري أو حتّى الأثيوبي وهذا المعجم موجود أيضًا. مثلًا: كلمة صَلَوَات السريانيّة الأصل وتعني الركعة نلاقيها في النص القرآني مكتوبة بنحو مشابه «صَلَوة» وبصيغة الجمع هي «صَلَوات»، كما نلاقي هنا وهناك عبارات متقاربة جدًا.

مثلًا:

سُبحانك= شُبْحا لَكْ بالسريانيّة.

تَباركت= بَرِيك أتْ بالسريانيّة.

سُبحانك يا الله= شُبْحا لك ألها.

هذه عبارات قرآنيّة محضة من الممكن أنها دخلت من قبل في المعجم المسيحي العربي، لكنّا لا نعلم عن ذلك شيئًا، ومن الممكن أيضًا أنّ القرآن هو أوّل من استعملها، إنّما كانت مفهومة على الأرجح حسب السياق، والمعجم الديني

838ومن أراد أن (يستمتع!!) (ببواقع) (المتنوّر) «الهش...»، فليراجع كتاب «المخزاة الجعيطيّة في كتابة السيرة النبويّة» بأسلوب ظريف، بل وساخر، للدكتور «إبراهيم عوض»- أستاذ النقد الأدبي وصاحب مؤلّفات في الردّ على افتراءات المستشرقين-.

القرآني ثري جدًا على أيّة حـال. الأقـرب عنـدي أنّ القـرآن هو الذي عرّبها وأدخلها في لغته، كما عرّب أسـماء شـعوب قديمة وأنبياء قـدامى، لأنّ المسـيحيّة العربيّـة كـانت بعيـدة جغرافيًا ولأنّا لا نعلم هل كانت الدعاءات والطقـوس تجـري بالعربيّة أو بالسريانيّة.»[839]

وأضاف في الهـامش: «في المعجم الـديني القـرآني، توجـد عبارات أخـرى تبـدو مـأخوذة عن السـريانيّة وهي على كـلّ حـال قريبـة منهـا: مثلًا هنـاك مـوازاة بين تـزكّى و«داكيوتا» وبين ظالِم ظالمين وبين «تلوما» السريانيّة وهي كلمة تعني غــير المؤمــنين، الكــافرين. والمعــنى نفســه موجــود في القـــرآن، إذ لا نفهم لمـــاذا ينعت النصّ المقـــدس الكفـــار بالظالمين، بـالمعنى الـذي نعرفـه: يَظْلِمـون من؟ في بعض الأحيـان، يجيب القـرآن بـ «ظـالمي أنفسـهم»، وهـذا قليـل. «ظالمين» إذن كلمة مترادفة مـع كـافرين، ليس أكـثر وهـذا المعنى مشتق من المعجم الديني السرياني.»[840]

قلت:

أولا: المشترك اللفظي بين اللغات السـامية كبـير جـدًا إلى حدّ القول إنّ اللغات السـاميّة أشـبه بلهجـات متعـدّدة للغـة واحدة[841]، ومن الممكن ملاحظـة هـذا الأمـر بصـورة جليّـة

---

839 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/172

840المصدر السابق، 2/340

841 قال الإمام «ابن حزم» –رحمـه اللـه- في كلام دقيـق وثمين: «إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانيـة والعربيـة هي لغـة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبـدلت بتبـدل مسـاكن أهلهـا فحـدث

عند المقارنة بين المعجمين العربي والسرياني. ولا شكّ أنّ الألفاظ المتعلّقة بمطلق التوجّه إلى الخالق وعبادتـه بأوجـه العبـادة الواسـعة، أحـرى المواضـيع باسـتجماع المشـترك اللفظي بين هاتين اللغتين، خاصـة أنّـه لا توجـد أمّـة بلا دين وعبادة منذ أن عرف للإنسان وجود على سـطح الأرض؛ فلا يستقيم عنـدها الاسـتدلال بألفـاظ ذات معـنى عـام للدلالـة على الاقتباس، خاصة وأنّ اللغة العربيّة هي لغة عريقة جدًا كاللغــة الســريانيّة أو أقــدم، بــل واعتــبر نخبــة من أعلام الدراسـات السـاميّة أنّ الجزيـرة العربيّـة هي المهـد الأوّل للساميين842، وأجمع علماء النحو المقارن للغات السـاميّة، من أمثــــال «بروكلمـــــان» و«وليم رايت» و«إدوار دوروم» و«دافيد يلين» أنّ اللغة العربيّة الفصحى هي بلا منازع أقـدم

فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهـل القـيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتهـا. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلـة واحـدة من قرطبـة، كاد أن يقول إنها لغة أخـرى غـير لغـة أهـل قرطبـة. وهكـذا في كثـير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلًا لا يخفى على من تأمله ... فمن تـدبر العربيـة والعبرانيـة والسـريانية أيقن أن اختلافهـا إنما هو من نحو مـا ذكرنـا من تبـديل ألفـاظ النـاس على طـول الأزمـان، واختلاف البلـدان، ومجـاورة الأمم، **وأنهـا لغـة واحـدة في الأصل**.» «ابن حزم، إحكام الأحكام، القاهرة: دار الحديث، 1404هـ، 1/34)

وقال د. «ربحي كمال» -أحد النقاد العـرب المعاصـرين المتخصصـين في اللغة العبريّة-: «**ما من شكّ** أنّ جميع اللغات الساميّة هي لهجات نشأت من لغة واحـدة هي أم هـذه اللهجـات.» (دروس اللغـة العبريّـة، دمشـق: مطبعة جامعة دمشق، 1383هـ، 1963م، ط3، ص13)

842 من هؤلاء «بروكلمان» و«رينـان» و«دو جـوج» (انظـر؛ ربحي كمـال، دروس اللغة العبريّة، ص11)

صورة حيّة من اللغة الساميّة الأم، وأقرب هـذه الصـور إلى تلك اللغة التي تفرّعت منها اللغات الساميّة[843]؛ مما يجعـل الجزم باقتباس اللغـة العربيّـة بعضَ مشـتركها السـامي من اللغات الساميّة الأخرى محض مجازفة.[844]

ونحن لا ننفي مبـدأ التقـارض بين اللغـات، وإنّمـا نقـول إنّ إثباته ليس باليسـر الـذي يظنّـه المسـارعون للتشـكيك في عروبة القرآن الكريم[845]، كما أنّ وجوده لا يعني أن مبتـدأه كان مع (نزول) الآيات القرآنيّة، وإنّمـا الصـواب هـو أنّـه في حال ثبوته، سابق لـنزول الآيـات القرآنيّـة بمـدة من الـزمن جعلت هذا اللفظ عربيًا في تداولـه؛ قـد تـورات غرابتـه في المعجم اللساني العربي؛ ولذلك جاء قوله تعالى:

{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}[846]

---

843 حسـن ظاظـا، السـاميون ولغـاتهم، دمشـق: دار القلم، 1410هـ، 1990م، ط2 ، ص16

844 باستثناء أسماء الأعلام والبلدان، عامة؛ فهي مرتبطـة بالمكـان أكـثر من اللسان.

845 للأسف الشديد، فقـد شـارك بعض علمـاء الإسـلام القـدماء في مـد دعوى الاقتباس القرآني من اللفظ الأعجمي بالصورة الـتي تأباهـا أصـول البحث العلمي، ومن هؤلاء «السيوطي» رحمه الله؛ فلـه في ذلـك كتـابين «المتوكّلي فيما في القرآن من اللغـات الأعجمية» و«المهـذب فيمـا وقـع في القرآن من المعرب» وقد أطلق فيهما دعوى نسبة عشـرات الألفـاظ القرآنيّـة إلى اللغـات العبريـة والسـريانية والفارسـية والحبشـيّة دون أن يكون عارفًا أصلًا بهذه اللغات!! وهو منهج (التجميع) وضـم المشـهور إلى الشاذ من الأقوال!

846 سورة يوسف/ الآية (2)

{وَلَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُـونَ إِنَّمَـا يُعَلِّمُـهُ بَشَـرٌ لِّسَـانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِين}847

{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَـرَّفْنَا فِيـهِ مِنَ الْوَعِيـدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}848

{نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الأَمِين عَلَى قَلْبِـكَ لِتَكُـونَ مِنَ الْمُنـذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين}849

{قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُون}850

{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُون}851

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَـا وَتُنذِرَ يَـوْمَ الْجَمْـعِ لاَ رَيْبَ فِيـهِ فَرِيـقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيـقٌ فِي السَّعِير}852

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}853

ثانيـا: القـول إنّ «صـلوة» القرآنيّـة مقتبسـة من النصـرانيّة السريانيّة بعينها، لا يخرج عن كونه دعوى بلا برهان؛ ولـذلك لا يثبت أمام النظر العلمي:

أ- اقتبس «الهش...» هـذه الشـبهة من كتـاب «تـور أنـدري»، لكنّه ما قال ما بما قاله «تور أندري» عندما أحال إلى قضـيّة رسم هذه الكلمة، لأنّ «تور أندري» كـان يتحـدث عن عبـادة

847 سورة النحل/ الآية (103)

848 سورة طه، الآية (113)

849 سورة الشعراء/ الآيات (193-195)

850 سورة الزمر/ الآية (28)

851 سورة فصلت/ الآية (3)

852 سورة الشورى/ الآية (7)

853 سورة الزخرف/ الآية (3)

في الكنيسة، غير مشتهرة في غير مصر، كان يقوم بها أحد قدّيسي الكنيسة، وتتكون من مقاطع تسمّى ((□□□□□□)) ((مرميتا)) وتتمثّل في قراءة أجزاء من المزامير، في كلّ ((مرميتا))، 30 ((genuflexion)) –كما في الترجمة الفرنسية التي نقل عنها ((الهش...))- وقد عرّبها ((الهش...)) على أنّها تعني ((ركعة))، وسبب ذلك هو أنّه قد أخذ بمعناها الفرنسي المتأخّر، والصواب أنّ هذه الكلمة في الفرنسيّة تعود إلى الأصل اللاتيني ((genuflectio)) وهي إدغام مقطعين: الأوّل ((*genu*)) بمعنى ركبة والثاني ((*flectere*)) بمعنى ((ثنى))، والمعنى كاملًا هو: ((ثني الركبة))، وتعني في الأصل النزول على ركبة واحدة بسرعة ثم الانتصاب بعد ذلك بسرعة[854]، وقد وضع ((تور أندري)) المقابل السرياني بالحرف اللاتيني ليقرّب المعنى لمن لا يعرف السريانية، فكتب ((burke))[855]، والنص الذي ترجمه ((تور أندري)) يستعمل ((□□□□□ □□□□□)) ((تلاتين بوركا)) أي ثلاثين بروكٍ على الأرض، ووصف هذا البروك بأنّه بروك مصري ((□□□□□□)) أي كبروك المصريين. وفي بقيّة النص السرياني تفسير لهذا البروك، حيث يصفه الراوي بأنّه نزول على الركبتين وملاصقة لليدين والرأس بالأرض[856]؛ أي أنّه (سجود)، لا (ركوع). فكلّ (سجود) كان

---

854 انظر؛ Charles Morris, ed. *Winston’s Cumultative Encyclopedia*, art. *Genuflexion*, Chicago: J. C. Winston, 1915, V.4

855 Tor Andrea, *Les Origines de L’Islam et le Christianisme*, p.197

856 انظر؛ E. W. Brooks, ‘*John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints* (I),’ in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, 1923, 17/205

يعــد (صــلاة)، وليســت الصــلاة في الإســلام كــذلك؛ إذ إنّ (الصلاة) الواحدة فيها أكثر من (سجود)!

ب- الركوع والسـجود في الصـلاة معـروف في عامـة الأمم القديمـة كالصـينيين857 وغـيرهم، بـل أثبتـه العهـد الجديـد للمسـيح نفسـه: «وابتعـد عنهم قليلا وارتمى على وجهـه يصـلي، قـائلا: «يـاأبي، إن كـان ممكنًـا، فلتعـبر عـني هـذه الكأس: ولكن، لا كما أريد أنا، بل كما تريد أنت!»858

ولم يتفرّد «يسوع» بفعله هذا فعله، فقد «برك» «**ברכ**» غـيره من أنبياء العهد القديم:

دانيال 6/10: «فلما بلغ دانيآل أمر توقيع الوثيقة مضى إلى بيته وصعد إلى عليته ذات الكوى المفتوحة باتجاه أورشليم، وجثـا «**ברך**» (باريـك) على ركبتيـه ثلاث مـرات في اليـوم وصلى، وحمد إلهه كمألوف عادته من قبل»

2 الأيام 6/13-14: «لأن سليمان كـان قـد صـنع منـبرًا من نحاس أقامه في وسط الـدار، طولـه خمس أذرع، وعرضـه خمس أذرع، وارتفاعه ثلاث أذرع، فوقف عليـه أولا، ثم جثـا «**ויברך**» (وَيِبْـرَك) على ركبتيـه في مواجهـة كـل جماعـة إسرائيل، وبسط يديه إلى السماء، وقـال: «أيهـا الـرب إلـه إسرائيل، ليس إله نظـيرك في السـماء والأرض، أنت يـامن تحافظ على عهد الرحمة مع عبيدك السـائرين أمامـك بكـل قلوبهم»

857 انظر؛ Archie Hobson, *The Oxford Dictionary of Difficult Words*, New York: Oxford University Press, 2004, p.247
858 متّى 26/39

مزمور 95/6: «تعالوا نسجد وننحني، لنركع «**נברכה**» (نِبركا) أمام الرب صانعنا».

ت- المستشرق «آرثر جفري» –أستاذ الساميّات، وأشهر من كتب من المعاصـرين في موضـوع (الألفـاظ الأعجميّـة في القرآن الكريم)، لم يشر إلى المعنى الذي ذكره «الهش...»، رغم أنه قد اعتبر هو أيضًا «الصـلوات» من أعجمي القـرآن، ولكن في قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَـقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَـا اللَّهُ وَلَـوْلاَ دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَـهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَـا اسْـمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز}[859][860] علمًا أنّ ما كتبه «تور أندري» كان من مراجع «آرثـر جفـري» في كتابه!

ج- «[illegible]» و«الصــلوات» لا يقصــد بهمــا –اصــطلاحًا- في القرآن الكريم «الركعات»، كما أنّ المعـنى اللغـوي للصـلاة، والـذي ورد في عـدد من نصـوص القـرآن والسـنّة[861] هـو: «الدعاء»، وهو نفس معنى كلمـة «صـلّى» في عامـة اللغـات الساميّة، كالأكاديّة «سولو» و«صولو»، والأوجاريتيّة «صــلاي»، والســريانيّة «[illegible]» «صــلي»، وفي العربيّــة الجنوبيّــة «

---

859 سورة الحج/ الآية (40)

860 Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, p.197

861 {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَـهُ يُصَـلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} سورة الأحزاب/ الآية (56)،ـ {وَصَـلَوَاتِ الرَّسُـولِ} سـورة التوبة/ الآية (99)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فَلْيُصَلّ ...» (رواه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمـر بإجابـة الداعي إلى دعوة، ح/1431).

التعبديّـة الشـعيرة يكتنــف لمــا ونظــرًا 862.((𐩮𐩡𐩥-𐩮𐩡𐩩)) (الصلاة) من دعاء ومناجاة للربّ؛ فقد عبّرت كلمة ((صــلى)) عن معنى الصلاة – الشـعيرة؛ فهي في السـريانيّة والعربيّـة الجنوبيّة والأوجاريتيّة ((صلي)) وفي الحبشيّة ((ጸለየ)).863

ح- ألــف الصــلاة منقلبــة عن واو، فأصــل الكلمــة ((صــلوة))؛ ودليل ذلك أنّ جمعها: صلوات864؛ ولذلك وردت بــالواو في عدد من مواضعها في القرآن الكريم.

خ- قــرّر القــرآن الكــريم أنّ الصــلاة لهــا وجــود في شــرائع النبيين السابقين:

{رَّبَّنَا إِنِّي أَسْـكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِـوَادٍ غَيْـرِ ذِي زَرْعٍ عِنـدَ بَيْتِـكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّـلاَةَ فَاجْعَـلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْـوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون}865

---

862 انظر؛ عمر صابر عبد الجليل، المعجم التأصيلي للفعـل النـاقص في اللغــات الســاميّة، دراســة إيتمولوجيّــة في ضــوء علم اللغــات الســاميّة المقارن، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقيّة، 1423هــ، 2003م، ص 111

863 انظر المصدر السابق

864 انظـــر؛ العكــبري، التبيــان في إعــراب القــرآن، ت/ علي محمــد اليحياوي، عيسى البابي الحلـبي وشـركاه، د.ت، 1/18، محمـود صـافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دمشق: دار الرشيد، 1416هـ، 1995م، ط3، ص 37

865 سورة إبراهيم/ الآية (37)

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}866

{فَلما أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي}867

فالقرآن الكريم يعلن هنا أنّها شريعة غير محدثة، ويسمّيها باسم «الصلاة»!

د- لم يتحدّث «تور أندري» الذي أحال إليه «الهش...» عند حديثه عن «صلوة»، عن أمر هذا الرسم، وإنّما تحدّث عن «قدّيس» كان في صلاة الليل يسجد ثلاثين سجودًا «كذاك المسمّى celawata»868؛ فالإحالة إلى «تور أندري» عند التدقيق ليست صوابًا؛ لأنّ «تور أندري» كان يتحدّث عن مشابهة الصلاة الإسلاميّة للصلاة التي ذكرها أحد الآباء الشرقيين، وما كان الحديث منصبًا على مطابقة الرسم العثماني للكلمة السريانيّة!!

ذ- زعمُ اقتباس كلمة «صلاة» من التراث الديني السرياني- لأنّ الكلمة قد وردت في مواضع في القرآن الكريم بالواو لا بالألف- يحتاج إلى مثله بالنسبة لكلمات أخرى وردت في القرآن الكريم: «الزكاة» و«الحياة» و«الربا» في رسمها هكذا: «[illegible]» و«[illegible]» «[illegible]»!!

---

866 سورة مريم/ الآيتان (54-55)

867 سورة طه/ الآيات (11-14)

868 Tor Andrea, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, p.197

ر- النصّ السرياني الذي اقتبسه «تور أنـدري» من موسـوعة «*Anecdota Syriaca*» 2/14، مترجمًا إيّاه إلى الألمانيّة، والـذي نقله عنه «الهش...» من ترجمته الفرنسيّة، يقول: «[illegible]»869 وترجمته الحرفيّة: «مع كل مرميتا، يسجد ثلاثين سجودًا مصـريًا يشـبه الـذي يـدعى صـلوات.»، وقــد ترجمــه الناقــد «إ. و. بــروكس» «E. W. Brooks» في موسـوعة الآبـاء الشـرقيين المسـمّاة «*Patrologia Orientalis*» الشهيرة إلى: «while during every marmitha he would make thirty Egyptian Genuflexions which are called prayers»870 وهي ترجمة تعبّـر عن المعـنى بلغـة إنجليزيّـة فصـيحة غـير سـاقطة في الحرفيّـة، وهي تـدلّ على أنّ سـجود هـذا «القـديس» كـان يسمّى «صلاة» «prayer»_ –الثلاثين سجودًا تُعـدّ (صـلوات) في الجمـع-، وليس في الحـديث دلالـة أخـرى، ولـذلك جـاء في وصف نفس فعل هذا العابد النصراني، في موسوعة الأديان والأخلاق: «*Encyclopaedia of Religion and Ethics*»:ـ «حالة الأب المصري بولس الذي مات سنة 341م، ذكرهـا سـوزومان (400م-450م) في كتابه التاريخ الكنسي حيث قـرّر أنّ هـذا القديس كان يقرأ يوميًا 300 صلاة (*prayers*)، محافظًا على

---

869 Land, *Anecdota Syriaca*, Lugduni Batavorum ,1862, 2/114

870 E. W. Brooks, '*John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints* (I),' in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, 1923, 17/204

العد من خلال جمع الحصى في عباءته، مسقطًا حصـاة كـل نهاية صلاة.))[871]

صفحة تضم النص السرياني الذي ترجمه ((تور أندري))

Land, *Anecdota Syriaca*, Lugduni Batavorum ,1862, 2/114

---

[871] James Hastings, ed. *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, New York: Charles Scribner's Sons, 1919, 10/853

ز- كلمــة «صــلاة» العربيــة، هي في الســريانيّة: «□□□□□» «صــلَوَتا»[872] وحروفهــا: □ ص- □ ل- □ و- □ ت- □ ا، وقــد وردت في أكــثر من موضــع من العهــد الجديــد؛ بمــا يــدفع دعوى أنّها من التراث الشعبي السرياني:

أعمال الرسل 16/16:ـ «وذات يوم كنا ذاهبين إلى الصــلاة، فالتقت بنا خادمة يسكنها روح عرافة، كانت تكسب ســادتها ربحا كثيرا من عرافتها»

«□□□□ □□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□ (صلوتا) □□□□ □□ □□□□□□ □□□ □□□□ □□□ □□ □□□□ □□□□□ □□□□□ □□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□»

1تيموثــاوس 2/1:ـ «فــأطلب، قبــل كــل شــيء، أن تقيمــوا الطلبات الحارة والصلوات والتضــرعات والتشــكرات لأجــل جميع الناس»

«□□□ □□□ □□□□ □□□ □□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□ (صلوتا) □□□□□□□ □□□□□□□ □□□ □□□□□ □□□□□□»...

ثالثا: التسبيح والمباركة موجودان أيضًا في الكتاب المقدس وفي الألفاظ التعبدية اليهودية:

* جاء فعل «شابح» «**שבח**» بمعنى (سبّح)ـ في:

✓ مزمور 63/4:

«**כי-טוב חסדך، מחיים; שפתי ישבחונך** (يشبحونكا)»

«خــير من الحيــاة رحمتــك. شــفتاي تســبحان لك» (الترجمــة المشتركة)

872 انظــر؛ المطــران يعقــوب أوجين، قــاموس كلــداني-عــربي، بــيروت: منشورات مركز بابل، 1975م، ص637

✓ مزمور 147/12:

«**<u>שבחי</u>** (شَبْحِي) **ירושלם، את-יהוה; הללי אלהיך ציון**»

«<u>سبحي</u> يا أورشليم الرب، هللي لإلهك يا صهيون.» (الترجمة المشتركة)

✓ مزمور 117/1:

«**הללו את-יהוה، כל-גוים; <u>שבחוהו</u>** (شَبْحوهو)، **כל-האמים**»

«هللوا للرب يا جميع الأمم <u>سبحوه</u> يا جميع الشعوب» (الترجمة المشتركة)

✓ مزمور 145/4:

«**דור לדור، <u>ישבח</u>** (يشَبَح) **מעשיך; וגבורתיך יגידו**»

«<u>يسبح</u> أعمالك جيل بعد جيل، وبجبروتك يخبرون»(الترجمة المشتركة)

ومن المفيد أن نضيف هنا أيضًا أنّ فعل «سبّح» العربي يقابله في الحبشيّة «سبح» «ሰብሐ» بنفس المعنى[873]؛ بما يظهر شيوع هذا اللفظ الديني في الأمم الساميّة ولغاتها.

* فعل «بارك» له وجود في المعاجم الساميّة؛ فهو في العبريّة «**ברך**» «بيريك» وفي السريانية «ܒܪܟ» «برك»، وفي الحبشيّة «ባረከ» «بَرَكَ» .874

873 انظر؛ حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة، القاهرة: مكتبة الآداب، 1429هـ، 2008م ، ص209

874 انظر المصدر السابق، ص79

ثم إنّ عامة الشعائر اليهوديّة تبدأ بعبارة:

ברוך אתה ה' א-לוהינו מלך העולם...
مبارك/تباركت (بروك) أنت الربّ إلهنا ملك العالم ...

وقد جاء استعمال لفظ ((بارك)) في الكتاب المقدس مرّات عديدة بنفس المعنى القرآني، ومنها:

✓ المزمزر 106/48:

((**ברוך** (باروك) **יהוה אלֹהי ישראל، מן-העולם ועד העולם**))

((تبارك الرب إله إسرائيل،من الأزل وإلى الأبد))

✓ المزمور 89/53:

((**ברוך** (باروك) **יהוה לעולם: אמן ואמן**))

((تبارك الرب إلى الأبد. آمين ثم آمين))

✓ المزمور 119/12:

((**ברוך אתה יהוה** (باروك أتا يهوه)-- **למדני חקיך**)) ...

((مبارك أنت يا رب، فعلمني إرشاداتك)) .. وهي نفس الصيغة التي نقلها ((الهش...)) عن الكنائس السريانيّة؛ فهي ليست من مبتكراتهم ولا من أفراد عباداتهم، وإنّما هي نصّ من الكتاب المقدّس لا يعرف عنه ((الهش...)) شيئًا!

علمًا أنّ كلمة ((ب ر ي ك)) بمعنى ((مبارك)) في النقوش النبطيّة قد وردت بالصيغة نفسها في النقوش الآراميّة الدوليّة، والتدمريّة، والحضريّة.[875]

---

875 انظر؛ سليمان بن عبد الرحمن الذييب، المعجم النبطي، دراسة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، 1421هـ، 2000م، ص 58

رابعا: لا توجد علاقة فونولوجيّة بين ((تـزكى)) و((داكيوتا))، مـع العلم أنّ ((تــزكّى)) من الفعــل الثلاثي ((زكى)) بمعــنى النمــو والتطهّر[876]، وهـــو في الســـــريانيّة ((زْكا)) ((□□□)) و((□□□)) ((زْكي)) بمعنى طهر ونقى، وفي العبريــة ((زاكا)) ((**זכה**)) بنفس المعنى السابق، وفي الأكاديّة ((زكو)) بمعنى ((نَقِيَ)).[877]

إنّ ظاهرة التكلّف عنـد المستشـرقين والمنصّـرين في نفي عروبــة كلمــة ((تــزكّى)) باديــة بجلاء من خلال اختلافهم فيمــا بينهم: هل هي من أصل نصــراني أم من أصــل يهــودي؟[878] وكــأنّ الغايــة المقصــودة في ذاتهــا هي نفي عروبــة هــذه الكلمة!

خامســا: التكلّــف المحض والقفــز المحمــوم بــادٍ لإثبــات التطــابق بين ((ظــالم)) و((تلوما))(!) .. وقــد شــعر ((الهش ...)) بمبلــغ تطرّفــه في (عصــر) الأدلّـــة، فاســتعمل عبارتــه (الســاذجة): ((ليس أكــثر))، رغم أنّــه لم يــأت بشــيء أصــلًا –

876 ((أصـل الزكـاة في اللغـة: الطهـارة والنمـاء والبركـة والمـدح)) (ابن منظور، لسان العرب، 14/358)

877 انظر؛ عمر صابر عبد الجليل، المعجم التأصـيلي للفعـل النـاقص في اللغــات الســاميّة، دراســة إيتمولوجيّــة في ضــوء علم اللغــات الســاميّة المقارن، ص 84، بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنــة سرياني-عـربي، بغـداد: مطبعـة المجمـع العلمي، 1423هــ، 2002م، ص 106

878 انظر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur’an*, pp. 152-153

بالإضافة إلى أنّ الكلمة التي قصدها هي «طلوما» (□□□□□) بالطاء (□) لا التاء (□)!!- .. والأدلّة قائمة ضدّ دعواه:

* إنّ الظلم في القرآن الكريم لـه معـان متعـددة، وهـو في وجه من أوجهه ظلم للنفس بترك الإيمان الحقّ، فليس هــو في الاصـطلاح القــرآني مطابقًــا للكفر؛ وإنّمــا ظلم النفس بترك طريق الهداية والإقبـال على طريـق الكفـر؛ هـو وجـه من أوجه الظلم.

وقـد اسـتعملت كلمـة «ظـالم» وكلمـة «ظـالمون» لمطلـق المخالفة للأوامر الرّبّانيّـة سـواء أكـانت كفـرًا أو دون ذلـك، ومن ذلك:

{الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَـاكٌ بِمَعْـرُوفٍ أَوْ تَسْـرِيحٌ بِإِحْسَـانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَـا حُـدُودَ اللّـهِ فَلاَ جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَـدُوهَا وَمَن يَتَعَـدَّ حُـدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}[879]
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُـوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْـرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَـكُمْ وَلاَ تَنَـابَزُوا بِالأَلْقَـابِ بِئْسَ الاِسْـمُ الْفُسُـوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}[880]

---

879 سورة البقرة/ الآية (229)

880 سورة الحجرات/ الآية (11)

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}881

فالظلم ليس قرينًا للكفر، وإنّما يقع على المعصية وإن لم تؤل بصاحبها إلى مفارقة جماعة المسلمين.

* فعل «ظَلَمَ» العربي يقابله ما يقاربه في بنائه الصوتي في عدد من اللغات الساميّة؛ فهو «طْلَمْ» «□□□» في السريانيّة، و«طْلَم» «טלם» في الآراميّة، و«طَلَمَ» «ጠለመ» في الحبشيّة.882

* كلمة «طلوما» نفسها التي ذكرها «الهش...» تعني في المعاجم السريانيّة «ظالم»883 .. ولو قلنا إنّها في النصرانية السريانيّة قد استعملت بمعنى غير المؤمن، فإنّ ذلك ليس إلاّ مدًا لمعناها الأصلي -«ظالم»- ؛ لارتباط ترك الإيمان الحقّ بظلم المرء نفسه باتباع طريق الضلالة؛ فلا يجوز إذن القفز فوق المعنى اللغوي الأصلي في اللغة السريانيّة مع وجود موازيه العربي!

* وردت كلمة «طلوما» في الكتاب المقدس السرياني بمعنى «ظالم» دون أن يكون المقصود: «غير مؤمن»:

---

881 سورة فاطر/ الآية (32)

882 انظر؛ حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة، ص 263

883 انظر؛ يعقوب أوجين منا، قاموس كلداني عربي، ص 284 , J. Payne-Smith, *A Compendious Syriac Dictionary*, Oxford: Clarendon Press, 1957 , p.174, Louis Costaz, *Syriac-French-English-Arabic dictionary*, Beyrouth: Dar El-Machreq, 2002, p.127

- ✓ مزمور 72/4: «[illegible]»

«ليحكم الملـك بـالحق للمسـاكين، وينقـذ بـني البائسـين، ويحطم الظالم.»

- ✓ الجامعـة 4/1: «[illegible]»

«ثم تأملت حولي فرأيت جميع المظـالم الـتي تـرتكب تحت الشمس. شهدت دموع المظلومين الذين لا معزي لهم، أمـا ظالموهم فيتمتعـون بـالقوة، غـير أن المظلـومين لا معـزي لهم.»

المستشرقون .. وقلوبهم (الملائكيّة)!:

قال «الهش...» في أكثر مقاطع كتابه إغراقًا في (الكوميديا) (الوقورة!): «المستشرقون القـدامى ومن هم أقـرب منهم زمنيًا (بلاشير، ماسون) كان يصعب عليهم أن يقرّروا جهـارًا أنّ محمـــدًا كـــان علّامة في مجـــال الكتابـــات اللاهوتيّـــة، والأخـيرون إذ اكتشـفوا تشـابهات كبـيرة بين القـرآن وبين الأناجيل المنحولة لا يلحّون على مسـألة التـأثير بـل يمـرّون سريعًا عليها لكي لا يجرحوا مشاعر المسلمين.»[884]

لا شـكّ أن الـدمع السـاخن يكـاد يَطفُـر مِغـزارًا من عين القارئ تعاطفًا مـع هـؤلاء المستشـرقين (الطيـبين!) الـذين

884 هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، 2/174-175

خانوا أمانة العلم ورسالة التبليغ، لأنّ قلـوبهم (الرخـوة) قـد غلبت عقولهم (الصلبة)؛ فتواطـؤوا جميعًـا على تـرك إعلان الحقيقـة الناصـعة الواضـحة، وهي أنّ محمـدًا (إمـام في اللاهــوت الكتــابي، حــتى النخــاع!!)، حرصًــا على رهافــة أحاسيس المسلمين الذين لا يتصوّر الواحـد منهم أن يقـول مستشـــرق من المستشـــرقين كلامًـــا ينـــال من جنـــاب الإسلام ..!!؟

ولا شكّ أنّ هذا الحديث (العاطفي) الحـزين، مثـير للشـفقة ولا ريب، لكنّها شفقة على عقل هـذا «الهش...» الـذي يريـد طمس كل نور من عقول القرّاء ...!!!

إنّ البداهــة تقتضــي في عــرف بــني «آدم» أنّ التخصّــص اللاهوتي لا بد له من مقـدمات، وأصـول، وفـراغ، وأسـاتذة، ومراجع، ولغات، وبيئة، وتفرّغ، وصبر .. ولذلك فرّ القــائلون إنّ الرسول قد أخذ من اليهوديّة والنصـرانيّة، إلى القـول إنه قد أخذ من التراث الشفهي الشائع والمتناقـل بين أهـل الكتاب .. وليس لهذه (الطيبـة) (الهشّـة) مجـال هنـا، إذ إنّ الاستشراق ما قام إلا لخدمة هدف زعزعـة أصـول الإسـلام ونقض مقولاته وردّ أصالته!

إنّنـــا نعيش في (الـــزمن الصـــعب) حيث تكلّم الرويبضـــة، وأفصح عن مكنونـات (عقلـه) الخـاوي. وصـار زعيم القـوم

(أرذلهم)، وأعلَم القــوم (لكــع بن لكــع) ليس لــه في العلم رصيد ولا نصيب![885]

وما أصدق قول الإمام «ابن القيم» لو قيل في هؤلاء:

لا يفزعنـك قعـــــــــــــــــــــــا قع وفــــــــــراقع * وجعــــاجع عـــريت عن الـبرهان

885 إنّه لمن العسير تتبّع (جهالات) «الهش...» إذ لم أر لــه من العلم في ما يكتب أدنى زاد، بل وله من (الجهالات البدائيّة) نصـيب وافـر، وفُتح لـه في ذلك أعظم باب؛ فهو –في كتابيه في السيرة-:

(1) يجهل أنّ الاسم الأعظم للإله في اليهوديّة هـو «يهـوه» «יהוה» وظنّـه «أدوناي» (2/328)

(2) لا يدري أنّ «**אלהים**» تكتب بالحرف العـربي «إلـوهيم» لا «إيلـوهيم»؛ إذ إنّ حرف الألف محّرك (بالحطف سيجول) لا (تسيريه حاسير) (2/91)

(3) لا يحسن رسم كلمة «الأسينية» الفرقـة اليهوديّـة المعروفـة، ويكتبهـا «الإيسينيّة» –بياء بعد الهمزة-(2/21)!

(4) يكتب اسم «أفرام» السـرياني كمـا هـو في عـرف اللسـان العـربي، «إفرائيم» (2/174).

(5) كتب اسم الإله عند النصـارى السـريان على أنّـه «ألاه» في حين أنـه «ألاها» «□□□□» بحرف المد في الآخر (ألف) (أكثر من موضع)

(6) يكتب اسم «إرميا» بإضافة الياء «إريميا» (1/127)!

(7) قال في (1/112): «إنّ العهد القديم أعيد تحريره وضبطه العديد من المـرّات حـتى القـرن الثـالث بعـد المسـيح. انظـر في هـذا المجـال: Wellhausen، Dhorme، Bottero.» .. وأنا أعترف أنّني (نظرت)، فلم أفهم معنى هذه الإحالة الـتي لا تحيـل إلى أسـماء كتب وصـفحات معيّنـة!! ولا أدري ولا أظن أنّني (سأدري) معنى أنّ العهد القديم قد حرّر وضبط حـتى القرن الثالث ميلاديًّا .. (الكلام ببلاش!)

كم ذي الجعاجع ليس شــيء * إلا الصــدى كــالبوم في تحتها * الخربان

---

(8) زعم في (2/176) أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قـد اطّلـع على كتابات آباء الكنيسة، وهذا الرأي الطريف، قد بلغ بلا ريب درجة (الهبل!)؛ لأنّ جل هذه الكتابات كان باللغتين اليونانيّة واللاتينيّـة، كمـا أنّهـا مؤلفـات مغرقة في التجريد الفلسفي، وكانت حكرًا على طبقـة خاصـة من علمـاء النصارى .. وقد اعترف ((الهش...)) مع ذلك أنّه ((لا وجود للكنيسة بالحجاز في تلك الفترة. وكان مستوى المعرفة عند النصارى واليهود ضعيفًا جدًا.)) (1/116) .. فهل صنعت لقاءاتٌ مع (تجار) و(زوار) لمكـة، أعظم لاهـوتي موسوعي في ذاك الزمان!؟ (تساؤل) يصيب عقل صاحبه (بالشــلل)! ولا أمل في (الشفاء) إلاّ أن تكون هذه الدراسة (online)!؟

(9) قال ((الهش...)) أثناء حديثه عن طروء (!) (الاحتجاج) بالحـديث بعـد العصر النبوّى: ((اسـتفحل الأمـر إلى أن وصـل بعض المسـلمين الآن إلى تفويق السنّة على القرآن)) (1/45) .. قلت: لم (يستفحل) هذا الأمر، ولم يكن (فحلًا) في يــوم من الأيــام .. وإنّمــا هي (أضــغاث أوهــام) و(زيــف أحلام)!

وكان قد قال في هامش النص الســابق لمـا اقتبسـناه عنـه: ((ولنـذكر أنّ الموطأ لم يحو إلاّ خمسمائة حديث، وأنّـه اعتمـد أساسًـا على عمـل أهـل المدينة. لكنّ مسند ابن حنبل كلّه حديث. وفي تلك الفـترة تكـوّنت زمـرة الحديث.)) (1/112). قلت: هي ظلمات بعضها فوق بعض:

أولًا: عدد أحاديث الموطأ المرفوعة على رواية ((يحيى بن يحيى الليثي)) – وهي أشهر الروايات- (الأحاديث المتصـلة والمرسـلة والمنقطعـة) قـريب من الثمانمئة.

ثانيًا: (زمرة أهل الحـديث) لم تظهـر زمن الإمـام ((أحمد))، وإنمـا ظهـرت زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث كـان الصـحابة يأخـذون بأقوالـه في العقائـد والأحكـام وغـير ذلـك من شـؤون الـدنيا والآخـرة، واسـتمر الصحابة رضوان الله عليهم على هذا السبيل بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وكان جمهور التابعين وتابعي التـابعين من الآخـذين بالحـديث النبوي والعاملين به.

ثالثًـا: الإمـام ((مالك)) لم يـردّ حجيّـة الأحـاديث ولم يزهـد في المسـند المرفوع-على خلاف دعوى ((الهش...))-، ولم يـرد أن يسـتوعب الأحـاديث النبويّة في موطّئه، كما هو ظاهر من تقسيمه له.

رابعًـا: لم يـرد الإمـام ((مالك)) من أخـذه بعمـل أهـل المدينـة ردّ حجيّـة الحـديث النبـوي، وإنّمـا عمـلُ أهـل المدينـة عنـد ((مالك)) أشـبه بالروايـة القوليّة المتوارثة في عمل أهل المدينة التي عاش فيها كثير من الصحابة وتلاميـذهم والآخـذين عنهم العلم، فهـو عمـل دال على نص صـحيح غـير منسوخ (انظر؛ أبو الوليـد البـاجي، المنهـاج في تـرتيب الحجـاج، ت/ عبـد المجيد التركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م-2001م، ط3، ص 143).

إنّها (موبقات) تخنق في العقل رئتي تنفسه؛ ولذلك جاء كلامه (نحنحة)!

(10) من (مضحكات) أقواله ترجيحه ما رواه ((الطبري)) عن قتادة من أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد مكث في مكّة ثماني سنوات، لا عشـر سنوات أو ثلاث عشرة سنة، ودليله هو أنّ ((قتـادة)) كـان يـروي عن كبـار التـابعين (ص 348-349) ، وأنّ ((الطـبري))كـان يكـثر الروايـة عنـه .. فـ

«الهش...» يردّ ما جاء عن الصحابة الذين لم يقل أحد منهم بهذا القول الغريب، ويقبل ما جاء عمّن أعظم ميزة فيه أنّه قد لقي كبار التابعين (!)، وهو هنا أيضًا يردّ روايات البخاري ومسلم، ويقبل ما رواه «الطبري» لأنّ الطبري كان يكثر من الرواية عن «قتادة» (!!)، رغم أنّ «الطبري» كان يكثر الرواية عن الوضاعين والضعفاء (ليس «قتادة» منهم، وإن كان مدلِّسًا) .. وهو منهج – منهج «الهش...» - أعمى وأعرج؛ لأنّ العبرة ليست بكثرة الرواية وإنما بصحة الإسناد، وما قاله «قتادة» موقوف عليه؛ فهو رواية مقطوعة، وقد ساقه «الطبري» نفسه مساق الرواية المنكرة، وأورده بصيغة التمريض: «وقد روي عن قتادة» (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1/574) وهذه الرواية عن «قتادة» لا تثبت أصلًا (انظر؛ محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلّاق، ضعيف تاريخ الطبري، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، 1428هـ-2007م، 7/57) .. والذي يزيد هذا (الجهل) ظرافة (!) هو أن «الهش...» نفسه قد قال في الجزء الأول من حديثه عن السيرة: «والحال أنّ السيرة والتواريخ تشدّد على الحدث باعتباره الانطلاق الأساس. ولئن كانت الأسانيد لا تُعتمد بالنسبة للمؤرّخ، بل فقط متن الرواية...» (ص 35)؛ فهل للسند قيمة عند «الهش...» أم هو هدر؟! سؤال يلف حبل الحيرة حول (العقل) ويخنقه بحسرته!!

ولا تقف (سخافات) الرجل عند ذاك، وأنّى لدفقه أن يقف أو لسيله أن يجف؟! لقد أخبرنا «الهش...» أنّ قصّة نزول الوحي في غار حراء <u>متواترة</u>، لكنّه يرفضها رغم هذا التواتر (ص 35)! فهل الحديث الموقوف

الضعيف مقدم على الحديث المرفوع المتواتر؟! هنا (انتحـار) العقـل بعـد أن أصيب بتسمم (دماغي) و(إسهال) حاد وحـار.. رحمـه اللـه؛ فقـد هتـك «الهش...» (عرضه)، وطوله، وجميع أبعاده!

ولعـلّ أبـرز مـا تلحظـه العين الباصـرة في الاسـتجلاء العقلي والنفسـي للإفراز (الفكري!!) «لجعيط»، إمعانه في التلذذ بمراهقتـه الفكريّـة -وهـو الذي جاوز السبعين-؛ فهو مترع الغرام بما عُهِدَ عن الأطفال إذا ما دخلـوا مرحلة المراهقة وبدأ الحرف اللاتيني في استهوائهم، فهـو يكـثر من: (1) استعمال العبـارات الأعجميّـة الـتي لا يليـق اسـتعمالها في وجـود مقابـل عـربي محكم، (2) توليـد الألفـاظ العربيـة ذات البنيـة الصـوتيّة اللاتينيـة القديمة أو الفرنسيّة. (3) استحضار أسماء العلـوم ذات الـرنين الطريـف على أذن العـامي؛ في نـوع من صـناعة الانتشـاء الـذاتي، رغم أنّ هيكـل كتابه ومضمونه لا يحملان رصيدًا من هـذا (الإرهـاق) المشـطّ الـذي أوقـع فيه «الهش...» نفسه في استجلاب الأصوات والضجيج اللفظي المفتعل!

كما أنّ (الرجل) لايزال يتعامل مع القارئ على أنّه (فـتى غـرّ) ينظـر إليـه من قاع الوادي في ذهول وانبهار جعلاه لا يجد (حرجًا) في استحماره في قوله: «إنّ علماء أوروبا درسوا مليًا تاريخ الإسـلام لمـدة قـرن تقريبًـا من 1860م إلى 1960، ودرســوا بالأســاس ماضــيه باعتبــاره من كــبرى حضـــارات الإنســـانيّة» (2/9)، رغم أنّ (رجلًا) من أئمـــة الاستشـــراق الفرنكفوني «جاك بيرك» قد اعترف أنّ الاستشراق لم يكن بهذه الـبراءة المدّعاة، وإنما ربط بالاستعمار السياسـي والعمـل التنصـيري والتوظيـف الاقتصادي بصـورة وطيـدة، ولـذلك أعلن «بـيرك» مـا سـمّاه: نهايـة زمن

الاستشراق (انظر؛ شوقي أبو خليل، الإسـقاط في منـاهج المستشـرقين والمبشّـرين، دمشـق: دار الفكـر، 1419هــ، 1998م، ص 6)، وقـد كتب ((إدوارد سـعيد)) الأكـاديمي –النصـراني مولـدًا- في تعريـة الاستشـراق وكشف منطلقاته العدائية نحـو الإسـلام، عقيـدة وشـريعة وتاريخًـا، وفيـه الغنية (انظر؛ Edward Said, *Orientalism*, London: Pantheon Books, 1978)!

((هشام جعيط)) هو –بكلّ أمانة- أحد إفرازات عصـور الانحطـاط في البلاد العربيّة .. وبلسان الصادق الأمين-صلوات ربّي وسلامه عليه- ((رويبضة .. يتحدّث في أمر العامة))!!

إنّنا نعيش في زمن (الصعب) حيث يعتز العالماني (الرقيع) بثغائيّة كلماتـه الغثائيّة اعتزاز البخيل بدرهمه وديناره!! ألست ترى ((سيد القمني)) –مثلًا- وقـد (انتفش) (زهـوًا) لمـا مُنِح (جـائزة الدولـة التقديريّـة في تخصـص أنثروبولوجيـا الأديـان) عن كتبـه في دراسـة اليهوديّـة، قبـل أن يكتشـف الجميع أنّ دكتوراه (صاحبنا!) من إحدى جامعـات أمريكـا، (مضـروبة) من جامعة وهميّة، ثم اكتشفتُ لما نظـرتُ في كتبـه أنّ هـذا (العلاّمـة) –كمـا يسـمّيه (عشّـاقه!)- (ضـرب) حتّى مراجـع كتبـه -إلاّ العـربي أو المعـرّب منهـا-؛ فقـد اسـتبان لي من وجهين (طـريفين) أنّ مراجعـه الإنجليزيّـة والفرنسيّة والألمانيّة لا أصل لها في مكتبته- فاستغنيت عن مزيـد البحث، خاصة أنّ الأمر كـان كارثيًـا إذ كشـف لي أيضًـا أنّ هـذا (العلاّمـة!) الـذي (غـاص) في عمـق الديانـة اليهوديّـة (!)، لا يعـرف حتّى أسـماء الكتب المقدسة اليهوديّة، أي أنّه لا يعرف من تخصصه (وجهًا ولا قفا) ؛ وأوّل مـا نبّهني إلى هذه الحقيقة أنّه لما كتب (القمني) أسماء أسفار العهد القـديم في كتابه (إسرائيل، التـوراة .. التـاريخ، التضـليل، دار قبـاء، 1989م، ص 20-25)، قـال: ((القسـم الأوّل: المعـروف باسـم التـورة (كـذا)، أو كتب موسى الخمسة، أو البانتاتـك Pentateuque ويشـمل خمسـة أسـفار هي:

هل من معلم بشري لمحمدﷺ؟

التكوين Genesis والخـروج Exodus واللاويين Leviticus والعـدد Nambers والتثنية Deuteronomy... أوّلهـا أيـوب Jop ثم المزامـير Bsaumes وبعـده سـفر أمثـال سـليمان Bruverbes ثم سـفر الجامعـة Ecclesiastes وهـو منسوب بدوره لسليمان، ومن بعـده سـفر نشـيد الإنشـاد Canuque des Cantigues... ودانيال Daniel وهوشـع Osee ويوئيـل Joe وعـاموس Amos وعوبديا Abdias ويـونس Jonas وميخـا Michee ونـاحوم Nahum وحبقـوق Habakuk وصـــفنيا Sophonie وحجي Ajjee وزكريـــا Zacharie وملاخي Malachie ‹‹ .. لقد قرأت هذا (المكتوب)؛ فلم أجد في الضحك والغضـب تعبـيرًا عن (صـدمتي)؛ إذ إنّ هـذا (الكـويتب) بعـد أن (وكـذلك: قبـل أن) (ضرب) شهادة الدكتوراه، قام باختلاق مراجع إنجليزيّة وفرنسيّة وألمانيّـة لكتبه، رغم أنّه لم يشم من (رائحة) هذه اللغات شيئًا؛ ودليل ذلك أنّـه في قائمة الأسماء التي كتبها سابقًا بالحرف اللاتيني، كـان مـرّة يكتب أسـماء الأسفار بالفرنسيّة (مثال: Michee، Sophonie...) وفي أخرى بالإنجليزيّة (مثال: Genesis، Exodus، Ecclesiastes) دون أن ينتبه لهـذا الخلـط بين اللغتين؛ ولا يفعل ذلك عاقل، وسبب ذلك أنه كان ينقل هـذه الأسـماء من كتب غيره، فدخل (الحابل) في ساحة (النابل)، كما أنّـه قـد كتب كلمـة ‹‹ Pentateuque›› الفرنسيّة بـالنطق الخطـأ إذ تكتب ‹‹بُنتـاتوك›› وأصـلها من اليونانيّة ‹‹Πεντάτευχος››، وهي في الإنجليزيّـة ‹‹Pentateuch››، بـل وكتب أسـماء بعض الأسـفار بلغـة لا تعرفهـا الأرض (Nambers) والصـواب (Numbers)، (Jop) والصواب (Job)، (Bsaumes) والصواب (Psaumes)، (Bruverbes) والصـواب (Proverbes)،، (Canuque des Cantigues) والصواب (Cantique des Cantiques)–وحتى لا يتبرع (كريم) بالقول إنها أخطاء (طباعة!) أو مجـرد (سـهو!)، فـأقول إنّ (القمـني) قـد كـرر نفس الأخطاء في كتابه (النبي موسى وآخر أيام تـل العمارنـة، ص30-33)!-... فكيـف إذن كـان ‹‹القمـني›› يتعامـل مـع مراجـع العلم الـذي يـدعي أنـه تخصصه، رغم أن عامة مراجعه أجنبيّة؟! ومن أين له تلـك المراجـع الـتي يذكرها في كتبه إذا كان لا يميز بين الفرنسية والإنجليزيّة؟! وكيـف يُكـرم

إذا كان القول باطلاع محمد ﷺ على أسفار أهل الكتاب ودراسته لها دراسة نقدية عميقة، فاقدًا للمستند التاريخي؛ لما ثبت من أميّته ﷺ، وعدم وجود ترجمة عربيّة في زمنه؛ فلم يبق بعد ذلك إلا أن يفترض المخالف أنّ محمدًا ﷺ

يجائزة الدولة التقديريّة في تخصص لا يعرف عنه مقدّماته (بل ما قبل المقدمات!) .. والمثال الثاني متعلق باسماء المراجع الأجنبيّة التي أوردها في كتبه؛ إذ إنّه قد أخطأ في رسم كل إحالاته إلي المراجع الفرنسيّة التي يدعي أنه قد اطّلع عليها (باستثناء كتابه (أوزيريس) فنصف المراجع الفرنسيّة لم يخطئ في رسمها، والكتاب على كلّ حال غير متعلّق باليهوديّة) وكثير من المراجع الألمانيّة فيها نفس الداء.. والرجل عاجز حتّى عن معرفة أسماء أئمة الدراسات التي يخوض فيها، ويزعم النقل عنهم، فهو لا يزال عاجزًا عن معرفة أنّ «فلهاوزن» يكتب اسمه «Wallhausen» لا «Wellhausen»، ويخبرنا عن رجل اسمه «جاك أوستراك» (1684م-1766م) وهو يقصد «جون أستروك» «Jean Astruc» الناقد الشهير (إسرائيل، التوراة .. ص 31)! ولا يقف الأمر عند ذلك؛ إذ يصرّ (القمني) على تعليمنا ما لا نعلم وما لا يعلم (!)؛ فقد اقتحم باب دراسات اللغات الساميّة، وله في ذلك –طرائف (تميت القارئ بالضحك بعد أن تمرضه بالبكاء!) ولك أن تقرأها في كتابه (السقيم بكل الأمراض المستعصية): (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مدبولي الصغير، د.ت) ففيه أمور لو علمها «بروكلمان» وإخوانه لابتلعوا أظافر أرجلهم (كمدًا)، والرجل على استعداد أن يجود عليك بالنوادر والتدقيقات؛ فيقول لك مثلًا، لتعرف حجم (جهلك!): «ويطلق على كتب العهدين اصطلاحًا لفظة (أسفار) جمع (سفر) أو كتاب، وتعني السور أو المحيط بالمحتوى، و(سفر) هي المقابل العبري لكلمة (سورة) في اللغة العربيّة, حيث يتبادل الحرفان (فا) و(و) بين العبريّة والعربيّة، كما في (ليفي) العبريّة، ومقابلها (لاوي) في العربيّة» (إسرائيل, التوراة .. ص18) .. لا أدري لِمَ انتصب لتعليم القرّاء العبريّة رغم أنه يعلم أنّ كل كلامه من (هوى رأسه)؟! إذ إنّ المثال الذي قدّمه يكشف أنّه لا يعرف ما يخرج من (بلعومه)؛ فكلمة (لاوي) في العبريّة هي (לוי) بحرف الواو (ו) لا الفاء (פ)، علمًا أنّ علماء العبريّة مختلفون في أصل نطق حرف (ו) بين و(واو) و(vav)، ويستشهد المنتصرون لنطقه (واوًا) باللغة العربيّة

العربي الأميّ قد تلقى علوم أهل الكتاب عن غيره، بعد أن ثبت عجزه عن الاطلاع المباشر على أسفار القوم ..

والاحتمالات المتاحة أمام المنصّرين لا تخرج عن الآتي :

- قد تعلّم محمّد على يد علماء أهل الكتاب قبل بعثته.
- أو تعلّم على يد علماء الكتاب بعد بعثته.
- أو أنه قد تلقى علوم الكتاب المقدس على يد العرب.

كمقابل سامي، وعلى كل حال فالفاء (פ) الموجودة في كلمة (سفر) (ספר) (العبريّة) لا علاقة لها بحرف الواو (ו) وإن نطق (vav)! وقد بلغ الأمر منتهى (السخف) عندما تحدث (القمني) عن أشهر نظريّة في أصل تكوين أسفار «موسى» -عليه السلام- الخمسة، وهي نظرية «فلهاوزن»، والتي أكثر «القمني» تكرار ذكره لها في كتبه؛ فقد استدل القمني بأشهر نص في العهد القديم بعد نص الوصيّة الأولى من الوصايا العشر، لإثبات ما قرّرته هذه النظرية من تعدد لمصادر النصوص، وهو نص يعرفه كلّ من قرأ (كلمتين علميتين) في دراسات العهد القديم، فقد كتب (القمني): «يمكننا أن نقف على ذلك التناقض في فعل الخلق، الذي يقوم به مرة من سمّي في الترجمة العربيّة (إله) وهو في الأصل العبري (يهوه)، كما في القول: «في البدء خلق الله السماوات والأرض» تكوين 1/1 أو كما في القول: «وقال الله ليكن .. كذا كذا»؛ ومرّة أخرى نجد الخالق في ذات القصّة لكن في مواضع أخرى هو (إللوهيم) أو (الآلهة)» (إسرائيل، التوراة ...، ص32-33) .. إنّها والله (مأساة)، فهذا النص مشهور جدًا بلفظه العبري: «في البدء خلق إلوهيم (لا يهوه!) السماوات ...» «בראשית, ברא אלהים, את השמים ...» (بريشيت بارا إلوهيم إيت هشامَايم...) .. وتزداد المأساة قتامة إذا علمنا أنّ (القمني) لا يعلم أنّ اسم الجلالة في العهد القديم هو (إلوهيم) (אלהים) لا (إللوهيم)!!

لن أزيد .. فقد ابتلينا بأهل (الهشاشة) .. وشرّ (الهشاشة)، ما يجعلك تطيل في الهوامش وتخرج عن أصل الموضوع!

o أو على يد الفتى الرومي (كما قال معاصروه).

الاحتمال الأول في الميزان

أ- إنّ حياة محمد معلومة للقاصي والـداني ممـا يجعـل الزعم بأنه قد عكف الشـهور والسـنين في دراسـة التـوراة والانجيل قولًا مردودًا بداهة، ولو أن قومـه كـانوا قـد علمـوا أنه قد قضى ردحًا من عمره يدرس الدين اليهـودي والـدين النصراني على يـد علمـاء أهـل الكتـاب لحـدّدوا لنـا المكـان والزمان اللذين قدمت له فيهما هذه العلوم الكتابية الغزيرة والمعقدة والتي جعلته يجيب ببراعة فائقة على كل الأسـئلة التي وجهها له أهل الكتـاب حـتى إنـه لم يـتراجع عن إجابـة قدمها.

ب- مقابلة محمد لعلماء اليهود والنصـارى قبـل بعثتـه لم تكن تسمح له بأن يحصّل كل تلك العلوم الواسعة والدقيقـة لأنه لم يلتق قبل بعثتـه –كمـا ورد في كتب السـيرة- سـوى بالراهب بحيرى (وهـو في الثانيـة عشـرة من عمـره)، وهـو لقاء حضره عمه (أبو طالب)، ومضمون هذا اللقاء هو إخبار هذا الراهب أبا طالب أنّه قـد رأى في الرسـول علامـات النبوّة!! وهـو لقـاء سـريع وخـاطف، ولم يكشـف عن عمـل تعليمي من هذا الرجل للرسول .

على أنّ الراجح –بعـد بحث أصـالة الروايـة متنًـا وسـندًا- أنّ قصّة لقاء الرسـول «ببحـيرى» هي قصّـة مختلقـة منكـرة تخالف ما ثبت من صحيح السيرة في المرحلة التاليــة حيث لا يبدو من «أبي طالب» علم بنبوّة الرسول ، بـل مـا كـان الرسـول قبـل لقائـه بجبريـل عليـه السـلام يحسـب أنّـه

سيكون ممّن اصطفاهم المولى عزّ وجل لهذا المقـام، كمـا أنّه ﷺ قد فـوجئ بلقـاء جبريـل عليـه السـلام، واضـطر إلى سؤال «ورقة بن نوفل» عن الذي وقع له في الغار!

وقد كذّب الإمام الحافظ «الذهبي» هذه الرواية، وقال فيها:

«وهو حديث منكر جدًّا!

وأين كان أبو بكر؟

كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسـنتين ونصـف؛ وأين كـان بلال في هـذا الـوقت؟ فـإنّ أبـا بكـر لم يشتره إلاّ بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد؛ وأيضًـا، فـإذا كـان عليه غمامة تظلّه كيف يتصوّر أن يميل فيء الشـجرة؟ لأنّ ظلّ الغمامة يعدم فيء الشـجرة الـتي نـزل تحتهـا، ولم نـر النّـبيّ ﷺ ذكّـر أبـا طـالب قـطّ بقـول الـرّاهب، ولا تذاكرتـه قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ، مع تـوفّر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقـع لاشـتهر بينهم أيّمـا اشـتهار، ولبقي عنـده ﷺ حسّ من النّبـوّة؛ ولمـا أنكـر مجيء الـوحي إليه، أوّلًا بغار حراء وأتى خديجة خائفًا على عقله ...

وأيضًا فلو أثّر هذا الخوف في أبي طالب وردّه، كيـف كـانت تطيب نفسـه أن يمكّنـه من السّـفر إلى الشـام تـاجرًا لخديجة؟

وفي الحديث ألفاظ منكرة، تشـبه ألفـاظ الطّرقيّـة، مـع أنّ ابن عائد قد روى معناه في مغازيـه دون قولـه: وبعث معـه

أبو بكر بلالًا إلى آخره، فقال: ثنا الوليد بن مسـلم، أخـبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه.))886

وقـال الإمـام المحقّـق ((الـذهبي)) أيضًـا في تعليقـه على مستدرك ((الحاكم)): ((أظنه موضوع، وبعضه باطل.))887

وممّن أشـار أيضًـا إلى نكـارة متنـه ((ابن سـيد النـاس)) في كتابه ((عيون الأثر)) إذ قال فيه: ((في متنه نكارة وهي إرسال أبي بكـر مـع النـبي بلالًا. وكيـف وأبـو بكـر حينئـذ لم يبلـغ العشـر سـنين فـإنّ النـبيّ أسـنّ من أبي بكـر بأزيـد من عامين، وكانت للنبي تسعة أعوام على ما قالـه أبـو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره، أو اثنا عشـر على مـا قاله آخرون، وأيضًا فإنّ بلالًا لم ينتقل لأبي بكر إلاّ بعد ذلـك بـأكثر من ثلاثين عامًـا؛ فإنّـه كـان لبـني خلـف الجمحـيين، وعندما عُذّب في الله على الإسلام اشـتراه أبـو بكـر رضـي الله عنه رحمة له واستنقاذًا له من أيديهم.))888

وخلاصة البحث في هذه المسـألة هي أنّ: ((قصـة بحـيرى لا تثبت أمام النقد الحديثي، ولو افترضنا جدلًا أنها وقعت فـإن اللقاء بينهما لا يعدو السـاعة أو السـاعتين، وعمـر النـبيّ

---

886 الذهبي، تاريخ الإسلام، ت/ عمر عبد السـلام التـدمري، بـيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ، 1987م، 1/57

887 الحـاكم، المسـتدرك على الصـحيحين، طبعـة متضـمنة انتقـادات الـذهبي، القـاهرة: دار الحـرمين للطباعـة والنشـر والتوزيـع، 1417هــ، 1997م، 2/724

888 انظر؛ ابن سيد النـاس، عيـون الأثـر في فنـون المغـازي والشـمائل والسير، ت/محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، 1/108

اثنتا عشرة سنة. ولو حـدثت قصـة اللقـاء لأثـارت جـدلًا في قـريش. لكننـا لا نجـد صـدى لهـا ممـا يؤكـد بطلانهـا. ومـاذا يتحمل صبي في الثانية عشرة من عمره عن بحـيرى؟ وقـد اجتمع به بحضور قريش ساعة من زمان؟»[889]

فالقصـة لا تثبت إذا مـا أخضـعت إلى منـاهج النقـد العلمي التأريخي الصارمة. وحتى لو ثبتت -جدلًا- فإنها لا تـؤدّي إلى ما أراده المنصّرون؛ لأنّ هذا اللقـاء كـان سـريعًا خاطفًـا لا يمكن أن يتعلّم منه المرء شيئًا!!

ومن الغريب، والمثير، أنّه رغم أنّ هذه الشخصية -«بحيرى» الراهب- مغمورة إلا في هذه القصة الواهية -حتّى اضطرّت الموسـوعة الإسـلاميّة الاستشـراقيّة المختصـرة «*Shorten Encyclopaedia of Islam*» إلى القول في أصالة القصّة بأكملها إنّ «كلّ مفاتيحها مفقودة» ولذلك «لا يمكن أن يقال فيها من الكلام إلاّ القليل»[890]-، فإنّ المنصّـرين قـد ادّعـوا أنهم على معرفة بوجودها التاريخي من مراجـع غـير إسـلامية! ولأنهم يخترعون القصـص من أوهـامهم؛ فقـد تخبطـوا في معرفـة الاسم، والموطن، وحتى مذهب هذا الراهب !!![891]

---

889 د. أكـرم ضـياء العمـري، مرويـات السـيرة النبوية، بين قواعـد المحدثين وروايات الأخباريين (نسخة الكترونية).

890 H. A. R. Gibb and J. H. Kramers, *Shorter Encyclopaedia of Islam*, New York: Cornell University Press, 1905, p.56

891 يقول الدكتور «أكرم ضياء العمـري»: «أمـا بالنسـبة لمعلوماتنـا عن بحيرا فإن المصادر لا تكاد تتفق على شيء بشـأنه، بـل هي متضـاربة في اسمه فمرة جرجيس وأخرى جرجس وثالثـة سـرجيس ورابعـة سـرجس. ومرة أنه مشتق من الآرامية معناه المنتخب، وأخرى من السريانية معناه المتبحر. ومرة ينسب لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي. ومرة هـو نصـراني

وقد نشر المنصّرون المصريون أتباع الكنيسـة الأرثوذكسـية المرقسيّة، وثيقة على (النت) قالوا إنّهـا مـذكرات «بحـيرى» الـراهب، وقـد اعـترف فيهـا «بحـيرى» أنّـه هـو الـذي علّم الرسول ﷺ حقائق الدين!!

والحقيقـة هي أنّ هـذا النصّ مـأخوذ -حرفيًـا- من كتـاب «*A Christian Bahira Legend*» لـعالم الساميّات «ريتشارد غوتهيل» «Richard Gottheil» وقـد أورد فيـه هـذه القصّـة في صـورتها السـريانيّة والعربيّـة، عن مخطوطـات قديمـة، والغـريب أنّ «ريتشارد غوتهيل» قد صرّح في العنـوان، وفي الكتـاب، في فقرته الأولى، أنّ هذه القصّة ليسـت إلا خرافـة «Legend» تم توظيف بعض المرويات التاريخيّـة فيهـا لأغـراض جدليّة892، كمـا أشـار إلى أنّ كـاتب (أو كتّـاب) فهـرس المخطوطـة العربيّة في «المكتبة القوميّة» قـد كتب: «خرافـة كتبت نحـو

وأخرى يهـودي.» (السـيرة النبويـة الصـحيحة، المدينـة المنـوّرة: مكتبـة العلوم والحكم، 1415هـ، 1994م، ط6، ص 110-111)

وقال الشـيخ «الألبـاني» في تسـمية هـذا الـراهب «ببحـيرا»: «إن تسـمية الـراهب بــ (بحـيرا) إنمـا جـاء في بعض الروايـات الواهية، في إحـداها الواقدي وهو كذاب، وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواهـا بدون إسناد، وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذين سموه بهـذا الاسم» (ناصر الدين الألباني، حادثة الـراهب المسـمى (بحـيرا) حقيقـة لا خرافة، مجلة التمدن الإسلامي، 25)

وانظـر في اختلاف الـدفاعين النصـارى في الاسـم والمعتقـد؛ A. Abel, *'Bahira,'* in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, 2010

892 انظر؛ Richard James Horatio Gottheil, *A Christian Bahira Legend*, New York: 1903, p.189 and others

القرن الثاني عشر.((((Legende composée vers le 12 siecle))893
تعليقًا على النص العـربي للقصة، وهـو قـريب ممـا قرّرتـه الموسـوعة الاستشـراقيّة ((The Encyclopaedia of Islam)) بـرد تاريخ تأليف هذه القصّة إلى القرن الحـادي عشـر أو الثـاني عشر.894

وتعـود أقـدم المخطوطـات الـتي اعتمـدها ((غوتهيل)) للنص العـربي، إلى بدايـة القـرن الخـامس عشر895، أمّـا النص السرياني فقد اعتمد في إعادة بنائه على ثلاث نسخ، اثنتان من القـرن التاسـع عشر896، وواحـدة من القـرن السـابع عشر أو الثامن عشر!!897

والقصّة بأكملها كما رجّح ذلـك ((غوتهيل)) نفسـه، ربمـا ألّفت في فـارس في بيئـة فيهـا نشـاط شـيعي بـارز؛ إذ تحـدّث الكـاتب عن المهـدي المنتظـر: ((المهـدي ابن علي ابن فاطمة))898 ومـا سـيحدث على يديـه من أمـور عظيمة899، واستعمل الرقم 12-وفيه إيحاء إلى فرقة الإثـني عشـرية-،

---

893 المصدر السابق، ص192

894 انظر؛ E. J. Brill's first Encyclopaedia of Islam, 1913-1936, BRILL, 1993, 2/577

895 انظـر؛ Richard James Horatio Gottheil, A Christian Bahira Legend, pp. 200-201

896 لم يذكر الزمن بدقّة عنـد حديثـه عن مخطوطـات النص السـرياني، وإنما اكتفى بالقول: ((القرن الماضي)) ؛ ولمـا كـانت النسـخة الـتي أنقـل عنهـا قـد طبعت سـنة 1903م؛ فقـد ذكـرتُ أن (القـرن الماضـي) يعـني القرن التاسع عشر.

897 انظر المصدر السابق، ص 199-200

898 بهذا الرسم!

وعدد من الأمور الذي تكثر في الأدبيات الشيعيّة، حتّى قـال «ريتشارد غوتهيل»: «يبدو أنّ الاهتمام الكبير بفكرة المهــدي يدلّ على وجود تأثيرات شيعيّة.»900

ويتميّز هذا النصّ بعـدّة أمـور قاطعـة أنّ مؤلّفـه راهب، وأنّ ثقافتـه الإسـلامية غـير محكمـة؛ إذ إنّ مصـدرها (الثقافـة الشـعبيّة) والمعلومـات الطافيـة الشـائعة عن الإسـلام وعقائده وشرائعه:

1) راوي القصة الذي التقى «بحيرى» الراهب901، هو أيضًا راهب، وإن اختلـف اسـمه في النصّ السـرياني عن النصّ العربي.

2) تركيزه على الناحية التفصيليّة لوصف الوضـوء والصـلاة، وهي أمور تعرف بمشاهدة أحوال المسـلمين، دون الحاجـة إلى ثقافة خاصة.

3) استشناعه الشـديد لمـا أباحـه القـرآن الكـريم من تعـدد الزوجات، ووجود حوريّات في الجنّة.

4) ادّعــاؤه أنّ الكثــير من النصــوص القرآنيّــة والأحكــام التشريعيّة تدلّ بلفظها على عقيدة التثليث وألوهيّة المسـيح وصلبه، وهو ما أرساه الجدل الكنسي في القرون الوسطى

---

899 ذكر أيضًـا «المهـدي بن عايشة» الـذي يفسـد في الأرض!! وهـذا مـا يؤكّد وجود ثقافة شيعيّة سائدة في المنطقة التي كتب فيها هذا النصّ.

900 ؛ Richard James Horatio Gottheil, *A Christian Bahira Legend*, p.191

901 هـذا في النصّ العـربي، أمـا النص السـرياني فـيروي هـذا الـراهب القصة عن تلميذ لبحيرى.

وانتشر في كتابات الرهبان الذين عُرفوا باختلاق الكثـير من المناظرات الوهميّة بين المسلمين والنصارى.

5) غياب الاستدلال بالأحاديث بما يؤكّد الثقافة السماعيّة الضيّقة لهذا الراهب.

6) إظهار ((بحيرى)) في صورة التائب النادم على فعلته، وهي النهايات (السعيدة) في القصص التي اعتادها الرهبان.[902]

7) كتبت هذه القصّة في وسط نصراني انعزالي، ولم يُرد منها الكاتب إنشاء حالة نقاش علمي مع المسلمين، إذ إنه يقدّم رواية مشبعة بالرغبة في التشفي وبعيدة عن أيّة أصول تاريخيّة معتبرة، حتى إنه قد جعل الراهب ((بحيرى)) ملازمًا للرسول في مكّة والمدينة (!!)، يقدّم له تفاصيل العقائد والشرائع كلّما احتاج إلى أمر يلقيه إلى الناس!! رغم أنّ الرواية الإسلاميّة (الضعيفة) التي هي أصل هذه القصّة، لا تذكر غير لقاء عابر مع راهب في طفولة الرسول !

8) رغم انتشار هذه القصة العدوانيّة بين النصارى، إلاّ أنّ حدّتها في بيئة تحت سلطان المسلمين حكامًا وعلماء، تحتم القول إنّها كانت تنتقل بسريّة ودون ضجيج، وهو ما يجعل الأديرة آمن مكان لانطلاقها وترويجها.

---

902 من الطريف أنّ كلمة ((Legend)) الأعجميّة والتي تعني ((خرافة)) تعود في أصلها إلى القصص التي كان يرويها الرهبان عند الأكل، والتي تعتمد على الخيال الجامح في الوعظ.

وكما ذكـر ذلـك البحّاثـة «سـدني غـريفث»، فـإنّ النقـاد قـد أشاروا إلى زيف النصوص الجدليّة النصرانيّة التي لم يشتهر مؤلّفوهـا بأعيـانهم المعروفـة للنـاس، والـتي كتبت بلغـة نصـارى البلاد العربيّـة (السـريانيّة، والقبطيّـة، والأرمنيّـة)، ومنها هـذا النصّ[903] .. علمًـا أنّ «سـدني» يـرى أنّ المؤلّـف سـرياني مجهـول، وأنّ النصّ السـرياني- الـذي هـو أصـل النص العربي- يعـود إلى آخـر القـرن الثـامن أو أوّل القـرن التاسع.[904]

لقـد كـان التحريـف والاختلاق منهجًـا بـارزًا في النشـاط الرهباني السرياني ضد الإسلام على مدى قرون طويلة.[905]

ولقـد وقـف عـدد من النقّـاد الغربـيين أنفسـهم ضـدّ أصـالة روايـة لقـاء الرسـول ﷺ «ببحـيرى» الـراهب، ومنهم «كليمن

903 Sidney Griffith, *The Church in the Shadow of the Mosque, Christians and Muslims in the World of Islam*, N. J.: Princeton University Press, 2008, p.39

904 المصدر السابق، ص 38، وقد ذهب «Armand Able» إلى أنّ هـذه القصّـة تكشـف عن خلفيّـة تاريخيّـة للكـاتب تعـود إلى النصـف الأول من القرن التاسـع (انظـر: Armand Abel, '*L'Apocalypse de Bahira et la notion islamique de Mahdi*,' in *Annuaire de L'Institut de Philologies et d'Histoire Orientales* 3(1953) 1-12)

905 انظــر في تحريفــات الرهبــان الســريان -المتعلّقــة بالإســلام- للمخطوطـات الـتي قـاموا بنسـخها, Michael Philip Penn, '*Monks, Manuscripts, and Muslims: Syriac textual changes in reaction to the rise of Islam*,' in *Hugoye: Journal of Syriac Studies*, Vol. 12.2, 235-257

هوار)) ((Clément Huart))906 الذي قال في مقاله ((مصدر جديد للقرآن)) ((Une Nouvelle Source du Coran))‪:‬ـ ((النصوص العربيّة التي اكتشفت، ونشرت، ودرست منذ ذلك الوقت، لا تسمح بأن يُرى في دور هذا الراهب السوري غير الخيال الصرف.))
Les textes arabes qui ont été trouvés, publiés et étudiés depuis)) lors, ne permettent de voir dans le rôle attribué a ce moine syrien qu'une pure fantasmagorie))907.

906 كليمن هوارت: عمـل أسـتاذًا في مدرسـة اللغـات الشـرقيّة الحيّـة، ومديرًا للدراسات في المدرسة التطبيقيّـة للدراسـات العليـا في بـاريس. عمل في خدمة الاستعمار الفرنسي للبلاد الإسلاميّة.

907 *Journal Asiatique*, Juilet- aout, 1904, p.127

A Christian Bahira legend.

By *Richard Gottheil.*[1])

Conclusion of the Arabic text.

فقال لى على انا ان امر قومى ان لا يوحد من راهب[2] خراج ويبجل[3] وتقضا[4] حوايجه ويعنى[5] باحواله[6] وامرهم فى امر جماعة* النصارى ان[7] لا يتعدا[8] عليهم[9] ولا يغير عليهم فى رسومهم شيا* وتعمر كنايسهم وترفع[10] روسايهم[11] ويقدموا وينصفوا* ظلم احدا منهم كنت خصمه[12] [13]يوم القيامة.* فقلت له احسن الله جزاك وبارك لك فيما اعطاك[14] فقد قلت[15] ما انت من اهله. فقال لى [16]قد بقى علىّ شدة كيف* تقبلنى

---

1 *See* Vol. XIII, p. 189 ff.; Vol. XIV, p. 203 ff. 2 DPX + جزية ولا 3 PX وان يكون مسجل 4 DX وتقضى 5 D ويعنا; PX ويعتنا 6* D ويهتم بامره واعظم الوصيه على جماعه 7 D بان 8 DP + احدا 9* D ولا يغرض اليهم بمكروة ولا تغيير فى شى من رسومهم. ثم يبقوا اعلى ما جرت به العادة; PX رسومهم 10 D وترتفع; PX ويرفع 11* D ولا ينكد احدا عليهم (X احدا) 12 P حصيمة 13* PX ‹ 14 P عطاك 15 PX واقول لقومى ان من ابى مفتكر فى حالى ومكابرا فى قضية امرى وما اعرف 16* D + لى قد بقا شيا اخر اريد اقوله لك عن ما يملكون(?) لى وكيف; PX قلت لى كيف

Syriac texts.

ܬܘܒ ܥܠ ܫܘܡܠܝܗ ܕܝܠܗ ܗܘܐ ܡܬܢܒܝܢܘܬܗ Ms Sachau 87, fol. 48 a
ܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܐ ܕܥܠܡܐ. ܒܡܫܡܠܝ ܫܢܝܐ ܕܪܒܢ ܣܪܓܝܣ ܕܡܠܟܘܬܐ ܦܪܣܝܐ:
ܒܥܪܒܝܐ ܘܡܕܝܢܝܐ. ܘܦܪܫ ܠܗ ܗܠܝܢ ܓܠܝܢܐ. ܒܚܙܘܢܐ. ܕܥܠܡܐ ܕܫܘܪܝܐ
ܕܫܘܠܡܗ. ܘܕܐܪܥܐ ܠܥܠܡܝܢ ܠܡܢܝܚܬܗ: ܐܡܝܢ܀

ܡܬܚܫܒܢ. ܗܘ ܗܟܢܐ ܐܡܪ ܣܪܓܝܣ ܐܡܪܬ ܠܟ: ܐܢܐ ܡܫܡܫܢܐ
ܕܡܠܟܐ: ܥܠ ܒܘܪܟܬܐ ܕܡܠܟܗ: ܘܥܠ ܕܐܬܓܠܝܬ ܕܡܠܟܗ ܕܥܠܡܐ ܡܢ ܕܫܘܪܝܗ:
ܘܥܠ ܡܠܟܘܬܐ ܕܒܢܝ ܐܝܫܡܥܝܠ. ܚܙܐ ܗܘܐ ܚܙܘܐ: ܒܝܘܡܐ ܠܡܠܟܘܬܐ:
ܐܬܚܙܝ ܠܗ ܕܝܢ ܠܣܪܓܝܣ: ܒܡܬܘܬܐ ܕܐܬܚܙܝܬ ܚܕܐ ܕܡܬܝܠܐ
ܕܘܟ ܚܙܐ ܡܢ ܚܙܐ. ܕܐܬܚܙܝܬ ܥܠ ܐܪܥܐ ܕܒܢܝ ܗܕܐ: ܘܥܠ ܡܠܟܘܬܐ
ܕܗܘܐ ܠܣܪܓܝܣ ܒܟܠ ܡܬܢܒܝܢܘܬܗ ܢܒܝܐ ܗܘ ܕܡܫܝܚܐ: ܘܥܠ ܚܙܘܐ ܘܗܘܐ
ܒܚܙܘܐ ܕܗܘܐ ܠܗ ܠܡܬܢܒܝܢܘܬܗ ܥܠ ܣܪܓܝܣ: ܘܥܠ ܡܠܟܘܬܐ ܕܥܠܝܗ
ܣܪܓܝܣ ܠܡܠܟܘܬܐ ܕܢܦܩܘܢ ܠܥܠܡܐ ܒܢܝ ܐܝܫܡܥܝܠ: ܕܐܝܟ ܐܢܫܐ ܐܬܚܙܝ
ܡܢ ܐܝܫܡܥܝܠ ܕܐܬܓܠܝܘܗܝ ܗܘܘ ܒܐܪܒܥܐ: ܘܐܝܟ ܕܐܡܪܝܢ ܡܠܟܐ ܕܗܢܐ
ܗܘܐ ܟܘܟܒܐ ܘܐܬܚܙܝ ܡܢ ܠܥܠܐ: ܐܠܐ ܡܠܟܐ ܕܐܡܪ ܗܘܐ ܗܘܐ (fol. 48 b) ܕܚܕ
ܟܘܟܒܐ ܢܗܘܐ ܡܬܚܙܝܢܐ ܒܫܡܝܐ ܠܥܠܡ: ܘܠܐ ܘܠܐ ܢܦܠܘܢ ܡܠܟܐ ܕܐܦ
ܡܫܝܚܐ ܥܠ ܚܕ ܟܘܟܒܐ ܐܬܚܙܝ. ܘܠܗ ܥܠ ܟܘܟܒܐ ܣܓܝܐܐ ܘܐܦ ܗܢܐ
ܐܬܚܙܝ ܐܡܪ ܗܘܐ. ܕܠܐ ܙܕܩ ܠܢ ܕܢܦܠܘܢ ܠܟܘܟܒܐ ܕܫܡܝܐ ܐܘ ܕܫܡܝܐ
ܐܘ ܕܙܗܪܐ: ܐܘ ܕܢܘܪܐ: ܐܘ ܕܚܙܐ ܡܢ ܡܠܟܘܬܐ ܕܟܘܟܒܐ: ܐܠܐ ܐܢ ܕܫܡܝܐ
ܒܫܡܝܐ: ܕܠܐ ܠܗ ܐܬܚܙܝ ܐܝܟ ܠܢ ܕܟܘܟܒܐ ܠܫܡܝܐ ܗܢܘܢ ܕܚܙܝܢ ܗܘܘ
ܒܚܙܘܢܐ ܣܓܝܐܐ. ܫܡܝܢ ܟܘܟܒܐ: ܘܡܢ ܗܕܐ ܕܐܬܚܙܝ ܡܢ ܐܝܫܡܥܝܠ
ܘܦܢܝܬܐ ܡܠܟܐ ܒܟܠܐ ܗܟܢ. ܢܦܩ ܠܗ ܗܢܐ ܣܪܓܝܣ ܒܚܙܘܐ: ܘܐܦ
ܠܡܠܟܘܬܐ ܕܢܦܩܘܢ: ܠܡܠܟܗܘܢ ܕܐܝܫܡܥܝܠܝܐ ܘܗܘܐ ܗܘܐ ܠܡܠܟܘܬܗܘܢ ܒܥܠܡܐ
ܘܒܡܠܟܘܬܐ: ܘܗܘܐ ܠܗ ܠܡܠܟܘܬܗܘܢ ܚܙܘܐ ܘܦܘܪܫܢܐ ܒܐܝܕܝ ܡܠܟܐ ܦܪܣܝܐ
ܐܝܟ ܒܚܙܘܢܐ: ܕܫܡܥ ܐܬܚܙܝܬ ܫܡܝܐ ܬܘܪܥܬܐ: ܕܫܪܪ ܒܥܠܡܗ ܡܠܟܐ
ܠܥܠܡܝܢ ܐܝܟܢܐ ܕܐܝܬܝܗ. ܘܐܬܚܙܝ ܠܡܠܟܗ ܒܡܠܟܘܬܐ ܚܘܪܒܐ ܡܢ ܕܐܬܚܙܝ ܗܘ

ت- إنه من المحـال في مجـرى العـادة أن يُتمّ إنسـان على وجــه الأرض تعليمــه وثقافتــه، ثم ينضــج النضــج الخــارق للمعهود فيما تعلم وتثقف؛ ليصبح أستاذ العالم كلـه، لمجـرد أنه لقي -مصادفةً واتفاقًا - راهبًا من الرهبان، فقد كان هـذا التلميـذ مشـتغلًا عن التعليم بالتجـارة، وكـان أميًـا لا يعـرف القـراءة ولا الكتابـة، وكـان صـغيرًا تابعًـا لعمّـه في المـرة الأولى، وكان حاملًا لأمانـة ثقيلـة في عنقـه لا بـد أن يؤديهـا في المــرة الثانيــة، وهي أمانــة العهــد والإخلاص في مــال خديجـــة وتجارتهـــا عنـــدما ســـافر إلى الشـــام في المـــرّة الثانية.[908]

ث - لقاء الرسول ﷺ ((بورقة بن نوفل)) تمّ بعد نـزول الآيـات الأولى من القرآن، ويخبرنا التاريخ بأن ((خديجة)) قد حضـرت هذا اللقاء، كما يخبرنا بأن ((ورقة)) لما سـمع مـا قصّـه عليـه محمد ﷺ من صفة الوحي؛ وجد فيه من خصـائص النـاموس الذي نزل على ((موسى)) عليه السلام مـا جعلـه يقـرّ بنبوتـه ويتمنى أن يمتد به العمر ليكـون ردءًا لـه ونصـيرًا، هـذا هـو فقط ما كان بينهمـا. وقـد تـوفي ((ورقة)) الشـيخ الهـرم بعـد هذه المقابلة بزمن يسير جدًا.

ج-لا يمكن أن تكون النصرانية هي المورد الذي كـان محمـد ﷺ يرتاده ليملأ منه صـفحات كتابـه؛ إذ لم تكن هنـاك معـالم واضـحة للنصـرانية في جزيـرة العـرب، فقـد كـانت هنـاك (أديـان) نصـرانية مسـفّة في الضـلالة إلى جـانب الوثنيـات

---

908 انظر؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار الكتاب العربي، 1415هـ، 1995م، 2/326

المعروفة، حتى قال «إسحاق تيلور» «Isaac Taylor»[909] متحدثًا عن النصرانية التي كانت قبل بعثة محمد وأثنائها: «إنّ ما وجده محمد وخلفاؤه في جميع الاتّجاهات، أينما مهـدت لهم قوّتهم طريقًا إلى أهلهـا، لا يعـدو أن يكـون خرافـة مدقعـة، ووثنيّــة فاحشــة ووقحــة، ومــذاهب كنســيّة متعجرفــة، وممارسات كنسيّة منحلة وصبيانيّة؛ حتّى إنّ العـرب النبهـاء قد شعروا أنّهم مكلّفون بإصلاح انحرافـات العـالم، كرسـل من الله ... لقـد خـرج ابن الأَمَة[910] من صـحرائه «ليسـخر» من ابن الحرّة و«يؤدّبه»».[911]

وتقول «الموسوعة الكاثوليكيّـة الجديـدة» «The New Catholic Encyclopaedia» ـ أيضًــا في هــذا الشــأن: «لم تُمسّ الحجــاز بالــدعوة إلى النصــرانيّة؛ ولــذلك فــإنّ مؤسســة الكنيســة المسيحيّة لا يتوقّع أن تكون قـد وُجِـدت كمـا أنهـا لم توجـد هناك.»[912]

وقال «بيل»: « .. بـالرغم من وجـود تـراث بلـغ بـه الأمـر أن زعم اكتشاف صورة لعيسى في أحد أعمدة الكعبة؛ فإنّـه لا

---

909 إسحاق تايلور (1787م-1865م): فيلسوف ومؤرّخ إنجليزي.

910 ابن الأَمَة: ابن «هاجر»، في مقابل ابن الحرة: ابن «سارة»!

911 Isaac Taylor, *Ancient Christianity and the Doctrines of the Oxford Tracts,* Philadelphia: Herman Hooker, 1840 ,1/364-365

912 *New Catholic Encyclopaedia*, The Catholic University of America, Washington D C, 1967, 1/ 721-722 (Quoted by, Khâlid al-Khazrâjî and others, *The Prophet's Wives Teaching the Bible?*)

توجد حجّـة قويـة لأيّ مكـان للمسـيحيّة في الحجـاز أو في قرب مكّة أو حتى المدينة.»[913]

لقد كانت أهم ثلاث (جماعات) تحمل لواء النصرانيّة العربيّة زمن ظهور الإسلام، هي:

(1) الغساسنة ومقرّهم في الشام على مسافة بعيدة عن مكة. وكـانوا قـد هـاجروا في القـرن الثـالث من اليمن إلى حـوران في الشـام. وقـد كـانوا يعيشـون حالـة من عـدم الاستقرار، إبّان البعثة النبويّة، فقد هدم الفرس دولتهم سنة 613م/614م.[914]

(2) أهل نجـران في شـمال اليمن، ولا يعـرف لهم سـلطان أدبي أو ديني على أهل مكّة.

(3) المنـاذرة، وقـد عاشـوا في الحـيرة في العـراق، وكـان تنصرهم في آخر القرن السادس ميلادي.[915]

كيف، إذن، صار لمكّة اتصال بالثقافة الدينيّة النصرانيّة؟!

ويضيف الناقد «آرثـور فـووبس» حقيقـة تاريخيّـة هامـة، في قوله: «نلاحظ أنّ النصارى الذين يدخلون سلك رجال الـدين

---

913 Richard Bell, *The Origin of Islam in its Christian Environment*, 1925; 1968, The Gunning Lectures Edinburgh University, London: Frank Cass and Company Limited, p.42 (Quoted by, Khâlid al-Khazrâjî and others, Is The Bible Really The Source Of The Qur'ân?)

914 انظر: Edmond Power, *Studies: An Irish Quarterly Review*, Vol. 2, No. 7 (Sep., 1913), p. 205

915 انظر: Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century*, Washington: Dumbarton Oaks, 2002, 2/1/171

في البلاد العربيّة يتحوّلون إلى الهلّنستيّة ويتبنون اليونانيّة كلغة لهم. لا بدّ من الإقرار أيضًا أنّه- كما تشهد على ذلك المخطوطات- في الأراضي الأبعد، جهة الشرق، احتلّت اللهجة السريانيّة نفس المقام، متشرّبة العنصر العربي.)) [916] .. وهو ما يلغي الكيان اللغوي العربي النصراني الذي يمد لنفسه جذوره العقديّة بلغة العرب.

ج- يشهد التاريخ للمعرفة السطحيّة للنصارى في بلاد العرب بدينهم؛ إذ لم تعرف لهم نشاطات دينيّة أو مساجلات لاهوتية أو أدوار واضحة أو بارزة في الصراع بين الفرق النصرانيّة .. كما أنّ النصارى العرب بالإضافة إلى هامشيتهم في مجتمع الجزيرة الوثني، كانوا لا يملكون من علوم النصرانيّة ما يستوقف النظر؛ وفي هذا يقول المستشرق ((دوزي)) ((Dozy)) [917]:ـ ((كانت هناك ثلاث ديانات تقتسم البلاد العربيّة في زمن محمّد؛ اليهوديّة والمسيحيّة وشكلٌ غامض من الوثنيّة. ربّما كانت القبائل اليهوديّة هي فقط مخلصة لإيمانها ... لم يكن للمسيحيّة غير قلّة من الأتباع العارفين بها؛ إذ إنّ جل المؤمنين بها، كانت معرفتهم بها سطحيّة جدًا.)) [918]

---

916 Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,* p. 275

917 رينهارت دوزي (1820م-1883م): مستشرق هولندي. كان له اهتمام بالدراسات اللغويّة وعناية بتاريخ الأندلس المسلمة.

918 Reinhart Dozy, *Spanish Islam: a history of the muslims in Spain*, tr. Francis Griffin Stokes, London: Chatto & Windus, 1913 , p.13

ح-لم يكن بإمكان محمد أن يطّلع بصورة مباشرة على الكتاب المقدس لأميّته الثابتة بالقرآن الكريم والسنّة.

الاحتمال الثاني في الميزان

هو أن يكون محمد قد درس التوراة والإنجيل على يد علماء أهل الكتاب، بعد إعلانه نبوّته .. وهو احتمال مردود سواء في العهد المكي أو في العهد المدني:

في العهد المكيّ

1- كان أهل الكتاب في ذاك الزمن قد عرفوا أنّهم يحتكرون علومهم بينهم؛ فلا يبدون إلاّ القليل، مع تقديم صورة عن دينهم غير التي تضمّها أسفارهم.

{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا}919

{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}920

2- لم تعرف مكّة طائفة يهوديّة، ويشهد على ذلك ما جاء في الصحيحين عن «ابن عباس» رضي الله عنه، قال: «قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ماهذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى

919 سورة الأنعام، الآية (91)
920 سورة آل عمران، الآية (78)

منكم. فصامه وأمر بصيامه.))[921] فالاحتكـاك بطائفـة اليهـود كان في المدينة لا في مكّة.

3- لا نجد لقاء فعليًا بين محمد وأحد علمـاء أهـل الكتـاب في العهـد المكي سـوى لقائـه ((بورقـة بن نوفل))، وقـد علمتَ أنه لقاء خاطف يستحيل عقلًا أن يترتب عليه كل مـا جاء به خاتم النبيين .

4- سيطر الجو الوثني على البيئة المكية فلا يوجد فيها جدل ديني بين اليهود والنصارى أو بين أحدهما والوثنيين، كمـا أنّ علوم أهل الكتاب لم تكن متاحة للعامة ولا للخاصة.

5- لم تعرف مكّة نشـاطًا تنصـيريًا، ولم يكن للنصـارى فيهـا وجـود ظـاهر، وحتّى لمـا ألّـف ((لـولنج)) مـؤخرًا بحثـه حـول النصرانيّة في مكّة، وكتابه الآخـر ((*Die Wiederentdeckung des "Propheten Muhammad: Eine Kritik am" christlichen*)) -1981م- لم يذكر شخصيّة نصرانيّة واحدة في مكة!!

والحقيقـــة هي أنّ من قيـــل إنهم نصـــارى في مكّـــة من معاصـري الرسـول لا يتعـدّى أمـرهم ثلاثـة: ((ورقـة بن نوفل))، و((عبيد الله بن جحش)) و((عثمان بن الحويرث))[922] .. ومن أهم ما لوحظ في أمر هؤلاء أنهم:

---

921 رواه البخاري، كتاب الصيام، باب صـوم يـوم عاشـوراء، ح/2004 ، ومسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، ح/1130
922 انظر؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، 1/251-262

- كـانوا الجيـل الأوّل من النصـارى، وليس يفـترض في الجيل الأوّل أن يكون مؤثّرًا، خاصة إذا لم تكن الدعوة لهذا الدين تشغلهم أصلًا، ولم يكونوا من كبرائه.
- كـانوا يعيشـون في معـزل عن بعض؛ فلم يعـرف لهم تجمّع، ولم يبنوا كنيسة توحّدهم.
- قصص تنصّـرهم مختلفـة ومتباعـدة مكانًـا؛ بمـا يـرجح الظنّ أنهم كانوا على مذاهب نصرانيّة مختلفة.
- لا يعرف لأعيانهم أثر في الثقافـة الدينيّـة لأهـل مكّـة.[923]
- «ورقــة بن نوفل» قــد عــرفت صــلته بــالنبي ﷺ، وهي عارضة إذ لا تتجاوز لقاءً واحدًا قصيرًا!
- «عبيد اللـه بن جحش» أسـلم، ثم هـاجر إلى الحبشـة، وهناك قيل إنّه قـد تنصّـر، والخـبر في تنصّـره لا يثبت من طريـق خـال من العلـل عنـد المحـدّثين[924]، ففي ثبوته نظر، وعلى فـرض صـحّته فإنّـه لا يُثبت في هـذا الباب شيئًا؛ لأنـه لا دليـل فيـه على أنّ «عبيـد اللـه بن جحش» قــد عَلّم الرســول ﷺ، ولا ادّعى «عبيد» ذلــك، وهو مالم يدّعه أيضًا أهل مكّة!

---

923 انظر؛ Ghada Osman, '*Pre-Islamic Arab Converts to Christianity in Mecca and Medina: An Investigation into the Arabic Sources,*' in *Muslim World*, 00274909, Jan2005, Vol. 95, Issue 1

924 انظر؛ محمد بن عبد الله العوشن، تحقيق دعـوى ردّة عبيـد اللـه بن جحش، مجلّـة البيـان، السـنة السـابعة عشـرة، العـدد 182، شـوال 1423هـ ، ديسمبر 2002م

o أمّا «عثمان بن الحويرث» فقد:

(1) تنصّر وغادر مكّة إلى الشام حيث أقام، وفيها مات.

(2) وكانت وفاته قبل البعثة بثلاث سنوات أو نحوها.[925]

في العهد المدني

يمثّل العهد المدني بالنسبة لمحمد انتقالًا من بيئة جاهلة إلى بيئة تضمّ طائفة منظمة دينيًا لها كتابها المقدّس؛ وهي طائفة يهود المدينة؛ وهو ما يدفعنا إلى إبداء هذا التساؤل: «هل من الممكن أن يكون أتباع التوراة هم الذين أطلعوا محمدًا على ما تضمنته كتبهم المقدّسة؟»

الإجابة ستكون قطعًا بالسلب؛ لأسباب عدة؛ من أهمها:

1-لم ينزل من القرآن في العهد المدني غير 28 سورة بعد أن نزل بمكة قبل الهجرة 86 سورة.

2-أهم نقاط التشابه بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس – كما يصرّ على ذلك المشكّكون- قصص الأنبياء، ولو أننا تأمّلنا في النص القرآني لوجدنا أن السور المكية هي التي تعرض أطول قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة.[926]ولم

925 انظر؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ، 1988م، 2/302

926 حتى نرشد القارئ في هذا الشأن نوضح الآيات المكية التي عنيت بهذا القصص: سورة الأعراف عن آدم 11- 25 ، وموسى 102- 176، سورة يونس عن موسى 75-92 ، وسورة هود عن نوح 25-49،

تترك للسور المدنية سوى فرصة استخلاص الدروس منهــا، وغالبًا في تلميحات موجزة.

3-توبيخ القرآن لليهود في العهدين المكي والمدني وتقريعه لهم يجعل القول إنّ محمدًا قد تعلّم على يد أحبار اليهـود في المدينة أمرًا مرفوضًا ببداهة العقل:

في العهــد المكي: {تَاللّــهِ لَقَــدْ أَرْسَــلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِـكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُـوَ وَلِيُّهُمُ الْيَـوْمَ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيم}927

وإبراهيم ولوط 69-82 ، وسورة يوسف عن يوسف، وســورة الحجــر عن آدم وإبــراهيم ولـوط 26-77 ، وسـورة الإســراء عن بـني إســرائيل 4-8، وسورة الكهف عن أهل الكهـف 9-25، وموســى 60-82، وســورة مــريم عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى...الخ 1-33، وسورة طه عن موســى 9-98، وسورة الأنبياء عن إبراهيم 51-70، وداود وسليمان 78-82، وسورة الشعراء عن موســى وإبــراهيم ونـوح...الخ 10-189، وســورة النمــل عن موســـى وداود وســـلمان 7-44، وســـورة القصـــص عن موســـى 3-43، وقـارون 76-82 ، وسـورة العنكبـوت عن نـوح وإبـراهيم ولـوط 14-35، وسورة سـبأ عن داود وسـليمان 10-14، وسـورة ص عن داود وسـليمان وداود وأيوب 17-44، وسورة الذاريات عن إبـراهيم 24-37. (عن محمـد عبد الله دراز، مدخل إلى القـرآن الكـريم، ت/ محمـد عبـد العظيم علي، الكويت: دار القلم، 1401هـ، 1981م، ص 156).

927 سورة النحل/ الآية (63)

في العهـــد المـــدني: {مَثَـــلُ الَّذِينَ حُمِّلُـــوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَــوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}928

{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَـابَ بِأَيْـدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُـونَ هَــذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًـا قَلِيلًا فَوَيْـلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْـدِيهِمْ وَوَيْـلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِــبُون وَقَــالُواْ لَن تَمَسَّــنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًــا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّـهُ عَهْـدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}929

{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْـهُ بِقِنطَـارٍ يُـؤَدِّهِ إِلَيْـكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّـهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون}930

{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيــقٌ مِّنْهُمْ يَسْـمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون}931

4-يتحدث القرآن الكريم بلسـان الأسـتاذ لا بلسـان التلميـذ، فهو يوبّخ أهل الكتـاب على جهـالاتهم، ويكشـف خرافـاتهم، ويفنّد مغالطاتهم:

---

928 سورة الجمعة/ الآية (5)

929 سورة البقرة/ الآيتان (79-80)

930 سورة آل عمران/ الآية (75)

931 سورة البقرة/ الآية (75)

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون}932

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون}933

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين}934

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِين}935

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء

---

932 سورة آل عمران/ الآية (65) وما بعدها

933 سورة البقرة/الآية (140)

934 سورة آل عمران/ الآية (93)

935 سورة المائدة/ الآية (64)

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَإِلَيْهِ الْمَصِير}936

{لَقَـــدْ كَفَـــرَ الَّذِينَ قَـــالُواْ إِنَّ اللّـــهَ هُـــوَ الْمَسِـــيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... }937

{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّـنَّ الَّذِينَ كَفَـرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}938

5- لـو أن محمـدًا كـان قـد تتلمـذ على يـد أحبـار اليهـود؛ لاستغل ذلك أتبـاع التـوراة في حـربهم ضـده، وضـد دعوتـه الوليدة، ولأعلنوا للعالم اسم معلّمه، وموطنه، ولطلبــوا من هذا المعلّم أن يعلن هذه الحقيقة.. ولقالوا .. ولفعلوا !

6- آمن بنبـــوّة الرســـول أعلام من أهـــل الكتـــاب في الجزيرة العربيّة، وذكر القرآن الكريم هـذه الحقيقـة، تـدليلًا على أنّ الإسلام بقرآنه وعقائده من عند الله سبحانه لا من لسان محمد :

{الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ مِن قَبْلِـهِ هُم بِـهِ يُؤْمِنُـون وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَــالُوا آمَنَّا بِــهِ إِنَّهُ الْحَــقُّ مِن رَّبِّنَــا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِــهِ

936 سورة المائدة / الآية (18)

937 سورة المائدة / الآية (17)

938سورة المائدة / الآية (73)

مُسْلِمِين أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْـرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَـا صَـبَرُوا وَيَـدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون}939
{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنـزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَـآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِـعِينَ لِلّـهِ لاَ يَشْـتَرُونَ بِآيَـاتِ اللّـهِ ثَمَنًـا قَلِيلًا أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب}940
{لَّـكِنِ الرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُـونَ يُؤْمِنُـونَ بِمَـا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّـلاَةَ وَالْمُؤْتُـونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَـنُؤْتِيهِمْ أَجْـرًا عَظِيمًا}941
{قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِـهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا}942
{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا}943
{وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}944
{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يُؤْمِنُـونَ بِـهِ وَمِنْ هَـؤُلَاء مَن يُـؤْمِنُ بِـهِ وَمَـا يَجْحَـدُ بِآيَاتِنَـا إِلاَّ الْكَافِرُون}945

---

939 سورة القصص / الآيات (52-54)
940 سورة آل عمران / الآية (199)
941 سورة النساء/ الآية (162)
942 سورة الإسراء/ الآية (107)
943 سورة الإسراء/ الآية (108)
944 سورة الإسراء / الآية (109)
945 سورة العنكبوت / الآية (47)

{وَالَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَفْرَحُـونَ بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَـهُ قُـلْ إِنَّمَـا أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللّـهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآب}946

{لَتَجِـدَنَّ أَشَـدَّ النَّاسِ عَـدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُـواْ الْيَهُـودَ وَالَّذِينَ أَشْـرَكُواْ وَلَتَجِـدَنَّ أَقْـرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُـواْ الَّذِينَ قَـالُوَاْ إِنَّا نَصَـارَى ذَلِـكَ بِـأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِـينَ وَرُهْبَانًـا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون}947

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَـرْتُم بِـهِ وَشَـهِدَ شَـاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى مِثْلِـهِ فَـآمَنَ وَاسْـتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}948

الاحتمال الثالث في الميزان

هو أن محمدًا قد درس التوراة والإنجيل على يـد العـرب (أهـل مكـة)، وهـو احتمـال لا يُعـرف لـه صـاحب يتبنّـاه، ولا يصمد أمام اعتراضات كثيرة؛ من أهمها:

1-أهل مكـة (أمّـة أميّـة) .. وهم أجهـل من أن يمتلكـوا كـل الحقـائق الـتي تعـرض أو تنقض مـا عنـد أهـل الكتـاب في أسفارهم المقدّسة.

2-رغم أنّـه من الممكن أن يكـون أهـل مكّـة مطلعين على بعض قصص أنبياء السابقين، إلا أنّ هـذا الاطلاع لا يمكن أن

946 سورة الرعد / الآية (36)

947 سورة المائدة/ الآية (82)

948 سورة الأحقاف/ الآية (10)

يكون قد تجاوز مرتبة أخبار العامة كالأسـماء والأمـاكن دون التنصـيص على التفاصـيل الدقيقـة الـتي إن حـاولوا ذكرهـا فسيتورطّون في ذكر أساطير مسرفة في الخيال.949

3-عـدم اهتمـام العـرب بقصـص الكتـاب المقـدّس، وذلـك لأسباب؛ أهمها عدم وجـود الموضـوعات الدينيـة في أدبهم، وندرة المعتنقين الجدد، وتشتتهم .. هذا بالإضـافة إلى عـدم شغفهم بالقصص الديني.950

4-احتج القرآن لصالح ربانيته بقصص الأنبياء والأمم الغـابرة التي ذكرها:

{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَـرْبِيِّ إِذْ قَضَـيْنَا إِلَى مُوسَـى الأَمْـرَ وَمَـا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِين وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَـا كُنتَ ثَاوِيًـا فِي أَهْـلِ مَـدْيَنَ تَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَـا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين}951

949 اهتم ((النابغة الذبياني)) في شعره بتاريخ الملك سليمان.. مما يعني أن عالم البذخ والثراء كان هو الذي يجلب اهتمامهم، ومعلوم أن الحـديث عن بذخ السابقين يعـني قصصًـا أسـطورية الغايـة من عرضـها اسـتجلاب انتبـاه النـاس من الـدهماء (محمـد عبـد اللـه دراز، مـدخل إلى القـرآن الكريم، ص145).

950 يـبرز ذلـك من خلال مـا قـام بـه ((النضـر بن الحـارث)) عنـدما أراد منافسة القصص القرآن، فقد شرع يقص على مسـتمعيه أسـاطير ملـوك فارس القدامى، ومغامرات أبطالهـا مثـل ((رسـتم)) و((اسـفندار)) (محمـد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص145)..

951 سورة القصص/ الآيتان (44- 45)

{تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين}952

{ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون}953

لو أن هذا القَصص كان معلومًا عند العرب، لما استدل القرآن على ربانيته بما رواه عن الأنبياء السابقين؛ إذ كيف يستدل الكتاب بما يعلمه العرب لاثبات نبوة محمد .

5- التفاصيل الكثيرة والدقيقة التي وافق فيها القرآن الكريم أسفار أهل الكتاب لا يمكن أن تنتقل إلى محمد عن طريق أمّة من الناس لا تعرف عن أهل الكتاب إلا مجموعة (عناوين) عائمة. ولعّلنا نوضّح هذه المسألة بمثالين صارخين:

- إيليا والبعل: قال تعالى: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِين إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُون أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين}954 .. هذا النص هو حديث واضح جلي عن قصّة (إيليا) النبي التي وردت أيضًا في الكتاب المقدس، علمًا أنّ الاسم «إيليا» «**אליהו**» (إيليّاهو) العبري يكتب في اليونانيّة «Ἠλίας» (إيلياس)، ويسمّي النصارى العرب في الشام الكثير من الأماكن الأثريّة والدينيّة التي ترتبط بهذا

952 سورة هود/ الآية (49)

953 سورة آل عمران/ الآية (44)

954 سورة الصافات/ الآيات (123-126)

النـبيّ بـأديرة «إليـاس» أو كنيسـة «إليـاس». ويخبرنـا الكتاب المقدس أنّ «إيليا» كان ينهى قومه عن عبـادة الإله «بعل» «בעל» بعد أن أدخل اليهـود عبادتـه ضـمن شعائرهم بسبب أنّ زوجة «آخاب» الملـك الإسـرائيلي كانت تعبد «البعل».955

والناظر في التفاسير، خاصـة المبكّـرة منهـا –وهي الـتي تعنينا في هذا المقام-، يرى أنّها مضطربة بصـورة كبـيرة في تعريـف كلمـة «بعل»، وعامـة المفسّـرين على أنّ المقصـود بـ«بعل» في الآيـة هـو «الـرب» باعتبـار أنّ أهم معاني هـذه الكلمـة في اللغـة: «الـرب» و«السـيد»؛ قـال «ابن كثير»: «قال ابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا ومجاهـد وعكرمـة وقتـادة والسـدي: بعلًا، يعـني: ربًا»956، كمـا لم تذكر التفاسير عن أحـد من المفسّـرين الأوائـل مطابقـة اسم «إلياس» القرآني «لإيليا» في الكتاب المقـدس، على خلاف عـادة المفسّـرين في الإشـارة دومًـا إلى المقابـل الكتابي، سواء ورد في الكتاب المقدس أو في التلمود أو في المدراشـات، والأغـرب أنّ كثـيرًا من المفسّـرين الأوّلين في القـرون الأولى بعـد البعثـة النبويّـة، ومنهم

---

955 انظر؛ 1ملوك 16و17و18

956 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/1979

الصحابة رضوان اللـه عليهم، قـد ذهبـوا إلى أنّ «إليـاس» هو «إدريس»، رغم أنّ القرآن الكريم ليس من عادتــه أن يعطي للنــبي الواحــد اســمين متباعــدين لفظًا، كمــا أنّ الكتاب المقدس لا يـذكر نبيًـا باسـم «إدريس»، بالإضـافة إلى أنــه من الــراجح –عنــد عــدد من الدارســين- أنّ «إدريس» القرآني عليه السلام، هـو «أخنـوخ» في أسـفار أهل الكتاب!! ولا تذكر التفاسير عن أحد من المتقــدمين فهمًا للإحالـة الدقيقـة الـواردة في القـرآن الكـريم، غـير «وهب بن المنبّه»[957] الذي كان يهوديًا أصلًا من قبل!

فكيف يظن أحد بعد ما سبق ذكـره أنّ الجزيـرة العربيّـة كانت توفّر لمحمد معرفة كتابيّة؟!!

957 «وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، بعثه الله تعالى في بني إسـرائيل بعـد حزقيـل عليهمـا السلام، وكانوا قد عبدوا صـنماً يقـال لـه: بعل، فـدعاهم إلى اللـه تعـالى، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قـد آمن بـه ملكهم ثم ارتـد، واسـتمروا على ضلالتهم، ولم يـؤمن بـه منهم أحـد، فـدعا اللـه عليهم، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم، ووعـدوه الإيمـان بـه إن هم أصـابهم المطـر، فـدعا اللـه تعـالى لهم، فجـاءهم الغيث ...» (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/1979)



مسلة للإله (بعل) اكتشفت في رأس شمرة (القرن الخامس عشر-الثالث عشر قبل الميلاد)

- إحالة حَرفيّة إلى الزبور: بلغ من أمر القرآن الكريم في دقّته أن يحيل إلى سفر معيّن من الكتاب المقدّس وينقل عنه نصّه حرفيًا، وهو ما لا نعرف له نظيرًا البتّة بين عرب الجاهليّة الوثنيين؛ فقد جاء في سورة الأنبياء، الآية 105: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي **الزَّبُورِ** مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}، وهو عين ما جاء حرفيًا في **المزمور** (الزبور) 37، العدد 29: ((**צדיקים יירשו-ארץ**)) . ومن الطريف هنا أنّ الإمام ((الطبري)) قد ذكر اختلاف علماء الصدر الأوّل في تفسير هذه الآية، ونقل عن جلّهم أنّ ((الزبور)) هو غير كتاب ((داود)) عليه السلام !!! بل ورجّح ((الطبري)) نفسه أنّ معنى ((الزبور)) هنا هو ((الكتاب)) لا ((مزامير

داود»[958] رغم أنّ النص القـــــرآني صـــــريح في أنّ «الزبور» هو كتـاب «داود» عليـه السـلام {وَآتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُـورًا}[959]!!! وفي ذلـك دلالـة على العسـر الشـديد الـذي كـان في ذاك الزمـان في التعـرّف على الكتب المقدسة لأهل الكتاب.

فنقـول: إذا لم يهتـد (1) العلمـاء المسـلمون[960] (2) في زمن انتشار المعارف الكتابيّـة (3)ووجـود أهـل الكتـاب بين أظهرهم يسألونهم، إلى موضـع هـذه الجزئيّـة الصـغيرة في الكتاب المقـدس؛ فكيـف يهتـدي إليهـا ولأعمـق منهـا وأدق، محمـــد *(1)* الأمي (2)الــذي عــاش في بيئــة لا تعــرف المعارف الكتابيّة .. إلاّ أن يكون هو الوحي؟!!

الاحتمال الرابع في الميزان

بعــد أن أثبتنــا أنّ القــول إن محمــدًا قــد درس التــوراة والإنجيل عند علماء أهل الكتاب، من محالات التـاريخ، فإنـه يغدو من السذاجة أن ننسـب شـرف هـذا التعليم إلى حـدّاد رومي-كمــا ادعــاه بعض معاصــري هــذا النــبي -.. ونحن نرفض الاحتمال الرابع لعدة أسباب؛ من أهمها:

1 – «الجبر» حدّاد رومي نصراني يقرأ ويكتب.. لكنه عامي الفـؤاد لا يعلم الكتـاب إلا أمـاني، أعجمي اللسـان لا تعـدو

---

958 انظر؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 9/98

959 سورة النساء/ الآية (163)

960 حتّى من قال إنّ الإحالة في الآية هي إلى مزامـير «داود»، لم يظهـر أنه يعرف موضعها فيها، وإنّما الـتزم المعـنى الظـاهر للآيـة؛ ولـذلك ظـلّ الخلاف بين المفسّـرين في فهم معـنى «زبـورًا» دون أن يُنـاقش معـه انطباق نص مزمور 37/29 على الآية القرآنيّة.

قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد ولا أحد من قومه.

فهل من الممكن أن يكون هذا الأعجمي العامي أستاذًا لمحمد الذي كشف كتابه الأسرار الدقيقة في الديانتين اليهودية والنصرانية، كما كشف ما يخفي أهل الكتاب من حقائق عن الناس؟! هل من الممكن أن يكون للجهل فضل على العلم؟! هل كان هذا الحداد إلاّ فتى عاميًا؟ بل هل تُرى العامة من النصارى في عصرنا يعلمون ما تضمه أسفارهم المقدسة من عقائد وقصص؟!

إذا كانت الإجابة بالنفي -وهي واقعًا كذلك- فهل يجوز أن ننسب العلم إلى نصراني من العامة في القرن السابع الميلادي؟! هل يجوز أن ننسب كل هذا العلم الواسع إلى مثل هذا الفتى؟![961]

2- لو كان «الجبر» هو معلّم محمد لما توانى عن إعلان ذلك أمام الملأ من قريش؛ لأنه سيضمن بذلك حظوة لدى أعداء هذا النبي الذي بدأ يهدد تزايد عدد أتباعه مصالح المنتفعين من هذه القبيلة العربية، والذي فكّر من حادّوه في قتله لعجزهم عن إيجاد وسيلة ناجعة لوأد دعوته أو وقف تمددها.

3- يجب أن ندرك أن مقالة المشركين: {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَر}[962]، لم ترد لأن هؤلاء القوم كانوا يعتقدون أن هذا

---

961 انظر؛ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، الكويت: دار القلم، ص 63-66

962 سورة النحل/الآية (103)

الفتى الرومي هو الذي لقّن محمدًا ما يـدعو إليـه، وإنمـا قـد فـاه المشـركون بهـذه المقالـة، لعلمهم أنّ مـا أتى بـه محمد ، خاصة مـا تعلّـق بقصـص أنبيـاء السـابقين وتـاريخ الأمم الغـابرة، لا يمكن أن يكـون من عنـد عـربي أمي؛ إن محمدًا قد تلقى هذه الأخبـار من عنـد من هـو عليم بـأمر تلك الأمم.

وإذا علمنا أن المشركين كانوا ينكرون نبوة محمد فإنه لا مفر للقوم من أن ينسبوا شرف تعليم هـذا الرجـل إلى من حاز علمًا بتلك الأخبار، ولا أقرب إلى فكر المعاند من علماء أهـل الكتـاب، ولكن أنّى لهم ذاك، وليس في مكّـة علمـاء، فلم يعد عند أهل مكّة من سبيل لتمريـر الفريـة غـير نسـبة هذا العلم والتعليم إلى غلام نصراني اجتمـع فيـه شـرطاهم (أ) أن يكـون من سـكان مكـة حـتى يقـال إنـه كـان يلاقي محمدًا ويملي عليه بكرة وأصـيلًا (ب) أن يكـون من غـير جلدتهم وملّتهم لينسبوا إليه من العلم ما لا يعلمون، بل وما لا يعلم؟!.. وقـد كـان! فهـو إذن اضـطرار من القـوم لا اختيار![963]

4 – أهمـل المستشـرقون هـذا الوجـه من الاعـتراض، ولم يلقوا له بالًا، لعظم تهافته. ولم يكن لمثلهم أن يستدبر هذه الفرية لو كانت تحتمل من الصواب أو الإمكان بعض بعضه!

963 انظر؛ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 64

522

دلالة الاتفاق والاختلاف على ربّانية القرآن الكريم

قال الإمام الأريب «ابن تيميّة» رحمـه اللـه، وهـو ينكـر على النصارى استدلالهم بآي من القرآن الكريم لإثبـات دعـاويهم الباطلة: «إن جميع ما يحتجّون بـه من هـذه الآيـات وغيرهـا، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شـأن جميـع أهل الضـلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم؛ وذلك لعظمة كتب الله المنزلـة على أنبيائـه، فإنـه جعـل ذلـك هـدى وبيانًـا للخلـق وشفاءً لمـا في الصـدور، فلا بـد أن يكـون في كلام الأنبيـاء صلوات الله عليهم وسـلامه أجمعين من الهـدى والبيـان مـا يفرق الله بـه بين الحـق والباطـل، والصـدق والكـذب، لكن النـاس يؤتـون من قبـل أنفسـهم، لا من قبـل أنبيـاء اللـه تعالى.»[964]

---

964 ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بـدل دين المسـيح، مصـر: مطبعـة المدني، 4/43

لقد ادعى النصارى أنّ أوجه التشابه بين القرآن الكريم وأسفار النصارى، دليل على أنّ محمدًا ﷺ قد اقتبس من أسفار القوم، كما ادعوا أنّ مخالفة القرآن لما جاء في تلك الأسفار حجّة على أنّ محمدًا ﷺ قد أخطأ في النقل ..

ودليلنا على ربانية القرآن وبطلان دعوى الاقتباس هو نفسه دليل القوم على إنكار ربّانية القرآن وإثبات دعوى الاقتباس .. إنه التشابه والمخالفة .. التآلف بينهما، والتنافر أيضًا ..

دلالة الاتفاق على ربّانية القرآن الكريم

تَرَدَّد في الكتابات التنصيريّة في بداية التأليف الاستشراقي أنّ القرآن الكريم ما هو إلاّ نسخة ذات تعديل طفيف لما ورد في أسفار الكتاب المقدّس، وكان الداعي الأوّل لهذه التهمة هو التشابه الكبير الموجود بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في تفاصيل قصص الأنبياء، وأخبار الأمم السالفة، وبعض العقائد .. وكانت القناعة قائمة على أنّ المرء أمام حلّين لا ثالث لهما لضبط مصدر هذا التشابه وداعيه؛ إمّا الاقتباس من أسفار أهل الكتاب-سواء مباشرة أو عن طريق معلّم بشري- أو أنّه الوحي .. ولما كان الإقرار بربّانيّة القرآن من الأمور المرفوضة ابتداءً عند المخالفين؛ صار من المتحتّم الانحراف إلى الخيار الآخر

وهو دعوى الاقتباس، ثمّ وُطِّئت الأدلّة على هذا الاقتباس من طرف هذا الفريق؛ فكان (الدليل) المدّعى تابعًا للنتيجة لا العكس؛ في انتكاس غير علمي لمنهج الاستنباط والاستدلال.

ولما ثبت عندنا من قبلُ أنّ الرسول ﷺ لم يكن له سبيل لمعرفة التفاصيل الواردة في الكتاب المقّدس؛ تحتّم الإقرار بالأصل السماوي للقرآن الكريم؛ لما ورد فيه من خبر وأحكام ..

كما أنّه لا بدّ من القول هنا أيضًا إنّ التشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وما ورد في الكتاب المقدس لا يمكن أن يكون بذاته دليلًا على بشريّة القرآن عند النصراني؛ لأنهما قد اشتركا في صواب، وليس نقل الأخبار الصادقة من نواقض الوحي ومبطلات العصمة!!

إنّ التشابه الثابت بين القرآن الكريم والكتاب المقدس لا يمكن أن يكون حجة تدعم قول المنصّرين بأن محمدًا ﷺ قد نقل ما وجده لدى علماء أهل الكتاب في عصره، إلا أن يثبت أنّ ما اتفق عليه القرآن الكريم والكتاب المقدس ليس إلا باطلًا وزورًا من الدعوى، وهو ما لم يثبته المنصرون، وليس إلى إثباته سبيل ما كانوا على نصرانيّتهم.

أمّا إن استدلّ غير النصارى (كالملاحدة) بهذا التشابه لردّ ربّانيّة القرآن الكريم؛ فعليهم عندها أن يثبتوا أنّ القدر الذي شارك فيه القرآن الكريم الكتاب المقدس، يتضمّن أخطاء وأباطيل يأباها العقل أو ينفيها التاريخ؛ فذاك مركبهم الوحيد

لاتخاذ هذا التشابه مطعنًا في كتاب المسلمين .. وتشهد الدراسات النقدية لهذه الطائفة في الشرق والغرب أنّها لم تقدّم شيئًا في هذا الباب من الممكن تتبّعه بالنقد، وإنّما هي أقوال مجملة لا تستند إلى دليل محكم، وعمدتها القول العام الفضفاض إنّ أسفار الكتاب المقدس لا تضمّ غير الأساطير والخرافات، وإنّ كلّ ما فيها هو من اختلاق الكتّاب واختراع الأمم التالفة التي كانت تصنع الأساطير ثمّ تتخذها دينًا..

وقد كان هذا النوع من الدراسات التي لا ترى في أسفار الكتاب المقدس إلاّ نوعًا من (الفولكلور) الساذج، شائعًا ورائجًا في القرن التاسع عشر، حيث كانت الدراسات الأركيولوجيّة والأنثروبولوجيّة تعيش مرحلة الدبيب أو الزحف الوئيد بسبب ضعف المادة القديمة التي تسمح بالنظر والمقارنة، لكن مع تطوّر الأبحاث وتوسّع المادة المشرّحة؛ تبيّن أنّ عددًا من هذه الدعاوى لا تستند إلى برهان، وإنمّا هي ردّ فعل رافض لكلّ ما تمثله النصرانيّة أو تدعو إليه. ولعلّ أشهر مثال على هذا الأمر ما ذاع في القرن التاسع عشر، خاصة على يد مدرسة (توبنجتن) في ألمانيا، من أنّ المسيح «ابن مريم» ليس إلاّ شخصيّة خرافية اختلقها خيال بعض الناس في بداية القرن الأوّل، وقد انحصر هذا المذهب في أيامنا في قلّة قليلة من الباحثين، بل إنّ أشهر الداعين إليه في القرن العشرين –الألماني

«جورج ألبرت ولز» «*George Albert Wells*» - قد نقضه بنفسه في ما كتبه في آخر نفس القرن![965]

إنه لا يسع المنصف إلّا أن يخلص إلى النتيجة المنطقية التي يقدمها لنا القاضي «عياض»، عندما قال معددًا وجوه إعجــاز القرآن الكريم، في كلام رصين، سـلس، لا افتعـال فيـه، ولا تكلّف:

«الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القـرون السـالفة، والأمم البائـدة، والشـرائع الـداثرة، ممـا كـان لا يعلم منـه القصـة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي على وجهه، ويأتى به على نصــه. فيعترف العـالم بـذلك بصـحته، وصـدقه، وأن مثلـه لم ينلـه بتعليم.

وقــد علمــوا أنــه أمي؛ لا يقــرأ، ولا يكتب، ولا اشــتغل بمدارسـة، ولا مثافنـة، ولم يغب عنهم، ولا جهـل حالـه أحـد منهم.

وقد كان أهل الكتاب كثيرًا ما يسـألونه عن هـذا، فيـنزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا؛ كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى، والخضر، ويوسف، وإخوته، وأصـحاب الكهـف، وذى القــرنين، ولقمــان وابنــه، وأشــباه ذلــك من الأنباء، وبـدء الخلـق، ومـا في التـوراة، والإنجيـل، والزبـور، وصحف إبراهيم، وموسى، ممّا صدقه فيه العلمـاء بهـا، ولم

965 في كتابــه «*The Jesus Myth*» (1999م) حيث اعــترف بتاريخيّــة «المصدر» «Q» الذي هو أحد مصادر الأناجيل الرسميّة.

يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك، فمن موفّق آمن بما سبق له من خير، ومن شقى معاند حاسد، ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه، وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم، وكثرة سؤالهم له ، وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم، وأسرار علومهم، ومستودعات سيرهم، وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم، ومضمنات كتبهم، مثل سؤالهم عن الروح، وذى القرنين، وأصحاب الكهف، وعيسى، وحكم الرجم، وما حرم إسرائيل على نفسه، وما حرم عليهم من الأنعام، ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم. وقوله: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ}966، وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن فأجابهم، وعرفهم بما أوحى إليه، من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه، بل أكثرهم صرّح بصحة نبوته، وصدق مقالته، واعترف بعناده، وحسده إياه، كأهل نجران، وابن صوريا، وابنى أخطب، وغيرهم.

ومن باهت في ذلك بعض المباهتة، وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة، دعى إلى إقامة حجته، وكشف دعوته، فقيل له: {قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين}967 إلى قوله {الظَّالِمُون} .968

966 سورة الفتح/ الآية (29)
967 سورة آل عمران/ الآية (93)
968 سورة آل عمران/ الآية (94)

فقــرّع، ووبّخ، ودعــا إلى إحضــار ممكن غــير ممتنــع، فمن معترف بما جحـده، ومتـواقح يلقى على فضـيحته من كتابـه يده.

ولم يـؤثر أن واحـدًا منهم أظهـر خلاف قولـه من كتبه، ولا أبدى صحيحًا، ولا سقيمًا من صـحفه؛ قـال اللـه تعـالى: {يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ قَـدْ جَـاءكُمْ رَسُـولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِـيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}[969].))[970]

فانظر وتدبّر كيف خلص هذا العالم المحقّق إلى أن التشابه المذكور هو حجة لربانية القرآن الكريم لا حجة لبشريته!

لقد سأل أهل مكّة على اختلاف خلفياتهم، محمدًا عن أخبار الأمم السابقة والفرق التالفة والأنبياء الذين اندرس ذكرهم، فكان القصص القرآني يأتي موافقًا للكثير مما جاء في أسفارهم .. فلا يردون عليه ما ذكره، ولا يرون في ما رتّله نقصًا أو مُدّخلا للطعن في نبوته..

إنّ مجرّد توجه أهل الكتاب ووثنيي العرب إلى النبي لسؤاله عن أخبار الأوّلين، لدليل قاطع باهر على أنّ هذا الاختبار قاس جدًا على هذا الرجل العربي الأميّ .. إذ لو أنّ القوم كانوا يعلمون، أو حتى يشكّون في علمه بأخبار الأوّلين، لما عرضوا أنفسهم ليكونوا حجّة على نبوته .. إنّ المعاصرين لمحمد ما سألوه إلا ليقينهم –وهم

969سورة المائدة/ الآية (15)

970 القاضي عياض، الشـفاء بتعريـف حقـوق المصـطفى، ت/ طـه عبـد الـرؤوف سـعد وخالـد بن محمـد بن عثمـان، القـاهرة: مكتبـة الصـفا، 1423هـ، 2002م، 1 / 178-179

المكذّبون له- أنّه لا يعلم من أمر السابقين شيئًا .. وليس من المنطقي أن يهدي المرء إلى عدوّه حجّة يدعم بها رصيده، وإنما المنطقي أن يسعى إلى تعجيزه، وقطع حجّته، وإلزامه بالإقرار بنفي دعوته الأولى.

دلالة الاختلاف على ربّانية القرآن

إنّ المطالع للقرآن الكـريم ولأسـفار النصـارى، لـيرى عيانًـا مـدى تعـدّد أوجـه الاختلاف بين مـا جـاء بينهمـا .. وأوجـه الاختلاف تضـمّ مواضـيع طريفـة مطروقـة، ومـواد سـابقة وردت في الكتـاب المقـدس مـع تعـديل في العناصـر أو الغايات أو الحِكم!

ولمـا كـانت مـادة الاختلاف بين القـرآن الكـريم والكتـاب المقدس النصراني واسعة ومتنوعـة، فإننـا سـنعرض لبعض منها بما يكشـف بجلاء نقـاء النصّ القـرآني واسـتعلائه على رغام أسفار النصارى..

المبحث الأوّل: الذات الإلهية :

لا شكّ أنّ أهم ما تطمح إليه كلّ ديانة تقـرّر وجـود إله[971]، هو تعريف الناس بمعبودها؛ اسمه، وصفاته، ومـا يريـده من خلقـه .. ولا ريب أنّ موضـوع التعريـف بـذات الـرّب هـو موضوع شائق لا يمكن أن يقتبس المقتبس من كتاب ديـني دون أن ينهل من سطوره ويتشبّع بأفكاره..

يبدو الإله في العهد القـديم مثقلًا بأوضـار (البشـريّة)؛ فهـو متلبّس بالصـفات البشـرية الجسـمانية الـتي يتجلّى بهـا لخلقه[972] .. وتجتاحـه في الكثـير من المواقـف، الانفعلات الثـائرة تـأثرًا بـالمواقف الطارئـة، وكأنـه لا يعلم من الغيب شيئًا[973].. وإذا حمي غضبه ضـرب بسـوط العقـاب المـذنب والبريء[974] .. وهو يعـاقب الأبنـاء حـتى الجيـل الرابـع بـإثم آبـائهم[975].. ويمتـد أذاه إذا احتـدّ غضـبه إلى قتـل الأطفـال والرضع والبهائم[976] .. ويُكثر من طلب الخـوف من جبروتـه على حساب رحمته![977]

---

971 اختلف المتخصصون في الغرب في تعريـف حـدود (الـدين)، فـذهب بعضهم إلى أنّ من أركانه الإيمان بإله، ووسّع غيرهم التعريف ليشمل كلّ المنظومات العقدية (يقدم هؤلاء الديانة البوذيـة كمثـال) (انظـر؛ محمـد عبـد اللـه دراز، بحـوث ممهـدة في دراسـة الأديـان، الكـويت، دار القلم، الدين، ص 38-40).

972 انظـر؛ تكـوين11/5، 17/1، 17/22، 18/1، 18/21-23، 26/2، 26/24، 35/7-14، خروج24/ 9-11، 33/9-11.

973 انظر؛ 2 صموئيل 24/16

974 انظر؛ هوشع 13/16

975 انظر؛ الخروج 34/7

976 انظر؛ 1صموئيل 15/3

وهو يدور في فلك هوى اليهود؛ إذا رضي عنهم، أباد لأجلهم الشـعوب[978].. وإذا غضـب عليهم؛ شـتمهم بأقـذع الألفـاظ الغارقة في الحمأة الجنسيّة، كاتهامهم بأنهم أشـبه بـالمرأة العاهرة، وأنّهم يزنون مع الأصنام ..[979]

إنّ هذا الإله، لهـو أشـبه بشـيخ قبيلـة يبحث لأبنائـه عن عـزّ الـدنيا[980]، فـإذا خـالفوا طريقـه واسـتدبروا أحكامـه، أظهـر الغضب الشديد، وجلدهم بسوط التقريع والتأنيب، وهـو في ذلك كلّه متيّم بهم، يتماهى فيهم!

يبدو هذا الإله ككائن صدامي كثير النزاع مع خلقه، كأنّهم له أقران وأضداد؛ فهو يمنع «آدم» من الأكل من شجرة معرفة

---

977 انظر؛ لاويين 25/17، تثنية 4/10ـ 6/2ـ 13ـ 24ـ 10/12ـ 14/23، 28/68ـ 31/12ـ 13، يشوع 24/14ـ 1صموئيل 12/14ـ 24ـ 2ملوك 17/39ـ 1أخبار الأيام 16/25، نحميا 5/9، أيوب 28/28، مزمـور 19/9، 25/14ـ 33/8ـ 18ـ 34/9ـ 96/4ـ 103/17ـ 111/10ـ 112/1، 115/13ـ 128/1ـ 147/11، الأمثـال 1/7ـ 14/2ـ 22/4ـ 24/21، الجامعة/5-7ـ 12/13، إشعياء 8/13، إرميـاء 5/22، هوشـع 3/5، ملاخي 5-2/4 .. وقد جاء أيضًا أمـر الخـوف من الـربّ في العهـد الجديـد، ولكن بصـورة أقـلّ كثافـة: متّى 10/28-لوقـا 12/5، لوقـا 1/50، الرسـالة إلى روما 3/10-18ـ 2كورنثوس 7/1, الرسالة إلى أفسـس 5/21, الرسـالة إلى كولوسـي 3/22, الرسـالة إلى العبرانـيين 10/31ـ 1بطـرس 2/17, الرؤيا 14/7, 15/4.

978 انظر حروب «يشوع» في سفر يشوع

979 انظر مثلًا الكلام الشنيع في حزقيال 23/1-18

980 انظر في هذا الوصف؛ Paul Tice, *Jumpin’ Jehovah: Exposing the Atrocities of the Old Testament God*, CA: Book Tree, 2007 , p7

الخير والشرّ؛ لئلا يشـاركه هـذا العلم[981] .. ويخشـى من أن يجتمع البشر ويتّحـدوا؛ فيضـطرّ إلى بلبلـة ألسـنتهم حـتى لا تتفق لهم كلمة ضدّه[982].. وهـو عـاجز عن نصـرة من يريـد؛ لأن الأعداء لهم مراكب حديديّة[983].. ويخشى من أعداء بني إسرائيل؛ فينزل ليشجع الإسرائيليين وينصرهم![984]

كما يصـوّر الكتـاب المقـدس هـذا الإلـه في صـورة الخصـم المشـاكس للشـيطان، فهمـا يتنازعـان ويتـدافعان تـدافع الأقـران، حتّى إنّ الشـيطان يشـكّك الـربّ في حكمتـه، ويحاول إقناعه أنّه (مخدوع) في «أيوب»، ويدخله في اختبـار (قاس) ليقتنع (بسـذاجة) حكمـة على عبـده الـذي (يـدّعي) الصلاح (!): «أيوب»![985]

ويظهـر هـذا الإلـه نوعًـا غريبًـا من الدمويّـة الـتي ترفضـها البداهة البشريّة؛ فقد قتـل 50 ألـف بشـر، لمجـرّد أنهم قـد نظــروا إلى مــا في داخــل التــابوت [986].. وتطغى عليــه

---

981 انظر؛ تكوين 2/17

982 انظر؛ تكوين 11/ 1-9

983 انظر؛ القضاة 1/19

984 انظر؛ تثنية 23/12-14

985 انظر؛ قصّة «أيوب» النبي في سفر أيوب، من 1/9

986 انظر؛ 1صموئيل 6/19، من الطريف هنا ما قامت به ترجمة «كتـاب الحياة» –متابعة للكثير من التراجم الأخرى، بلا حجّة نصيّة- إذ حــذفت من النص العربي ما جاء في الأصل العبري «**חמשים אלף**» «خمسـين ألفًا»؛ ليكون الانتقام الإلهي واقعًا على سـبعين رجـل فقـط، رغم شـهادة النص

المزاجيّة حتّى إنّ نبيّه ((موسى)) يضيق صدرًا بـذلك، ويظهـر ضـجره، وينـدفع للإنكـار الصـريح عليه[987]...ويضـجّ ((داود)) النبيّ من سلبيته أنّه لا يسمع شكواه ولا دعاءه ...[988]

ويطغى الوهن البشريّ على هذا الإله حتّى إنّه يندم على ما يفعـــل، ويتكـــرّر منـــه النـــدم؛ حـــتى يغلب على أفعالـــه الفشل ...[989]

هو إلـه ضـعيف الفهم والنظـر؛ فهـو يسـتجيب للعنـات غـير مـــبرّرة[990] ولمباركـــات مـــزوّرة[991]، وتخدعـــه امـــرأة ((موسى))[992]!

هو (إله-بشري) لا يخفي ضعفه حتى بالميزان الأرضي .. إنه إله محدود العلم يحتاج إلى علامات تهديه؛ فقد أمـر اليهـود بطلاء أبوابهم بالدم ليكون علامـة يمـيز بهـا بيـوتهم حـتى لا

العـبري ((**חמשים אלף**))، والترجمـة السـبعينية اليونانيّـة ((πεντήκοντα χιλιάδας))، وترجـــوم يوناثـــان الآرامي ((**חמשין אלפין**))، والفولجـــات اللاتينيّة ((quinquaginta millia)) لرقم (خمسين ألف)!!!

987 الخروج 32/ 9-14

988 انظر؛ مزمور 1/22-2

989 انظر؛ تكوين 6/6-7، خروج 32/14 ...

990 انظر؛ تكوين 9/18-27

991 انظر؛ تكوين 1/27-40

992 انظر؛ الخروج 4/ 22-26

يدمّرها حين يأتي لتدمير بيوت المصـريين993.. وهـو ينسـى ويتذكّر994 .. ويسـتريح بعـد الجهـد الشـاق995.. ويأكـل من الوليمة التي أعدّها عبده «إبـراهيم»996 .. ويـنزل إلى الأرض ليعلم ما غاب عنه وهو في السـماء997 .. ويبحث عن «آدم» المختفي في الجنّة998 .. ويغلب عليـه ضـعفه حتّى إنّـه قـد هُزم في جولة مصارعة مع عبده «يعقوب»!! 999

993 الخروج 12/ 13

994 خروج 2/ 24

995 التكوين 2/ـ 3، الخروج 20/11، الخـروج 31/17. يحـاول النصـارى واليهود التفلّت من المعنى الحرفي لنص تكوين 2/3: «وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به، فاستراح فيه من جميع مـا عمله» الـدال على راحة الـربّ بعـد تعبـه؛ للوصـول إلى تكـذيب قولـه تعـالى في الـرد على اليهود والنصارى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} (سـورة ق/ الآيـة 38)، رغم (1) صـراحة لفـظ «استراح» في الترجمات العربيّة، (2) الاستراحة في تكوين 2/3 والخروج 20/11 وخـروج 31/17 دلّت عليهـا كلمتـان تحملان معـنى الاسـتراحة الماديّـة «**שבת**» (شـابَت) و«**נוח**»ـ (نُـوَح)، علمًـا أنّ الـترجوم الآرامي (أونقلوس) قد استعمل كلمة «**נח**» (ناح) في تكوين 2/3 وخروج 20/11 كمقابل لكلمـة «**שבת**» (شـابت) العبريّـة، وهي كلمـة أصـرح دلالـة على الاسـتراحة.(3) نصّ خـروج 23/12 يوضـح معـنى الكلمـتين السـابقتين: «اعمل ستة أيام فقط، وفي اليـوم السـابع تسـتريح (من جـذر (**שבת**)ـ) لكي يستريح (من جذر «**נוח**» أيضًـا ثـورك وحمـارك.» (4) نصّ الخـروج 31/ 17 يردف الحديث عن استراحة الربّ، قوله (وتنفّس) (**וינפש**) أي (استرد أنفاسه بعد الجهد الشاق).

996 انظر؛ تكوين 18/8

997 انظر؛ تكوين 18/21

998 انظر؛ التكوين 3/9

999 انظر؛ التكوين 32/ 24-32

ويَكــثر تشــبيه هــذا الإلــه بالحيوانــات والحشــرات[1000]، والجمادات الوضـيعة قـدرًا [1001]، والكائنـات الخرافيّـة الـتي يخرج من فمها النار ومن أنفها الدخان[1002]...

هـذا هـو الإلـه في العهـد القـديم الـذي يـؤمن بـه اليهـود والنصارى .. أما صورة المعبود في العهـد الجديـد –كمـا هـو في فهم الكنيسة منذ ما قبل البعثـة النبويـة المباركـة-.. فلا تقل فظاعة وإن كانت من نوع آخـر.. فهي تـزعم أن اللـه -سبحانه- قد حلّ في جسد ((يسوع))؛ متلبسًا بجميع الأعـراض البشريّة؛ من تبوّل وتغوّط وتمخّط!

وتضـيف الكنيسـة أنّ أسـفار العهـد الجديـد تعلن أن (الإلـه الابن) قد بصق عليه اليهود، وصـفعه الحـراس[1003]، وأشـبِع شـتمًا واسـتهزاءً من الجنـود الرومـان!![1004]وعـرّي تمامًـا، وألبس بعد ذلك لباسًا مهينًا[1005]، ووضِع على رأسه تـاج من شوك تحقيرًا![1006] ثم صلب بين لصين وضيعين![1007]

1000 انظر؛ هوشع 5/12، 13/7، مراثي إرمياء 3/10

1001 انظر؛ عاموس 2/13

1002 انظر؛ 2صموئيل 22/9

1003 انظر؛ متّى 26/67، مرقس 14/65، لوقا 22/63، يوحنا 18/22

1004 انظر؛ متّى 27/27-31، مرقس 15/16-20، يوحنا 19/2-3

1005 انظر؛ متّى 27/28، مرقس 15/16،20، يوحنا 19/2

1006 انظر؛ متّى 27/29، مرقس 15/17، يوحنا 19/2

1007 انظر؛ متّى 27/44 ومقس 15/32، لوقا 23/39-43

لقــد ادعت الكنيســة أن «عيسى» إله1008 .. ثم رمت هــذا الإله بالعجز والوهن،1009 زاعمة أنّ ذلك باختيـاره، بـل عن رغبة منه!

لقد تلاشت الألوهيّـة في العهـد الجديـد، معـنى ولفظًا1010، وجاءت محاولة البابـا «بنـدكت السـادس عشر» للإجابـة عن سـؤال: «كيـف هـو إلـه الكتـاب المقـدس؟» في كتابـه «إلـهُ

1008 لقد أثبت كثير من العلماء المسلمين وغـير المسـلمين أن عيسـى عليه السلام قد أقر بأنه بشر لا إله، من خلال الأناجيـل ذاتهـا الـتي يـؤمن بها النصارى، ونحن نتبنى هذا الرأي الوجيه.

1009 صرخ الإمام «أبو الوليد الباجي» منددًا بهذه الخرافـات في رسـالة بعث بهـا إلى راهب فرنسـي قـال- ممـا قـال فيهـا-: «... ولكن ليس هـذا بأغرب من قـولكم :«إن إبليس عـرض لعيسـى الإلـه بـزعمكم- ورقى بـه أعلى جبل وأراه زهرة الحياة الدنيا، وقال له: «إن عبـدتني ملكتـك جميـع هذا! فلما سمع المسـيح من كيـد إبليس اللعين، عـاذ من شـره واسـتجار من فتنته بصيام أربعين يومًا وأربعين ليلة، فأمسك إبليس عنه.»

فهل لمن جوّز هذا على ربه، وأخـبر بـه عنـه، مُسـكَة، أو بقيت بينـه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبة؟!

أليس الإله هـو الخـالق لإبليس والقـادر على هلاكـه مـتى شـاء، والمالـك للأرض والسماوات وما بينهما دون شريك ولا ندّ؟!

فكيف يخـاف من هـذه صـفته بعض من خلقـه أن يفتنـه؟ أو كيـف تحمـل إبليس الأرض أو تظله، وهو يخاطب ربه ويدعوه إلى عبادته ويَعِد أن يثيبه على ذلك أو يملكه زينه الحياة الدنيا، وهي ملكه ومن خلقه، وربـه يخـاف فتنته ويستجير منه بالصيام؟!!

وكيف يقول: إنه يعاقبـه في الآخـرة بالعـذاب الأليم ونـار الجحيم، وهـو لا يستطيع أن يخلّص نفسه منه ومن فتنته في الدنيا؟

يسـوع المسـيح، تـأمّلات حـول الإلـه المثلّث» باهتـة اللـون، غائمة المعالم، مفرّغة من كلّ معنى يمكن أن يلتقطـه ذهن القارئ[1011] .. ولكن لِمَ لا يفشل في ذلـك، إذا كـان عنـوان كتابه دالًا على أنّ لإلههِ (يسوع) إلهٌ يعلوه!؟

ذاك هو الإله في الكتاب المقدس- بعهديه القـديم والجديـد- لا يتميّـز عن البشـر بشـيء، بمـا فيهم من عجـز، ونقص، وضعف .. فهل ترى لهذه الصورة ظلًا في القرآن؟! هل من الممكن أن يأخذ الوهم صاحبه إلى الزعم باستنساخ السـور القرآنيّة لصفات ربّ الكتاب المقدّس؟!

إنّ «الله» سبحانه في القرآن الكريم هـو «الأحد» فلا شـريك له في الألوهيّة والربوبيّة:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد}[1012]

وهل قدرته في الآخرة إلا كقدرته في الدنيا!؟ وكيف تزعم أنـه سـليم من حبائل الشيطان وخدعه وهو يخـاف على نفسـه، ويحتـاج إلى من يسـلمه منه، وهو القاهر والخالق لإبليس كيف شاء، والمهلك إذا شاء، تعالى اللـه عما يقول الظـالمون علـوًا كبـيرًا» (رسـالة راهب فرنسـا إلى المسـلمين وجواب أبي الوليد الباجي عليها، القاهرة: دار الصحوة، 1986، تحقيـق د. محمد عبد الله الشرقاوي، ص 87)

1010 لم يرد في العهد الجديد ذكر لاسم الإله المعبود، وإنمـا اسـتعملت كلمات يونانيّة (مثل «ثيوس») دالة على مطلق معنى الألوهيّة.

1011 انظر؛ Joseph Ratzinger (Pope Benedict xvi), *The God of Jesus Christ: meditations on the triune God*, tr. Brian McNeil, San Francisco: Ignatius Press, 2008 , pp.20-25

1012 سورة الإخلاص/ الآية (1)

{بَـدِيعُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُـونُ لَـهُ وَلَـدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}[1013]

{وَعِنـدَهُ مَفَـاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَـا إِلاَّ هُـوَ وَيَعْلَمُ مَـا فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَـا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}[1014]

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[1015]

{قُـلْ إِنِّي لَن يُجِـيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَـدٌ وَلَنْ أَجِـدَ مِن دُونِـهِ مُلْتَحَدًا}[1016]

إنّـه التنزيـه الكامـل للألوهيّـة والربوبيّـة من كـلّ شـوائب الشرك في خصائص الخلق ولوازم الطاعـة المطلقـة، وهـو ما لا نرى له نظيرًا في اليهوديّة أو النصـرانيّة .. وقـد وقـف المستشـرق ((جولدتسـيهر)) ((Goldziher)) الـذي يعـدّ أحـد أهم الطاعنين في الإسلام على مدى تـاريخ الغـرب الطويـل في انتقـاد الإسـلام، قـائلًا في مذكّراته إن الإسـلام ((هـو الـدين الوحيد الذي منع الشعوذة والعناصـر الوثنيـة، لا عن طريـق التـدليل العقلي[1017] وإنّمـا من خلال التعليم المسـتقيم (الأرثوذكسي))) ((The only religion in which superstitution and

1013 سورة الأنعام/ الآية (101)

1014 سورة الأنعام / الآية (59)

1015 سورة الجن / الآية (18)

1016 سورة الجن/ الآية (22)

1017 رغم أنّ هذه الشهادة قد وردت في سياق مدح الإسلام، إلاّ أنها قد جانبت الصواب؛ إذ إن القرآن الكريم زاخر بالنصـوص الـتي تبطـل عبـادة الأوثان ومظاهر الطبيعة بنفي الإرادة والقـدرة عنهـا، وهـو خطـاب عقلي محكم.

heathen elements were forbidden not by rationalism but by orthodox teaching)).[1018] ((لقد اتجه أسلوب تفكيري نحو الإسلام، وكذلك تعاطفي معه... ولم أكذب حين قلت إنني أومن ببعثة محمد النبوية... إن ديني كان الدين العالمي للأنبياء)) ((my way of thought was thoroughly turned towards islam and so was my sympathy ... I was not lying when I said that I believed in the prophetic missions of Muhammad ... My religion was henceforth the universal religion of the prophets.)) [1019]

ويعلق ((ألبرت حوراني))[1020] على قول ((جولدتسيهر)) هذا قائلًا: ((بدا الإسلام لجولدتسهير وكأنه الدين الذي يجب أن تسعى إليه كل الأديان: توحيد خالص، واستجابة نقية -غير مكدّرة- لنداء الله للفؤاد الإنساني... لقد منحه الإسلام معيارًا يحكم من خلاله على الأديان التوحيدية الأخرى)).[1021]

[1018] Ignaz Goldziher, *Tagebuch*, p.59 (Quoted by, Albert Hourani, *Islam in European Thought*, New York: Cambridge University Press, 1991, p.38)

[1019] Ignaz Goldziher, *Tagebuch*, p.71 (نقله المصدر السابق)

[1020] ألبرت حوراني (1915م-1993م): مؤرّخ لبناني كاثوليكي. درّس في عدد من الجامعات الأمريكيّة وغيرها.

[1021] Hourani, *Islam in European Thought*, p. 38

وقد أحسن المستشرق ((جـاك بـيرك)) ((Jacques Berque))[1022] عندما قال: ((ربما من الممكن تلخيص (رسـالة) القـرآن في كلمـة واحـدة، وهي توحيـد الله)) ((Le Coran pourrait se résumer peut-être en un seul mot celui d'unité de Dieu))[1023]

ويؤكّد القرآن الكـريم علـو الخـالق في سـلطانه، فلا يدانيـه الخلق في شيء من عزّ الربوبيّة: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرِ}[1024]، وهو الذي لا يخفى عليـه أمـر في السـماء ولا في الأرض: { وَمَـا يَعْـزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَـالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْـغَرَ مِن ذَلِـكَ وَلا أَكْبَـرَ إِلاَّ فِي كِتَـــابٍ مُّبِين}[1025] وهـــو الـــذي { يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ }[1026]..

وهو الـذي إذا أراد شـيئًا فإنـه يقـول لـه كن فيكـون: {إِنَّمَـا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون}[1027]{وَهُـوَ الَّذِي

1022 جاك بيرك (1910م-1995م): عالم اجتماع ومستشـرق فرنسـي. عضو مجمع اللغة العربيّة في القاهرة. صاحب واحدة من أشهر ترجمـات معاني القرآن الكريم الفرنسيّة.

1023 Jaques Berque, *Relire le Coran*, Paris: Albin Michel, 1993 , p.20

1024 سورة المائدة/ الآية (18)

1025 سورة يونس/ الآية (61)

1026 سورة الأنعام / الآية (14)

1027 سورة يس/ الآية (82)

يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْـهِ وَلَـهُ الْمَثَـلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}1028

وهو الذي{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِير}1029

إنّ لـه الأسـماء الحسـنى والصـفات العلى .. وليس إلى النقص أو العجـز إليـه من سـبيل! وهو{لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير}1030.. فلا شبيه له ولا نظير..

ولو أنّنا نظرنا إلى أسماء الله سبحانه في الكتـاب والسـنة؛ لوجدنا أنها خمسة أقسام :

الأول: الـذي ينحـو إلى تقريـر إثبـات البـاري ردًا على الجاحدين المعطّلين، ويندرج تحت هذا القسم اسـم (الحي) و(الباقي)، و(الوارث) وما في معناها.

الثاني: الأسماء التي تقرر توحيـده ردًا على من أشـرك بـه في عبادته غيره، مثل (الكافي)، و(العلي) و(القدير) ونحوها.

الثالث: الأسماء التي تقرّر تنزيهه- تبارك وتعـالى- ردًا على المشبهة، مثل (القدوس)، و(المجيد) و(المحيط) ونحوها.

الرابع: الأسـماء الـتي تـدل على أنّ كـل موجـود فإنـه من خلقه واختراعه كـ (الخالق) و(البارئ) و(المصوّر) و(القـوي) ونحوها.

1028 سورة الروم/ الآية (27)

1029 سورة الأنعام/ الآية (103)

1030 سورة الشورى/ الآية (11)

الخامس: الأسماء التي تقرر أنه مدبر لما اخترع ومصرفه على ما شاء، وهو (القيوم) و(العليم) و(الحكيم) ونحوها. 1031

وقد ورد التصريح في نصوص الوحي-قرآنًا وسنّة-بأن الله تبارك وتعالى: {أَرْحَمُ الرَّاحِمِين}1032، و{أَحْكَمُ الْحَاكِمِين}1033، و{أَسْرَعُ الْحَاسِبِين}1034، و{أَحْسَنُ الْخَالِقِين}1035، وأنه (الأكبر)، و(الأعز)، و(الأعلم)، و(الأقوى).

وورد في القرآن الكريم أنّ الرب – تبارك وتعالى- {خَيْرُ الْفَاصِلِين}1036، و{خَيْرُ الرَّازِقِين}1037، و{خَيْرُ الْوَارِثِين}1038، و{خَيْرُ النَّاصِرِين}1039، و{خَيْرُ الرَّاحِمِين}1040، و{خَيْرُ الْفَاتِحِين} 1041، و{ خَيْرُ الْغَافِرِين}1042، و{ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}1043.

1031 ابن حجر، فتح الباري، 11/223
1032 سورة الأعراف/ الآية (151)
1033 سورة هود/ الآية (45)
1034 سورة الأنعام/ الآية (62)
1035 سورة المؤمنون/ الآية (14)
1036 سورة الأنعام/ الآية (57)
1037 سورة الحج/ الآية (58)
1038 سورة الأنبياء/ الآية (89)
1039 سورة آل عمران/ الآية (150)
1040 سورة المؤمنون/ الآية (109)
1041 سورة الأعراف/ الآية (89)
1042 سورة الأعراف/ الآية (155)
1043 سورة طه/ الآية (73)

لقد جاءت الآيـات القرآنيّـة مرشـدة العقـول إلى استعمال قياس الأولى في حقـه تبـارك وتعـالى؛ فكـل كمـال لا نقص فيه ثبت للمخلوق؛ فالخالق أولى به.[1044]

ويقول «ابن القيم» في أمر صفات الله وأسمائه كمـا جـاءت في القرآن والسنّة: «صفات الله كلها صـفات كمـال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمـال أكملـه. وهكـذا أسـماؤه الدالـة على صـفاته هي أحسـن الأسـماء وأكملها، فليس في الأسـماء أحسـن منهـا، ولا يقـوم غيرهـا مقامها، ولا يؤدي معناها.»[1045]

وقد اعترف البابا «يوحنا بولس الثاني»[1046] نفسه أنّ «بعض أفضـل الأسـماء في اللغـة البشـريّة، قـد أطلقت على إلـه القرآن.»[1047]

إنّ النظرة العادلة والمذهب المعتدل يقضـيان أنـه لـو كـان محمد ﷺ قد اطّلع على ما ورد في الكتـاب المقـدّس، لكـان

1044 عمر سليمان الأشقر، أسماء الله وصـفاته في معتقـد أهـل السـنة والجماعة، عمان: دار النفائس، ط2، 1414هـ، 1914م، ص 107-108

1045 ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعـادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نـزار، 1416هــ، 1996م، 1/ 177

1046 يوحنا بولس الثاني (1920م-2005م): بابـا الفاتيكـان من 1978م إلى 2005م. من أشـهر البـابوات الـذين سـعوا إلى تنصـير المسـلمين؛ خاصة الأفارقة منهم.

1047 John Paul II, *Crossing the Threshold of Hope*, ed. Vittorio Messori, New York: Random House, Inc., 1995, p.92

قد تأثر بهذه الأوصاف التي ألصقت بالربّ الخالق، وأنّه لو كان يدّعي النبوة زورًا (!) لحاول استجلاب أهل الكتاب بموافقتهم في صفات المعبود عندهم ..

لقد أتى القرآن في موضوع العقيدة متعاليًا على الواقع.. وما كان لمحمد ﷺ - لو كان هو مؤلف هذا الكتاب!- أن يتمّ له ذلك؛ لِثِقَل «العقل الباطن الجمعي» «Collective unconscious»[1048] على الناس الذين كانوا يقبلون دين الأجداد دون حِجاج ولا مراء.

لقد كانت جزيرة العرب ذاك الزمن أعجز من أن تمنح أحدًا تصوّرًا عقديًا كالذي في القرآن الكريم؛ فإنّ سكان مكّة وما جاورها كانوا إما وثنيين يعبدون الأحجار، وإما يهودًا يُسبغون على إلههم صفات العنصرية، وإما قلّة من النصارى أصحاب عقيدة يمجّها العقل السليم.. وإما حنفاء وقفوا عند نقطة الرفض لما هو موجود، دون أن يبلغوا الحقّ المنشود.

ولعلّه يحسن بنا أن نسوق مقارنة مباشرة بين ما ورد في العهد القديم وما يقابله في القرآن الكريم في سرد قصّة أكل «آدم» و«حواء» من الشجرة المحرّمة، وموقف الربّ منهما؛ لنستبين عِظَم البون بين الكتابين في الحديث عن (الإله) وصفاته:

الربّ .. و«آدم» .. و«حواء» .. والخروج من الجنة!

1048 العقل الباطن الجمعي: مفهوم مرتبط بعلم النفس التحليلي، يدلّ على ما كمن في اللاشعور عند الفرد من نتاج خبرة جماعية لفريق من الناس يعتبر هذا الفرد جزءًا منها.

تكشف المقارنة بين القصّة الكتابيّة لخروج «آدم» و«حواء» من الجنة وما يقابلها في القرآن الكريم، الاختلاف الكبير بينهما في تصوّر الألوهية و(صفات) الرب الإله:

أولا: بدأت قصّة الاختبار في الكتاب المقدس والقرآن الكريم بأمر النهي عن الأكل من الشجرة. وقد جاء النص القرآني مُبهِمًا لطبيعة الشجرة ولنوعها؛ لأنّ العبرة هي في امتحان «آدم» وزوجه، بطاعة الأمر أو بعصيانه؟{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِين}[1049]، أمّا النص التوراتي فيفاجئ القارئ بزعمه أنّ هذه الشجرة، هي شجرة المعرفة التي من يأكل منها؛ يرزق بصيرة التمييز بين الخير والشر[1050]. إنّ الأمر ليس متعلقًا في حقيقته باختبار «آدم» وزوجه، وإنّما خشية الربّ أن يرزق الإنسان المعرفة، هي التي دفعته إلى أن يحذرهما من الأكل منها!

ثانيًا: يقول القرآن الكريم إنّ الشيطان في سبيل إغواء «آدم» وزوجه، زعم أنّ هذه الشجرة هي شجرة الحياة، وأنّ من يأكل منها يحيي إلى الأبد: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى}[1051]، في حين تخبرنا التوراة أنّ شجرة الخلد هي شجرة أخرى غير شجرة المعرفة التي أكل منها «آدم» وزوجه، وأنّ الربّ قد قال بعد أن أكل الزوجان من شجرة المعرفة: «هاالإنسان قد صار كواحد منا، يميّز بين الخير والشر. وقد

1049 سورة البقرة/ الآية (35)
1050 انظر؛ تكوين 3/22
1051 سورة طه/ الآية (12)

يمـد يـده ويتنـاول من شـجرة الحيـاة ويأكل؛ فيحيـا إلى الأبد.»1052.. لقد أصيب الإله بحالة قلـق وارتعـاب (!)؛ لأنـه بعـد أن تمكّن الزوجـان من خداعه والأكـل من شـجرة (المعرفة)، خشي أن يُخدع مرة أخرى ويتمكّن الزوجان من (استغفاله) والأكـل من شـجرة (الحيـاة)، إذ إنهمـا إذا أكلا منها؛ فلن يصيبهما المـوت، **وعندها لن يسـتطيع الإلـه أن يميتهما**؛ فهـو يتـوجس من ذكائهمـا، ويحـاول أن يمنـع (المصـيبة) قبـل وقوعهـا! ولم يهنـأ (قلب) الإلـه بالراحـة ويتنفس صـدره نسـيم الطمأنينـة إلاّ بعـد أن جهّـز فريـق حراسة من الملائكة (المتيقظين) وسيفًا ناريًا متحركًا حارقًا لمنـع «آدم» وزوجـه من (اللعب بـذيليهما) دون علمـه، ومغافلته ومشاركته صفة البقاء الدائم الذي لا يعقبه مـوت، بالأكل من شجرة (الحيـاة) «وهكـذا طـرد اللـه الإنسـان من جنة عدن، وأقام ملائكة الكروبيم وسيفًا ناريًا متقلبًا شـرقي الجنـة لحراسة الطريـق المفضـية إلى «شـجرة الحيـاة» »!!1053 –غفرانك يا رب!-

ثالثـا: يبـدو **الشيطان في التـوراة أصـدق لهجـة من الربّ**؛ إذ إنّه قد أخبر «آدم» و«حـواء» عن حقيقـة الشـجرة، وعن السبب الحقيقي لمنع الرب لهما من الأكل منها، وبقيّة الرواية التوراتيّة تؤكد صدق الشيطان في مـا أخبرهمـا بـه، في حين يبدو (الربّ) من أهل الكذب (!)؛ فقد قـال «لآدم»: «ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخـير والشـر لأنـك

1052 تكوين 3/22

1053 تكوين 3/24

حين تأكــل منهــا حتمًا تمــوت.»1054، لكن لمــا أكــل «آدم» وزوجه منها، لم يموتا!

أمّا القرآن الكـريم فيصـوّر الشـيطان في صـورة المخلـوق الكاذب المخادع:

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَـا مَـا وُورِيَ عَنْهُمَـا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَـا رَبُّكُمَـا عَنْ هَــذِهِ الشَّـجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين فَـدَلاَّهُمَا بِغُـرُورٍ فَلمـا ذَاقَـا الشَّـجَرَةَ بَـدَتْ لَهُمَـا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَـا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَـا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين}1055؛ فالشيطان هـو الموسـوس بالباطـل، الكاذب، المخادع.

رابعًا: يبدو الإله في القصّة التوراتيّة متلبسًا بالجهل وقصـور المدارك؛ فهو قد خلق «آدم»، وبعد أن فرغ من ذلك استبان لـه (!) أنّ «آدم» يحتـاج إلى رفيقة1056، فخلـق لـه «حـواء»؛ فقد بدا له من العلم المحدث بعـدما كـان قبـل ذلـك جـاهلًا بحال «آدم» الوحيد بعد خلقه.

وهذا الإلـه ذاتـه لمـا كـان يمشـي (!) في الجنّـة، اختبـأ من مجال بصره (!) كلّ من «آدم» و«حـواء» بعـدما أكلا من ثمـر الشجرة وانكشفت منهما العورة، فاضطر هذا الإلـه (!) إلى أن ينادي على «آدم»: «أين أنت؟»1057!!!

1054 تكوين 2/17
1055 سورة الأعراف/ الآيات (20-22)
1056 انظر؛ تكوين 2/18
1057 تكوين 3/9

ولما أخبر «آدم» الربّ أنه قد اختبأ منه لأنّه عريان؛ سأله الرب الجاهل بما يجري من أحداث(!!): «من قال لك إنك عريان؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟»

وليس في القرآن الكريم شيء من هذا (الخبط) و(التخليط)؛ فالله سبحانه هو {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}1058

خامسا: يبدو الإله في القصّة التوراتيّة متشنجًا إلى الدرجة التي فقد معها الحكمة؛ إذ إنّه لما غضب من «الشيطان» الذي كان يظهر في صورة حيّة لـ«حواء» و«آدم»:

(أ)عاقب الحيّات جميعًا، رغم أنّ الحيّات لا ذنب لها أصلًا، وإنّما كان الشيطان يظهر في صورة واحدة منها. ومن صور هذا العقاب أن جَعل الحيّة تسعى على بطنها1059؛ فهل كانت الحيّة قبل ذلك تمشي على أربع؟!! كما عاقب الحيّات بأن جعلها تأكل التراب طول حياتها1060؛ فهل رأى أحد حيّة تأكل التراب؟!

(ب)جعل آلام الوضع عقوبة لكلّ امرأة1061، فما ذنب النساء في ما اجترحته «حواء» الأولى؟! وهل استطاعت المرأة أن تفلت من عذاب (الله) بعد اكتشاف التخدير؟!!

1058 سورة التوبة / الآية (94)
1059 انظر؛ تكوين 3/14
1060 انظر؛ تكوين 3/14
1061 انظر؛ تكوين 3/16

وعاقب الربّ المرأة بأن جعل كلّ امرأة تشتاق إلى زوجها[1062]؛ فهل يقول (عاقل) إن اشتياق المرأة لزوجها نكاية ربّانيّة بالأنثى؟!

وجعل قوامة الرجل على المرأة لعنة متوارثة[1063]، فكيف يستقيم ذلك رغم حرص الكتاب المقدس على التأكيد على القيمة العظمى لطاعة المرأة زوجها؟![1064]

(ت)عاقب الربّ «آدم» بأن جعله يأكل من عشب الأرض، أو كما يقول النص في حرفيّته «عشب الحقل» «עשׂב השׂדה» (عيسب هَسّادي)[1065]، فإن قلنا إنّ (العشب) هو هذا النبات الأخضر المتعارف على تسميته بهذا الاسم؛ فالإنسان لا يأكله أصلًا، وإن قلنا إنّ المقصود به هو ما تنبته الأرض من خضراوات وفواكه؛ قلنا؛ تلك رحمة من الله بعباده وليست نكالًا بهم، وقد جاء في التوراة نفسها أنّ الله قد خلق ما تنبته الأرض مما يأكله الإنسان[1066]، ورأى أنّ ذلك أمر «جيد جدًا» ![1067]

وليس في القرآن الكريم من (الشنائع) السابقة شيء!

المبحث الثاني: صفات الأنبياء ودعواتهم:

لا شكّ أنّ موضوع النبوّة والأنبياء يشغل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم .. فهل سيرة الأنبياء ودعواتهم في أسفار

1062 انظر؛ تكوين 3/16
1063 انظر؛ تكوين 3/16
1064 انظر؛ كولوسي 3/18، 1كورنثوس 14/34-35 ...
1065 انظر؛ تكوين 3/18
1066 انظر؛ تكوين 1/29
1067 انظر؛ تكوين 1/31

النصارى واليهود هي نفسها في القرآن الكريم؛ حتى تكون مرجعًا للقرآن كما يقول المنصّرون؟

إنّ القارئ في أسفار اليهود والنصارى سيدرك عيانًا أنّ أنبياء الله عند القوم لا يعرفون عصمة من الذنوب؛ فقد قارفوا بمجموعهم كلّ منكر .. ثم هم مع ذلك قد ضيّعوا الرسالة التي أرسلوا لآدائها .. وكانوا أشباحًا باهتة في مسيرة الاستخلاف البشري على الأرض.

صفات الأنبياء بين القرآن وأسفار أهل الكتاب :

النبي ((**נביא**))[1068] في العهد القديم هو لقب مرتبط بمعنى البلاغ عن الغير[1069] والإنباء عن المستقبل[1070]، ويكاد ينحصر التعريف في العهد الجديد فيما يتعلّق بالأنبياء الذي ظهروا بعد المسيح، على الإنباء بالغيب[1071]، أمّا في الإسلام فالنبيّ من ((النبأ)) وهو الخبر؛ إذ إنّ وظيفته هي البلاغ عن الربّ جلّ وعلا، سواء أكان صاحب شريعة جديدة أو متّبعًا لنبي سبقه.[1072]

1068 هناك من يرد هذه الكلمة إلى اللغة الأكادية، من ((نبو)) بمعنى منادي؛ انظر؛ W. Gunther Plaut, David E. Stein, *The Torah: A Modern Commentary*, New York: Union for Reform Judaism, 2005, pp. 963, 1263 . لا شكّ أنّ هذه الكلمة هي من المشترك السامي، إذ إنّها بهيكلها الفونولوجي موجودة في العربيّة والعبريّة والأكاديّة والحبشيّة.

1069 انظر؛ خروج 7/1

1070 انظر؛ تثنية 18/21-22

1071 انظر؛ الأعمال 11/21، 21/10

1072 هذا ما نرجّحه، انظر؛ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، الكويت: مكتبة الفلاح، ط4، 1989م-1410هـ، ص 13، وقيل إنّ ((النبيّ))

وتتركّز وظيفة النبيّ في التأصيل القرآني وسرده القصصي على بيان العلم الذي وهبه اللـه الأنبيـاء، بمـا يعـرّف النـاس بخالقهم وفاطر هذا الكون ومدبّره، وصفاته العالية، والصلة بينه وبين عباده، وموقف الإنسان من هـذا العـالم، ومبدئـه، ومصيره، وما يرضي الربّ تبارك وتعالى وما يسـخطه، ومـا يشـقي الإنسـان في الـدار الآخـرة ومـا يسـعده، وخـواص عقائده وأعماله وأخلاقه، وما يترتب على ما يصـدر منـه من قول واعتقاد وعمل، وأجر ذلـك ...[1073] وتبـدو الصـورة في العهـدين القـديم والجديـد قاصـرة في مـداها الأقصـى على الدعوة إلى عبادة ((يهوه))، وخوض الحروب الدمويّة الظالمة لأجـل ذلـك، والـدعوة إلى بعض فضـائل الأعمـال، ومتابعـة الشريعة الموسويّة (في العهد القديم) بتفاصـيلها المرهقـة، والإفــراط في التفصــيل النســكي المفــرّغ من الدلالــة الحيّة![1074]

وتبـدو قصـص الأنبيـاء في التـوراة معزولـة في الأغلب عن الحكمة؛ إذ (يتوحّش) فيها الهمّ السردي؛ حتّى لكأنّها مجــرد ((حكـاوي)) للتـأريخ، ولـذلك تثقـل المتابعـة على القـارئ في

من ((النبوة)) أي الارتفاع عن الأرض، وهو ضعيف لمـا علمتـه من أنّ هـذه الكلمة من المشترك السامي بمعـنى ((النبـوّة)) الاصـطلاحية، وقـد انتصـر شيخ الإسلام ((ابن تيمية)) لما سـقناه، وردّ على من قـال إنّ أصـل النبـوّة لغة من الارتفاع ((انظر؛ ابن تيمية، النبوات، 221-223)

1073 انظـر؛ ابـو الحسـن النـدوي، النبـوّة والأنبيـاء في ضـوء القـرآن، القاهرة: المختار الإسلامي، ط4، 1394هـ-1974م، ص 22

1074 انظر مثلًا في أمر صموئيل: 1صموئيل 7/17، 16/13، أخبار الأيام الأول 9/22

كثـير من الأحيـان لكـثرة الأسـماء، والأرقـام، والتفصـيلات المكثّفـة الـتي تسـتحوذ على صـفحات طويلـة دون فائـدة مجتنـاة منهـا، ظـاهرة أو مسـتكنّة بين طبقـات الألفـاظ والمباني..

أمّا القرآن الكريم فإنّه يقصر أمره على الموعظة والعـبرة، ويبـدو من خلال آياتـه أنّ قصـص النبـيين لم تـنزل لمجـرّد تسويد الصفحات أو التكثّر من المعارف القديمة، وإنمـا قـد تتالى نزولها لحكم عظيمة ومنافع بثيرة، أهمها:

1- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون}.[1075]

2- تثبيت قلب النبي وقلوب الأمّة المحمديّة على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله، قال تعالى: {وَكُـلًا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين}.[1076]

3- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكرهم وتخليد آثارهم.

4- إظهار صدق محمد في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال؛ كقوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ

1075 سورة الأنبياء/ الآية (25)

1076 سورة هود/ الآية (120)

أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين}.1077

5- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيّنات والهدى، وتحدِّيه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل؛ كقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِـلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين}1078

6- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصخي إليه السمع، وترسخ عِبَره في النفوس، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}1079. 1080

ولو أننا ألقينا نظرة سريعة متبصّرة على حال بعض الأنبيـاء في أسـفار النصـارى من جهـة والقـرآن الكـريم من جهـة أخرى؛ فسنرى الهوة السحيقة التي تفصل بينهما؛ بما يظهر التمـايز الشـديد بينهمـا في التفصـيل التـاريخي والتوظيـف الديني، وبما ينفي وهم الاقتباس المزعوم ..

نوح : يتجلّى حـال «نـوح» -عليـه السـلام- على صـفحات الكتاب المقدس وهـو في أهـون حـال وشـرِّ سـيرة؛ سـكير

1077 سورة هود/ الآية (49)

1078 سورة آل عمران/ الآية (93)

1079سورة يوسف/ الآية (111)

1080 قسطاس إبراهيم النعيمي، قصص الأنبياء، مقال إلكتروني

ماجن، فقد: «انشغل نوح بالفلاحة وغرس كرمًا وشـرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانين عري أبيه فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجًا. فأخذ سـام ويافث رداءً ووضـعاه على أكتافهمـا ومشـيا إلى الـوراء إلى داخـل الخيمـة وسـترا عـري أبيهمـا من غـير أن يسـتديرا بوجهيهما نحوه فينظرا عريه. وعندما أفـاق نـوح من سـكره وعلم ما فعله بـه ابنـه الصـغير، قـال: «ليكن كنعـان ملعونًا» وليكن عبد العبيد لإخوته».1081

هذا هو «نوح» الذي قال فيه العهد القديم: «كان نوح صـالحًا كاملًا في زمانـه، وسـار نـوح مـع الله»1082، ووصـفه العهـد الجديـد أنّـه «المنـادي بـبر اللـه وعدله»1083! رجـل مـاجن سكير، غافل عن عبادة ربه مستهتر برسالته في الدنيا. كافأ من أحسن إليه بجزاء سنمار؛ فجعل اللعنة والذلة والعبودية في عقبه إلى يوم القيامة!؟

أما «نوح» في القرآن؛ فهو المؤمن الصادق الجلد .. بـل قـد جعله الله مثالًا يحتذي به «محمد» سيد البشر؛ قال تعالى:

1081 تكوين 9/ 20-25

1082 تكوين 6/9

1083 2بطرس 2/5، تجدر الإشارة إلى أنّه يتخلّل تحديد معـنى (النبـوّة) ومعرفة (النبيّ) غموض وعدم دقّة في الكتاب المقـدس، ويحتـاج القـارئ في كثـير من الأحيـان إلى ربـط متفرّقـات الكتـاب المقـدس؛ لتشـكيل الصـورة الكـبرى. وإنّ النظـر في حـال «نـوح» في الكتـاب المقـدس، ومخاطبة الربّ له، وما أوصاه أن يفعله، وحرص «نوح» على دعوة قومـه إلى الحقّ، وصـبره على ذلـك؛ لتؤكّـد كلّهـا أنّ «نوحًا» يعتـبر في مقيـاس الكتاب المقدس، نبيًا من الأنبياء، لا مجـرّد رجـل صـالح، وإن لم يثبت لـه أهل الكتاب ذلك!

{فَاصْـبِرْ كَمَـا صَـبَرَ أُوْلُـوا الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ وَلاَ تَسْـتَعْجِل لَّهُمْ}1084.

ويقول المولى عز وجل في «نوح» أيضًا:

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}1085

{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَالَمِين}1086

{وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ}.1087

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَـلاَلٍ مُّبِين قَـالَ يَـا قَـوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين أُبَلِّغُكُمْ رِسَـالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْـرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُـلٍ مِّنكُمْ لِيُنـذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُـواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون}1088...

يعقوب : تظهـر أسـفار النصـارى «يعقـوب» النـبي وهـو يخدع أباه «إسحاق»؛ فيفتك البركة من أخيـه الأكـبر «عيسو»

1084 سورة الأحقاف/ الآية (35)

1085 سورة الإسراء/ الآية (3)

1086 سورة آل عمران/ الآية (33)

1087 سورة الأنعام/ الآية (84)

1088سورة الأعراف/ الآيات (59-63)

مستغلًّا المـرض الـذي أصـاب عيـني أبيـه، كمـا خـدع خالـه «لابان»؛ مستوليًا بذلك على أكبر قسط من ماشيته؛ إذ جعل ماشية خاله تقف أمام قضـبان مخططـة في أجـران الميـاه وهي وحمى، كي تنتج ماشــية مخططة[1089]؛ فيفصــلها عن ماشية خاله ليلحقها بماشيته.

أما «يعقوب» في القرآن فقد أثنى الله جلّ وعلا عليه وعلى أبيه فقـال: {وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَقَ وَيَعْقُـوبَ نَافِلَـةً وَكُلًّا جَعَلْنَـا صَالِحِين وَجَعَلْنَـاهُمْ أَئِمَّةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْهِمْ فِعْـلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين}[1090]

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًا هَدَيْنَا}[1091]

{فَلما اعْتَزَلَهُمْ وَمَـا يَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا}[1092]

داود: ليست هناك صورة تجمـع بين النقيضـين اللـذين لا التقاء بينهما، كالصورة الـتي تقـدمها التـوراة لنـا عن «داود» ملـك اليهـود القـدير، فهـو الشـجاع قاتـل «جـالوت» الجبّـار بمقلاعه دون سـيف في يـده[1093]، وبـذا يصـبح مطـاردًا من الفلسطينيين، ولكنه سرعان ما يشاركهم في محاربـة عـدو

1089 هذا التصوّر البدائي (للـوحم)، هـو أحـد الخرافـات العلميـة لأسـفار القوم.

1090 سورة الأنبياء/ الآيتان (72-73)

1091سورة الأنعام/ الآية (84)

1092 سورة مريم/ الآية (49)

1093 انظر؛ 1صموئيل 17/50

لهم، بــل ويضــع ســيفه تحت تصــرفهم ضــد مواطــنيهم اليهود[1094]، وهـو يعمـل حامـل سـلاح «شـاؤل» الإسـرائيلي يومًا مـا، ثم حارسًـا لـ«أخيش» الفلسـطيني يومًـا آخر[1095]، وهو قد بدأ حكمه تحت سيادة الفلسـطينيين، ثم أنهـاه وقـد قضى على نفوذهم تمامًا، وهو عدو «شاؤل» اللـدود، ولكنـه في نفس الوقت زوج ابنته، وحبيب ابنه «يوناثان»، وكثير من فتيات إسـرائيل[1096]، وهـو يعمـل مغنيًـا في بلاط «شـاؤل»، لأنه يجيد الضرب على القيثار، ويغني أغانيه العجيبـة بصـوته الـرخيم، ولكنـه في نفس الـوقت الفـارس المغـوار، حامـل سلاح الملك وقاتل أعدائه.[1097]

وهــو قــاس غليــظ القلب، ولكنــه في نفس الــوقت كــان مستعدًا لأن يعفو عن أعدائـه، كمـا كـان يعفـو عنهم قيصـر والمســيح، يقتــل الأســرى جملــة، كأنــه ملــك من ملــوك الآشوريين، بل إنه ليبالغ حتى في القسوة، حين يأمر بحـرق المغلـوبين وسـلخ جلـودهم ونشـرهم بالمنشـار[1098]. وحين يطلب منه «شاؤل» مئة غلفة من الفلسطينيين مهـرًا لابنتـه «ميكال»، إذا به يقتل مائتي رجل من الفلسـطينيين، ويقـدم غلفهم مهـرًا لابنـة «شـاؤل» هـذه[1099]، وحين يوصـي ولـده «سليمان»- وهو على فراش الموت- بـأن «يحـدر بالـدم إلى

1094 انظر؛ 1صموئيل 29/2

1095 انظر؛ 1صموئيل 28/1-2

1096 انظر؛ 1صموئيل 18/1-7

1097 انظر؛ 1صموئيل 16/21-23

1098 انظر؛ 2صموئيل 12/29-31

1099 انظر؛ 1صموئيل 18/25-27

الهاوية»1100 شيبة «شمعي بن جبرا»، الذي لعنه منذ سـنين طويلة.
وهو يأخذ النساء من أزواجهن قسرًا، مستغلًا في ذلك جاهه وسلطانه، فهو يشترط لمقابلة «أبنير» قائد جيوش «شاؤل»، أن يأتي له بميكال ابنة «شاؤل»- التي دفـع مهرهـا من قبـل رؤوس مـائتين من الفلسـطينيين- من زوجهـا «فلطئيـل بن لايش»، الذي أدمى قلبه فراقها، ثم سـار وراءهـا وهـو يبكي حتى «بحوريم»، ولم يرجـع من ورائهـا، إلا بـأمر من «أبنـير»، وإلا خوفًـا منه1101، ثم يأخــذ امــرأة «أوريــا الحيــثي» بين نسائه، ويرسل بزوجها إلى الصـف الأول في ميـدان القتـال ليتخلص منه.1102
وهو يقبل زجر «ناثان» له في ذلـة، ولكنـه مـع ذلـك يحتفـظ بـ«بتشبع» الجميلـة، ويعفـو عن «صـموئيل» عـدة مـرات، ولا يسـلبه إلا درعـه، حين كـان في مقـدوره أن يسـلبه حياتـه، ويعفو عن – «مغيبوشت» ويساعده- رغم أنه حفيد «شاؤل»، وقد يكون من المطالبين بعرش عمه وجده من قبله1103 – وهو يعفو عن ولده «أبشالوم» بعـد أن قبض عليـه في ثـورة مسلحة، وبعد أن دنس عرضه على ملأ من القـوم1104، بـل إنه ليعفو عن «شاؤل» الذي كان يسعى لقتله، بعد أن تمكن منه عدة مرات، وفي أمان مطلق ومناعة تامة1105.1106

1100 1ملوك 2/9
1101 انظر؛ 2صموئيل 3/12-16
1102 انظر؛ 2صموئيل 11/2-26
1103 انظر؛ 2صموئيل 4/4-5
1104 انظر؛ 2صموئيل 16/23، 18/23
1105 انظر؛ 1صموئيل 24/2-22

وتبدو الصورة في القـرآن الكـريم على خلاف مـا سـبق، إذ يحفّها الإشراق من كلّ وجه؛ «فداود»:

قد آتاه الله بفضله، الحكمـة الثاقبـة، والعلم النـافع:{وَقَتَـلَ دَاوُدُ جَــالُوتَ وَآتَــاهُ اللّــهُ الْمُلْــكَ وَالْحِكْمَــةَ وَعَلَّمَــهُ مِمَّا يَشَاء}1107

هو النبي صاحب العلم، الشكور:{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ عِلْمًـا وَقَـالاَ الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّـلَنَا عَلَى كَثِـيرٍ مِّنْ عِبَـادِهِ الْمُؤْمِنِين}1108

سُخِّرت له الجبال والطير للتسبيح معه، وأجريت على يديـه المعجـزات الـتي يجـري نفعهـا على النـاس: {فَفَهَّمْنَاهَـا سُلَيْمَانَ وَكُلًا آتَيْنَـا حُكْمًـا وَعِلْمًـا وَسَـخَّرْنَا مَـعَ دَاوُودَ الْجِبَـالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِين}1109

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَـالُ أَوِّبِي مَعَـهُ وَالطَّيْـرَ وَأَلَنَّا لَـهُ الْحَدِيـد أَنِ اعْمَـلْ سَـابِغَاتٍ وَقَـدِّرْ فِي السَّـرْدِ وَاعْمَلُـوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}1110

1106 محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، بـيروت: دار النهضة العربيّة، ط2، 1408هـ، 1988م، 1/64

1107 سورة البقرة/ الآية 251)

1108 سورة النمل/ الآية (15)

1109 سورة الأنبياء/ الآية (79)

1110 سورة سبأ/ الآيتان (10-11)

قـد أوتي قـوّة العقـل والجنـان والبنـان: {اصْـبِرْ عَلَى مَـا يَقُولُـونَ وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْـدِ إِنَّهُ أَوَّاب إِنَّا سَـخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاق وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّاب وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}[1111] اختصـه اللـه بكرمـه من بين الأنبيـاء بـالزبور: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَـدْ فَضَّـلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[1112]

سليمان : لعل أبشع صورة لنبي من أنبياء اللـه قـدمها العهد القديم، هي صورة «سليمان» عليه السـلام[1113]؛ فهـو عند اليهود والنصارى مسرف إلى حد السفه[1114]، وقـد بلـغ بـه الضـلال أن وقـع في الارتيـاب والشـك وعبـادة الأوثـان والإعراض عن دين آبائـه الأئمـة الهـداة؛ نـزولًا عنـد رغبـات زوجاته الوثنيات المشركات.[1115]

أما في القرآن الكريم، فهو عبد أوّاب:

1111 سورة ص/ الآيات (17-20)

1112 سورة الإسراء/ الآية (55)

1113 من الغريب أن ينكر أهل الكتاب نبوّة «سليمان» عليه السـلام رغم أنّهم يقدّسـون أكـثر من كتـاب ينسـب إليـه في الكتـاب المقـدس، فهـل يقدّس النصارى واليهـود أسـفار التنـاخ إلا لأنهـا وحي من الـربّ؟!! أليس النصارى يحتجون لربانيّـة أسـفار العهـدين بنصّ 2تيموثـاوس 3/16 الـذي يقول كما في ترجمة الفانדايك: «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر»؟!

ربّما ظنّ أسلافهم أنّ ردّ نبـوّة «سـليمان» خـير سـبيل للتبرؤ من الكفـر الـذي أتـاه كمـا هـو منصـوص أسـفارهم .. لكن النصـوص تشـهد لنبـوّة «سليمان» عندهم!

1114 انظر؛ الملوك الأول 4/ 33- 33

1115 انظر: الملوك الأول 11 / 1-13

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب}1116

{وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآب}1117

وقد آتاه الله الحكمة والعلم، فكان عبدًا شكورًا:

{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِين}1118

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين}1119

وقد برّأ القرآن الكريم نبي الله سليمان مما نسب إليه فقال: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}.1120

موسى وهارون: إنّ (أغرب!) صورة يقدمها العهد القديم لنبي من أنبياء الله هي صورة «موسى» و«هارون» عليهما السلام؛ فقد ماتا والرب غاضب عليهما!!

«موسى» و«هارون» آثمان، خائنان للرب الذي حكم عليهما بالحرمان من دخول الأرض المقدّسة الموعودة عقابًا لهما! هكذا يقول الكتاب المقدس(!!):

1116 سورة ص/ الآية (30)

1117 سورة ص/ الآية (40)

1118 سورة الأنبياء/ الآية (79)

1119 سورة النمل/ الآيتان (15-16)

1120 سورة البقرة/ الآية (102)

«فقال الرب لموسى وهرون: «من حيث أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني على مرأى من بني إسرائيل فإنكما تدخلان هذا الشعب الأرض التي وهبتها لكم.»»1121

وجاء في سفر التثنية: «وقال الرب لموسى في نفس ذلك اليوم: «اصعد إلى سلسلة جبال عباريم حيث جبل نبو الذي في أرض موآب مقابل أريحا، وشاهد أرض كنعان التي أنا واهبها ملكًا لبني إسرائيل، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، والحق بقومك كما مات أخوك هرون في جبل هور ولحق بقومه، لأنكما لم تثقا بي في حضور الإسرائيليين عندما ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدساني بين الشعب. لهذا فإنك تشهد الأرض عن بعد ولكنك لن تدخل إلى الأرض التي ...1122

«وقال الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أنني سأهبها لذريتهم فقد جعلتك تراها بعينيك ولكنك إليها لن تعبر» فمات موسى عبد الرب في أرض موآب بموجب قول الرب. ودفنه في الوادي في أرض موآب، مقابل بيت فغور. ولم يعرف أحد قبره إلى هذا اليوم.»1123

كان نصيب «هارون» من هذه التهم أنه لما ذهب أخوه إلى الجبل ليتلقى الهداية من ربه، صنع لبني إسرائيل عجلًا ذهبًا

1121 العدد 20/ 12-13

1122 التثنية 32/ 48-52

1123 التثنية 34/ 4-6

صنمًا وأمرهم بعبادته، وعبده معهم، وبنى لـه مـذبحًا، وعيّـد له عيدًا، وذبح له.[1124]

هذا هو حال «موسى» و«هارون» في الكتاب المقدس، فمـا هو حالهما في القرآن الكريم؟

على نقيض تلـك الصـورة البشـعة الـتي يفاجئنـا بهـا العهـد القديم، تبدو صورة «موسى» و«هارون» عليهمـا السـلام في القرآن مشرقة متألقة..

لقـد بـوّأ الفرقـان «موسى» مكانًـا عليًّا بين الأنبيـاء -عليهم السلام- إذ قدّمه كواحد من أولى العـزم من الرسـل.. كمـا ذكـر أنـه النـبي الـذي شـرّفه المـولى عـز وجـل بـأن كلمـه مباشرة {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَـى تَكْلِيمًـا}[1125]، وأخبرنـا أن اللـه جلّ وعلا قد جمع له النبوّة والرسالة، واصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسـلطان مـبين.. {قَـالَ يَـا مُوسَـى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُـكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِين}[1126]

أما «هارون» فإنه نبي من أنبيـاء اللـه أوحي اليـه مـع أخيـه: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ}[1127]

وقـد بـرأه القـرآن ممـا نسـبته إليـه التـوراة بـأن أعلن أن السـامري –لا «هـارون»- هـو الـذي صـنع العجـل الـذهبي:

1124 انظر؛ الخروج، الفصل الثاني والثلاثين كلّه

1125 سورة النساء / الآية (164)

1126 سورة الأعراف / الآية (144)

1127 سورة يونس/ الآية (87)

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ}1128

كما وصفه بأنه من المؤمنين المحسنين: {سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُون إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين}1129

ولعلّه من الجميل أن نقارن بين موقف ورد في العهد القديم وما يقابله في القرآن الكريم؛ لنستبين عظم البون بين الكتابين:

طلبُ ((موسى)) عليه السلام من الربّ أن يعينه بأخيه ((هارون)) عليه السلام في البلاغ:

في العهد القديم:

((فقال موسى للرب: ((اصغ يارب، أنا لم أكن في يوم من الأيام فصيحًا، لا في الأمس، ولا منذ أن خاطبت عبدك. إنما أنا بطيء النطق عيي اللسان.))

فقال الرب له: ((من هو بارئ فم الإنسان؟ أو من يجعله أخرس أو أصم أو بصيرًا أو كفيفًا؟ ألست أنا الرب؟ فالآن انطلق فألقن فمك النطق، وأعلمك ماذا تقول.))

لكن موسى أجاب: ((ياسيد، أتوسل إليك أن ترسل من تشاء غيري.))

1128 سورة طه / الآيتان (87-88)

1129 سورة الصافات/ الآيات (120-122)

فاحتـدم غضـب الـرب على موسى وقـال: «أليس هـرون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه يحسن الكلام، وها هو أيضًا قـادم للقائك. وحالما يراك يبتهج قلبه. فتحدثه وتلقن فمـه الكلام، فأعينكما على القول، وأعلمكما مـاذا تفعلان، فيخـاطب هـو الشعب عنك ويكون لك بمثابة فم وأنت تكون له بمثابة إله. »[1130]

إنّه حوار بين (نبيّ) يريد التفلّت من وظيفـة التبليـغ، و(إلـه) ضيّق (الصدر) يحشد الأدلّة المتكاثرة؛ لإقناع (نبيّـه) العنيـد، (صلب الرقبة)!

في القرآن الكريم:

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.

قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُـلْ عُقْـدَةً مِّن لِّسَـانِي؛ يَفْقَهُـوا قَـوْلِي. وَاجْعَـل لِّي وَزِيـرًا مِّنْ أَهْلِي؛ هَـارُونَ أَخِي، اشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي، وَأَشْـرِكْهُ فِي أَمْـرِي؛ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا.

قَـالَ: قَـدْ أُوتِيتَ سُـؤْلَكَ يَـا مُوسَـى، وَلَقَـدْ مَنَنَّا عَلَيْـكَ مَـرَّةً أُخْرَى؛ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُـوحَى، أَنِ اقْذِفِيـهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَـدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْـكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْـنَعَ عَلَى عَيْنِي، إِذْ تَمْشِـي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُـهُ فَرَجَعْنَـاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَـرَّ عَيْنُهَـا وَلاَ تَحْـزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًـا فَنَجَّيْنَـاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَـدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي. اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ

1130 الخروج 4/10-16

تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى!
قَالاَ: رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى!
قَالَ: لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى! فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى}1131

إنّه كلام يجمع بين جلال مقام الألوهيّة وجمال مقام النبوّة .. إنّه كلام المتعالي بعزّ الربوبيّة، الرحيم بمن اختاره نبيًّا .. وحديث النبي المستجير بمولاه، المسبّح بعظمة سيّده!

إنّ عصمة النبيين في القرآن من مقارفة الكبائر، وصدقهم في تبليغ دعوة الحقّ سبحانه، تُقابَل في أسفار اليهود والنصارى بنسبة الأنبياء إلى أحطّ الرذائل وأشدّها بعدًا عن الاستواء .. وأشدّ من ذلك؛ فقد اتّهم «بولس» مؤسس النصرانية، أنبياء الله أنهم بلّغوا الناس رسالة معيبة قاصرة لا تنفع: «فإنّه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها (ασθενες) أو عدم نفعها (ανωφελες) إذ الناموس لم يكمل شيئًا»1132.. وقد صرّح قبله النبي «حزقيال» أنّ الربّ الخالق قد اعترف أنّه بلّغ الناس (عن طريق بعض الأنبياء) وصايا باطلة وأحكامًا فاسدة!!1133

إنّ فلسفة النصارى في عرض حال الأنبياء وتحليل نفسياتهم، تخالف صراحة -بل تناقض الفلسفة القرآنية في

1131 سورة طه/ الآيات (24-47)
1132 الرسالة إلى العبرانيين 7/ 18-19
1133 حزقيال 20/ 25

هذا النطاق .. ففي حين يكرّر النصارى أنّ «الجميع قد ضلّوا على السواء. كلّهم فسدوا، وليس بينهم من يعمـل الصـلاح، ولا واحد»1134 وأنّ ذنوب الأنبياء وقبائح أفعالهم الواردة في الكتب المقدسـة هي سـبيل لنـا لنعـرف ضـعف الإنسـان وفسـاده(!)1135؛ فـواقعهم في أحـد أبـرز أوجهـه هـو واقـع عبرة وموعظة .. يعلن القرآن الكريم أنّ الأنبياء هم القـدوة والأنموذج البشري الأمثل اعتقادًا وعملًا؛ فيقول وهـو يسـرد أسماء ذريّة «إبراهيم» عليه السلام من الأنبيـاء: {وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًا هَدَيْنَا وَنُوحًـا هَـدَيْنَا مِن قَبْـلُ وَمِن ذُرِّيَّتِـهِ دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُـفَ وَمُوسَـى وَهَـارُونَ وَكَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِـنِين وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَـى وَإِلْيَـاسَ كُـلٌّ مِّنَ الصَّـالِحِين وَإِسْـمَاعِيلَ وَالْيَسَـعَ وَيُـونُسَ وَلُوطًـا وَكُلًا فضَّـلْنَا عَلَى الْعَـالَمِين وَمِنْ آبَـائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْـوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَـاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ذَلِكَ هُدَى اللّـهِ يَهْـدِي بِـهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْـرَكُواْ لَحَبِـطَ عَنْهُم مَّا كَـانُواْ يَعْمَلُـون أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَـإِن يَكْفُـرْ بِهَـا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَـا بِكَـافِرِين أُوْلَــئِكَ الَّذِينَ

1134 مزمور 14/3

1135 انظر؛ شنودة الثـالث، سـنوات مـع أسـئلة النـاس، أسـئلة عقيديّـة ولاهوتيّة-ب، القاهرة: 1002، ص 106

هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}1136 فهم القدوة التي أمِر محمـد وأمته من بعده، بالاقتداء بها!!

ويقـول سـبحانه في مـا أكـرم بـه الأنبيـاء عليهم السـلام: {وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَقَ وَيَعْقُـوبَ نَافِلَـةً وَكُلًا جَعَلْنَـا صَـالِحِين وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْهِمْ فِعْـلَ الْخَيْـرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَـانُوا لَنَـا عَابِـدِين وَلُوطًـا آتَيْنَـاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَـةِ الَّتِي كَـانَت تَّعْمَـلُ الْخَبَـائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِـقِين وَأَدْخَلْنَـاهُ فِي رَحْمَتِنَـا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِين وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَـرْنَاهُ مِنَ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِين وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَـوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًا آتَيْنَـا حُكْمًـا وَعِلْمًـا وَسَـخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِين وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُـوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِـنَكُم مِّن بَأْسِـكُمْ فَهَـلْ أَنتُمْ شَـاكِرُون وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَـالِمِين وَمِنَ الشَّـيَاطِينِ مَن يَغُوصُـونَ لَـهُ وَيَعْمَلُـونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِـكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـافِظِين وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّـرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الـرَّاحِمِين فَاسْـتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَـاهُ أَهْلَـهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَـةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْـرَى لِلْعَابِـدِين وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْـلِ

1136 سورة الأنعام/ الآيات (84-90)

كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِين وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِين وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِين فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِين إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون}1137

فالأنبياء في أسفار النصارى، ساقطون لأنهم من نسل أبيهم الساقط –حاشا هؤلاء الأنبياء المكرمين!-.. وهم في القرآن نخبة منتقاة، ونماذج هادية مهديّة مجتباة!

إن أبلغ حكم على أنبياء العهد القديم، هو ما قاله المنصّر ((دافيد أوبراين)) ((David O'Brien)) في كتابه ((*Today's Handbook for Solving Bible Difficulties*)) الذي ألّفه للدفاع عن الكتاب المقدس والرد على مخالفيه: ((لا تكاد تجد أحدًا منهم (أي من الأنبياء) من الممكن أن يسمح له بالالتحاق بجلّ كنائسنا دون أن (يُشترط عليه) أن يصلح سلوكه بصورة بالغة))1138؛ فعامة أنبياء الكتاب المقدّس عند هذا المنصّر

1137 سورة الأنبياء/ الآيات (72-92)

1138 David O'Brien, *Today's Handbook for Solving Bible Difficulties*, p. 233 (Quoted by, Dennis McKinsey, *The Encyclopedia of Biblical*

هم أحـــط وأرذل من أن يقبلـــوا في كنـــائس النصـــارى اليـــوم !!.. وإنّ الأنبيــاء في القــرآن الكــريم، هم النخبــة المعصومة، وكفى بذلك تميّزًا وامتيازًا!

دعــوات الأنبيــاء بين القــرآن الكــريم وأســفار أهــل الكتاب

إنّ أبرز ملمح في دعـوات الأنبيـاء في القـرآن الكـريم، هـو تركيزها على تبليغ التوحيد إلى الناس، وحثّها لهم على تـرك ما عكفوا عليه من أصنام ومعبودات لا تملـك لنفسـها ضـرًا ولا نفعًا، وتبشـير الصـالحين بالجنّـة، وتهديـد الآبقين بعـذاب الجحيم، ونصح النـاس باتبـاع المنهج القـويم في الـدنيا وأنّ في ذلك سعادة الحال والمآل..

1- تبليغ الناس دعوة التوحيد:

يزخر القرآن الكريم بكثير من الآيات والمشاهد التصويرية «الحيّة» لأنبياء الله عليهم السلام، وهم يصيحون في أقوامهم أن ذروا ما عكفتم عليه من أصنام وأقبلوا على الواحد الأحد ..

فهذا «إبراهيم» عليه السلام –أبو الأنبياء- يقولها لقومه في معرض المحاجّة والصراع: {أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُون وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ

Errancy, N.Y: Prometheus Books, 1995, p. 169)

تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}1139

وهـو لا تلين لـه قنـاة، إذ يجـاهرهم برفضـه معتقـدهم في مشهد من الناس، بل ويواجه أباه معهم بهذا الأمـر: {وَلَقَـدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْـدَهُ مِن قَبْـلُ وَكُنَّا بِـه عَـالِمِين إِذْ قَـالَ لأَبِيـهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَـا عَـاكِفُون قَـالُوا وَجَـدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِين قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَـلاَلٍ مُّبِين قَـالُوا أَجِئْتَنَـا بِـالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِين قَـالَ بَـل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَـــرَهُنَّ وَأَنَـــا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِين}1140

ويعرض القرآن ((لإبراهيم)) وهو ينصح أباه نصيحة المشفق، في مقطع شائق مؤثّر:

{يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَـافُ أَن يَمَسَّـكَ عَـذَابٌ مِّنَ الـرَّحْمَن فَتَكُـونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}1141

وهذا أيضًا ((موسى)) عليه السلام يدعو فرعون في نقاش بديع، للإيمان بالله :

{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِين قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُون قَالَ

1139 سورة الأنعام / الآيتان (80-81)

1140 سورة الأنبياء/ الآيات (52-56)

1141 سورة مريم/ الآيتان (44-45)

رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَـائِكُمُ الأَوَّلِين قَـالَ إِنَّ رَسُـولَكُمُ الَّذِي أُرْسِـلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون قَـالَ رَبُّ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْـرِبِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُـون قَـالَ لَئِنِ اتَّخَـذْتَ إِلَهًـا غَيْـرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين}1142

وهذا ((هود)) يقف موقف الثبات واليقين في معرض الذبّ عن التوحيد وذمّ الشرك والتنديد:

{قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُون إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}1143

وهذا ((صالح)) يناله الأذى بعد أن كان محبوبًا لدى قومه، لما جاهر بنبذ الشرك ودعا إلى التوحيد: {قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيب}1144

1142 سورة الشعراء/ الآيات (23-29)

1143 سورة هود/ الآيات (53-56)

1144 سورة هود/ الآيات (62-63)

بل يختصر القرآن الغاية من بعثة الأنبياء، في أعظمها، بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون}[1145]..

فالتوحيد هو قطب رحى دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ..

أمّا التوراة، فإنها وإن كانت تنصّ على عقيدة التوحيد، حتى جعلتها الوصيّة الأولى «لموسى» عليه السلام بين الوصايا العشر، فإنّ هذا التوحيد يبدو غير فاعل بصورة حاسمة في تحريك الأحداث وتوجيه الأنبياء، كما أنّه ليس توحيد «الله» ربّ العالمين، وإنما هو توحيد ربّ الإسرائيليين فقط، إذ إنّ إسرائيل هي التي اختارها الله[1146] .. أمّا الأقوام الآخرين فلا ربّ لهم إلاّ ما اختاروه من معبودات زائفة!

والأمر كما قال «باينتش» «Baentsch»، فإنّ التوحيد اليهودي هو توحيد قومي، أما التوحيد الإسلامي، فهو توحيد عالمي.[1147]

أمّا الكنيسة فقد أصّلت للشرك وعبادة المخلوقين في ابتداعها عقيدة الثالوث (الآب والابن وروح القدس) كما هو عند الكنائس «الأرثودكسيّة»!

1145 سورة الأنبياء/ الآية (25)

1146 انظر ؛ خروج 19/ 64 ؛ تثنية 4/ 20 ؛ 43/ 21 ..

1147 *Altorientalischer und israelistischer Monotheismus*, pp. 77-94 (نقلـــه؛ عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقدية، ص 75).

وفرق كما ترى بين الحقيقة العظمى في القرآن الكريم: (التوحيد)؛ مضمونًا ومقامًا ولوازم، وبين توحيد الكتاب المقدس الضيّق، والمكدّر بالشرك..!

2- التبشير بالجنة و النذارة بالعذاب:

إنّ تحريـك الهمم إلى العمـل الصـالح، وتسـلية المبـتئس المحـزون وهـو في غمـرة المحن وبين موجهـا العـالي، لا يمكن أن يبلـغ ذروتـه في النفس الإنسـانية إلا بوعـده بجنّـة الآخرة حيث الراحة بلا نصـب، والنعيم بلا مكابـدة، والمتعـة دون منغّص .. إنهـا دار المسـتقرّ حيث المكث النهـائي بلا موت ..

وقـد نصّ القـرآن الكـريم في الكثـير من آياتـه على دعـوة الأنبيـاء أقـوامهم إلى الجنـة ووعـده إيّـاهم بنعيمهـا الـدائم ومقامهـا الطيّب، وأنّهم إليهـا يعـودون، وأنّ غايـة المتعـة ليست في نعيم دنيوي بـاهت زائـل، وإنمـا في مسـتقرّ بهيّ باق ..

وكما أنّ الفعل الإنسانيّ يتحرّك بجـانب التمنيـة والـترغيب، فإنّـه يتحـرّك أيضًـا بـدافع التخويـف والـترهيب .. وهـذان العاملان هما وقود النفس الإنسانية في تباعـدها عن سـقيم المعتقد ورذيل الفعل، وإقبالها على الإيمان الحـق والصـدق في الفعل الجميل ..

وبالنظر في قصص النبيين في القرآن الكـريم، يـبرز جـانب الـترهيب من اليـوم الآخـر بصـورة هائلـة بـارزة، إذ إنّ المـدعوين كـانوا مـا بين وثنـيين وآخـرين قـد انحـازوا إلى الفريق الذي حرّف دعوة الأنبياء الأوائـل .. فكـان الـترهيب

من وَقْع العذاب أبلغ في نفوس هـؤلاء من تمـتيع أسـماعهم بجمال يوم الجزاء ..

وقد تكرّر التخويف من عـذاب النـار بـدعوة المشـركين إلى الاستقامة على جـادة الصـلاح والهـدى .. فهـذا ((نـوح)) عليـه السلام يبدأ دعوته بالنذارة من عذاب الله وشديد انتقامه: { يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَــهٍ غَيْـرُهُ إِنِّيَ أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}1148

وهذا ((شعيب)) يصرخ في قومه: { يَا قَـوْمِ اعْبُـدُواْ اللّـهَ مَـا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَـالَ وَالْمِـيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ}1149

ولكن .. إذا نظرنا إلى الجهة المزعوم أنها مصـدر الاقتبـاس القرآني؛ فسنلاحظ أنّ العهـد القـديم الـذي يمثّـل المرجـع اليهودي الأسنى والمرجع النصراني الأطـول، لا يـذكر اليـوم الآخر إلاّ نادرًا في آخر أسفاره تأليفًا؛ فقـد ذهب النقّـاد إلى أنّ عقيدة اليوم الآخر لم تظهر (من خلال ملاحظـة نصـوص الكتـاب المقـدس-المحـرّف-) إلاّ في مرحلــة متـأخرة من سلسلة دعوات بني إسـرائيل، وفي ذلـك تقـول الموسـوعة المعروفــة ((*The World Book Encyclopedia*)) على أنّ: ((أولى الإشارات في الأدب اليهودي لقيامة البشر في نهاية الزمان

1148 سورة الأعراف/ الآية (59)

1149 سورة هود/ الآية (84)

ظهرت في سفر دانيـال – ربّمـا أٌلّـف في سـنة 160 ق م -))1150 .. !

وقد جاء التصريح في الكتاب المقدس بأنّ الوجود الإنساني عبث؛ بدايته جنين في الرحم، وآخرته جثة تفنى، ثم العـدم: ((ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثـة واحـدة لهمـا، موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل؛ فليس للإنســان مزيـة على البهيمـة، لأن كليهمـا باطـل، يـذهب كلاهمـا إلى مكـان واحـد، كـان كلاهمـا من الـتراب وإلى الـتراب يعـود كلاهما، مَنْ يعلم هـل تصـعد روح البشـر إلى العلاء، وتـنزل روح البهيمة إلى الأرض؟))1151

لقد كان مفهوم البعث عند اليهـود هـو أمـر آخـر غـير نشـأة الأجسـاد للقيامـة للحسـاب؛ يقـول ((ستمبسـون)) ((Stimpson)) في كتابه: ((كتاب حول الكتاب المقـدس)) ((*A Book about the Bible*)): ((كان رجاء الحياة بعد الموت مقصورًا في أيام العهد القـديم على البعث الـذي سـيعقب ظهـور المسـيح، ولكن الكلام عن السـماء والجحيم وحضـن إبـراهيم كـان شـائعًا على عهد عيسى بين طوائف اليهود .))1152

أمّا الأمـر في العهـد الجديـد فهـو حـديث سـريع ومشـتت لا يشكّل في مجموعه صورة متكاملة متناسقة!

1150 *The World Book Encyclopedia*, Chicago: World Book, 2001 , 16/264

1151 الجامعة 3/ 19- 21

1152 George W. Stimpson, *A Book about the Bible*, New York: Harper & Brothers, 1945, 4th edition, p.38

وهنـا نسـأل: إنّ الحـديث عن اليـوم في الآخـر في القـرآن الكريم يشغل حيزًا ضخمًا من الآيات، لكنّه لا يكاد يـذكر في العهــد القــديم، ولا تكــاد تعــرف لــه تفاصــيل في العهــد الجديد[1153].. فمن أين لمحمد بهـذه التفاصـيل الكثـيرة، إن كــانت أســفار أهــل الكتــاب هي المرجــع كمــا يــزعم المنصّرون ..

وأخيرًا .. حُقّ للعاقل أن يتسـاءل: «ألا يشـكّل هـذا المبحث وحده هدمًا لدعوى المنصّرين!!؟»

3- تبليغ الشريعة المصلحة :

لم تقتصـر دعـوة الأنبيـاء على تبليـغ النـاس العقيـدة الـتي تصلح تصـوراتهم، وإنمـا أنـزل اللـه جـلّ وعلا معهم شـريعة لتقويم سلوك البشر وتنظيم علاقاتهم؛ حتّى لا يجـوروا على أنفســهم ولا على غــيرهم، ولا تــزل أقــدامهم في تتبــع الشــهوات وتعقّب الــنزوات والاستســلام لــدفق فاســد الخطرات.

وقـد كتب المـولى سـبحانه في التـوراة لبـني إسـرائيل مـا يصلح أمرهم ويصرفهم عن الانحراف والضلالة: {وَكَتَبْنَـا لَـهُ فِي الأَلْـوَاحِ مِن كُـلِّ شَـيْءٍ مَّوْعِظَـةً وَتَفْصِـيلًا لِّكُـلِّ شَـيْءٍ فَخُـذْهَا بِقُـوَّةٍ وَأْمُـرْ قَوْمَـكَ يَأْخُـذُواْ بِأَحْسَـنِهَا سَـأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِين}[1154]..

1153 انظر؛ متّى 35/46 ، متّى 19/27-29، مرقس 9/43-48، 14/23-25، لوقا 22/18-30، يوحنا 14/2.

1154 سورة الأعراف/ الآية (145)

وبُعث «عيسى» عليـه السـلام مصـدّقًا لمـا في التـوراة مـع شـيء من التخفيـف: {وَمُصَـدِّقًا لِّمَـا بَيْنَ يَـدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِـلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُـرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَـةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَـاتَّقُواْ اللّـهَ وَأَطِيعُـون إِنَّ اللّـهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُـدُوهُ هَــذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم}1155

وكـان «شـعيب» عليـه السـلام قبلـه نـذيرًا لقومـه حتّى لا يسـتمروا في إتيـان منكـرهم العظيم: {وَيَـا قَـوْمِ أَوْفُـواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُـواْ النَّاسَ أَشْـيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين}.1156

وبعث محمد ﷺ بالشريعة العامة للبشر، والمحكمة بلا نسـخ من رسالة تالية، ورغم ما فيها من تميّز وتجديد وإبداع، فقد رمى المستشـرقون حصـى التشـكيك في نهرهـا السـارب المطمئن؛ فقالت قلّة منهم بتأثّر التشريع الإسلامي بأحكـام الكتاب المقـدس والتلمـود، وذهب الكثـير منهم إلى القـول بتأثّر التشريع والفقـه الإسـلاميين بالتشـريع الرومـاني، أمّـا العهد الجديـد فلم يمنحهم فرصـة للنيـل من أصـالة القـرآن الكريم.

التوراة والتلمود:

لا يـرى مصـدريّة التـوراة والتلمـود للتشـريع القـرآني غـير شواذ المستشرقين، بل إنّ «جايجر» نفسه رغم أنّه قد عقد في كتابـه مبحثًـا خاصًّـا عن اقتبـاس التشـريع القـرآني من

1155 سورة آل عمران/ الآيتان (50-51)

1156 سورة هود/ الآية (85)

اليهوديّة، إلاّ أنّه لم يجد إلاّ صورًا قليلـة جـدًا للتشـابهات بين التشـريع القـرآني والتشـريع اليهـودي؛ فقـام بنفسـه بهـدم حجيّتها عندما كتب في آخر حديثه أنّه لم يجد غير عدد قليل جدًا من التشابهات التي عدّها اقتباسات، رغم أنّه قد قــارن بين التشريع القرآني والتشريع التلمـودي الضـخم. وزاد في نقض دعـواه عنـدما اعـترف أنّـه بالإضـافة إلى قلّـة هـذه التشـابهات، فإنّـه من الممكن القـول إنّهـا أعـراف شـرقيّة عامة[1157]، فليست هي إذن من مميزات التشريع اليهـودي، بالإضافة إلى أنّ الواقـع الشـرقي كـان يسـتدعيها في حيـاة الناس بسبب الحاجة إليها!

ولو أننا ألقينا نظرة على أسفار (التناخ) الـتي يـزعم البعض أنّهـا أصـل تشـريعات القـرآن الكـريم؛ لرأينـا عجبًـا، وأمـرا منكرًا:

- لا ترث البنات إذا كان لهن أخ.[1158]
- لا تطبخ جديًا بلبن أمه.[1159]
- «إذا نطح ثور رجلًا أو امرأة فمـات، يـرجم الثـور حـتى الموت»!![1160]
- «لا يدخل ذو الخصيتين المرضوضتين أو المجبــوب في جماعة الرب. لا يدخل ابن زنى ولا أحد من ذريته حتى الجيل العاشر في جماعة الرب.»[1161]

1157 A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. 70

1158 انظر؛ العدد 27/1-11

1159 انظر؛ خروج 34/26

1160 خروج 21/28

1161 تثنية 23/1-2

- إذا توفيّ الزوج، فعلى أخيه قسرًا أن يتزوّج زوجته، فإن رفض؛ تشتكيه إلى القضاء الذي يناقشه في الأمر، فإن أصرّ على رفضه؛ تخلع المرأة نعله، وتبصق في وجهه، ويُدعى بيته: «بيت المخلوع النعل»[1162]
- «إِذَا تَعَارَكَ رَجُلاَنِ فَتَدَخَّلَتْ زَوْجَةُ أَحَدِهِمَا لِتُنْقِذَ زَوْجَهَا مِنْ قَبْضَةِ يَدِ ضَارِبِهِ وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِخِصْيَتِهِ، فَاقْطَعُوا يَدَهَا وَلاَ تُشْفِقُوا عَلَيْهَا.»[1163]
- «لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوتكم من بني إسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر، أما الأجنبي فأقرضوه بربا.»[1164]
- إذا اغتصب رجل فتاة عذراء؛ فإنّ عقوبته هي أن يتزوّجها، وأن تبقى هي معه حتى الموت![1165]
- «من يمس جسد المصاب بالسيلان يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»[1166]
- «إن بصق المصاب بالسيلان على شخص طاهر، فعلى الطاهر أن يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»[1167]

1162 انظر؛ تثنية 25/5-10

1163 تثنية 25/11-12

1164 تثنية 23/19-20

1165 انظر؛ تثنية 22/28-29

1166 لاويين 15/7

1167 لاويين 15/8

- «وإذا حاضت المـرأة فسـبعة أيـام تكـون في طمثهـا، وكل من يلمسها يكون نجسًا إلى المساء.كل مـا تنـام عليه في أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويسـتحم بمـاء ويكـون نجسًا إلى المساء. وكل من مس متاعًـا تجلس عليـه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسـا إلى المسـاء. وكـل من يلمس شـيئا كـان موجـودا على الفـراش أو على المتـاع الـذي تجلس عليـه يكـون نجسًـا إلى المساء.»[1168]
- «إذا حملت امـرأة وولـدت ذكـرًا، تظـل الأم في حالـة نجاسة سبعة أيام ... وإن ولدت أنـثى فإنهـا تظـل في حالة نجاسة مدة أسبوعين.»[1169]
- على صاحب الحمار أن يفدي أوّل مولود لهذه الدابـة، بشاة؛ وإذا لم يفده بشاة؛ فإنّ عليه عنـدها أن يكسـر عنق الحمار![1170]

إنّ أوجـه الخلاف بين التشـريعات القرآنيّـة والتشـريعات التوراتيّة عظيمة وعميقة:

1168 لاويين 19/15-23

1169 لاويين 2/12، 5

1170 انظر؛ خروج 20/34

أولًا: غيـاب منظومـة تشـريعيّة توراتيـة تسـتوعب تفاصـيل الحيـاة وتسـدّ حاجـات الأمّـة والفـرد، في حين اسـتوعب التشريع الإسلامي (قرآنًا وسنّة) جليل الأمور ودقيقها.

ثانيـا: إغـراق النص التـوراتي في التشـريعات الطقوسـيّة التفصيليّة التي لا تمسّ حيـاة النـاس في شـيء، وهـو مـا لا نرى له ظلًا في القرآن الكريم.

ثالثـا: يزخـر النص القـرآني بعـدد ضـخم من النصـوص التشريعيّة (الكليّة العامة) الـتي تـوفّر للفقيـه معـالم كـبرى للاسـتنباط في كـلّ بيئـة وحـال، في حين اسـتغرقت (التفاصيل) التشريعيّة نصوص التوراة.

رابعا: من اليسير أن يلاحظ القارئ أثر البيئة على كثـير من الأحكـام التشـريعيّة في التـوراة، في حين تبـدو النصـوص التشـريعيّة القرآنيّـة حاكمـة على البيئـة؛ فهي الـتي تصـنع الواقع وتشكّله.

خامسا: تستوعب الشريعة الإسلاميّة حاجات الإنسان سـواء كـان مسـلمًا أو غـير مسـلم، في حين تكتفي الشـريعة التوراتيّة بالنظر في حاجات الإسرائيلي.

سادسـا: كثـير من أحكـام التـوراة قائمـة على تميـيز طبقـة رجـال الـدين عن طبقـة العامـة، في حين يخلـو التشـريع الإسلامي من الاعتراف بطبقة رجال الدين؛ فكلّ المسلمين مكلّفون بالتزام الشرع متى بلغوا وعقلوا الخطاب.

سـابعا: رغم أنّ الشـريعة الإسـلاميّة قائمـة على مبـدأ أنّ (الإسلام يعلـو ولا يُعلى عليـه)؛ إلاّ أنّهـا تحـترم في الإنسـان

إنسانيّته مهما كان انتماؤه العقدي، وتؤمن بحاجاتـه الآدميّـة دون تميــيز ديــني، في حين يخــتزل التشــريع التــوراتي (الإنسان) في (الإسرائيلي).

ثامنا: قانون الحرب في الإسلام منضبط بحدود أخلاقيّة تمنع جموحه نحو الانتقام أو نهمة الثروة، في حين تكسو نصوص الحرب في العهد القديم غلالـة كثيفـة من الدمويّـة والكلـف بالمال.

تاسعا: العقوبة الجنائية في التوراة قائمة على مبـدأ النكايـة في المتعـدي على حـدود الشـرع، في حين تقـوم العقوبـة الجنائيّـة في الإسـلام على مبـادئ: الزجـر، والوقايـة، ومنح الولي سلطان العفو، وحضّه على ذلك.

عاشرا: حقوق المرأة هامشيّة في التوراة، فهي لا تـرث إذا كـانت أمًـا أو ابنـة، ولا حـقّ لهـا في الانفصـال عن الـزوج، وعقوبـة مغتصـبها إذا كـانت عـذراء أن يتزوجهـا، ولأبيهـا أن يبيعها، والفكـرة الحاكمـة هنـا هي أنّ المـرأة متـاع مملـوك للرجـل، وأنّ العـدوان عليهـا هـو في الحقيقـة عـدوان على أبيها أو زوجها فقـط؛ إذ إنّهـا داخلـة ضـمن ملكيّتهمـا .. أمّـا القرآن الكريم فيقرّر أنّ المرأة كالرجل في كلّ شيء إلاّ ما اسـتثني لعلّـة معتـبرة، وأنّهـا مسـتقلّة لنفسـها بالاعتبـارين الأدبي والمالي.[1171]

1171 انظر في حقوق المرأة ومقامها بين القرآن الكريم والكتاب المقدس كتابنا: (المرأة بين إشراقات الإسلام وافتراءات المنصرين) .. وهو متاح على النت:
http://www.arcri.org/woman/

ثمّ .. إنّ تشريعات الكتاب المقدس التي يزعم المنصّــرون أنها وحي ربّـاني، مـا هي في الكثـير منهـا إلاّ اقتباسـات من التشــريعات الأرضــيّة الوضــعيّة؛ فهي الــتي يجب أن تــدان باستنساخ شرائع البشر![1172]

العهد الجديد والقانون الكنسي:

لا شــريعة في الكنيســة: صــرّح العهــد الجديــد أنّ شــريعة التوراة هي شـريعة معيبـة باطلـة(!!)[1173]، وقـرّر «بـولس» صراحة أننا لسنا بحاجة إلى شريعة عمليّـة، وإنمـا علينـا أن نكتفي بعقيدة صلب الإله؛ للنجاة[1174]..

أمّا القانون الكنسـي، فقـد بـدأ ببعض المجـامع الـتي كـانت حصيلتها مجموعة قليلة من القرارات، جلّها خـاص بالقضـايا اللاهوتيّـــة والنســـكيّة والترتيبيّـــة في البنيـــان التنظيمي للكنيسة.. ثم أصبح بابا رومـا مصـدرًا جديـدًا لحسـم القـول في التحليـل والتحـريم في القضـايا التشـريعيّة التفصـيليّة – التي هي قليلة أيضًا-؛ حتى كان يقال: «*Roma locuta est causa finita*» أي: «لقد تكلّمت روما، وأغلقت القضيّة.»

لسنا هنا –في المرحلـة السـابقة والموازيـة للبعثـة النبويّـة- أمام تشريع بالمعنى الحقيقي الكامـل، وإنّمـا هي مجموعـة صغيرة جدًا من التعليمات الـتي لا تمس من واقـع الجماعـة البشريّة شيئًا يذكر!

1172 انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب.

1173 انظر مثلا؛ غلاطية 3/ 13

1174 انظر مثلا ؛ أفسس 2/ 15، روما 3/ 27-28، تيطس 3/ 4-5

زمن التقــنين: إنّ أوّل محاولــة لتجميــع القــانون الكنســي بصورة منظمة وموسوعيّة كـانت في القـرن الحـادي عشـر ميلادي على يـد الـراهب ((غـراتين)) ((Gratian)) -أي بعـد نـزول القرآن الكريم بقرون – باسم ((*Decretum Gratiani*))؛ بما يعني أنّ الإحاطة بالتشريعات الكنسيّة زمن حياة رسـول اللـه ﷺ من الأمـور العسـيرة الـتي تحتـاج دراسـة ومتابعـة وعلمًـا باللغات اليونانية واللاتينيّة والسريانيّة..!!

لقد كان القـانون الكنسـي قبـل ذلـك لا يكـاد يتجـاوز حـدود النصـائح الأخلاقيّـة العامـة المتعلقـة بالصـدق والعفّـة، مـع تفصـــيل أمـــر الشـــعائر العباديّـــة، وتـــرتيب المـــراتب الكنسيّة[1175]، كما أنّ المجامع الكنسيّة في القرون السابقة لبعثة نبي الإسلام ﷺ لم تنشـغل في الجـانب التشـريعي إلاّ بالقضايا الجزئيّـة الـتي لا تمسّ غـير خاصـة من النـاس في الأغلب، وكان همّها الأوّل حسم القضايا اللاهوتيّة..

فبين هذا التطور القانوني والبعثة النبويّة مسـافات زمنيّـة: قــرون، ومســافات ماديــة: المســافة بين جزيــرة العــرب وأوروبا، ومسافات معرفيّة: اللغات الأعجميّة.

إنّ القول بالاقتباس القـرآني من أسـفار العهـد الجديـد في باب التشريع لا يصمد أمام أولى الدراسات المقارنة، ولذلك لا يعرف له أنصار!

1175 من ذلك: (الدسقولية) و(الديداكي) ...

التشريع الروماني:

اضــطرّ الطــاعنون في القــرآن الكــريم إلى التوجّــه إلى القانون الروماني للقول إنّه مصدر التشريع الإسـلامي، لكن لم تصـمد هـذه الـدعوى طـويلًا، فقـد ردّ عليهـا كتّـاب من المستشــرقين كالمستشــرق الإيطــالي ((نلّينو)) ((Nallino)) في محاضــرته الــتي ألقاهــا في المــؤتمر الــدولي للقــانون الروماني، في روما سنة 1933م، بعنـوان: ((علاقـات الفقـه الإسلامي بالقـانون الرومـاني))1176، و((فيتزجيرالد)) ((FitzGerald)). والثــابت أنّ الرســول ﷺ لم يكن يعــرف لغــات الإمبراطوريّــة الرومانيّــة، وكــان الإمــبراطور الرومــاني ((جستينان)) قـد ألغى جميـع مـدارس القـانون الرومـاني في الإمبراطوريّة الرومانيّـة عـدا مدرسـة رومـا والقسـطنطينيّة وبـيروت، بمـوجب قـرار أصـدره سـنة 16 ديسـمبر سـنة 533م1177. وكــانت البلاد العربيّــة نائيــة تمامًــا بقوانيهــا العرفيــة عن شــرائع الأمم الأخــرى، كمــا أنّ الاختلافــات الواسعة بين شريعة القرآن وشرائع الرومان1178 تبطل كلّ دعوى للاقتباس..

1176 عرّب هذه المحاضرة، ونشرها د. ((صلاح الـدين المنجد)) في كتابـه ((المنتقى من دراسات المستشرقين)).

1177 صــوفي حســن أبــو طــالب، بين الشــريعة الإســلاميّة والقــانون الروماني، ص 48 (نقله، عبد الكـريم زيـدان، المـدخل لدراسـة الشـريعة الإسلاميّة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م، ط15، ص 65)

1178 انظر تفصيل الرد؛ عبد الكريم زيدان، المصدر السابق، ص 62-75

ثم إنّ همّة المخالفين من المستشرقين كـانت في حقيقتهـا متوجهة إلى نسبة الأحاديث النبويّة، والفقه الإسـلامي الـذي هو جهد العلمـاء في الاسـتنباط، إلى التشـريع الرومـاني، لا القــرآن الكــريم. وبعيــدًا عن تهــافت هــذه الــدعوى، فــإنّ موضوعنا هو أصالة النص القرآني فقط، وهو باب لم يقــدّم فيه المستشرقون حجّة لها حظ من النظر!

تميّز التشريع الإسلامي:

إنّ التميّـز التشـريعي القـرآني وأصـالته قـد أصـبحا حقيقـة علميّة عند الكثير من أعلام القـانونيين من غـير المسـلمين، وقد اعترف مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي انعقـد في أغسطس 1937م بأنّ التشريع الإسلامي قائم بذاتـه وليس مــأخوذًا من غــيره[1179] ؛ في إشــارة إلى تميّــز التشــريع الإسلامي عن القانون الروماني ..

وقد سبق التشريع الإسلامي القـانون الغـربي في عـدد من مقولاته الكبرى الـتي اعتبرهـا القـانونيون طفـرات عظيمـة في الأحكام التشريعية الوضعية عندهم، ومن هذه المقولات «نظريـــة التعســـف في اســـتعمال الحق»[1180] ونظريـــة

1179 علي علي منصـور، مقارنـات بين الشـريعة الإسـلامية والقـوانين الوضعية، بيروت: دار الفتح، 1390هـ/1970م، ص 67-68

1180 «إن نظريـة الاعتسـاف في الحـق وحـدها قـد أذهلت القـانونيين الغربيين في القرن العشرين، حتى إنهم لما كتب أحد المسـلمين رسـالته عن مذهب الاعتسـاف في اسـتعمال الحـق، ولم يخـرج فيهـا عمـا قـرره فقهاء الإسلام تهافت القرّاء عليها حتى نفدت في ستة أشهر، وكتبت عنها المجلات القانونية الغربية حتى قال القـانوني الألمـاني الشـهير «كـوهلر» في مقالٍ له: «إن الألمان كانوا يتيهون عجبًا على غـيرهم لخلقهم نظريـة الاعتسـاف في اسـتعمال الحـق، وإدخالهـا ضـمن التشـريع في القـانون

«الظروف الطارئة» ونظرية «تحمل التبعة» و«مسؤولية عدم التمييز»...1181

وتحـدّث القـانوني «ليـون أسـتروروج» «Leon Ostrorog» -في النصـــف الأول من القـــرن العشـــرين- عن المنظومـــة التشريعيّة الإسلاميّة في مجال حقوق الإنسـان، بكـلّ إجلال وتوقير ليقـول: «النظـام [التشـريعي الإسـلامي] كامـل إلى درجة نادرة من ناحية بنائـه المنطقي، وهـو إلى اليـوم يثـير إعجاب الدارسين.»1182

وقـد أقـرّ القاضــي السـابق في محكمــة العـدل الدوليّـة والأســتاذ المتقاعــد من جامعــة «مونــاش»: «كريســتوفر ويرمنــتري» «Christopher Weeramantry» في كتابــه «الفقــة الإسلامي: منظور دولي» «*Islamic Jurisprudence: An International Perspective*» بعظمة الشريعة الإسلاميّة –خاصـة فيمـا يتعلّـق بالقانون الدولي- وأثرها على القانون الأوروبي. وأظهـر في هـذا الكتـاب انبهـاره وإعجابـه الشـديدين بمبـادئ الشـريعة

المدني الألماني الـذي وضـع سـنة 1787. أمـا وقـد ظهـر كتـاب الـدكتور فتحي، وأفاض في شرح هـذه النظريـة نقلًا عن رجـال الفقـه الإسـلامي، فإنه يجدر بعلمـاء القـانون الألمـاني أن يتنـازلوا عن المجـد الـذي نسـبوه لأنفسهم، ويعترفوا بالفضل لأهله، وهم فقهاء الإسـلام الـذي عرفـوا هـذه النظرية وأفاضوا في الكلام عنها، قبل الألمان بعشرة قــرون.» علي علي منصــور، مقارنـات بين الشــريعة الإسـلامية والقــوانين الوضـعية، ص42 (نشر المقال في الجريدة القضائية في 23 يناير سنة 1937).

1181 انظر، علي علي منصـــور، مقارنـــات بين الشـــريعة الإســـلامية والقوانين الوضعية، ص 42

1182 C. G. Weeramantry, *Islamic Jurisprudence: An International Perspective*, Basingstoke u.a. : Macmillan, 1988, p.113

الإسلامية وتفاصيلها، ولم يكن حديثه مجرّد معان مُجملة وإنما كان كلّه إحالات صريحة إلى النصوص القرآنية والحديثية[1183]. وقد أنكر بشدّة على الكتّاب الغربيين تجاهلهم للشريعة الإسلاميّة في حديثهم عن تاريخ القانون الدولي وأكّد أنّ الشريعة الإسلاميّة سابقة لما يعتبر تأسيسًا لهذا القانون على يد «غروتيوس» «(Grotius)»[1184] في القرن السابع عشر؛ موضّحًا أمرين هامين: أولهما: أنّه في مقابل التأصيل التشريعي الإسلامي للقانون الدولي، لم يعرف اليونان ولا الرومان ولا الكنيسة نظريّة قانونيّة متناسقة في هذا الموضوع[1185]، وثانيهما: دلّل من أوجه كثيرة على معرفة «غروتيوس» بالتشريع الإسلامي وتأثّره به[1186].

1183 نقل أيضًا بعض الشهادات الواقعيّة؛ ومنها قوله: «سجّلت الكتابات الأوروبيّة إبّان الحروب الصليبيّة دهشتها إثر ترجمة بعض هذه المبادئ [التشريعيّة الإسلاميّة] إلى واقع ممارسٍ في ساحة الحرب. أحد الكتاب -«Oliverus Scholasticus»- أشار إلى واقعة إمداد السلطان «الملك الكامل» الجيش الإفرنجي المهزوم بالطعام: «مَن مِن الممكن أن يشك أنّ مثل هذا الصلاح والمودّة والإحسان هو من الله؟ رجال قُتِلَ آباؤهم وأبناؤهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم بأيدينا، وسلبناهم أرضهم، وأخرجناهم عراة من بيوتهم، أحيونا بطعامهم لما كدنا نهلك من الجوع، وغمرونا بطيبتهم حتّى لما كنّا مستضعفين أمامهم.» (C. G. Weeramantry, *Islamic Jurisprudence: An International Perspective*, 1988, pp.137-138)

1184 هوجو غروتيوس (1583م-1645م): قانوني ولاهوتي هولندي.

1185 المصدر السابق؛ ص 151: «neither the Greeks nor the Romans had produced a coherent theory of international law [...] the medieval Christian Church was only groping towards this concept»

1186 انظر المصدر السابق؛ 150-158

ولا يسع القارئ غير المسلم وهو يقرأ كتاب القانوني «ويرمنتري» إلاّ أن يسأل نفسه: كيف أوتي «محمد» ﷺ هذه القدرة «الخارقة» على (إنشاء) هذا الصرح التشريعي دون ميراث بشري سابق، إن لم يكن هو الوحي الربّاني؟! وكيف يكون هذا القرآن من نتاج صحراء القرن السابع ميلاديًا، وهو مع ذلك يفيض خيرًا على البشريّة في مجالات التشريع إلى اليوم؛ ويأخذ بألباب كبار القانونيين الغربيين حتى القرن الواحد والعشرين رغم أنهم لم يلجوا أعماقه بعد؟!

.. بل هو تأثير إسلامي في شرائع أهل الكتاب:

شهد المستشرق «جوزيف شاخت» «Joseph Schacht»[1187] – الذي يعدّ أحد أهمّ المستشرقين المعتنين بالدراسات التشريعيّة والفقهيّة الإسلاميّة- أنّ التشريع الإسلامي هو الذي أثّر في التشريعات اليهوديّة والنصرانيّة.

قال: «من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضّر قانونه الديني، الذي يسمى «بالشريعة»».

والشريعة الإسلاميّة تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون .. إنّها قانون فريد في بابه .. إنّ الشريعة الإسلاميّة هي جملة الأوامر الإلهيّة التي تنظّم حياة كلّ مسلم من جميع وجوهها.»[1188]

1187 جوزيف شاخت (1902م-1969م): أستاذ اللغة العربيّة والإسلام في جامعة كولمبيا في نيويورك. كان عضوًا في المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجامع وجمعيات علميّة كثيرة.

«إنّ التشريع الإسلامي قد أثّر تأثيرًا عميقًا في جميع فروع القانون في إقليم الكرج (جمهوريّة جورجيا)، وذلك من خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين.

ثمّ هناك تأثير التشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى، من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلاميّة.»[1189]

«فبالنسبة للجانب اليهودي يبدو أنّ «موسى بن ميمون» قد تأثّر ببعض ملامح المؤلّفات الإسلاميّة في تنظيمه للمادة القانونيّة في مدوّنته بعنوان «مشناه توراه» وهو عمل لم يسبقه إلى مثله أحد من اليهود. ويقول أيضًا في تعليقه على «المشناه» الذي كتبه بالعربيّة (وذلك في تقديمه لما يسمى بالفصول الثمانية)، يقول: وإنه إلى جانب التلمود والمدراش، قد أفاد من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وكثير غيرهم، إنه ينبغي على المرء أن يقبل الحقيقة من أي إنسان يقولها- لكن هذه المسألة كلها لم تبحث بحثًا كاملًا حتى الآن.

ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي، فليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية، وهما: اليعاقبة والمونوفيزية [أصحاب الطبيعة الواحدة] والنساطرة لم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي.»[1190]

1188 شاخت، تراث الإسلام، ص 12 (نقله، محمد عمارة، الإسلام في عيون غربيّة، القاهرة: دار الشروق، 1425هـ ، 2005م، ص 180)

1189 شاخت، تراث الإسلام، ص 14 (نقله؛ المصدر السابق، ص 182)

1190 شاخت، تراث الإسلام، ص 27-29 (نقله؛ المصدر السابق، ص 182-183)

وقـــال المستشـــرق اليهـــودي «نفتـــالي ويـــدر» في كتابه «الــتأثيرات الإسـلاميّة على العبـادات اليهوديّة» متحـدثًا عن أهم عمل فقهي يهودي في القرون الوسطى، وهو «مشـناه توراه» في سياق حديثه عن الأثر العام للمسـلمين أصـحاب اللسـان العـربي على اليهـود: «ومن الناحيـة الشـكليّة اتّخـذ اليهـود لأنفسـهم منـاهج العـرب العلميّـة في فـروع الـدين، والأخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس. بل حتّى في ميدان الشريعة؛ فكتاب «مشناه تـوراة» الـذي يبهرنـا ببنائـه وترتيبه، ليس هو سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقًا للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسلمون»1191

كما أبـان المستشـرق «موشـيه مردخـاي تسـوكر» بشـكل علمي في مقدمتـه لكتـاب «تفاسـير الـرابي سـعديا جـاؤون لسفر التكوين» التأثير الإسـلامي الكبـير على فقهـاء اليهـود في القضايا الأصوليّة، سواء ما تعلّق منهـا بأصـول الفقـه أو أصول الدين.1192

4- المنظومة الأخلاقيّة المتقنة:

ترتبط المنظومة الأخلاقيّة التي يـدعو إليهـا النـبيّ المرسـل من الربّ سـبحانه بالتصـوّر العقـدي والتفصـيل التشـريعي؛ ولـــذلك فهي في وجـــه من أوجههـــا، مـــرآة تعكس الملامح الكبرى لرسالة هذا النبيّ.

1191 نفتالي ويدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهوديـة، ص 9 (عن، موشــيه مردخــاي تســوكر، التــأثير الإســلامي في التفاســير اليهوديــة الوسيطة، ت/أحمد محمود هويدي، القـاهرة: مركـز الدراسـات الشـرقيّة جامعة القاهرة، 2003م، المقدمة، ص 13)

1192 انظـر؛ موشـيه مردخـاي تسـوكر، التـأثير الإسـلامي في التفاسـير اليهودية الوسيطة

وتعتـبر المنظومـة الأخلاقيّـة اليهوديّـة متّصـلة بحبـل سُـرّي بعقيدة العهد القـديم حيث (أبنـاء إسـرئيل) هم شـعب اللـه المختار (المدلّل)، ومن عداهم، فهم ((الجويم)) ((الأمم)) الـتي ليس لها نصيب في رحمـة اللـه .. وتبـدو هـذه الصـورة في أعظم تجلّياتها في إباحة الإقراض بالربـا مـع الأممي ومنعـه إذا كـان التعامـل مـع يهـودي، بمـا يكشـف (نخبويّـة الأخلاق الإسرائيليّة)، كمـا تنكشـف حـدّتها في وصـف الفلسـطينيين بـأنّهم ((حمـير))1193، وتتجلّى في صـورة أوضـح في التلمـود حيث كلمة ((بشر)) قاصـرة على الإسـرائيليين: ((أنتم تُـدعون بشرًا، ولا يُدعى الأمميـون بشـرًا.)) ((**אתם קרויין אדם ואין העובדי כוכבים קרויין אדם**)) (*Keriot 6b*)، وحيث يقول الحبر ((حنينا)) ((**חנינא**)): ((من يضرب إسرائيليًّا على فكّه؛ فهو كمن أهـان الحضـرة الإلهيـة؛ لأنّـه قـد كتب: من ضـرب رجلًا (أي رجلًا إسرائيليًّا)، فقد ضـرب القـدوس (أي الـرب)) ((**הסוטר לועו של ישראל כאילו סוטר לועו של שכינה שנאמר מוקש אדם ילע קודש**)) (سنهدرين 58ب)، وهنا التمـاهي السـافر بين (الإسرائيلي) و(الربّ)!

ومن النصـــوص الأخـــرى الـــتي تكشـــف (نخبويـــة) الأخلاق التوراتيّـــــــــــــة/التلموديّـــــــــــــــــــة:
((لا يتـــوجّب على اليهـــودي أن يـــدفع لوثـــني أجـــور عمل)) (سنهدرين 58 ب)**.**

1193 قضاة 15/16: ((ثم قال شمشون: «بفك حمار كَوَّمْتُ أكداسًا فوق أكداس، بفك حمار قضيت على ألف رجل.)) ((ترجمة كتاب الحياة)) النص العبري يقول ((חֲמוֹר חֲמֹרָתָיִם)) ((حمارًا حمارين)) لا ((أكداسًا فوق أكداس))! وقد جاء وصف غير اليهود بأنّهم حمير أيضًا في التلمـود (انظـر: براكـوت 58أ)

«إذا نطح ثـور لرجـل إسـرائيلي ثـورًا يخص رجلًا كنعانيًـا لا تـدفع أيـة فديـة، وأمـا إذا نطح الكنعـاني ثـور الإسـرائيلي؛ توجّب دفع الفدية بالكامل» (باب قاما 37 ب**)** **.**

« إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنيًّا فلا يتوجّب عليه ردّه» (بابا متسيا 24 أ).

« لا يعفو الله عن اليهودي الذي يزوج ابنته لرجل عجـوز، أو يأخذ زوجة لابنه الطفل، أو يردّ متاعًا ضائعًا لشـخص وثـني» (سنهدرين 76 أ) .

« الأمميون يقعون خـارج نطـاق حمايـة الشـريعة، ومـالهم يتيحه الله حلالًا لبني إسرائيل» (باب قاما 37 ب)

« يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكـاذيب (الحيـل) لكي يـراوغ أمميًّا» (باب قاما 113أ)

«لا تترك البقر في فنادق الأمميين؛ لأنه يخشى أن يمارسوا معهم الجنس» (عبوداه زراه 22أ، 22ب)

ولعلّ من أهمّ مميزات (أخلاق التوراة)، عدم وصلها الجانب الأخلاقي الدنيوي، بالعقـاب والتنعيم الأخـرويين، فهي أخلاق نفعيّـــة منحصـــرة في دائـــرة (التعـــايش) و(التخـــادم) بين الإسرائيليين باعتبارهم (أبناء الربّ وأصفياؤه) ..

أمّا منظومـة الأخلاق الإنجيليّـة، فـرغم مـا (شـاع) عنهـا من أنّها: نسق جامح في مثاليّته، ينكر للفرد كلّ رغبـة وشـهوة، ويدعوه إلى أن يتنازل عن كلّ حقّ في نزاعه مع غيره، كما

يـدعوه إلى أن ينكـر مشـاعره العفويـة الملازمـة لطبيعتـه البشــريّة في صــميميّتها، ليتحــوّل إلى كيــان بلا إحســاس عفوي، فهو ينفعل بصورة تخالف التكوين الآدمي الطبيعي.. فإنّ الحقيقة هي أنّ هذه الصورة –رغم صدقها- لا تمثّل غير نصف الحقيقة!

إنّ النظـرة العلميّـة غـير الخاضـعة (لبروباغنـدا) الكنيسـة، لتكشف صواب ما قرّره «ألبير بابيه» «(Albert Bayet)»[1194] من أنّـه **لا يوجـد نسـق أخلاقي منضـبط في الأناجيل**، وإنّما هناك أنساق أخلاقية متعارضـة متصـادمة، وقـد درجت الكنيسة على الانتقاء منها في ممارسـتها ودعوتهـا، مراعـاةً لواقع الكنيسة من ضعف أو قوّة، أو مراعـاة لتغيّـر الزمـان وتبدّل الأنساق الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

وقد لخّص «بابيه» دراسته القيّمة لهذا الموضوع، في الفصل الذي اختار له عنوان: «لا توجد أخلاق إنجيليّة» ، بقوله:

«لنوجز حصيلة ما تقدّم من دراستنا. إنّها حصيلة بسـيطة؛ لا أخلاق إنجيليّة. فمن جهــة أولى، توجــد في الإنجيــل أفكــار متناقضة تتصل بما ندعوه اليوم الأخلاق النظريّة. ومن جهــة أخرى يوجد مذهب أخلاق عمليّة.

... هناك مذاهب ثلاثة في مجال علاقات الأخلاق بالطقوس: الأوّل يؤكّـد اسـتقلال الأخلاق عن الطقـوس ولا يقـرّ سـوى الرجس الأخلاقي. والثاني يؤيّد طقوس التطهّر الــواردة في

1194 ألبـير بابيـه (1880م-1961م): عـالم اجتمـاع فرنسـي. درّس في السوربون والمدرسة التطبيقيّة للدراسات العليا.

(الشـــريعة) الموســويّة القديمـــة دون أن يـــدخل عليهـــا أيّ تعديل. والثالث يقيم طقوسًا جديدة.

وفي مجال علاقـات الأخلاق بالإيمـان يوجـد مـذهبان: الأول يؤكد رجحان الأخلاق ويقرّ خلاص اليهود ويعلن أن الإيمان لا يقود إلى الخلاص إلا بالأعمال. والمذهب الآخر يؤكد رجحان الإيمان، ويدين إســرائيل، ويعلن أن من يــؤمن يخلص، ومن لا يؤمن يهلك.

وثمة فيما يتصل بالمســؤولية والحريـة مـذهبان: الأول يعلن أن النــاس أحــرار، وأنهم يســمعون الكلام جميعًــا، وأن في وسعهم وحدهم العمل به، وأن اختيارهم سيجعلهم أبرياء أو آثمين. والمـذهب الآخـر يعلن أنّ النـاس كافـة لا يســمعون الكلام، وأن الله يقصد عمى بعضهم، وإنارة بصيرة الآخرين، وأن المختارين ليسوا هم الـذين اختـاروا اللـه، بـل إنهم من اختارهم الله.

وفي ميدان الجزاء توجد ثلاثـة مـذاهب: الأول يعـد المـؤمن بالخلاص ويمجّد إسرائيل الناجية من أعـدائها. والثـاني يعلن بعث الأجساد، والسعادة الجسمانية أو العـذاب الجســماني. والثــالث يقتصــر على وعــد ببعث روحي محض ينجــز منــذ الحياة الدنيا، وهو الانتقال من الخطأ إلى الحقيقة.

وإذا مـا تصـورنا التعـاليم المتصـلة بالممارسـة ألفينـا، على العكس، كأنها تتوزع من تلقاء ذاتها بين فئتين.

الفئة الأولى: لا تقتل أبدًا، لا من أجل العقوبة، ولا حــتى من أجل الدفاع عن النفس. ومن لطمك على خـدك فحـوّل لـه الآخر. وإذا أخذ ثوبك؟ فأعط رداءك. لا تسـتل سـيفك أبـدًا. ما فائدة ذلك؟ وإذا ما اضـطهدت فهلّـل فرحًـا. وإن إنقـاذك حياتك يعدل هلاكها. بع جميع أموالك وأعـط ثمنهـا للفقـراء. ليس لك كيس ولا مزود. إن كنت فقيرًا فابقِ فقــيرًا، وعش مع الفقراء، حيث تجعلون كل شيء مشتركًا بينكم. لا تعمل

لكسب رزقك: إن الزنابق لا تعمل. إن كنت عزبًا فلا تتزوج: اخصِ نفسك من أجل (ملكوت السماوات). وإن كنت متزوجًا فامتنع عن الانجاب: هاهي ذي الأيام التي تأتي ويقال فيها: طوبى للعواقر!
احتقر أسرتك الجسمانية. اترك والديك وأبناءك. أبغضهم. انظر إلى السلطات السياسية نظرتك إلى الشيطان. لا تكن ملكًا، ولا قاضيًا، ولا سيدًا. ترقب الثورة الكبرى التي سترى انهيار العروض، وهي ستجعل الأغنياء فقراء، والأواخر أوائل. لا تَدْعُ أحدًا (أبًا) (دكتورًا) حتى داخل الكنيسة ذاتها: فـ(يسوع) وحده هو الدكتور والمعلم، جميع الناس دونه إخوة متساوون.
ألا نرى جميعنا أن كل هذه التعاليم يتسق بعضها وبعض وتشكل (كلًا) يدع أحدها الآخر. كل شيء جلي المبدأ: الفزع من العالم.
العالَم؟ إنه (المجتمع) الذي ننتمي إليه ونضطلع بمصيره. إنه الأسرة التي يربطنا بها ألف وثاق متين أو ضعيف. إنه الثروة التي تغذي حياة البشر حتى لو كان توزيعها ظالمًا. وهو أخيرًا الحياة ذاتها والتي كل ما عداها لا شيء. إن بغض العالَم هو إذن، من الناحية المنطقية، بغض (المجتمع)، والأسرة، والثروة، والحياة بالذات...
طائفة ثانية من التعاليم: ابتع سيفًا. أعدم المجرمين. إذا هدّد الموت حياتك فاهرب إلى الجبل. إذا اضطُهدت في مدينة فاهرب إلى أخرى. -خذ كيسًا ومزودًا. اشتغل لتكسب رزقك. استثمر أموالك بتوظيفها لدى أصحاب المصارف. تصدق: ولكن أحدًا لا يطالبك بإعطاء كل ما تملك. دع حقلًا لتفوز بمئة حقل، وبيتًا لتلقى مئة بيت. – تزوج وكن مع امرأتك جسدًا واحدًا. افرح إن أنجبت زوجتك ابنًا. أكرم أباك وأمك. أحب أطفالك، وكن متسامحًا معهم.

– اخضع للسلطات القائمة. أعـط مـا لقيصـر لقيصـر. احكم على اخوتك. وإذا كـانوا عصـاة اطـردهم. ليخـدمك أتباعـك. وليجلب لــك عبــدك طعامــك وهــو متمنطــق. احــترم في الكنيســة الرؤســاء ورعــاة القطيــع الــذين وهبــوا أنفســهم للحقيقــة، وهم ســادة يحطــون عنــك خطيئاتــك، أو يبقونهــا عليك.

هنــا أيضًــا، كيــف لا نــدرك أن التعــاليم تترابــط، وأن مبــدأً مشتركًا يسودها؟ وهذا المبدأ يعـارض كـل المعارضـة مبـدأ الأخلاق الأخرى، وقوامه بوجه الدقة احترام العالم؟))[1195]

إنها أخلاط من التصوّرات، والتعاليم، والأوامر، المتضادة!!

يضاف إلى ما سبق أنّ الكنيسة في عملهـا التنصـيري- منـذ القرون الأولى التالية للبعثة المحمديّـة- روّجت لنفســها من خلال إظهار التفرّد النصراني في باب المنظومات الأخلاقيّة، وهــذا أمــر يؤكّــد بجلاء ألاّ علاقــة نَسَــبيّة أو عضــويّة بين المنظومة النصرانيّة والمنظومة الإسلاميّة!

أمّا النظر في المنظومـة الأخلاقيّـة القرآنيّـة فيكشـف حالـة تميّز فريـدة لهـذه المنظومـة الـتي تجمـع في فلسـفتها بين تحفيز النزوع البشري إلى التسامي، ومراعاة البناء النفسي البشــري الــذي تتنازعــه الشــهوات وتحاصــره النزغــات الشيطانيّة.

لقد جاءت المنظومة القرآنيّة الأخلاقيّة بعيـدة عن (المثاليّـة الواهمة) التي تتنكّـر لضـعف الإنسـان ونقصـه {لَقَـدْ خَلَقْنَـا

1195 ألبير بايه، أخلاق الإنجيـل، دراسـة سوسـيولوجيّة، ت/عـادل العـوا، دمشق: دار الحصاد، 1997م، ص113-117

الإِنسَـــانَ فِي كَبَـــد}1196، ومتجانفـــة عن (الواقعيّـــة المستسلمة) التي تركن إلى قصور النفس البشريّة وتخضع لنزواتها لأنّها جزء من صميم كينونـة البشـر {مَـا يُرِيـدُ اللّـهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَـرَجٍ وَلَــكِن يُرِيـدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}1197.
إنّ الأخلاق الإسلاميّة تعترف أنّ الإنسان مسـلوب العصـمة، وأنّه أيضًا يملك القدرة على التعالي فوق الكثير من شوائب النقص فيــه بمــا أودع في فطرتــه من نــزوع إلى الخــير واســتقباح للشــر {وَنَفْسٍ وَمَــا سَــوَّاهَا فَأَلْهَمَهَــا فُجُورَهَــا وَتَقْوَاهَا}1198، كما أنّهـا موصـولة بسـياق الوضـع الإنسـاني الاختباري في الدنيا حيث يمشـي المـرء على صـراط محنـة النفس الأمارة بالسوء ووعد الله له بالجنّة؛ فأينما مال، كان هناك المستقرّ والمـآل: {كُـلُّ نَفْسٍ ذَائِقَـةُ الْمَـوْتِ وَنَبْلُـوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُـون}1199{مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيد}1200

لا يعني ما سبق أنّ القرآن الكريم قد دعا إلى مجموعة قيم لم تعرفها أسـفار الكتـاب المقـدس، فليس ذاك بممكن ولا مطلـــوب؛ إذ إنّ في تلـــك الأســـفار مجموعـــة من النظم الأخلاقيّـة الـتي اتّفـق صـلحاء البشـر على صـوابها، كمـا أنّ القرآن الكريم ذاته قد جاء–في واحد من أغراضـه- ليحافـظ على الخير الذي هدي إليه أهل الكتـاب سـابقًا: {يُرِيـدُ اللّـهُ

1196 سورة البلد، الآية (4)

1197 سورة المائدة/ الآية (6)

1198 سورة الشمس/ الآية (8)

1199 سورة الأنبياء/ الآية (35)

1200 سورة فصلت/ الآية (46)

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْـدِيَكُمْ سُـنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُـوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّـهُ عَلِيمٌ حَكِيم}[1201]، وقـد أثبت البحث التفصـيلي في القيم الأخلاقيّة السامية الواردة في الكتـاب المقـدس، أنّهـا كلّهـا مثبتـة في القـرآن الكـريم[1202]، غـير أنّ هـذا الكتـاب المعجز والفريد، لا يكتفي بالموافقة والجمع، وإنّما هو يجمع إلى الأخلاق المثبتـة في أسـفار الأوّلين، أنماطًـا جديـدة في السـلوك والتعامـل بمـا يوافـق عالميّـة هـذا الـدين وإحكـام أحكامه التي لا سبيل لنسخها؛ إذ لا رسالة بعد رسالة محمد ! كما جبر القرآن الكريم ما في أحكـام التـوراة من شـدة وتضـييق، ومـا في الكثـير من أحكـام الإنجيـل من رخـاوة وتهاون[1203] .. فكانت الخلاصة: أخلاقًا متقنـة مصـلحة لكـلّ زمان ومكان.[1204]

النتيجة: قال المستشـرق «هـاملتون جب»: «**<u>إن المواقف الدينية التي عبر عنها القـرآن ونقلهـا إلى النـاس تشمل بناءً دينيًا جديدًا متميزًا... ومن هذه الوجهـة</u>**

1201 سورة النساء/ الآية (26)

1202 انظر هذا التفصيل الشائق في: محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص93-102

1203 المقصود هو: التوراة والإنجيل بعد طروء التحريف عليهما.

1204 (مُصلحة لكلّ زمان والمكان) لا (صالحة لكلّ زمان ومكـان)؛ لأنّهـا في كمالها تشكّل البوصلة والمعيار .. انظر في تفصيل معـالم المنظومـة الأخلاقيّـة القرآنيّـة، محمـد عبـد اللـه دراز، دسـتور الأخلاق في القـرآن، دراسـة مقارنـة للأخلاق النظريّـة في القـرآن، ت/عبـد الصـبور شـاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1416هـ، 1996م

يغدو التساؤل عن مصادر الدين الذي جاء به محمد أمرًا غير وارد بالمرّة.)) [1205]

1205 هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت/ إحسان عباس وآخرين. بيروت: دار العلم للملايين، 1964، ص 254– 255

القرآن الكريم والكتاب المقدس .. وجها لوجه!

إنّ أيسر سبيل لتبيّن أصالة النصّ القرآني واستقلاله عن دعوى الاقتباس من (الكتاب المقدس) النصراني؛ هو النظر المباشر في كلا الكتابين، والمقارنة الصارمة بينهما لينجلي عن الحقّ غبارُ الشبهة ..

تصحيح القرآن الكريم للأخطاء التاريخيّة للكتاب المقدس:

من أهم ما يكشف الأوجه التي توضّح أنّ القرآن الكريم لم يقتبس من أسفار اليهود والنصارى، تصحيح القرآن الكريم لأخطاء أسفار أهل الكتاب، وفصله بين أصيل الوحي ودخيل التحريف..

من هذه التصحيحات :

هامان صاحب فرعون:

درج المنصرون على اتهام القرآن بالخلط التاريخي بين الشخصيات، وقد بنوا أوهامهم على أصل فاسد؛ وهو أنّ كتبهم التي يقدسونها هي المرجع والفيصل في معرفة الحقّ من الباطل.. ومعلوم لكلّ دارس مدى تهافت هذه

الدعوى وارتكازها على قاعدة هشّة؛ إذ الكتاب المقدّس بجميع أسفاره أرقّ من أن يكون دعامة لمثل هذه الدعوى.

ومن أهمّ الادعاءات في هذا الباب، قول المنصّرين إنّ الكتاب المقدّس قد ذكر أنّ شخصية عاشت في فارس وشغلت منصب الوزارة كان اسمها «هامان»، وقد عاشت كما يفهم من سفر «إستير» في زمن بعيد عن زمن «موسى» عليه السلام.. ومن الخطأ أن يقول المرء بقول القرآن إنها قد عاشت في زمن «موسى» عليه السلام، وإنّها كانت العضد الأيمن لفرعون!

والجواب من وجهين :

الوجه الأوّل : قصّة إستير بأكملها ليست سوى خرافة اخترعها يهود السبي البابلي، ولا يوجد دليل تاريخي واحد على صدقها؛ حتى قالت «الموسوعة اليهودية» لسنة 1910م إنّ قلّة قليلة فقط من النقاد المعاصرين ترى أنّ هذه القصة تعتمد[1206] على أسس تاريخيّة، فالأغلبية الواسعة من المفسّرين المعاصرين ترى أنّ هذا السفر بأكمله ليس سوى «قطعة من الخيال المحض»[1207] أو بعبارة تعليق «*The New Oxford Annotated Bible*» فإنّ سفر إستير «ليس تاريخًا وإنما خرافة (...) أريد منها تفسير أصل

1206 هذا إثبات (لأصل) القصّة لا (تفاصيلها)!

1207 "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. (...) The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

عيد الفوريم[1208] ومعناه». [1209] وبالصياغة (المهذّبة) للآباء اليسوعيين: «من الممكن أن يكون اليهود قد تعرّضوا لتعنيفات من هذا النوع في أثناء الحكم الفارسي. وقد حاك المؤلّف حول ذكرها قصة خياليّة.»[1210]

من أهمّ ما يعترض به على قصة سفر إستير :

أولا: هذه القصة لم تذكر في غير التوراة. وهذا المؤرخ الإغريقي «هيروديت» الذي عاصر الملك الفارسي المقصود «اكزركزيس» «Ξέρζης» ودوّن سيرته، لم يشر إلى «إستير» ولا ما كان من أمرها.[1211]

ثانيا: النبيّان «عزرا» و«نحميا» اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قصّا قصة السبي البابلي، لم يشيرا إلى «إستير» ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها.

ثالثا: لم يعثر على هذا السفر ضمن مخطوطات البحر الميت.

1208 عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بهلاك الوزير الفارسي "هامان" الذي دبّر مؤامرة لإبادة اليهود في الامبراطورية.

1209 .Herbert G. May and Bruce M Metzger, eds. *The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha*, New York: Oxford University, 1973, p.603

1210 د. محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دمشق: دار القلم، 1990م، ص 302

1211 عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام، الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ، 1985م، ط2، ص159

رابعا: كان للعديد من آباء الكنيسة تحفظّات على هذا السفر.1212

خامسا: عدم وجود اسم الجلالة البتة في هذا السفر المريب، حتى قال «مارتن لوثر» زعيم «الإصلاح» البروتستانتي :«ليت هذا السفر لم يوجد، ففيه لم يرد اسم الله»1213 .1214

سادسا: أسماء شخصيات هذا السفر تشهد لخرافية1215 القصة؛ فاسم «إستير» بطلة القصة شبيه باسم «أشتار» إِلهة البابليين، واسم «هدَّسة» قريب من الكلمة البابلية «حدشتو» أي عروس، وكان أصلًا يطلق على شجرة الآس، و«مردخاي» اسم الإله البابلي الرئيسي «مردوخ»، و«هامان» عدو «مردخاي» هو نفس «هِمان» أو «هُمَّان» «هميان» أحد

1212 انظر؛ Israel P. Loken, *Esther, Loken Expositional Commentary,* Xulon Press, 2007, p.22

1213 د. محمد بيومي مهران، إسرائيل، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1999، 3/244ش

1214 يبدو أنّ غياب ذكر الربّ في هذا السفر قد أثار حفيظة المتديّنين اليهود، ولذلك أضافوه في الترجمة السبعينيّة(!!) فقد ذكر مثلًا أنّ «إستير» «تخشى الله» «φοβεῖσθαι τὸν Θεὸν» (إستير 2/20)، وانظر أيضًا في ذكر اسم الرب: 4/8:ـ «τὸν Κύριον»،ـ 66/13: ((ὅτι Θεὸς ζῶν))!!

1215 ألمحت مقدمة سفر إستير في الترجمة الانجليزية الكاثوليكية *The New American Bible* إلى هذا الأمر، وقد صرحت أنّه لا يمكن اعتبار هذا السفر وثيقة تاريخية وإنما هو صياغة حرّة : «The book is a free composition - not a historical document.» (*Saint Joseph Edition of The New American Bible*, p.500)

الآلهــة الرئيســية في عيلام. و«شــوش» عاصــمة عيلام هي المكان الذي جرت فيه أحداث هذه القصة. واسم «وشــتي» كان اسمًا لأحد الآلهة في عيلام.1216

سابعا: يزعم سفر إستير أنّ الملك الفارسي لما غضـب من زوجتـه عنـدما رفضـت أن تظهـر جمالهـا لندمائـه قـرّر أن يعاقبها بأن يبحث عن فتاة جميلـة في بلاده ليجعلهـا ملكـة، ومن هذه البداية الساذجة بدأت القصة.. وهذا أشبه بقصص ألف ليلة وليلة الخرافية.

ثامنـا: من غـير المقبـول تاريخيًّا أن يتّخـذ الملـك الفارسـي «إســتير» زوجــةً و«مردخــاي» وزيــرًا رغم أنّهمــا على دين اليهوديـة .. فهـذا يتعـارض مـع اعـتزاز الفـرس بقـوميتهم، خاصة في ظلّ القوة الهائلة والتفـوق الكبـير للإمبراطوريـة الفارسية.

تاســـعا: أشـــارت «الموســـوعة اليهودية» (*The Jewish Encyclopedia*) إلى أنّ من أهمّ المطــاعن في هــذا الســفر، القرار المزعوم بإهدار دم أعداء اليهود والذي نفّذ بعد ذلك، وهو زعم لا دعامة تاريخية له، بالإضافة إلى أنّـه يخـالف مـا يتصــوّر من التحــدي المســلح الــذي لا بــد أن يبــدر من الأرستقراطيين .. كما أنه لا دليـل تـاريخي على قـرار إبـادة اليهود الذي نسب «لهامان» ضدّ اليهود.1217

1216 انظر؛ قاموس الكتاب المقدس، مقال «إستير» (نسخة إلكترونية)

1217 *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

عاشرا: أشـــــارت «الموســــــوعة اليهودية» «The Jewish Encyclopedia» إلى مخالفة الكثير من الأعراف المذكورة في سـفر إسـتير لأعـراف الفـرس القديمـة في ذاك الزمـان؛ كالسـماح للأجـانب أن يتصـلوا بنسـاء الملـك في الحـريم، وعدم إمكان أن ترسل الملكة رسالة إلى زوجهـا، وتقسـيم الامبراطوريـة إلى 127 مقاطعـة، وعـدم معاقبـة «هامـان» الوزير «لمردخاي» اليهودي الذي رفض السجود له .[1218]

الحادي عشر : جاء في وصف اليهود زمن الملـك الفارسـي الحاكم إبّان القصّة المزعومة: «يوجَـدُ شَـعبٌ مُنتَشِـرٌ فَريـدٌ بَينَ الشُّعوبِ في جَميعِ أَقاليمِ مَملَكَتِكَ، سُنَنُهم تُخالِفُ سُنَنَ جَميـعِ الشُّـعوب، ولا يَحفَظـون سُـنَنِ المَلِك.»[1219] وهــذا الوصف ينطبق على اليهود بين اليونان لا بين الفرس.[1220]

الثاني عشر: ذكر المؤرخ «هيروديت» أنّ الملك الفارسـي لا يجوز لـه أن يـتزوّج إلاّ من سـبع عـائلات نبيلـة حصـرًا[1221]، فكيف يستقيم مع ذلك أن يتزوّج من يهوديّة تنتمي للشـعب المستذلّ؟!

الثـالث عشـر: الزوجـة الوحيـدة المعروفـة عنـد المـؤرخ «هيروديت» على أنهـا اقـترنت بهـذا الملـك الفارسـي هي «

1218 المصدر السابق

1219 إستير 3/ 8

1220 انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

1221 انظـر؛ Jon D. Levenson, *Esther, A Commentary*, London: Westminster John Knox, ,2004, p.24

Amestris)). ولا صلة بين اسمها واسم ((إستير))، كما أنّها كانت ابنة قائد فارسي ولم تكن عبرانيّة.1222

الرابع عشر : بطل القصة ((مردخاي)) كان من سبي عام 587 ق م 1223، ومن ثمّ فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي ((اكزركزيس الأول)) (أي حوالي عام 482 ق.م) يكون قد بلغ المئة والعشرين عامًا، كما أنّ ((استير)) يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزًا!!

الخامس عشر : اضطراب ترجمات سفر إستير في نسب ((هامان))؛ ففي حين يذكر النص السبعيني اليوناني أنّ ((هامان)) رجل ((مقدوني))1224، يذهب النص العبري إلى أنّ ((هامان)) رجل ((أجاجي)) ((**האגגי**))1225.. وهذا التناقض يؤكد أنّ هذه الشخصية لا وجود لها في الحقيقة!

إنّ الإشكالات التاريخيّة المتراكمة في سفر إستير قد جعلت الناقد ((جون د. لفنسون)) ((Jon D. Levenson))1226 في تعليقه على هذا السفر يقول: ((الإشكالات التاريخيّة في سفر إستير على قدر عظيم من الضخامة بما يقنع كل من لم يُلزمه اعتقاد ديني بالإيمان بتاريخيّة رواية الكتاب

1222 انظر؛ Geoffrey W. Bromiley, *International Standard Bible Encyclopedia*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982,2/159

1223 إستير 2/ 6

1224 انظر؛ إستير 16/10

1225 انظر؛ إستير 3/1

1226 جون د. لفنسون: أستاذ الدراسات اليهوديّة. درّس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلميّة الكبرى.

المقـدس، أن يشـك في صـحة هـذه الروايـة.»1227، ويرفـع البروفسور «إسرائيل ب. لوكن» «Israel P. Loken»1228 سقف محنـة هـذا السـفر اليـوم –وهـو أكـاديمي من المحـافظين- بإقراره أنّ: «كلّ النقاد المعاصرين تقريبًـا ينكـرون تاريخيّـة هذا الكتاب».1229

الوجــه الثــاني : يعتــبر «مــوريس بوكــاي» 1230 أوّل من كشـف وجـه الإعجـاز القـرآني في ربـط شخصـيّة «هامـان» تاريخيًا بشخصـية فرعـون الـذي عـاش في زمانـه «موسى» عليه السلام، وذلك في قوله في كتابه «موسى وفرعــون» «*Moise et Pharaon*» (1995م): «الاسم كما هو مكتوب باللغة العربيّة في القرآن، نقحـرة1231 دقيقـة لاسـم شـخص نحن

1227 Jon D. Levenson, *Esther, A Commentary*, p.23

1228 إسرائيل ب. لوكن: أسـتاذ الكتـاب المقـدس واللاهـوت في كليّة «College of Biblical Studies»

1229 Israel P. Loken, *Esther, Loken Expositional Commentary,* Xulon Press, 2007, p.20

1230 مــوريس بوكــاي (1920م-1998م): بــاحث فرنســي, لــه عنايــة بدراسة الكتب الدينيّة في ضوء المعارف العلميّة والتاريخيّـة الحديثـة. من أشهر مؤلّفاته كتابه «*La Bible, le Coran et la Science : Les Écritures Saintes examinées à la lumière des connaissances modernes*» الذي خصصّه لكشف مطابقة القرآن الكريم لمكتشفات العلم الحـديث وفشـل أسفار اليهود والنصارى في هذا الاختبار. له عنايـة كبـيرة بكشـف جـوانب الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم. لم يعتنق «بوكاي» الإسـلام –على خلاف ما أشيع عنه- وأقرّ مع ذلك بإعجاز القرآن الكريم، وهـو أمـر يدعم موضوعيّة دراساته العلميّة المحايدة.

1231 transliteration

نعرف اليوم هجاءه الهيروغليفي. لم يقم أي شارح للقـرآن، في حدود معرفتي، ببيانه بطريقة دقيقة ...

أريد أن أعلم هل يتماشى هذا الاسم مع اسم هيروغليفي مُحتفَظ به في وثائق تلك الفترة.

لا بدّ أن يكون من تُعرض عليه نقحرة الاسم متخصصًا في اللغة الهيروغليفيّة، ويتقن بالإضافة إلى ذلك العربيّة الفصحى لا اللهجة المصريّة الحاليّة ...

واحد من علماء الآثار المصريّة الأكثر تميّزًا يتوفّر فيه هذان الشرطان، أراد إجابتي. امتنعت عن التصريح لمحادثي عن أيّ نصّ عربيّ نتحدّث، واكتفيت بتعريفه بأنّ هذا النصّ يعود إلى القرن السابع ميلاديًّا. عندما كتبت أمامه الاسم العربي؛ عرف مباشرة كيف يترجمه إلى اللغة المصريّة القديمة، مؤكّدًا لي أنني قد خُدعت فيما يتعلّق بتحديد تاريخ النصّ العربي للحجّة الآتية (التي لا أجهلها): لا يمكن لأيّ نصّ على مدى زمن نسيان اللغة الهيروغليفية أن يحتوي اسمًا لايزال مجهولًا إلى اليوم، اسمٌ له نفس الجرس الهيروغليفيّ، جرس يوافق تمامًا هذه الكلمة العربية.

نصحني مع ذلك أن أراجع معجم «أسماء شخصيات الإمبراطوريّة الجديدة» للألماني «رانك»، وهو مؤلَّف كلاسيكي، وأن أبحث إن كان الاسم الذي رسمه بالهيروغليفية موجودًا في هذا المعجم بنقحرته الألمانيّة، مما سييسّر لي المراجعة.

اكتشفت أنّ الاسم مكتوب في المعجم كما توقّعه هذا العالم. ويااللمفاجأة، ها أنا ذا أقرأ زيادة على ذلك مهنته بالألمانيّة: «رئيس عمّال المقالع»، إذ كذلك كان يسمّى من كان يشرف على البناء.. عندما عدت إلى هذا العالم مع نسخة مصورة للصفحة التي تعنينا من المعجم، وفتحت أمامه صفحة من صفحات المصحف حيث بإمكانه أن يقرأ كلمة «هامان»؛ ذهل.1232

أُضيف هنا أنّ «رانك» قد أحال إلى كتاب نشر سنة 1906م لعالم المصريات «Walter Wreszinski » أشار إلى أنّ اسم «هامان» موجود على مسلّة في متحف مدينة فيينا (النمسا)، لما استطعت لاحقًا قراءة الوظيفة باللغة الهيروغليفيّة مشكّلة؛ لاحظت أنّ الإضافة الملحقة بالاسم تؤكّد أهميّة هذه الشخصيّة (بالنسبة لفرعون).

لـو أنّ الكتـاب المقـدّس أو أيّ مؤلّـف أدبي معـروف قبـل الوحي القرآني، أشار إلى «هامان» ووظيفته؛ لما كان وجود هذا التفصيل المذكور في القرآن ليثير انتباه أحـد. إنّ الـذي يظهر هو أنّ المعطيـات الهيروغليفيّـة المعاصـرة فقـط هي التي تثير الانتباه إلى هذا التفصيل المذكور في القرآن. بمـا أنّ ذلك لا يمكن أن يكون معتمدًا على معارف سابقة لعصر

1232 «il fut sans voix»

ظهـــور القـــرآن، فـــإنّ وجـــوده في القـــرآن يثـــير التفكير[1233.1234]

1233 Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon*, ed. Seghers, 1995, pp.230-231

1234 ذكر عالم المصـريّات الشـهير ((كنث كتشن)) ((Kenneth Kitchen)) في كتابه الهام ((*Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II*, Warminster: Aris & Phillips, 1982)) -الذي أفاض فيه في الحديث عن ((رمسيس الثـاني)): حياتـه وإنجازاتـه- أمـر شـخص مقـرّب من الفرعـون ((رمسيس الثاني))، اسمه ((Amen em inet)) وأنّه كـان رفيـق ((رمسـيس الثاني)) لما كان أميرًا، وقـد كانـا على نفس السـن (ص 28)، وهـو رفيـق صـباه وقريبـه (135)، وقلّـده وظيفـة رئيس المركبـات الملكيّـة، وهي وظيفة عسكريّة (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: {إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا كَـانُوا خَـاطِئِين} سـورة القصـص/ الآيـة (8) (ص44) وجعلـه رسـوله إلى البلاد الأخـرى (ص65) وقـد نصّـب والـد ((Amen em inet)) واسمه ((Wennofer)) رئيسًا للكهنة، ونُقـل ((Amen em inet)) من العمـل العسـكري والدبلوماسـي إلى وظيفـة المشـرف على الأعمـال الملكيّـة الأثريّة (انظـر؛ مـا جـاء في القـرآن الكـريم: {فَأَوْقِـدْ لِي يَـا هَامَـانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَـل لِّي صَـرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِـعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَـى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَـاذِبِين}سـورة القصـص/ الآيـة (38) (ص 126) .. علمًـا أنّ مقطـع (Amen) كان منتشرًا بصورة كبيرة في الحقبة الرمسيسـية (تشـمل عصـر الأسـرتين 19 و20، وسـميت بهـذا الاسـم لكـثرة من حكم فيهـا باسـم (رمسيس)) كجزء من أسماء المصريين؛ فقد تكـرر مقطـع (Amen)ـ 69 مـــرّة في قائمـــة أســـماء العمـــال الـــذين ورد ذكـــرهم في كتـــاب ((*A*

صورة من كتاب ((Walter Wreszinski)) **:**((*Aegyptische Inschriften*)) *aus dem K.K. Hof Museum in Wien*)) **وفيها اسم** ((**هامان**)) **ووظيفته**[1235]

I.34. Pfeiler einer Grabthür. № 91. (publ. Reinisch Miramare tab. 39.)

Zeit: NR.

Name und Titel:

Anmerkung: Vorsteher der Steinbrucharbeiter; vgl.

Sethe Urk. I 92, I 113 a.R.

استعمال الجمال في زمن يعقوب عليه السلام

جاء في العهد القديم ذكر الجِمال كوسيلة تستعمل للتنقل وحمل المتاع، من ذلك: ((ثم جلسوا (أي إخوة ((يوسف)) عليه السلام) ليأكلوا طعامًا فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم (**גמליהם**) حاملة كثيراء وبلسانًا ولاذنًا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر.))[1236]

لعالم المصريات الشهير ((Jaroslav Černý)) ((*Community of Workmen at thebes in the Ramesside period* Cairo: IAFO, 2001, pp.419-420)

صورة نقش هيروغليفي يتحدث فيه (Amen em ine) عن علاقته ((برمسيس الثاني)) منذ الطفولة، وكيف أكرمه ((رمسيس الثاني))، وولاه الوظائف المذكورة سابقا (Jacques J. Clère, *Les Chauves d'Hathor*, Leuven: Peeters Publishers, 1995, p.89):

تكرَّر ذكر الجمال كأحد وسائل التنقّل؛ مما يعني أنـه قـد تمّ تـدجينها من طـرف البشـر في حيـاة ((يعقـوب)) و((يوسف)) و((موسى)) عليهم السلام ..

يعتبر هذا الادعـاء خطـأ تاريخيًـا كاشـفًا لتـأليف التـوراة في صورتها الحالية بعد قرون من حصول الوقائع المؤرخة ...

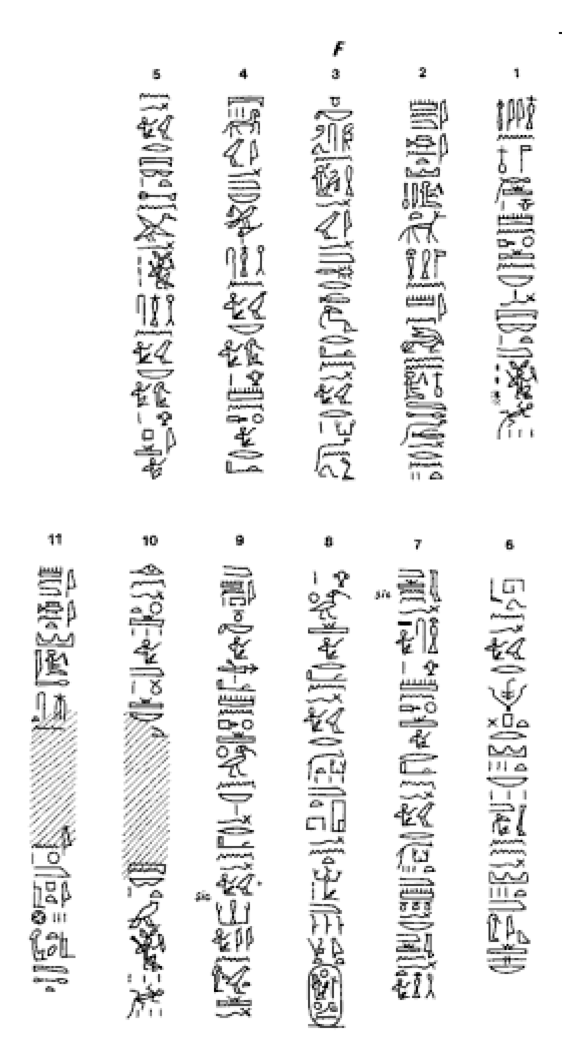


Fig. 31b. Textes de la statue d'Amenemínet.
F: côté droit du personnage.

وقد جاء في الدراسـة الكاثوليكيـة في هـامش ترجمـة ((*The New American Bible*)) تعليقًا على نصّ تكوين 12/ 16 الذي ذكر الجمال كأحـد وسـائل النقـل في زمن ((إبـراهيم)) عليـه السلام :((الجمـال الأهليّـة، ربمـا لم تعـرف في الاسـتعمال العام في الشـرق الأدنى القـديم حـتى آخـر الألفيـة الأولى قبل الميلاد؛ ولذلك فإنّ الإشارة إلى الجمال في زمن الآباء (تكوين 24 /11-64 ؛ 30/ 43؛ 31/ 17، 34 ؛ 32/ 8، 16 ؛ 37/ 25) تعتبر خطأ تاريخيًا.))1237 وهو ما اعترف به إمـام المحـافظين في الدراسـات الأركيولوجيّـة الكتابيّـة المعاصرة ((ويليم فوكسول ألبرايت)) ((William Foxwell Albright)) بقوله إنّ الجمـال لم تسـتعمل في زمن ((يوسف)) ولا قبلـه، منافحًا عن هذا الرأي بشـدّة في أكـثر من مؤلّف1238، رغم ما عـرف عنـه من تطـرّف لصـالح إثبـات تاريخيّـة الأحـداث المذكورة في العهد القديم!

ويحدد بعض الباحثين بدأ تـدجين الجمـال في أواخـر القـرن الثالث قبل الميلاد، وربما بعد ذلك، وقد ظلّت الجمـال على

1235 W. Wreszinski, *Aegyptische Inschriften aus dem K.K. Hof Museum in Wien*, 1906, J. C. Hinrichs' sche Buchhandlung: Leipzig, I 34, p. 130 (Quoted by, M S M Saifullah, Elias Karim, `Abdullah David & Qasim Iqbal, *Historical Errors Of The Qur'an: Pharaoh & Haman*)

1236 تكوين 37/25

1237 *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.15

1238 انظر؛ W.F. Albright, *Archaeology and the Religion of Israel*, Baltimore: Johns Hopkins, 1942, 1953, pp. 96-102, 132, *From the Stone Age to Christianity*, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1940, pp. 120-196

التحقيق غريبة على المصريين، بـل لقـد كـانت غريبـة على من أقبـل على مصـر من السـاميين؛ فقـد سـافرت قبيلـة «أبشـــاي» في الأســـرة الثانيـــة عشـــرة على الحمـــير، لا الجمال.1239

لم يـذكر القـرآن الكـريم الجمـال كوسـيلة نقـل في زمن «إبـــراهيم» و«يوسف» و«موسى» عليهم الســـلام .. وقـــد استعمل القرآن عبـارة «العـير» في حديثـه عن رحلـة إخـوة «يوسف» إلى مصر ..

{فَلما جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون}1240

{وَاسْـأَلِ الْقَرْيَـةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَـا وَالْعِيْـرَ الَّتِي أَقْبَلْنَـا فِيهَـا وَإِنَّا لَصَادِقُون}1241

{وَلما فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَـوْلاَ أَن تُفَنِّدُون}1242

وقد جاء تعريف «العَير» –بفتح العين- في «لسـان العـرب» : «الحمار أيًا كان أهليًا أو وحشيًا».1243، وفي تعريـف «العِـير» –بكسر العين-: «... وقال أبو الهيثم في قوله: ولمـا فَصَـلَت العِيرُ كانت حُمُرًا، قال: وقـول من قـال العِـيرُ الإِبـلُ خاصّـة

1239 انظر د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، 2/206

1240 سورة يوسف/ الآية (70)

1241 سورة يوسف/الآية (92)

1242 سورة يوسف/ الآية (94)

1243 ابن منظور، لسان العرب، 4/620

باطلٌ. العِيرُ: كلُّ ما امْتِيرَ عليه من الإِبل والحَمِير والبغال، فهو عِيرٌ.))1244، وفي معجم ((مختار الصحاح)) في تعريف ((العَير)): ((الحمار الوحشي والأهلي أيضًا))1245 .. وقال ((الألوسي)): ((وقيل: العير قافلة الحمير ثم تُوسِّع فيها حتى قيلت لكل قافلة كأنها جمع عَيْر بفتح العين وسكون الياء وهو الحمار، وأصلها عير بضم العين والياء استثقلت الضمّة على الياء فحذفت ثم كسرت العين لثقل الياء بعد الضمّة كما فعل في بيض جمع أبيض وغيد جمع أغيد.))1246 ..

وكلمة ((עיר)) (عَير) باللغة العبرية تعني ((حمار)).1247

עַיִר (√of foll.; cf. Ar. عير, عَارَ *go away, go hither and thither, escape through sprightliness*, whence عَيْرٌ *ass*, esp. *wild ass* De Jb (2), 149 Hom NS 121-123).

1244 المصدر السابق، 4/624

1245 الرازي، مختار الصحاح، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ، 1995م، ص 194

1246 الألوسي، روح المعاني، 13/33. نقل ((الألوسي)) قبله قولًا آخر: ((والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ سُمِّيت بذلك لأنها تعير أي تذهب وتجيء.)). وليس يخفى بطلان هذا القول؛ إذ إنّ أصل التسمية ثابت في اللغات الساميّة الأخرى للحمير، وردّ المعنى إلى الذهاب والمجيء بعيد جدًا!

1247 The Brown, Driver, *Briggs Hebrew and English Lexicon : with an appendix containing the Biblical Aramaic : coded with the numbering system from Strong's Exhaustive concordance of the Bible*, p. 746

وقد استخدمت كلمة «عير» (**עיר**) في سفر إشعياء للدلالة على الحمير التي تحمل المتاع؛ حيث يقول النصّ 30/6: «**ישאו על-כתף** **<u>עירים</u>** **חילהם**» «يحملون على كتف <u>حمير</u> ثروتهم». واستدلّ المعجمي «جزنيوس» بهذا النص لبيان أنّ من معاني كلمة «عير» العبريّة: الحمير التي تستعل «لحمل المتاع».[1248]

استعمل القرآن الكريم في سورة يوسف أيضًا عبارة «بعير» ومن معانيها: «حمار» كما في «لسان العرب»: «قال ابن بري وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة ابن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسؤُول المتنبي قال ابن خالويه: والبعير أَيضًا الحمار وهو حرف نادر أَلقيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خُنْزُوانَةٌ وعُنْجُهِيَّة، فاضطرب فقلت : المراد بالبعير في قوله تعالى: {وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيم}[1249] الحمار، فكسرت من عزته، وهو أَن البعير في القرآن الحمار، وذلك أَن يعقوب وإِخوة يوسف، عليهم الصلاة والسلام، كانوا بأَرض كنعان وليس هناك إِبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير . قال الله تعالى : {وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ... }أَي حمل حمار.»[1250]

وقد ذكر «الطبري» في تفسيره عن «مجاهد» تلميذ «ابن عباس» رضي الله عنه وناقل تفسيره للقرآن الكريم أنّ

1248 William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, , p.774

1249 سورة يوسف/ الآية (72)

1250ابن منظور، لسان العرب، 4/ 71

البعير في قصة ((يوسف)) هي الحمير: ((وَقَالَ ابْن جُرَيْج، قَالَ مُجَاهِد، {كَيْـل بَعِـير}: حِمْـل حِمَـار. قَـالَ : وَهِيَ لُغَـة. قَـالَ الْقَاسِم: يَعْنِي مُجَاهِد أَنَّ الْحِمَار يُقَال لَـهُ فِي بَعْض اللُّغَـات: بَعِير)).1251

وكذلك ذكره ((مقاتل بن سليمان))1252 في تفسيره.1253

والبعير العربية، تقابل في اللغة العبريّة كلمة ((بْعـير)) ((**בעיר**)) التي تعني الدابة عامة1254 . وتعني كلمة ((بْعـيرا)) ((ܒܥܝܪܐ)) في السريانيّة الدابة إطلاقًا1255، والدابة الـتي يحمـل عليهـا المتاع خاصة1256:

בְּעִיר m. *cattle, beasts,* so called from feeding, grazing, from r. בָּעַר no. 1. Comp. [illegible] no. 2. Only in Sing. collect. like Lat. *pecus, -oris,* of every species of cattle, large and small, Ex. 22, 4. Num. 20, 4. 8. 11. Ps. 78, 48. Spec. of beasts of burden, Gen. 45, 17.—Syr. ܒܥܝܪܐ c. Ribbui as a mark of the plural, Arab. بَعِيرٌ id.

1251الطبري، تفسير الطبري، بيروت: دار الفكر، 1405هـ، 13/12

1252 مقاتل بن سليمان (توفي سـنة 150هــ): خراسـاني، نزيـل مـرو. أخذ الحديث عن ((مجاهد بن جبر)) و((عطاء بن أبي رباح)) وغيرهما.

1253 ابن منظور، لسان العرب، 4/71

1254 *Gesenius Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, p149

1255 بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصـول اللغويّـة المقارنـة سـرياني-عربي، ص 64

1256 Carolo brockelmann, *Lexicon Syriacum*, Edinburgh: T. & T. Clark, 1895, p.43

ويبدو ارتباط كلمة «بعير» «**בעיר**»ـ بالدواب عامـة في الفعـل الثلاثي العـبري «بـاعر» «**בער**» بمعـنـي «رعى» من «الـرعي» وهو ما يشمل الدواب دون تخصيص؛ ولذلك قـال المعجمي اليهـــودي «داود بن أبراهـــام الفاسي»[1257] في معجمـــه التوراتي الشهير عبري-عـربي «جـامع الألفـاظ» في تفسـير نص «**ובער בשדה אחר**» (وبعــير بســدي أحــير)[1258]: «**אי אטלק דואבה פי חקל גירה ואבערת**»[1259] «أي أطلق دوابه في حقل غيره وأبعرت».[1260]

والمثير أيضًا في هذا السياق أنّ التـوراة قـد اسـتعملت في قصّة «يوسف» العبـارة العبريّـة «بعـير»[1261] الـتي اسـتعملها القــرآن، في الحــديث عن دواب إخــوة «يوسف» .. وقـــد <u>صرّحت في مواضع أخرى أنّ إخـوة «يوسف» قـد اسـتعملوا الحمير في سفرهم إلى مصر</u>.[1262]

1257 داود بن أبراهام الفاسي (القرن العاشر): نحوي، معجمي، يهـودي من فرقة القرّائين.

1258 الخروج 22/4

1259 كتب الشرح العربي للألفاظ العبريّة بالحرف العبري لا العربي.

1260 David B. Abraham Al-Fasi, *Kitab Jami' Al-Alfaz*, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, 1936, 1/254

1261 نصّ تكوين 45/ـ 17 قـول فرعـون «ليوسف»: «اطلب من إخوتـك أن يحملـوا **<u>دوابـ</u>**ـهم بـالقمح ويرجعـوا إلى أرض كنعـان»؛ فالـدواب في الأصل العبري «بعير» كما هو مسطور في الأصل العبري:

«אמר אל-אחיך זאת עשו: טענו, את-**<u>בעיר</u>**כם, ולכו-באו, ארצה כנען.»

1262 تكوين 42/26، 43/18...

وقـد بحث «مـوريس بوكـاي» في كتابـه «موسـى وفرعـون» قضـــية (البعـــير) في ســـورة يوســـف، وأشـــار إلى أن المستشـرق «جـاك بـيرك» قـد وضـع في هـامش ترجمتـه الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم إشارة إلى أنّ كلمة (بعـير) تعني الدابة التي تحمل المتاع، لا الجمـل، وأضـاف «بوكـاي» قائلًا: «أنا عظيم السرور بسـبب هـذه الدقـة للسـبب الآتي: لاحظت أثناء قـراءتي للترجمـات المختلفـة لسـورة يوسـف بالفرنسية والإنجليزية بالنسـبة للآيـتين 65،ـ 72 من سـورة يوسف، أنّه لم يترجم أي أحد الكلمة العربية «بعير» إلى غير كلمة جمل. يبدو لي أن هذا الأمر يعتبر خطأ تاريخيًا ظـاهرًا، لأنني أعلم أنه في مصر القديمة (وذلـك على كامـل المـدى التاريخي السـابق للعصـر المسـيحي) لم تُسـتعمل الجمـال المدجّنـة البتّـة لحمـل المتـاع: قـدمت تفاصـيل وافيـة لهـذا الموضوع في الجزء الكتابي الخاص بقصـة يوسـف. بـدا لي أنـا أيضًـا بصـورة واضـحة أنّ إشـارة الكتـاب المقـدس إلى الجمال التي تحمـل المتـاع في هـذا العصـر، خطـأ تـاريخي حقيقي (الترجمة السـبعينية من القـرن الثـالث قبـل الميلاد تضم هي أيضًا في اليونانية كلمة جمل1263).

أثناء إقامتي في هقـار1264 في نزهـة عنـد مخيم للطـوارق مـع المأسـوف عليـه «هـنري لاهـوت» سـألت هـذا العـالم المتخصـص في هـذه المنـاطق عن الـزمن الـذي بـدأ فيـه تدجين الإبل –ذات السنام الواحد والسنامين-، فأجابني بكل ثقــة أنــه كــان لا بــد أن ننتظــر العصــر الرومــاني لنشــهد اسـتعمال هـذا الحيـوان كدابـة نقـل. بعـد أن حصّـلت هـذه المعلومة حول الجمل من هذا المصدر القيّم، تســاءلت عن

1263 (καμελος) (كاميلوس)
1264 منطقة في الجزائر

المعنى الحقيقي للكلمة القرآنية (بعير) والـتي تـرجمت إلى (جمل) من طـرف كـل المـترجمين -في حـدود علمي- بمن في ذلك الشيخ ((حمزة بوبكر)) .1265
استعمل القرآن أثناء حديثه عن الجمل كلمـة أخـرى، كلمـة جمل (في المفرد في سورة الأعراف الآية 40، وفي الجمع في سـورة المرسـلات الآيـة 33) ، واسـتعمل كلمـة (إبـل) للدلالـة على مجمـوع الجمـال (سـورة الأنعـام الآيـة 144، سورة الغاشية الآية 17).
ما هو إذن معنى كلمة بعير في القرآن!

وجهتُ هـذا السـؤال إلى البرفسـور ((جـاك بـيرك))، بعـد أن أعلمته بما أعرفه عن الجمال عبر التـاريخ ممـا أخـبرني بـه ((هنري لاهوت))، ومن خلال ملاحظتي لغيـاب اسـتعمال هـذا الحيوان المدجن في مصر القديمة.

لما راجع ((جاك بيرك)) ((لسان العرب))، وجد أن الكلمة تعنى ((كل ما يحمل))؛ لذلك فإنه لا بد من استبعاد كلمة جمـل من كـل الترجمـات، وهـو مـا سـيظهر في ترجمتـه بعـد عـدة سنوات.

أنصح القارئ أن يراجع الجزء الأول من هذا الكتاب الخــاص بالرواية الكتابية لـدخول مصـر، حيث أشـرت إلى اسـتعمال كلمة (جمل) لا فقط في زمن يوسف، وإنما أيضًــا في زمن إسحاق، في النص الذي بين أيدينا اليوم في العهـد القـديم، العبري واليوناني. دخل الخطأ التاريخي إلى النص من خلال محرري الكتاب المقدس أو نسّاخه ... من الواضـح أنــه في

1265 حمزة بـوبكر (1912م-1995م): كـان إمامًـا لمسـجد بـاريس. لـه ترجمة فرنسيّة لمعاني القرآن الريم.

زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كان الجمـل يعـدّ أفضـل دابـة لحمل المتاع في السفر بين البلدان القاحلة.

ليس الجمل هو الذي يظهر في القرآن على أنّه الدابة الـتي تنقل المتاع في الشرق الأوسط قبـل ألفي سـنة في قصـة يوسف. إنّ القرآن ينقـل لنـا المعطيـات التاريخيـة الدقيقـة المتعلقة بنقل المتاع.»[1266]

الخلاصة: صحيح أنّ القرآن الكريم قد وافـق التـوراة في قولها إنّ إخوة «يوسف» قد استعملوا الحمـير في سـفرهم، لكنّ القرآن الكريم مع ذلك لم يتـابع التـوراة في زعمهـا أنّ الجمـال قـد دجّنت زمن الآبـاء (إبـرهيم ويعقـوب ويوسـف عليهم السلام)، رغم أنّ البيئـة العربيّـة كـانت قـد اسـتقرّت على الاعتقاد أنّ الجمل هو (سفينة الصحراء)؛ فلا ينفـع في الارتحال في الصحارى غيره.

ادعاء فرعون الألوهيّة

تخلو التوراة من أيّة إشارة إلى دعوى فرعـون الألوهيّـة في حين أثبت القـرآن الكـريم تاريخيّـة هـذه الـدعوى الشـنيعة: {وَقَـــالَ فِرْعَـــوْنُ يَـــا أَيُّهَـــا الْمَلأُ مَـــا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْـرِي}[1267] .. {قَـالَ لَئِنِ اتَّخَـذْتَ إِلَهًـا غَيْـرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين}[1268] ..

لا يقتصر الأمر في التوراة على تجاهل دعوى تأليـه فرعـون نفسه، بـل إنّ التـوراة تجعـل «موسى» إلهًـا –على المجـاز-

1266 Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon, pp. 209-210*

1267 سورة القصص/ الآية (38)

1268 سورة الشعراء/ الآية (29)

لفرعـون: «فقـال الـربّ لموسـى انظـر: أنـا جعلتـك إلهًـا (**אלהים-** إلـوهيم) لفرعـون»![1269]، وإلهًـا –على المجـاز- لهارون: «وهو (أي هارون) يكلّم الشـعب عنـك. وهـو يكـون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا (**אלהים-** إلوهيم) »!![1270]

في مقابل صمت التوراة عن تألّه الفرعـون، ينطـق التـاريخ بـأنّ مؤسـس الأسـرة المصـريّة الأولى، اسـتطاع أن يكـوّن لمصر حوالي سنة 3200 ق.م حكومـة مركزيّـة قويّـة ثابتـة الأركان، كان على رأسها «الملك المؤلّه» الـذي اسـتطاع أن يجمع بين يديه كلّ السلطات، حكومة كـان الملـك فيهـا هـو المحور؛ فهو «الإله الأعظم»، وهو «الإله الصقر حـور» الـذي تجسّد في هيئة بشريّة؛ ولذلك فهو في نظر رعاياه، إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لهـا من حقـوق، ومن ثمّ فلـه حـق الاتصـال بهم، ولـه على شعبه ما لغيره من الآلهة من التقديس والمهابة.[1271]

ويقـول القـرآن نـاقلًا عن فرعـون دعـواه: {فَحَشَـرَ فَنَـادَى فَقَـالَ أَنَـا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}[1272].. وهـو تصـوير دقيـق لحـال

1269 خروج 7/1، والأمر (الظريف!) أنّ ترجمة «الحيـاة» العربيّـة تعـرّب النصّ هكـذا: «أنـا جعلتـك كـإلـه لفرعـون» في مخالفـة لمـا تـذكره المخطوطـات العبريـة «נתתיך אלהים לפרעה» واليونانيـة «δέδωκά σε θεὸν Φαραώ», والسريانيّة «□□□□□□ □□□ □□□□□□» بإضافتها حرف الكاف الذي لا وجود له في النص العبري ولا في ترجماته القديمة!!

1270 خروج 4/ 16

1271 انظر؛ محمد بيومي مهران, دراسات تاريخيّـة في القـرآن الكـريم, 2/ 214

1272 سورة النازعات / الآيات (21-24)

الفراعنة الذين كـانوا يعتقـدون أنّ الواحـد فيهم هـو «الإلـه الأعظم» الذي تعود إليه كلّ أمور المملكة وكلّ أمور الناس، وهو الذي يعلم كلّ كبير وصغير من أمر الناس..1273

ومما يلاحظ أيضا أنّ القرآن بالإضافة إلى نقله ادّعاء فرعون للألوهيّة، يقول على لسان الملأ من قومه: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}1274 .. ففرعون مدع للألوهية، كما أنّ له هو أيضًا آلهة .. ورغم أنّ الأمر يبدو في ظاهره متناقضًا إلا أنّ التاريخ المصري يخبرنا أنّ «رمسيس الثاني» -فرعون التسخير في قصّة «موسى» عليه السلام، على الراجح- كان يدّعي الألوهية إلى درجة أن رفع نفسه إلى طبقة «كبار الآلهة»، إلاّ أنه أيضًا كان يعبد أربعة آلهة أخرى؛ وهي «آمون» و«رع» و«بتاح» و«سوتخ»1275 .. وهذا لغز لم يكشف إلا مع التعرّف على اللغة الهيروغليفية في القرون الأخيرة.

1273 انظر، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيـة في القـرآن الكـريم، 2/ 214

1274 سورة الأعراف / الآية (127)

1275 انظر، د. رشـدي البـدراوي، مصـدر سـابق، عن الـدكتور محمـد وصفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص154

وهنا معجزات دقيقة لا نرى لها أثرًا في التوراة، رغم أهميّتها القصوى في نقل ملابسات ما كان بين ((موسى)) عليه السلام وفرعون مصر.

صورة للوحة جدارية للإلهين (ست) و(حورس) وهما يتوجان (رمسيس الثاني)
-معبد أبي سنبل-



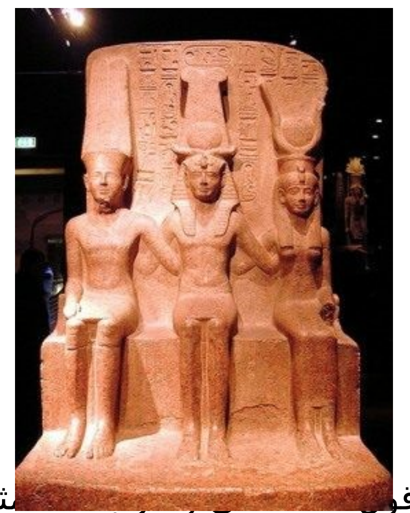
ونضيف فائدة أخرى، مادمنا نتحدث عن ((رمسيس الثاني))؛ وهي أنّ الحديث النبوي الشريف قد سمّى زوجة فرعون التي التقطت ((موسى)) من اليم، ((آسية))[1276] واليوم يخبرنا

1276 قال صلّى الله عليه وسلّم : ((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.)) (صحيح البخاري، كتاب

التاريخ المصري القديم -بعد أن فتح بابه لنا- أنّ اسم الزوجة الثانية ((لرمسيس الثاني))، بل الزوجة الرئيسية على قول الأثرية ((ماري))[1277]، هو ((آيسة)).[1278]

ومن الواضح سهولة المطابقة بين الاسمين كما ورد في الحديث النبوي وفي الآثار المصريّة.. علمًا أنّ التوراة لا تذكر هذا الاسم، بل وترى أنّ ابنة فرعون هي من التقطت ((موسى)) من اليم لا زوجته كما يقول القرآن الكريم.[1279]

رمسيس الثاني وقد وضع نفسه بين الإله ((آمون)) والإلهة ((موت)) في ثالوث آلهة.



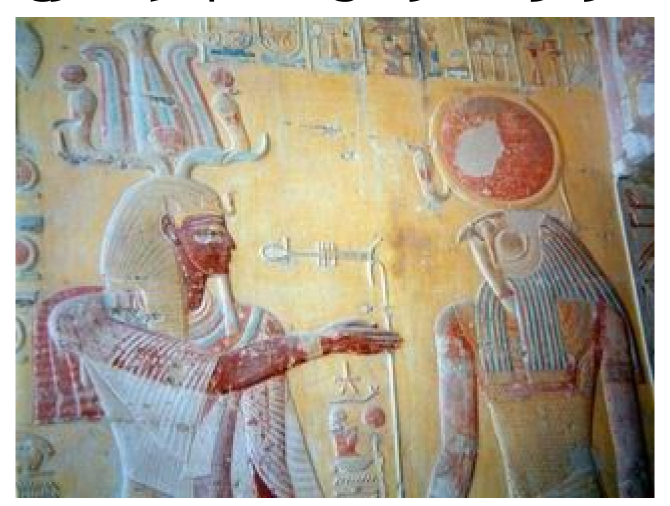
أحاديث الأنبياء، باب قو مثلا للـذين آمنـوا امـرأة فرعون، ح/ (3411).

1277 سليم حسن، مصر القديمة، 6/434 (نقله، محمد بيومي مهـران، إسرائيل، 1/392).

1278 يمكن أن ينطـق بطـرق مختلفة، منهـا ((آيسة)) و((إيسى)) وحـتى ((إست))؛ انظر؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل، 1/393

1279 خروج 2/ 5-9

الفرعون (مرنبتاح) أمام الإله (رع)



الفرعون (مرنبتاح) يعرض تقدمته أمام الإلهة (بتاح)



«الملك» لا «فرعون»

يقـول الـدكتور «محمـد بيـومي مهـران»-أسـتاذ تـاريخ مصـر والشـرق الأدنى القـديم بجامعـة الاسـكندرية- :« إن قصـة التوراة تتحدث دائمًا عن ملك مصر على أنه فرعون مصــر، بينما يتحدث القرآن على أنـه الملـك وليس الفرعـون1280، ومن المعروف تاريخيًا اليوم أن كلمة «فرعون» في صـيغتها المصرية «بر-عا» أو «بر-عو»، كانت تعـني - بـادئ ذي بـدء - الـبيت العـالي، أو الـبيت العظيم، وكـانوا يشـيرون بهـا إلى القصر الملكي - وليس إلى ساكنه - ثم سرعان ما تغـيرت

1280 تكوين 40 / 7 - 41 / 15، 46، 31 - 50 / 7

وغدت تعبيرًا محترمًا، يقصد به الملك نفسه، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة[1281]، وأما متى حدث هذا التغيير في استعمال لقب فرعون، فإن سير «ألن جارندر» – العالم الحجة في اللغة المصرية القديمة - يحدد ذلك بعهد الفرعون «تحوتمس الثالث» (1490 – 1436 ق.م)، حيث بدئ في إطلاق الاصطلاح أي «فرعون» على الملك نفسه ثم في عهد الداعية الديني المشهور «أخناتون» (1367 - 1350 ق.م)، مستندًا في ذلك على خطاب من عهده، ثم استعمل منذ الأسرة التاسعة عشرة (1308-1184ق.م)، وفيما بعد، في بعض الأحايين، كمرادف لكلمة «جلالته»، ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ: «خرج فرعون» و«قال فرعون ... وهكذا» .[1282]

إن القرآن الكريم أراد أن يفرق بين حاكم مصر الأجنبي على أيام «يوسف» الصديق في عهد الهكسوس؛ فأطلق عليه لقب «ملك»، وبين حاكم مصر الوطني على أيام «موسى» –مثلًا- الذي أطلق عليه لقب «فرعون» وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر منذ عهد «أخناتون»، هذا فضلًا عن أن ذلك من إعجاز القرآن، الذي لا إعجاز بعده، وإذا ما عدنا إلى التوراة، لوجدنا أن الحقائق التاريخية تقف ضد ما أوردته التوراة بشأن استعمال لقب فرعون، إذ إنها تستعمله حين يجب أن تستعمل لقب ملك، وذلك قبل الأسرة الثامنة عشرة، وتستعمل لقب ملك حين يجب أن

1281

1282

تسـتعمل لقب فرعـون، وذلـك منـذ عهـد الأسـرة الثامنـة عشرة (1575 – 1308 ق.م)، وفيما بعدها.»[1283]

وقال «موريس بوكـاي»: «.. عبـارة أخـرى وردت في سـورة يوسف يبدو لي أنهـا تحتـاج إلى إشـارة خاصـة، لأنهـا تمثّـل مطابقة كاملة للاستعمال الذي كـان في زمن يوسـف، كمـا هو مثبت في التاريخ. أنا جد مدين للبرفسور جاك بيرك أنـه لفت انتباهي منذ عدة سنين إلى الأمر التالي: لقِّب الحــاكم في سورة يوسـف خمس مـرات «الآيـات 43، و50 و54، و 72، و76» دائمًـــا باســـم «مَلك»، ولم يُلقّب البتـــة بلقب «فرعـون» الـذي اختص بـه في القـرآن الحـاكم في الـزمن الذي جرت فيه الأحداث المتعلقة بموسى وذلـك في خمس وستين مـرة . اسـتعمل الكتـاب المقـدس كمـا أشـرت إلى ذلك في الجـزء الأول من كتـابي، كلمـة فرعـون في جميـع نصوصـه للدلالـة على حـاكم مصـر (أحيانًـا مقترنـة بكلمـة ملك)، لا فقط في زمن يوسف (أي في أقصـى الاحتمـالات القرن السابع عشر قبل الميلاد) بل حتى قبل ذلك في زمن إبراهيم (الفصل الثامن عشر من سفر التكوين).

لم يُعرف ملك مصر بلقب فرعون إلا منــذ حكم أمينــوفيس الرابع، أي في الربـع الثـاني من القـرن الرابـع عشـر قبـل المسـيح. كـل اسـتعمال لكلمـة فرعـون للدلالـة على ملـك

1283 محمــد بيــومي مهــران، دراســات تاريخيــة في القــرآن الكــريم، 2/121-122ـ (بتصرف يسير)، Wahiduddine Khan, *God Arises*, New Delhi: Goodword Books, 2001 , pp. 206- 208

مصـر قبـل هـذا العصـر هـو خطـأ تـاريخي: ارتكب محـررو الكتاب المقدس هذا الخطأ لما كانوا يستعملون لغة زمانهم عند تأليفهم للكتاب المقدس. في المقابـل، فـإن اسـتعمال هذه الكلمة للأحداث الأقرب لنا كزمن موسى، هي مطابقـة للمعطيات التاريخية.

إنّه عليّ أن أعلن أنه في زمن تبليـغ القـرآن إلى النـاس، كـانت اللغة المصرية القديمة قد اختفت منذ أكـثر من قـرنين من الـذاكرة البشـرية، وبقيت كـذلك إلى القـرن التاسـع عشر؛ لـذلك فليس بإمكاننا أن نعرف أنّ ملـك مصـر في زمن يوسـف يجب أن يدعى بلقب غير المذكور في الكتاب المقدس. دقـة اختيـار الكلمــات في هــذا الموضــوع في نص القــرآن تثــير التفكير.»[1284]

عدد بني إسرائيل في مصر

من أكثر المواضع الـتي شـغلت النقـاد المعاصـرين، العـدد الضخم للإسرائيليين الذي عاشوا في مصر وخرجوا منها مع «موسى» عليه السلام بعد أن طاردهم فرعون وجنوده ..

تذكر التوراة أنّ «عدد نفوس بيت يعقـوب الـتي قـدمت إلى مصر (كانت) سبعين نفسًا»[1285]، ثم أصبح العدد بعـد 215 سنة على رأي التوراة السبعينية، أو ضعف هـذا الـرقم على رأي التوراة العبرانيّة، «شعبًا أعظم وأكثر» من المصـريين – أصحاب أقـوى وأعظم دولـة في العـالم في ذاك الـوقت -،

1284 Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon, pp.210-211*

1285 تكوين 46/ 27

ولما طردوا من مصر كـان من بينهم «نحـو سـت مئـة ألـف ماش من الرجال، عدا الأولاد، فكـان جميـع الأبكـار الـذكور، من ابن شهر فصاعدًا، اثـنين وعشـرين ألفـا ومئـتين وثلاثـة وسبعين.» !![1286]

يعلق بعض الباحثين على ذلـك، بقولـه إننـا لـو قسـمنا عـدد الجماعة على الأبكار، لخلصنا إلى أن المرأة الإسرائيلية من اليهود الآبقين، كانت تلد زهاء 65 وليدًا، وهو أمر لا يسـتقيم مع المنطق، فضلًا عمـا تعرضـوا لـه من ذلـة وعسـف تحت رؤسـاء التسـخير، ولا مـع مـا روي من عبـورهم البحـر في سويعات قصار، ومن ثم فـإن علمـاء اللاهـوت والمـؤرخين، سواء بسواء، أصـبحوا الآن لا يعلقـون أيـة أهميـة على هـذه الأرقــام الــتي ذكرتهــا التــوراة، ويعتبرونهــا محض خيــال إسرائيلي.[1287]

إنّ القـول إنّ الإسـرائيليين قـد بلـغ عـددهم زمن «موسى» عليه السلام أكثر من المصريين، ليس إلاّ علامة على فحش مبالغــات التــوراة وفحش تناقضــاتها، خاصــة إذا علمنــا أنّ التــوراة ذاتهــا تــذكر الاضــطهاد والقتــل الــذي ســلّط على الإسرائيليين .. فكيف يكون عددهم أكثر من المصريين رغم عمليات القتل؟!! وكيف يستذلّ الأقلّ الأكثر؟!![1288]

وقد ردّ الإمـام «ابن حـزم» منـذ قرابـة ألـف سـنة على هـذا الخطأ، وبيّن الإعجاز القرآني في هذا الباب، بعـد أن كشـف

1286 خروج 12/ 37، عدد 43/ 43

1287 محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن، 2/ 142

1288 انظر المصدر سابق، 2/ 143

بمنهجيته النقدية الصارمة خبط التوراة ومبالغاتها الباطلة: «أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول الله تعالى حاكيًا عن فرعون إنه قال إذ تبع بني إسرائيل: {إِنَّ هَؤُلاَء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون}[1289]. هذا الذي لا يجوز غيره ولا يمكن سواه أصلًا.»[1290] ..

علمًا أنّ هذه الحقيقة التصويبية التي وردت على لسان الإمام ابن حزم رحمه الله، لم تذكر في نقد الرواية التوراتية في الغرب إلا سنة 1862م على يد «ج. و. كولينسو» «J. W. Colenso » – أحد مؤسسي نقد العهد القديم المعاصر- وإن كان الألماني «هـ. س. رايماروس» «H. S. Reimarus» قد سخر من الرقم التوراتي قبل ذلك بقرن واحد!!![1291]

قد يقول معترض :«إنّ ما قاله فرعون-في القرآن الكريم- لا يعدو كونه محاولة للتهوين من أمر الإسرائيليين!»

والجواب هو :

أولا: النصّ القرآني في سرده لقصة «موسى» عليه السلام لا يوحي أصلًا أنّ بني إسرائيل قد بلغوا الكثرة المزعومة في التوراة.

1289 سورة الشعراء/ الآية (54)

1290 ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1/ 194

1291 د. لؤي فتوحي ود. شذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، لندن: دار الحكمة، 1422هـ، 2002م، ص133

ثانيا: العدد المذكور في التوراة-كما يقول «بوكاي» يفوق عدد شعب دولة بأكملها في ذاك الوقت[1292]، وليس من المعقول أن يوصف شعب كامل تبصرهم عيون الناس بأنهم «شرذمة قليلون»!!

وقد يتوجه المعترض بقوله إلى جهة أخرى ليقول إنّ القرآن لم يقدّم سبقًا علميًّا وإنما صوّب خطأ ظاهرًا ..!!

وأقول: إنّ الكشف عن هذا الخطأ قد احتاج من أهل العلم دراسة جادة للنصوص ومقارنة جادة بينها ونظرًا جادًّا في السنن الكونية في تكاثر الشعب الواحد، وهو أمر لم تعرفه أوروبا إلا منذ ما يعرف بعصر النهضة (القرن 16م). وقد رأيتَ أنّ هذه الحقيقة لم يعرفها الغرب إلا بعد أكثر من ألف سنة من تنزّل القرآن الكريم!.. وقد سبقهم علماء الإسلام لأنهم كانوا يسترشدون بنور القرآن الكريم.

إنّه إذن، الإعجاز!

إسماعيل هو الذبيح

جاء في سفر التكوين 22/1-12:ـ «وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناداه: «يا إبراهيم» فأجابه: «لبيك!» فقال له: «خذ ابنك وحيدك (יחידך)، إسحق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه» ...ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلا: «إبراهيم، إبراهيم» فأجاب: «نعم» .فقال: «لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرًا لأني

1292 انظر: Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt*, Tokyo: NTT Mediascope, 1994, pp.7, 111-112

علمت أنـك تخـاف اللـه ولم تمنـع ابنـك **وحيـدك (יחידך)** عني.»

وهـذا بلا ريب خطـأ؛ لأنّ الكتـاب المقـدس نفسـه يُقـرّ أنّ «إسماعيل» قد ولِـد قبـل «إسـحاق». وقـد جـاءت النصـوص القرآنيّة[1293] كاشفة ضمنًا أنّ الذبيح هو «إسماعيل».[1294]

قال الإمام «ابن القيم» –رحمه الله- في دفع دعوى الكتاب المقــدس، وبيــان دلالــة القــرآن الكــريم أنّ الــذبيح هــو «إسماعيل»: «وهي باطلة قطعًا من عشرة أوجه:

أحدها: أن بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملــل الثلاث، فالجمع بين كونه مأمورًا بذبح بكـره وتعيينـه بإسـحاق جمـع بين النقيضين.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقـل هـاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكــة لئلا تغـير سارة، فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظًا لقلبهـا ودفعًـا لأذى الغيرة عنها، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعـد هـذا بذبح ابن سارة وإبقـاء ابن السـرية؟! فهـذا ممـا لا تقتضـيه الحكمة.

1293 لا يصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم حديث في تحديـد هويّـة الذبيح.

1294 ما ذهب إليه بعض العلماء المسلمين من أنّ الذبيح هـو «إسـحاق» لا دليل عليه من قرآن أو سنة، وإنّما هو متلقّى عن اليهود والنصارى؛ قال شيخ الإسلام «ابن تيميّة»: «هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنـه باطل.» (ابن القيم، زاد المعـاد، ت/ شـعيب الأرنـاؤوط وعبـد القـادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسـالة، 1407هــ، 1986م، ط14،ـ 1/71)، وقال الإمام «ابن كثير»: «وما أظن ذلـك تلقي إلا عن طريـق أحبـار أهـل الكتـاب، وأخِـذ ذلـك مُسَـلّماً من غـير حجة.» (ابن كثـير، تفسـير القـرآن العظيم، 4/15)

الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعًا، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيرًا للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.
الرابع: أن الله سبحانه بشّر سارة أم إسحاق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب[1295]، فبشرها بهما جميعًا، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر أبويه بولد ولده؟!
الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى وإقدام إبراهيم على ذبحه، وفرغ من قصته قال بعدها: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِين}[1296]، فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له، وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.
السادس: أن إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه سأل ربّه الولد؛ فأجاب الله دعاءه وبشّره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه، قال تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِين رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيم}[1297]؛ فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بُشِّر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدًا، وهذا المبشَّر به هو المأمور بذبحه قطعًا بنص القرآن، وأما إسحاق فإنما بشِّر به من غير دعوة منه، بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا

1295 قال تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب} سورة هود/ الآية71
1296 سورة الصافات / الآية (112)
1297 سورة الصافات / الآيات (99-101)

إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَـلاَمٌ فَمَـا لَبِثَ أَن جَـاء بِعِجْلٍ حَنِيذ فَلمـا رَأَى أَيْـدِيَهُمْ لاَ تَصِـلُ إِلَيْـهِ نَكِـرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَـوْمِ لُـوط وَامْرَأَتُـهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُـوب قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِـدُ وَأَنَـاْ عَجُـوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَـيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عَجِيب قَـالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْـرِ اللّـهِ}[1298] فتأمـل سـياق هـذه البشـارة وتلـك؛ تجـدهما بشـارتين متفـاوتتين؛ مخرج إحداهما غير مخرج الأخـرى، والبشـارة الأولى كـانت له والثانية كانت لهـا، والبشـارة الأولى هي الـتي أمـر بـذبح من بشر فيها دون الثانية.

السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكـة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه، وكيف يأمره اللـه تعـالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحـه بموضـع ضـرتها في بلـدها ويـدع ابن ضـرتها؟!

الثـامن: أنّ اللـه تعـالى لمـا اتّخـذ إبـراهيم خليلًا؛ والخلـة تتضـمن أن يكـون قلبـه كلـه متعلقًـا بربـه ليس فيـه شـعبة لغيره، فلما سأله الولد وهبه إسماعيل؛ فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشـعبة لـه ليسـت لغـيره من الخلـق، فامتحنـه بـذبح ولـده، فلمـا أقـدم على الامتثال؛ خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحـده، فنسـخ الأمر بالذبح، لحصول المقصود وهو العـزم وتـوطين النفس على الامتثال.

ومن المعلـوم أن هـذا إنمـا يكـون في أول الأولاد لا في آخرها، فلما حصـل هـذا المقصـود من الولـد الأول لم يحتج

1298 سورة هود / الآيات (69-73)

في الولد الآخر إلى مثله، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقرّه في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمله.

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه في عنفوانه وقوته، والعادة أن القلب أعلق بأول الأولاد، وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر، ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة...»[1299]

وقد اعترف بالدلالة القرآنيّة على أنّ الذبيح هو «إسماعيل»، «جايجر» نفسه؛ فبعد أن استعرض ما جاء في القرآن الكريم، قال: «من الواضح إذن أنّه طبقًا لعرض محمد؛ فإنّ إسماعيل هو الذي قام بدور التضحية.»![1300]

ألوهية المسيح

تكرّر في القرآن الكريم نفي ألوهيّة المسيح:

{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب}[1301]

1299 ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت، 2/348-351

1300 A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.103

1301 سورة المائدة/ الآية (116)

{مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْـرًا فَإِنَّمَـا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون}1302

وتكرّر مع ذلك تمجيد المسيح عليه السلام، ونسبته إلى البشريّة والنبوّة:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون}1303
{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا}1304

{قُولُـواْ آمَنَّا بِاللّـهِ وَمَـآ أُنـزِلَ إِلَيْنَـا وَمَـا أُنـزِلَ إِلَى إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَقَ وَيَعْقُـوبَ وَالأسْـبَاطِ وَمَـا أُوتِيَ مُوسَـى وَعِيسَى وَمَـا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَـرِّقُ بَيْنَ أَحَـدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون}1305

وهنا يسأل العاقل نفسه سؤالًا: لقد ذهب النصـارى إلى أنّ المسيح قـد أعلن أنـه إلـه، وأنـه صـادق في دعـواه، وذهب اليهود إلى اتّهام المسـيح أنّـه قـد ادّعى الألوهيّـة زورًا؛ فلِمَ يذكر قرآن (محمد) أنّ المسـيح لم يـدّع الألوهيّـة أصـلًا؟! أليس في ذلك إنكـار (لحقيقـةٍ) تاريخيّـة أطبـق عليهـا أهـل الكتاب-كما يقولون هم بأنفسهم عن (إجمـاعهم!)-؟! أليس ذاك خطأ تاريخي في القرآن الكريم؟! -ليس الاعتراض هنا على صحّة (ألوهيّة) المسيح، فهذا أمر يُدرك حكمـه بالعقـل المجرّد، وإنما هو عن صحة القول إنّ المسيح قد ادّعى أنّـه إله! -

1302 سورة مريم/ الآية (35)
1303 سورة آل عمران/ الآية (59)
1304 سورة مريم/ الآية (30)
1305 سورة البقرة/ الآية (136)

الإجابـة يقـدّمها لنـا لاهـوتي، بـل أحـد أعلام اللاهوتـيين في زماننا، وهو «جون هِك» «John Hick»1306 بقوله في كتابه «The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age» الصادر –في طبعته الأولى- سنة 1993م، ناقلًا ما أجمع عليه النقّاد المحقّقـون اليـوم: «نقطـة أخـرى عليهـا اتفـاق واسـع بين علمـاء العهـد الجديد، وهي أكـثر أهميّـة لفهم تطـور علم دراسة طبيعة المسـيح «Christology»، وتتمثّـل في أنّ يسـوع التـاريخي لم يـدّع الألوهيّـة الـتي ادعاهـا لـه متـأخّرو المسيحيين: إنه لم يظن في نفسه أنّه تجسُّد الإله، أو الإلـه الابن ... إنّه من المستبعد جدًا أن يكون يسوع التاريخي قـد ظنّ في نفسه ذلك بأيّة صورة من الصور. في الحقيقة، إنّ المتصوّر أنه سيرفض هذه الفكرة باعتبارها هرطقة، إحـدى الأقوال المنسوبة إليـه، هي: «لمـاذا تـدعوني صـالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلاّ الله وحده.» (مرقس 10/18).

بالطبع لا توجد إفادات من الممكن أن تقدّم بيقين حول مـا قالـه يسـوع أو مـا لم يقلـه أو مـا فكّـر فيـه. لكن الحجّـة المتاحة قادت المؤرّخين المتخصصين في الفـترة التاريخيـة (لحياة المسيح) إلى أن يستنتجوا بإجمـاع مـذهل أنّ يسـوع لم يَدّع أنه الإله المتجسّد.

هذا الأمر محلّ اتفاق عـام اليـوم حتّى إنّ بضـعة اقتباسـات ممثّلة (للرأي السائد) مأخوذة من كتّاب مستقيمي العقيـدة

1306 جـون هـك (ولـد سـنة 1922م): لاهـوتي. درّس في عـدد من الجامعـات. رئيس الجمعيـة البريطانيـة لفلسـفة الـدين، ونـائب رئيس الكونغرس العالمي للأديان. ذكر «Robert Smid» أنّه كثيرًا ما يشار إلى «هك» أنه «أحد أبرز فلاسفة الدين المهمين في القـرن العشـرين، إن لم يكن أبرزهم.».

(أرثودكس)، تكفي لإثبات غرضنا الحالي. رئيس الأساقفة «مايكل رمزي» «Michael Ramsey» وهو أيضًا أحد علماء العهد الجديد، كتب أنّ «يسوع لم يدّع لنفسه الألوهيّة» (1980م). عالم العهد الجديد المعاصر له «س. ف. د. مول» «C. F. D. Moule» قال إنّ «كلّ حالة كرايستولوجيا "عالية" قائمة على أصالة الدعوى المدّعاة ليسوع حول نفسه، خاصة في الإنجيل الرابع، لا بد أن تعتبر غير ثابتة.» (1977م). استنتج «جيمس دون» «James Dunn» في دراسة رائدة حول أصول عقيدة التجسّد أنّه «لا توجد حجّة حقيقيّة في تراث يسوع المبكّر ممّا من الممكن أن تسمّى بإنصاف، وعيًا بالألوهيّة» (1980م)، اعترف أيضًا «براين هِبلثوايت» «Brian Hebblethwaite» المناصر بقوّة للتراث النيقوي[1307] الخلقيدوني[1308] المسيحاني أنّه «لم يعد ممكنًا المدافعة عن ألوهيّة يسوع من خلال الإحالة إلى أقواله» (1987م). يقول أيضًا متحمس آخر للخلقيديونيّة وهو «دافيد براون» «David Brown»، إنّه «توجد حجج قويّة على أنّ (يسوع) لم ير نفسه البتّة أهلًا لأن يعبد» وإنه «من المستحيل تأسيس أيّة دعوى للتأليه بناءً على إدراكه إذا أهملنا الصورة التقليديّة كما يعكسها الفهم الحرفي لإنجيل يوحنا» (1985م)»[1309]

1307 أي العقيدة التي قرّرها النصارى في مجمع نيقية سنة 325م حيث وصف المسيح أنّه «إله من إله» «θεὸν ἐκ θεοῦ».

1308 أي العقيدة التي قرّرها النصارى في مجمع خلقيديونية سنة 451م الذي قرّر أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين، إلهيّة وأخرى بشريّة «إله حق وبشر حق» «θεὸν ἀληθῶς καὶ ἄνθρωπον ἀληθῶς τὸν αὐτὸν».

1309 John Hick, *The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age*, London: Westminster John Knox Press, 2006, pp.27-28

هذا هو الإعجاز حيث يخالف القرآن الكريم ما (استقر) عليه اليهود والنصارى زمن البعثة النبويّة .. واليوم (يستقر) البحث النقدي الأكاديمي الغربي في شاطئ القرآن الكريم، دون اعتبار لقول أُمَّتين من الناس عاش أجدادهما مع المسيح نفسه!

الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية

قال تعالى: {وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[1310]

يقول الشيخ «أحمد عبد الغفور عطّار» في موسوعته: «الديانات والعقائد في مختلف العصور»: «إن هذه الآية الشريفة إنباء عن الماضي المجهول، وما كان محمد ولا عرب الحجاز يعلمون أن أممًا سبقت أمة المسيح، قالوا ما قالوه فيه، وهذا يجعلنا مطمئنين إلى أن القرآن كلام الله علاّم الغيوب، لا كلام عبد الله ورسوله محمد ، لأن الكشوف الأثرية والبحوث لم تكتشف مضاهاة النصرانية للذين كفروا إلا حديثًا، وبعد موت محمد بمئات السنين، فعرف ثالوث الهند وغيرها كالصين والمكسيك ومصر ودياناتهم الوثنية التي تشرّبتها النصرانية، وهذا سر من أسرار القرآن يظهر مع الزمن».[1311]

1310 سورة التوبة/ الآية (3)

1311 أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة: 1401هـ , 1981م , 2/ 561

وقـد صـنّف النقّـاد الغربيـون كتبًـا عديـدة في موضـوع تـأثّر النصرانية بالعقائد الشرقية والوثنية، ومنها:

- John Hick, ed. *The Myth of God Incarnate*, Oxford : New Blackfriars, 1977
- Frank Viola and George Barna, *Pagan Christianity*, Ill. : BarnaBooks, 2008, 2002.
- Jonathan Z. Smith, *Drudgery Divine, : On the Comparison of Early Christianities and the Religions of Late Aniquity*, Chicago: University of Chicago Press, 1990
- Robert J. Miller, *Born Divine: the birth of Jesus and other sons of God*, CA: Polebridge Press, 2003
- Tom Harpur, *Pagn Christ*, Toronto: Thomas Allen Publishers, 2004.
- Timothy Freke and Peter Gandy, *The Jesus Mysteries: was the 'original jesus' a pagan god?,* New York : Harmony Books, 2000.
- Shirley Strutton Dalton and Laurence E. Dalton, *Jesus Christ: A Pagan Myth*, On Demand Publishing, 2008

وغيرها كثير جدًا ...

ابتداع الرهبانيّة

قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَـدَعُوهَا مَـا كَتَبْنَاهَـا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَـاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}[1312]

كانت الرهبنة مَعلمًا أساسيًا من معالم النصرانيّة في القرن السابع ميلاديًّا، وقد وجـدت لهـا حضـورًا بـارزًا في تجمّعـات

[1312] سورة الحديد/ الآية (27)

النصارى الأقرب إلى مكّة، وذكر أمرها في الشعر الجاهلي؛ بما يدلّ على أنّها قد أضحت متصلة اتصالًا وثيقًا بالإيمان النصراني والهيكل الكنسي في الثقافة الشعبيّة العربيّة .. لكنّ القرآن الكريم يصرّح بما لا يتوقعه العربي في ذلك الإطار الزماني والمكاني؛ إذ يقرّر أنّ الرهبنة مسلك دخيل على النصرانيّة ابتدعه قوم ظنوا فيه الصلاح والتهذيب للنفس، وقد آل أمر هذه الرهبنة إلى الفساد![1313]

إنّ الحقيقة التاريخيّة التي نعرفها اليوم معرفة يقينيّة هي أنّ الرهبنة لم تعرف في القرنين الأوّل والثاني ميلاديًّا، وإنّما ظهرت بداية في نهاية القرن الثالث ميلاديًّا في مصر على يد قديس الكنيسة «أنطونيوس الكبير» (251م-356م) الذي يسمّى «بأبي الرهبنة» (*Father of Monasticism*).[1314]

يوسف النجار، الشخصيّة الخرافيّة

تضمّنت أناجيل النصارى ذكر شخصيّة «يوسف النجار» وأنّه كان خطيب «مريم» أم المسيح عليهما السلام، وزعمت أنّه قد تولى رعاية المسيح عليه السلام أثناء طفولته.

1313 قال الإمام «ابن كثير» (تفسير القرآن العظيم، 4/2290): «وقوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين: (أحدهما) الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله. و(الثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل.»

1314 *The Catholic Encyclopedia*, 1/555

وقد أهمل القـرآن الكـريم ذكـر هـذه الشخصـية في حيـاة المسيح وأمّه على صـورة تكشـف أنّ القـرآن الكـريم ينكـر وجودها أصلًا.

إننا لا نجد «ليوسف النجار» ذكرًا في القرآن الكــريم ولا في الأحاديث النبويّـة، كمـا أنّ الروايـة القرآنيّـة تنطلـق بنـا من الرغبة في تكـريس «مـريم» للهيكـل، وكفالتهـا، إلى ولادتهـا العذريّة، وريبة قومها في هذه الولادة العجيبــة، دون إشـارة إلى اتهام (الخطيب) بهـذه الفعلـة، مكتفيـة بتنزيـه «مـريم» عن فعل الفاحشة: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَـوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}[1315]

وبـالنظر في الكتـاب المقـدس نفسـه؛ يسـتبين لنـا صـواب الرواية القرآنية وبطلان تاريخيّـة شخصـيّة «يوسـف النجـار» المذكور في الأناجيل؛ لأسباب عديدة من أهمها:

- إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل الأربعة تأليفًـا، لم يشر البتة إلى «يوسف النجار».
- أشار إنجيـل يوحنـا إلى «يوسف» كشخصـيّة لهـا علاقـة بالمسيح في 1/45: «ثُمَّ وَجَدَ فِيلِبُّسُ نَثَنَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَـى فِي الشَّـرِيعَةِ، وَالأَنْبِيَـاءُ فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ يَسُوعُ ابْنُ يُوسُفَ مِنَ النَّاصِرَةِ.» .. لكننا نعلم أنّ العهد القديم لم يشر البتـة إلى شـخص اسـمه «يســـوع ابن يوسف من الناصـــرة» «**ישוע בן יוסף מנצרת**».

1315 سورة مريم/ الآية (28)

- يذكر إنجيل مرقس 6/3 أنّ «المسيح» يعمل نجـارًا، في حين ذهب إنجيـل متّى 13/55 إلى أنّ «المسـيح» هــو «ابن النجار»!!
- نسب «يوسف النجار» في الأناجيـل مضـطرب؛ فوالـده في إنجيــل متّى 1/16 اســمه «يعقــوب»، في حين أنّ اسم والده في إنجيل لوقا 3/23: «هالي».
- اختلفت الأناجيل في موطنه؛ فهـو في إنجيـل متّى 2/1 من بيت لحم، في حين أنّـه في إنجيـل لوقـا 1/26 من الناصرة.
- لو كانت «مريم» مخطوبة «ليوسف النجار» وثبت حملها أمـام النـاس؛ لـوجب طبـق الشـريعة اليهوديّـة رجمهـا (تثنية 22/23-24)، وهو مالم يكن!
- تنصّ شريعة اليهود على منع المرأة من الزواج من غير سبطها (العدد 36/8-9)، في حين نقرأ أنّ «مــريم» من سـبط لاوي (انظـر؛ لوقـا 1/5 إذ إنّ «إليصـابات قريبـة «مريم (لوقا 1/36) من بنات «هارون»، كما ذكر قديس الكنيسـة «هيبـوليتس»[1316] أنّ أمّ «مـريم» وأمّ «إليصـابات» كانتـا أختين[1317])، في حين أنّـه قـد تكـرّر القول إنّ «يوسف النجار» من نسـل «داود»؛ ممـا يعـني منع زواجهما طبق شريعة اليهود.

لقد نفى القرآن الكريم ضمنًا هذا الزواج، وبرّأ «مريم» أمام قومهـا الـذين كـانوا يعتقـدون ديانـةً وجـوب رجم الزانيـة

1316 هيبوليتوس (170م-236م): لاهوتي وأحد قديسي الكنيسة.
1317 انظر؛ عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص 171

المخطوبة، بمعجـزة كلام ابنهـا في المهـد؛ فكـانت الروايـة متناسقة ومتكاملة، متجاوزة أخطاء الأناجيـل وتناقضـها مـع العهد القديم!

السبق التاريخي للقرآن الكريم:

لا يقتصـر الإعجـاز القـرآني والتميّـز التـاريخي في القـرآن الكـــريم، مقارنـــة بمـــا ورد في الأســـفار المقدّســـة عنـــد المنصّرين، على التصحيح والتعديل، بل تجـاوزه إلى السـبق التاريخي المعجـز في أبـواب التـاريخ القـديم للأمم الـداثرة التي لا علم للعرب الجاهليين وغيرهم بأمرها المطروق في تلك اللفتات القرآنية المذهلة .

ومن هـذه اللمحـات التاريخيـة المعجـزة الـتي تشـفّ عن المصدر العلوي لهذا الكتاب الفريد، نذكر نتفًا تغـني اللـبيب عن طلب المزيد:

نجاة جثة فرعون

يقول تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَـوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَـدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَـهُ الْغَـرَقُ قَـالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَـاْ مِنَ الْمُسْـلِمِين آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين فَالْيَوْمَ نُنَجِّيـكَ بِبَـدَنِكَ لِتَكُـونَ لِمَنْ خَلْفَـكَ آيَـةً وَإِنَّ كَثِـيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَـا لَغَافِلُون}[1318]

1318 سورة يونس/ 90-92

تذكر هذه الآيات حادثة غرق فرعون، وهو ما جـاء أيضًـا في نص التـوراة1319، غـير أنّ القـرآن الكـريم يضـيف أمـرين آخرين لم تعرفهما التوراة:

(1) حفظ الله سبحانه جثّة فرعون الهالك من أن تبقى في البحر.

(2) نجّى الله سبحانه هذه الجثّة في اليوم الـذي غرقت فيه لتبقى آية للناس وعبرة.

وقد بقي أمر جثث الفراعنة المحنطة مخفيًـا طـوال قـرون عديدة، ولم يكتشف إلا في آخر القـرن التاسـع عشـر حيث عثر على مومياءات الفراعنة عند فتح قبر ((امنحتب الثاني)).

ذهب بـاحثون كثـيرون، ومنهم ((مـوريس بوكـاي)) –الطـبيب، وعضـو الجمعيّـة الفرنسـيّة للمصـريّات *la Société française d'égyptologie* -، إلى أنّ فرعون الخروج1320 هو ((مرنبتاح بن رمسيس الثـاني))1321. وقـد قـام الـدكتور ((بوكـاي)) بتقـديم

1319 انظر؛ خروج 14/28، مزمور 78/53، 106/11

1320 ((فرعون الخروج)) أي الفرعون الذي لاحق ((موسى)) عليه السـلام ومن معه أثناء خروجهم من مصر، و((فرعون التسخير)) هو الفرعون الذي قام بتسخير بني إسرائيل قبل ذلك. وقد ذهب عدد من علماء المصـريات إلى أنّ ((فرعون الخروج)) هـو نفسـه ((فرعـون التسـخير))، في حين ذهب آخرون إلى أنّهما اثنين، فبعد وفاة ((فرعون التسـخير)) اسـتلم حكم مصـر ((فرعون الخروج))، وهو الذي مال إليه د. ((بوكاي))، وانتصر له بأدلّة قويّة، وهو مذهب عدد كبير من أعلام المصريات.

1321 أشهر فرعون آخر اقترح النقّاد أنه فرعون الخروج، هو ((رمسيس الثاني))، وقد رفض ((موريس بوكاي)) هـذا القـول لأسـباب، من أهمهـا أنّ ((الدراسة الطبيّة لهذه المومياء لا تقدّم لنا أدنى أرضيّة للتفكير في ذلـك. في الحقيقة، إنّه من الجلي الواضح أنّ رمسيس الثاني كان عـاجزًا تمامًـا عن أن يتـولّى تلـك المهمّـة الحربيّـة قبـل موتـه.)) (Maurice Bucaille,

بيانات علميّة بالغة الأهميّة في هذا الشأن-لم تأخـذ للأسـف الشديد حظّهـا من العنايـة من المتخصّصـين-، فقـد ذكـر أنّ التحليل الطبّي لمومياء ((مرنبتاح)) قد تمّ بين سنتي 1974م و1975م بمشـــاركة أطبـــاء مصـــريين، وكـــان هـــو من المشـــاركين فيـــه. وقـــد اســـتقدم من فرنســـا أحـــد أهم المتخصصين في الطب الشـرعي لبحث فرضـيّة مـوت هـذا الفرعون بفعل ارتداد الأمواج عليه والغرق في البحر.

نشـرت نتـائج هـذا البحث في كتـاب ((بوكـاي)) ((موميـاءات الفراعنة، الأبحاث الطبيّة المعاصـرة)) ((*Momies du Pharaons :* *les enquêtes médicales modernes*)) الـذي نـال عنـه جـائزة الأكاديميّة الفرنسيّة، والأكاديميّة القوميّة الفرنسيّة للطب.

ملخّص النتائج كالتالي:

~ أصـيبت هـذه الموميـاء بكسـور بعـد المـوت إثـر تمـزق أنسجتها.

~ فُقـدت كـلّ الأعضـاء الداخليّـة للموميـاء، وبالسـؤال عن الرئتين (لاحتمال وجود آثـار الغـرق) عُلِمَ أنّهمـا قـد اختفتـا، وأنّ العادة أن ينزعهما المحنّط.

~ بتحليل مجهري لقطعة صغيرة من عضل المومياء؛ أمكن اكتشاف تفاصيل تشريحيّة حفظت بصورة جيّدة أثناء عمليّة التحنيط، أكّـدت أنّـه من المحـال أن تكـون هـذه الجثّـة قـد بقيت في الماء لفترة طويلة.

Mummies of the Pharaohs, *modern medical invesigations*, New York: (St. Martin’s Press, 1990, p.107

~ فقدان بعض الأعضاء في البدن أثناء حياة المومياء بما يرجّح أنّ ذلك ناتج عن ضربات (blows) خارجيّة، وهو أمر أكدته صور الأشعة السينيّة (X-rays):

- فقدان أجزاء من القفص الصدري والبطن (abdomen) والجمجمة بسبب ضربات تلقاها الفرعون أثناء حياته.
- فجوة في الصدر من الراجح أنّها ناتجة عن إصابة أثناء حياة هذا الفرعون، ومن المستبعد تشريحيًا أن تكون ناتجة عن كسر اللصوص لصدر المومياء.[1322]
- فجوة في أسفل الظهر (10 على 15 سنتمتر)، سبُبها ضربة من الخارج.
- فجوة في الرأس (37 على 23 مليمتر)، وبصورة دقيقة عند العظم الجداري الأيمن، وكانت بسبب ضربة/ هبّة شديدة جدًا.[1323]

فقدان هذه الأعضاء قاد علماء التشريح إلى القول إنّ سببها هو صدمة أصابت الفرعون، وأنّه من الراجح أنّ

1322 أشار «بوكاي» إلى أنّ العظم المفقود هنا كان موجودًا عندما صوّرت المومياء في أوائل القرن العشرين (يبدو أنّه كان موضوعًا فوق الفجوة بعد أن انفصل عن الجثّة.)

1323 أبطل «بوكاي» من خلال صور الأشعة ودراسة جمجمة الفرعون ما رآه «إليوت سميث» في بداية القرن العشرين من أنّ هذه الفجوة ناتجة عن فعل اللصوص الذين أصابوا المومياءات بأضرار عند سرقة ما كان معها من جواهر (انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs*, *modern medical invesigations*, p.123)

دخول عظام الرأس إلى منطقة المخ، ودفعها للمخ بصـورة عنيفة قد أدّيا إلى وفاة الفرعون بصورة سريعة أو ربّما آنيّة مباشرة.

~ كشفت الأشعّة السينيّة أنّه لا أثـر لانفجـار العظـام حـول الفجـوات، وهـذا دليـل على أنّ فقـدان هـذه الأعضـاء كـان بسبب ضربّة/هبّة أثناء حياة الفرعون.[1324]

ويضيف «بوكاي» قائلًا: «قدّمت هذه الاستنتاجات مع الوثائق في أبريـل 1976م، أمـام المؤسسـة الفرنسـيّة للطب الشـرعي، ولم تقـدّم أيّـة اعتراضـات على استنباطاتنا»[1325].[1326]

وختم حديثه بالتأكيد على أنّ موت هذا الفرعون كـان بفعـل انطباق البحر عليه، وهو مـا ذكـره الكتـاب المقـدّس[1327] .. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وأضـاف إليهـا أخـرى؛

1324 انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 127- 128, انظر أيضًا؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations*, pp. 156-160

1325 Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p. 128

1326 شاع القول بتسفيه أن يكون «مرنبتاح» هو فرعون الخـروج –لـدى من ينكرون هذا القول-، بدعوى أنّه ليس للقائلين بـذلك إلاّ حجّـة واحـدة وهي آثار الملح على المومياء كدليل على الغرق، وهو ما ليس بحجّـة لأنّ عمليـة التحنيـط تسـتدعي اسـتعمال الملح (انظـر؛ لـؤي فتـوحي وشـذى الـدركزلي، التـاريخ يشـهد بعصـمة القـرآن العظيم، تـاريخ بـني إسـرائيل المبكّـر، ص124)!! وأنت تـرى هنـا أنّ كـلّ الأدلّـة المعروضـة في هـذا الملخّص لا تعلّق لها بالملح وبقائه في جثّة المومياء!!
انظر في تفصيل الأدلّة على أنّ مرنبتاح هو فرعـون الخـروج، والـردّ على المخالفين، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكـريم، 2/ 308-329

1327 انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 128- 129

وهي نجـاة جثّـة هـذا الفرعـون؛ لتكتمـل عناصـر الإعجـاز والسبق.

وأشـار ((بوكـاي)) إلى أنّـه لـو بقيت الجثّـة فـترة طويلـة في الماء؛ لصار تحنيطها غير مجدٍ. وأشار هنا إلى لفتـة جميلـة، وهي أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى نجاة جثّة هذا الفرعون من الهلاك في المـاء، في نفس اليـوم الـذي هلـك صـاحبها فيه[1328] ، وهو ما يزيد الإعجاز القرآني هنا عمقًا!

وكان ((بوكاي)) قد قال في كتابه ((الكتاب المقـدّس والقـرآن والعلم)) ((*La Bible le Coran et la Science*)) حول اكتشاف جثة الفراعنة حديثًا: ((في العصر الـذي كـان فيـه الرسـول يضـع القرآن في متناول الناس، كانت أبدان كـل الفراعنـة الـذين شكّ الناس في هـذا العصـر الحـديث خطـأ أو صـوابًا بـأنهم اهتموا بالخروج، موجودة في قبور وادي الملـوك في ((طيبا)) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل. وقد كـان النـاس في هذا الزمان يجهلون كـل هـذا الواقـع. ولم يكتشـفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر.[1329] وقد ثبت كما يقول القـرآن،

1328 انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs*, *modern medical invesigations*, pp.158, 160

1329 ((في عصر الأسرة الحادية والعشرين حينما توفي كبير كهنة آمون ((بينودجيم الثاني)) قرر زملاؤه الكهنة إنهاء العبث بجثث الفراعنة فجمعـوا جثثهم واتخذوا من دفن كبير الكهنة ستارًا ودفنوا الجميع في قـبر الملكـة ((إنحابي)) بالدير البحري والذي تم توسـعته ليتسـع لجميـع جثث الفراعنـة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة. وأغلقوا القبر ـ وسـجلوا أن ذلـك قـد تم في السنة العاشرة من حكم الملك ((سيامون)) في عام 969 ق.م.

وردموا المدخل تمامًا وضيعوا المعالم حوله حتى لا يستدل عليه اللصوص فبقي القبر الجديد سالما من عبث اللصوص لأكثر من 2800سنة ونسـي

أنّ بدن فرعون الخروج قد نجا. أيًا كان هذا الفرعون، فإنــه اليوم في صالة المومياَت الملكية في المتحف المصري في القاهرة، ميسرة رؤيته للزائرين.»[1330]

وممّا استدلّ بـه لصـالح إثبـات أنّ «مرنبتـاح» هـو فرعـون الخـروج، مـا جـاء في مسـلّة مرنبتـاح الشـهيرة الـتي تضمّ الإشـارة الوحيـدة لإسـرائيل في النصـوص المصـريّة، فقـد تعامل نصّ المسلّة مـع كلمـة «إسـرائيل» –لغويًـا- باعتبارهـا دالة على شعب لا دولةَ له –على خلاف بقيّة المذكورين في النص-. وقد أورد هذا النص انتصارات الفرعون:

«الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة، وليس من بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه، الخراب للتحنو، بلاد خـاتي هادئـة، وكنعـان قـد اسـتلبت في قسـوة، وأخـذت عقلان، وقبض على جازر، وصارت ينوعـام كـأن لم يكن لهـا وجـود، **وإسرائيل قد خـربت وأزيلت بـذرتها**، أصـبحت خـارو أرملة لمصر.»[1331]

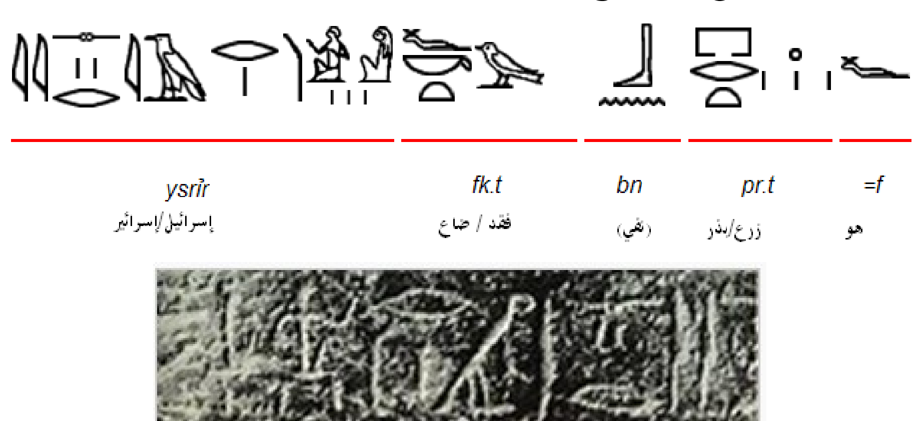
«خربت/ضاعت إسرائيل، وأزيلت بذرتها.». على غير العادة في نصـوص هـذه المسـلّة، فـإنّ العلامـة المرتبطـة بكلمـة

تماما وسمي «خبيئة الدير البحري» ويحتوي على جميـع الموميـاوات ومن بينها مومياء رمسيس الثاني.» (رشدي البدراوي، موسى وهـارون عليهمـا السلام من هو فرعون موسى؟، نسخة إلكترونيّة)

1330 موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، ط2، ص 204

1331 محمـد بيـومي مهـران، دراسـات تاريخيّـة في القـرآن الكـريم، 2/ 311-312

«إسرائيل» ليست علامة دولة، أو مدينـة، وإنّمـا علامـة تـدلّ على طائفة من الناس.



من الممكن الربط بين هذا النصّ وبين مـا جـاء في القـرآن الكريم من قتل الفرعون لذريّة بني إسرائيل:[1332]

{إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَـلَ أَهْلَهَـا شِـيَعًا يَسْتَضْـعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُـذَبِّحُ أَبْنَـاءهُمْ وَيَسْـتَحْيِي نِسَـاءهُمْ إِنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}[1333]

{وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُون}[1334]

وقد جاء أمر قتل ذريّة اليهود أيضًا في التوراة.[1335]

وسائل التعذيب في زمن فرعون

1332 انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p.194

1333 سورة القصص/ الآية (4)

1334 سورة الأعراف/ الآية (127)

1335 انظر؛ الخروج 1/15-22

قال تعالى مصوّرًا ما حدث من تحدّ بين سحرة فرعون و«موسى» عليه السلام، وكيف آمن السحرة بالله وحده وكفروا بفرعون لما انبهروا بمعجزة العصا التي تحوّلت إلى حيّة حقيقيّة؛ فقرّر فرعون الانتقام منهم :

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى}[1336]

ذكر القرآن الكريم هاهنا وسائل التعذيب في زمن فرعون، وقد نشر الدكتور «أحمد عبد الحميد يوسف» نصًا ورد في معبد عمدا من بلاد النوبة المصرية يصوّر وسائل التعذيب في زمان فرعون، وهو يرجع إلى السنة الرابعة من عهد «مرنبتاح»[1337] (حوالي سنة 1220 ق.م)، وهو يؤكّد أنّ «مرنبتاح» قد عذّب الناس بقطع من خلاف وصلب ..[1338]

1336 سورة طه/ الآيات (65- 71)

1337 رجّح العديد من النقاد كما سبق، أن «مرنبتاح» هو فرعون الخروج.

1338 انظر، أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ص 110، و A. A. Joussef, *Merenptah's Fourth year at Amada*, ASAE,I. VIII, 1964, P. 237 (نقله، د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، 2/200)

ولا بدّ من الملاحظة في هذا المقام، أنّ القرآن قد انفرد بذكر إيمان السحرة، بالله سبحانه، وهو ردّ فعل منطقي من قوم امتهنوا السحر، فلما جاءهم من بزّهم في ما برعوا فيه، وعلموا أنّ ما قام به هو أعظم ممّا صنعوا، وأنه حقّ لا مجرّد خيال، أسلموا لله ربّ العالمين..

والسؤال الذي نواجه به المنصّرين هو: لِمَ يورد القرآن هذه الواقعة ويعقبها بذكر حقيقة تاريخية ما كان يعلمها الناس ذاك الزمان ولم ترد في التوراة، إلا أن تكون وحيًا من الحقّ سبحانه؟!

صعود فرعون إلى السماء

قال تعالى:

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَاب}[1339]

يتحدّث اليوم علماء «المصريات» عن اعتقاد كان راسخًا عند الفراعنة أنّه بإمكان الفرعون أن يصعد إلى السماء على سلّم أو برج ليرى الآلهة هناك؛ ويؤكد «ألن ف. سجال» «Alan F. Segal» هذه الحقيقة بقوله: «تظهر العديد من الكتابات في نصوص الأهرامات أنّ الفرعون يصعد إلى السماء باستعمال سلّم.

ن. يصعد على سلّم أعدّه له أبوه «رع».

[1339] سورة غافر/ الآيتان (36-37)

أو

صنعت (الآلهة) سلّمًا لـ ((ن)) ليصعد به إلى السماء.))1340

وقد أشار الباحث ((بيتري)) إلى تفشّي ((الفكرة الدينية في الرغبة في الصعود إلى الآلهة في السماء)) في مصر الفراعنة.1341

ويذهب الكثير من علماء ((المصريات)) إلى أنّ الاعتقاد عند قدماء المصريين كان على أنّ الأهرامات ذاتها وسيلة الفرعون لبلوغ السماء.1342

حفظ القمح في سنبله

قال تعـالى: {يُوسُـفُ أَيُّهَـا الصِّـدِّيقُ أَفْتِنَـا فِي سَـبْعِ بَقَـرَاتٍ سِـمَانٍ يَـأْكُلُهُنَّ سَـبْعٌ عِجَـافٌ وَسَـبْعِ سُـنبُلاَتٍ خُضْـرٍ وَأُخَـرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون قَـالَ تَزْرَعُـونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَـدتُّمْ فَـذَرُوهُ فِي سُـنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا

1340 Alan F. Segal, *Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West*, New York : Doubleday, 2004, p.38

1341 د. لؤي فتوحي ود. شذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القـرآن العظيم، تـاريخ بـني إسـرائيل المبكّـر، لنـدن: دار الحكمـة، 1422هـ، 2002م، ص133

1342 انظـر؛ Jon Manchip White, *Everyday Life in Ancient Egypt*, Courier Dover Publications, 2003, p.47; Brian M. Fagan, *From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing*, New York : Oxford University Press, 2006, p.10, Emmet John Sweeney, *The Genesis of Israel and Egypt*, Algora Publishing, 2008,1/32

تَأْكُلُون ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُون ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُون}[1343]

تفرّد القرآن الكريم بذكر خبرٍ في قصة «يوسف» عليه السلام لم يرد في التوراة .. والناظر في هذه الزيادة قد لا يرى لها -من وجهة نظره- أهميّة خاصة .. ولكنّ الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم، يأبى إلا أن يجعل نور الإعجاز يسري في آي القرآن مدى الزمان .. ونحن اليوم قادرون على أن نفهم إحدى حكم إيراد هذه الزيادة التي تمثل مقطعًا من قصة «يوسف» عليه السلام غفلت عنه التوراة اليهودية-النصرانيّة ..

المقطع هو نصح «يوسف» عليه السلام لملك مصر أن يحفظ الحبّ في سنبله، رغم أنّ أهل مصر ما كان من عادتهم أن يفعلوا ذلك عند التخزين. وجليّ أنّ الغاية من هذه الوسيلة في الحفظ هي الإبقاء على القيمة الغذائية والصحيّة للحبّ أيام التخزين للاستفادة منه عند المجاعة التي ستجتاح البلاد..

1343 سورة يوسف / الآيات (45-49)

وقد قدّم أحد الباحثين1344 في مـؤتمر الإعجـاز العلمي في الكويت1345 بحثًا عن جانب الإعجاز في ما ورد على لســان «يوسف» عليه السلام ؛ فقال :

«إن الذي يوقفنا في الآية الكريمة ملحوظتان علميتان:

1 ـ تحديد مدة صلاحية حبة الزرع في خمس عشـرة سـنة هي حصيلة سبع سنوات يزرع الناس ويحصدون خلالهـا دأبًـا وتتابعًا وهي سنوات الخصـب والعطـاء، يليهـا سـبع سـنوات شداد عجـاف هي سـنوات الجفـاف، يليهـا سـنة واحـدة هي السنة الخامسة عشرة وفيها يغـاث النـاس وفيهـا يعصـرون من الفواكه، وقد أفاد البحث العلمي أن مـدة 15 سـنة هي المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو والتطور فيها.

2 ـ طريقة التخزين وهـو قولـه تعـالى «فـذروه في سـنبله» وهي الطريقة العلمية الأهم في بحثنا:

وفي إطار ترك البذور أو الحبوب في السنابل ـ قمنــا ببحث تجريبي مدقق حول بذور قمح تركناها في سنبله لمدة تصل إلى سنتين مقارنة مع بذور مجـردة من سـنابلها، وأظهـرت النتائج الأولية أن السنابل لم يطـرأ عليهـا أي تغيـير صـحي وبقيت حالتها 100%.

1344 د. عبد المجيد بلعابد.

وقد كشف هذا السبق العلمي أيضـا د. محمـد جمـال الـدين الفنـدي منـذ بضعة عقود في كتابه «الإسلام وقوانين الوجود»، القـاهرة: الهيئـة العامـة للكتاب، 1982، ص 127

1345 انعقد في تاريخ 25 نوفمبر 2006

مع العلم أن مكان التخزين كان عاديًا ولم تراع فيه شــروط الحرارة أو الرطوبة أو ما إلى ذلـك. وفي هـذا الإطـار تـبين أنّ البذور التي تركناها في سنابلها فقـدت كميـة مهمـة من الماء وأصبحت جافة مع مرور الوقت بالمقارنـة مـع البـذور المعزولـة من سـنابلها، وهـذا يعـني أن نسـبة 20.3% من وزن القمح المجـرد من سـنبله مكـون من المـاء ممـا يـؤثر سلبًا على مقدرة هذه البذور من ناحية زرعهـا ونموهـا ومن ناحيـة قـدرتها الغذائيـة لأن وجـود المـاء يسـهل من تعفنـه وترديه صحي.

ثم قمنـا بمقارنـة ممـيزات النمـو (طـول الجـذور، وطـول الجـذوع) بين بـذور بقيت في سـنبلها وأخـرى مجـردة منهـا لمدة تصـل إلى سـنتين؛ فتـبين أن البـذور في السـنابل هي أحسـن نمـوًا بنسـبة 20% بالنسـبة لطـول الجـذور و32% بالنسبة لطول الجذوع. وموازاة مع هذه النتائج قمنا بتقــدير البروتينـات والسـكريات العامـة الـتي تبقى بـدون تغيـير أو نقصان؛ أما البذور التي تعزل من السـنابل فتنخفض كميتهـا بنسبة 32% من البروتينـات مـع مـرور الـوقت بعـد سـنتين وبنسبة 20% بعد سنة واحدة.

وبهذا يتبين في هذا البحث أن أحسن وأفضل تخزين للبـذور هي الطريقة التي أشار بها «يوسف» عليه السـلام وهي من وحي الله.

ومن المعلـوم أن هـذه الطريقـة لم تكن متّبعـة في القـدم وخاصـة عنـد المصـريين القـدامى الـذين كـانوا يخـتزنون الحبوب على شكل بذور معزولـة عن سـنابلها؛ وهـذا يعتـبر

وجهًا من وجوه الإعجاز العلمي في تخزين البذور والحبــوب في السنابل حتى لا يطرأ عليها أي تغير أو فساد ممـا يؤكـد عظمة الوحي ودقة ما فيه من علم.))[1346]

القـرآن الكـريم يصـحح الأخطـاء العلميّـة للكتـاب المقدس

لم تكن البلاد العربيّة عرضة للأفكار العلميّـة المتطـوّرة في الإمبراطوريتين الرومانيّة والفارسيّة، نتيجة غيـاب التواصـل المعرفي بينهمـا، وبسـاطة أنمـاط الحيـاة الصـحراوية الـتي تعتمـد على التجـارة البينيّـة ورعي الإبـل وزراعـة النخيـل، والاعتقاد في الآلهة أنّها تورث الخصب والصـحّة والـثراء؛ إذ في غضــبها ورضــاها تفســير الظــواهر الكونيّـة في البشــر والبيئة ..

في ظلّ هذه الظروف، يسـتدعي العقـل القـول إنّ القـرآن لن يجد حرجًا في نقل أفكـار أهـل الكتـاب مـادامت لا تجـد مخالفـة من علم عـربي ثـابت في بيئـة الصـحراء، إن صـحّ الزعم بدعوى الاقتباس من أسفار أهل الكتاب.. ولكن عنــد النظـر في مـا ورد في القـرآن الكـريم؛ يسـتبين النـاظر أنّ القـرآن خـالف صـراحة أو ضـمنًا أفكـارًا علميّـة خاطئـة في الكتـاب المقـدس .. وسنسـتعرض هنـا بعضـها تمـثيلًا لهـذه الحقيقة بعد أن نعلن الحقيقة التي كشفتها ترجمة أورشليم

1346نشر هذا البحث موقع "الهيئة العالميّـة للإعجـاز العلمي في القـرآن والسنة".

http://www.nooran.org/O/10/10-12.htm

للكتاب المقدس، وتبنتّها ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّـة في هامشها الأول المتعلّق بقصّة الخلق في سفر التكــوين, وهي أنّ: ((النصّ يستند إلى علم لا يـزال في عهـد الطفولة. فلا حاجـة إلى التفنن في إقامـة التوافـق بين هـذه الصـور وعلومنا العصريّة.)) 1347 .. إنّ الكتاب المقـدس، إذن، يقـدّم لنا الطفولة الساذجة للعلم البدائي الغرّ!!

وشهد شاهد من أهلها!

كروية الأرض

تضمّن الكتاب المقـدس نصوصًـا كثـيرة تـدلّ في مجموعهـا على ترسّخ اعتقاد أنّ الأرض منبسطة، وأنّ لها أركانًا أربعة، وحواش في نهاياتها:

- دلّت النصوص في الكتاب المقدس على أنّ الأرض مسطّحة:

* ((ثم أخذه إبليس أيضا إلى قمة جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها)) (متى 4/8) .. أخذ إبليسُ المسيحَ إلى جبل1348 عال جدًا تطل قمّته على جميع الأرض .. وهذا نظريًا

1347 ترجمة الرهبانيّة اليسـوعية، ط3، بـيروت: دار المشـرق، 1994م، ص 68

1348 يبدو أنّ مؤلّـف إنجيـل لوقـا قـد انتبـه إلى نكـارة مـا أورده مؤلّـف إنجيل متّى من وجود جبـل يطـلّ على جميـع العـالم؛ ولـذلك حـذف ذكـر الجبل، واكتفى بـالقول إنّ المسـيح قـد ((أُصـعد)) ((αναγαγων))، لكنّـه لم يستطع أن يفلت من الخطـأ العلمي في تصـوّر وجـود مكـان من الممكن أن يطلّ منه على جميع البلاد المسكونة، وقد وقع في الزلل العلمي رغم أنّه قد (ضيّق) العرض البصري من ((ممالك العالم)) ((τας βασιλειας του

محال إلا أن تكون الأرض مسطّحة .. ولاحظ عبارة ((عالٍ جدًا)) ((υψηλον λιαν)) للدلالة على أنّ المقصود هو العلو المادي الحقيقي الذي يمكّن صاحبه من أن يطلّ على جميع الأرض!

* ((وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي: رأيت وإذا بشجرة منتصبة في <u>وسط الأرض</u> ذات <u>ارتفاع عظيم</u>، وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، <u>وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض</u>.)) (دانيال 4/10-11) .. ورد في هذه الرؤيا أن شجرة كانت في وسط الأرض(!) ولعظم علوها؛ فقد أطلت على جميع الأرض، حتّى أطرافها، ولا يمنع كونها رؤيا منامية، عكسها لتصوّر بدائيّ لشكل الأرض عند كاتب/محرّر/معدّل سفر دانيال!!

- صرح الكتاب المقدس أن للأرض أطرافًا:

*((يا رب عزي وحصني وملجإي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من <u>أطراف</u> الأرض ...)) (إرمياء 16/19)

* ((ليمسك <u>بأطراف</u> الأرض فينفض الأشرار منها؟)) (أيوب 38/13) (الفاندايك)

*((تحت كل السماوات يطلقها كذا نوره إلى <u>أطراف</u> الأرض.)) (أيوب 37/3) .. أَكُرَةٌ ذات أطراف؟![1349]

((κοσμου (متّى 4/8) إلى ((الممالـــــك الـــــتي يســـــكنها البشر)) ((τας βασιλειας της οικουμενης)) (لوقا 4/5).. !!

1349 جاء الحديث في القرآن الكريم عن أطراف الأرض: {أَوَلَمْ يَـرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُـوَ سَـرِيعُ الْحِسَاب وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُـلُّ نَفْسٍ وَسَـيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الـدَّار}(سـورة الرعـد/ الآيتـان41-42)،

لقد جاءت ترجمة الفولجات دقيقة في ضبط معنى النصّ العبري: ((extremis)) و((extrema)) و((terminos)) في الدلالة على الحدود القصوى للأرض التي تمثّل أطرافها!

- صرح الكتاب المقدس أن للأرض أركانًا أربعة:

و{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُون}(سورة الأنبياء/ 44)ـ .. والسياق هنا قاطع في دلالته على أطراف (حواشي) الأرض التي يُمَكَّن فيها أهل الباطل، وأنّها تنقص؛ لاستمرار أهل الكفر في الانحراف عن صراط الحقّ؛ قال ((الزمخشري)): ((ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام.)) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، 1418هـ، 19198م، 4/147)، وقال ((سيد قطب)): ((إن يد الله القوية لبادية الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم القوية الغنية ـ حين تبطر وتكفر وتفسد ـ فتنقص من قوتها وتنقص من ثرائها وتنقص من قدرها؛ وتحصرها في رقعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه، ولا بد له من النفاذ)) (في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، 1425هـ-2004م، ط34ـ، 4/2065).. وقال ((ابن الأعرابي)) : الطَّرَف والطَّرْف الرجل الكريم. قال ((القشيري)): وعلى هذا فالأطراف الأشراف. (أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1422هـ، 2001م، 5/389) .. فإذا قلنا إنّ ((أطراف)) في الآيتين تعني ((حواشي الشيء))؛ يكون المعنى بدلالة السياق: نقصان أرض الكفر، وأمّا إن فهمت كلمة ((أطراف)) بمعنى ((أشراف الناس))؛ كان المعنى هو : هلاك الأشراف .. فليست هناك صلة سياقيّة بين ((الأطراف))

«وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض» (إشعياء 11/12) .. ثبوت الأطراف الأربعة؛ يثبت هندسيًا الزوايا الأربع![1350]

«وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض، ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما.» (رؤيا 7/1) (الفاندايك)

«فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوج ومأجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدًا كرمل البحر!» (رؤيا 20/8) .. كيف تكون الكرة بأطراف أو زوايا؟!!

وقد شنّع قديس الكنيسة «يوحنا ذهبي الفم»[1351] في تعليقه على الرسالة إلى العبرانيين 8/1 على القائلين بكروية الأرض، بقوله: «أين هؤلاء الذين يقولون إنّ السماء تدور من حولنا؟ أين هؤلاء الذين يعلنون أنّها كروية؟ هاتان الفكرتان قد هزمتا هاهنا!» «Ποῦ τοίνυν εἰσὶν οἱ λέγοντες δινεῖσθαι τὸν οὐρανόν; ποῦ εἰσιν οἱ σφαιροειδῆ αὐτὸν εἶναι ἀποφαινόμενοι; ἀμφότερα γὰρ ταῦτα ἀνῄρηται ἐνταῦθα»[1352]

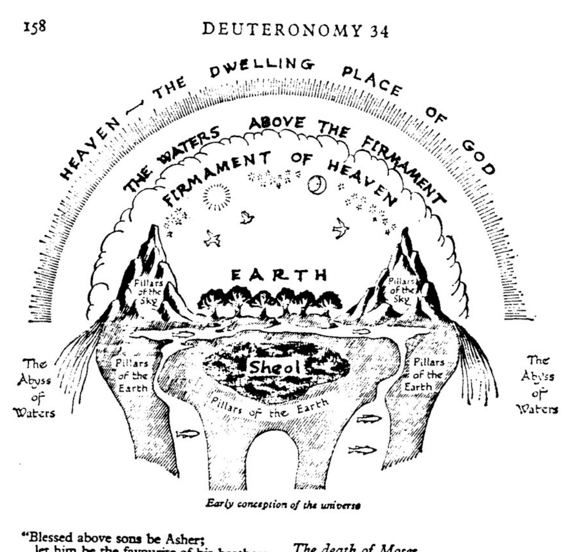
وحدود الأرض كشكل هندسي مسطّح له نهايات جانبيّة!

1350 اختارت الكثير من الترجمات الإنجليزية كلمة «corners» «زوايا» كـ: «*The King James Version*» و«*The English Standard Version*» و«*The Darby Translation*» و«*The American Standard Version*» و«*The Amplified Bible*» وهو نفس ما اختارته الترجمة الفرنسية «*La Bible de Semeur*» باعتمادها كلمة: «coins» ...

1351 يوحنا ذهبي الفم (347م-407م): رئيس أساقفة القسطنطينية. من أبرز اللاهوتيين النصارى الأوائل. يعتبر من أهم قدّيسي الكنيسة الأرثوذكسيّة، كما أنّه من المراجع الكبرى للكنيسة الكاثوليكيّة. لقّب بـ«ذهبي الفم» لبلاغته في مواعظه وخطبه.

صورة الكون كما هي متصوّرة في الكتاب المقدس، كما وردت في ترجمة

((***The Revised Standard Version***))[1353]



Early conception of the universe

"Blessed above sons be Asher;
let him be the favourite of his brothers,
and let him dip his foot in oil.
25 Your bars shall be iron and bronze;
and as your days, so shall your strength be.

26 "There is none like God, O Jesh'urun,
who rides through the heavens to your help,

The death of Moses

34 And Moses went up from the plains of Moab to Mount Nebo, to the top of Pisgah, which is opposite Jericho. And the LORD showed him all the land, Gilead as far as Dan, 2 all Naph'tali, the land of E'phraim and Manas'seh, all the land of Judah as far as the Western Sea, the Negeb, and the Plain, that 3

شكل الكون حسبما جاء فى الكتاب المقدس

جاء التصريح في المقابل بكروية الأرض في القرآن الكريم، ودلّت السنّة الشريفة على نفس الأمر، وأجمع أهل الإسلام منذ القرون الأولى على هذه الحقيقة؛ يقـول شـيخ الإسـلام

[1352] John Chrysostom, ‘*Homily xiv on Hebrews*,’ in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1890, 14/433

[1353] نقله, أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، القـاهرة: مكتبـة التراث الإسلامي، ص 213

«ابن تيمية»: «ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ }1354، وقال: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون }1355، وقال تعالى: { لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون }.1356

قال «ابن عباس»: في فلكة مثل فلكة المغزل. وهكذا هو في لسان العرب: الفلك الشيء المستدير، ومنه يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، قال تعالى: { يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ }1357، والتكوير: هو التدوير، ومنه قيل: كار العمامة، وكورها إذا أدارها، ومنه قيل للكرة كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك: كروية الشكل (...) وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال: «ويحك! إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إن شأنه أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا» وقال بيده مثل القبة: «وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه». رواه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن»؛ فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة

1354 سورة فصّلت/ الآية (37)

1355 سورة الأنبياء / الآية (33)

1356 سورة يس/ الآية (40)

1357 سورة الزمر/ الآية (5)

المستديرة، فأما المربع ونحوه؛ فليس أوسطه أعلاه، بل هو متساوٍ.))1358

وسئل رحمه الله عن رجلين تنازعا في (كيفية السماء والأرض) هل هما (جسمان كريان)؟ فقال أحدهما كريان، وأنكر الآخر هذه المقالة وقال: ليس لها أصل وردها فما الصواب؟ فأجاب: ((السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام: مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائة مصنف، وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي ، وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية، وإن كان قد أقيم على ذلك أيضًا دلائل حسابية.))1359

أعمدة السماء

تعتبر الجبال في الكتاب المقدس أعمدة تحمل قبّة السماء حتى لا تقع على الأرض كما هو ظاهر في الصورة السابقة التي أوردتها ترجمة ((*The Revised Standard Version*))، وهو نفس الاعتقاد الذي كان شائعًا في الأدبيات المصريّة القديمة والأكاديّة واليونانيّة ...1360 أهمّ النصوص الكتابيّة الدالة على

1358 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ، 2004م، 25/193-194

1359 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 6/586

1360 انظر التفصيل:

هذا الأمر ما جاء في سفر أيوب26/11: ((من زجره ترتعش أعمدة السماء وترتعد من تقريعه.))، يقول التعليق على الكتـاب المقدس((*Eerdmans Commentary on the Bible*)) في هذا النص:
((أعمـدة السـماء في العـدد11 هي الجبـال الـتي تحمـل السماء.))1361.

لا نجد البتّـة في القـرآن الكـريم حـديثًا عن دور الجبـال في إمسـاك السـماء، رغم وفـرة الآيـات الـتي تصـف الجبـال ووظائفها، وإنّما نجد في القرآن الكريم نفيًـا لوجـود أعمـدة ماديّة تمسك السماء: {خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَـا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِـيَ أَن تَمِيـدَ بِكُمْ}1362، لقـد جمعت هذه الآية بين حقيقتين تهدمان خرافة الكتاب المقدس:
الأولى: غياب أعمدة من الممكن أن تبصرها العين، تمسك السماء.
الثانيّـة: أنّ وظيفـة الجبـال هي تثـبيت الأرض لا إمسـاك السماء.

الأرض الثابتة:

جـاء في مزمـور 93/1:ـ ((الـرب قـد ملـك مرتـديًا الجلال. متنطقًا بحزام القوة. الأرض تثبتت فلن تتزعزع.))

مزمـــور 104/5:ـــ ((المؤســـس الأرض على قواعـــدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد.))

---

http://www.bibleandscience.com/bible/books/genesis/genesis1_pillarsheaven.htm (1/5/2010)

1361 James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. *Eerdmans Commentary on the Bible*, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003, p.348

1362 سورة لقمان / الآية (10)

أخبـار الأيـام الأوّل 16/30:ـ ((ارتعـدي أمامـه ياكـل الأرض، هوذا الأرض قد استقرت ثابتة.))

قرّرت النصوص السابقة أنّ الأرض ثابتة لا تتحرك، في حين جاء النص القرآني في إثبات أنّ كـلّ شـيء يسير في خـط متفلّك (دائري)؛ قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَـقَ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون}1363.

تثبت هذه الآية أنّ الأرض متحركة غير جامدة من أوجه:

أولا: الليل والنهار هنا ظرفا زمان، كناية عن ظرف المكـان وهـو (الأرض)؛ إذ إنّ الليـل والنهـار لا يتحركـان في خـط دائري، وإطلاق الظرف وإرادة المحـل والمكـان من معهـود القرآن الكريم ولغة العرب.

ثانيا: جاء الفعل في صيغة الجمع (يسـبحون)؛ بمـا يؤكـد أن مُتعلّقه جَمْعٌ؛ وهو: الشـمس+القمـر+ مـا دلّ عليهـا الليـل والنهار؛ وهو الأرض.
ثالثـا: اسـتعمال لفـظ ((خلق)) لا ((جعل)) في الحـديث عن (الليل) و(النهار) رغم أنهمـا عـرض لا جـوهر؛ بمـا يؤكـد أنّ المعنى المقصـود هـو الأرض المتحركـة الـتي يصـدق عليهـا لفظ الخلق.

الجبال

يقرّر الكتاب المقـدس أنّ الأرض قائمـة على جبـال تحملهـا من تحتها؛ فقد جاء في 1 صموئيل 2/8:ـ ((ينهض المسـكين من التراب، ويرفع البـائس من كومـة الرمـاد، ليجلسـه مـع النبلاء، ويملكـه عـرش المجـد، لأن للـرب أساسـات الأرض التي أرسى عليها المسكونة.))

1363 سورة الأنبياء / الآية (33)

ولما وصف النبي ((يونان)) غرقه قال: ((قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي.)) (يونان 2/5-6) .. لقد وجد ((يونان)) نفسه تحت ((أسافل)) ((**קצבים**)) ((قصبيم))–جمع ((قاع)) ((أسفل)) ((**קצב**))- ((قصب))1364- الجبال؛ فالجبال هي مجرّد نتوء على وجه الأرض، وبإمكان المرء أن يرى قاع الجبل من البحر، إذ الأرض قائمة على المياه؛ فقد جاء في مزمور 136/6: ((الباسط الأرض فوق المياه، لأن رحمته إلى الأبد تدوم.)) ومزمور 24/1-2: ((للرب الأرض وكل ما فيها. له العالم، وجميع الساكنين فيه؛ لأنه هو أسس الأرض على البحار، وثبتها على الأنهار.))

وقد علّق الناقد ((جوليوس أ. بور)) ((Julius A. Bewer))1365 على نصّ يونان 2/6 بقوله: ((اعتقد اليهود أنّ الأرض مؤسّسة على محيط مائي أسفلها، المزمور 24/2، وأنّ نهايات الجبال، أعمدة الأرض، تمتد عمقًا إلى الأسس. انظر مزمور 18/16.))1366

1364 عرّفها المعجمي ((وليم جزنيوس)) في هذا السياق بـ((نهاية)) ((أسفل)) (William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, tr. Edward Robinson, ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, 1907, p.891)

1365 جوليوس أ. بور : أستاذ الفيلولوجيا الكتابيّة في ((*Union Theological Seminary*)) بنيويورك.

1366 Julius A. Bewer, *A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah*, *A Critical and Exegetical Commentary on Jonah*, New York: Charles Scribner, 1912, p.46

الجبال في القرآن الكريم ليست أعمدة للسماء، وإنّمــا هي تمسك الأرض حتى لا تضطرب أو تميد:

{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا}1367

{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِــيَ أَن تَمِيــدَ بِكُمْ وَأَنْهَــارًا وَسُــبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}1368

{وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًـا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون}1369

{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّــمَاء أَن يَخْسِــفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَــإِذَا هِيَ تَمُور}1370

وهنا:

(1) وصف القرآن الكريم الجبال أنّها مثـل الوتـد، وهـو قطعة من الخشب أو الحديد تغرز في الأرض لتشدّ الخيمة، ويكون جزؤها الأكبر مخفيًا تحت الأرض.

(2) بيّن القرآن الكريم وظيفتها وهي حفظ الأرض من أن تميد.

(3) أظهر القرآن الكريم أنّ باطن الأرض يحمل طبيعة مضطربة غير ساكنة.

1367 سورة النبأ/ الآيتان (6-7)

1368 سورة النحل/ الآية (15)

1369 سورة الأنبياء/ الآية (31)

1370 سورة الملك/ الآية (16)

يشـــهد العلم الحـــديث اليـــوم على دقّـــة هـــذه الأوصـــاف الثلاثة1371 التي لم تعرف إلا منذ بضعة عقود بعـد دراسـات جادة من العلماء المتخصصين. 1372

السحب الصلبة

جـاء في سـفر أيـوب 26/8:ـ «يصـرّ الميـاه في سـحبه فلا يتخرق الغيم تحتها.»

جاء في شرح هذا النص في التعليق على الكتـاب المقـدس «*Eerdmans Commentary on the Bible*»:ـ «اعتبرت السحب هنا كالسقاء (waterskin) الذي يحمل في داخلـه المـاء، وبصـورة خارقـة لم يتمـزّق.»1373فالسـحب عنـد كـاتب هـذا السـفر تختزن الماء في داخلهـا كمـا يخـتزن السـقاء المصـنوع من جلد الحيوانات الماء، ثم تحمله إلى مسافات بعيـدة دون أن يسقط منه شيء، بصورة معجزة .. !

1371 وظيفـة الجبـال في حفـظ الأرض من أن تميـد قـال بهـا العـالم الأمـريكي «فرنـك بـرس» «Frank Press» الـرئيس السـابق للأكاديميّـة الأمريكيّة للعلوم، في كتابه «أرض» «Earth» الذي هو من الكتب المقـررة في عدد من جامعات العالم في دراسة الجيولوجيا (انظـر؛ Frank Press, and Raymond Siever, *Earth*, 3rd ed. San Francisco: W. H. Freeman & Company, 1982), ولم يشع بعدُ القول بهذا الأمـر بين المتخصصـين في الجيولوجيا.

1372 انظر؛ Z. R. El-Naggar, *the Geological Concept of Mountains in the Qur'an*, Cairo: Al-Falah Foundation, 1424/2003 ، زغلول النجار، موســوعة الإعجــاز العلمي في القــرآن الكــريم، الأرض، بــيروت: دار المعرفة، 1428هـ، 2007م، ص 201-215

1373 James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. *Eerdmans Commentary on the Bible*, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003, p.348

ويؤكد الحبر اليهودي العَلَم «راشي» هذا المعنى في تعليقه على هذا النص بقوله عن الغيم إنّه لا يتمزّق «أبدًا حتّى ينزل ماؤه جميعًا مع بعض.» («**מעולם שיפלו מימיו ביחד**»).

في مقابل هذا التصوّر البدائي الساذج لطبيعة السحب، يقرر القرآن الكريم أنّ السحب تُنزل الماء مباشرة بعد تكوّنه فيها، في قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ}[1374]. يكشف استعمال حرف الفاء الذي يدل على التعاقب السريع، أنّه ما إن تتراكم السحب وتصبح ذات طبيعة ماطرة حتى ينزل (الودق)، أي المطر![1375]

نشأة اللغات

يفسّر الكتاب المقدّس تعدد لغات البشر، تفسيرًا خرافيًا بقوله: «وَكَانَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ أَوَّلًا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ .وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَرْقًا وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضِ شِنْعَارَ فَاسْتَوْطَنُوا هُنَاكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَيَّا نَصْنَعُ طُوبًا مَشْوِيًّا أَحْسَنَ شَيٍّ». فَاسْتَبْدَلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطِّينَ بِالزِّفْتِ .ثُمَّ قَالُوا: «هَيَّا نُشَيِّدْ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا يَبْلُغُ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، فَنُخَلِّدَ لَنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَشَتَّتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كُلِّهَا.». وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا .فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطِقُونَ

1374 سورة النور/ الآية (43)

1375 قال الشيخ المفسّر «ابن عاشور»: «وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة.» (التحرير والتنوير، 9/261)

بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَـدْ عَمِلُـوا هَـذَا مُنْـذُ أَوَّلِ الأَمْـرِ، فَلَنْ يَمْتَنِـعَ إِذًا عَلَيْهِمْ أَيُّ شَـيْءٍ عَزَمُـوا عَلَى فِعْلِـهِ. هَيَّا نَنْـزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلْبِـلْ لِسَـانَهُمْ، حَتَّى لاَ يَفْهَمَ بَعْضُـهُمْ كَلامَ بَعْضٍ». وَهَكَـذَا شَـتَّتَهُمُ الـرَّبُّ مِنْ هُنَـاكَ عَلَى سَـطْحِ الأَرْضِ كُلِّهَـا، فَكَفُّوا عَنْ بِنَـاءِ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ «بَابِلَ» لأَنَّ الـرَّبَّ بَلْبَـلَ لِسَـانَ أَهْلِ كُلِّ الأَرْضِ، وَبِالتَّالِي شَتَّتَهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ كُلِّهَا.» (تكوين 11/1-9)

وهنا:

- تصـوّر شـنيع لصـفات الخـالق سـبحانه: تظهـر هـذه القصّـة الخرافيّة الإله المعبود في مقـام من يخشـى أن يبلـغ خلقـه مرتبته في القـوّة والسـلطان إن اجتمعـوا واتّحـدوا وقَـوِيت بيضتهم .. وهذا تصوّر منكَر للألوهيّة قريب ممّا كان يرد في الأسـاطير اليونانيّـة والشـرقيّة حيث الحسـد والصـراع بين الآلهة فيما بينها، أو بين الآلهة والبشر!
- الفهم الخاطئ لمعنى اسم مدينة «بابل»: كلمة «بابل» «בבל» ليسـت من «بالل» «בלל» العبريّـة –الـتي هي اخـتزال لكلمـة «بلبل» «בלבל» العبريّة[1376]- بمعــنى «بلبل» و«مــزج»، وإنّمــا هي تعني «باب إل» أي «باب الـربّ»؛ وكمـا يقـول «جرهـارد فون راد» «Gerhard Von Rad»: «هذا التفسير لكلمة «بابل» هو بداهة لا معنى له إتيمولوجيًا، إنّه <u>اختلاق شـعبي</u>؛ إذ إنّ بابـل تعني «باب الله» »[1377]، وقد كان الاسـم في الأكاديّـة «بـاب

1376 انظر؛ George James Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, Oxford: Clarendon Press, 1887, p.118

إلو» بنفس المعنى السابق، قبل أن يسيء مؤلّف سفر التكوين فهمه، أو يزيّف معناه![1378]

يقول د. «حسن ظاظا»[1379]: «وقد اتفق كل الباحثين المحدثين، في أوروبا المسيحيّة، وفي الأوساط اليهوديّة المستنيرة، على اعتبار هذه القصّة أسطورة شعبيّة لا تحكي واقعًا تاريخيًا بقدر ما تلتمس تعليلًا فنيًا لاختلاف الألسنة واللغات. فالسير جيمس جورج فريزر يفرد لها فصلًا كاملًا في كتابه الكبير «الفلكلور في العهد القديم»، فيتتبع بالنقد والتحليل تطور هذه الأسطورة منذ الوثنيات القديمة، ويقول: إن العلاقة اللغوية بين أمم بابل وبين بلبلة الألسن ليست إلا من الخيال الشعبي، إذ إن الثابت علميًا أن كلمة بابل أصلها في اللغة البابلية نفسها «باب- إلو»، ومعناها باب الله، أو باب الآلهة؛ لأنّ بابل كانت مدينة مقدسة، وكان سكان العراق القديم يحجون إلى معبدها الكبير؛ ولأن المعبد البابلي كان يتميز دائمًا ببرج ضخم مرتفع مبني في صحنه يسمى «زقورة» أو «زجورة»، ظن القدامى من الآراميين واليهود أن هذا البرج شيده الكفار تحديًا لله أو – كما ينقل عنهم فريزر- إنهم

1377 Gerhard Von Rad, *Genesis: A Commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972, 3rd edition, p. 150

1378 انظر؛ William Ricketts Cooper, *An Archaic Dictionary*, London : S. Bagster and Sons, 1876 , p.116

1379 حسن ظاظا (1337- 1420هـ ، 1919- 1999م): من أعلام المتخصصين العرب في الدراسات اليهوديّة. حصل على الماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي من الجامعة العبرية بالقدس في فلسطين، ودكتوراه الدولة من جامعة السربون. له عدد من الكتب والمقالات في اليهوديّة واللغات ونشأتها.

اعتقـدوا أن بإمكـانهم، من هـذا الـبرج، أن يصـوّبوا السـهام والحراب التي تنطلق نحو السـماء فتـدمر مملكـة اللـه العليـا. وقد حكوا في ذلك خرافـات نقلهـا فريـزر عن لـويس جـنزبرج في كتابـه «أسـاطير اليهـود»: منهـا أنهم زعمـوا أن بعض هـذه السـهام كـان إذا أطلـق نحـو السـماء عـاد إلى الأرض مخضـبًا بالدم. ومنها أن هؤلاء الكفار من سكان بابل كـانوا يريـدون أن يصل ارتفاع البرج إلى السـماء ليضـعوا أصـنامهم مكـان اللـه. ومنها أن برج بابل عنـدما تهـدم غـاص ثلثـه في بـاطن الأرض، واحترق ثلث آخر بالنـار، وبقي الثلث الأخـير خرابًـا، ومـع ذلـك فإن مكانه- كما زعموا- ما يزال محتفظًا بسر المعجـزة، فكـل من يمر عليه يفقد ذاكرته تمامًا وينسى كل شيء يعرفه. ومما لا شك فيه أن كل هذه الأساطير كان يبررها شـيء واحـد، هـو غرابة هذه الصروح المعمارية البابليـة الدينيـة في نظـر أولئـك البدو من الآراميين والعـبريين، فربطـوا ذلـك بمحاولـة تفسـير تنوع اللغات الذي كـان يبـدو لهم غـير متفـق مـع كـون الجنس البشري كله يرجـع إلى أب واحـد وأم واحـدة همـا آدم وحـواء. فإذا ما انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا المسألة تأخـذ أبعـادًا فكرية أكثر اتساعًا.»[1380]

أمّا القرآن الكريم، فلا يتـابع الكتـاب المقـدّس في شـيء ممّـا سبق، وإنّما يسـوق أمـر تعـدد لغـات النـاس سَـوق المنّ على البشر وإظهار فضل الله عليهم؛ بما ينفي بصورة تامة التفسير التـوراتي السـاذج؛ قـال تعـالى: {وَمِنْ آيَاتِـهِ خَلْـقُ السَّـمَاوَاتِ

1380 حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغـة، دمشـق: دار القلم، ط2، 1410هـ، 1990م، ص 47-48

وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِــنَتِكُمْ وَأَلْــوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِّلْعَالِمِين}[1381].. فتعـدّد اللغـات آيـة من آيـات عظمـة الخـالق سبحانه .. وكفى .. وليس مظهرًا من مظاهر صراع الـربّ مـع البشر (!) وخوفه من اجتماعهم ضدّه!!

مراحل خلق الجنين:

جاء في سفر الحكمة[1382] 7/2:ـ ((وفي مـدة عشـرة أشـهر تكـونت في الـدم من زرع رجـل ومن اللـذة الـتي تصـاحب النوم.))

نقل هذا النص مـا قـرّره الطب اليونـاني الأرسـطي من أنّ الجــنين ينشــأ من دم الحيض، وهي النظريّــة الــتي هيمنت على الفكر اليهودي والنصراني منذ زمن مبكّر وحتى قــرون قريبة.

وجـاء في سـفر أيـوب 10/9-11:ـ ((اذكـر أنـك جبلتـني من طين، أترجعني بعد إلى التراب؟ ألم تصبّني كاللبن وتخثرني كالجبن؟ كسوتني جلدًا ولحمًا، فنسجتني بعظام وعصب.))

هـذا هـو النصّ المفصّـل عنـد آبـاء الكنيسـة لشـرح تكـوّن الجــنين[1383]، وقــد لخّص الناقــد ((نــورمن هابل)) ((Norman

---

1381 سورة الروم/ الآية (22)
1382 سـفر الحكمـة: يـؤمن بقداسـته النصـارى الكاثوليـك والنصـارى الأرثودكس
1383 انظـر هـامش: *Ante Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1887, 3/538

Habel((1384 معنـاه بقولـه: ((شُـكِّل الجـنين من الطين، صُـبّ المني كالحليب، وجُمّد كالجبن، كسي بالجلد واللحم، وأخيرًا نُسِج بالعظام والأعصاب.))1385
في هذا النص مجموعة أخطاء علميّة:

أولًا: يُفهم من هذا النص أنّ الجـنين يتكـون فقـط من مـني الرجـل الـذي يُصـب في الـرحم، وليس لنطفـة المـرأة دور هاهنا.

ثانيًا: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن من كامل المنيّ الذي يقذفه الرجل.
ثالثًا: يُفهم من المعنى الحرفي لهذا الحديث أنّ أوّل مرحلـة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة.
وقـد علّـق الكثـير من النقّـاد على هـذا النص بقـولهم إنّ المقصود هو أنّ مني الرجل عنـدما يلتقي بـدم الحيض عنـد المـرأة يحولـه إلى كيـان صـلب متخثّـر، ويشـهد على ذلـك النص السابق من سفر الحكمـة 7/2، وهـو المعـنى الطـبي الـذي كـان سـائدًا في البيئـة الـتي كتب فيهـا هـذا السـفر؛ ولذلك جاء تعليـق ترجمـة أورشـليم للكتـاب المقـدس على هذا النص -وقد تبنّته ترجمـة الرهبانيّـة اليسـوعيّة العربيّـة-: ((كان العلم الطبي القديم يتصـوّر تكـوّن الجـنين كتجمّـد دم الأم بتأثير عنصر الزرع))1386((*La* science médicale antique se représentait la formation de l’embryon comme une coagulation du sang maternel sous l’influence de l’élément séminal))1387.

1384 نورمن هابل (ولد سنة 1964م): أستاذ في جامعة جنوب أستراليا، محرّر كتاب (*The Earth Bible*).
1385 Norman Habel, *The Book of Job: a commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1985, p.119
1386 ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة، ص1065
1387 *La Bible de Jerusalem*, Éditions du Cerf, 1973, p.664

وقد أكّد «ترتليـان»1388 هـذا المعـنى بقولـه في كتابه «حـول جسد المسيح» «*De Carne Christi*»: «Sed materiam seminis، quam constat sanguinis esse t colorem، ut despumatione mutatum in coagulum sanguinis feminae»1389 أي أنّ الزرع الـذي يتكـوّن منه الجنين ليس إلاّ دمًا ولونًا، ويتخثّر هذا الـدم بفعـل مـنيّ الرجل.

رابعًـا: يُفهم من هــذا النص أنّ المــنيّ المتجّمــد أو الــدم المتجمّد يتحول إلى الهيئة الأولى للجنين.

خامسًـا: يُفهم من هــذا النص أنّ تلــك الكتلـة تكســى أولًا بالجلد واللحم.

سادسًـا: يفهم من هـذا النص أنّـه بعـد تكـوّن الجلـد واللحم (يُنسج) الرضيع بالعظام والأعصاب.

هذا النص في الحقيقة ليس إلاّ تكـرارًا لمـا قالـه «أرسـطو» في كتابه «حول ولادة الحيوانات» «Περι ζώων γενέσεως»

1388 ترتليـان: (160م-220م) من أوائـل اللاهوتـيين النصـارى. عـرف باهتمامه بالدفاع عن النصرانية والردّ على من اعتبرهم «هراطقة». يعتـبر أحد المراجع اللاهوتية الكبرى للكنائس التقليديّـة. يلقّبـه الكثـير من أعلام النصارى الأرثودكس المصريين بـ«العلاّمة».

1389 *De Carne Christi. 19. 3*

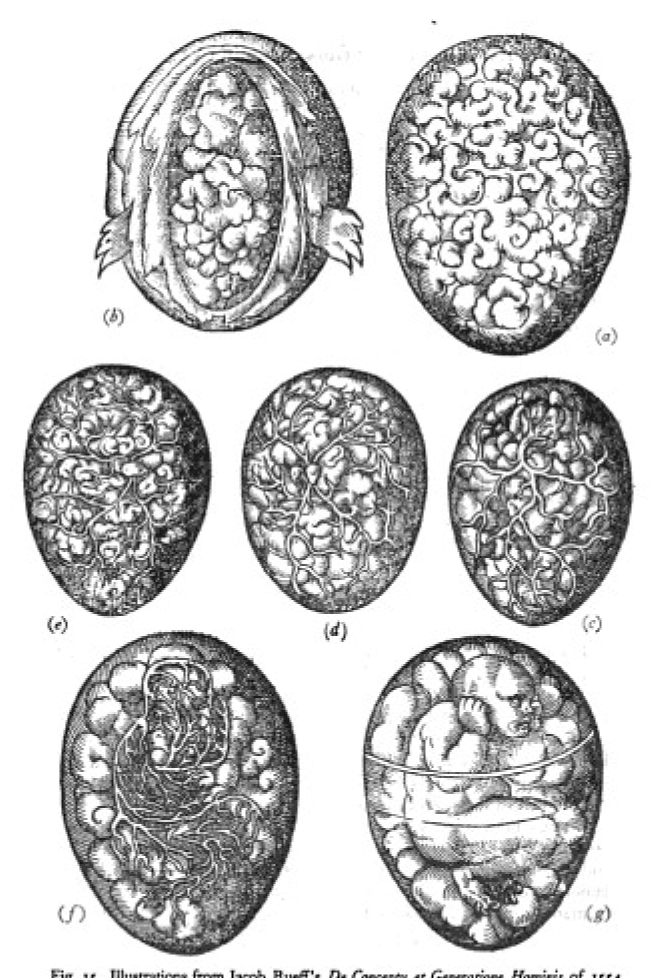


Fig. 15. Illustrations from Jacob Rueff's *De Conceptu et Generatione Hominis* of 1554 (arranged by Singer) showing the Aristotelian coagulum of blood and seed in the uterus.

صورة من كتاب من القرن السادس عشر توضح مراحل تكون الجنين من دم الحيض

في المقابل:

قـالٍ تعـالى: {إِنَّا خَلَقْنَـا الإِنسَـانَ مِن نُّطْفَـةٍ أَمْشَـاجٍ نَّبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}1390

قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِين}1391

1390 سورة الإنسان/ الآية (2)

1391 سورة السجدة / الآية (8)

قال تعالى: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى}[1392]

قال رسول الله ﷺ: ((ما من كل الماء يكون الولد.))[1393]

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[1394]

النصوص السابقة، تخالف منصوص الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما توصّل إليه العلم وثبت بالعين الباصرة:

أولا: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكوّن من اختلاط مني الرجل بنطفة المرأة، وليس لدم المرأة دور في الولادة، والقرآن والسنّة قاطعان هنا في مخالفة التصوّر الأرسطي/التوراتي، وقد قال الإمام ((ابن حجر)): ((وزعم كثير من أهل التشريح أنّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلاّ في عقده، وأنّه إنّما يتكوّن من دم الحيض، وأحاديث الباب (أي الموضوع) تُبطل ذلك)).[1395]

ثانيًا: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكون من جزء ضئيل من مني الرجل الذي يشارك نطفة المرأة عمليّة التكوين؛ فهو جزء صغير مستخلص (سلالة) من ماء الرجل.

ثالثًا: يفهم من هذه النصوص أنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلقة) التي تعني: (1) قطعة الدم المتجمّدة، وهي أيضًا (2) (علقة) لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها (3) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

1392 سورة القيامة / الآية (37)

1393 رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ح/1438

1394 سورة المؤمنون / الآيات (12-14)

1395 ابن حجر، فتح الباري، 11/480

رابعًا: يفهم من هذه النصوص أنّ العلقة تتحـوّل إلى مضـغة حيث تتحـوّل (العلقـة) إلى مـا يشـبه قطعـة لحم ممضـوغ عليها طبعات الأسنان.

خامسًـا: يفهم من هـذه النصـوص أنّ العظـام تتكـوّن قبـل اللحم.

سادسًا: يفهم من هذه النصـوص من خلال اسـتعمال حـرف (الفاء) الذي يفيد التعاقب السريع أنّ المراحل السـابقة تتم في أوقات متقاربة. وأنّ مرحلة الانتقال إلى الخلق القـريب من مرحلة الوضع تستغرق وقتًا أطـول، بدلالـة حـرف (ثمّ) الذي يفيد الترتيب مع التراخي.

وقد شهد لإعجاز الآيـات السـابقة العديـد من علمـاء الأجنـة من غـير المسـلمين، ومن أهمهم ((كيث مـور)) ((Keith Moore)) الذي يعد اليوم من أئمة علم الأجنـة في الغـرب، وهـو ليس بمسلم، ويقدّم شهادته من منطلـق الإقـرار العلمي البحت، وصرّح بحقيقة الإعجاز القـرآني في كتابـه الأكـاديمي الـذي اعتُمد كمقرر في جامعـات غربيّـة تـدرّس الطب: ((الإنسـان المتطوّر)) ((*The Developing Human*)) (1988م) حيث قال بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهنـدوس واليونـان وفي التلمود: ((لقد كان تطور العلوم التطبيقـة بطيئًا في القـرون الوسـطى، ونحن نعلم القليـل عن بعض النقـاط الهامـة المسجلة حول دراسات علم الأجنـة في تلـك الفـترة. ولقـد ذُكـر في القـرآن (في القـرن السـابع الميلادي)، كتـاب المسلمين المقدس، أنّ الإنسان يخلق من أمشـاج إفـرازي الذكر والأنـثى. وردت عـدة إحـالات إلى خلـق الإنسـان من "نطفة". كما قـرّرت أن الخلايـا الناتجـة تسـتقر في الـرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمّت الإشارة أيضًا إلى أنّ شكل الجنين في الطور المبكّر يشبه العلقة. وبعـد ذلـك ذكر بأن الجنين يُشبه الشيء الممضوغ.)) ((Growth of science was slow during the medieval period and few high points of

embryologic investigation undertaken during this time are known to us. It is cited in the Quran (seventh century AD) the Holy Book of the Muslims that human beings are produced from a mixture of secretions from the male and female. Several references are made to the creation of a human being from a *nutfa* (small drop). It also states that the resulting organism settles in the womb like a seed 6 days after its beginning. Reference is also made to the leechlike appearance of the early embryo. Later the embryo is said to resemble a "chewed substance"((1396 .

وكـان قـد كتب في مقدمـة هـذا الكتـاب (طبعـة 1982م): ((أذهلتني دقة التقريـرات المسـجّلة في القـرن السـابع بعـد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنـة. ومـع أني كنت على وعي بتاريخ علمـاء المسـلمين العظيم في القـرن العاشـر، وبعض مـــا قـــدموه لعلم الطب، لم أكن على علم البتـــة بالحقائق الدينية والمعتقـدات الـواردة في القـرآن والسـنة. ومن المهم أن يتعلم الطلبــة المســلمون وغــيرهم معــاني العبـارات القرآنيـة حـول تطـور نشـوء الإنسـان، بنـاءً على المعرفة العلمية المعاصرة.)) ((I was astonished by the accuracy of the statement that were recorded in the 7th century AD before the science of embryology was established. Although I was aware of the glorious history of Muslim scientists in the 10th century AD and of some of their contributions to medicine, I knew nothing about the religious facts and beliefs contained in the Qur’an and Sunnah. It is important for Islamic and other students to understand the meaning of these Qur’anic statements about human development، based on current scientific knowledge))1397

وصرّح في المـؤتمر الطـبي الـذي عقـد في ((الـدّمام)) سـنة 1981م: ((إنه لشرف عظيم لي أن أسـاعد في شـرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري. ومن الواضح لدي بأن التقريرات القرآنيّـة قـد بلغت -قطعًـا- محمـدًا من الله؛

1396 Keith Moore, *The Developing Human: clinically oriented embryology*, Philadelphia: Saunders, 1988 , p.8

1397 المصدر السـابق، طبعـة 1981م، ص 10 (نقلـه؛ Muzaffar Iqbal, *Science and Islam*, CT: Greenwood Publishing Group, 2007, p.163)

وذلك لأن كل تلك العلوم –تقريبًا- لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك. وهذا يثبت لي أنّ محمدًا هو قطعًا رسول من الله». وأثناء فترة الأسئلة سئل «مور»: «هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟»؛ فأجاب: «لا أجد إشكالًا في قبول ذلك».».1398

في الخمر شفاء:

قال «بولس» في رسالته الأولى إلى «تيموثاوس» 5/23: «لا تشرب الماء فقط بعد الآن. وإنما خذ قليلا من الخمر مداويًا معدتك وأمراضك التي تعاودك كثيرا»

هذا قول لا سند له من علم، فإنّ للخمر أضرارًا كثيرة جدًا متلفة للبنيان الجسدي للإنسان، فضلًا عما تحدثه في أخلاقه وسلوكه من فساد، سواء أكان الشرب بكميات كبيرة أو صغيرة!1399

وقد جاء النص القرآني في تبشيع الخمر وتقبيحه قبح الميسر وعبادة الأصنام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}1400، وجاء الحديث النبوي

1398 Muzaffar Iqbal, *Science and Islam*, p.164

1399 انظر الدراسة العلميّة الشرعيّة؛ محمد علي البار، الخمر بين الطب والفقه، جده: الدار السعودية.

1400 سورة المائدة / الآية (90)

الشـــريف حاســمًا في قولــه: ((إنـــه ليس بـــدواء ولكنّـــه داء.))[1401]، وأنّ ((ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام.)) [1402]

النوم بسبب التهيج النفسي:

جاء في إنجيل لوقا 22/45 في الحديث عن الفترة السابقة مباشـــرة للقبض على المســيح، وقــد كــان فيهــا المســيح وتلاميذه في حالـة خـوف؛ لأنهم يرقبـون محنـة قادمـة: ((ثم قـام من الصـلاة وجـاء إلى التلاميـذ، فوجـدهم نـائمين من الحــزن.)) .. تعليـلُ إنجيـل لوقـا للنـوم السـريع[1403] بــ((من الحزن)) ((απο της λυπης)) (أبو تيس لوبيس)، خطـأ علمي جلي؛ إذ إنّ الإنسان عند الخوف تفـرز عنـده غـدة الكظـر - التي تقع فوق الكلية- هرمون الأدرينالين، مما يحـدث عنـده حالة تنبّه، لا استرخاء ونوم.[1404]

في مقابل ذلك، نجد أنّ القرآن الكـريم قـد عـدّ النـوم عنـد الخوف معجزة؛ لأنّ الأصل عند الخوف هو التنبّه والرعب لا النوم والأمن؛ فجاءت المعجزة بذلك في غـزوة بـدر خارقـة للمألوف، مصادمة للأصل الطبيعي؛ قال تعالى:

{إِذْ تَسْـتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْـتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِـدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَـةِ مُـرْدِفِين وَمَـا جَعَلَـهُ اللّـهُ إِلاَّ بُشْـرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِـهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنـدِ اللّـهِ إِنَّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حَكِيم إِذْ

1401 رواه مسـلم، كتـاب الأشـربة، بـاب تحـريم التـداوي بـالخمر، ح/ (1984)

1402 رواه الأربعة، وصححه ابن حبّان.

1403 ناموا في أقل من ساعة من وصولهم البستان (مرقس 14/37)!!

1404 Gerard J. Tortora and Sandra Reynolds Grabowski, *Principles of Anatomy and Physiology*, HarperCollins College Publishers, 7th ed, pp.511, 512, 557

يُغَشِّيكُمُ النُّعَـاسَ أَمَنَـةً مِّنْـهُ وَيُنَـزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّـمَاء مَـاء لِّيُطَهِّرَكُم بِــهِ وَيُـذْهِبَ عَنكُمْ رِجْـزَ الشَّـيْطَانِ وَلِيَرْبِـطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام}1405

قـال الشـيخ ((الطـاهر بن عاشـور)): ((فإسـناد الإغشـاء أو التغشية إلى الله لأنه الذي قـدر أن ينـاموا في وقت لا ينـام في مثلـه الخـائف، ولا يكـون عامًّا سـائرَ الجيش، فهـو نـوم منحهم الله إياه لِفائِدتهم.))1406

1405 سورة الأنفال/ الآيات 9-11
1406 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 5/278

قصة يوسف القرآنية .. والاقتباس المزعوم!

لما كان المنصّرون وعامة المستشرقين يرون أنّ الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب يَظهر أساسًا في مجال القصص باعتباره يتضمن من المعلومات والأخبار ما لا يُعلم إلا بالنقل أو الوحي الإلهي الذي ينفيه القوم عن القرآن؛ فإننا سنعرض في الصفحات التاليّة مقارنة مباشرة بين قصّة «يوسف» عليه السلام في القرآن الكريم وما يوازيها في سفر التكوين اليهودي النصراني (الفصول37، 39 – 50) كمثال حي نابض بالتفاصيل ودقائق المسائل التي تُبِين عن تهافت قول المخالفين من المنصّرين والمستشرقين.

لن نجول بعيدًا عن نصوص الفريقين، وإنّما سنناقش النصوص كما وردت بلفظها، وننظر في أحداثها وأقوال أبطالها؛ لنتبيّن الفارق بين الروايتين، ومدى الامكانية العقليّة والتاريخيّة للاقتباس..

وتكمن أهميّة اختيار قصّة يوسف؛ في أنها جاءت بتفصيل شديد في القرآن الكريم، بل واستوعبت سورة قرآنيّة طويلة، كما أنّ المنصّرين قد جعلوها عمدة دعواهم في أمر الاقتباس.

وقد صدرت عدّة دراسات استشراقيّة في دراسة سورة يوسف ومقارنتها بما جاء في التوراة وبقيّة الكتابات اليهوديّة القديمة، لكن لم تكن عامة هذه الأبحاث خالصة لهذا الموضوع، وإنما صدرت أساسًا ضمن مواضيع أكبر. وصدرت في المقابل بعض الدراسات الخاصة بهذا الموضوع عينًا، ومنها:

Shalom Goldman, The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore

وهي أطروحة دكتوراه قدّمت في جامعة نيويورك، سنة 1986م

Marc Steven Bernstein, *The Story of our Master Joseph: Intertextuality in Judaism and Islam*

وهي أطروحة دكتوراه قدّمت في جامعة كالفورنيا، سنة 1992م

D. Kuntzlinger, *Die Suratu Jusufa*, *Kedem*, *1907*

I. Shapiro, *Die Haggadischen Elements im erzahlenden Teil des Korans*, *Berlin: Itzkowski*, *1907*

Marilyn R. Waldman, *New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an*, in *The Muslim World*, January 1985, V. 75, N.1

وهو مقال قيّم في إثبات الاختلافات الكبيرة بين النصّ القرآني والنص الكتابي في سرد قصّة «يوسف» عليه السلام؛ بما ينفي أن تكون القصّة القرآنيّة مأخوذة من الكتاب المقدس.

وحتى نيسّر على القارئ تبيّن أوجه الإعجاز والنقاء القرآني في سورة يوسف لينكشف ضلال القول بالاقتباس المزعوم؛ فإننا سنقارن بين الروايتين من عدة نواح:

- الاختلافات في تفاصيل القصّة.
- تصحيح القرآن الكريم لأخطاء الرواية التوراتيّة.
- تلافي القرآن الكريم لأخطاء الرواية التوراتيّة.
- خلو الرواية القرآنيّة من تناقضات الرواية التوراتيّة.
- ارتباط الرواية القرآنيّة بحقيقتي التوحيد وعصمة النبوّة، على خلاف الرواية التوراتيّة.
- موافقة القرآن الكريم للمنطق الروائي المقبول، على خلاف الرواية التوراتيّة.
- الاختلاف البارز في فلسفة القصّة وعظتها بين الرواية القرآنيّة والرواية التوراتيّة.

والناظر في هذه الاختلافات يرى بنور الحقّ تمايز المصادر بين القرآن الكريم والتوراة اليهودية-النصرانية .. ولعلّ التفصيل والبيان يزيلان غبش الشبهة عن بصيرة المعارض:[1407]

1407 استفدت بصورة كبيرة من المقارنة القيّمة التي أجراها د. ((محمد بيومي مهران)) بين القصة القرآنية والقصة التوراتية ((ليوسف)) عليه السلام (انظر؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، 2/109- 132).

أوّلا:

تبدو قصة يوسف التوراتية مجرّد فصول في رواية كبرى، تتابع أحداثها وتتلاحق أنفاسها دون أن تصعد بالقارئ إلى الحقيقة العليا والرسالة الكبرى التي أفنى الأنبياء أعمارهم في الدعوة إليها؛ ألا وهي حقيقة التوحيد ونبذ الشرك .. فغاية القصة التوراتيّة قد اختُزلت في انتصار طفل مظلوم على إخوته الذين جاروا عليه وقلبوا له مِجنَّ الأخوّة .. وفي المقابل، يشير القرآن بجلاء إلى أنّ التوحيد هو محور حياة الأنبياء وجوهر دعوتهم ووقود حركتهم؛ إذ تُظهر الآيات القرآنيّة ((يوسف)) عليه السلام وهو في قلب المحنة وأتون محرقة السجن، ينصرف بمجامع قلبه إلى السجينين اللذين كانا معه، بعدما كسب قلبيهما بتفسيره لرؤيا كل منهما، إلى دعوتهما إلى توحيد ربّ العبيد بأسلوب القدوة الحيّة والمثال النابض، لا بالكلمات الجامدة المنمّقة؛ فقال :

{ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُون وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَشْـكُرُون يَـا صَـاحِبَيِ السِّـجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِـدُ الْقَهَّار مَـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَـا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَـرَ أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}[1408]

1408 سورة يوسف/ الآيات (37 - 40)

ثانيا:

طولُ الرواية التوراتيّة[1409] لقصة ((يوسف))
وكـــــــــــثرة الأسماء والتفصـــــــــيل الروائي،
أفقداها جانب

الحكمة والموعظة .. في حين يظهر أمر الوعظ والحكمة بجلاء في النصّ القرآني من خلال التركيز على أحداث معينة مخصوصة واقتناص مقاطع قصيرة من السيرة الطويلة وغياب الكلف بسرد الأسماء والأماكن والأزمنة .. وقد جاء التنبيه المباشر على هذه الحقيقة في عدد من آيات سورة يوسف: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[1410]، {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين}[1411]، {لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِين}[1412].

ثالثا:

غاب ذكر الآخرة بصـورة تامـة في القصّـة التوراتيّـة، وكـأنّ الدنيا هي دار العمل والجزاء في نفس الآن، ولا عاقبـة يُـردّ إليها المرء .. في حين يتفـرّد القـرآن الكـريم بـذكر الآخـرة وأنها مآل كلّ حيّ عامل: {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُـفَ فِي الأَرْضِ

1409 يبلغ طول الرواية التوراتيّة قرابة ثلاثة أضعاف القصّة القرآنيّة.
1410 سورة يوسف/ الآية (111)
1411 سورة يوسف/ الآية (3)
1412 سورة يوسف/ الآية (7)

يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِـــنِين وَلأَجْــرُ الآخِــرَةِ خَيْــرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُــواْ وَكَــانُواْ يَتَّقُون}1413

رابعا:

تظهر التوراة «يوسف» عليه السلام وله من العمر سبع عشرة سنة يرتكب فعلًا قبيحًا مؤذيًا لإخوته وموغرًا لصدر أبيهم عليهم؛ وهو أنّه كان ينقل سيئ أخبارهم إلى أبيهم: «وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم»1414، وقد دفع هذا الأمر بعض الأحبار إلى أن يقولوا في تفاسيرهم كلامًا شديدًا في ذمّ «يوسف»!!1415 .. في حين تغيب هذه الصورة تمامًا عن القرآن الكريم؛ وفي ذلك تأكيد لارتباط العصمة بالنبوة، والكمال الأخلاقي بالتبليغ عن ربّ العالمين؛ إذ النبوة في أصلها اجتباء ربّاني لمطهّرٍ بشري.

خامسا:

تذكر التوراة أنّ «يعقوب» هو الذي طلب من «يوسف» أن يذهب إلى إخوته الذين يرعون أغنامهم عند شكيم1416- والتي يحتمل أنها تل بلاطة شرق نابلس الحالية – بينما يقرّر القرآن الكريم أن إخوة «يوسف» هم الذين طلبوا من أبيهم أن يذهب «يوسف» معهم، لأنّ أباه كان يخشى عليه

1413سورة يوسف/ الآية (57)

1414 تكوين 37/2

1415 انظـر: Shalom Goldman, *The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*, p. 86

1416 تكوين 37 / 12 - 16

من حقدهم، {قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}1417. فالنصّ القرآني متساوق مع فطنة الأب الحريص على ابنه، في حين أنّ النص التوراتي يعارض ما سبق من الرواية كما يصادم رجاحة عقل الأب الرؤوم!

سادسا:

يفهم من سفر التكوين أن ((يهوذا)) هو صاحب الكلمة في تقرير طريقة التخلّص من ((يوسف)) عليه السلام1418؛ فقد اقترح على إخوته أن يبيعوا ((يوسف)) للإسماعيليين بعشرين مثقالًا، في حين نرى في نفس السفر1419 أنّ ((رأوبين)) هو صاحب الصوت الأعلى الذي اقترح إلقاءه في الجب ووافق الجميع على ذلك، وقد أخذه بعد ذلك التجّار المديانيون.1420

والأمر كذلك بالنسبة إلى بيعه إلى ((فوطيفار))؛ ففي أوّل القصة أنّ البائعين هم قوم من مدين1421، بينما هم في آخرها من الإسماعيليين.1422وقد أقرّ بهذا التناقض التعليق الكاثوليكي على ترجمة ((*The New American Bible*)) عند التعليق

1417 سورة يوسف/ الآيتان (11- 12)
1418 37/26-28
1419 37/ 21 -24
1420 انظر؛ تكوين 37/28
1421 تكوين 37/ 36
1422 تكوين 39 / 1

على 37/ 21-36 ؛ وقرّر أنّ تكوين 37/ 25-28أ يعود إلى «المصدر اليَهَوِي» (وهو الذي ذكر أن «يهوذا» قد اقترح بيعه للإسماعيليين)، في حين يعود تكوين 37/ 21-24 وتكوين 37/ 28ب-36 إلى المصدر «الإلوهيمي».[1423]

وليس في القرآن الكريم من هذا التناقض شيء!

سابعا:

تظهر التوراة «يعقوب» عليه السلام وهو يصدّق كذب أبنائه بعد تآمرهم على أخيهم، ويأسه عقب المؤامرة: «وقال قميص ابني وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراسًا فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه، وناح على ابنه أيامًا كثيرة»[1424] .. في حين يشير القرآن الكريم إلى ارتياب «يعقوب» في بنيه عقب تنفيذ المؤامرة: {قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِين وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

1423 انظر؛ *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.43
يتبنّى عامة النقّاد اليوم «النظريّة الوثائقيّة» (*Documentary Hypothesis*)؛ وهي ترجع أسفار «موسى» الخمسة إلى أربعة مصادر متمايزة في المنبت ومتداخلة عامةً داخل هذه الكتب، وهي: المصدر «اليهوي» والمصدر «الإلوهيمي» و«المصدر الكهنوتي»، والمصدر «التثنوي». (انظر؛ Richard Elliott Friedman, *Who Wrote the Bible?*, New York: Summit Books, 1987) وهي نظريّة موفّقة في حديثها عن وجود مصادر مختلفة لمجموع النصوص، غير أنّ هذا التقسيم الرباعي لا دليل حاسم يشهد له. وأرجو أن يقوم لهذه المسألة ناقد مسلم لبحثها من منطلق قرآني يستخلص به الأصيل والدخيل و(الممكن)، لتأصيل نظريّة إسلاميّة في مصادر هذه النصوص.
1424 تكوين 37/ 33-34

وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون}.[1425].. وهكذا هو قلب المؤمن إذا عمر بالإيمان وأشرقت فيه أنوار الصفاء؛ فهو يستشف بقلبه الصافي بعض ما لا تدركه الحواس، وذاك من كرم الربّ سبحانه يهبه لمن يشاء.

ثامنا:

تذكر التوراة أن أبناء «يعقوب» قد أحضروا قميص أخيهم إلى أبيهم وعليه دم، ولم يذكروا كيف قتل[1426]، في حين يشير القرآن إلى أنّ أبناء «يعقوب» قد ادّعوا صراحة أنّ الذئب قد قتل أخاهم[1427]، وهذا أليق بحال إخوة يوسف في اعتذارهم لأنفسهم من الاقتصار على تقديم قميص أخيهم ملوثًا بالدم، خاصة أنّ تلك الأرض كانت فيها ذئاب سارحة؛ فقد قال لهم أبوهم قبل خروجهم «بيوسف»: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُون}[1428]

تاسعا:

تذكر التوراة أنّ الجب الذي ألقى فيه يوسف هو بئر فارغة ليس فيها ماء، أمّا القرآن فيشير إلى عكس ذلك:{وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا

1425 سورة يوسف/ الآيتان (17 - 18)

1426 تكوين 37 / 32 - 33

1427 سورة يوسف / الآيات (13 – 14، 17)

1428 سورة يوسف/ الآية (13)

غُلاَمٌ}.1429وهـذا هـو المنطقي؛ إذ إنّ المسـافرين يـرِدُون الآبار للتزوّد بالماء، ولا يقربون الآبار الجافة!

عاشرا:

تـذكر التـوراة أنّ «يوسف» قـد بيـع إلى القافلـة المـارة من طرف إخوته بعشرين قطعـة من الفضة1430، ويـذكر عـالم المصريات «جورج إبرز» «Georg Ebers»1431 أنّ هذا المبلغ هو الثمن المفترض للعبيد في ذاك الزمان1432، في حين يقـرّر القرآن أن ثمن بيع «يوسف» كان قليلًا، وأنّ المشترين كانوا فيـه من الزاهـدين: {وَشَـرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْـدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِين}1433، وهذا هو الحـق؛ إذ إنّ إخـوة «يوسف» هم الـذين كـانوا حريصـين على بيـع أخيهم، وهـذا الحرص من البـائع أدعى لأن يـترك الجـدال في الثمن، كمـا أنّ صغر سن الإخوة داع آخر أن يسعى المشترون إلى دفع مبلغ زهيد لا كالـذي يـدفع إلى التجّـار، ثمّ إنّ «يوسف» كـان صبيًّا صغيرًا غير جَلِـد؛ فلا يـدفع في من هـو في مثـل سـنّه المبلغ الذي يدفع في الشاب الجَلِد.

الحادي عشر:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد نسي أباه وإخـــــــــــــــــوته لما كان في مصر1434، وفي ذلك قطع لحـــــبل

1429 سورة يوسف/ الآية (19)، تكوين 37 / 24

1430 انظر؛ تكوين 37/28

1431 جورج إبرز (1837م-1898م): عالم مصريات ألماني. درّس اللغـة المصرية القديمة والتاريخ المصري في جامعة ليبزغ.

1432 انظر؛ Georg Ebers، *Ägypten und die Bücher Moses*, p. 293 (Quoted by, George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.276)

1433 سورة يوسف/ الآية (20)

1434 تكوين 41/51

الأمل في لقياهم .. في حين يقول القرآن الكـريم إنّ اللـه جـلّ وعلا قـد أوحى إلى «يوسف» منـذ أن بـدأت المحنـة بإلقائـه في الجب، أنّـه سـيلقى إخوتـه مـرّة أخـرى: {فَلما ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُـوهُ فِي غَيَابَـةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْـهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِـأَمْرِهِمْ هَــذَا وَهُمْ لاَ يَشْـعُرُون}[1435].. لقـد كـان الأمل في النجاة ورجاء رحمة اللـه في قلب العبـد المخلَص «يوسف» ثابتًـا مسـتقرًا .. ولـذلك قـال «يوسف» في آخـر القصّة: {أَنَاْ يُوسُـفُ وَهَــذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّـهُ عَلَيْنَـا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين}[1436] .

الثاني عشر:

ذكرت التوراة أنّ من اشترى يوسف هو «فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرطة»[1437] .. وهذا ادّعاء مخالف للبداهة التاريخيّة؛ إذ كيف يكون «فوطيفار» خصي فرعون، ثم هو في نفس الوقت (1) رئيس الشرطة المصريّة (2) وزوج إحدى جميلات مصر !!؟ بل وتجعل التوراة حاشية القصر كلها من الخصيان، ومنهم رئيس السقاة ورئيس الخبازين!!!؟[1438]

يبدو أنّ أثر السبي البابلي والبيئة التي عاش فيها اليهود هناك قد أثرا على تصورات مؤلفي التوراة لأحداث ذاك الزمان ..

1435 سورة يوسف/ الآية (15)
1436 سورة يوسف/ الآية (90)
1437 تكوين 39/1
1438 تكوين 40 /2

وقد خلا القرآن من هذا الخبط التوراتي، فقد قال تعالى: {عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}[1439]؛ مما يوحي في ذهن القارئ أنّ الرجل كان عقيمًا لا ولد له.

الثالث عشر:

تظهر التوراة نبيّ الله ((يعقوب)) وهو في أهون حال، وأضعف إيمان، ومنتهى التسخّط على قضاء الله وقدره؛ ما أن تدهمه المصيبة حتّى يخرّ صريع اليأس ويطفح قلبه ولسانه بالتسخط على أمر الله .. فهاهو سفر التكوين يقول عن ((يعقوب)) النبي عندما جيء له بقميص ابنه: ((فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة .

فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحًا الى الهاوية وبكى عليه أبوه.))[1440]

أمّا ((يعقوب)) في القرآن، فهو قدوة لكلّ متصبّر على دكدكات الأيام وسهامها الجارحة .. فأنت لا تراه في مواقف الشدّة إلا منيبًا إلى ربّه، صلبًا لا ينحني أمام عصف الجائحة .. فهو القائل عندما فقد ابنه الأوّل : {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[1441]، وهو القائل عندما فقد الابن الثاني: { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}[1442]لكنّه في التوراة يبدو في

1439 سورة يوسف / الآية (21)

1440 التكوين 37/ 34-35

1441 سورة يوسف/ الآية (18)

1442 سورة يوسف/ الآية (83)

منتهى الوهن الإيماني حتى قبل وقوع الكارثة: ((إذا أصابته أذية تنزلون شيبتي بشرّ إلى الهاوية))!![1443]

وتقول الناقدة ((مارلين روبنسون ولدمان))[1444]: ((يختلف دور يعقوب في القرآن عنه في التوراة. يعتبر يعقوب في القرآن المعين ليوسف والناصح له، وقد ظهرت بشريّته مع حسن تصرّفه كعلامة على اتصاله بالله. وقد استطاع الآخرون أن يفهموا علامات الله من خلال حضوره هو وقدرته على قراءة هذه العلامات. يعقوب في الكتاب المقدس ليس هو رسول الله، ولا الناصح البصير ليوسف، وإنّما يبدو بصورة أكبر كضحيّة للظروف، معبرًا عن هذه الحال من خلال واقعه النفسي والعاطفي.))[1445]

الرابع عشر:

يكشف القرآن الكريم أنّه لما أراد أبناء ((يعقوب))-إثر عودتهم من مصر- أن يأخذوا أخاهم الذي بقي مع أبيهم، في رحلة ثانية، كان ((يعقوب)) عليه السلام مستعصمًا بحبل التوكّل على الله جلّ وعلا، ثم آمرًا لهم أن يتخذوا الأسباب المادية: {فَلما رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا

1443 تكوين 42 / 38، 44 / 31

1444 مارلين روبنسون ولدمان (1943م-1996م): مستشرقة أمريكيّة يهوديّة. كانت عضوًا في عدة جمعيات علميّة كـ(الأكاديميّة الأمريكيّة للدين) و(الجمعيّة الأمريكيّة لدراسة الدين) و(المؤسسة الأمريكيّة للدراسات الإيرانيّة).

1445 Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,'* in *The Muslim World, January 1985,* V. 75, N.1, p.6

وَهُوَ أَرْحَمُ الـرَّاحِمِين ... قَـالَ لَنْ أُرْسِـلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُـونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلما آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيل وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَـابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْـوَابٍ مُّتَفَرِّقَـةٍ وَمَـا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّـهِ مِن شَـيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّـهِ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَعَلَيْـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُون}1446، في حين تبدو الصـورة في التـوراة عكس ذلـك «فقـال لهم أبـوهم: «إن كـان لابـد من ذلـك فـافعلوا. وخذوا معكم هديـة للرجـل: واملأوا أوعيتكم من خـير جـنى الأرض وقليلا من البلســـان والعســـل والكثـــيراء واللاذن والفســتق واللــوز. وخــذوا معكم فضــة أخــرى، والفضــة المــردودة في أفــواه عــدالكم وأعيـدوها. فلعـل في الأمـر سهوا. واستصحبوا معكم أيضـا أخـاكم وقومـوا ارجعـوا إلى الرجـل. ولينعم عليكم اللـه القـدير بالرحمـة لـدى الرجـل، فيطلق لكم أخاكم الآخـر وبنيـامين أيضـا. وأنـا إن ثكلتهمـا، أكون قد ثكلتهمـا.»»1447 ؛ «فيعقـوب» هنـا متعلّـق بالأسـباب الماديّة غاية التعلّق؛ حتى إنّـه يفصّـل في أمـر الهديّـة غايـة التفصـيل، ثم يعقب ذلـك بكليمـات قليلات رجـاء أن يجعـل اللــه في قلب هـذا الرجـل (يوســف) الرحمــة، ولاحِـظ أنّ الرحمة المرجوة هنا هي من «يوسف»، أمّـا الإلـه فعليـه أن (يبذل) الأسباب لذلك!

الخامس عشر:

1446 سورة يوسف/ الآيات (63-67)

1447 تكوين 11/43-14

يبدو ((يعقوب)) عليه السلام في التوراة فاقدًا للأمل، خائر العزيمة مع ما أصابه من مصاب في ابنه: ((قد أثكلتموني أولادي. يوسف مفقود، وشمعون مفقود، وها أنتم تأخذون بنيامين بعيدًا! كل هذه الدواهي حلت بي!))1448 ((لن يذهب ابني معكم، فقد مات أخوه، وهو وحده باق. فإن ناله مكروه في الطريق التي تذهبون فيها، فإنكم تنزلون شيبتي بحزن إلى قبري))1449 ...في حين يظهر القرآن يعقوب عليه السلام مترعًا بالأمل رغم وخز الألم؛ لم ييأس من روح الله: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون}1450

السادس عشر:

يظهر القرآن ((يوسف)) عليه السلام من أوّل القصة إلى آخرها، وهو يتقلب بين أطباق المحن، صابرًا، ثابت الجنان .. فقد تصبّر ((يوسف)) عليه السلام بكلّ أنواع الصبر: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة . فكان في حركات قلبه وجوارحه مستسلمًا لأمر الله .. إنّها صورة مشبعة بالتوهّج الإيماني بما يتناسب مع أمر نبيّ مجتبى لتبليغ رسالة من ربّ العالمين ..

1448 تكوين 42/36

1449 تكوين 42/38

1450 سورة يوسف/ الآية (87)

ويركّز القرآن في خاتمة القصة على موعظة بليغة، هي زاد المسافر على بساط المحن في هذه الدنيا؛ وهي أنّ الصبر عاقبته أحلى من الشهد وإن كان طريقه قد قُدَّ من الشوك.. وأعلى درجات الصبر، هي «الصبر الجميل» حيث لا يبوح المبتلى بشكواه بل يسلم أمره ونفسه إلى ربّه.

وتغيب معالم الموعظة –أو تكاد- في الرواية التوراتية، لتتحوّل إلى أكوام من أحداث قديمة ساكنة، وتبدو صورة «يوسف» عليه السلام فيها غائمة الملامح الإيمانيّة؛ يكاد يقصر أمرها على الظهور الروائي دون التألّق الإيماني.

السابع عشر:

تذكر التوراة أنّ امرأة العزيز قد راودت «يوسف» عن نفسه، فلما فرّ منها وترك ثوبه «نادت أهل بيتها وقالت: «انظروا ما جرى؟ هذا العبراني الذي جاء به زوجي إلى البيت. شرع يراودني عن نفسي. دخل غرفتي وحاول اغتصابي، فصرخت بأعلى صوتي.»1451

خفّفت –أو قل: حرّفت- (ترجمة الحياة) هذا النص؛ إذ هو يقول على لسان امرأة العزيز «**לצחק בנו**» (لتَسحِق بانو) أي «ليراودنا» حيث الضمير المتصل في صيغة الجمع لا المفرد، وكما قال الناقد «جورج سبورل» «George Spurrell» في تعليقه على النص العبري لسفر التكوين؛ فإنّ امرأة العزيز أرادت هنا أن تقول إن «يوسف» راود جميع نساء البيت1452 .. وهذا مشهد منكر في سياق القصة؛ إذ إنّ

1451 تكوين 39/14

1452 انظر؛ George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.284

امرأة العزيز بهذا القول تفتح على نفسها باب الريبة، وتمنح زوجها فرصة أن يسأل النساء في البيت عن صحّة دعواها!
كما أنّ نفس المقطع من القصّة مضطرب؛ إذ يزعم مرّة أنّه لم يكن أحد في البيت لما اختلت زوجة العزيز «بيوسف»[1453] ويزعم في أخرى أنّ امرأة العزيز قد صرخت مستنجدة بمن في البيت.[1454]

أمّا القرآن الكريم فيتجاوز هذه التناقضات بتقريره حقيقة الواقعة وأنّ امرأة العزيز لما كانت تراود «يوسف» عن نفسه، دخل العزيز؛ فقامت إليه حتى تدفع التهمة عن نفسها باتهام «يوسف» عليه السلام بإرادة الفاحشة بها، مبادرة زوجها بسؤال مباغت عن عقوبة من يؤذي أهله: {وَاستَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم}[1455]

الثامن عشر:

القرآن الكريم وحده هو الذي يشير إلى أن الله –سبحانه وتعالى – قد أظهر براءة يوسف على يد شاهد من أهل امرأة العزيز نفسها، وذلك حين قال: {إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِين وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِين فَلما رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم}[1456]، كما شهد

1453 انظر؛ تكوين 39/11
1454 انظر؛ تكوين 39/14
1455 سورة يوسف / الآية (25)
1456 سورة يوسف / الآيات (26 - 28)

النسوة اللائي قطعن أيديهن، ببراءته، بقولهن: {حَـاشَ لِلّـهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ}[1457]، بينمـا لم تـذهب التـوراة إلى أكثر من أنّ العزيز حين سمع بالقصة لم يزد عن «أن غضبه حمى فأخذ يوسف ووضعه في بيت السجن» .[1458]

التاسع عشر:

يظهر القـرآن «يوسف» عليـه السـلام في صـورة المتوكّـل على ربّه، المستجير به في كلّ أمره، والمنيب إليه في كـلّ شأنه .. فهو يقول في تذلّل وخضـوع واسـترحام لمن بيـده الأمر، بعد أن أحاطت بأقطار نفسه فتنة المرأة الراغبة فيه والمتسلطة عليه أثناء محنة العبوديّة لزوجهـا: {وَإِلاَّ تَصْـرِفْ عَنِّي كَيْـدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَـاهِلِين}[1459].. وهـذا منتهى الإخلاص في الاسـتجارة بـالقويّ العزيـز.. وقـد استجاب له من بيده الأمر: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْـهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}[1460]..

أمّا التوراة، فتغفل عن إبراز هذه المنقبة العظيمة، وكأنها قد خضعت لدفق الأحداث؛ فلا تملك أن تقف لحظات للعبرة والعظة ..

العشرون:

1457 سورة يوسف / الآية (51)

1458 تكوين 39/ 19 - 20

1459 سورة يوسف/ الآية (33)

1460 سورة يوسف/ الآية (34)

القرآن الكريم وحده هو الذي يشـير إلى أن ((يوسف)) عليـه السلام قد فضّل السـجن على أن يقـترف الفاحشـة، وذلـك حين خُيّر بين أن تنـال المـرأة منـه مـا تريـد، أو أن تفتّح لـه أبواب السجن على مصراعيها لتبتلـع أزهى سـنوات عمـره: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَـدْعُونَنِي إِلَيْـهِ وَإِلاَّ تَصْـرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْـبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَـاهِلِين فَاسْـتَجَابَ لَـهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}1461

الواحد والعشرون:

أبرز القرآن براءة ((يوسف)) في جلاء، وتوقف لبعض الآيات لإظهار ذلك ولصرف الظنون الفاسدة عن هذا النبيّ الطاهر، وهو ما لم تسع التوراة إلى الاسترسال فيه أو التركيز عليه، وكأنّ براءة نبيّ يحمل إلى الناس رسالة الطهر بين قومه، ليست بذات بال ..

وقد انفرد القرآن دون التوراة بذكر اعـتراف امـرأة العزيـز ببراءة الرجل الذي غمزته في عرضه أمام الناس: { قَـالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَـاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِـهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْـهُ بِـالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِين}1462.. وفي تصريح امـرأة العزيـز أيضًـا ذكـرى للمعرضـين عن سـبل السـلام، وأنّ التوبـة لا تغلـق أبوابها، ولو كانت من الافتراء على نبيّ والتسبب في سجنه لسنين..

1461 سورة يوسف / الآيتان (33 – 34)

1462 سورة يوسف/ الآيتان (51 - 52)

الثاني والعشرون

قالت الناقدة «مارلين ر. ولدمان»: «إنّ أوضح حجّـة للتوجّـه المختلف للقرآن، هو دور القصّة الداخليّـة (sub-plot) لزوجـة السيّد في القصّة ككـل، ومـا تكشـفه من شخصـيّة يوسـف كرسول. تظهر هـذه الحادثـة أيضًـا مخالفـة القـرآن الهائلـة للرواية الكتابيّة، وتـبيّن كيـف أنّ القـرآن يسـتعمل بطريقـة مختلفة المـادة المتاحـة، مهمـا كـان مصـدرها. كنتيجـة لمـا يظهره القرآن من اسـتعمال لهـذه القصـة الداخليّـة؛ يظهـر يوسـف أكـثر اعتمـادًا على اللـه من اعتمـاده على خطتـه الخاصة... تُظهر هذه القصّة في القـرآن يوسـف وهـو ينقـذ غيره، الزوجة، قبل إنقاذ نفسه، وهي بذلك تظهره على أنّـه -بصورة أبلغ- أداة لله.»[1463]

الثالث والعشرون:

جاء في وصف التوراة لحلم حاكم مصر: «ثم رأى سبع سنابل عجفاء قد لفحتها <u>الريح الشرقية</u> نابتة وراءها.»[1464]. ذكر النقّاد أنّ الريح التي تهب في مصر فتجفف الثمر، هي رياح صحراوية <u>جنوبيّة</u>[1465]، أمّا الرياح الشرقيّة فهي التي في فلسطين. ويكشف هذا الخطأ جهل من أضاف هذا النص بطبيعة بلاد مصر، وقد قال الناقد «جورج سبورل» إنّ

1463 Marilyn R. Waldman, *New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an, in The Muslim World, January 1985,* V. 75, N.1, pp.9-10

1464 تكوين 41/6

1465 انظر: Gordon Wenham, *Word Biblical Commentary, Volume 2: Genesis 16-50*, Dallas, Texas: Word Books, 1998 , CD edition

الراوي هنا قد أشار إلى الريح المدمّرة في فلسطين (هوشع 13/15، يونان 4/8، حزقيال 17/10).1466

ولم يتابع القرآن الكريم هنا التوراة في خطئها العلمي.

الرابع والعشرون:

تذهب التوراة إلى أن فرعـون قـد أرسـل إلى «يوسف» في السـجن من يسـتدعيه لتأويـل رؤيـاه «فأسـرعوا بـه من السجن، فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون»، وفسـر لـه حلمه، ثم اقترح عليه أن يختار رجلًا بصـيرًا وحكيمًـا ليجعلـه على أرض مصر1467 .. وتبـــدو الصـــورة في القـــرآن الكريم1468 على غير ذلك، فصاحب «يوسف» الذي نجـا من السجن هو الذي أشار على الملـك أن يرسـله إلى الصـدّيق ليعـرف منـه تأويـل رؤيـا الملـك، ولم يـذهب «يوسف» إلى الملك، وإنما فسّر الحلم، بل وأشار بالحل الذي يمكّن البلاد من اجتياز هذه المحنة، وبشّر بعام فيـه يغـاث النـاس وفيـه يعصرون، وهو ما يزال بعد سجينًا.1469

الخامس والعشرون:

القـرآن وحـده هـو الـذي ذكـر أنّ «يوسف» بعـد أن فسـر الحلم لملك مصر، ورسم له الطريـق الصـحيح للخـروج من

1466 انظر؛ George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.291

1467 تكوين 41 / 14 - 36

1468 سورة يوسف/ الآيات (45 - 48)

1469 سورة يوسف/ الآية (49)

الأزمـة بسـلام، رفض في إبـاء وشـمم أن يقبـل المنصـب الخطير الذي عرض عليه، حتى يتحقق الملك ورجالـه – بـل والناس جميعًا- من براءته ونزاهـة عرضـه، ممـا نسـب إليـه بشأن امرأة العزيـز، ذاك الـذي كـان سـببًا في أن يلبث في السجن بضع سنين، {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْـوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيم}1470. ولما علم الملك حقيقـة الأمـر سـرّ بـه، وأخرجـه من السـجن، عندئـذ تقدّم الصـديق في ثقـة وثبـات، {قَـالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَـزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيــظٌ عَلِيم}1471، وهكــذا يتحمــل «يوسف» المسؤولية كاملة في صدق وشجاعة، وينجح آخر الأمــر في أن يرسي السفينة على مرفـأ الأمن والسـلامة1472، والأمـر عكس ذلك تمامًا في التوراة، فما أن يفسـر الصـدّيق الحلم للملـك، ومـا أن يعـرض الملـك الأمـر عليـه، حـتى يقبلـه فورًا.1473

السادس والعشرون:

قالت الناقدة «مارلين ر. ولدمان» في الفارق بين القصّة القرآنيّة والأخرى الكتابيّة في ما يتعلّق بعمل مشيئة الله سبحانه في صناعة الأحداث وتحريكها: «الله حاضر حضورًا تامًّا في الرواية (القرآنيّة)؛ وبذلك يتأكد حضوره الكوني الكليّ. لما وُضع يوسف في الجب على يد إخوته، كشف الله له أنه سينبّئهم في يوم ما بما فعلوه. حتّى غيرة الإخوة

1470 سورة يوسف / الآية (50)

1471 سورة يوسف/ الآية (55)

1472 سورة يوسف / الآيات (46 -57)

1473 تكوين 41 / 37 - 46

بَدَت على أنّها علامة لأمر ما. لما قدّم الإخوة دليلًا مزوّرًا لما اقترفوه، استراب أبوهم في أمرهم ووضع ثقته في الله، قائلًا لهم إنّ الشياطين قد أغوتهم. المسافرون الذين وجدوا يوسف، حاولوا إخفاءه، لكن القرآن يذكّرنا أنّ الله يعلم ما يفعلون. يُذَكِّر الله السامع مرّة أخرى - لما استقرّ يوسف في بيت مشتريه- أنّه قد وضع يوسف في ذاك المكان وسيجعله بعد ذلك من المفلحين تبعًا لإرادته.» [1474]

السابع والعشرون

جاء في التوراة أنه لما حصلت المجاعة لسبع سنوات:
«جاءت كل الارض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحًا لأنّ الجوع كان شديدًا في كل الأرض» [1475] ..

وهذه دعوى باطلة علميًا وتاريخيًا .. أما علميًّا فجليّ أنّ المؤلف ما كان يعرف أنّ مساحة اليابسة أكبر مما في ذهنه، ومن غير المعقول أن يسافر الناس من أقصى أوروبا أو أحد قطبي الأرض إلى مصر للحصول على طعام في أيام مجاعة؛ إذ فضلًا عن عدم وجود وسائل تواصل لمعرفة تخزين مصر للمؤونة أيام المسغبة، فإنّ الأقوام الذين اجتاحتهم المجاعة لا يمكنهم أن يسافروا شهورًا للحصول على الطعام من مصر لأنهم هم أصلًا لا يملكون مؤنة الرحيل شهورًا..

1474 Marilyn R. Waldman, *New Approaches to ‘Biblical’ Materials in the Qur’an, in The Muslim World, January 1985,* V. 75, N.1, p.11

1475 تكوين 41/ 57

ومن الناحية التاريخيّة، لا يثبت قطعًا أنّ الأرض كلها قد تعرضت للمجاعة في زمن «يوسف» عليه السلام.. ولم يقع القرآن-في المقابل- في هذا الخلل التاريخي المشين، ليبقى طاهرًا من رجس الافتراء على التاريخ.

الثامن والعشرون

جاء في التوراة: «حدثت مجاعة في جميع البلدان»[1476]، لكنّ التوراة أضافت أنّ «يعقوب» قد قال لأبنائه : «خذوا معكم هدية للرجل: واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وقليلًا من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن والفستق واللوز.»[1477]بما يدلّ على أنّ المجاعة لم تصبهم، في حين أظهر النص القرآني أنّ عائلة «يعقوب» كانت شبه معدمة: {فَلما دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِين}[1478] فالإخوة في ضيق من الحال، وبضاعتهم ضعيفة القيمة (مزجاة).

التاسع والعشرين:

جاء في التوراة أنّه لما رد «يوسف» إخوته إلى مصر، وردّ إليهم ما دفعوه إليه، دون أن يعلموا، اكتشف واحد من الإخوة هذا الأمر قبل الوصول إلى أبيهم «يعقوب»: «وحين فتح أحدهم عدله في الخان ليعلف حماره، لمح فضته لأنها كانت موضوعة في فم العدل؛ فقال لإخوته: «لقد ردت إلي

1476 تكوين 41/54
1477 تكوين 43/11
1478 سورة يوسف/ الآية (88)

فضتي، انظروا ها هي في عدلي». فغاصت قلوبهم، وتطلـع بعضهم إلى بعض مرتعدين وقالوا: «ما هذا الذي فعلـه اللـه بنـا؟» [1479]، غـير أننـا نقـرأ بعـد ذلـك أنّ الإخـوة جميعًـا قـد فوجئـوا بـالأمر عنـدما عـادوا إلى أبيهم: «وإذ شـرعوا في تفريغ عدالهم وجد كل واحد منهم فضته في عدلـه، ومـا إن رأوا هم وأبـوهم ذلـك حـتى اسـتبد بهم الخـوف.» [1480]، في حين تخلو الرواية القرآنيّة من هذا التناقض؛ إذ إنّها تـذكر أنّ اكتشــاف هــذا الأمــر كــان مــرّة واحــدة، وبمحضــر من الأب{وَلما فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَـالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَـا وَنَحْفَـظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} [1481]

الثلاثون:

تزعم التوراة أنّ «يوسف» قد اشترى كل أرض مصر – من عليها وما عليها- للفرعون (وهو اصطلاح لم يكن قد استعمل في مصر بعد، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا) بعد أن امتلأت الأرض جوعًا [1482] ، وهي دعوى ينفيها التاريخ.

إن جمهرة المؤرخين ترى أن الهكسوس لم يمدوا نفوذهم أبدًا إلى أبعد من القوصية [1483] جنوبًا، اللهم إلا في احتلال

1479 تكوين 27/42-28

1480 تكوين 35/42

1481 سورة يوسف/ الآية (65)

1482 تكوين 47/ 13 – 26

1483 Pahor Labib, *Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten und ihr Sturz*, p, 18

مؤقت قصير لإقليم «بي حتحور»، قام به «أبو فيس» - ربما آخر من حمل هذا اللقب - وليس هناك من دليل حقيقي على أن غيره من الهكسوس قد تم له هذا الأمر، أما أمر جبايتهم للضرائب من مصر العليا والسفلى على السواء، فموضع شك على الأقل، ذلك لأن وجهة النظر التي ترى احتلال الهكسوس للبلاد كلها، ليست سوى وهم قضى عليه النص الكبير للملك «كاموزا» الذي يتضمن في وضوح أن الغزاة لم يتقدموا إطلاقًا فيما وراء جبلين، والذي يشير إلى أنهم اضطروا بعد قليل إلى إرساء حدهم عند «خمون» (الأشمونين مركز ملوي).[1484]

الواحد والثلاثون:

تظهر التوراة «يوسف» عليه السلام وكأنّه نقمة على المصريين ووبال عليهم؛ إذ قد استغل سنوات المجاعة ليستعبد المصريين للحاكم ويأخذ منهم أرضهم له[1485]، كما أنه عندما دعا أباه وأهله وعدهم أن يعطيهم «خيرات أرض مصر»[1486]؛ وكأنّ أهل البلد لا حقّ لهم في أرضهم.

يخلو القرآن من هذا الحديث العنصري في تحقير المصريين، ومن إضفاء هالة القداسة على الإسرائيليين.. فبعثة الأنبياء رحمة للناس ونعمة، لا وبال وشرّ.

الثاني والثلاثون:

1484 د. محمد بيومي مهران، حركات التحرير في مصر القديمة، ص 143 -145

1485 تكوين 47/ 20

1486 تكوين 45/ 18

زعمت التوراة أنّ «يوسف» عليه السلام كان يكرّر القسم بحياة فرعون[1487]، وهو أمر يخالف مقام النبوة والعصمة .. ويزداد الأمر سوءًا إذا علمنا أنّ هذا الملك كان مشركًا .. وليس في القرآن من ذلك شيء!

الثالث والثلاثون:

يُبرز القرآن من خلال شخصية النبيين «يعقوب» و«يوسف» عليهما السلام جمال حسن الظن بالله عز وجل[1488]، وقيمته في قلب المؤمن، وعذب جناه بعد مرّ الابتلاء .. فهذا «يعقوب» عليه السلام لا يملك لسانه إلا أن يقول بعد سنين طوال من فراق ابنه: {عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}[1489]، وما حصر رجاءه في نجاة ابنه الثاني، بل كان ظنه بالله عظيمًا، فهو يرجو نجاة ابنه الثاني الذي ظنّ أنه متهم بالسرقة، وابنه الكبير الذي

1487 تكوين 42/ 9 – 16. وقد جاء الأمر في العهد الجديد (الإنجيل) بالمنع من الحلف أصلًا؛ متى 5/ 33-37، يعقوب 5/ 12!

1488 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأنَا مَعَهُ اِذَا ذَكَرَنِي، فَإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإنْ تَقَرَّبَ اِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ اِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ بَاعًا، وَإنْ أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.». رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «ويحذركم الله نفسه»، وقول الله تعالى: «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك»، ح/ (7405)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحثّ على ذكر الله تعالى، ح/ (2675)

1489 سورة يوسف/ الآية (83)

ظلّ في مصر، وإبنه الأول الذي غاب منذ سنين طويلة: {عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[1490][1491] .. وليس من ذاك شيء في التوراة.

الرابع والثلاثون:

تقول الناقدة «مارلين ر. ولدمان»: «يبدو الإله في الكتاب المقدس أكثر بعدًا منه في القرآن، وأقلّ تركيزًا في علاقته بيوسف، وأكثر تدخلًا في حياة كل الشخصيات الكثيرة، في حينّ أنّ الإله في القرآن يتدخّل في حياة رسوله ويوجهها بصورة دائمة، وتبقى الشخصيات الأخرى باهتة وأقل وضوحًا».[1492].. وهذا فارق مهم؛ لأنّه يظهر (غائيّة) القصّة القرآنيّة وارتباطها المباشر بتوجيه رسالة إيمانيّة محكمة إلى القارئ، وابتعادها عن هم التشويق السردي.

الخامس والثلاثون:

يظهر القرآن أنّ غاية المؤمن لا يمكن أن تكون إلا في طلب الراحة والنعيم في الجنّة؛ فهذا نبيّ الله «يوسف» عليه السلام يقول –وهو يعدد نعم الله سبحانه عليه-:{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي

1490 سورة يوسف/ الآية (83)

1491 محمد صالح المنجد، 100 فائدة من قصة يوسف (نسخة إلكترونيّة)

1492 Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,' in The Muslim World, January 1985,* V. 75, N.1, p.5

مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين}1493.. وهذا مآل كلّ محسن: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا}1494 .. وتغيب هذه اللفتة البديعة عن التوراة !

السادس والثلاثون:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد قدّم الطعام إلى إخوته لما قَدِموا عليه، وأنّه قَدَّم لهم الخمر، وشرب «يوسف» منه معهم؛ حتّى سكروا جميعًا 1495، ولا أثر لهذا المنكر القبيح في القصّة القرآنيّة.

السابع والثلاثون:

1493 سورة يوسف / الآية (101)

1494 سورة النساء/ الآية (69)

1495 تكـوين 43/34، النص العـبري يقـول «**וישתו וישכרו עמו**» (ويشتو ويشكرو عِمّو) «وشربوا وسكروا معه» وقد حاولت بعض الترجمات أن تترجم كلمة «وسكروا» إلى معنى آخر؛ وذاك أولًا: لا ينفي أنّ «يوسف» قد قدّم الخمر إلى أخوته، وأنهم شربوا هذا المسكر، وثانيًا: النص العبري يستقيم بصورة جليّة مع القول إنّ معناه هو أن الإخوة قد (سكروا مع أخيهم) وهو نفس المعنى الوارد في الترجمة السبعينيّة: «επιον δε και εμεθυσθησαν μετ' αυτου»، والترجوم الآرامي: «**ושתיו ורויו עמיה**» والبشيطا السريانيّة: «□□□□□ □□□□□□ □□□» والفولجات: «Biberuntque et inebriati sunt cum eo»، ثالثًا: الترجمات العربيّة (على غير عادتها) لم تتبع شذوذات بعض الترجمات الغربيّة، ووافقت المعنى الصحيح!

تذكر التوراة أنّ ((يوسف)) قد أقام مناحة لمدة سبعة أيام على وفاة أبيه.1496 وهو أمر يعارض تجلّد الأنبياء، وصبرهم، ورضاهم بالقضاء والقدر؛ ولذلك لا نرى له ذكرًا في النصّ القرآني.

الثامن والثلاثون:

تزعم التوراة أنّ ((يوسف)) عليه السلام قد قارف الكذب صراحة؛ وذلك عندما قال لإخوته: ((أنتم جواسيس، وقد جئتم لاكتشاف ثغورنا غير المحميّة))1497وقد سجنهم لأجل ذلك ثلاثة أيام1498، واتهمهم بسرقة كأسه الفضيّة1499 .. ولم يرد في القرآن الكريم شيء من ذلك.. أمّا ما فعله ((يوسف)) عليه السلام من استدراج إخوته حتى يتركوا له أحدهم بأن وضع أحد النفائس في رحله؛ فكما قال الإمام ((أبو محمد ابن حزم)):

((وأما قول يوسف لإخوته: إنكم لسارقون، وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم، فقد صدق عليه السلام، لأنهم سرقوه من أبيه وباعوه .

ولم يقل عليه السلام إنّكم سرقتم الصواع، وإنما قال: نفقد صواع الملك، وهو في ذلك صادق؛ لأنه كان غير واجد له فكان فاقدًا له بلا شك))1500..

1496 انظر؛ تكوين 50/10

1497 تكوين 42/9

1498 انظر؛ تكوين 42/17

1499 انظر؛ تكوين 44/1-6

1500 ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/ 297-298

كما يمكن أن يقال أيضًا إنّ القرآن يقول: { أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون }[1501] فالمؤذّن غير «يوسف» عليه السلام، ويبدو أنّه لم يطّلع عل خطة «يوسف» التي دبّر أمرها سرًّا، فقال بما ظهر له من غياب صواع الملك لما همّ القوم بالانصراف[1502].. علمًا أنّ التوراة نفسها قد شاركت القرآن في تقرير وضع «يوسف» لأحد ممتلكات الملك[1503] في بضاعتهم.

التاسع والثلاثون:

أشار التعليق الكاثوليكي على ترجمة «*The New American Bible*» تحت الفصل 45/ 9- 15 إلى أنّ نصّي تكوين 46/ 31 و 47/ 5أ –وهما يعودان إلى المصدر اليَهَوِي – يذكران أنّ «يوسف» هو من استدعى باسمه أباه وإخوته إلى أرض مصر .. في حين أنّ نصّ تكوين 45/ 16-20 –وهو يعود إلى المصدر الإلوهيمي-يذكر أنّ فرعون هو من قام بدعوة أهل «يوسف» للهجرة إلى مصر.

الأربعون:

ذكرت التوراة[1504] أنّ «يوسف» عليه السلام قد سكن هو وإخوته أرض رعمسيس، وهذا خطأ تاريخي لأنّ كلمة

1501 سورة يوسف/ الآية (71)

1502 انظر؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ت/ عبد الرحمن اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1423هـ، 2002م، ص 402-403

1503 تذكر التوراة أنه أمر بوضع طاسة الفضة في رحل أخيه «بنيامين».

1504 تكوين 47/ 11

«رعمسيس» لم تستعمل قبل الأسرة التاسعة عشر (1194-1308ق.م) وليس منذ عصر الهكسوس (حوالي 1575-1725 ق.م) أي عصر «يوسف» الصدّيق، عليه السلام[1505]. وقد اعترف التعليق الكاثوليكي على الكتاب المقدس «*The New American Bible*» في تعليقه على تكوين 47 /11 بهذه الزلّة التاريخية.[1506]

الواحد والأربعون:

جاء في التوراة أنّ «يوسف» قد حلم أنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة له، وأنّه لما قصّ هذا الحلم على أبيه؛ انتهره أبوه، وقال له: «أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقًا أنني وأمك وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟»[1507]، ويفهم من التوراة ذاتها أنّ أمّ «يوسف» قد توفيت قبل فترة طويلة من سَفر «يعقوب» وأبنائه إلى «يوسف» في مصر بعد أن صار ذا حظوة عند حاكمها[1508] .. وهنا تخطئ التوراة نفسها؛ إذ لا معنى لحلم «يوسف» النبي الذي هو في حقيقته رؤيا حق؛ مادام أنّ أمّه قد توفيت قبل أن يخرج من المحنة..

1505 د. محمد بيومي مهران، إسرائيل، 3/ 111

1506" The region of Rameses: … The name Rameses, however, is an **anachronism**, since this royal name did not come into use before the end of the fourteenth century B.C., long after the time of Joseph." (*The New American Bible*, p.54)

1507 تكوين 37/10

1508 انظر؛ تكوين 35/18

وفي المقابل، يظهر كمال القصّة القرآنيّة وتناسقها في هذا الموضع بعينه؛ إذ قد بدأت القصّة بقوله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْـكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ هَـذَا الْقُـرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَـرَ كَوْكَبًـا وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـاجِدِين}1509وختمت بقولـه تعـالى {وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِن قَبْلُ قَـدْ جَعَلَهَـا رَبِّي حَقًّا}1510 .. وهنا أصلح القرآن خطأ التـوراة في مناقضـتها لمـا دلّت عليـه الرؤيـا من بقـاء أم «يوسف» حيّة حتّى تلقاه مُمَكّنًا في الأرض.

الثاني والأربعون:

القـرآن الكـريم وحـده هـو الـذي يشـير في ختـام قصـة «يوسف» مـع أبيـه وإخوتـه إلى تحقيـق حلمـه الأول: {فَلَمـا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِين وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَـا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِن قَبْـلُ قَـدْ جَعَلَهَـا رَبِّي حَقًّا وَقَـدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّـجْنِ وَجَـاء بِكُم مِّنَ الْبَـدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيـفٌ لِّمَـا يَشَـاء إِنَّهُ هُـوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم رَبِّ قَـدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْـكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الـدُّنُيَا وَالآخِـرَةِ تَـوَفَّنِي مُسْـلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين}1511

1509 سورة يوسف/ الآيتان (3-4)
1510 سورة يوسف/ الآية (100)
1511 سورة يوسف / الآيات (99 – 101)

وهكذا تبدو القصة كتلة واحدة، تقود مقـدمتها إلى خاتمتهـا، ويتصل أوّلهـا بآخرهـا، وهكـذا أيضًـا يتجلى صـدق وعـد اللـه لعباده الصالحين .. في حين تتجاهل التـوراة مـا ذكرتـه هي نفسها في بداية القصّة من أمر رؤيا «يوسف» عليه السلام.

الثالث والأربعون:

يفهم من تكوين 44/20ـ «ولد شيخوخة صغير» «**ילד זקנים קטן**» و44/22ـ «الغلام» «**הנער**» أنّ «بنيامين» كان طفلًا لما سـافر مـع إخوتـه إلى مصـر، في حين يفهم من تكـوين 46/21 أنّه كان «لبنيـامين» عشـرة أولاد بعـد فـترة قصـيرة من الحـدث السـابق، وقـد أهملت الروايـة القرآنيّـة هـذه الجزئيّة المتناقضة.

الرابع والأربعون:

جـاء في تكـوين 50/13 أنّ «يعقـوب» قـد دفن في حقـل المكفيلة، في حين يفهم من سفر أعمال الرسـل 7/16 أنّ «يعقـوب» قـد دفن في «شـكيم»، وليس في القـرآن هـذا التفصيل المتناقض.

الخامس والأربعون:

جاء في تكوين 32/28 و35/10 أنّ الربّ قد وعد «يعقـوب» ألاّ يناديه «يعقوب» وإنّمـا أن يطلـق عليـه اسـم «إسـرائيل»، في حين جاء في تكوين 46/2 أنّ الربّ قد نادى «يعقـوب»: «يعقـوب! يعقـوب!» .. وليس في القـرآن الكـريم من هـذا التناقض شيء!

السادس والأربعون:

جاء في تكـوين 46/4 وعـد الـربّ ((يعقـوب)) أن يأخـذه إلى مصر، ثم يردّه منهـا، في حين يفهم من تكـوين 28/47-29 أنّ ((يعقوب)) قـد مـات في مصـر .. وليس في القـرآن هـذا التناقض!

السابع والأربعون:

جاء ذكر أولاد ((بنيـامين بن يعقـوب)) في قصّـة ((يوسف)) في تكوين 46/21 على أنّهم عشـرة أولاد، في حين أنّ عـددهم في سـفر العـدد 26/38-40 أربعـة، أمّـا عـددهم في أخبـار الأيام الأوّل 7/6 فهو ثلاثـة، ويبلـغ عـددهم في أخبـار الأيـام الأوّل 8/1-2 خمسة، والأغرب من ذلـك أن هـذه القـوائم لا تشـترك إلاّ في اسـم واحـد، هـو ((بـالع))! وليس في القـرآن الكريم شيء من هذا التناقض!

الثامن والأربعون:

جـاء في تكـوين 46/27 وخـروج 1/5 أنّ عـدد أفـراد عائلـة ((يعقوب)) الذين سافروا معه إلى مصـر يبلـغ سـبعين نفسًـا، في حين يخبرنا سفر أعمـال الرسـل 7/14 أنّ عـددهم 75 نفسًا، وليس في القرآن الكريم هذا ولا ذاك.

التاسع والأربعون:

جاء في تكوين 84/3 إخبار ((يعقوبُ)) ((يوسفَ)) أن الربّ قـد تجلّى لـه سـابقًا، في حين ينفي القــرآن تجسّـد الــربّ أو ظهوره لخلقه في الدنيا!

الخمسون:

جاء في تكوين50/2-5:ـ ((ثم أمر يوسف عبيـده الأطبـاء أن يحنطوا أبـاه. وقـد اسـتغرق ذلـك أربعين يومـا، وهي الأيـام

المطلوبة لاستكمال التحنيط. وبكى المصريون عليه سبعين يوما»، ويقـول د. «محمـد بيـومي مهـران»: «هـذا في الواقـع خطأ؛ ذلك لأنّ مدّة التحنيط إنّما كانت سـبعين يومًـا- وليس أربعين يومًا- على أرخص الأنواع، ولأفقر النـاس، وأنّ هنـاك أنواعًـــا ثلاثـــة من التحنيـــط، وهي-إن اختلفت في المـــواد المستعملة، أو في كيفيّة التحنيط- فإنّها إنّمـا تتّفـق جميعًـا، على أنّ مدّة التحنيط إنّما كانت سبعين يومًا.»[1512]

الخلاصة : إنّ هذه الاختلافات البيّنة بين قصّة «يوسف» عليه السلام في القرآن الكريم ومقابلها في التوراة، لتظهر بوضوح وتقطع بيقين أنّ النصّ القرآني ليس مقتبسًا من التوراة، وأنّه وحي من ربّ العالمين؛ لأسباب عدّة ظهرت مما سبق، ولعلّنا نلخصها في:

1-خلوّ النصّ القرآني من الأخطاء التاريخية والعلميّة الواردة في النص التوراتي.

2-خلو النصّ القرآني من التناقضات الواردة في النصّ التوراتي.

3-تناسق الرواية القرآنية، ومراعاتها للمنطق التاريخي والروائي، في حين أنّ الرواية التوراتية جمعت إلى التذبذب، ذكرَ تفاصيل لا تتناسق مع المنطق التاريخي وحركة الأحداث داخل نفس القصة.

4-تناسق الرواية القرآنية مع مجموع الحقائق الإسلامية؛ فهذه القصة تشكلّ قطعة متوائمة مع بقية البنية الإسلامية،

1512 محمد بيومي مهران، إسرائيل، 3/228-229

في حين تتعارض الرواية التوراتية مع جوانب من مسلّمات اليهود والنصارى.

5-تشبّع النصّ القرآني بجملة من الحكم والمواعظ والحقائق الإيمانية، في حين لا يحتلّ هذا الأمر في النصّ التوراتي إلا حيزًا ضئيلًا مع ما فيه من تفاصيل تهدمه من الداخل.

6-التقرير القرآني لعصمة الأنبياء، ومخالفة التوراة لذلك.

8-محافظة القرآن على نظمه المعجز الذي فاق قدرة أئمة البيان في زمن الذروة مع مراعاة إيراد الأخبار التاريخيّة الدقيقة...

وقد خَلُصَت الناقدة ((مارلين ر. ولدمان)) في بحثها إلى القول: ((سأقول بعد المقارنة بين القصّتين إنّه رغم وجود تقارب شكلي كبير بينهما؛ إلا أنهما لا تسوقان القصّة بنفس الأسلوب من النواحي الموضوعيّة (thematic) واللاهوتيّة والأخلاقيّة... إنّهما تختلفان عن بعضهما من نواحي بدهيّة وأساسيّة.))[1513]

1513 Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,' in The Muslim World, January 1985,* V. 75, N.1, p.5

ليس يحسن بالعاقل أن يكتفي بعد هذه الرحلة الطويلة في أغوار شبهات المنصّرين أن ينصرف دون أن يكشف القناع بأكمله عن وجه الحقيقة؛ لتسفر في وضاءتها على الصورة النقيض من التي كانت عليها لما أُسبل ستر الزور على وجهها .. ولذلك حقّ علينا أن نرد سهم الإفك إلى من أرسله طائشًا، ونثبت التهمة .. ولكن .. في الأسفار المقدّسة للكنيسة وفي العقائد الثابتة فيها.

فاقرأ .. وتأمّل .. فقد أشرق الصبح!

أولا: أثر العقائد القديمة وثقافاتها في العهد القديم

بعيدًا عن أجواء الفكر (الشعبي) الذي تروّج له الكنائس العربيّة حيث تتقافز رجلا «أم الإله» يسوع فوق منارات الكنائس .. ويخرج المسيح من تحت اللحاف لينير قلب الشابة التائهة .. ويدخل من ثقب الباب كمعجزة لهذا القديس أو ذاك .. ويطير الربّ في (لَفّة) سريعة عند القُدّاس، والناس على الكراسي (يتأرجحون) فرحًا وهم يبصرونه على شكل حمامة[1514]!!! .. بعيدًا عن ذلك، تصدر المنصّات العلميّة (نغمات) تأباها آذان (المؤمنين الشعبويين) الذين (يتنطّطون) فرحًا للخرافات التي (تُكوى) بها آذانهم!

***

1514 كلّ هذه (العجائب) الباردة(!)، شائعة إلى درجة (الإملال) في الكنائس التقليديّة في العالم العربي ..!

لقــد اســتقرّ اليــوم في الخطــاب العلمي الأكــاديمي في الجامعـات الغربيّـة المهتمـة بدراسـة النصـرانيّة وأسـفارها وعقائدها، أنّ العهد القديم يضـم بين دفّتيـه خرافـات كثـيرة وأساطير عريقة.

كـان الجهـد العلمي منصـبًّا على دراسـة الأسـفار الخمسـة الأولى الــتي تنســب إلى «موسى» عليــه الســلام. ويعتــبر «يوليوس فلهاوزن» «Julius Wellhausen»[1515] أهم ناقـد قضـى على ألوهيّة هذه الكتب وألحقها (بالقصص الشعبي) بعـد أنّ قــدّم نظريّتــه المســمّاة (*The documentary hypothesis*)[1516] والـتي اكتسـحت السـاحة العلميّـة في الغـرب، مقـرّرة أنّ أسفار «موسى» -عليه السلام-الخمسـة، ليسـت من تـأليف هذا النبي، وإنّما تعود إلى مصادر أربعة:

المصـدر اليهـوي: كتب سـنة 950 ق.م في مملكـة يهـوذا. يستوعب نصف سفر التكوين ونصف سفر الخروج ومقاطع من سفر العدد. سمّي بالمصـدر اليهـوي لأنّ الـربّ يُسـمَّى فيه «يَهْوَه» «**יהוה**».

المصدر الإلوهيمي: كتب سنة 850 ق.م في شمال مملكــة إسرائيل. يستوعب ثلث سفر التكوين ونصف سفر الخــروج

1515 يوليـــوس فلهـــاوزن (1844م-1918م): لاهـــوتي. من أئمـــة الاستشراق والدراسـات الكتابيّـة. قـدّم نظريتـه لـ«فرضـيّة الوثـائق» في كتابــه: «مقدمــة لتــاريخ إســرائيل» «*Prolegomena zur Geschichte Israels*»، وفي الكتــاب الســابق لـــه «تكـــوين الكتب الســـتة» «*Die Composition des Hexateuch*».

1516 هـو أهم من عرضـها بوضـوح وتـرتيب للمصـادر، ولم يـأت بهـا من فراغ، وإنما أكمل جهـود النقـاد السـابقين، بترتيبهـا أساسًـا. ولعظم دوره فيها، سميّت هذه النظريّة باسمه (*Wellhausen hypothesis*).

ومقـاطع من سـفر العـدد. سـميّ بالمصـدر الإلـوهيمي لأنّ الربّ يُسمى فيه ((إلوهيم)) ((**אלהים**)).

المصدر التثنوي: كتب سنة600 ق.م في القدس. يستوعب سفر التثنية. وفيه يسمى الربّ ((يهوه إلهنا)) ((**יהוה אלהינו**)). وهـو لا يقتصـر على سـفر التثنيـة، بـل يشـمل كـذلك سـفر يشوع والقضاة والملوك.

المصدر الكهنوتي: كتب سـنة 500 ق.م من طـرف الكهنـة الهارونيين أثناء السبي البابلي.

ثم قام المحررون بـدمج هـذه المصـادر الأربعـة في بعضـها البعض، لتتشكّل الأسـفار الخمسـة على صـورتها المعروفـة اليـوم في منتصـف القـرن الخـامس قبـل الميلاد، أي بعـد قرابـة ثمانيـة قـرون من وفـاة كاتبهـا الافتراضـي ((موسى)) عليه السلام.

رغم أنّ نظريّة المصادر الأربعة قد لقيت مواجهة عنيفة في بدايتها، وطُـرد عـدد من المنـافحين عنهـا من وظـائفهم في الجامعات، إلاّ إنّه مع نهاية القرن التاسع عشر وجدت قبـولًا كبـيرًا من النقّـاد البروتسـتانت، والتحـق بهم النقـاد اليهـود والكاثوليــك –باســتثناء (المحــافظين منهم)- في منتصــف القرن العشرين.[1517]

ويؤكّد الناقدان المحافظان ((ريمونـد ب. دلارد)) ((Raymond B. Dillard)) و((ترمبر لنغمان)) ((Tremper Longman)) أنّه حتى النقـاد الإنجيلـيين –على مـا فيهم من تعصّـب- يعـترفون اليـوم أنّ الأسفار الخمسة الـتي تنسـب إلى ((موسى)) عليـه السـلام،

1517 انظر؛ Michael David Coogan, *The Old Testament: a very short introduction*, New York: Oxford University Press US, 2008, p.16

تضمّ مـواد سـابقة ((لموسى)) عليـه السـلام، وأخـرى لاحقـة له![1518]

وقد اعترف الفاتيكان نفسه بهذه الحقيقة في الفقرة (33) من المرسوم البابوي ((*Encyclical Divino Afflante Spiritu*))[1519] (1943م) حيث طلب من المفسرين الكاثوليـك أن يسـتفيدوا من المناهج والدراسات الحديثة لمعرفة ((المصادر المكتوبـة أو الشفهيّة التي لجأ إليها (كتّاب الأسفار المقدّسة)))[1520]

وقـد أورد الأب اليسـوعي (الكـاثوليكي) ((روبـير بنـدكتي)) اعترافـات (صـادمة!) في كتابـه: ((الـتراث الإنسـاني في التراث الكتـابي، إشـكاليّة الأسـاطير الشـرقيّة القديمـة في العهد القديم)) – تغني عن كلّ حجة من الممكن أن نوردهـا، ومنها قوله:

((تتمتـع مسـألة الاتصـالات الثقافيـة، الـتي تمت بين تـراث الكتاب المقدس ودائرة الثقافات الشرقية القديمة، بأهميـة كبرى لفهم العهدين القديم والجديد فهمًـا صـحيحًا وسـليمًا. لقد اكتشف دارسو ثقافات الشرق القديم منـذ نيّـف وقـرن أن الثقافـات المصـرية والسـومرية والبابليـة الأشـورية قـد أسهمت إسهامًّا هامًّا في تكوين آداب العهد القديم، وتشكّل بعض مفاهيمه ومقولاتـه وصـياغة بعض تصـوراته. من هـذا

1518 انظـر؛ Raymond B. Dillard and Tremper Longman, *An Introduction to the Old Testament*, Michigan: Zondervan, 1994 ,p.47

1519 معنى عنـوان المرسـوم ((مـوحى من الـروح الإلهية))، وقـد أصـدره البابـا ((بيـوس الثـاني عشر)) إعلانًـا عن مرحلـة جديـدة من الدراسـات الكاثوليكيّة للكتاب المقدس، يُسمح فيها بالاستفادة الجزئيـة من المنـاهج والمعارف الحديثة.

1520 David A. Lysik, ed. *The Bible Documents: a parish resource*, Chicago: LiturgyTrainingPublications, 2001, p.22

المنطلق، يُطرح السؤال بإلحاح حول كيفية علاقات تراث الكتاب المقدس وثقافات الشرق القديم. فقد لقي هذا السؤال أجوبة مختلفة. أثبت فريق من الكتاب أن الكتاب المقدس ملفّق من عناصر ثقافية مقتبسة من الشرق القديم، مما حدا بهم إلى اعتباره "سرقة" "ونهبًا" أدبيين. لم يصمد هذا الرأي أمام النقد العلمي الذي بيّن أصالة الخبرة الروحية التي ولّدت تراث العهد القديم وحافظت على هويته الثقافية خلال قرابة ألف سنة: من بزوغ الارهاصات الأولى للتقاليد الشرعية (في عصر موسى: القرن 13 ق. م.) إلى صياغة "كتب الشريعة الخمسة" النهائية على يد الفقيه عزرا (أوائل القرن .4 ق. م.)، وذلك على الرغم من التفنن المدهش في ألوانه الأدبية. ثم وقف فريق آخر من رجال الفكر المسيحي موقف الدفاع عن أصالة "الكتاب الموحى" نافيًا نفيًا قطعيًّا إمكانية تأثره "بالثقافات الوثنية". يمثل هذان الجوابان موقفين متطرفين، فهما لا يتعاملان مع الوقائع التاريخية تعاملاً موضوعيًا، بل يقفان منها موقفًا مسبقًا يصطبغ بصبغة أيديلوجية أو لاهوتية.

لقد غدا من باب البديهيات أن الكتاب المقدس، في عهديه القديم والجديد، تعامل مع محيطه الثقافي فعّالًا، وأقام معه علاقات الأخذ والعطاء. وعليه فإن التراث الكتابي جزء لا يتجزأ من التراث الإنساني العام الذي تمثّل في الثقافات الشرقية القديمة.))[1521]

1521 روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، إشكالية الأساطير الشرقيّة القديمة في العهد القديم، بيروت: دار المشرق، 1990م، ط2، ص6

((ذكرنا آنفًا أن "الكتب الخمسة" ليست بنت لحظة عمل واحد، بل هي إنتاج تراث ثقافي روحي، مما لم يعد ممكنًا أن ننسبه إلى شخصية مبدعة (موسى). فقد اكتشف النقد الأدبي، وراء نص الكتب الخمسة، أعمالًا أدبية مختلفة ومؤلفين عدة، بل مجموعات من المؤلفين. ويدلّنا النص نفسه على فروع التراث التي انصهرت في هذا العمل الأدبي.

ثمة أدلة مختلفة تكشف عن وجود فروع التراث هذه، منها الأسلوب عامة، واستعمال الألفاظ والمصطلحات والأسماء – مثلًا اسم الله ويهوه وإبراهيم-، والمفاهيم والمناهج اللاهوتية وما إلى ذلك.))[1522]

وقال عن مؤلّف النص اليَهَوِي: ((تعم فكرة الله الأوحد، رب السماء والأرض، فكر اليَهَوِي، إلا أنه لا يستطيع أن يعبّر عن هذا المفهوم الراقي لله، ليس هو مفكرًا لاهوتيًا، بل هو قصّاص بارع، يستعين بالفن القصصي كي يعبّر عن أفكار مجردة، فيصوّر الله بصورة الإنسان (تك 1/18-33)، بل لا يخشى أن يلتجئ إلى الأساطير البابلية في حديثه عن الله (تك 2/4-3/24).))[1523]

((اكتشف دارسو العهد القديم، منذ قرن ونيف، أن أسفار هذا العهد تضمّ نصوصًا شتى تتسم بصفات أساطير الشرق القديم، بل وأكثر من ذلك، فقد استعان مؤلفو روائعها بنصوص أسطورية.))[1524]

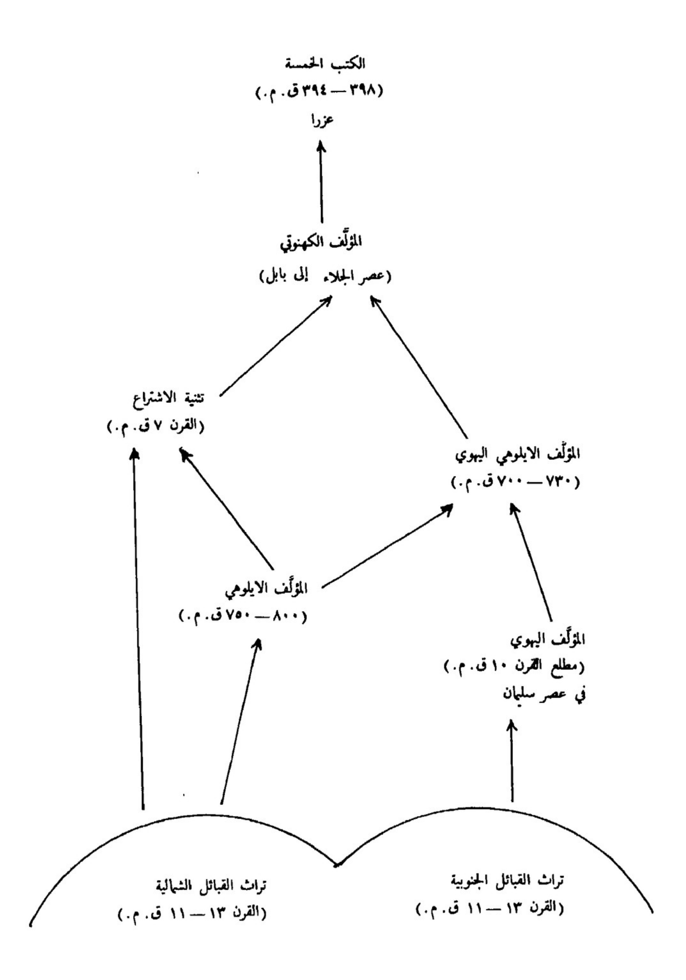
1522 المصدر السابق، ص 12-13
1523 المصدر السابق، ص 13
1524 المصدر السابق، ص 24

«أما "تاريخ البدايات"[1525]، فخلافًا عن ذلك لا يقبـل التـأريخ الدقيق ولا يحتوي معلومات موضوعية يمكننـا التحقـق منهـا بواسـطة أدوات علم التـاريخ النقـدي. ثم إنّـه لا يتناسـق وأحداث تاريخ الشرق القديم المعروفة، وكذلك لم يكتشـف عالم آثاره في بلد من البلدان ... إن هـذا المفهـوم (لتـاريخ البـدايات) لم يصـمد أمـام العلـوم النقدية، والتمسـك بهـذا المفهوم يحملنا على تشويه مغزى «تاريخ البدايات» ومعنـاه اللاهوتي.» [1526]

«وحين دمج الـتراث "تـاريخ البـدايات" في تـاريخ العهـد القديم، أي أدغم هذه القصة الأسـطورية في إطـار تـاريخي وسـياق أدبي شـامل، جعـل من القصـة الأسـطورية تـأملًا لاهوتيًا وقصة فلسفية يتساءل فيها عن معنى التاريخ اللاحق كله. »[1527]

مصادر أسفار «موسى» الخمسة، كما قدّمها
الأب اليسوعي روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص21

1525 ما يرويه سفر التكوين 1-11
1526 المصدر السابق، ص 25
1527 المصدر السابق، ص 25-26



لم تسعف أحدث الدراسات –آخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين- الأسفار الخمسة من (محنة نظرية المصادر الأربعة) بل زادتها رهقًا، وزادت فيها النكاية؛ حتّى قال الناقد «دوغلاس ك. ستوارت» (Douglas K. Stuart) عند حديثه عن منهج «النقد المصدري» (*Source Criticism*) الذي يهتم في الدراسات الكتابيّة بالكشف عن المصادر التي اعتمدها المؤلّف أو المحرّر: «يطبّق هذا

المنهج في الأغلب على الأسـفار الخمسـة الأولى، وبدرجـة أقـل على الأسـفار التاريخيّـة، وهـو يحـاول تـبيّن الوثـائق المكتوبة المتعددة التي استعملها المحـرّر الأخـير (للأسـفار الخمسة الأولى مثلًا) لإنتـاج العمـل في تمامـه. هـذا المنهج النقـدي كثـيرًا مـا ينظـر إليـه اليـوم على أنّ الأبحـاث قـد تجاوزته؛ لأنّ "المصـادر" البشـريّة للعهـد القـديم هي اليـوم أشد تعقيدًا وأعسر على الكشف أو التمييز من بضعة وثائق مكتوبة.)) [1528] ، وذلـك رغم اعترافـه أنّ نظريّـة الوثـائق الأربعـة لازالت تلقى قبـولًا عنـد المتخصصـين في دراسـات العهد القديم!

لقد ((اتّسع الخرق على الراقع!))

إنّ تشتت نصوص الأسفار الخمسة بين مصادر متباعدة، بل ومتشاكسة، متعارضة، قد صار من مسلّمات النقد الحديث، وطـويت صـفحة نسـبة هـذه الأسـفار كمـا هي اليـوم إلى ((موسى)) عليه السلام.

ولا شـك أنّ البـاحث المسـلم يوافـق الدراسـات الأكاديميّـة الغربيّـة قولهـا بتعـدد مصـادر هـذه الكتب لأسـباب ذكرهـا البحث الحديث، وأخرى حررهـا أئمتنـا منـذ كتـاب ((الفِصَـل)) للإمام ((ابن حزم)) بتقريرها تحريف هذه الأسفار. والتحريـف كاشـف عن يـد دخيلـة امتـدت إلى النص زيـادة أو حـذفًا أو تبـديلًا. ولا يعـني ذلـك أنّ البـاحث المسـلم يوافـق النقـاد الغربيين تفصيلات تقسيمهم للمصادر وتأريخهـا، فـذاك أمـر اجتهادي قابل للأخذ والرد عمومًا.

1528 Douglas K. Stuart, *Old Testament Exegesis: a handbook for students and pastors*, Kentucky: Westminster John Knox Press, 2001, 3rd edition, p.122

وقـد قـاد البحث في المصـادر الشـكليّة لهـذه الأسـفار إلى التفــتيش عن المصــادر الموضــوعيّة لقصصــها وأفكارهــا؛ وكانت النتيجة (كارثيّة) ناسفة لفكـرة ربانيـة هـذا النصـوص المقدســة في مجملهــا؛ وفي ذلــك يقــول كتــاب التعليــق التــاريخي على العهــد القــديم «*The IVP Bible Background Commentary: Old Testament*» إنّه: «بالإمكان إظهار العديد من التوافقات بين أساطير الشرق الأدنى القـديم ونصـوص من العهد القديم ومفاهيم منه.»[1529]

وتعتبر شهادة مدخل سفر التكـوين من الترجمـة الفرنسـيّة المسـكونية للكتـاب المقـدس –وقـد تبنتـه أيضًـا ترجمـة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة- خير ملخّص لما انتهى إليه النقد الأكاديمي الغربي في هذا الشأن: «لم يتردد مؤلفـو الكتـاب المقدس، وهم يـروون بدايـة العـالم والبشـرية، أن يسـتقوا معلومـاتهم بطريقـة مباشـرة أو غـير مباشـرة من تقاليـد الشرق الأدنى القديم، ولا سيما من تقاليـد مـا بين النهـرين ومصر والمنطقة الفينيقيـة الكنعانيـة. فالاكتشـافات الأثريـة منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصـفحات الأولى من سـفر التكـوين وبين بعض النصـوص الغنائية والحِكَمية والليتورجية الخاصة بسومر وبابـل وطيبـة وأوغاريت. ولا عجب في ذلك، عنـد من يعلم أن البلاد الـتي أقام فيها إسرائيل كانت منفتحة على المـؤثرات الخارجيـة.

1529 John H. Walton, Victor Harold Matthews and Mark William Chavalas, *The IVP Bible Background Commentary: old testament*, IL: InterVasity press, 2000, p.30

وإلى جـانب ذلـك، كـان شـعب اللـه في تاريخـه على صـلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى.»[1530]

وكـان قـد جـاء في مقدمـة الترجمـة العربيـة للرهبانيـة اليسـوعية -هـذه الترجمـة الرائجـة بين النصـارى العـرب، والـتي تنتصـر للقـول إنّ الكتـاب المقـدس كلمـة اللـه!-: «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عُرفوا بأنهم لسان حـال اللـه في وسـط شـعبهم. ظـل عـدد كبـير منهم مجهـولًا، لكنهم، على كـل حـال، لم يكونـوا منفـردين، لأن الشـعب كـان يسـاندهم، ذلـك الشـعب الـذي كـانوا يقاسمونه الحيـاة والهمـوم والآمـال، حـتى في الأيـام الـتي كـانوا يقاومونـه فيهـا. معظم عملهم مسـتوحى من تقاليـد الجماعة. وقبـل أن تتخـذ كتبهم صـيغتها النهائيـة، انتشـرت زمنًا طويلًا بين الشعب وهي تحمل آثـار ردود فعـل القـرّاء، في شكل تنقيحات وتعليقات وحتى في شكل إعـادة صـيغة بعض النصوص إلى حد مهم أو قليل الأهميـة. لا بـل أحـدثُ الأسفار ما هي أحيانًا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة.»[1531]

ويأتيـك الآن التفصـيل حتّى تنمحي غيمـة الشـك من سـماء المرتـاب، ويـزداد الـذين آمنـوا (بخرافيـة كثـير من هـذه النصوص) إيمانًا.

قصص وعقائد مقتبسة:

- **خلق الكون:**

1530 ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص 66

1531 ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص 30

أقرّ الحبر «جولين مورنجشترن» (Julian Morgenstern)[1532] في كتابه «تفسير يهودي لسفر التكوين» (A Jewish Interpretation of the Book of Genesis)، -عند تعليقه على قصّة الخلق في الفصل الأول من سفر التكوين- بما جاء في هذه القصّة من أخطاء علميّة مكشوفة، وقال بوضوح في ردّ التأويلات البعيدة للأحبار في الهروب من الإشكالات العلميّة المطروحة هنا: «من الواضح أنّها لا تعدو أن تكون محاولات فاشلة لتفسير ما هو خطأ تاريخي جلي من طرف المؤلّف، وإن كانت دالة على التقوى وتبجيل (الكتاب). » (it is clear that these are only unsuccessful though pious and reverential attempts to account for what is obviously an anachronism on the part of the author)[1533]

وعقّب بعد ذلك بقوله: «من الملاحظ هنا أن طلبة الدراسات الكتابية اليهود كثيرًا ما يفاجؤون، بل ويصدمون في البداية عندما تُقدّم لهم فكرة أنّ قصة الخلق هذه، وكذلك قصة الطوفان، وعدد من التقاليد والمعتقدات الكتابيّة الأخرى إنما استعيرت من الأساطير البابلية وأدبها.»[1534] في إقرار (عجيب) بخرافية هذه القصص ومصدرها الأسطوري!

- **الشيطان صاحب السلطان:**

1532 جولين مورنجشترن (1881م-1976): حبر أمريكي. أستاذ الكتاب المقدس واللغات الساميّة، ورئيس كليّة الاتّحاد العبري.

1533 Julian Morgenstern, *A Jewish Interpretation of the Book of Genesis*, Ohio: Union of American Hebrew Congregations, 1920 p.43

1534المصدر السابق، ص 44

نصّ العديـد من النقّـاد على أنّ التصـوّر اليهـودي للشـيطان متشبّع بالتصوّر المجوسي الذي يـرى في قـوى الشـرّ كيانًـا متسلطًا على الكون في علاقـة تضـاد موازيـة في القـوة أو تكاد للإله الـذي يمثّـل قـوّة الخـير؛ فليس الشـيطان مجـرّد مخلوق منحـرف عن الحـق يغـوي النـاس، وإنّمـا هـو كـائن معانـد للـربّ ومشـاكس لـه. وقـد ذهب جمهـور النقّـاد إلى اقتبــاس اليهــود من المجــوس عــددًا من مفــاهيمهم عن الشـــيطان، ومنهم «هيـــوم» «Hume» و«مســـاني» «Masani» و«دوشــزن-جــويلمن» «Duchesne-Guillemin» و«نــوس» «Noss» و«تسساينر» «Zaehner».[1535]

وقـد قـال الناقـد «ت. ك. شـاين» «T. K. Cheyne»[1536] عن المجوسيّة: «معرفـة هـذه الديانـة الأولى ضـروريّة للتكـوين الكامل للناقد المتخصص في العهد القديم ... لا عـذر اليـوم لدراسـة ديانـة العهـد القـديم دون مقارنتهـا بالزرادشـتيّة.»[1537]، وهي شـــهادة معلنـــة للأثـــر العميـــق للمجوسيّة/الزرادشتيّة على أفكار العهد القديم!

- **الملائكة أبناء الله:**

جاء في تكوين 6/1-4:ـ «وحدث لما ابتـدأ النـاس يتكـاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبنـاء اللـه

1535 انظـر؛ Lloyd Applegate, *Zoroastrianism and Its Probable Influence on Judaism and Christianity*, in *Journal of Religion & Psychical Research*; Oct2000, Vol. 23 Issue 4, p189

1536 توماس كلّي شاين (1841م-1915م): ناقد كتابي إنجلـيزي. درّس تفسير الأسفار المقدّسة في جامعة أوكسفورد. تميّـز بدعوتـه إلى قـراءة العهد القديم في ضوء المعطيات الأدبيّة والتاريخيّة والعلميّة.

1537 Rustom Masani, *Zoroastrianism: The Religion of the Good Life*, p.20 (عن المصدر السابق, ص195)

إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم. فقال الرب: ((لن يمكث روحي مجاهدا في الإنسان إلى الأبد. هو بشري زائغ، لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط)). وفي تلك الحقب، كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم.))**1538**

ذهب اليهود في: تفسيراتهم الأقدم، ومخطوطات البحر الميت، والترجمة السبعينية –في قراءة1539- أنّ ((أبناء الله)) أو ((أبناء الآلهة)) ((**בני-האלהים**)) (بني هاإلوهيم) هنا هم الملائكة، وهو ما جاء أيضًا في مؤلّفات الكتّاب النصارى الأوائل كـ ((جستين)) و((إيرانيوس)) و((كلمنت السكندري)) و((ترتليان)) ...1540

ومن أهم ما يشهد على هذا التفسير، الكتاب المقدس نفسه، فقد جاء في سفر أيوب 1/6: ((**ויהי היום--ויבאו <u>בני האלהים</u>، להתיצב על יהוה; ויבוא גם השטן، בתוכם**)) ومقابله في الترجمة العربيّة ((الترجمة المشتركة)) –وهي ترجمة اشترك في إعدادها عدد من الطوائف النصرانيّة-: ((وجاء <u>الملائكة</u> يومًا للمثول أمام الرب، وجاء الشيطان أيضا

1538 تكوين 1/6-4

1539 القراءة الشائعة هي ((υιοι του θεου)) ((أبناء الله)) وهناك شواهد على قراءة ((αγγελοι του θεου)) ((ملائكة الله)) (انظر؛ Archie T. Wright, *The Origin of Evil: the reception of Genesis 6.1-4 in early Jewish Literature*, Mohr Siebeck, 2005, p.62)

1540 انظر؛ Gordon J. Wenham, *Word Biblical Commentary, Volume 1: Genesis 1-15*, Dallas, Texas: Word Books, 1998, CD edition

بينهم.». لم يذكر النص العبري «الملائكة» «**המלאכים**» وإنما ذكر «أبناء الله» «**בני האלהים**»، وقد اختارت الترجمة المشتركة ما رأت أنّه دلالة السياق، على حساب المعنى الحرفي، وهو ما يعنى أنّ «الملائكة» في الكتاب المقدس، هم: «أبناء الله»!

يبدو الاعتقاد أنّ الملائكة هم «أبناء الله» مشابهًا لما كان عليه عرب الجاهليّة من أنّ الملائكة «بنات الله»: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا}1541، ويبدو أنّ هذا التصوّر مأخوذ من الأساطير الكنعانيّة التي كانت ترى أنّ الملائكة «أبناء الله» كما أكّده الناقد «كلاوس فسترمان» «Claus Westermann»1542 في تعليقه على سفر التكوين. 1543

- **صراع الرب مع يعقوب:**

«ثم قام في تلك الليلة وصحب معه زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر بهم مخاضة يبوق، ولما أجازهم وكل ما له عبر الوادي، وبقي وحده، صارعه إنسان حتى مطلع الفجر. وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال له: «أطلقني، فقد طلع الفجر». فأجابه يعقوب: «لا أطلقك حتى تباركني.» فسأله: «ما

1541 سورة الإسراء/ الآية (40)

1542 كلاوس فسترمان (1909م-2000م): رُسِّم قسيسًا. درّس العهد القديم في جامعة هايدلبرغ. يعتبر من أئمة دراسات العهد القديم في القرن العشرين.

1543 انظر: Claus Westermann, *Genesis 1-11: a continental commentary*, tr. John J. Scullion, Minneapolis: Fortress Press, 1994, pp.363-383

اسمك؟» فأجاب: «يعقوب». فقال: «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه: يجاهد مع الله)، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت». فسأله يعقوب: «أخبرني ما اسمك؟» فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك. ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (ومعناه: وجه الله) إذ قال: «لأني شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيًّا.»1544

كشف العديد من النقّاد أنّ هذه القصّة (البشعة) التي تتحدّث عن صراع «يعقوب» النبي مع «الله» ربّ العالمين – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- أصلها الأساطير الخرافيّة القديمة التي تتحدث عن صراع (البطل) مع الروح الشيطانيّة التي تحمي النهر، فتظهر ليلًا، وتختفي قبل إشراقة الصبح1545.1546

- **شمشون الجبار:**

«شمشون» «**שמשון**» بطل شعبي إسرائيلي ورد ذكره في سفر القضاة في العهد القديم. وهو يذكر في سياق استحكام العداوة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

تعتبر قصص «شمشون» اليوم مادة شائقة للقصص الساذجة التي تروى للأطفال حيث القوّة الخارقة، والبطولات الغرّة، وللنقّاد في نقاش أصل هذه الشخصيّة مذاهب متنوّعة؛ من أهمّها ربط هذه الشخصيّة بالإله الشمس؛ إذ إنّ أصل اسم «شمشون» من «**שמש**» (شمش) أي شمس، وأصل اسم حبيبته «دليله» «**דלילה**» –في قولٍ-

1544 تكوين 24/32-29

1545 لاحظ: «وقال له: «أطلقني، فقد طلع الفجر».»

1546 انظر؛ Eli Yassif, *The Hebrew Folktale: history, genre, meaning*, tr. Jacqueline S. Teitelbaum, Indianapolis: Indiana University Press, 1999 , pp.12-14

من كلمـــة «**לילה**» (ليلــه) أي «ليل»، ورغم أنّ الموســوعة اليهوديّة (*Encyclopedia Judaica*) لم تأخذ بهذا المذهب بإطلاقه إلاّ أنّهـا اعـترفت بوجـود عناصـر أسـطوريّة في القصـص البطوليّة المرويّــة عن «شمشــون»، وذهبت إلى أنّ أصــل القصّة هو إفـراز فولكلـوري، وأنّ مـا ذكـر فيهـا لا يعـدو أن يكون من جنس «قصص المغامرات الجريئة للبطل الخــارق ضد الأجنبي المعتدي.»1547

ومن هـذه القصـص الشـعبيّة الـتي لا يمكن أن تربـط البتّـة بالوحي الإلهي، وإنما بالخيال الشعبي للأمم القديمة:

«فانحدر شمشون ووالداه إلى تمنـة حـتى بلغـوا كرومهـا، وإذا بشبل أسد يتحفز مزمجرًا للانقضاض عليه، فحل عليــه روح الرب فقبض على الأسد وشقه إلى نصفين وكأنه جدي صغير، من غير أن يكون معـه سـلاح. ولم ينـبئ والديـه بمـا فعل.»1548
«وانطلق شمشون واصطاد ثلاث مئة ثعلب وربط ذيلي كـل ثعلبين معا ووضع بينهما مشعلا، ثم أضـرم المشـاعل بالنـار وأطلـق الثعـالب بين زروع الفلسـطينيين، فـأحرقت حقـول القمح وأكداس الحبوب وأشجار الزيتون.»1549
«وعثر على فك حمار طري، تناوله وقتل به ألــف رجــل، ثم قال شمشون: «بفك حمـار كـومت أكداسـا فـوق أكـداس، بفك حمار قضيت على ألف رجل.»1550

1547 *Encyclopedia Judaica*, 17/750
1548 القضاة 14/5-6
1549 القضاة 15/4-5
1550 القضاة 15/15-16

«وذات يـوم ذهب شمشـون إلى غـزة حيث التقى بـامرأة عاهرة فدخل إليها. فقيل لأهل غزة: «قد جاء شمشـون إلى هنا». فحاصـروا المـنزل وكمنـوا لـه الليـل كلـه عنـد بوابـة المدينـة، واعتصـموا بالهـدوء في أثنـاء الليـل قـائلين: «عنـد بزوغ الصباح نقتله» . وظل شمشـون راقـدا حـتى منتصـف الليــل، ثم هب وخلــع مصــراعي بوابــة المدينة بقائمتيهــا وقفلهـا، ووضـعها على كتفيـه وصـعد بهـا إلى قمة الجبـل مقابل حبرون.»[1551]

وقد كـان سـرّ قـوة هـذا الرجـل في خصـلات شـعره؛ فلمـا حُلقت؛ ذهبت قوّته!![1552]

أسفار مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

• سفر الأمثال:

أثبت العديـد من النقّـاد أنّ سـفر الأمثـال ليس نتـاج وحي سماوي، وإنّما هو انعكاس لحكمة المصريين والكنعانيين:

الحكمة المصريّة: تتـالت الدراسـات العلميّـة الجـادة، منـذ صـدور دراسـة الناقـد «أدولـف إرمـان»، لإثبـات أنّ سـفر الأمثال متأثّر بتعاليم «أمنمـؤوب»[1553] (1100 ق.م)، وقـد حاول البعض إثبات التأثير العكسي من سفر الأمثـال على

1551 القضاة 1/16-3

1552 انظر؛ القضاة 19/16-21

1553 أمنمـؤوب (1100م): حكيم عـاش في مصـر، في أخميم. حفظت تعاليمـه في ثلاثين فصـلًا في قـالب نصـائح أب لابنـه كيـف يحـيى حيـاة صالحة.

تعاليم «أمنمؤوب»، فلم يحالفهم النجـاح، لأسـباب عديـدة، منهـا أنّ الـدلائل تؤكـد سـبق هـذه التعـاليم لكتابـة سـفر الأمثال. وقد ذهب الناقـد «رومهلد» «Romheld» إلى أنّ أدب الحكمة الإسرائيليّة قد استعار من مصر ما أراد، لكنّ هـذا الأدب ذهب مع ذلك إلى وجهته الخاصة التي أرادها.1554

ولخص الناقد «دايف بلاند» «Dave Bland» مذاهب النقّاد في قوله: «هناك تقريبًـا اتفـاق إجمـاعي أنّ مجموعـة الأمثـال الواردة في 22/17-23/11 قـد تـأثّرت بصـورة مـا بعمـل الحكيم المصري المعروف بـ«أمنمؤوب»».1555

الحكمة الشاميّة: دافع عدد من النقّـاد عن الأثـر الكنعـاني الفينيقي على سفر الأمثال من ناحية الأسلوب، والألفـاظ، والنحو، وكان اعتمادهم أساسًـا على الأبحـاث في الـتراث الأوغـاريتي الـتي قـام بهـا «س. أ. ك. سـتوري» «C. I. K. Story».

وقد ذهب الناقد المحافظ «ويليام فوكسـول ألـبرايت» إلى أنّ الأثر الأوغاريتي على سفر الأمثال أعمق من أن يحصر في اللغــة والأســلوب. وبيّن أنّ الحكمــة المجسّــدة في الأمثال 22/8-31 ، وفي الفصل التاسع أيضًا، مأخوذة من الأسـاطير الكنعانيّـة، ومصـدرها الإلهـة الكنعانيّـة «حُكمتو» التي هي ابنة الإله الأكبر «إل».1556

1554 انظر: Roger Norman Whybray, *The Book of Proverbs: a survey of modern study*, Leiden: BRILL, 1995, p.15

1555 Dave Bland, *Proverbs, Ecclesiastes and Songs of Songs*, Missouri: College Press, 2002, p.19

ووسّع مدخل سفر الأمثال للترجمة الفرنسيّة المسكونية للكتاب المقدس –وقد تبنته أيضًا ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة- مصادر الاقتباس في قوله: ((إنّ سفر الأمثال مجموعة قِطَع من مختلف المصادر والتواريخ، أو هو بالأحرى مجموعة مجموعات. إنه يعود إلى الفن الأدبي الذي كان مزدهرًا منذ زمن طويل في الهلال الخصيب وفي مصر، أي إلى الأدب الحِكَمي. هناك أكثر من وجه شبه بين سفر الامثال وما يماثله في النصوص السومرية أو الأشورية البابلية أو الكنعانية أو الحثية أو المصرية، فإن فيها معالجة لمواضيع واحدة بألفاظ واحدة، وفيها أيضًا اقتباسات مباشرة.))[1557]

كلام (كرِستالي) .. ولا مزيد!

• سفر الحكمة:

جاء في مدخل سفر الحكمة من الترجمة الفرنسيّة المسكونيّة للكتاب المقدس –وقد تبنته أيضًا ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة-: ((إن واضع سفر الحكمة هو شاعر ومعلّم روحي أراد أن يضع مؤلفًا شخصيًّا طريفًا. ومع أنه يستقي من ينابيع كثيرة، فإنه يحترز من نقلها كما هي، بل يدخلها بفطنة في كتابه. وهكذا يتصرف في استعماله العهد القديم. فإن الشواهد المأخوذة من النصوص الكتابية السابقة قليلة عنده، مع أن كتابه تغذّيه معرفة وتأمل عميق لهذه النصوص (لا سيما التكوين والخروج وإشعيا والأمثال

1556 انظر؛ Roger Norman Whybray, *The Book of Proverbs: a survey of modern study*, pp.17-18

1557 ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص 1315

وابن سيراخ) التي يبدو أنه طالعها في الترجمة اليونانية السبعينية. ونرى في القسم الأخير أثرًا واضحًا للمدراش، وهو نوع من التفسير اليهودي للنصوص الكتابية، يفسح المجال للتوسيعات الخيالية.

والملاحظة نفسها تصح في الأدب والثقافة الهلينستية. فالكاتب يلجأ بتصرف إلى معارفه في ميادين الشعر والخطابة والعلوم اليونانية، ولا سيما الفلسفة. ويلاحظ القارئ، على سبيل الاستثناء، تكرارًا يكاد يكون حرفيًا لهوميروس أو لأفلاطون ورجوعًا على شيء من الدقة إلى أحد الشروح العلمية أو إلى إحدى النظريات الفلسفية. وتقع أحيانًا على مجرد تلميحات أو ذكريات غير واضحة.

لا عجب أن يكون الكاتب قد استوحى في آن واحد من مؤلفات كتابية سابقة ومن مؤلفات يونانية. فالبيئات الإسكندرية اليهودية تمتاز بهذه الطريقة. إن المواضيع والمعاني الكتابية هي الأساس لكل تفكير لاهوتي، ولكن كثيرًا ما يبحث فيها وتترجم ويوسع فيها بالاستعانة بالمعاني اليونانية. لا بد من التذكير بأن الكاتب يتوجّه من جهة أولى إلى قرّاء يهود نسوا أو كادوا ينسون العبرية وتشرّبوا، على مثال الكاتب، ثقافة هلّينستية، ومن جهة أخرى إلى قرّاء يونانيين يريد أن يقنعهم بتفوق الحكمة اليهودية. وهو يلجأ، في كل من الحالتين، إلى معانٍ يونانية ليجعل تراث إسرائيل الخاص في متناول قرائه. فاهتمامه بالتجديد أو بضم العناصر المأخوذة من حضارة أخرى أقل شأنًا عنده من قصده أن يكون، على وجه فعّال، شاهدًا

أمينًـا للتقليـد اليهـودي. فلا شـك أن القـارئ يلاحـظ نبـذ الكاتب لجميع صيغ عبـادة الأصـنام والفلسـفة الماديـة، أو مقاومته الشديدة للحتمية الفلكية وللأسرار الطقسـية، ولا سيما الديونيسية منها.»[1558]

إنّ هذا السفر الذي يقدّسه الكاثوليك والأرثودكس، قد رتع في أرض الثقافة اليونانيّة، وغيرهـا من الثقافـات الـتي لم تستضـئ بنـور الـوحي، وأخـذ منهـا مـا شـاء .. وليس بعـد الإقرار، فسحة للفرار!

- المزامير:

كان العالم الأمريكي الـدكتور « جيمس هـنري برسـتد» أول من أشار إلى المطابقة بين نشيد إخناتون والمزمور (104) من أسـفار التـوراة، ثم قـام بعمـل مقارنـة بين النصـين- المصري والعبراني- فخرج من بحثه أو أبحاثـه- بـأن ذلـك لا يمكن أن يكـون بسـبب تـوارد الخـواطر بحـال من الأحـوال وإنما المـرجح أن العبرانـيين إنمـا كـانوا على علم بأنشـودة «إخناتون» التي وضعها لإله الشمس.

ومن الـراجح أن يكـون الأصـل المصـري القـديم لأنشـودة «إخنـاتون» قـد انتشـر في فلسـطين أو فينيقيـا قبـل ظهـور المزامـير العبرانيـة بـزمن طويـل، فقـد انتهى «إخنـاتون» (1367-1350 ق. م) من إخراج أنشودته هذه قبل منتصــف القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وقد حدث في أنشودة آتـون تغيـير عظيم، بعـد أن تـرجمت إلى بعض اللغات السامية من لغات آسيا الغربيـة، كاللغـات الفينيقية أو الآرامية أو العبرية على الأرجح، على أنه بفحص الفقرات المشابهة لها في المزمور (104) يظهـر لنـا مـدى

1558 ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص 1396

الشبه بين الصورتين، لا من حيث مضمون أنشودة إخناتون فحسب، بل إننا كذلك، نجد هذا الشبه في تتابع الأفكار، وترتيبها الظاهري، الذي بقي في الرواية الآسيوية العبرية.1559

- نشيد الإنشاد:

طرح النقّاد إشكالًا فيما يتعلّق بسفر نشيد الإنشاد، وهو: لماذا قدّس اليهود سفر نشيد الإنشاد إلى درجة اعتباره ((قدس أقداس الأسفار)) رغم اللغة الجنسيّة الحارة التي تهيمن عليه، وغياب أي ذكر للرب أو لأي معان دينيّة عامة في لفظه!

ولقد كانت أهم الإجابات هي أنّ هذا النوع من الشعر كان قد اخترق الثقافة اليهوديّة، ووجد له مكانًا في الذهنيّة الجماعيّة الإسرائيليّة، مما يسّر له أن يعتلي منصّة الخطاب الديني.

وقد رأى الناقد ((مايكل فوكس)) ((Michael Fox)) أنّ هذه المنظومة الشعريّة موازية لشعر الحب عند المصريين في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد المتميّز بالطابعين الشخصي والشهواني بين شاب وشابة حيث يستغرق كل منهما في التغزل بالمفاتن الجسديّة للآخر. وقد انتشر هذا الشعر بصورة واسعة بما يجيز أن يكون هو مصدر هذا النوع من الشعر الغزلي الإسرائيلي في هذا السفر.

وذهب الناقد ((صاموئيل نوح كرامر)) ((Samuel Noah Kramer)) الذي يعد رائد دراسة الثقافة السومريّة وأدبها، إلى أنّ مراسم الزواج المقدس في الشرق الأدنى القديم تمثّل

1559 محمد بيومي مهران، إسرائيل، 3/295-296، مع تصرف يسير.

خلفيّة سفر نشيد الإنشاد، وبيّن التشابه بين «إننا» و«تموز» وما جاء في نشيد الإنشاد من حيث اللغة التشبيهيّة والوصفيّة والإطار المكاني.[1560]

تشريعات مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

تقول «دائرة المعارف الأمريكية» «*The Encyclopedia Americana*»: «تحتل شريعة حامورابي التي اكتشفت في سوسا في وقت مبكر من عام 1902م على يد المستكشفين الفرنسيين وتحت إشراف «ج. دو مورجان»، أهمية خاصة بالنسبة للشريعة التوراتية. فهي مجموعة من القوانين صيغت بأمر من حامورابي، ملك بابل، الذي حكم عام 2250 ق.م تقريبًا. ومن المرجح أن أجزاء من هذا القانون تعود إلى فترات سبقت فترة حكم حامورابي. ولقد ظل هذا القانون فيما يبدو معمولًا به من غير أن يلحقه أي تغيير أساسي حتى الفترات المتأخرة من تاريخ بابل وأشور.

تظهر المقارنة بين هذا القانون والقوانين التوراتية تشابهات كثيرة للغاية ... التشابهات التفصيلية الكثيرة، متقاربة جدًا، وتصل حتى إلى التشابه في الأسلوب. في غالبية حالات التشابه، تتشابه مادة القانونين، لكن التفاصيل تختلف، فالأسفار التوراتية الخمسة تتميز على نحو خاص بقسوة أشدُّ في العقاب. في بعض الأحيان تعطي القوانين التوراتية تعليمًا يتناقض تناقضًا مباشرًا مع قوانين حامورابي، كما لو كانت الأخيرة في ذهن (المشرع التوراتي). من المهم أن نلاحظ أن جل هذه التشابهات هي مع كتاب العهد في سفر

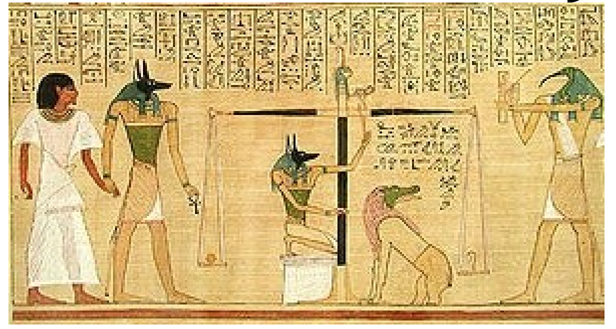
1560 انظر؛ Rosemary Radford Ruether, *Goddesses and the Divine Feminine: a western religious history*, California: University of California Press, 2006, pp.88-89

الخروج الذي ينظر إليه بوجه عام باعتباره أقدم تشريع، جنبًا إلى جنب مع الوصايا العشر، في الأسفار الخمسة ... تظهر الحقائق بوضوح أنه ثمة صلة بين التشريع التوراتي وشريعة حامورابي.»[1561]
أضافت نفس الموسوعة أنّ المسألة ليست اقتباسًا مباشرًا حرفيًا، وإنما قد دخلت قوانين «حمورابي» في الثقافة اليهوديّة عند كتابة الأسفار الخمسة الأولى، فكان الكتّاب اليهود يستحضرون هذا النصوص عند صياغتهم للقوانين الواردة في الأسفار، باعتبارها وحيًا إلَهيًّا، مع شيء من التعديل.[1562]
من التشريعات المقتبسة من الأمم الأخرى، التشريع (الغريب) الوارد في سفر التثنية 25/5-10 الذي ينص على أنّه إذا مات زوج ولم ينجب؛ ينبغي تزويج أرملته بأخيه، وأن يُنسب الولد الذي يكون ثمرة هذا الزواج إلى الأخ المتوفى، وهو ما جاء في الديانة الزرادشتيّة تحت اسم (الأبدال)، ومعنى الأبدال أنّ الرجل إذا حان أجله ولم يكن له ولد وكانت له زوجة؛ زوّجت هذه الزوجة إلى أقرب أقاربه، وينسب الولد الذي يولد من هذا الزواج إلى المتوفى صاحب التركة، وينبغي أن يبقى نسل الميت إلى آخر الزمان.[1563]

نصوص مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

1561 *The Encyclopedia Americana*, art. *Pentateuch*, New York: The Americana company, 1904, V.12
1562 انظر المصدر السابق
1563 انظر؛ سهيل زكار، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دمشق: دار قتيبة، 1428م-2007هـ ، ص 73

- جاء في سفر الأمثال 21/2: «الرب مطلع على حوافز القلوب». هذه الترجمة التي تقدّمها ترجمة «كتاب الحياة» محرّفة؛ إذ إنّ النص العبري يقول: «**ותכן לבות יהוה**» (وتوكين لبوت يهوه) أي «ويهوه (أي الله) وازن القلوب»، ولذلك جاءت ترجمة «الفانديك» أصدق؛ إذ قالت: «والرب وازن القلوب»، ولعلّ ترجمة «كتاب الحياة» قد حرّفت النص فرارًا مما شاع أنّ وزن القلوب يوم القيامة هو معتقد مصري فرعوني عريق! والصورة الأثريّة التاليّة توضح الأمر بجلاء حيث يوزن في ساحة الحساب قلب الميت في ميزان (على الشمال) في مقابل ريشة العدالة (اليمين)، ويقوم الإله «تحوت» –إله الحكمة- في أثناء ذلك بتدوين النتائج، فيما يقوم الشيطان الذي يبدو في شكل حيوان بمراقبة كل ذلك.1564



ومن الطرائف في هذا المقام أنّ المنصّرين، وعلى رأسهم «تسديل» قد ادّعوا أنّ عقيدة وزن الأعمال يوم القيامة كما هي في القرآن، مأخوذة من الديانة

1564 انظر؛ Bruce K. Waltke, *The Book of Proverbs: chapters 1-15*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2004, p.31

المصريّة، فهي واردة في الكتاب المصري القديم ((كتـاب الموتى))1565، رغمّ أنّ:

(1) الخلاف في التفاصيل بارز جدًا بين ما قررّه القـرآن الكريم والسنة وبين ما أبدته العقيدة المصريّة.

(2) لا يوجـد أي رافـد للحضـارة المصـريّة يصـبّ في الجزيـرة العربيّـة في القـرن السـابع ميلاديًّا. (3) كـانت العقيدة المصريّة القديمـة قـد انـدثرت تمامًـا زمن نـزول القرآن، وتلاشت معالمها الدينية، وأصـبحت لغتهـا لغـزًا لا يفهمه أحد.

وفي المقابل نجد أنّ ما جاء في سفر الأمثال:

(1) يطابق بالحرف ما جاء في العقيدة المصريّة.

(2) كتب في زمن كـانت فيـه العقيـدة المصـريّة حيّـة، ولغتها مشتهرة!

فهـل بعـد الحـق إلا الضـلال ..؟! {فَإِنَّهَـا لاَ تَعْمَى الأَبْصَـارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}!!1566

- جـاء في سـفر ملاخي 4/2:ـ ((أمـا أنتم أيهـا المتقـون اسمي فتشرق عليكم شمس الـبر حاملـة في أجنحتهـا الشفاء))

يقـول عـالم المصـريات ((جيمس هـنري بريسـتد)) ((James Henry Breasted))1567 إنّـه من المعـروف أنّ العدالـة-فيمـا يـرى المصـريون- إنّمـا كـانت ممثّلـة في شـخص الإلهـة

1565 انظر؛ St. Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, p. 202-205

1566 سورة الحج/ الآية (46)

1567 جيمس هنري بريستد (1865م-1935م): أركيولوجي أمريكي. من أعلام الدارسين للحضـارة المصـريّة القديمـة. وقـد درّس المصـريات في جامعة شيكاغو.

«ماعت» التي كان يعتقد القوم أنّها «بنت إله الشمس»، وبما أنّ شمس العدالة (أو البر) العبرانيّة قد وصفت بأنّ لها أجنحة؛ فلا يمكن أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى إله الشمس ذي الأجنحة، لأنّه لم يكن يوجد بين جميع التصوّرات العبرانيّة القديمة للإله «يهوه»، أي صورة تمثّله بأجنحة.

وقد دلّت الحفائر الحديثة في «السامرة» على أنّ هذه التصوّرات المصريّة لإله الشمس العادل كانت شائعة الانتشار في الحياة الفلسطينيّة، فقد عثر الحفّارون في خرائب قصر ملوك بني إسرائيل في «السامرة» على بعض ألواح من العاج منقوشة نقشًا بارزًا كانت تستعمل يومًا ما في التطعيم الزخرفي الذي كان يحلّى به أثاث الملوك العبرانيين، ومن بين تلك القطع قطعة نقشت عليها صورة إلهة العدالة «ماعت» يحملها إلى أعلى ملاك الشمس «هليوبوليس» في وضع نفهم منه أنّه كان على ما يظهر يقدّم تلك الصورة لإله الشمس، وتصميم الرسم مصري في كل نواحيه، إلا إنّ صناعته تدلّ بوضوح على أنّ نقشه من صنع أياد فلسطينيّة.

ومن ذلك يتضح أن الصنّاع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل تلك الرسوم المصريّة القديمة، وأنّ وجهاء العبرانيين الذين كانوا يجلسون عليها، كانوا ينظرون كل يوم إلى هذه الرموز التصويرية الدالة على إله الشمس المصري وهي تزيّن نفس الكراسي التي يجلسون عليها، ولم يكن إله الشمس صاحب الأجنحة المتأصلة في وادي

النيل معروفًا عند العبرانيين بأنه إله عدالة فقط، بل كـان كذلك معروفًا بأنه الإله الحامي لعباده، الرؤوف بهم، وقـد أشـارت المزامـير العبرانيـة أربـع مـرات إلى الحمايـة الموجودة ((تحت ظل أجنحتك))[1568]. [1569]

كائنـات أسـطوريّة مقتبسـة من تـراث الأمم الأخرى:[1570]

لعالم الرعب الخرافي حضور واضح في الكتـاب المقـدس وفي التراث اليهودي .. وقد ورثت النصـرانيّة من اليهوديّـة كتابها المقدس، وكثيرًا من تراثها، وأضافت إلى ذلـك شـيئًا من خرافـات اليونـان والرومـان .. فاكتمـل بـذلك مسـرح الخيال!

o الغول:

إشعياء 13/21:ـ ((إنما تأوي إليها وحوش القفر وتعج بيـوت خرائبهـا بـالبوم، وتلجـأ إليهـا بنـات النعـام، وتتـواثب فيهـا الماعز البرية.)) (ترجمة كتاب الحياة)

1568 ((בצל כנפיך)) (بتسيل كنافيكا): مزمور 17/8، 36/7، 57/1، 63/7.

1569 James Henry Breasted, *The Dawn of Conscience*, pp. 360, 361 (نقله؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل 3/ 314)

1570 استفدت في هـذا الموضـع من بحث الأسـتاذ محمـد رفـاعي: (علم الميثولوجيـا يثبت تحريـف الكتـاب)، في حصـره للكائنـات الخرافيّـة في الكتـاب المقـدس، وإن كنت قـد أحلت إلى مراجـع علميّـة أخـرى عنـد التحليل والتعليق على هذه النصوص.

«ורבצו-שם ציים, ומלאו בתיהם אחים; ושכנו שם בנות יענה, ו<u>שעירים</u> ירקדו-שם»

كلمة «**שעירים**» هي جمع «**שעיר**». لغـة: «الأشـعر» اي كثـير الشعر. وقد اعتقد اليهود منذ زمن مبكّر بسـبب هـذا النص وغـيره أنّ الشـياطين والأرواح الشـريرة تأخـذ شـكل عـنز وغيرها من الدواب، في الأماكن القفرة1571. إذ إنّ اليهـود قد فهموا أنّ كلمة «**שעיר**» تعني شيطانًا كثيف الشعر.

أمّا بالنسبة للنصارى فقد فهم قديس الكنيسة «جيروم» أنّ هذه الكلمة تعني كائنًا نصفه الأول بشري والنصـف الثـاني ماعز. ويبدو أنّ الـزعيم البروتسـتانتي «كـالفن» فهم نفس الفهم من هـــذا الســـياق باعتمـــاده كلمـــة «satyri» في ترجمته.1572

وجمهور النقاد اليوم على القول إنّ هذا النص يتحــدث عن كائن شيطاني مخيف كالذي تحدث عنـه اليهـود و«جـيروم» 1573.

وقـد جـاء النص في ترجمـة «الأخبـار السـارة» صـريحًا، واضحًا: «تتلاقى الوحوش وبنات آوى ويتنادى معز الــوحش إليها. هناك تستقر <u>الغول</u> وتجد لنفسها مقامًا»1574

1571 انظر؛ Joseph Addison Alexander, *Commentary on Isaiah*, MI: Kregel Publications, 1992, p.284

1572 انظر المصدر السابق

1573 انظر المصدر السابق

1574 روى الإمام مسلم في صـحيحه (كتـاب السـلام، بـاب لا عـدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممـرض على مصـح، ح/2222) أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قـال: «لا عـدوى ولا صـفر ولا غُـول»، قـال الإمـام «ابن حجر» (الفتح، 10/159):ـ «أمـا الغـول: فقـال **الجمهور**: كانت العـرب تـزعم أن الغيلان في الفلـوات، وهي جنس من



o الغولة (ليليت):

الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولًا، أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، وقد كثر في كلامهم: ((غالته الغولة)) أي أهلكته أو أضلته، فأبطل - صلى الله عليه وسلم - ذلك.))، ونسب أيضًا الإمام ((النووي)) هذا التفسير إلى جمهور العلماء (انظر؛ المنهاج، 14/216-217). وأما حديث ((أبي أيوب)) رضي الله عنه أنه كانت له سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ منه؛ فضعيف لسوء حفظ ((ابن أبي ليلى))، كما أنّ الحديث الذي أخرجه ((أحمد)) وغيره: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) لا يصح للانقطاع بين ((الحسن البصري)) و((جابر بن عبد الله)) رضي الله عنه (انظر؛ السلسلة الضعيفة، 3/139)، وفيما يتعلّق بحديث ((لا صفر ولا غول ولكن السعالي)) فهو مرسل لا يصح. وأمّا ظهور الجن في صور آدمية وغيرها فثبت في الروايات الصحيحة. وفرق شاسع بين خرافات العرب الجاهليين التي أثبتها الكتاب المقدس التي تقول بوجود ((الشياطين التي تسكن القفار)) وما تفرد به الكتاب المقدس من الحديث عن (الشيطان الماعزي) من جهة، وحقيقة الجن وملكاتهم من جهة أخرى، علمًا أنّ الكتاب المقدس يقرّ أيضًا بوجود الجن (انظر؛ اللاويين 19/31ـ 20/6ـ 20/27، تثنية 18/11ـ 1صموئيل 28/3ـ 7ـ 8ـ 9ـ 2 الملوك 21/6، 1الأيام 10/13، 2الأيام 33/6).

إشـعياء 34/14:ـ ((وتجتمـع فيهـا الوحـوش البريـة مـع الذئاب، ووعل البر يدعو صاحبه، وهناك تستقر وحــوش الليل وتجد لنفسها ملاذ راحة.)) (ترجمة كتاب الحياة)

((ופגשו ציים את-איים, ו<u>שעיר</u> על-רעהו יקרא; אך-שם הרגיעה <u>לילית</u>, ומצאה לה מנוח))

يذكر هذا النص (الغول) (**שעיר**)، ومعـه كـائن خـرافي آخـر هو ((**לילית**)) (ليليت) .. هـذا الكـائن- بهـذا الاسـم- معـروف في وثائق الحضـارات القديمـة، مثـل النصـوص السـومرية الـتي تـذكره -منـذ القـرن الثـالث قبـل الميلاد- على أنـه ((ليليتو))، ومن هـذه الوثـائق مـا ورد عن ملحمـة جلجـامش السومرية، وهو في قائمة الشـياطين البابليّـة. وقـد تسـلل إلى التراث اليهودي بعد ذلك.

هذا الاسم هو من الجذر السامي: ل-ي-ل، أي ليل. ولذلك ارتبط هذا الكائن الخرافي بالليل والخوف والرعب. وأبــرز سماته إغواء الرجال وقتل الأطفال الصغار.1575

1575 انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, 13/17-19



o الحصان وحيد القرن:

العدد 23/22:ـ ((الله أخرجهم من مصر، وقـوتهم مثـل قـوة الثور الوحشي.))

((**אל, מוציאם ממצרים--כתועפת ראם, לו**))

أشهر ترجمة للعهـد القـديم العـبري هي الترجمـة اليونانيّـة، وهي الترجمة السبعينيّة التي تمّت قبل ولادة المسيح بـأكثر من قرنين، وقد وردت فيها كلمة ((Μονόκερως)) (منوكروس) مقابل الكلمة العبريّة ((**ראם**))، والكلمة اليونانيّـة دالـة بـذاتها على معناها؛ إذ هي تتكون من مقطعين (كروس) أي قــرن،

و(مُنو) أي واحد، واستعملت ترجمة الفولجات اللاتينيّة كلمة (Rhinocerotis)، وهي بنفس المعنى: وحيد القرن!

وقد وردت هذه الكلمة في أوّل ترجمة عربيّة للعهد القــديم (ترجمة سـعديا الفيـومي): «كركـدن»، وهـو الاسـم العـربي للحصان وحيد القرن في الخرافات العربيّة.[1576]



صورة من سقف معبد يهودي في بولندا، تعود إلى القرن السادس عشر

المصدر

Sacred Monsters Mysterious and Mythical Creatures of Scripture Talmud and Midrash p.42

o الحيّة لوياثان

إشعياء 27/1: «في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم المتين لوياثان الحيّة الهاربة المتلوية، ويقتـل التـنين الذي في البحر.»

«**ביום ההוא יפקד יהוה בחרבו הקשה והגדולה והחזקה, על <u>לויתן</u> נחש ברח, ועל לויתן, נחש עקלתון; והרג את-התנין, אשר בים**»

1576 انظر: Natan Slifkin, *Sacred Monsters: Mysterious and Mythical Creatures of Scripture, Talmud and Midrash* , Zoo Torah, 2007 , p.45

المزمــور 74/14:ـ «أنت مـزقت رؤوس فرعـون (!!!) وجيشه، وجعلته قوتًا للحيوانات المتوحشة»

«**אתה רצצת, ראשי לויתן; תתננו מאכל, לעם לציים**»

المزمور 104/26:ـ «تجري فيه السفن، تمرح فيـه الحيتـان التي خلقتها»

«**שם, אניות יהלכון; לויתן, זה-יצרת לשחק-בו**»

أيوب 3/8: «ليلعنه السحرة الحاذقون في إيقاظ التنين»

«**יקבהו אררי-יום; העתידים, ערר לויתן**»

لماذا عـرّبت الكلمـة العبريّـة الواحـدة «**לויתן**» في الترجمـة العربيّـة الواحـدة، إلى: «لوياثـان» و«فرعـون» و«حـوت» و«تنين»!؟؟

السبب: محاولة الهروب من الاعتراف بحقيقة هذا الحيـوان الخرافي الذي جـاء في وصـفه في التلمـود غـرائب (أعجب من الخيال). ويتجلّى التحريـف أساسًـا في اسـتعمال كلمـة «فرعـون» مكـان «لوياثـان»، ولعـلّ ذلـك راجـع إلى أنّ نصّ المزمور 74/14 يكشف إحدى المعالم الكبرى لهـذا الكـائن الخرافي عند السومريين، وهو أنه تنين برؤوس متعددة!

وقـد كشـف المعجم اللاهـوتي للعهـد القـديم، الشـهير «*Theological Dictionary of the Old Testament*» جانب الاقتبـاس الـذي مارسـه اليهـود من الحضـارة الكنعانيّـة القديمـة وخرافاتها، بقوله: «بإمكاننا أن نقـول تلخيصًـا لمـا سـبق أنّ لوياثان جـزء من فكـرة خرافيّـة هـدفها الأصـلي تمجيـد رب إسرائيل المحـارب. ورغم أنّ العلاقـة بين الحيّـة السـومريّة

ذات الرؤوس السبعة ولوياثان الكنعـاني تبقى غـير مؤكـدة، إلا أنّ الشواهد الواضحة قائمة على إثبـات العلاقـة القريبـة بين لوياثان الكتـاب المقـدس ولوياثـان الكنعـاني الـذي ورد في النصوص الكنعانيّة. وهما ينبعان من أصل واحد.»[1577]

أمّـا الموسـوعة اليهوديّـة «*Encyclopedia Judaica*» فتقـول إنّ «لوياثان» في الكتاب المقدس في صوره المختلفـة: «يمثـل أعـداء اللـه الخـارقين (supernatural). هـذه العـداوة تعكس مباشرة خرافة شائعة في المصـادر مـا قبـل الكتابيّـة حـول صـــراع بين الخـــالق الإلهي وقـــوى البحـــر، منـــذ بدايـــة العالم.»[1578]

«قصد الكتاب المقدس أيضًا بالتنين واللوياثـان الإشـارة إلى الحيوانـات الـتي قيـل إنهـا ثـارت ضـد الخـالق (في الـزمن القديم)، وقد دمرها الخالق عند ذلـك (مزمـور 74/13-14، انظر؛ إشـعياء 51/10، أيـوب 3/8، 7/12) مثـل الأسـاطير الأوغاريتيّة التي تمت الإشارة إليها سابقًا.»[1579]

1577 G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren, and Heinz-Josef Fabry, eds. *Theological Dictionary of the Old Testament*, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 1995, 7/509

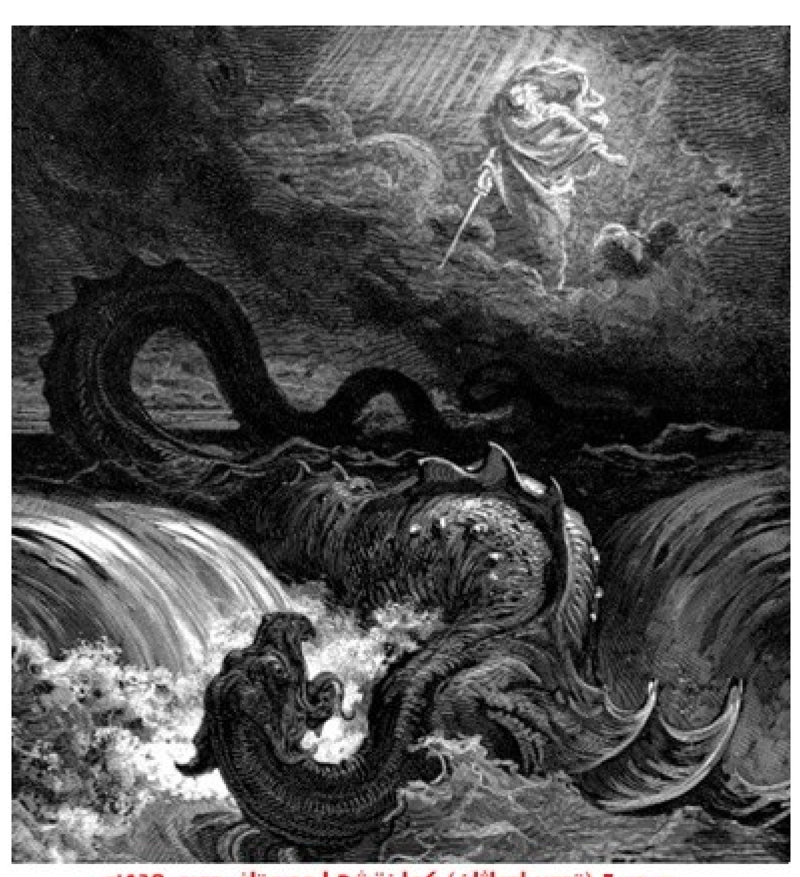
1578 *Encyclopedia Judaica*, 12/696

1579 المصدر السابق، 12/697

ولمن أراد الاستفاضــة في البيــان حــول الكائنــات البحريّــة الخرافيّـة في الكتـاب المقـدس وأصـلها الكنعـاني؛ فليقـرأ كتاب «صراع الله مع التنين والبحر: أصداء أسطورة كنعانيّة في العهد القديم» «*God's conflict with the Dragon and the Sea: echoes of a Canaanite myth in the Old Testament*» (1985م) لأسـتاذ دراسـات العهـد القـديم في كليّـة اللاهـوت بجامعـة أكسفورد «جون داي» «John Day»1580، فإنّ استيعاب ما قيل عن هــذه الأســطورة يحتــاج مقامًــا آخــر غــير الــذي نحن فيه.1581

1580 أصل الكتاب، أطروحة دكتوراه للمؤلف «داي».

1581 من المراجع العلميّة الأخرى التي يحسن بالقارئ أن ينظر فيهـا: K. Wakemann, *God's Battle With the Monster, A study in Biblical imagery*, Leiden, 1973; J. H. Gronback, '*Baal's Battle with Yam, a canaanite creation* fight,' *Journal for the Study of the Old Testament* 33, 1985: pp. 27-44; C. Westermann, *Genesis 1-11*, tr. J. J. Scullion, London, 1984, pp.363-383



صورة (تدمير لوياثان) كما نقشها عوستاف دوري ١٨٦٥م
وفي الصورة رب الكتاب المقدس ولوياثان لحظة بداية هلاكه

- الثعبان الطائر:

إشعياء 14/29: ((تفرحي ياكل فلسطين، لأن القضيب الذي ضربك قد انكسر. فإن من أصل تلك الأفعى يخرج أفعـوان، وذريته تكون ثعبانا ساما طيارًا))

((אל-תשמחי פלשת כלך، כי נשבר שבט מכך: כי-משרש נחש יצא צפע، ופריו <u>שרף מעופף</u>))

إشـعياء 30/6:ـ ((وحي من جهـة بهـائم الجنـوب: في أرض شـدة وضـيقة منهـا اللبـوة والأسـد الأفعى والثعبـان السـام الطيار)) (الفاندايك)

((משא, בהמות נגב: בארץ צרה וצוקה לביא וליש מהם, אפעה ו<u>שרף מעופף</u>))

يثبت هــذان النصــان وجــود نــوع من الثعــابين يطــير في الهواء!! وقد دقّق الناقد ((أتّـو كـايزر)) ((Otto Kaiser))[1582] في ترجمته؛ مختارًا عبارة ((تـنين طـائر)) ((flying dragon)) كمقابـل للأصل العبري.[1583]



1582 أتو كايزر (ولـد سـنة 1924م): ناقـد كتـابي ألمـاني متخصـص في دراسات العهد القديم والفلسفة المعاصرة. رَأَس دراسات العهـد القـديم في جامعـة (مـاربورغ). أصـدر عـددًا من المؤلفـات الضـخمة في لاهـوت العهد القديم وشروح أسفاره.

1583 انظر؛ Otto Kaiser, *Isaiah 13-39: a commentary*, Presbyterian Publishing Corp, 1974, p.49

ثانيا: أثر العقائد القديمة وثقافاتها في العهد الجديد وعقائـد الكنيسة

شغل أمر التشابهات الهائلة بين النصرانيّة والأديان القديمة، الشرقيّة منها أساسًا، النقّاد في القرن التاسـع عشـر. وقـد أفـرز هـذا الكشـف-مـع غيـاب ذكـر المسـيح في المصـادر التاريخيّة المحايدة للقرن الأول ميلادي-، ظهـور تيّـار علمي ينكر وجود (مسيح الكنيسة) ابتداءً، ولا يـرى فيـه إلاّ خرافـة مختلَقة لم تدبّ على الأرض يومًا.

ورغم أنّ هذا التيّار الـرافض لتاريخيّـة (المسـيح) قـد تقلّص حجمه، وأصبح الحديث عن (يسوع الخرافة) فكـرة قـد قـلّ دعاتها وأتباعها، إلاّ أننا اليوم نعرف نظريّة أخرى يتبنّاها جـلّ النقّـاد وأعلامهم، وهي التميـيز بين (يسـوع التـاريخي) (*The Jesus of History*) و(يسوع الإيمان) (*The Jesus of Faith*).[1584]

ولازالت (التوافقـات) بين نصـوص العهـد الجديـد وعقائـد الكنيسة من جهة والأديـان القديمـة من جهـة أخـرى، تمثّـل رافدًا لهذا التوجّه الفكـري الـذي يـنزع عن (يسـوع الإنجيـل والكنيسة) أصوله التاريخيّة الكبرى.

إنّ نفي (الملامح التاريخيّـة الكـبرى) (ليسـوع الأناجيـل والكنيسة) يعني صراحة نسبة عامة مـا نسـب إلى المسـيح إلى (الاختلاق). وإنّ وضـع الصـورة (الدينيّـة) للمسـيح في إطارها التاريخي في فلسـطين في بدايـة القـرن الأوّل؛ قـد

1584 انظر ما قالته ((ندوة يسوع)) في هذه المسألة؛ Robert Funk, Roy Hoover and The Jesus Seminar, *The Five Gospels, what did Jesus really say?*, New York: HarperSanFrancisco, 1997, pp.5-8

كشـف عن روافـد خرافيّـة وخلفيـات اعتقاديّـة وتصـوّرات فلسفيّة ضاربة في أرض تلـك البيئـة الـتي أفـرزت الشـكل اللاهوتي (ليسوع).

وإنّ المكتبة الغربيّة التي تعجّ بالدراسات الخاصـة بالمسـيح وصـورته، تعـاني اليـوم تيّـارين متطـرّفين، وبينهمـا مـذهب وسـط قـد حكّم الحجّـة واعـتزى إلى البرهـان التـاريخي باعتدال.

أمّا الطرف الأوّل؛ فهو الذي لا يـرى في المسـيح إلاّ تكـرارًا حرفيًّا للأديـان الوثنيّـة السـابقة، كالبوذيّـة والهندوسـيّة والمثرائيّة .. فكلّ ما نسبته الأناجيل والكنيسة إلى المسيح، ليس إلاّ نقلًا حرفيًـا من كـل الأسـاطير بصـورة متطابقـة تطابقًا مِسطريًّا، وهذا المذهب يتبنّاه اليـوم غلاة الملاحـدة، وعامتهم غير متخصصين في تاريخ الأديـان، وعـدد من هـذه (التوافقات) غير صحيحة أصلًا؛ فهي إمّـا مفـتراة أو محـوّرة لتشابه ما ورد عن المسيح في الأناجيل ودين الكنيسة. وقد أساء هـؤلاء إلى كتبهم من وجهين؛ الوجـه الأول: تشـويههم كتاباتهم المشـحونة بالأدلـة القويّـة والحاسـمة لأثـر العقائـد الوثنيّة والأفكـار الفلسـفيّة، بزيـادات لا دليـل عليهـا، الوجـه الثاني: استنباط عدد غـير قليـل من هـؤلاء الكتـاب من هـذا (التطـابق) أنّ كامـل قصّـة المسـيح لا تخـرج عن أن تكـون قصّة أسطوريّة مفـتراة، وأنّ المسـيح «ابن مـريم» ليس إلاّ أسطورة محضة لم تعرفها الأرض على الحقيقة!

ويغلو الطرف الثاني الذي يمثّله الكتّاب الدفاعيون النصارى في نفي حقيقة اقتباس النصرانيّة من الأديان والعقائد والفلسفات القديمة. وآفة دعواهم هي استغلال (مبالغات) السابقين لنفي كلّ التفاصيل التي ذكروها، كما أنّهم (دوغمائيين) إلى درجة (مَرَضِيّة) تشعر معها أنّهم لا يبالون بامتهان عقول القرّاء؛ إذ يتكلّفون في تقديم تفسيرات (ساذجة) لخرافات (فصيحة) في الأناجيل، حتّى لو كانت البداهة العقليّة والمنطق العلمي يجزمان ببطلانها. كلّ ذلك مع النفخ (العاطفي) في أصالة الأناجيل باعتماد المنهج السفسطي الذي ثبّته «كليف ستيبلز لويس» «Clive Staples Lewis»[1585] و«جون وارويك مونتغمري» «John Warwick Montgomery»[1586] و«جوش ماك دويل» «Josh McDowell»[1587]،

1585 كليف ستيبلز لويس (1898م-1963م): أديب أيرلندي شهير. اعتبرت مجلة «*Christianity Today*» سنة 200م كتابه «*Mere Christianity*» أهم كتاب في القرن العشرين. اشتهر بحجته (الساذجة) لإثبات ألوهية المسيح والتي أصبحت تسمى «Lewis's Trilemma»، وهي أن يقول المنصّر إلى من يدعوه إلى الإيمان بألوهيّة المسيح: عليك أن تؤمن بأن المسيح هو: مجنون أو كاذب أو ابن الله!!؟ دون أن يطرح احتمال أن يكون المسيح قد قال عن نفسه إنه نبي، أو أنّ الأناجيل لم تنقل كلامه بصورة دقيقة أو أمينة!

1586 جون وارويك مونتغمري (ولد سنة 1931م): متخصص في القانون. كاتب ومحاضر ومناظر في الدفاع عن النصرانيّة. مدير الأكاديميّة العالميّة للدفاعيات.

1587 جوش ماك دويل (ولد سنة 1939م): من أشهر الاعتذاريين (الشعبيين)، يعتمد في كتبه أسلوبًا تبسيطيًّا يجمع بين التدليس والمبالغة بما يرضي رغبات (عوام المتدينيين النصارى) الذين لا تستهويهم

وقد أُسلم اليوم قيـاده ((لغـاري هبرمـاس)) ((Gary Habermas)) 1588. وهـو منهج يعيش خـارج أسـوار الدراسـات العلميّـة الجـادة، ويقتـات على مـا يطلبـه سـوقُ (المؤمـنين بعصـمة الأناجيل والكنيسة)؛ ولذلك فعامـة إصـداراته تجاريّـة بحتـة، وإن (قعقعت) الحروف و(طنطنت).

إن القــراءة الواعيــة لجيولوجيّـة العهـد الجديـد والتكـوين اللاهوتي للتصور المسيحاني ليكشفان وجـود (طبقـات) من العقائد الوثنيّة والبـنى الفلسـفيّة المسـتوردة من عطـاءات زمن كتابة الأسفار وتأسيس الكنيسة (الأرثودكسـيّة). وهـذا أمر لا يمكن لقارئ منصـف أن يـردّه، دون أن نبـالغ فنقـول ليس في النصـرانيّة شـيء أصـيل، وإنّ جميـع مفرداتهـا من المنحول الدخيل! وهذا هو عين الاعتدال.

أمّا أدلّتنا على تشبّع النصرانيّة بأفكار السابقين وخرافــاتهم، فكثـيرة، متنوّعـة .. فـدعونا نبـدأ الحـديث من (أوّلـه) دون إسقاط، ولا إفراط، ولا إجحاف.

1- آباء الكنيسة يعترفون!

لقد كـان أمـر الاقتبـاس معروفًـا عنـد الآبـاء، مشـهورًا عنـد معارضيهم، وليس هو من محـدثات القـرن التاسـع عشـر –

الدراسات الأكاديميّة الجادة. تُعرض مادة كتبه اليـوم بصـورة مكثّفـة في كتابـات المنصّـرين العـرب، ومن أهمهـا كتابـات القمص ((عبـد المسـيح بسيط)).

1588 غــاري هبرمــاس (ولــد ســنة 1950م): اعتــذاري إنجيلي. مهتم بالفلسفة واللاهوت. له عناية خاصة بالـدفاع عن تاريخيّـة قيامـة المسـيح من الموت ونفي نسبتها إلى التراث الوثني القديم.

كما هي دعوى اعتذاريي الكنيسة!- ولا نتاج ثـورة المعـارف الأنثروبولوجيّة وكشوف الحضـارات القديمـة. وهـو يتكشّـف من خلال دفاع آباء الكنيسة عن النصرانيّة باعتبارها لم تأت بجديد، وإنما هي تدعو إلى نفس جوهر عقائد الوثنيين!

لقد بلغ يقين الآباء بالتشابه بين قصّة المسيح الـتي تقـدمها الأناجيـل والكنيسـة، وقصّـة إلـه اليونـان ((ديونيسـوس)) ((Διόνυσος))[1589] و((مثرا)) وغيرهما إلى أن يقول أحدهم –وهـو ((جستين)) المولود في بداية القرن الثاني- إنّ الشياطين لما علمت نبـوءات العهـد القـديم حـول المسـيح؛ أرسـلت ((باخوس)) قبله ليخدع الناس بمـا بينهمـا من تشـابه!! وذكـر ((جستين)) بعد ذلك تشابهات كثيرة محـاولًا من خلالهـا إقنـاع الإمـبراطور أنّ النصـارى لم يـأتوا بشـيء جديـد لم يعرفـه الرومان.[1590]

كان ((جستين)) على درجة عظيمة من الوضـوح في إقـراره، بل وحماسه للتشابه الغريب بين النصرانيّة والعقائد الوثنيّـة للقـرن الأوّل الميلادي، إلى درجـة أنـه قـال في معـرض رد الاعتراضات التي تسـاق لإثبـات نكـارة العقيـدة النصـرانيّة: ((عندما نقـول إنّ الكلمـة الـتي هي المولـود الأوّل للـه، قـد نتجت عن غير تواصل جنسي، وأنّ يسوع المسـيح، معلّمنـا، قد صلب ومات، وقام مرّة أخرى، وصعد إلى السماء؛ فإننـا

1589 هذا هو اسمه اليوناني، ويسمّى في اللاتينيّة ((Bacchus)).

1590 انظر؛ Justin, '*The First Apology*,' in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, 1903, 1/181-234

لا نعرض شيئًا مختلفًا عمّا تؤمنون به في شأن من تعتقدون أنهم أبناء «جوبتر». »[1591]

إنّها .. بلا ريب .. شهادة صحيحة .. صريحة .. فصيحة!

والإقرار .. يمنع من الفرار!

ويزيدنا النقاد قناعة بالحقيقة السابقة؛ بقولهم:

«وبعد ذلك بمائة عام تقريبًا، منح لاهوتي نصراني آخر جل اهتمامه للمسألة ذاتها. أجاب أريجن القيصري الذي هو على الأرجح أكثر لاهوتيي عصره ثقافة، عن نقد وُجّه إلى المسيحيين كتبه فيلسوف يوناني آخر مجهول يسمى كلزوس (اشتهر حوالي عام 180 م). تفنيد أريجن لكلامه كلمة كلمة يجعلنا قادرين على تشكيل فكرة جيّدة عن محتوى حجج كلزوس. واحدة من اتهاماته الرئيسة هي التالية (بتصرف بسيط): «إن كنتم أيها المسيحيون تؤمنون بصحة قصص معجزات يسوع، إذا كنتم تؤمنون بميلاد المسيح الإعجازي، إذا كنتم تؤمنون بقصة قيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السماء، وما أشبه ذلك؛ فلماذا ترفضون الإيمان بالقصص ذاتها عندما يقال لكم إن فاعليها هم الآلهة المخلِّصون الآخرون: هيراكليز، أسكلبيوس، والتوأمان ابنا زيوس، وديونيسوس، وعشرات مثلهم آخرين يمكنني تسميتهم؟!»»[1592]

1591 المصدر السابق، 1/169-170

1592 David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, Minneapolis: Fortress Press, 1994, 2nd edition, p.9

2- أعداء النصرانيّة الأوائل يشهدون!

عايش عدد من الكتّاب في الإمبراطوريّة الرومانيّة ظهور أسفار العهد الجديد وتشكّل لاهوت الكنيسة، وقد وجدوا أنفسهم في مواجهة مع دعاة النصرانيّة (كما شكّلها «بولس»)، فكانت بينهما مساجلات كتابيّة وشفهيّة كثيرة على مدى القرون الأولى، قبل أن تُبيد الكنيسة معارضيها عن بكرة أبيهم عندما تمّ لها التمكين في الأرض.

تكشف هذه المساجلات -المحفوظة أساسًا في ردود كتّاب الكنيسة عليها بعد أن أعدمت أصولها- أنّ الكنيسة كانت متهمة من مخالفيها، وخاصة الوثنيين منهم، أنّها ليست دعوة جديدة في مضمونها، وإنّما هي صياغة جديدة للعقائد الوثنيّة الموجودة.

ولا ريب أنّ هذه التهمة غريبة على السمع لأنّ الأصل أن نقرأ أنّ الكتّاب الوثنيين قد اتهموا النصارى أنهم قد أتوا بدين جديد يسفّه أحلامهم ويخالف ما استقرّ عليه الأجداد من معتقد .. وإنّ في تهمةِ مماثلة النصرانيّة للموجود من عقائد الوثنيين؛ دلالة قويّة على صدق هؤلاء الكتّاب، بالإضافة إلى شهادة الواقع لصحّة قولهم.

وننقل هنا أشهر أقوالهم الصريحة:

- قال ((فاوستس)) ((Faustus))[1593] في مـا كتبـه إلى قـديس الكنيسة ((أوغسطين)): ((لقد وضـعتم أغـابي [1594] مكـان قرابين الوثنيين، ومكان أوثانهم وضعتم شهداءكم الـذين تعاملونهم بنفس تبجيل الوثنيين لأوثـانهم. أنتم تسـكّنون ظلال المـوتى بـالخمر والـولائم، أنتم تحتفلـون بالأعيـاد المقدّســة للأممــيين، وتقــويمهم، والانقلاب الشمســي الموسـمي، كمـا حـافظتم على أسـاليبهم دون تغيـير. لا يوجد شيء يميّزكم عن الوثنيين، باستثناء أنّكم تحفظون مجامعكم بعيدًا عنهم.))[1595]

- قــال الفيلســوف ((أمونيــوس ســاكوس)) ((Ammonius Saccus))[1596]:ــ ((إذا فهمنــا جيّــدًا المســيحيّة والوثنيّــة؛ (فســنعلم) أنّهمــا لا يختلفــان عن بعضــهما البعض في

1593 فاوستس (350م-400م): أسـقف من الجزائـر، مـانوي المـذهب. كان قديس الكنيسة ((أوغسطين)) قد التقاه -عندما كان هـو أيضًـا مانويًـا- لسؤاله عن بعض الأمور التي استعصت على فهمـه، غـير أنّـه بعـد خـروج ((أوغسطين)) من المانويّة ألّـف في الـرد عليـه كتابـه ((ضـد فاوسـتس)) ((*Contra Faustum*)).

1594 استعمل النصارى في القرون الأولى كلمة ((أغابي)) ((αγάπη)) التي تعني ((حب)) للدلالة على حبّ الإله الآب للخلق حتّى إنـه قـد أرسـل ابنـه الوحيد ليموت فداءً عنهم!

1595 Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, New York: J. W. Bouton, 1884, 3rd edition, p.411

1596 أمونيوس ساكوس Ἀμμώνιος Σακκᾶς (القرن الثالث):مؤسس الأفلاطونيّة الجديدة.

النقـاط الأساسـيّة، وإنّمـا يشـتركان في الأصـل الواحـد، وهما حقيقة واحدة وشيء واحد.» 1597

- قال الفيلسوف اليوناني «كلـزوس»1598 إنّ النصـرانيّة لا تضمّ غير ما اشترك فيه النصارى مع الوثنيين؛ فلا جديد! 1599

3- مماثلات واقتباسات:

أ- عقائد الوثنيين وقصصهم

تأليه المخلوق:

رغم وجود صلّة (شكليّة) مباشـرة بين النصـرانيّة واليهوديّـة متمثّلـة في مشـاركة النصـارى اليهـود إيمـانهم بأسـفارهم المقدّسـة وأنبيـائهم، إلاّ أنّ العقيـدة النصـرانيّة قائمـة في حقيقتها على تشرّب عقائد الأمم الشـرقيّة والتنكّـر لأصـول عقديّة كثيرة استقرّت في الذهنيّة الإيمانيّة اليهوديّة؛ وأهمّها قبول فكرة (تألّه البشر) في صياغة حلوليّة تمـزج اللاهـوت الإلهي بالناسوت البشري.

1597المصدر السابق

1598 كلـزوس Κέλσος (القـرن الثـاني): فيلسـوف يونـاني ألّـف كتابـه «كلمة حق» «Λόγος Ἀληθής» في الرد على النصرانيّة. وقد حفظت لنا أجـزاء من هـذا الكتـاب من خلال رد «أريجن» عليـه في كتابـه: «*Contra Celsum*». يبدو أنّ هذا الكتاب قد ألّف في العقد السـادس أو السـابع من القرن الثاني.

1599 المصدر السابق

وهذا قديس الكنيسة ((جستين)) يقول في معرض دفاعه عن النصرانية أمـام الإمـبراطور، إنّ الوثنـيين ينبغي ألا يسـخروا من المسيحيين لعبـادتهم اللوغـوس الـذي كـان ((عنـد اللـه، وكان الله)) وذلك لأنهم ارتكبوا الفعل ذاته.

يقول ((جوسـتين)): ((إذا كنّـا نحن (المسـيحيين) ننـادي ببعض الآراء الـــتي تشـــبه آراء الشـــعراء والفلاســـفة الـــذين تمجّدونهم ... فلماذا نبغَض بغير حق أكثر من الآخرين؟)) ((ألا تـدري كم من الأبنـاء نسـب كتـابكم إلى جوبـتر: مركـوري، الكلمـة ومعلّم الكـل ...)) ((وفيمـا يتعلـق بـابن اللـه، الـذي نسميه يسوع، فإنّه وإن كان إنسانًا من ناحيـة ولادتـه، فإنّـه يستحق أن يدعى ابن الله بسـبب حكمتـه؛ لأنّ كـلّ الكتّـاب ينادون الله بأنّه أبو الإنس والآلهة. وإذا جزمنا أنّ كلمة اللــه قـد ولـدت من اللـه بطريـق خـاص، مختلـف عن السـبيل المألوف للتناسل، فليكن هذا الأمر، كمـا سـبق ذكـره، غـير منكر بالنسبة لـك باعتبـارك تقـول إنّ مركـوري هـو الكلمـة الملائكيّة لله.)) 1600

لقد كانت عقيـدة تأليـه المخلـوقين شـائعة ومستشـرية في الأمم القديمـة، بـل وكـان أبـاطرة رومـا أنفسـهم كثـيرًا مـا يُؤلّهون في حياتهم وبعد موتهم.

1600 Justin the Martyr, *'The First Apology,'* in *The Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, 1903 , 1/169

ويلخّص لنـا الناقـدان ((ديفيـد ر. كارتليـدج))[1601] ((David R. Cartlidge)) و((ديفيد ل. دونجن)) ((David L. Dungan))[1602] واقـع البيئة التي ظهر فيها ((عيسى)) عليه السلام بقولهما: ((عندما خـرجت المسـيحية إلى الوجـود في عـالم البحـر المتوسـط القـديم، كـان هنـاك بالفعـل الكثـير من الآلهـة في السـماء والكثير منها على الأرض، متبوّئين سدة العروش، والهياكل، والأضرحة المقدسة، والمـزارات المقدسـة. وكـان الإنسـان العـادي، رجلًا وامـرأة، في ذلـك الـوقت قـد تعلّم أن يكـون متسامحًا مع هذه التخمة في عدد الآلهة، فلكـل واحـد منهم وظيفة ما أو محراب يخصّه دون غيره من الآلهة.

كـان من المـألوف أن يتم تصـنيف الآلهـة في مجموعـات وفق وظيفتها، وأن يخلع على إله الشفاء المصري اسم إلـه الشفاء اليوناني الذي يقوم بالوظيفة ذاتها، وهكذا. كان ثمة آلهـة قديمـة للأرض وللسـماء وكـذا للبحـر، كـان النـاس يعبدونها منذ عهد أطول مما يستطيع النـاس تـذكّره، وآلهـة شخصية وإلهات أحدث من سابقتها وأكثر منها عـددًا، كـانت تحتل أحدث الهياكل وأضخمها بنيانًا في منـاطق قلب البلاد. بالإضافة إلى هذه الآلهة، كان هناك الأبـاطرة العظـام وكـذا الملـوك والحكـام الإقليمـيين من هـذا النـوع أو ذاك الـذين كانت تُصرف إليهم مراتب مختلفة من الاحترام تتساوي مع

1601 ديفيد ر. كارتليدج: أستاذ الدين في كليّة ماريفيل في ولاية تنسي.

1602 ديفيد ل. دونجن: أستاذ الدين في جامعة تنسي.

ما للآلهة منه. كان هؤلاء من المحسوبين على ((آلهـة...على الأرض)) الذين أشار إليهم بولس.))[1603]

التثليث:

تستمدّ عقيدة التثليث في التشكيل الاعتقادي عند الآباء منطقيّتها من التصوّر الأفلاطوني الذي قدّم الخلفيّة الفلسفيّة لتأليه الابن من خلال الحديث عن الفصل التام بين الإله الأزلي والخلق المُحْدَث؛ مما استدعى وجود (الواسطة) التي تصِل المطلق بالمحدود، وهي (الكلمة) (اللوغوس) (λόγος)؛ فكانت هذه الثنائيّة هي التي قرّبت المسافة بين الكنيسة وعقائد الوثنيين المثلّثين؛ ولذلك قال اللاهوتي ((أندروز نورتن)) ((Andrews Norton))[1604]: ((من الممكن تتبّع هذه العقيدة، واكتشاف مصدرها، ولكن ليس في الوحي المسيحي، وإنّما في الفلسفة الأفلاطونيّة التي كانت هي الفلسفة السائدة على مدى الفترات الأولى بعد ظهور النصرانيّة، وهي التي كان جميع كبار الكتاب النصارى -الآباء كما يُسمّون-، تلاميذها، بدرجة كبيرة أو صغيرة.))[1605]

1603 انظر؛ David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, p.5

1604 أندروز نورتن (1786م-1853م): لاهوتي أمريكي. من أئمة التيار النصراني التوحيدي في القرن التاسع عشر.

1605 Andrews Norton, *A Statement of Reasons for not Believing the Doctines of Trinitarians, Concerning the Nature of God and the Person of Christ*, Boston: American Unitarian Association, 1870, p.94

لقد قدّمت الفلسـفة الأفلاطونيّـة (المـبرّر) الفلسـفي لهـذه العقيدة، أمّا المصدر (المباشر) (الجامد) الذي شكّل المَعِين الذي أخذت منه الكنيسة هذا المفهوم العقدي، فهو التصـوّر الوثني الـذائع بين الأمم القديمـة عن الثـالوث الإلهي الـذي يعلو قبّة الإيماني الجماعي.

قال القسيس المؤرّخ «تومـاس مـوريس» «Thomas Maurice» في كتابه عن تراث الهند «*Indian Antiquities*» الـذي اسـتغرق سـبعة مجلّـدات: «هـذا الموضـوع الكبـير والمهم، يسـتغرق جزءًا ضخمًا من هذا الكتاب، ولهفتي على تهيئة الرأي العام لتقبله، وجهودي التي بـذلتها لتوضـيح مسـألة لاهوتيـة بالغـة الغمـوض، أغريـاني بـأن أنبّـه القـارئ النزيـه إلى أن الآثـار المنظورة لهذه العقيدة قد أصبحت واضـحة تمـام الوضـوح، ليس فحسـب في المبـادئ الثلاثـة للاهـوت الكلـداني، وفي مثرا الفارسي ثلاثي الشـكل، وفي الثـالوث براهمـا وفشـنو وشيفا في الهند- الذي أعلن بوضوح في الـ«جيتا» قبـل ميلاد أفلاطـون بخمسـمائة عـام؛ بـل وكـذلك في ثـالوث الـروح الإلهية (*Numen Triplex*) في اليابان، وفي الكتابـة المنقوشـة على ظهر الميدالية الشـهيرة الـتي عـثر عليهـا في صـحراء سيبيريا «إلى الإله الثالوثي» التي يمكن مشاهدتها في يومنـا هـــذا في المقصـــورة الإمبراطوريـــة الفخمـــة في ســـان بطرسـبرج، وفي التانجـا تانجـا، أو الثلاثـة في واحـد، عنـد سكان أمريكا الجنوبية، وأخـيرًا، بـدون الإشـارة إلى بقاياهـا

في اليونـان، في رمـز الجنـاح والكـرة والثعبـان، المنقـوش على معظم المعابد القديمة في صعيد مصر.))1606

إنّ استشراء هذا المفهـوم في الأمم الـتي نشـأت الكنيسـة في حضنها الجغرافي والعقدي والثقافي قد منع الاعتذاريين الكنسيين من جحد أسبقيّته بالكليّة، وإنّمـا اتخـذوا أكـثر من سـبيل خلفي للهـرب من حقيقـة (الاقتبـاس)، ولكن زادتهم ردودهم رهقًا وأكّدت دفاعاتهم حقيقة التهمة.

لقد قـالوا إنّ التثليث النصـراني يختلـف عن التثليث الوثـني من وجهين: أولًا: التثليث الوثـني يـؤمن بوجـود ثلاثـة آلهـة ، والنصرانيّة لا تقول بذلك!، وثانيا: التثليث الوثـني يتمثّـل في ثلاثة آلهة تعلو عددًا آخر من الآلهـة الأدنى1607 .. وهـو رد لا تخفي فيـه نفسـية (التائـه) البـاحث عن (مهـرب)؛ إذ إنّ النصرانية تؤمن صـراحة بثلاثـة آلهـة ؛ فهي تمنح كـل واحـد منها وظيفة مختلفة عن الآخرَين، وتنسب إليه أمورًا يستقل بهـا عن غـيره، وهـو عين القـول بالآلهـة المتعـددة، غـير أنّ الكنيسـة لمـا وجـدت نفسـها مضـطرة إلى الإيمـان بالعهـد القديم الذي ينصّ صراحة على وحدانيّـة الربوبيّـة، والإيمـان أيضًا بمـا جـاء في العهـد الجديـد في إثبـات نفس العقيـدة،

1606 Thomas Maurice, *Indian Antiquities*, London: W. Richardson, 1800, 1/126-127

1607 انظر؛ Jim Valentine and Eric Pement, ‘*Jehovah’s Witnesses and the Doctrine of Salvation*,’ in Norman Geisler and Chad Meister, eds. *Reasons for Faith: Making a case for the Christian faith*, Illinois: Good News Publishers, 2007, p.330

قرّرت أن تعلن أنها تؤمن (بإلـه واحـد مثلث الأقـانيم[1608])، وهـو تفسـير سفسـطي لا معـنى لـه، ولا يغيّـر من حقيقـة الإيمان بآلهـة مثلثـة الـذوات شـيئًا. أمّـا الحـديث عن الآلهـة المثلثة التي تعلو بقيّة الآلهـة، فهـو لا يجـدي من التفلّت من التهمة شيئًا[1609]؛ لأنّ هذا الأمـر (1) لا يَثبت في جميـع تلـك الأديـان. (2) المسـافة شاسـعةٌ بين الآلهـة المثلـة والآلهـة الأدنى، حتى كأنّ الآلهة الأدنى لا تحمل من الألوهيّة شـيئًا. (3) هـذه الأديـان الوثنيّـة لم تُعـرف بأنّهـا ديانـات عشـرات الآلهــة، وإنمــا عــرفت بأنهــا أديــان تثليثيّــة، في أدبياتهــا، وشـعائرها، ومنحوتاتهـا؛ فكـانت طبيعـة التثليث هي الـتي تميّزهـا بصـورة واضـحة. يضـاف إلى كـلّ ذلـك أنّ الكتـاب المقدس ليس فيه قطعًا أيّة إشارة إلى التثليث تصـريحًا ولا تلميحًـا، والنصّ الوحيـد المـدّعى هنـا قـد أجمـع النقّـاد أنـه مزيّف[1610]! وأوّل من استعمل كلمة (تثليث) هو ((ترتليان)) [

1608 اخترع النصارى مصطلح ((أقنـوم)) ((υποστασις)) (هيبوستاسـيس) -وهو لغة يعني: ((تحت القائم!!))-، للهروب من كلمة ((ذات))، غير أنّ هذا اللعب بالألفـــاظ لا يغـــير من الحقيقـــة شـــيئًا؛ إذ هي ثلاث ذوات على الحقيقة.

1609 يســتعمل اللاهوتيــون الغربيــون اليــوم بلا حــرج عبــارة ((three persons)) ((ثلاثة أشخاص)) للتعبير عن (الثالوث المقدس).. أمّا النصـارى العـرب فـإنهم يبتعـدون عن هـذه العبـارة بصـورة تامـة خشـية انكشـاف تناقضهم العقدي!

1610 نصّ 1يوحنا 5/7-8: ((في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والـذين يشـهدون في الأرض هم ثلاثة)) ((εν τω ουρανω ο πατηρ ο λογος και το αγιον πνευμα και ουτοι οι τρεις εν εισιν και τρεις εισιν οι μαρτυρουντες εν τη γη)) غائب تمامًا عن المخطوطات اليونانيّة القديمة (انظر: Bruce Metzger, *A Textual Commentary on the Greek New Testament*, Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 2000, 2nd edtion, pp.647-649)

60م-220م) باختلاقـه هـذا المصـطلح للتعبـير عن الثـالوث الإلهي، في كتابه «ضد بركسياس»!

THE TRINITY.

"Say not there are three Gods, God is but One God."—(Koran.)

THE doctrine of the Trinity is the highest and most mysterious doctrine of the Christian church. It declares that there are *three* persons in the Godhead or divine nature — the Father, the Son, and the Holy Ghost — and that "these three are *one* true, eternal God, the same in substance, equal in power and glory, although distinguished by their personal propensities." The most celebrated statement of the doctrine is to be found in the Athanasian creed,[1] which asserts that:

"The Catholic[2] faith is this: That we worship *One* God as Trinity, and Trinity in Unity—neither confounding the persons, nor dividing the substance—for there is One person of the Father, another of the Son, and another of the Holy Ghost. But the Godhead of the Father, and of the Son, and of the Holy Ghost, *is all one;* the glory equal, the majesty co-eternal."

As M. Reville remarks:

"The dogma of the Trinity displayed its contradictions with true bravery. The Deity divided into *three* divine persons, *and yet* these *three* persons forming only *One* God; of these three *the first only* being self-existent, the two others *deriving their existence* from the first, *and yet* these three persons being considered as *perfectly equal;* each having his special, distinct character, his individual qualities, wanting in the other two, *and yet* each one of the three being supposed to possess the fullness of perfection—here, it must be confessed, we have the deification of the contradictory."[3]

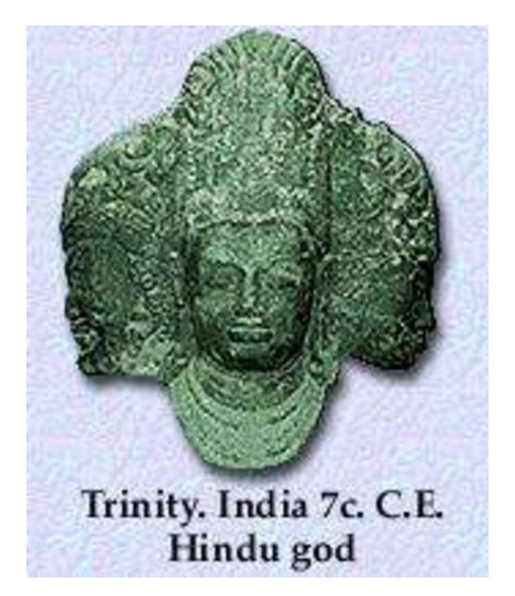
صفحة من كتاب (دوان): (خرافات الكتاب المقدس وما يماثلها في الأديان الأخــرى) وقد بدأ الفصـل الخاص بالتثليث بقوله تعـالى (ولا تقولوا ثلاثة انتهـوا خيرا لكم، إنما الله إله واحد) سورة النساء/ ١٧١

the Father, the Word, and the Holy Ghost, and these three are one," is now admitted on all hands to be an interpolation into the epistle many centuries after the time of Christ Jesus. man's Ancient Faiths, vol. ii. p. 886. Taylor's Diegesis and Reber's Christ of Paul.)

[2] That is, the *true* faith.

[3] Dogma Deity Jesus Christ, p. 35.

368



نجم ميلاد المسيح:

جاء في إنجيل متّى 1/2-10: «وبعدما ولـد يسـوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جـاء إلى أورشـليم بعض المجـوس القـادمين من الشـرق، يسـألون: «أين هـو المولـود ملـك اليهـود؟ فقـد رأينـا نجمـه طالعًا في الشرق، فجئنا لنسجد له.»

ولما سمع الملك هيرودس بذلك، اضطرب واضطربت معـه أورشـليم كلهـا. فجمـع إليـه رؤسـاء كهنـة اليهـود وكتبتهم جميعًـا، واستفسـر منهم أين يولـد المسـيح. فأجـابوه: «في بيت لحم باليهودية، فقد جاء في الكتاب على لسـان النـبي: وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست صغيرة الشأن أبـدًا بين حكام يهـوذا، لأنـه منـك يطلـع الحـاكم الـذي يـرعى شـعبي إسرائيل!»

فاستدعى هيرودس المجوس سرًّا، وتحقق منهم زمن ظهور النجم. ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: «اذهبوا وابحثوا جيدا عن الصبي. وعندما تجدونه أخبروني، لأذهب أنا أيضًا وأسجد له.»

فلما سمعوا ما قاله الملك، مضوا في سبيلهم. وإذا النجم، الذي سبق أن رأوه في الشرق، يتقدمهم حتى جاء وتوقف فوق المكان الذي كان الصبي فيه. فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيما جدًا.»

هذه قصّة خرافيّة تكشف عن عقليّة (بسيطة) في فهمها للظواهر الكونيّة؛ حتّى إنها تحسب أنّ النجوم تولد في لحظة .. وأنّ حجمها صغير جدًّا .. وأنّ حركتها في السماء بطيئة .. وأنّه من اليسير على العين أن تبصر حركتها ووقوفها .. وأنّه من الممكن موازاة حركتها في السماء بالسير معها على الأرض .. وأنّه يسوغ علميًا أن يقال إنّها وقفت فوق بيت معيّن أو موضع محدّد في الأرض!!

لقد كانت الأمم السابقة، بل وكثير من عوام اليوم، يرون في حركة الأجرام السماويّة دلالة على أقدار الناس ومصائرهم.

وكان أمر علاقة ولادة (العظماء) كثيرًا ما يوصل بعلامات سماويّة بارزة ومثيرة، ومن أهمها ولادة نجم لامع في السماء يبصره الناس بوضوح.

وقد كان هذا الاعتقاد مستقرًّا في الثقافة الشعبيّة عند اليونانيين والرومان؛ قال «فردريك فرار» («Frederic Farrar»):

«... حتّى اليونـان والرومـان كـانوا دائمًـا يعتـبرون أنّ ميلاد الرجال العظماء ووفاتهم يرمز له بظهور أجرام سـماويّة أو اختفائهـا، وقـد اسـتمر هـذا الاعتقـاد نفسـه الى العصـور الحديثة.»1611

ويرى «جيكي» «Geikie» أنّ هذا الاعتقـاد كـان لـه حضـور في عامة ثقافات البشر: «لقـد كـان هنـاك حقًّا اعتقـاد ذائـع في العالم أنّ الوقائع غـير العاديّـة، خاصـة ميلاد رجـل عظيم أو وفاتـه، ينـبئ بهـا ظهـور نجـوم ومـذنّبات، أو اقـتران أفلاك سماويّة.»1612، 1613

1611 Frederic Farrar, *The Life of Christ*, London: Cassell and Company, 1894, pp.22-23

1612 Geikie, *Life of Christ*, 1/144 (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, pp. 144-145)

1613 قال القمّص «عبد المسيح بسيط» في مقاله: «هل المسيحيّة مقتبسة من البوذيّة؟!» في سياق دفعه تهمة أن تكون قصّة نجم ميلاد المسيح مأخوذة من البوذيّة –اخطاء الرسم واللغة منقولة كما هي من موقع القمّص-: «... ونجد ما يقرب من ذلك في سيرة أبن هشام حديث عن «نجم احمد الذي ظهر في السماء » حيث تقول في [رواية حسان بن ثابت عن مولده صلعم] قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري. قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال والله إني لغـــلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له ويلك ما لك ؟ قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به. قال محمد بن إسحاق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت. ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلعم المدينة؟ فقال ابن ستين (سنة)، وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين. »

الميلاد في الإسطبل أو الكهف:

ورد عن الآباء كما نقلناه سابقًا أنّ المسيح قد ولد في إسطبل وكهف، ومصدر تحديد مكان الميلاد في الإسطبل هو لوقا 2/7 ، ومصدر قصة الميلاد في الكهف هو التراث الشفهي الذي قبلته الكنيسة منذ زمن مبكّر.

فهل يمكن لنا أن نسأل الأخوة المسلمين الذين يقولون بما قاله الملحدين عن المسيح وبوذا هذا السؤال؟ من أين اقتبس كاتب السيرة وراوة الحديث فكرة هذا النجم «نجم أحمد» من البوذي كما زعموا عن بوذا؟ أم من هذا الفكر الذي يتحدث عن أن لكل إنسان نجمه؟؟!!»
قلت: الإجابة، سهلة، وهي أنّ هذه القصّة التي وردت في سيرة ابن هشام، مصدرها راو كذّاب اختلقها، متأثّرًا بخرافات الأمم القديمة!
القمّص «عبد المسيح بسيط» لايزال يحرج نفسه بمنهجه (الصحفي) (الساذج) في تناول القضايا العلميّة الجادة؛ فهو يتصوّر أنّ كتب السيرة لا تضمّ غير الروايات الصحيحة، رغم أنّه لم يقل أحد من أهل العلم ذلك؛ إذ هي روايات مجمّعة، لا يحكم لها بالصحة إلاّ بعد أن تمتحن متنًا وسندًا، ومجرّد ورود الخبر في كتاب ما من كتب السيرة، لا يلزم منه ثبوته!!
والرجل في حقيقته قمّاش ينقل من مواقع النت دون تمييز!
قصّة ظهور «نجم أحمد»، باطلة سندًا ومتنًا، وإن تكلّف البعض وجود أكثر من طريق لها!
أمّا سندًا؛ فقد وردت رواية «ابن إسحاق» بسند فيه (مبهمين): «من شئت من رجال قومي». ووردت بطرق أخرى فيها «الواقدي»، و«الواقدي» كما قال فيه الإمام «أحمد»: «كذّاب!»، ورواية الكذّاب هدر، لا تقوي إسنادًا، ولا تجبر خبرًا!
وأمّا متنًا؛ فالبشارة «بأحمد» قد وردت في الإنجيل لا في التوراة، ولا يعرف لليهود كتاب ديني يخبر عن ظهور «نجم أحمد»! كما أنّ مثل هذه الواقعة التي يفترض أن تكون مشهودة من كثير من أهل مكّة، لم ترو عن الكافة من الناس، بل ولا رويت بإسناد واحد صحيح!
«فنجم أحمد» المذكور ليس إلاّ خرافة أصلها وثني رويت عن كذّاب أو كذابين!

يحتل الكهف مكانة هامة في الـتراث الوثـني القـديم للآلهـة المولـودة (!) فهـو مكـان انطلاق السـر، وحقيقـة الوجـود الإنساني[1614].

وقد ذكر آباء الكنيسة – «كترتليان» وغيره- أنّ الكهف الـذي في بيت لحم والـذي ولـد فيـه المسـيح، كـان الوثـنيون يحتفلون فيه بميلاد مخلّصهم «أدونيس» باعتباره مكان ولادة إلههم ومكان ظهور أسراره.[1615]

وقد قيل إنّ آلهة كثيرة قد ولدت في كهوف، كما نسب هذا الأمر أيضًا إلى عـدد كبـير من العظمـاء.[1616] وهي قصـص مهما اختلِف في قدم بعضها، إلاّ أنّ في مجموعها دلالة على أنّ الأمم القديمة كـانت تعـرف قصـص (آلهـة) مولـودة في كهف!

الملائكة التي ظهرت عند الميلاد:

جاء في لوقا 2/13-14: «وفجأة ظهر مع الملاك جمهور من الجنـد السـماوي، يسـبحون اللـه قـائلين: «المجـد للـه في الأعالي، وعلى الأرض السلام؛ وبالناس المسرة!»»

ظهور الكائنات السماويّة وابتهاج السماء، هي علامة شـائعة في الأديان الوثنيّة، فقد جـاء في «فشـنو بورانا» 5ـ 3-أحـد

1614 انظر؛ Timothy Freke and Peter Gandy, *Jesus and the Lost Goddess: The secret teachings of the original Christians*, New York: Random House, Inc., 2002, pp.107-108

1615 انظر؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.155

1616 انظر المصدر السابق، 155-157

الكتب المقدّســة الهندوســيّة- أنّــه لمــا ولــدت ((ديفــاكي)) ((كرشنا)) ((كانت الآفاق مشرقة بالفرح، كأنّ ضوء القمـر قـد انتشر على كامل الأرض)) ((كانت الأرواح وحوريـات السـماء تـرقص وتغـني)) و((في منتصـف الليـل ... أصـدرت السـحب أصواتًا ممتعة، وسكبت مطرًا من الزهور.))1617

وقال المؤرّخ ((بلوتارك)) الذي عاش في القرن الأول وبدايـة الثاني: ((عند ميلاد أوزيريس، سمع صوت أنّ ربّ كلّ الأرض آت، وقال البعض إنّ امرأة تسمى بمغل، لمـا كـانت تحمـل الماء إلى هيكل أمون، في مدينة ثيبز، سمعت صوتًا يأمرهـا أن تعلن بصـوت عـال أنّ الإلـه الـرحيم أوزيـريس قـد ولـد.))1618

وقد تتبّـع ((أوتـو رنك)) ((Otto Rank))1619 في كتابـه ((أسـطورة ميلاد البطل: تفسير نفسي للأسطورة)) ((*The Myth of the Birth of the Hero: a psychological interpretation of mythology*)) ولادة المسيح كما في الأناجيل وفي الأديان والأسـاطير القديمـة، فكـان التشـابه أوضـح من أن ينكـر، وأجلى من أن يُسـتر، ومنه هذه الجزئية.1620

1617 المصدر السابق، ص 147

1618 المصدر السابق، ص 148

1619 أوتـو رنـك (1884م-1939م): عـالم نفس نمسـاوي. كـان وطيـد الصلة ((بفرويد)) قبل أن ينفصل عنه. له دراسـات كثـيرة في علم النفس، وعناية خاصة بالتحليل النفسي للأسطورة.

1620 انظـر؛ Otto Rank, *The Myth of the Birth of the Hero: a psychological interpretation of mythology,* New York: The Journal of

الساعون في قتل الوليد:

جاء في إنجيل متّى 2/13-16:ـ ((وبعدما انصرف المجـوس، إذا ملاك من الرب قد ظهر ليوسف في حلم، وقال له: ((قم واهرب بالصبي وأمـه إلى مصـر، وابـق فيهـا إلى أن آمـرك بالرجوع، فإن هيرودس سـيبحث عن الصـبي ليقتلـه. فقـام يوسف في تلـك الليلـة، وهـرب بالصـبي وأمـه منطلقـا إلى مصر، وبقي فيها إلى أن مات هيرودس، ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: ((من مصر دعوت ابني.))

وعندما أدرك هيرودس أن المجوس سخروا منـه، اسـتولى عليه الغضب الشديد، فأرسل وقتل جميع الصـبيان في بيت لحم وجوارها، من ابن سنتين فما دون، بحسب زمن ظهـور النجم كما تحققه من المجوس.))

اتّفقت المصادر التاريخيّة الأولى على تجاهل هذه المجــزرة الوهميّـة، ولم يكن لهـا أن تتجاهـل هـذه القصّـة لـو صـحّ حدوثها؛ لأنها ستكون من عظائم الأمور التي ارتكبها الحكام في تلك المنطقة الآهلة بالسكان[1621]. وقد تجاهـل المـؤرّخ الشـهير ((يوسـيفوس)) الـذي عـاش في القـرن الأول ميلاديًّا

nervous and mental disease publishing company, 1914 *, p.49*

1621 جـاء في الكتـاب الأبـوكريفي ((استشـهاد متّى)) (*Martyrdom of Matthew*)) الذي يعود إلى القرن السادس، أنّ عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف، وفي الليتورجيـا البيزنطيّـة بلـغ العـدد أربعـة عشـر ألفًـا، وفي تقـويم القديسين السوري بلغ أربعًا وستين ألفًا. (انظر؛ Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, New York: Doubleday, 1993, pp.205)

وسجّل جرائم «هيرودس»، هذه المجزرة، رغم أنّه كان مهتمًّا بتشويه سمعة «هيرودس»[1622]، وكفى بذلك حجّة على أنّها من نسج خيال مؤلّف إنجيل متّى!

وقد ذكر الكثير من النقاد[1623] أنّ هذه القصّة هي اختلاق أريد منه تأكيد التشابه بين قصّة «موسى» و«يسوع»، وذلك باستحضار ما جاء في سفر الخروج 15/1-16:ـ «ثم قال ملك مصر للقابلتين العبرانيتين المدعوتين شفرة وفوعة: «عندما تشرفان على توليد النساء العبرانيات راقباهن على كرسي الولادة، فإن كان المولود صبيًا فاقتلاه، وإن كان بنتًا فاتركاها تحيا» »

ويخبرنا الناقد الكاثوليكي الأب «ريموند براون» «Raymond Brown»[1624] أنّ «هناك العديد من الروايات القصصية القديمة التي تتحدّث عن محاولة الحاكم الشرير قتل البطل الذي تمّ التنبؤ بميلاده. لقد ظهرت هذه الروايات في الهند، وفارس، وبلاد ما بين النهرين، واليونان، وروما.»[1625]

1622 انظر: S. Perowne, *The Life and Times of Herod the* Great, Nashville: Abingdon, 1956, p.152

1623 انظر: Robert Horton Gundry, *Matthew: A Commentary on his Handbook for a Mixed Church under Persecution*, 2nd edition, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1994, p.35, R. T. France, *The Gospel of Matthew*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2007, pp.77-78, Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, pp.214-217

1624 ريموند براون: (1928م-1998م) أمريكي كاثوليكي. ناقد كتابي. وصفه الكاردينال «ماهوني» بأنّه أكبر عالم كاثوليكي ظهر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. يعتبر تعليقه على إنجيل يوحنا –في مجلدين- أشهر مؤلفاته.

تجربة الشيطان:

جاء في إنجيل متّى 4/1-11 تفصيل قصّة تجربـة الشـيطان للمسيح: «ثم صـعد الـروح بيسـوع إلى البريـة، ليجـرب من قبل إبليس. وبعـدما صـام أربعين نهـارا وأربعين ليلـة، جـاع أخيرًا، فتقـدم إليـه المجـرب وقـال لـه: «إن كنت ابن اللـه، فقل لهذه الحجارة أن تتحول إلى خبز!». فأجابه قـائلا: «قـد كتب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمـة تخـرج من فم اللـه!» ثم أخـذه إبليس إلى المدينـة المقدسـة، وأوقفه على حافـة سـطح الهيكـل، وقـال لـه: «إن كنت ابن اللـه، فـاطرح نفسـك إلى أسـفل، لأنـه قـد كتب: يوصـي ملائكتـه بـك، فيحملونـك على أيـديهم لكي لا تصـدم قـدمك بحجر!» فقال له يسـوع: «وقـد كتب أيضـا: لا تجـرب الـرب إلهك!». ثم أخذه إبليس أيضا إلى قمة جبل عال جـدا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها، وقال له: «أعطيك هـذه كلهـا إن جثوت وسجدت لي!» فقال له يسوع: «اذهب ياشـيطان! فقد كتب: للـرب إلهـك تسـجد، وإياه وحـده تعبـد!» فتركـه إبليس، وإذا بعض الملائكـة جـاءوا إليـه وأخـذوا يخدمونه.»[1626]

1625 Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, pp.227
وقـد أحـال إلى دراسـة علميّـة في هـذا الموضـوع: P. Saintyves, *'Le Massacre des Innocents ou la Persécution de l'Enfant predestine,' in Congrés d'Histoire du Christianisme*, ed. Paul Louis Couchoud ,Paris: Rieder, 1928, 1/229-272

1626 وردت القصّة أيضًا في مرقس 1/12-13 ولوقا 4/1-13.

أشار اللاهوتي «لاردنر» «Lardner»[1627] إلى أنّ العديد من آباء الكنيسة الأوائل قد رفضوا (قصة تجربة الشيطان) باعتبارها غير قابلة للتصديق.[1628]

وللقصّة أصل ثابت في الخرافات القديمة، خاصة في البوذيّة؛ حتّى قال مؤلّف كتاب «يسوع وبوذا وكرشنا ولاو تزو: التعاليم المتوازية لأديان عالميّة أربعة» «*Jesus, Buddha, Krishna, Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions*»:ـ «قصّة تجربة المسيح في البريّة هي تقريبًا نسخ حرفي من خرافة أسطورة بوذا.»![1629]

أمّا تحديد عدد أيام الصيام بأربعين يومًا وليلة، فلا يخفى أنّه مأخوذ من قصّة صوم «موسى» عليه السلام أربعين يومًا.[1630]

الظلمة عند موت المسيح:

جاء في إنجيل متّى 27/45:ـ «ومن الساعة الثانية عشرة ظهرا إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، حل الظلام على الأرض كلها.»

1627 نثانيل لاردنر (1684م-1768م): لاهوتي إنجليزي. يعتبر مؤسس الدراسات المعاصرة للأدبيات النصرانيّة المبكّرة.

1628 انظر؛ *Lardner's works*, 8/491 (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.175)

1629 Richard Hooper, *Jesus, Buddha, Krishna and Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions* , AZ: Sanctuary Publications, Inc, 2008 , p.1

1630 انظر؛ خروج 34/28

جاء في إنجيل مرقس 15/33: ((ولما جاءت الساعة الثانية عشرة ظهـرا، حـل الظلام على الأرض كلهـا حـتى السـاعة الثالثة بعد الظهر.))

جاء في إنجيل لوقا 23/44-45: ((ونحو السـاعة السادسـة، حـــل الظلام على الأرض كلهـــا حـــتى الســـاعة التاســـعة، وأظلمت الشمس.))

يشـهد العلم بخرافيّـة هـذه القصّـة لأنّـه يسـتحيل علميًـا أن تكسف الشمس[1631] في اليوم الذي حددته الأناجيـل؛ إذ إنّ

1631 نصّ لوقـــا 23/45 في الأصـــول اليونانيّـــة يقـــول ((του ηλιου εκλιποντος)) (تو هيليو إكلِبونتوس) أي ((كسفت الشمس)) وهي القراءة الـواردة في أفضـل المخطوطـات كالبرديّـة 75 والمخطوطـة الفاتيكانيّـة والسينائيّة، وقد غيّر النسّاخ هذا النص إلى ((وأظلمت الشـمس)) أي ((και εσκοτισθη ο ηλιος)) (كاي إسكوتِسثي هو هيليـوس) هروبًـا من الخطـأ العلمي المحقق (انظر؛ Raymond Brown, *The Death of the Messiah*, New York: Doubleday, 1994, 2/1039), وقـد رأيتَ كيـف أنّ الترجمـة العربيـة ((كتـاب الحيـاة)) في المتن قـد أخـذت بهـذه القـراءة الضـعيفة المحرّفة!

وقد شعر ((أريجن)) منذ زمن مبكّر بهذه (المعضلة العلميّة)، وحاول الزعم أنّ (القراءة الصـحيحة) هي القـراءة المحرّفـة!! فقـال: ((dicimus ergo, quoniam Matthaeus et Marcus non dixerunt defectionem solis tunc factam fuisse, sed neque Lucas, secundum pleraque exemplaria habentia sic: »et erat hora fere sexta et tenebrae factae sunt super omnem terram usque ad horam nonam, et obscuratus est sol«. in quibusdam autem exemplariis non habetur: »tenebrae factae sunt et obscuratus est sol«; sed ita: »tenebrae factae sunt super omnem terram sole deficiente«. et forsitan ausus est aliquis (quasi manifestius aliquid dicere volens) pro: »et obscuratus est sol«, ponere: »deficiente sole«, aestimans quod non aliter potuissent fieri tenebrae nisi »sole deficiente«. Puto autem magis, quoniam insidiatores ecclesiae Christi mutaverunt hoc verbum, quoniam »tenebrae factae sunt sole deficiente«, ut verisimiliter evangelia argui possint secundum adinventiones volentium arguere ea)) أي:

هــذه الظــاهرة لا يمكن أن تقــع عنــدما يكــون القمــر مكتملًا.1632 كمـا أنّ الكسـوف التـام لا يمكن أن يتجـاوز طوله بضع دقائق، لا كما زعمت الأناجيل!1633

ويشهد تـراث الأمم السـابقة عـل شـيوع هـذه الخرافـة في أدبياتهم عند ذكر هلاك كبرائهم ومعظّميهم ومقدّسيهم؛ فقد قال ((فرار)) ((Farrar)) إنّ القدماء من اليونان والرومـان كـانوا يعتقـدون أنّ ميلاد العظمـاء أو وفـاتهم تنـبئ عنـه علامـات سماويّة.1634

وقــال الناقــد ((جيمس ر. إدواردز)) ((James R. Edwards)) في تلخيص الأمـر من جميـع جوانبـه: ((أَلِـفَ القـدماء روايـات

((نقول حينئذ إن متى ومرقس لم يصـرّحا بحـدوث كسـوف للشـمس في ذلك الوقت. ولا قاله لوقا وفقًا لكثير من النسخ، والتي فيها ((وَكَانَ نَحْـوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ فَكَانَتْ ظُلْمَـةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَـا إِلَى السَّـاعَةِ التَّاسِـعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ.)) مع ذلك في بعض النسخ لا وجـود لعبـارة ((وَأَظْلَمَتِ الشَّـمْسُ))، بـل ((فَكَـانَتْ ظُلْمَـةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَـا وَكـانت الشـمس في كسوف)). لعـل شخصًـا مـا كـانت تحـدوه الرغبـة في جعـل العبـارة أكـثر وضـوحًا تجـرأ على وضـع «وكـانت الشـمس في كسـوف» في محـل «وأظلمت الشـــمس»، ظانًّا أن الظلام لا يمكن أن يحـــدث إلا بســـبب الكسوف. مع ذلك أؤمن إلى حد ما أن أعداء كنيسة المسيح السريين قـد حرفوا هذه العبارة، جاعلين الظلمة تقع بسـبب أن «الشـمس كـانت في كسوف»؛ لعـل الأناجيـل تكـون عرضـة للنيـل منهـا على أرضـية عقلانيـة بواسطة ألاعيب هؤلاء الذين كانوا يتمنـون مهاجمتهـا.)) (Origen, *Comm.* *ser. Matt.* 134)

1632 انظر؛ Frédéric Louis Godet, *A Commentary on the Gospel of St. Luke*, Edinburgh: T. & T. Clark, 1889, 2/336

1633 انظـر؛ Eugen J. Pentiuc, *Jesus the Messiah in the Hebrew Bible*,New Jersey: Paulist Press, 2006 , p.175

1634 انظر؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.207

الحوادث الخارقة للطبيعة الـتي تصـاحب وفـاة الشخصـيات الإنسـانية اللامعـة؛ فهـذا الأدب الحاخـامي يسـجل روايـات غريبة وخيالية بشأن حوادث وفاة الحاخامـات المشـهورين- بما في ذلك ظهور النجوم في وضح النهار، وبكـاء التماثيـل، والرعد المصحوب بالبرق، بل وحتى انشقاق بحيرة طبريـة. على نحو مماثل، يسجل كاتبان رومانيان على الأقل أنه عند وفاة ((يوليوس قيصر)) أشرق نجم مذنب طـوال سـبعة أيـام متتالية. هذه الأشياء ومعجزات مشابهة عادة ما كـان ينظـر إليهـا على أنها تأبينـات سـماوية تضـفي شـرفًا على النبيـل المتوفى. بالنسبة لمرقس، مـع ذلـك، لم تكن العتمـة الـتي حلت في منتصف النهار تأبينًا سماويًا، بل نذير شـؤم وشـر، على غرار كارثة الظلام الـتي خيمت على مصـر عنـد إغلاظ الرب لقلب فرعون (خروج 10 / 21 ـ 23) أو حتى ظلام الخراب قبل الخلق (تكـوين 1/2). لا يمكن تفسـير الظلمـة التي خيّمت عند الصلب تفسيرًا سليما بـالظواهر الطبيعيـة: فالكسوف الشمسي لا يحدث عندما يكـون القمـر بـدرًا في وقت الفصـح؛ ولا هي عاصـفة ترابيـة أثنـاء موسـم الربيـع المطير.))[1635]

القائمون من الموت:

[1635] James R. Edwards, *The Gospel According to Mark*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2002, p.475

يعتبر أمر الإيمان بقيامة المسيح من المـوت الأس الأعظم للإيمـان النصـراني[1636]، حتّى قـال «بـولس»: «ولـو لم يكن المسيح قد قام، لكان تبشيرنا عبثًا وإيمانكم عبثًا.»[1637]

وقد ثبت من الدراسـات الخاصـة بالأديـان القديمـة، خاصـة الشرق أوسطية، أنّ الشعوب التي عاشت في زمن قــريب أو معاصر لعصر المسيح، قد عرفت آلهة كانت (تمــوت) ثم (تقوم من الموت)، سواء أكان هـذا المـوت مـرّة واحـدة أو موســميًّا، وقــد ثبت هــذا الوصـف لعـدد كبـير من الآلهـة، كـ«تمّوز» و«بعل» و«ملقارت» و«أدونيس» و«إشمون».

ومن أهم الكتب -وأحــدثها- الـتي فصّـلت تاريخيًّا في هــذه العقيدة عند الأمم القديمة، كتاب «لغز القيامة: «الآلهة الـتي تمــوت وتقــوم» في الشــرق الأدنى القــديم» (*Riddle of Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East*) 2001م) لـ «متنجر» «Metinger»[1638]، وكـانت خلاصـة بحثـه فيـه، قولـه: «الآلهـة الـتي تمـوت وتقـوم من المـوت كـانت معروفة في فلسطين في زمن (كتابة) العهد الجديد.»[1639]

تحويل الخمر إلى ماء:

1636 انظر في عرض هذه العقيـدة ونقضـها، كتابنـا، قيامـة المسـيح بين الحقيقة والافتراء، مكتبة النافذة

1637 1كورنثوس 15/14

1638 ترايجـف ن. د. متنجـر: أسـتاذ متقاعـد للعهـد القـديم من جامعـة (لوند) في السويد. درّس في عدد من الجامعات المختلفـة كأسـتاذ زائـر. عضو شرفي في الجمعيّة البريطانيّة لدراسات العهد القديم.

1639 Tryggve N. D. Mettinger, *Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East*, Stockholm: Almqvist & Wiksell International, 2001, p.220

جاء في إنجيل يوحنا 1/2-11 أنّ المسيح قـد حضـر عرسًـا، وقـام فيـه بـأولى معجزاتـه، وهي تحويـل المـاء إلى خمـر ليسكر الحاضرين (!!).

لا شكّ أنه من العجيب جـدًّا أن تكـون للمسـيح معجـزة من هذا النوع الشـنيع؛ إذ إنّـه قـد جـاء في أكـثر من موضـع من العهدين القديم والجديد ذم الخمر:

«الخمـر مسـتهزئة، والمسـكر صـخاب، ومن يـدمن عليهـا فليس بحكيم.»[1640]

«ليس للملوك يالموئيل، ليس للملوك أن يدمنوا الخمـر، ولا للعظماء أن يجرعوا المسكر لئلا يسكروا فينسوا الشـريعة، ويجوروا على حقوق البائسين.»[1641]

«وأمر الرب هارون: لا تشـرب أنت وأبنـاؤك خمـرًا مسـكرًا عند دخولكم لخدمتي في خيمة الاجتماع، لئلا تموتوا، وتكون هذه عليكم فريضة أبدية جيلا بعد جيل.»[1642]

«وإياها أن تأكل من كـل نتـاج الكرمـة أو تشـرب خمـرا أو مسكرا، أو تأكل طعاما محرما. لتحرص على إطاعة كل مـا أوصيتها به»[1643]

1640 الأمثال 20/1

1641 الأمثال 4/31-5

1642 لاويين 8/10-9

1643 القضاة 14/13

«وسوف يكون عظيما أمام الرب، ولا يشرب خمرا ولا مسكرا، ويمتليء بالروح القدس وهو بعد في بطن أمه.»[1644]

سيزول الاستغراب إذا قلنا بما نبّه عليه «فريدرش هولدرلن» «Friedrich Hölderlin» من التشابه الكبير بين «يسوع» و«ديونيسوس» إله الخمر، خاصة في كتابيه «*Brod und Wein*» و«*Der Einzige*»، وهو ما أكّده النقّاد المعاصرون كـ«مارتن هنجل» «Martin Hengel»[1645] و«باري باول» «Barry Powell» [1646] و«بيتر ويك» «Peter Wick»[1647] ...

1644 لوقا 1/15

1645 بيتر هنجل (1926م-2009م): ناقد ألماني متخصص في تاريخ الأديان.

1646 باري باول: أستاذ متقاعد من جامعة وسكنسن-مادسن. متخصص في «هومر» وتاريخ الكتابة. له كتاب «الأساطير التقليديّة» الذي نال شهرة كبيرة كمرجع تدريسي في الغرب.

1647 انظر دراسته: «من يسوع إلى ديونيسوس؟: مساهمة في (فهم) سياق إنجيل يوحنا» Peter Wick, '*Jesus gegen Dionysos? Ein Beitrag zur Kontextualisierung des Johannesevangeliums,' Biblica* 85 (2004) pp. 179-198



رمز الصليب:

رغم ما شاع اليوم في الثقافة الشعبيّة من أنّ الصـليب هـو رمز نصراني خالص، يرمز إلى صلب معبود النصارى، إلاّ أنّ الحقيقة التاريخيّة تقول إنّ النصارى هم ورثـة لـتراث ديـني قديم ظهـر عنـد أمم كثـيرة تمّ اعتبـار الصـليب فيـه عنوانًـا للتعبير عن فكرة دينيّة.

وقـد اعـترف بهـذه الحقيقـة الناقـد النصـراني، الأسـقف «كولنصو» «Colenso»[1648] في قولـه: «منـذ بدايـة الوثنيّـة

[1648] جون ويليام كولنصو (1814م-1883م): أسقف، ومنصّر، ولاهوتي، وناقد كتابي.

المنظّمـــة في العـــالم الشـــرقي إلى التأســـيس النهـــائي للمسيحيّة في الغرب، كان الصليب دون شك أحـد المعـالم الرمزيّة المشتركة والأهم قداسة.))[1649]

وجـاء في كتـاب ((الحجـة الأركيولوجيـة على تـاريخ الكنيسـة قبـل قسـطنطين)) (*Ante pacem:* Ar*chaeological Evidence of Church Life Before Constantine*)): ((علامة الصليب رمز عريـق القدم، موجود في كل الثقافات المعروفة. تَقَلَّتَ معنـاه من الأنثروبولوجـــيين رغم أنّ اســـتعماله في فن الجنـــائز من الممكن أن يكون علامة بيّنة على مدافعة الشيطان.))[1650]

وكـــان ((مينوســـيوس فلكس)) ((Minucius Felix)) –أحـــد أشـــهر الكتاب المدافعين الأوائل عن عقيدة الكنيسة- قـد كتب في بداية القرن الثالث ردًّا على خصمه الوثني -في شكل حـوار تخيّلي-: ((نحن لا نعبد الصلبان ولا نـرغب في ذلـك. أنتم في الحقيقة من يخضع للآلهـة الـتي هي من خشـب، ومن يعبـد الصـلبان الخشـبية ... إنّ أعلام جيوشـكم ولافتـاتكم وأعلام معسكراتكم ليسـت إلاّ صـلبانًا مطليّـة ومزيّنـة؟ إنّ كـؤوس النصر عندكم لا تقلِّد فقط الصلبان في شـكلها، وإنمـا أيضًـا تقلّد شكل **إنسان مربوط بها**.))[1651].. وهـو مـا يؤكـد أن

[1649] Colenso, *The Pentateuch Examined*, 6/118 (Quoted by Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.309)

[1650] Graydon F. Snyder, *Ante Pacem: Archaeological Evidence of Church Life before Constantine*, Macon: Mercer University Press, 2003, p.60

[1651] Minucius Felix, '*Octavius*, xxix' in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner, 1926: , 4/191

البيئة الـتي نشـأت فيهـا النصـرانيّة هي الـتي منحتهـا هـذا الرمز!

لا تشهد الآثار النصرانيّة المبكّرة لقداسة رمز الصـليب عنـد النصارى الأوائل؛ حتّى قال الكاتب الأصولي العميد «بـرجن» «Burgon»[1652]: «أنا أستشكل أمر أن يكون الصليب قد ظهر في أي مَعْلَم مسيحي للقرون الأربعة الأولى.»[1653]

وجاء في المعجم الكتابي «*The Anchor Bible Dictionary*»، في مقال «الفن والهندسة (الفن المسيحي المبكـر)»: «المشـهد الهام (لصلب المسـيح) والرمـز الـذي صـحبه (الصـليب) لم يوجـدا في الفن المسـيحي المبكّر. ربمـا كـان أول مشـهد لآلام المسـيح موجـودًا في تـابوت للآلام في الفاتيكـان قـد نحت في منتصف القرن الرابع.»[1654]

لم يكن الصـليب هـو رمـز النصـارى الأوائـل، وإنّمـا كـانت (السـمكة) هي الرمـز المقـدس عنـدهم، وفي هـذا يقـول «فرّار» في كتابه «حياة المسيح كما يظهرهـا الفن» «*The Life of Christ as represented in Art*» –وهو دال كما في عنوانه، على صورة المسيح في الفن، منذ بداية النصرانيّة-: «من بين كلّ

1652جون ويليام برجن (1813م-1888م): ناقد نصراني تقليدي، اشتهر بدفاعه عن عصمة الكتـاب المقـدس من الخطـأ. كـانت لـه عنايـة كبـيرة بنصوص الآباء، خاصة المتعلّقة بشروح الأسفار المقدّسة.

1653 John Denham Parsons, *The Non-Christian Cross*, Echo Library, 2006 , p.90

1654 *The Anchor Bible Dictionary*, New York: Doubleday, 1992, 1/461

الرمـوز النصـرانيّة المبكّـرة، تبـدو السـمكة أكثرهـا ذيوعًـا وتفضيلًا (عند النصارى الأوائل).[1655]

وليس الأمـر في حقيقتـه قاصـرًا على «الصـليب»، وإنّمـا اقتبست النصرانيّة الكثير من رموزها من الوثنيّـة، وقـد بيّن ذلـك «تومـاس إنمـان» «Thomas Inman» في كتابـه «*Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism*». وقد أورد فيه صورًا من آثار الأمم التالفة وعلّق عليها بما يكشف المشـترك من الرموز بين النصرانيّة وثقافات الأمم الأخرى.[1656]

وتحـدّث «ويليـام هاردويك» «William Hardwicke» عن الرمـوز الـتي اقتبسـها النصـارى من الأمم الأخـرى، وأثبت أنّهـا: الصـليب، والقلب المقـدّس، والاسـم المقـدس المتـداخل الحروف (sacred monogram)، والخروف، والسمكة، والمثلّث، والحمامة.[1657]

1655 Frederic Willaim Farrar, *The Life of Christ as Represented in Art*, New York: Macmillan, 1894 , p.11

1656 انظر؛ Thomas Inman, *Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism*, New York: Peter Eckler Publishing Company, 1915

1657 انظر؛ William Hardwicke, *The Evolution of Man: his religious systems and social customs*, London: Watts, 1899, pp.259-266

HISTORY OF THE CROSS:

THE PAGAN ORIGIN,

AND

IDOLATROUS ADOPTION AND WORSHIP,

OF

THE IMAGE.

┬ † ✠

BY

HENRY DANA WARD, M.A.,
U.S.A.

كتاب في إثبات الأصل الوثني للصليب
الذي اتخذته الكنيسة رمزًا للنصرانيّة

LONDON:
JAMES NISBET & CO., 21 BERNERS STREET.
PHILADELPHIA:
CLAXTON, REMSEN, & HAFFELFINGER,
819 AND 821 MARKET STREET.
1871.

Fig. 44.



صورة لقوم عاشوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهم
يلبسون قلائد تتدلى منها صلبان



The girdle was sometimes highly ornamented; men as well as women wore ear-rings; and they frequently had a *small cross* suspended to a necklace, or to the collar of their dress. The adoption of this last was not peculiar to them; it was also appended to, or figured upon, the robes of the Rot-n-no; and traces of it may be seen in the fancy ornaments of the Rebo, showing that it was already in use as *early as the fifteenth century before the Christian era.* (Fig. 44.)

* Wilkinson, vol. i. p. 376.

الصلب والفداء:

رغم مـا شـاع اليـوم من أنّ النصـرانيّة هي دين (صـلب المعبود)، فـإنّ التـاريخ يخبرنـا أنّ (صـلب المعبـود) هـو من

مشترك الكثير من الديانات القديمة، ورغم أنّ الكثير من هذه الديانات تضمّ أكثر من رواية عن موت هذا الإله، إلاّ أنّ ذيوع قصّة الصلب؛ كرواية وحيدة لموت الإله أو (المعظّم) أو إحدى روايات موته، يؤكّد أنّ (أسطورة الصلب) هي من المشترك الخرافي القديم في الأمم القديمة، وهو ما تشرّبته النصرانيّة في تراثها الديني.

وقد قال صاحبا كتاب «أسرار يسوع، هل كان "يسوع الأصلي" إلهًا وثنيًا؟» (*The Jesus Mysteries; was the 'original Jesus' a pagan God?*) في أمر «موت الآلهة»: «هناك اعتقاد عام بأن يسوع قد صلب على صليب، لكن الكلمة التي ترجمت باستعمال كلمة «صليب» في العهد الجديد تحمل عمومًا معنى «الوتد». فقد كان من عادة اليهود أن يعرضوا جثث هؤلاء الذين رجموا حتى الموت فوق دعامة، كتحذير لمن سواهم. في سفر أعمال الرسل، لا يقول بطرس إن يسوع قد صلب، بل «علّق على شجرة» وكذلك يفعل بولس في رسالته إلى أهل غلاطية. يخبر فيرميكوس ماتيرنوس[1658]، أحد آباء الكنيسة، أنه ضمن «أسرار أتيس» ربط تمثال إله مستأنس شابٍ فوق شجرة صنوبر. وكان أدونيس مشهورًا بأنّه «المعلق فوق الشجرة».

جاء في «أسرار ديونيسوس» أن قناعًا كبيرًا ذا لحية يمثل إلهًا مستأنسًا قد علّق على عمود خشبي. أعطي

1658 يوليوس فيرميكوس ماتيرنوس Julius Firmicus Maternus (القرن الرابع): كاتب نصراني لاتيني. صاحب كتاب (حول أخطاء الأديان الدنسة) (*De errore profanarum religionum*) في التشنيع على العقائد المخالفة للنصرانيّة.

ديونيسوس تاجًا من اللبلاب، كما كان الأمر مع يسوع الـذي مُنح وهو فوق صـليبه تاجًـا من الشـوك. وكمـا ألبس يسـوع رداءً أرجوانيًّا حينمـا كـان الجنـود الرومـان يسـخرون منـه، كذلك فُعل بديونيسوس الذي ألبس هو الآخر رداءً أرجوانيـا. وكان المبتدئون في مدينة إلفسينا يرتدون وشـاحًا أرجوانيًـا يغطي أجسـامهم. أعطي يسـوع قبـل موتـه نبيـذًا مخلوطًـا بمرارة ليشربه. كـان المحتفلـون في طقـوس ديونيسـوس السرية يشربون النبيـذ على نحـو طقسـي والمفسـر الـذي كان يمثل ديونيسوس نفسه أعطي مشروبًا مرًّا ليشربه.

لقى يسوع حتفه إلى جوار لصين، أحدهما سيصعد معه إلى السماء، بينما سيذهب الآخـر إلى الجحيم. حـافز أسـطوري مقابل نجده في الأسرار. هناك أيقونة متداولة تصور حاملي مشاعل كل منهمـا يقـف إلى جـوار الإلـه مـثرا. أحـد هـذين الشخصين يشير بمشعله إلى أعلى، حيث يرمز إلى الصعود إلى السـماء، والآخـر يشـير بمشـعله إلى الأسـفل، معـبرًا بالرمز عن الانحدار إلى الجحيم. في «أسـرار إلفسـينا»[1659] نجد أيضًا شخصين يحملان المشـاعل ويشـيران بمشـعليهما إلى الأعلى وإلى الأسـفل على التـوالي، وكـل منهمـا يقـف إلى جوار ديونيسوس، لكنهما هذه المرة امرأتان. يُعتقـد أنّ حاملا المشاعل في أسرار مثرا يمثّلان شكلًا مطوّرًا لنموذج الأخوين الأسطوريين اليونانيين كاستور وبولاكس الأقدم من الناحية الزمنية. في يومين متعاقبين، سيكون أحـد الأخـوين حيًّا والآخر ميتًـا. فهمـا يمثلان الـذات الأعلى والـذات الأدنى

1659 أسـرار إلفسـينا: تطلـق على عبـادة الإلهـة (دمـتر) في إلفسـينا اليونانية.

اللتـان لا يسـعهما أن يكونـا «على قيـد الحيـاة» في نفس الـوقت. عـرف كاسـتور وبـولاكس بأنهمـا ابنـا الرعـد، وهـو اللقب الذي خلعه يسوع في إنجيـل مـرقس على اثـنين من تلامذته، الأخوين يعقوب ويوحنا، من غير سبب يذكر!

في بعض الأسـاطير، غـريم ديونيسـوس، الـذي يتمثـل في الـذات الأدنى لأحـد المبتـدئين، يمـوت موتـة الإلـه الإنسـان عوضًا عنه. في أسـطورة بـاخوس، يشـرع الملـك بينـثيوس في قتـل ديونيسـوس، لكنـه نفسـه يعلّـق على شـجرة. في أسـطورة مماثلـة موطنهـا صـقلية، يصـلب العـدو اللـدود لديونيسوس، الملك ليكورجوس...

اعترف جستين الشهيد في فصل من أحد كتبـه كـان يحمـل في الواقــع اســم «عقيــدة الصــلب عنــد أفلاطــون»، بــأن الفيلسوف الوثني قد نشر تعليمًا قبل قـرون يقـول فيـه إن «ابن الله» قد وضع على الصليب في العالم.

كان الصليب رمزًا مقدسًا عنـد القـدماء. فقـد كـانت أذرعـه الأربعة تمثّل عناصر العـالم المـادي الأربعـة- الأرض والمـاء والجو والنار. وقد حبس العنصر الخامس، الروح، في المادة عبر هذه العناصر الأربعة...

يبـدو أنّـه من المسـتبعد جـدًّا أن يكـون الثنـائي أوزيـريس وديونيسوس قد صورا وكأنهما يموتـان الموتـة نفسـها الـتي ماتها يسوع، لكن هذا ما يشير إليه الدليل. أرنوبيــوس[1660]،

1660 أرنوبيــوس الكــافي Ἀρνόβιος ἐκ Σίκκης (تــوفي 330): من منطقة الكـاف بتـونس. كـاتب لاتيـني نصـراني، كـانت لـه عنايـة بـالكتب

أحد آباء الكنيسة، أفزعه أن وجد أن المبتدئين في أسرار ديونيسوس يناولون بعضهم صليبًا مقدسًا. على بعض صور المزهريات يتم إظهار صنم ديونيسوس وقد تدلى من فوق صليب. يصور تابوت حجري يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلاديين تلميذًا طاعنًا في السن يحمل الطفل المقدس ديونيسوس صليبًا كبيرًا. يصف عالم معاصر هذا الصليب بقوله إنه «إعلام بالمصير المأساوي النهائي» للطفل.

إلى الفترة نفسها يرجع تاريخ الطلسم غير العادي الذي يظهر شخصًا مصلوبًا قد تتسرع وتظن أنه يسوع، لكنه أوزوريس ديونيسوس. النقش الموجود أسفل هذا الشخص مكتوب فيه «أورفيوس باكيكوس» الذي يعني «أورفيوس يصبح باخوي». كان أورفيوس نبيًّا أسطوريًّا عظيمًا أرسله ديونيسوس الذي كان مبجلًا للغاية حتى إنه كان ينظر إليه باعتباره الإله المتأنس نفسه...

يصوّر الطلسم ديونيسوس وهو يحتضر بسبب الصلب، رامزًا بالموت الغامض للمبتدئ إلى طبيعته الأدنى وميلاده الثاني كإله.»[1661]

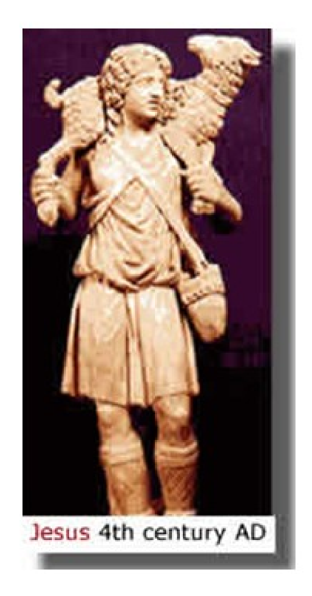
الدفاعيّة ضد المخالفين للنصرانيّة. القول إنّه يعدّ من آباء الكنيسة، فيه نظر، وإنّما هو من كتّاب الكنيسة الأوائل المتحمّسين لها.

1661 Timothy Freke and Peter Gandy, *The Jesus Mysteries, was the 'original Jesus' a pagan God?*, pp.50-51

وقد اكتشف المنصّرون أنفسهم أنّ الكفارة الإلهية ذائعة عند الأمم الأخرى؛ فقد قال الأب ((هوك)): ((فكرة الفداء بالتجسد الإلهي، عامة وشائعة.))1662

وقال ((توماس إنمان)) ((Thomas Inman))1663:ـ ((إنّ كلمتي ((الخلاص)) و((المخلّص)) قد استعملتا قبل ميلاد المسيح بفترة طويلة، ولازالتا شائعتين بين الذين لم يسمعوا البتّة بيسوع.))1664

المسيح | أثنيا 570 ق.م





1662 Huc, *Christianity in China*, 1/326-327 (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.183)

1663 توماس إنمان (1820م- 1876م): كانت له عناية بدراسة الأساطير القديمة، وقد ألّف فيها عددًا من الكتب.

1664 Thomas Inman, *Ancient Faiths Embodied in Ancient Names*, 3/652

أم الإله الممجدة:

غلا النصارى في «مريم» –عليها السلام- إلى درجة رفعها من حيث حقيقة الحال-وإن لم يكن بصريح المقال- إلى مرتبة الألوهيّة حتّى لقّبوها بـ «أم الإله» و«ملكة السماء»...

وقد بيّن «إ. أ. وليس بودج» «E. A. Wallis Budge» في كتابه «آلهة مصر» «*The Gods of Egypt*» أنّ النصرانيّة كانت وريثة الديانة المصريّة في هذا الجانب، فقد حوّل المصريون «ولاءهم من إزوريس إلى يسوع الناصري، من غير عسر. وعلاوة على ذلك؛ فقد ربطت إزيس وابنها مباشرة بمريم العذراء وابنها ... منح آباء مصريون للكنيسة العذراءَ لقب «ثيوتوكوس» أي «أم الإله»، ناسين، في الظاهر، أنه ترجمة دقيقة لـ«نتر موت»، وهو اسم قديم جدًا لإزيس.»1665

وقال الناقد «جيمس س. كورل» «*James S. Curl*» 1666 في كتابه «الإحياء المصري» «*The Egyptian Revival*»: «التشابه بين إزيس ومريم العذراء كبير جدًّا ومتعدد الأوجه بما يصرفه عن أن يكون عرضيًّا. حقيقة، لا يوجد شكّ في أنّ عبادة إزيس كان أثرها عميقًا جدًّا في الأديان الأخرى، بما في ذلك النصرانيّة. وكما أشار إلى ذلك الدكتور وتّ، فإنّه كلّما تعمقّنا في دراسة الطائفة الغامضة للإلهة إزيس؛ كلّما ظهرت لنا تلك الإلهة في تعبيرات تاريخيّة: كانت إزيس إلهة معروفة في المدن الكبرى لروما والإسكندريّة، وفي قرى

1665 E. A. Wallis Budge, *The Gods of Egypt*, 1/xv-xvi (Quoted by, D. M. Murdock, *Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection*, WA: Stellar House Pub, ,2009 ,p.120)

1666 جيمس س. كورل: أستاذ متقاعد من جامعة كوين ببلفاست.

بومبي وهركولانيوم، وفي الدول-المدن للعصر الهلنستي (323- القرن الأول قبل الميلاد) في آسيا الصغرى، وعبر بلاد الغال، في الوقت الذي كان يوجد فيه معبد شهير لإزيس في المدن الرومانيّة. ما كان بالإمكان أن تنسى أو تزال من الوجود، ولا يتصور أن تزول من قلوب الناس وأفئدتهم في يوم من أيام القرن الخامس ميلاديًّا.

... لقد كانت تجسيدًا مقدسًا للأمومة، وعرفت مع ذلك بالعذراء العظيمة، وهو تناقض ظاهر سيصبح مألوفًا عند المسيحيين.))[1667]

كما كان (لأم الإله) الممجّدة وجود في العديد من الديانات الوثنيّة القديمة الأخرى ممّا هو مفصّل في الكتب التي عنيت بهذا الموضوع.[1668]

1667 James S. Curl, The Egyptian Revival, pp.12-13 (Quoted by, D. M. Murdock, *Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection*, p.121)

1668 انظر في أسماء هذه الديانات الهنديّة والصينيّة وغيرها؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, pp. 326-338

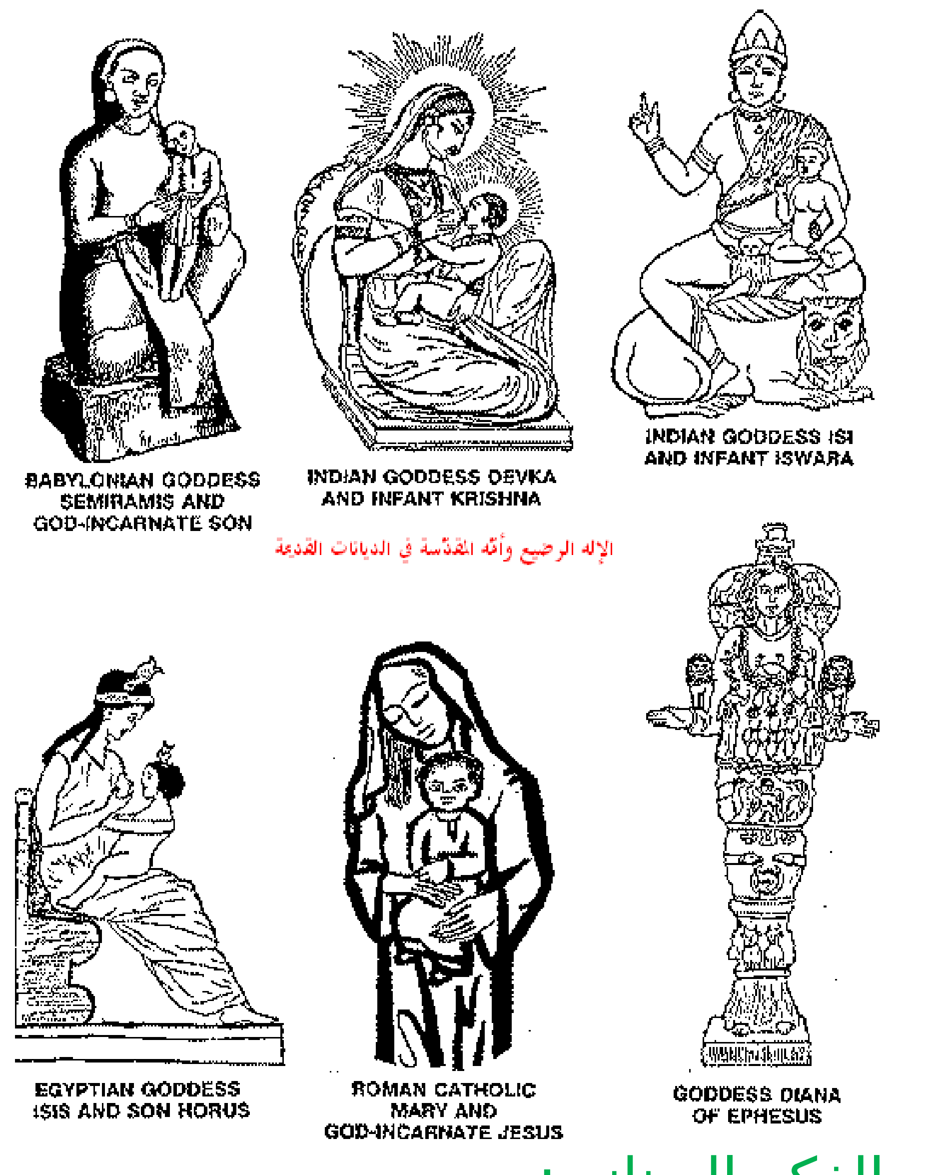
إزيس وابنها



Isis dates to at least 1,800 BC

مريم وابنها





الإله الرضيع وأمّه المقدّسة في الديانات القديمة

ب- الفكر اليوناني:

o الفلسفة الأفلاطونيّة::

لم يقف الأمر عند اقتباس الأسفار المقدسة والكنيسة من عقائد السابقين، وإنّما اقتبست الأسفار والكنيسة أيضًا من

الأفكار الفلسفيّة التي كان لها رواج في ذاك الزمان؛ حتّى قال المؤرّخ ((ديورنت)) عن الفيلسوف ((أفلاطون)): ((لقد قبلت النصرانيّة كلّ سطر من كلامه.))1669 كما قال عن كنسية الإسكندريّة في القرن الثاني، وهي التي خرج منها ((كلمنت)) و((أريجن))، إنّها: ((زوّجت النصرانيّة للفلسفة اليونانيّة.))1670

لقد أحسّ آباء الكنيسة بوطأة الفكر الفلسفي اليوناني على المنظومة العقديّة النصرانيّة؛ فحاولوا أن يجدوا لذلك المبرّرات؛ ((فأكّد كلمنت على أنّ الفلسفة جاءت من الله، وأعطيت إلى اليونان لتكون معلّمة لهم، وذلك حتى يُستجلبوا إلى المسيح.))!!؟1671

أمّا ((أوغسطين)) فسلك فجًّا آخر عندما زعم أنّ ((أفلاطون)) قد زار مصر أيام النبي ((إرمياء))، ومنه أخذ الحكمة (!)، وأنّه من الأرجح أنّ الفلاسفة هم من أخذوا من أنبياء بني إسرائيل الفلسفة!!1672

قديس الكنيسة ((أوغسطين)) هو الذي قال عمّا قرأه في الفلسفة الأفلاطونيّة: ((لقد قرأت هناك أنّ الله الكلمة ولد

1669 Will Durant and Ariel Durant, *The Story of Civilization: Caesar and Christ, a History of Roman and of Christianity from their beginnings to A.D. 325*, Simon and Schuster, 1935, 3/611

1670 المصدر السابق, 3/613

1671 Arthur Cushman McGiffert, *A History of Christian Thought,* New York: Scribner's. 1932, 1/183

1672 انظر؛ St Augustine, '*On Christian Doctrine*,' in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, 1887, 2/549

من غـير لحم ودم، لا من مشـيئة الإنسـان، ولا من مشـيئة الجسـد، وإنمـا من مشـيئة اللـه.)) [1673] مقـرًا أنّ أصـل هـذه العقيدة موجود في الفلسفة اليونانيّة!

وقد أصاب اللاهوتي الشهير ((أدولف هرناك)) (Adolf Harnack)) [1674] عندما قال: ((عبر قبول معتقد (الكلمة) في اللاهوت المسيحاني كعقيدة مركزيّة في الكنيسة؛ أصبحت عقيدة الكنيسة، حتى بالنسبة لغير رجال الدين، عميقة الجذور في أرض الثقافة اليونانية.)) [1675]

- الحكمة اليونانيّة:

لم يقتصر العطاء اليوناني بالنسبة للعهد الجديد على الأفكار والرؤى الفلسفيّة، وإنّما ظهر جليًّا في النقل الحرفي لمقولات كتّاب يونان، بما يظهر عمق تأثير الفكر اليوناني الغربي على رسالة المسيح التي ظهرت في فلسطين الشرقيّة.

أهم هذه النصوص اليونانيّة التي نُقلت بالحرف في العهد الجديد، هي:

- أعمال الرسل 17/28: ((لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم: نحن أيضا ذريته!))

1673 Augustine, *The Confessions*, tr. J. G. Pilkington, Edinburgh: T. & T. Clark, 1876 , p.154

1674 أدولف هرناك (1851م-1930م): مؤرّخ كنسي وأبـرز لاهـوتي في آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. عـرف بتأكيـده على نفي أصالة ((الإيمان الرسولي)) معتبرًا إياه صناعة يونانيّة.

1675 Adolf Harnack, *Outlines of the History of Dogma*, tr. Edwin Knox Mitchell, New York: Funk & Wagnalls, 1893, p.194

نص «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد»: من الشاعر «إبمنيدس» «*Epimenides*».

نص «نحن أيضا ذريته»: من الشاعر «أراتوس» «Aratus»[1676].

- أعمال الرسل 26/14: «فسقطنا كلنا على الأرض. وسمعت صوتًا يناديني باللغة العبرية قائلا: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ يصعب عليك أن ترفس المناخس.»

«المناخس»، جمع «منخس» وهو الآلة التي يستعملها الفلاح لدفع الثور بنخسه في دبره حتى يسير إلى حيث يريد صاحبه. وقول «بولس» في حديثه عن (هدايته!)، إنّ المسيح قد ظهر له وقال له: «... لا تستطيع أن ترفس مناخس»، هو في حقيقته استحضار للمثل الذي شاع عند اليونانيين والرومان في التعبير عن عاقبة العناد، بصورة الثور الهائج الذي يأبى أن يطيع صاحبه فيرفس الأداة التي ينخسه بها مِن ورائِه في دبره؛ فيؤذي نفسه!

يقول الناقد المحافظ «ج. س. هوسن» «J. S. Howson»[1677]: «الصورة المجازيّة «من الصعب أن ترفس مناخس» كانت من الصور المفضّلة في العالم الوثني ... لقد استُعملت بصورة مكثّفة من طرف الكتّاب اليونانيين والرومانيين. إننا نجدها في أعمال «بندر» «*Pindar*» و«أيسخايلوس» «*AEschylus*»

1676 انظر؛ Bruce Barton, *Acts*, Ill: Tyndale House Publishers, Inc., 1999, p.305

1677 ج. س. هوسن: عميد شستر.

و((أوربدس)) ((*Euripides*)) وأيضًا ((بلوتوس)) ((*Plautus*)) و((ترونس)) ((*Terence*)). لم ترد هذه الكلمات في أيّة مجموعة من الأمثال اليهوديّة المعروفة.))[1678]

- 2بطرس 2/22: ((وينطبق على هؤلاء ما يقوله المثل الصادق: ((عاد الكلب إلى تناول ما تقيأه، والخنزيرة المغتسلة إلى التمرغ في الوحل!))))

جاء في هامش ترجمة ((*The New American Bible*)): ((المثل الثاني مصدره مجهول، أمّا الأوّل فيظهر في سفر الأمثال 26/11.))[1679]

- 1كورنثوس 15/33: ((لا تنقادوا إلى الضلال: إن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة!))

ردّ قديس الكنيسة ((جيروم)) هذا النصّ إلى الكاتب التمثيلي اليوناني ((مننذر)) ((Menander)).[1680]

- أعمال الرسل 20/35: ((وقد أظهرت لكم بوضوح كيف يجب أن نبذل الجهد لنساعد المحتاجين، متذكرين كلمات الرب يسوع، إذ قال: الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ!))))

نصّ: ((الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ)) لا وجود له في الأناجيل، وإنّما هو مقتبس من التراث اليوناني الذي

1678 Philip Schaff, ed. *A Popular Commentary on the New Testament*, New York: Charles Scribner’s Sons, 1880, 2/352

1679 *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.372

1680 انظر: Anthony C. Thiselton, *The First Epistle to the Corinthians: a commentary on the Greek Text*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2000, p.1254

استقى منه مؤلّف أعمال الرسل الكثير من أفكاره، وقد أشار عدد من النقاد إلى أنّ نصّ «الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ» «μακαριον εστιν μαλλον διδοναι η λαμβανειν» الذي ورد في أعمال الرسل هو اقتباس عكسي من كلام المؤرخ اليوناني «ثوكيديديس» الذي ورد في سياق الإدانة: «الأخذ أولى من العطاء» «λαμβανειν μαλλον η διδοναι»!1681

4- إقتباس العهد الجديد من الكتب المزيّفة:

استدلّ المنصّرون بالتشابه الموجود بين ما جاء في القرآن الكريم والكتب اليهوديّة والنصرانيّة غير المقدّسة، لردّ ربّانيّة القرآن الكريم، وقد سبق بيان تدليسهم. وقد أخفى القوم في المقابلِ حقيقةَ اقتباس كتبهم من الأسفار المزيّفة .. وبين يديك الآن التفصيل:

أ- الاقتباس من الكتب المنحولة:

أصبحت قضيّة اقتباس العهد الجديد من الكتب اليهوديّة المنحولة -مباشرة أو ضمنًا-، قضيّة مسلّمة عند النقاد الموضوعيين، حتّى قال «كريغ أ. إفنز» «Craig A. Evans»: «في السنوات الأخيرة، خاصة منذ عشرين سنة مضت حيث تمّ نشر مجلدي كتاب «العهد القديم المنحول» بتحرير

1681 انظر: I. Howard Marshall and David Peterson, eds. *Witness to the Gospel: the Theology of Acts*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1998 , p.518

شارلزورث، ازداد النقاد المتخصصون في العهد الجديد انتباهًا إلى أهميّة الكتابات المنحولة، لتفسير العهد الجديد.))[1682]

- ## سفر 1 أخنوخ:

تعريف: السفر الأوّل لأخنوخ هو كتاب منحول ينسب إلى ((أخنوخ)) أحد أجداد ((نوح)) عليه السلام.

التشابه:

- يهوذا 14/15:ـ ((عن هؤلاء وأمثالهم، تنبأ أخنوخ السابع بعد آدم، فقال: «انظروا إن الرب آت بصحبة عشرات الألوف من قديسيه، ليدين جميع الناس، ويوبخ جميع الأشرار الذين لا يهابون الله بسبب جميع أعمالهم الشريرة التي ارتكبوها وجميع أقوالهم القاسية التي أهانوه بها والتي لا تصدر إلا عن الخاطئين الأشرار غير الأتقياء!))

المصدر:

سفر 1 أخنوخ 1/9:ـ ((هاإنّه يأتي مع عشرة آلاف من قدّيسيه حتّى ينفّذ الحكم على الكل، وليحطّم الأشرار، ويدين كلّ جسد على كلّ ما عمله من شر اقترفه بسوء، وكلّ قول قبيح قاله الخطاة الأشرار ضدّه.))

1682 Craig A. Evans, *Ancient Texts for New Testament Studies: a guide to the background Literature*, p.70

قـرّر النقّـاد أنّ «يهـوذا» كـان يحيـل إلى السـفر المنحـول «1أخنوخ»، وقد حـاول الـدفاعيون النصـارى التفلّت من هـذه الحقيقة بـدعوى أنّ النقـل عن هـذا السـفر لا يعـني القـول بقداسته[1683]. وهذه دعوى مردودة من وجهين:

الوجـه الأوّل: نقـل «يهـوذا» عن هـذا السـفر خـبرًا غيبيًـا لا يعرف إلاّ بواسطة الوحي، وليس هو موافقة لـه في قضـيّة عقليّة أو قاعدة أخلاقيّة عامة، كما أنّ هذا التطابق في هـذا الخبر الغيبي لم يرد في صـورة (الموافقـة) دون إحالـة إلى مصـدر بعينـه، وإنمـا ورد بتخصـيص النقـل عن هـذا السـفر بعينه.

الوجه الثاني: من آبـاء الكنيسـة من كـان يـرى قداسـة هـذا السفر، ومنهم «ترتليان» الذي اقتبس في كتبه أكثر من مرّة من سـفر «1أخنـوخ» (في: *De Idololatria*, 15, De *Cultu Foeminarum*, 2. 10) وصرّح في إحدى المـرّات أنّـه وإن كـان هذا السفر مرفوضًا من اليهود فإنّ ذلك ربما يعود إلى عجز اليهود عن تصوّر نجاته من الطوفان. وقال إنّـه ربمـا حصـل «نوح» على نسخة هذا السفر من أسلافه، أو استطاع إعادة كتابتـه مـرّة أخـرى من خلال الـوحي، كمـا كـان الأمـر مـع «عزرا» الذي أعاد كتابة التوراة. وأضـاف أنّ ورود الاقتبـاس

1683 انظـر مثلًا: Ron Rhodes, *Commonly Misunderstood Bible Verses: Clear Examinations for the Difficult Passages*, Oregon: Harvest House Publishers, 2008, p.281

من هـذا السـفر في رسـالة يهـوذا يقطـع كـلّ شـك حـول أصالته.1684

ولم يتفـرّد «ترتليـان» بـالقول بقداسـة سـفر «1أخنـوخ» بـل شاركه عدد من الآباء مثل «كلمنت السكندري» و«إيرانيوس» 1685 و«أثنـاغوراس»1686، كمـا شـهدت رسـالة برنابـا 16/4 1687 لنفس الأمـر. ولا تـزال الكنيسـة الأثيوبيّـة إلى اليوم ترى قداسته.1688

ومن الطريف هنا أنّ مؤلّـف سـفر أخنـوخ1 قـد حـرّف هـذا النص بعض الشيء ليوافق غرضه (المسيحاني)؛ فقد قـارن الناقد «جيمس هـ. تشارلزورث» «James H. charlesworth» بين: النص اليونـاني لاقتبـاس رسـالة يهـوذا، والجـزء المتـاح من النص العبري المكتشف ضمن مخطوطـات مغـاور قمـران؛

1684 انظر؛ John Kaye, *The Ecclesiastical History of the Second and Third Centuries*, Cambridge: University Press, 1826, p.306

1685 إيرانيوس Εἰρηναῖος (130م-202م): أحد آباء الكنيسة. أسقف ليون في القرن الثاني. له مؤلّفات في الدفاع عن النصرانيّة.

1686 أثناغوراس (القرن الثاني): فيلسـوف ولاهـوتي عـرف بدفاعـه عن النصرانيّة.

1687 رسالة برنابا Επιστολή Βαρνάβα: كتاب ديـني كـان معروفًـا بين النصارى في القرن الثاني ميلاديًّا، وهـو موجـود بالكامـل في المخطوطـة السينائيّة. من النصـارى الأوائـل من كـان يـؤمن بقداسـته وأنـه جـزء من أسفار العهد الجديد (وهو غير إنجيل برنابا).

1688 انظر؛ James C. VanderKam, ‘*1 Enoch, Enochic Motifs, and Enoch in Early Christian Literarure*,’ in James C. VanderKam and William Adler, eds. *The Jewish Apocalyptic Heritage in Early Christianity*, Minneapolis: Fortress Press, 1996 , pp.33-60

والترجمــة الأثيوبيّــة القريبــة جــدًا من الأصــل الآرامي[1689]؛ وخلص إلى أنّ مؤلّف رسالة يهوذا قد حرّف الأصل:

(1) استعملت الترجمة الأثيوبيّـة كلمـة «هو» دلالـة على مجيء «الله»، في حين اســتعمل مؤلّــف رســالة يهــوذا كلمــة «كــيريوس» «κυριος» أي «رب» دلالــة على مجيء المسيح، وقد كان عليه استعمال كلمة «ثيوس» «θεος»!

(2) غيّـــر النص الآرامي «مـــع ربـــوات القديســـين» «[רבו]את קדישו[הי]» الـــوارد في مخطوطـــة قمــران[1690] إلى «مــع ربــوات[1691] قدّيســيه» «εν αγιαις μυριασιν αυτου»! [1692]

لقد اقتبس مؤلّف رسالة يهوذا (المقدّسـة!) نصًـا من سـفر منحول .. ثم حرّفه .. فلم يذر للكتّـاب الـدفاعيين النصـارى مهربًا من الإقرار بحقيقة بشريّة هذه الرسالة!

- الرؤيا 8/8:ـ «ولما نفخ الملاك الثـاني في بوقـه، ألقي في البحـر مـا يشـبه جبلًا عظيمًـا مشـتعلًا، فصار ثلث البحر دمًا.»

1689 الخلاف قـائم بين النقـاد حـول تحديـد اللغـة الأصـليّة بين الآراميّـة والعبريّة، ويذهب النقاد الأثيوبيون إلى أنّ اللغة الأثيوبيّة هي الأصل.

1690 Florentino Garcia Martinez and Eibert J. C. Tigchelaar, *The Dead Sea Scrolls Study Edition*, Michigan: Wm. B. Eerdmans, 2000 , 1/412

1691 عــرّب الأصــل اليونــاني إلى: (ربــوات) و(ألــوف) في الترجمــات العربيّة للعهد الجديد.

1692 انظـــر؛ James H. charlesworth, *The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament*, P.A: Trinity Press International, 1998, pp.73-74

المصدر:

18/13: ((ورأيت هناك سبعة نجوم كبيرة، كجبال كبيرة تحترق.))

قال الناقد ((روبرت هـنري تشـارلز)) ((Robert Henry Charles)): ((منظر الجبل الذي يحـترق ربمـا هـو مـأخوذ من ((1أخنـوخ)) 18/13:ـ ιδον επτα αστερας ως ορη μεγαλα καιομενα. الموازي أَوضَحْ في أخنوخ 21/3:ـ εκει τεθεαμαι επτα των αστερων ... ερριμμενους εν αυτω ομοιους ορεσιν μεγαλοις και εν πυρι καιομενοις))[1693]

وقال الناقـد ((كريسـتوفر أ. ديفـيز)) ((Christopher A. Davis)): ((استعار يوحنا الرمز من نص ((1أخنوخ)) 18/13 الذي يصـف ملائكة الشر أنّها كـ ((جبـال محترقة)) محفوظـة في السـجن حتى يوم الحساب.))[1694]

- صعود موسى :

تعريف: يعرف هذا الكتاب أيضًا باسم ((عهد موسى))، وهـو كتاب يهودي منحول يتضـمن مـا ادُّعي أنهـا نبـوءات سـريّة أوحاها ((موسى)) ((ليشوع)).

التشابه:

يهوذا 9:ـ ((فحتى ميخائيل، وهو رئيس ملائكـة، لم يجـرؤ أن يحكم على إبليس بكلام مهين عندما خاصـمه وتجـادل معـه

[1693] Robert Henry Charles, *A Critical and Exegetical Commentary on the Revelation of St. John*, New York: Charles Scribner's Sons, 1920, 1/234

[1694] Christopher A. Davis, *Revelation*, Missouri: College Press, 2000, p.214

بخصوص جثمان موسى، وإنما اكتفى بالقول له: ((لـيزجرك الرب!))))

المصدر:

قـال ((أريجن)) في كتابه ((De principiis)):ـ ((وصِـفت الحيّـة في سـفر التكـوين أنّهـا قـد أغـوت حـوّاء، وهي الـتي جـاء في العمل المسمّى صعود موسـى- وهـو رسـالة صـغيرة أشـار إليها يهوذا الرسول في رسالته- أنّ رئيس الملائكة ميخائيل لما تخاصم مع الشيطان حول جسد موسى، قال إنّ الحيّـة قـد أوحي إليهـا من الشـيطان، وهي سـبب مخالفـة آدم وحواء.))1695. كمـا أشـار إلى نفس الأمـر كـل من ((كلمنت السكندري)) و((ديديموس الضرير))1696.1697 وصـرّح قـديس الكنيسـة السـريانيّة البابـا ((سـاويرس الأنطـاكي))1698 أنّ ((يهوذا)) قد اقتبس هنا من سفر منحول.1699

- عهد لاوي:

1695 Origen, ‘*De Principiis,*’ in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner’s Sons, 1926,4/328

1696 ديديموس الضرير (313م-398م): لاهوتي شهير من الإسـكندريّة. لـه عـدد كبـير من المؤلّفـات المتنوعـة، من أهمهـا تعليقاتـه على أسـفار الكتاب المقدس.

1697 انظر؛ Montague Rhodes James, *The Lost Apocrypha of the Old Testament*, California: Book Tree, 2006, p.43

1698 سـاويرس الأنطـاكي (465م-538م): بابـا أنطاكيـة، وأحـد أهم لاهوتيي الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة.

1699 انظـر؛ James H. charlesworth, *The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament*, p.77

تعريف: كتاب يهـودي منحـول يضـم وصـايا أبنـاء يعقـوب الاثنى عشر عند موتهم.

التشابه:

2كورنثوس 12/2: «أعرف إنسانًا في المسيح، خطف إلى السماء الثالثة قبل أربع عشرة سنة: أكان ذلك بجسـده؟ لا أعلم؛ أم كان بغير جسده؟ لا أعلم. الله يعلم!»

المصدر:

الفصـل الثـاني من «عهـد لاوي» حيث انتقـل «لاوي» من السماء الأولى، إلى الثانيـة، وقيـل لـه إنّـه سـيدخل الثالثـة حيث الرب.

وقد أشـارت العديـد من المصـادر العلميّـة إلى أنّ الحـديث عن ثلاث سماوات هو أمر مميّز «لعهد لاوي»، وهو ما أشـار إليه بعد ذلك مؤلّف الرسالة الثانيّة إلى كورنثـوس، رغم أنّ الغـالب عنـد اليهـود هـو الحـديث عن سـبع سـماوات لا ثلاث.[1700]

- حياة آدم وحواء:

تعريف: سفر يهودي منحول، يعـرف في ترجمتـه اليونانيّـة باسم «رؤيا موسى». وهو يتحـدث عن طـرد «آدم» و«حـواء» من الجنّة.

التشابه:

1700 انظر مثلًا؛ *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.280

2كورنثوس 11/14:ـ ((ولا عجب! فالشـيطان نفسـه يظهـر نفسه بمظهر ملاك نور.))

المصدر:

9/1: ((ثمانية عشر يومًا مرّت، ثم غضب الشـيطان وحـوّل نفسـه إلى لمعـان الملائكـة وانصـرف إلى نهـر دجلـة، إلى حواء، فوجدها تبكي.))

جاء في سلسلة التفسـير الكـاثوليكي العصـري الشـهيرة ((*Sacra Pagina*)):ـ ((الإحالة إلى تغيير الشيطان شكله إلى شكل ملاك، أو الاكتســاء بلمعــان الملاك، موجــودان في ((رؤيــا موسى)) 17/1-2 و((حياة آدم وحواء)) 9/1.))[1701]

وجــاء في التفســير المحافــظ ((*Life Application Bible Commentary*)):ـ ((رغم أنّ العهـد القـديم لا يصـف الشـيطان على أنّه ملاك نور، فإنّ الكتابات اليهوديّة تفعل ذلـك. ربّمـا كـان بـولس يفكّـر في القصـص المضـمّنة في ((حيـاة آدم وحواء)) و((رؤيا موسى)) عندما كتب هذا العدد.))[1702]

- رؤيا إيليا:

تعريف: سفر رؤيـا إيليـا، هـو سـفر منحـول تمّت صـياغته على أنّه وحي من جبريل، وتوجد له نسختان اليــوم، الأولى هي مقاطع من ترجمة قبطيّة، والأخرى عبريّة.

التشابه:

1701 Jan Lambrecht, *Second Corinthians*, (*Sacra Pagina*, Volume 8), Minnesota, Liturgical Press, 1999 , p.178

1702 Bruce B. Barton, *1 and 2 Corinthinas* (*The Application Bible Commentary*), Tyndale House Publishers, Inc., 1999 , p.436

1كورنثوس 2/9:ـ «لما صلبوا رب المجـد! ولكن، وفقًـا لمـا كتب: «إن ما لم تـره عين، ولم تسـمع بـه أذن، ولم يخطـر على بال بشر قد أعده الله لمحبيه!» »

المصدر:

يقول «جون إدغار مـاك فـداين» «John Edgar McFadyen»:ـ «لا يوجد مقطع في العهد القديم يطابق حرفيًـا الكلمـات الـتي سيقت هنا.»[1703]

وقــد ذكــر كــل من «أريجن» في تعليقــه على متّى 27/9، و«أوثــاليوس»[1704]، وآخــرين أنّ النص مقتبس من «رؤيــا إيليا».[1705]

التشابه:

أفسس 5/14:ـ «لذلك يقول: «استيقظ أيها النـائم، وقم من الأموات، فيضيء لك المسيح!» »

المصدر:

1703 John Edgar McFadyen, *The Epistles to the Corinthians and Galatians*, New York: A. S. Barnes, 1909, p.22

1704 أوثاليوس (القرن الخامس): أسقف سـولكا. من أهم أعمالـه كتبـه في دراسة العهد الجديد.

1705 انظــر؛ James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, Edinburgh: T. & T. CLARK, 1901, 1/692

نسب قـديس الكنيسـة «إبيفـانيوس السالاميسي»1706 هـذا الاقتباس الوارد في أفسس 5/14 إلى رؤيا إيليا.1707

- الكتاب السري لإرمياء:

تعريف: كتاب منحول فيه شبه كبـير بسـفر بـاروخ الرابـع حتّى قيل إنهما من مصدر واحد. وقد وصـلنا مكتوبًـا باللغـة العربيّـة بـالحرف السـرياني، ويـرجّح أنّ اليونانيّـة هي لغتـه الأصليّة.

التشابه:

متّى 27/9:ـ «عندئذ تمّ ما قيل بلسان النبي إرميـاء القائـل: «وأخذوا الثلاثين قطعة من الفضة، ثمن الكريم الـذي ثمنـه بنو إسرائيل.»

المصدر:

قال «أريجن» في مقالته الخامسة والثلاثين في تعليقـه على إنجيـــل متّى إنّ هـــذا النص مقتبس من الكتـــاب الســـري لإرمياء.1708 وذكر قديس الكنيسة «جـيروم» أنّ أحـد أفـراد

1706 إبيفانيوس السالاميسي (320م-403م): أحد آباء الكنيسة. أسقف سلمي. له عناية بالردود على الفرق (المهرطقة) بعد مجمع نيقية.

1707 انظـــر؛ Epiphanius, *Haer.* 42.12.3 (mentioned by, John Muddiman, *A Commentary on the Epistle to the Ephesians*, London: Continuum International Publishing Group, 2006, , p.242)

1708 انظر؛ Louis Ellies du Pin and William Wotton, *A New History of Ecclesiastical Writers*, London: Abel Swalle and Tim. Childe, 1693 , 1/32

فرقـة الناصـريين (*Nazarenes*) أراه نسـخة عبريّـة لإرميـاء الأبوكريفي فيها هذه النبوءة.1709

- كتاب توبة ينيس ويمبريس:

تعريف: كتاب يهودي منحول يروي قصّة ساحرين اثنين.

التشابه:

2تيموثـاوس 3/8:ـ «ومثلمـا قـاوم (السـاحران) يـنيس ويمبريس موسـى، كـذلك أيضًـا يقـاوم هـؤلاء الحـق؛ أنـاس عقولهم فاسدة، وقد تبين أنهم غير أهل للإيمان.»

المصدر:

يقول التراث اليهودي: «ينيس» و«يمـبريس» اسـمان لأعظم سـاحرين من السـحرة الـذين وقفـوا أمـام «موسى» عليـه السلام كما هو مذكور في سفر الخروج (7/11، 8/7).

لا يعرف هـذان الاسـمان إلاّ من خلال الـتراث اليهـودي، ولا ذكـر لهمـا في العهـد القـديم؛ فقـد وردا في «كتـاب توبـة ينيس ويمبريس». وقد ذكر «أريجن» في تعليقـه على متّى 27/8 أنّ «بولس» قد اقتبس كلامه في رسـالته الثانيـة إلى

1709 انظـر: Adam Clark, *The New Testament of our Lord and Saviour Jesus Christ*, Philadelphia: Thomas Cowperthwait, 1844, p.133

تيموثاوس من هذا السفر[1710]. ولهذين الاسمين ذكر واسع في أكثر من موضع من التراث اليهودي خارج التناخ، وفي كتابات الوثنيين.

- كتب أخرى:

  - لما كان اقتباس مؤلّف رسالة يعقوب 4/5: «هل الروح الذي حل في داخلنا يغار عن حسد؟» لا أثر له في العهد القديم رغم أنّه قد مهد له بقوله: «الكتاب يقول» «η γραφη λεγει»[1711]؛ فقد ذهب عدد كبير من النقاد إلى أنّ أصله سفر غير قانوني، واختلفوا في اسم هذا السفر؛ فقيل «سفر ألداد وميداد» المفقود، وقيل «سفر أخنوخ»، وقيل «رؤيا موسى»[1712]، وقيل غير ذلك.

  - ذكر «أريجن» أنّ ما جاء في متّى 23/31 و 23/35 هو اقتباس من «كتب أبوكريفيّة».

1710 انظر؛ Origen, Comm. Matt. 10.18.60 (Quoted by, William Adler, '*The Pseudepigrapha in the Early Church*,' in Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. *The Canon Debate*, Massachusetts, Hendrickson Publishers, 2002 , p.220)

1711 قال الناقد «رالف ب. مارتن» «Ralph P. Martin»:ـ «ليس هناك شك أنّه يقتبس من مصدر ما ... في كلّ الحالات الأخرى في العهد الجديد التي نقرأ فيها «η γραφη λεγει»؛ فإنّ هذه الصيغة تقدّم إحالة مباشرة للأسفار أو إشارة إليها.» (Martin Ralph, *Word Biblical Commentary, Volume 48: James*, Dallas, Texas: Word Books, 1998 , CD edition)

1712 انظر المصدر السابق

وقـد أحسـن الناقـد ((ويليـام أدلر)) ((William Adler)) في مقالـه ((السودوبجرافا في الكنيسة المبكّرة)) ((*The Pseudepigrapha in the Early Church*)) القـول في تلخيص موقـف ((أريجن)) -وهـو من أقرب الآباء الأعلام من زمن تأليف أسفار العهد الجديد- من حقيقـــة اقتبـــاس الأســـفار (القانونيّـــة) من الأســـفار (المنحولة): ((قال أريجن إنّ يسوع نفسه كان أحيانًـا يقتبس من الأسـفار الأبوكريفيـة ومن التقاليـد السـرية الخاصـة بـاليهود. لفت أريجن في مواضـع عـدة انتبـاه قرائـه إلى أن شـجب يسـوع للفريسـيين كـان يتضـمن اتهامـات يصـعب توثيقها من الأسـفار المصـدّق عليهـا رسـميًّا ضـمن الكتـاب المقـدس اليهـودي؛ فتعليمـه عن قتـل الأنبيـاء (متّى 23 / 31) واستشهاد زكريا (مت 23 /ـ 35)، لابـد أنّهمـا- لـذات السبب- قـد اقتُبسـا من كتـاب كـان رائجًـا ضـمن ((الأسـفار الأبوكريفيّة)).

بعض الكتابـات المنحولـة أثبتت أهميتهـا في تفسـير تعـاليم يسوع؛ فالرواية التي تتناول الملاك يعقوب/إسرائيل الواردة في ((صلاة يوسف)) -والتي هي سفر من الأسـفار الأبوكريفـا المتداولة-، أوضحت معنى كلمات يسوع الواردة في إنجيـل يوحنا وجعلتها أكثر مصـداقية (pistikoteros). ولـذلك السـبب، كما أريجن يقـول، يحسـن بنـا ألا نتعامـل معهـا بـازدراء. أن ننكـــر على المفســـرين المســـيحيين اطلاعهم على هـــذه المصادر يعـني أن نحـرمهم من معلومـات إضـافية هامـة لا

تقدر بثمن في توضيح الفقرات الأخرى الغامضة أو التي لا يدعمها سند أو دليل في الكتاب المقدس.»[1713]

ب-الاقتباس من الكتب المجهولة

اقتبس العهد الجديد نصوصًا من كتب مقدّسة، لكننا لا نجد أثرًا لهذه النصوص في أسفار الكتاب المقدس، مما يعني أنها نصوص مزيّفة؛ إذ إنّ النصارى لا يعرفون أسفارًا مقدسة خارج الكتاب المقدس:

- يوحنا 7/38: «وكما قال الكتاب، فمن آمن بي تجري من داخله أنهار ماء حي.»

- 1كورنثوس 9/10:ـ «أم يقول ذلك كله من أجلنا؟ نعم، فمن أجلنا قد كتب ذلك، لأنه من حق الفلاح أن يفلح برجاء، والدراس أن يدرس برجاء، على أمل الاشتراك في الغلة.»

- 2كورنثوس 4/6:ـ «فإن الله ، الذي أمر أن يشرق نور من الظلام، هو الذي جعل النور يشرق في قلوبنا، لإشعاع معرفة مجد الله المتجلي في وجه المسيح.»

هذه الترجمة التي قدّمتها ترجمة «الحياة» العربيّة، محرفة؛ والقصد منها إخفاء دلالة النص على أنّه اقتباس نص من مصدر مجهول:

[1713] William Adler, '*The Pseudepigrapha in the Early Church*,' in Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. *The Canon Debate*, p.220

النص اليوناني: οτι ο θεος ο ειπων εκ σκοτους φως λαμψει ος ελαμψεν εν ταις καρδιαις ημων προς φωτισμον της γνωσεως της δοξης του θεου εν προσωπω χριστου

النص يقول: «الذي قال» «ο ειπων» دلالة على الاقتباس، ثم مباشرة أورد الكلام المقتبس: «ليشرق من الظلمة نور.»

وفي البشيطا السريانيّة نفس المعنى: «[illegible] [illegible]...» «مِطُل دَالَاهَا هُو دِامَر دمِن خِشُوكَا نُوهرَا نِدنَح...».

- أفسس 5/14: «لأن الذي يكشف كل شيء هو النور. لذلك يقال: «استيقظ أيها النائم، وقم من بين الأموات، فيشرق عليك نور المسيح» »
- 1تيموثاوس 5/18: «لأن الكتاب يقول: «لا تضع كمامة على فم الثور وهو يدرس الحبوب»، وأيضا: «العامل يستحق أجرته» »

نصّ: «العامل يستحق أجرته» لا أثر له في العهد القديم، علمًا أنّ رسائل «بولس» هي أقدم نصوص كتبت في العهد الجديد، فلا يمكن أن تكون الإحالة إلاّ إلى العهد القديم أو أسفار أخرى ظنّها «بولس» مقدّسة أو تراث حسبه مقدسًا!؟

- يعقوب 4/5: «أتظنون أن الكتاب يتكلم عبثًا! هل الروح الذي حل في داخلنا يغار عن حسد؟»

(ميّعت) ترجمة «كتاب الحياة» النص هنا لتخفي دلالته على اقتباس نص لا وجود له في العهد القديم.

النص اليوناني:

«η δοκειτε οτι κενως η γραφη λεγει προς φθονον επιποθει το πνευμα ο κατωκισεν εν ημιν»

وترجمته الحرفيّة: «أتظنون أنّ الكتـاب قـال بـاطلًا: «الـروح التي جعلها تسكننا تنحو إلى الغيرة.»»

والاقتباس واضح في التراجم الإنجليزيّة المعاصرة:

The New American Bible: Or do you suppose that the scripture speaks without meaning when it says، "The spirit that he has made to dwell in us tends toward jealousy"?

وقـد جـاء في هـامش هـذه الترجمـة أنّ معـنى النص الـذي اقتبسه «يعقوب» «صعب» «difficult»؛ لأنّه لا وجود لـه في أي من المخطوطات المتاحة للكتاب المقدس![1714]

The New Revised Standard Version: Or do you suppose that it is for nothing that the scripture says، ‘God yearns jealously for the spirit that he has made to dwell in us’?

1714 انظر؛ *Saint Joseph Edition The New American Bible*, p.360

The New International Version: Or do you think Scripture says without reason that the spirit he caused to live in us envies intensely?

Young's Literal Translation**:** Do ye think that emptily the Writing saith، 'To envy earnestly desireth the spirit that did dwell in us،'

The New American Standard Bible: Or do you think that the Scripture speaks to no purpose: "He jealously desires the Spirit which He has made to dwell in us"?

كلمة في الختام

{وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1715]

1715 سورة البقرة/ الآية (135)

المراجع والمصادر

المراجع العربية

1. ابن أبي حـــاتم، **الجـــرح والتعـــديل**، ت/ عبـــد الـــرحمن المعلمي، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1372هـ، 1952م
2. ابن إسـحاق، **سيرة ابن إسـحاق**، ت/ محمـد حميـد اللـه، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت
3. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت/محمود الطناجي وطاهر أحمد زاوي، الحلبي، 1383هـ، 1963م
4. أحمد أبيش، **التلمود، كتاب اليهود المقدس**، دار قتيبة، 2006م
5. أحمـــد البنعلي، **مجموعـــة الشـــيخ أحمـــد بن حجـــر آل بوطـــامي البنعلي**، قطـــر: وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسلاميّة، 1428هـ، 2007م
6. أحمـد عبـد الغفـور عطـار، **الديانات والعقائـد في مختلـف العصور**، مكة المكرمة: 1401هـ، 1981م
7. أحمد عبد الوهاب، **الإسلام والأديـان الأخـرى**، القـاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت
8. أحمد شـاكر، **عمدة التفسـير عن الحافـظ ابن كثـير، مختصر تفسير القرآن العظيم**، المنصورة: دار الوفـاء، 1426هـ، 2005م، ط2
9. أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ت/ محمد إسـماعيل ومسـعد السـعدني، بـيروت: دار الكتب العلميـة، 1422ه، 2002مـ
10. أكـرم ضـياء العمـري، **مرويـات السـيرة النبويـة، بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين**، نسخة الكترونية

11. أكرم ضياء العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، 1415هـ، 1994م
12. الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، الرياض: مكتبة المعارف، 1425هـ
13. البخاري، **الجامع الصحيح**، الرياض: دار السلام، 1419هـ، 1999م، ط2
14. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ت/ عادل مرشد، عمّان: دار الإعلام، 1423هـ، 2002م
15. ألبير بايه، **أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجيّة**، ت/عادل العوا، دمشق: دار الحصاد، 1997م
16. الألوسي، **روح المعاني**، ت/محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، 2000م
17. البغوي، **معالم التنزيل**، بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ، 2002م
18. بكر أبو زيد، **معجم المناهي اللفظيّة**، الرياض: دار العاصمة، 1417هـ، 1996م
19. البهوتي، **كشاف القناع**، بيروت: دار الفكر، 1402هـ
20. البيهقي، **السنن الكبرى**، ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424ه، 2003م، ط3
21. ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، مصر: مطبعة المدني، د.ت
22. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ، 2004م
23. ابن تيمية، **منهاج السنة**، ت/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، 1406 هـ
24. ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ت/محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، د.ت
25. **ترجمة الرهبانيّة اليسوعية**، ط3، بيروت: دار المشرق، 1994م

26. عبـد الجليـل شـلبي، **مفتريـات المبشـرين على الإسـلام،** الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ، 1985م، ط2
27. الحـاكم، **المسـتدرك على الصـحيحين، طبعـة متضـمنة انتقادات الذهبي**، القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشـر والتوزيع، 1417هـ، 1997م
28. ابن حجر العسـقلاني، **الإصابة في تميـيز الصـحابة**، ت/ علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، 1412هـ ، ط1
29. ابن حجر، **لسان الميزان**، ت/ عبد الفتاح أبو غـدة، بـيروت: دار البشائر الإسلامية، 1423هـ، 2002م
30. ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نحبة الفكر**، ت/ عبد الله الرحيلي، الرياض: مطبعة سفير، 1422هـ، 2001م
31. ابن حزم، **إحكام الأحكام**، القاهرة: دار الحديث، 1404هـ
32. ابن حـزم، **الفصـل في الملـل والأهـواء والنحل**، ت/ محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، د.ت
33. حسـن ظاظـا، **الفكـر الـديني الإسـرائيلي، أطـواره ومذاهبه**، معهد البحوث والدراسات العربيّة، 1971م
34. حسن ظاظـا، **الساميون ولغـاتهم**، دمشـق: دار القلم، 1410هـ، 1990م، ط2
35. حسن ظاظـا، **اللسان والإنسـان، مـدخل إلى معرفـة اللغة**، دمشق: دار القلم، ط2، 1410هـ، 1990م
36. ابو الحسن الندوي، **النبوّة والأنبياء في ضـوء القـرآن**، القاهرة: المختار الإسلامي، 1394هـ، 1974م، ط4
37. أبـو حيـان الأندلسـي، **البحـر المحيط**، بـيروت: دار الكتب العلميّة، 1422هـ، 2001م
38. الخازن، **تفسير الخازن المسمى: لبـاب التأويـل في معاني التنزيل**، بيروت: دار الفكر، 1399هـ، 1979م
39. خالـد كبـير علال، **أباطيـل وخرافـات حـول القـرآن الكريم والنبي محمد صلّى الله عليـه وسـلّم، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط، حـول القرآن ونبيّ الإسلام**، دار المحتسب، نسخة إلكترونيّة

40. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ت/ عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ، 1987م
41. عبـد الراضـي محمـد عبـد المحسـن، **الغارة التنصـيريّة على أصالة القرآن الكريم**، نسخة إلكترونية
42. ربحي كمــال، **دروس اللغــة العبريّة**، دمشــق: مطبعــة جامعة دمشق، ط3، 1383هـ، 1963م
43. عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الـرحمن في تفسـير كلام المنّـان**، ت/ عبـد الـرحمن اللويحـق، بـيروت: مؤسسـة الرسالة، 1423هـ، 2002م
44. عبد الرحمن بدوي، **دفاع عن القرآن ضـدّ منتقديه**، تعـريب/ كمـال جـاد اللـه، القـاهرة: الـدار العالميّـة للكتب والنشـر، 1999م
45. رشدي البدراوي، **موسى وهارون عليهمـا السـلام من هو فرعون موسى**؟، نسخة إلكترونيّة
46. روبير بندكتي، **التراث الإنساني في الـتراث الكتـابي، إشـكالية الأسـاطير الشـرقيّة القديمـة في العهـد القديم**، بيروت: دار المشرق، 1990م، ط2
47. الزرقاني، **مناهل العرفان في علـوم القـرآن**، بـيروت: دار الكتاب العربي، 1415هـ، 1995م
48. الزمخشري، **الكشاف عن حقـائق غـوامض التنزيـل وعيـون الأقاويل في وجوه التأويل**، ت/ عـادل أحمـد عبـد الموجـود وعلي محمد معـوض وفتحي حجـازي، الريـاض: مكتبـة العبيكـان، 1418هـ، 19198م
49. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، ت/ علي محمد عمر، القــاهرة: مكتبة الخانجي، 1421هــ ، 2001م
50. أبو السعود، **إرشاد العقل السـليم إلى مزايـا الكتـاب الكريم**، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1419هـ، 1999م
51. سلوى بالحاج صالح، **المسيحية العربية وتطوراتها؛ من نشـــأتها إلى القـــرن الرابـــع الهجـــري/ العاشـــر الميلادي**، بيروت: دار الطليعة، 1998م، ط2
52. سهيل زكار، **التوراة، ترجمـة عربيـة عمرهـا أكـثر من ألف عام**، دمشق: دار قتيبة، 1428م، 2007هـ

53. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق، 1425هـ-2004م، ط34
54. ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت: دار المعرفة، د.ت
55. السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ت/عبد الله التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، د.ت
56. شنودة الثالث، **سنوات مع أسئلة الناس، أسئلة عقيديّة ولاهوتيّة**-ب، القاهرة: 2001
57. شوقي أبو خليل، **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين**، دمشق: دار الفكر، 1419هـ، 1998م
58. الشوكاني، **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر، د.ت
59. صموئيل يوسف خليل، **المدخل إلى العهد القديم**، القاهرة: دار الثقافة، 2005م ، ط2
60. الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت
61. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
62. الطبري، **تفسير الطبري**، بيروت: دار الفكر، 1405هـ
63. الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1426م، 2005م
64. عباس محمود العقاد، **المجموعة الكاملة لمؤلّفات الأستاذ عباس محمود العقاد**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1978م
65. ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، بيروت: دار الفكر، 1404هـ، 1984م
66. العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ت/ علي محمد البحياوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت
67. ابن العربي، **أحكام القرآن**، ت/ محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر، د.ت

68. ابن عطيّة الأندلسي، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت/عبد السلام محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422ه، 2001م
69. عفيف عبد الفتاح طباره، **روح الدين الإسلامي**، بيروت: دار العلم للملايين ، 1993م، ط28
70. علي الريس، **تحريف مخطوطات الكتاب المقدس**، نسخة إلكترونيّة
71. علي علي منصور، **مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**، بيروت: دار الفتح، 1390هـ،1970م
72. عمر سليمان الأشقر، **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، عمان: دار النفائس، 1414هـ، 1914م، ط2
73. عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، الكويت: مكتبة الفلاح، ط4، 1989م-1410هـ
74. القاضي عياض، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**، ت/ طه عبد الرؤوف سعد وخالد بن محمد بن عثمان، القاهرة: مكتبة الصفا، 1423هـ، 2002م
75. العيني، **عمدة القاري**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت
76. عبد الفتاح محمد وهيبة، **جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع**، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1415هـ، 1995م
77. ابن قتيبة، **غريب الحديث**، ت/ عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، 1397هـ
78. قحطان الدروي، **أميّة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ، 1996م
79. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ، 2003م
80. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ، 1985م
81. ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت

82. ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار، 1416هـ، 1996م
83. ابن القيم، **زاد المعاد**، ت/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ، 1986م
84. ابن كثير، أحمد شاكر، **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
85. ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ، 1988م
86. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: مؤسسة الريّان، 1428هـ، 2007م، ط2
87. عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلاميّة**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م، ط15
88. القسطلاني، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، ت/ صالح الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، 1425هـ، 2004م، ط2
89. لؤي فتوحي وشذى الدركزلي، **التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر**، لندن: دار الحكمة، 1422هـ، 2002م
90. المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
91. محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلّاق، **ضعيف تاريخ الطبري**، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، 1428هـ-2007م
92. محمد بيومي مهران، **إسرائيل**، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1999
93. محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم**، بيروت: دار النهضة العربيّة، 1408هـ، 1988م، ط2
94. محمد جمال الدين الفندي، **الإسلام وقوانين الوجود**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1982م

95. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، بيروت: دار النفائس، ط6، 1407هـ، 1987م
96. محمد صالح المنجد، **100 فائدة من قصة يوسف**، نسخة إلكترونيّة
97. محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، الكويت: دار القلم، د.ت
98. محمد عبد الله دراز، **بحوث ممهدة في دراسة الأديان**، الكويت: دار القلم، د.ت
99. محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظريّة في القرآن**، ت/عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1416هـ، 1996م
100. محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ت/ محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، 1401هـ، 1981م
101. محمد عبد الله الشرقاوي، **في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات**، بيروت: دار الجيل، 1410هـ، 1990م، ط2
102. محمد علي البار، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، دمشق: دار القلم، 1990م
103. محمد عمارة، **الإسلام في عيون غربيّة**، القاهرة: دار الشروق، 1425هـ ، 2005م
104. محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، دمشق: دار الرشيد، 1416هـ، 1995م، ط3
105. المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق/ بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ/1992م
106. المسعودي، **التنبيه والأشراف**، ت/ م. ج. دو غوج، ليدن: بريل، 1843م
107. معاذ عليّان، **عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة**، القاهرة: مكتبة النافذة، 2009
108. ابن معين، **تاريخ ابن معين، رواية الدوري**، دمشق: دار المأمون للتراث، 1400 هـ
109. ابن مفلح، **الآداب الشرعيّة**، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ، 1996م

110. مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبويّـة في ضـوء المصـادر الأصليّة**، الرياض: مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسـات الإسلاميّة، 1412هـ، 1992م

111. مسـلم، **المسـند الصـحيح**، الريـاض: دار المغـني، 1419هــ، 1998م

112. المناوي، **فيض القدير**، دار المعرفـة، بـيروت، ط2،ـ 1391هــ، 1972م

113. منقذ السقار، **هل العهد القديم كلام الله**، نسخة الكترونية

114. موشيه مردخـاي تسـوكر، **التأثير الإسـلامي في التفاسـير اليهودية الوسيطة**، ت/أحمـد محمـود هويـدي، القـاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة جامعة القاهرة، 2003م

115. مـوريس بوكـاي، **التـوراة والإنجيـل والقـرآن والعلم**، دار الكندي، ط2

116. ناصـر القفـاري، **أصـول مـذهب الشـيعة الإماميـة الإثـني عشرية**، عرض ونقد، 1415هـ، 1994م، ط2

117. ابن النديم، **الفهرست**، بيروت: دار المعارف، د. ت

118. ابن هشـام، **السـيرة النبويّة**، ت/ عمـر عبـد السـلام تـدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ، 1990م، ط3

119. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ت/ عبد الله محمد الدرويش، بـيروت: دار الفكر، 1413هـ، 1992م

120. أبـو الوليـد البـاجي، **رسالة راهب فرنسـا إلى المسـلمين وجواب أبي الوليد الباجي عليها**، ت/ محمـد عبـد اللـه الشرقاوي ،القاهرة: دار الصحوة، 1986م

121. أبـو الوليـد البـاجي، **المنهـاج في تـرتيب الحجـاج**، ت/ عبـد المجيـد الـتركي، بـيروت: دار الغـرب الإسـلامي، 2000م-2001م، ط3

122. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بـيروت: دار صـادر، 1397هــ، 1977م

123. يني ميمـاريس، **كتالوج المخطوطـات العربيـة المكتشـفة حديثًا بدير سـانت كـاترين المقـدس بطـور سـيناء**، أثينا: الهيئة القومية اليونانية للبحوث، 1985م

المقالات العربية

1. إبراهيم عوض، **المخزاة الجعيطيّة في كتابة السيرة النبويّة**، مقال إلكتروني
2. قسطاس إبراهيم النعيمي، **قصص الأنبياء**، مقال إلكتروني
3. محمد بن عبد الله العوشن، **تحقيق دعوى ردّة عبيد الله بن جحش**، مجلّة البيان، السنة السابعة عشرة، العدد 182، شوال 1423هـ ، ديسمبر 2002م
4. محمد خليفة حسن، **دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))**، منشور ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيّة، السعوديّة: 1427م-2006هـ
5. مسلم محمد جودت اليوسف، **شبهة إنكار أميّة الرسول الكريم والرد عليها**، مقال إلكتروني
6. ناصر الدين الألباني، **حادثة الراهب المسمى (بحيرا) حقيقة لا خرافة**، مجلة التمدن الإسلامي، 25

القواميس والموسوعات العربية

1. بنيامين حداد، **الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنة سرياني-عربي**، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 1423هـ، 2002م
2. حازم علي كمال الدين، **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة**، القاهرة: مكتبة الآداب، 1429هـ، 2008م
3. الرازي، **مختار الصحاح**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ، 1995م
4. زغلول النجار، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، الأرض، بيروت: دار المعرفة، 1428هـ، 2007م
5. سليمان بن عبد الرحمن الذييب، **المعجم النبطي، دراسة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّة**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، 1421هـ، 2000م

6. عمـــر صـــابر عبـــد الجليـــل، **المعجم التأصـيلي للفعـل الناقص في اللغات الساميّة، دراسة إيتمولوجيّة في ضوء علم اللغات الساميّة المقارن**، جامعـة القـاهرة، مركز الدراسات الشرقيّة، 1423هـ، 2003م
7. **قاموس الكتاب المقدس**، نسخة إلكترونية
8. ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ت
9. يعقوب أوجين منا، **قاموس كلداني عربي**، بـيروت: مركـز بابل، 1975م
10. عبد الوهاب المسـيري، **موسوعة اليهـود و اليهوديـة و الصهيونية**، نسخة إلكترونية

المراجع الإنجليزية

1. Abraham Geiger, ***Judaism And Islam***, New York: Ktav Publishing House Inc, 1970
2. Adam Clark, ***The New Testament of our Lord and Saviour Jesus Christ***, Philadelphia: Thomas Cowperthwait, 1844
3. Adam Clarke, ***The Holy Bible, Containing the Old and the New Testament***, New York: Phillips & Hunt, 1823
4. Adolf Harnack, ***Outlines of the History of Dogma***, tr. Edwin Knox Mitchell, New York: Funk & Wagnalls, 1893
5. Alan F. Segal, ***Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West***, New York : Doubleday, 2004
6. Alexander Roberts and James Donaldson, eds. ***Apocryphal Gospels, Acts and Revelations***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870
7. Albert Hourani, ***Islam in European Thought***, New York: Cambridge University Press, 1991
8. Alfred Hiatt, ***The Making of Medieval Forgeries: false documents in fifteenth-century England***, University of Toronto Press, 2004

9. Alfred Plummer, ***The International Critical Commentary, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St. Luke***, New York: Charles Scribner's Sons, 1896
10. Andrews Norton, ***A Statement of Reasons for not Believing the Doctines of Trinitarians, Concerning the Nature of God and the Person of Christ***, Boston: American Unitarian Association, 1870
11. Ann Christys, ***Christians in Al-Andalus, 711-1000***, Richmond: Curzon Press, 2002
12. ***Ante Nicene Fathers***, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1885 , 1903, 1926
13. Anthony C. Thiselton, ***The First Epistle to the Corinthians: a commentary on the Greek Text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2000
14. Archie T. Wright, ***The Origin of Evil: the reception of Genesis 6.1-4 in early Jewish Literature,*** Mohr Siebeck, 2005
15. Arthur A. Just, ed. ***Ancient Christian Commentary on Scripture, Luke***, IL: Intervasity Press, 2003
16. Arthur Charles Hervey, ***The Genealogies of our Lord and Saviour Jesus Christ***, Cambridge: Macmillan, 1853
17. Arthur Cushman McGiffert, ***A History of Christian Thought,*** New York: Scribner's, 1932
18. Arthur Jeffery, ***Foreign Vocabulary of the Qur'an***, Oriental Institute Baroda, 1938
19. Arthur Vööbus, ***Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,*** Stockholm, 1954
20. Augustine, ***The Confessions***, tr. J. G. Pilkington, Edinburgh: T. & T. Clark, 1876
21. Avery Cardinal Dulles, ***A History of Apologetics***, San Francisco: Ignatius Press, 2005
22. B. Harris Cowper, ***The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ***, Edinburgh: Williams and Norgate, 1870, 3rd edition

23. Bart Ehrman, ***Lost Christianities: the Battle for Scripture and the Faiths We Never Knew***, Oxford: Oxford University Press, 2003
24. Bart Ehrman, ***Lost Scriptures, Books that did not Make it into the New Testament***, New York: Oxford University Press, 2003
25. Bart Ehrman, ***Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend***, New York: Oxford University Press, 2006
26. Bernard Grossfeld, ***The Two Targums of Esther, translated, with Apparatus and Notes***, Minnesota: The Liturgical Press, 1991
27. Bernard Lewis, ***The Jews of Islam***, New Jersey: Princeton University Press, 1984
28. Brian M. Fagan, ***From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing***, New York : Oxford University Press, 2006
29. Brooke Foss Westcott, ***An Introduction to the Study of the Gospels***, Cambridge: MacMillan, 1881, 6th edition
30. Bruce B. Barton, ***1 and 2 Corinthinas*** **(*The Application Bible Commentary*)**, Tyndale House Publishers, Inc., 1999
31. Bruce Barton, ***Acts***, Ill: Tyndale House Publishers, Inc., 1999
32. Bruce K. Waltke, ***The Book of Proverbs: chapters 1-15***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2004
33. Bruce Metzger, ***A Textual Commentary on the Greek New Testament***, Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 2000, 2nd edtion
34. Bruce Metzger, ***The Bible in Translation***, Grand Rapids: Baker Academic, 2001
35. Bruce Metzger, ***the Early Versions of the New Testament: their origin, transmission, and Limitations***, Oxford: Oxford University Press, 1977
36. Burton Mack, ***Who Wrote the New Testament****?,* New York: HarperCollins, 1995

37. Carl Friedrich Keil, ***Manual of historico-critical introduction to the canonical Scriptures of the Old Testament***, tr. George C. M. Douglas, Edinburgh: T. & T. Clark, 1870
38. Carol Bakhos, ***Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first arab***, SUNY Press, 2006
39. Christine J. Haven, ***Conveyance of Eternal love***, Lulu.com, 2007
40. Christopher A. Davis, ***Revelation***, Missouri: College Press, 2000
41. Claus Westermann, ***Genesis 1-11: a continental commentary***, tr. John J. Scullion, Minneapolis: Fortress Press, 1994
42. C. G. Weeramantry, ***Islamic Jurisprudence: An International Perspective***, Basingstoke u.a. : Macmillan, 1988
43. Daniel C. Harlow, ***The Greek Apocalypse of Baruch (3 Baruch) in Hellenistic Judaism and Early Christianity***, Leiden: Brill, 1996
44. D. C. Parker, ***An Introduction to the New Testament Manuscripts and their Texts***, Cambridge: Cambridge University Press, 2008
45. D. M. Murdock, ***Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection***, WA: Stellar House Pub. ,2009
46. Dave Bland, ***Proverbs, Ecclesiastes and Songs of Songs***, Missouri: College Press, 2002
47. David A. Lysik, ed. ***The Bible Documents: a parish resource***, Chicago: LiturgyTrainingPublications, 2001
48. David M. Goldenberg, ***The Curse of Ham: race and slavery in early Judaism, Christianity, and Islam***, Princeton University Press, 2003
49. David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. ***Documents for the Study of the Gospels***, Minneapolis: Fortress Press, 1994, 2nd edition
50. Donald A. Hagner, ***Word Biblical Commentary, Volume 33a: Matthew 1-13***, Dallas, Texas: Word Books, 1998, CD edition

51. Diane Watt, ed. ***Medieval Women in their Communities***, Toronto: University of Toronto Press, 1997
52. Douglas K. Stuart, ***Old Testament Exegesis: a handbook for students and pastors***, Kentucky: Westminster John Knox Press, 2001, 3rd edition
53. Durham, John I., ***Word Biblical Commentary, Volume 3: Exodus***, Dallas, Texas: Word Books, 1998.
54. E. Theodore Mullen, ***The Divine Council in Canaanite and Early Hebrew Literature***, Scholars Press, 1980
55. E. W. Brooks, '***John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints*** (I),' in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, 1923
56. Eberhard Nestle, ***Introduction to the Textual Criticism of the Greek New Testament***, New York, Williams and Norgate, 1901
57. Edgar Hennecke, ***New Testament Apocrypha***, ed. Wilhelm Schneemelcher, tr. R. McL. Wilson, Philadelphia: The Westminster Press, 1963
58. Edward Said, ***Orientalism***, London: Pantheon Books, 1978
59. St Ephrem the Syrian, ***The Fathers of the Church, St. Ephrem the Syrian, selected prose works,*** tr. Edward G. Mathews and Joseph P. Amar, D.C : Catholic Univ. of America Press, 1994
60. Elaine Pagels, ***The Gnostic Paul: Gnostic exegesis of the Pauline letters***, Continuum International Publishing Group, 1992
61. Eli Yassif, ***The Hebrew Folktale: history, genre, meaning***, tr. Jacqueline S. Teitelbaum, Indianapolis: Indiana University Press, 1999
62. Emmet John Sweeney, ***The Genesis of Israel and Egypt***, Algora Publishing, 2008
63. Ernst Würthwein, ***The Text Of The Old Testament***, Tr. Erroll F. Rhodes, Michigan: William B Eerdmans Publishing Company, 1955
64. Eugen J. Pentiuc, ***Jesus the Messiah in the Hebrew Bible***, New Jersey: Paulist Press, 2006

65. Eusebius, ***The History of the Church***, tr. Arthur Cushman McGiffert, K.S.: Digireads, 2005
66. Florentino Garcia Martinez and Eibert J. C. Tigchelaar, ***The Dead Sea Scrolls Study Edition***, Michigan: Wm. B. Eerdmans, 2000
67. Frederic Farrar, ***The Life of Christ***, London: Cassell and Company, 1894
68. Frédéric Louis Godet, ***A Commentary on the Gospel of St. Luke***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1889
69. Frederic Willaim Farrar, ***The Life of Christ as represented in Art***, New York: Macmillan, 1894
70. Frederick G. Kenyon, ***Our Bible and The Ancient Manuscripts***, London: Eyre and Spottiswoode, 1898 , 3rd edition
71. G. H. Parke-Taylor, ***Yahweh: the Divine Name in the Bible,*** Ontario: Wilfrid Laurier University Press, 1975
72. G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren and Heinz-Josef Fabry, eds. ***Theological Dictionary of the Old Testament***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1974
73. G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren, and Heinz-Josef Fabry, eds. ***Theological Dictionary of the Old Testament***, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 1995
74. Gabriel Said Reynolds, ed., ***The Qur'an in its Historical Context***, New York: Routledge, 2007
75. Gabriel Sawma, ***The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated and Misread : the Aramaic Language of the Qur'an***, N.J: Gabriel Sawma, 2006
76. Geoffrey Parrinder, ***Jesus in the Qur'an***, Oxford: Oneworld Publications, 1996
77. George James Spurrell, ***Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis***, Oxford: Clarendon Press, 1887
78. George Trumbull Ladd, ***The Doctrine of Sacred Scripture***, New York: Charles Scribners's Sons, 1883
79. George W. Stimpson, ***A Book about the Bible***, New York: Harper & Brothers, 1945, 4th edition

80. Gerard Stephen Sloyan, ***The Crucifixion of Jesus: History, Myth, Faith***, Minneapolis: Fortress Press, 1995
81. Gerhard Von Rad, ***Genesis: A Commentary***, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972, 3rd edition
82. Gordon J. Wenham, ***Word Biblical Commentary, Volume 1: Genesis 1-15***, Dallas, Texas: Word Books, 1998, CD edition
83. Graig Evans, ***Ancient Texts for New Testament Studies, A guide to the Background Literature***, Massachusetts: Hendrickson Publishers, 2005
84. Graydon F. Snyder, ***Ante Pacem: Archaeological Evidence of Church Life before Constantine***, Macon: Mercer University Press, 2003
85. Hans-Josef Klauck, ***Apocryphal Gospels: an introduction***, tr. Brian McNeil, New York: Continuum International Publishing Group, 2003
86. Hamza Mustafa Njozi, ***The Sources of the Qur'an, a critical review of the authorship theories***, Riyadh: International Islamic Publishing House, 2005
87. H. Freedman Ba and Maurice Simon, eds. ***The Midrash Rabbah, translated into English with notes***, London: The Soncino Press
88. H. L. Strack and G. Stemberger, ***Introduction To The Talmud And Midrash***, tr. Markus Bockmuehl, Minneapolis: Fortress Press, 1996
89. Hava Lazarus-Yefeh, ***Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism***, New Jersey: Princeton University Press, 1992
90. Heidi J. Hornik and Mikeal Carl Parsons, ***Illuminating Luke: the public ministry of Christ in italian renaissance and baroque painting***, MI: Continuum International Publishing Group, 2005
91. Hikmat Kachouh, ***The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families***, manuscript

92. Holtzmann Oskar, ***The Life of Jesus***, tr. J. T. Bealby and Maurice A. Canney, London: Adam and Charles Black, 1904
93. Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. ***The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha***, New York: Oxford University, 1973
94. Howard Marshall and David Peterson, eds. ***Witness to the Gospel: the Theology of Acts***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1998
95. Howard Marshall, ***The Gospel of Luke: a commentary on the Greek text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1978
96. Ibn Warraq, ed. ***What the Koran Really Says: Language, Text, and Commentary***, NY: Prometheus Books, 2002
97. Ibn Warraq, ***Why I am not a Muslim***, New York: Prometheus Books, 1995
98. Ira Maurice Price, ***The Ancestry of Our English Bible***, Philadelphia: The Sunday School Times Company, 1920, 7th Edition
99. Irfan Shahid, ***Byzantium and the Arabs in the Sixth Century***, Washington: Dumbarton Oaks, 2002
100. Isaac Taylor, ***Ancient Christianity and the Doctrines of the Oxford Tracts***, Philadelphia: Herman Hooker, 1840
101. Israel P. Loken, ***Esther, Loken Expositional Commentary***, Xulon Press, 2007
102. J. K. Elliott, ***The Apocrypahl Jesus, Legends of the Early Church***, Oxford: Oxford University Press, 2008
103. J. K. Elliott, ***The Apocryphal New Testament***, Oxford: Oxford University Press, 2005
104. Jacob Lassner, ***Demonizing the Queen of Sheba: boundaries of gender and culture in Postbiblical Judaism and medieval Islam***, Chicago : University of Chicago Press, 1993
105. Jacob Neusner, ***Genesis Rabbah***, Georgia: Scholars Press, 1985

106. Jacob Neusner, ed. ***The Talmud of the Land of Israel***, Chicago: The University of Chicago, 1989
107. Jacob Neusner, Alan J. Avery-Peck, and William Scott Green, eds. ***The Encyclopaedia of Judaism***, Leiden: Brill, 2005, 2nd edition
108. Jacob Neusner, ***The Reader's Guide to the Talmud***, Leiden: Brill, 2001
109. Jacob Neusner, ***A Theological Commentary to the Midrash: Genesis Rabbah***, Maryland: University Press of America, 2001
110. James C. VanderKam, ***The Book of Jubilees***, Sheffield: Continuum International Publishing Group, 2001
111. James C. VanderKam and William Adler, eds. ***The Jewish Apocalyptic Heritage in Early Christianity***, Minneapolis: Fortress Press, 1996
112. James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. ***Eerdmans Commentary on the Bible***, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003
113. James H. charlesworth, ***The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament***, P.A: Trinity Press International, 1998
114. James R. Edwards, ***The Gospel According to Mark***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2002
115. Jan Lambrecht, ***Second Corinthians***, (*Sacra Pagina*, Volume 8), Minnesota: Liturgical Press, 1999
116. Jaroslav Černý, ***A Community of Workmen at thebes in the Ramesside period,*** Cairo: IAFO, 2001
117. Norman Geisler and Chad Meister, eds. ***Reasons for Faith: Making a case for the Christian faith***, Illinois: Good News Publishers, 2007
118. J. M. Rodwell, ***The Koran***, London: J.M. Dent & Sons, ltd., 1913
119. Joel B. Green, Scot McKnight and I. Howard Marshall, ***Dictionary of Jesus and the Gospels***, IL: InterVasity, 1992
120. John C. Reeves, ***Trajectories in Near Eastern apocalyptic: a postrabbinic Jewish apocalypse reader*** , Atlanta: Society of Biblical Literature, 2005

121. ***Nicene and Post-Nicene Fathers***, New York: The Christian Literature Company, 1888, 1890
122. John Denham Parsons, ***The Non-Christian Cross***, Echo Library, 2006
123. John Dominic Crossan, ***The Historical Jesus: The Life of a Mediterranean Jewish Peasant***, San Francisco: Harper Collins, 1991
124. John Dominic Crossan, ***Who Killed Jesus***, New York: Harper Collins, 1996
125. John E. Remsberg, ***The Christ Myth- A critical review and analysis of the evidence of his existence***, NuVision Publications, LLC, 2007
126. John Edgar McFadyen, ***The Epistles to the Corinthians and Galatians***, New York: A. S. Barnes, 1909
127. John H. Walton, Victor Harold Matthews and Mark William Chavalas, ***The IVP Bible Background Commentary: old testament***, IL: InterVasity press, 2000
128. John Hick, ***The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age***, London: Westminster John Knox Press, 2006
129. John Kaye, ***The Ecclesiastical History of the Second and Third Centuries***, Cambridge: University Press, 1826
130. John Muddiman, ***A Commentary on the Epistle to the Ephesians***, London: Continuum International Publishing Group, 2006
131. John Paul II, ***Crossing the Threshold of Hope***, ed. Vittorio Messori, New York: Random House, 1995
132. Jon D. Levenson, ***Esther, A Commentary***, London: Westminster John Knox, 2004
133. Jon Manchip White, ***Everyday Life in Ancient Egypt***, Courier Dover Publications, 2003
134. Joseph Addison Alexander, ***Commentary on Isaiah***, MI: Kregel Publications, 1992

135. Joseph Blenkinsopp, ***Ezra-Nehemiah: A Commentary***, Pennsylvania: The Westminster Press, 1988
136. Joseph Fitzmyer, ***A Christological Catechism: New Testament Answers, new revised and expanded edition***, New York: Paulist Press, 1991
137. Joseph Fitzmyer, ***First Corinthians, A New Translation with Introduction and Commentary***, London : Yale University Press, 2008
138. Joseph Ratzinger (Pope Benedict xvi), ***The God of Jesus Christ: meditations on the triune God***, tr. Brian McNeil, San Francisco: Ignatius Press, 2008
139. Julian Morgenstern, ***A Jewish Interpretation of the Book of Genesis***, Ohio: Union of American Hebrew Congregations, 1920
140. Julius A. Bewer, ***A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, A Critical and Exegetical Commentary on Jonah***, New York: Charles Scribner, 1912
141. Karen Armstrong, ***Muhammad: a biography of the prophet***, New York: HarperCollins, 1993 , p.88
142. Karen L. King, ***What is Gnosticism?,*** Cambridge: Harvard University Press, 2003
143. Keith Moore, ***The Developing Human: Clinically oriented embryology***, Philadelphia: Saunders, 1988
144. Kenneth Kitchen, ***Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II***, Warminster: Aris & Phillips, 1982
145. Kristen E. Kvam, Linda S. Schearing and Valarie H. Ziegler, eds. ***Eve and Adam: Jewish, Christian, and Muslim readings on Genesis and gender***, IN: Indiana University Press, 1999
146. Kurt Aland, Matthew Black, Bruce Metzger and Allen Wikgren, eds. ***The New Testament in Greek and English***, New York: American Bible Societ, 1966
147. Land, ***Anecdota Syriaca***, Lugduni Batavorum ,1862

148. Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. ***The Canon Debate***, Massachusetts: Hendrickson Publishers, 2002
149. Louis Ellies du Pin and William Wotton, ***A New History of Ecclesiastical Writers***, London: Abel Swalle and Tim. Childe, 1693
150. Louis Jacobs, ***A Jewish Theology***, New Jersey: Behrman House, 1973
151. Lynette R. Muir, ***The Biblical Drama of Medieval Europe***, New York: Cambridge University Press, 2003
152. M. Maher, ***Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction And Notes***, Minnesota: The Liturgical Press, 1992
153. Magne Saebo, ***Hebrew Bible, Old Testament: the history of its interpretation, the middle ages***, Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 2000
154. Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. ***The Literature of Al-Andalus***, Cambridge: Cambridge University Press, 2000
155. Marc Steven Bernstein, ***The Story of our Master Joseph: Intertextuality in Judaism and Islam***, manuscript
156. Martin Ralph P., ***Word Biblical Commentary, Volume 48: James***, Dallas, Texas: Word Books, 1998, CD edition
157. Marvin R. Vincent, ***Word Studies in the New Testament***, Virginia: MacDonald Publishing
158. Matthew Black and William A. Smalley, eds. ***On language, Culture, and Religion: In Honor of Eugene A. Nida***, Paris: Mpiton, 1974
159. Maurice Bucaille, ***Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt***, Tokyo: NTT Mediascope, 1994
160. Maurice Bucaille, ***Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations***, New York: St. Martin's Press, 1990
161. Meira Polliack, ***The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation***, Leiden: Brill, 1997

162. Michael David Coogan, ***The Old Testament: a very short introduction***, New York: Oxford University Press US, 2008
163. Mohamed Ghounem, ***200+ Ways the Quran Corrects the Bible: How Islam Unites Judaism and Christianity***, CT : Multi-National Muslim Committee, 2004
164. Montague Rhodes james, ***The Apocryphal New Testament***, Oxford: Clarendon Press, 1985
165. Montague Rhodes James, ***The Lost Apocrypha of the Old Testament***, California: Book Tree, 2006
166. Natan Slifkin, ***Sacred Monsters : Mysterious and Mythical Creatures of Scripture, Talmud and Midrash*** , Zoo Torah, 2007
167. ***Nicene and Post-Nicene Fathers***, New York: Charles Scribner's Sons, 1887
168. Norman Daniel, ***Islam and the West***, Oxford: Oneworld, 1993
169. Norman Habel, ***The Book of Job: a commentary***, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1985
170. Oliver Leaman, ***The Qur'an***, New York, Routledge, 2006
171. Oskar Skarsaune, ***In the Shadow of the Temple: Jewish Influences on Early Christianity***, IL:InterVarsity Press, 2002
172. Otto Kaiser, ***Isaiah 13-39: a commentary***, Presbyterian Publishing Corp, 1974
173. Otto Rank, ***The Myth of the birth of the hero: a psychological interpretation of mythology***, New York: The Journal of nervous and mental disease publishing company, 1914
174. Paul Foster, ed. ***The Non-Canonical Gospels***, New York: T&T, 2008
175. Paul Tice, ***Jumpin' Jehovah: Exposing the Atrocities of the Old Testament God***, CA: Book Tree, 2007

176. Philip Schaff, ed. ***A Popular Commentary on the New Testament***, New York: Charles Scribner's Sons, 1880
177. R. T. France, ***The Gospel of Matthew***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2007
178. Raymond B. Dillard and Tremper Longman, ***An Introduction to the Old Testament***, Michigan: Zondervan, 1994
179. Raymond Brown, ***The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke***, New York: Doubleday, 1993
180. Raymond Brown, ***The Death of the Messiah***, New York: Doubleday, 1994
181. Reinhart Dozy, ***Spanish Islam: a history of the muslims in Spain***, tr. Francis Griffin Stokes, London: Chatto & Windus, 1913
182. Reuven Firestone, ***An Introduction to Islam for Jews***, Philadelphia: Jewish Publication Society, 2008
183. Richard Barrett, ***A Synopsis of Criticism Upon those Passages of the Old Testament in which Modern Commentators have Differed from the Authorized Version***, London: Longman, 1847
184. Richard Elliott Friedman, ***Who Wrote the Bible?***, New York: Summit Books, 1987
185. Richard Hooper, ***Jesus, Buddha, Krishna and Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions*** , AZ: Sanctuary Publications, Inc, 2008
186. Richard Hooper, ***The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it***, AZ: Sanctuary Publications, 2005
187. Richard James Horatio Gottheil, ***A Christian Bahira Legend***, New York: 1903
188. Richard Wilson, ***New Testament Manuscripts by Type of Manuscripts***, CD version (BibleWorks)

189. Robert Funk, Roy Hoover and The Jesus Seminar, ***The Five Gospels, what did Jesus really say?,*** New York: HarperSanFrancisco, 1997
190. Robert Henry Charles, ***A Critical and Exegetical Commentary on the Revelation of St. John***, New York: Charles Scribner's Sons, 1920
191. Robert Horton Gundry, ***Matthew: A Commentary on his Handbook for a Mixed Church under Persecution***, 2nd edition, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1994
192. Robert Miller, ***Born Divine, the Births of Jesus and other Sons of God***, California: Plebridge Press, 2003
193. Roger Norman Whybray, ***The Book of Proverbs: a survey of modern study***, Leiden: Brill, 1995
194. Roland H. Worth, ***Alterrnative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early middle ages,*** North Carolina: McFarland, 2003
195. Ron Cameron, ed. ***The Other Gospels: non Canonical Gospel Texts***, London: Westminster John Knox Press, 1982
196. Ron Rhodes, ***Commonly Misunderstood Bible Verses: Clear Examinations for the Difficult Passages***, Oregon: Harvest House Publishers, 2008
197. Rosemary Radford Ruether, ***Goddesses and the Divine Feminine: a western religious history***, California: University of California Press, 2006
198. Samuel Marinus Zwemer, ***The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition***, New York: Young People's Missionary Movement, 1905
199. S. Fisch, ***Midrash Haggadol on the Pentateuch***, Manchester University Press ND, 1940
200. S. Perowne, ***The Life and Times of Herod the Great***, Nashville: Abingdon, 1956
201. Saint John of Damascus, '***The Fount of Knowledge***,' in ***The Fathers of the Church, St. John of***

Damascus Writings, tr. Frederic H. Chase, CUA Press, 2000

202. ***Saint Joseph Edition of the New American Bible***, California: Benziger Publishing, 1970
203. Samuel Berman, ***Midrash Tanhuma-Yelammedenu: An English Translation Of Genesis And Exodus From The Printed Version Of Tanhuma-Yelammedenu With An Introduction, Notes, And Indexes***,New Jersey: KTAV, 1996
204. Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, ***Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism***, Maryland: Scarecrow Press, 2002
205. ***Select Works of S. Ephrem the Syrian***, tr. J. B. Morris, Oxford: John Henry Parker, 1847
206. Shalom Goldman, ***The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*** , manuscript
207. Shmuel Safrai and others, ed. ***The Literature of the Sages:Midrash and Targum, Liturgy, Poetry, Mysticism, Contracts, Inscriptions, Ancient Science and the Languages of Rabbinic Literature***, Minnesota: Fortress Press, 2006
208. Sidney Greidanus, ***Preaching Christ from the Old Testament: a contemporary hermeneutical method***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1999
209. Sidney Griffith, ***The Church in the Shadow of the Mosque, Christians and Muslims in the World of Islam***, N. J.: Princeton University Press, 2008
210. St. Jerome, ***Commmentary on Matthew***, tr. Thomas P. Scheck, CUA Press, 2008
211. St. Tisdall, ***The Original Sources of the Qur'an***, London: Society For The Promotion Of Christian Knowledge, 1911
212. Stephen M. Wylen, ***The Seventy Faces of Torah: the Jewish way of reading the sacred Scriptures***, New Jersey: Paulist Press, 2005
213. Stevan Davies, ***The Infancy Gospels of Jesus: Apocryphal Tales From the Childhoods of Mary and Jesus***, Vermont: SkyLight Paths Publishing, 2009

214. Stephen J. Shoemaker, ***Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption***, New York: Oxford University Press, 2002
215. Stevan L. Davies, ***The Gospel of Thomas***, Massachusetts: Shambhala Publications, 2002
216. Steven Daniel Sacks, ***Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture***, Berlin: Walter de Gruyter, 2009
217. Stuart B. Schwartz, ***Implicit Understandings***, New York: Cambridge University Press, 1994
218. Susannah Heschel, ***Abraham Geiger and the Jewish Jesus***, Chicago: University of Chicago Press, 1988
219. Tal Ilan, ***Mine and yours are hers: retrieving Women's History from Rabbinic Literature***, Leiden: Brill, 1997
220. Thomas Hartwell Horne, ***An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scriptures***, New York: R. Carter & Brothers, 1852
221. Thomas Inman, ***Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism***, New York: Peter Eckler Publishing Company, 1915
222. Thomas Maurice, ***Indian Antiquities***, London: W. Richardson, 1800
223. Thomas Rosén, ***The Slavonic translation of the apocryphal Infancy Gospel of Thomas***, Uppsala: Almqvist & Wiksell Int., 1997
224. Thomas William Doane, ***Bible Myths and their Parallels in Other Religions***, New York: J. W. Bouton, 1884, 3rd edition
225. Timothy Freke and Peter Gandy, ***Jesus and the Lost Goddess: The secret teachings of the original christians***, New York: Random House, Inc., 2002
226. Tony Chartrand-Burke, ***The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its***

Transmission, Ph.D. thesis, University of Toronto, 2001 (manuscript)

227. Tryggve N. D. Mettinger, ***Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East***, Stockholm: Almqvist & Wiksell International, 2001
228. W. Gunther Plaut, David E. Stein, ***The Torah: A Modern Commentary***, New York: Union for Reform Judaism, 2005
229. W.F. Albright, ***Archaeology and the religion of Israel***, Baltimore: Johns Hopkins, 1942, 1953
230. W.F. Albright, **F*rom the Stone Age to Christianity***, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1940
231. Wahiduddine Khan, ***God Arises***, New Delhi: Goodword Books, 2001
232. Will Durant and Ariel Durant, ***The Story of Civilization: Caesar and Christ, a History of Roman and of Christianity from their beginnings to A.D. 325***, Simon and Schuster, 1935
233. Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. ***The Canon Debate***, Massachusetts, Hendrickson Publishers, 2002
234. William David Davies and Dale C. Allison, ***Matthew 1-7***, Continuum International Publishing Group, 2004
235. John Nolland, ***The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek Text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2005
236. William F. Albright and C. S. Mann, ***Matthew, new translation with introduction and commentary***, New York: Doubleday, 1971
237. William Hardwicke, ***The Evolution of Man: his religious systems and social customs***, London: Watts, 1899
238. William Henry Pinnock, ***An Analysis of New Testament History***, Cambridge: J. Hall & Son, 1854, 4th edition
239. William Muir, ***The life of Mahomet and history of Islam, to the era of the Hegira,*** London: Smith, Elder, 1861

240. William Muir, ***The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1897
241. Yoel Natan, ***Moon-o- Theism: Religion of a War and Moon God Prophet***, Yoel Natan, 2006
242. Z. R. El-Naggar, ***The Geological Concept of Mountains in the Qur'an***, Cairo: Al-Falah Foundation, 1424/2003

القواميس والموسوعات الإنجليزية

243. Archie Hobson, ***The Oxford Dictionary of Difficult Words***, New York: Oxford University Press, 2004
244. Barbara G. Walker, ***The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets***, New York: HarperCollins, 1983
245. Carolo brockelmann, ***Lexicon Syriacum***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1895
246. Cecil Roth and Geoffrey Wigoder, eds. ***The New Standard Jewish Encyclopedia***, New York: Doubleday, 1970
247. Charles Morris, ed. ***Winston's Cumultative Encyclopedia***, Chicago: J. C. Winston, 1915
248. Charlotte Elisheva Fonrobert and Martin S. Jaffee, eds. ***The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature***, Cambridge: Cambridge University Press, 2007
249. Craig A. Evans and Stanley E. Porters, eds. ***Dictionary of New Testament Background***, Leicester: Intervasity Press, 2000
250. David E. Aune, ***The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric***, London: Westminster John Knox Press, 2003

251. Dennis McKinsey, ***The Encyclopedia of Biblical Errancy***, N.Y: Prometheus Books, 1995

252. ***Encyclopedia Judaica***, Detroit: Thomson Gale, 2006, 2nd edition

253. Cyril Glasee, ***The Concise Encyclopedia of Islam***, San Francisco: Harper and Row, 1989

254. David B. Abraham Al-Fasi, ***Kitab Jami' Al-Alfaz***, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, 1936

255. Geoffrey W. Bromiley, ed. ***The Encyclopedia of Christianity***, Tr. Erwin Fahlbusch, Michigan, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1999

256. George Arthur Buttrick and other, eds. ***The Interpreter's Dictionary of the Bible***, New York: Abingdon Press, 1962

257. H. A. R. Gibb and J. H. Kramers, ***Shorter Encyclopaedia of Islam***, New York: Cornell University Press, 1905

258. James Hastings, eds. ***A Dictionary of the Bible***, New York: C. Scribner's sons,1911

259. James Hastings, ed. ***A Dictionary of the Bible***, Edinburgh: T. & T. Clark, 1901

260. James Hastings, ed. ***Encyclopaedia of Religion and Ethics***, New York: Charles Scribner's Sons, 1919

261. Jane Dammen McAuliffe, eds. Encyclopaedia of the Qur'an, Leiden: Brill, 2001

262. J. Payne-Smith, ***A Compendious Syriac Dictionary***, Oxford: Clarendon Press, 1957

263. Lavinia Cohn-Sherbok and Dan Cohn-Sherbok, ***Dictionary of Judaism***, Curzon Press, 1995
264. Louis Costaz, ***Syriac-French-English-Arabic Dictionary***, Beyrouth: Dar El-Machreq, 2002
265. Marcus Jastrow, ***A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature***, London: Luzac, 1903
266. Martin Theodoor Houtsma, ed. ***E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* 1913-1936**, Leiden: Brill, 1987
267. Mircea Eliade, eds. ***The Encyclopedia of Religion***, New York: Macmillan Publishing Company, 1987
268. P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. ***Encyclopaedia of Islam***, Brill Online, 2010
269. Peter M. J. Stravinskas, ***Catholic Dictionary***, Indiana: Our Sunday Visitor Publishing, 2002
270. Phil. D. Wigoder and others, eds. ***The Encyclopedia of Judaism***, New York: Macmillan Publishing Company, 1989
271. R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. ***The Oxford Dictionary of the Jewish Religion***, New York: Oxford University Press, 1997
272. Richard P. McBrien, eds. ***The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism***, New York: HarperCollins, 1995
273. ***The Catholic Encyclopedia***, New York: The Universal Knowledge Foundation, INC., 1913
274. ***The Jewish Encyclopedia***, Ktav, 1925
275. ***The Universal Jewish Encyclopedia***, New York: University Jewish Encyclopedia, 1942

276. Walter A. Elwell, ed. ***Evangelical Dictionary of Theology***, Michigan: Baker Book House, 1984

277. Watson E. Mills, eds. ***Mercer Dictionary of the Bible***, Mercer University Press, 1990

278. The Way International research team, ed. ***The Concordance to the Peshitta version : of the Aramaic New Testament***, Ohio : American Christian Press, 1985

279. ***The World Book Encyclopedia***, Chicago: World Book, 2001

280. William Gesenius, ***A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament***, tr. Edward Robinson, ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, 1907

281. William Ricketts Cooper, ***An Archaic Dictionary***, London: S. Bagster and Sons, 1876

282. William Smith and Henry Wace, eds. ***A Dictionary of Christian Biography, Literature, Sects and Doctrines***, London: John Murray, 1880

283. William Smith and John Mee Fuller, ***A Dictionary of the Bible***, London: John Murray, 1893

ترجمات الكتاب المقدس

284. *The American Standard Version*

285. *The Amplified Bible*

286. *The Darby Translation*

287. *The English Standard Version*

288. *The King James Version*

مقالات الدوريات العلمية الإنجليزية

1. ***Agendas for the Study of Midrash in the Twenty-First Century**,* Williamsburg, Va.: College of William and Mary, 1999
2. Carol Bakhos, '***Abraham Visits Ishmael: A Revisit***,' in *Journal for the Study of Judaism* 38 (2007)
3. Chaim Milikowsky, '***On the Formation and Transmission of Bereshit Rabba and the Yerushalmi: Questions of Redaction, Text-Criticism and Literary Relationships***,' in *The Jewish Quarterly Review*, New Series, Vol. 92, No. 3/4 (Jan. - Apr., 2002)
4. David M. Freidenreich, '***The Use of Islamic Sources in Saadiah Gaon's Tafsir of the Torah***,' in *The Jewish Quarterly Review*, XCIII, Nos, 3-4 (January-April, 2003)
5. David S. Margoliouth, '***Is Islam a Christian Heresy?**,*' in *The Moslem World*, V.23, Jan.1933
6. Edmond Power, ***Studies: An Irish Quarterly Review***, Vol. 2, No. 7 (Sep., 1913)
7. Frank Hugh Foster, '***Reply to professor Margoliouth's Article, Jan, 1933***,' in *The Moslem World*, Volume 23, April1933
8. Ghada Osman, '***Pre-Islamic Arab Converts to Christianity in Mecca and Medina: An Investigation into the Arabic Sources***,' in *Muslim World*, 00274909, Jan2005, Vol. 95, Issue 1
9. Hava Lazarus-Yafeh, '**Some Neglected Aspects of Medieval Muslim Polemics against Christianity**,' in *The Harvard Theological Review*, Vol. 89, No. 1 (Jan., 1996)
10. Jeffrey L. Rubenstein, ***From Mythic Motifs to Sustained Myth: The Revision of Rabbinic Traditions in Medieval Midrashim***, in *The Harvard Theological Review*, Vol. 89, No. 2 (Apr., 1996)

11. Joshua Finkel, '***Old Israelitish Tradition in the Koran***,' in *Proceedings of the American Academy for Jewish Research*, Vol. 2 (1930 - 1931)
12. Leigh N. B. Chipman, '***Adam and the Angels: An Examination of Mythic Elements in Islamic Sources***,' in *Arabica*, T. 49, Fasc. 4 (Oct., 2002)
13. Marilyn R. Waldman, '***New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an***,' in *The Muslim World*, January 1985, V. 75, N.1
14. Mary Dzon, '***Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris in the Middle Ages***,' *Mediaeval Studies* 71 (2009)
15. Michael Philip Penn, '***Monks, Manuscripts, and Muslims: Syriac Textual changes in Reaction to the Rise of Islam***,' in *Hugoye: Journal of Syriac Studies*, Vol. 12.2
16. N. A. Stillman, '***The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations***,' *Journal Of Semitic Studies*, 1974
17. M. Stuart, '***Inquiry Respecting the Origianl Language of Matthew's Gospel, and the Genuinness of the First Two Chapters of the Same…***' , in *The American Biblical Respository*, New York: Gould and Newman, 1838
18. P. A. Nordell, '***The Origin and the Formal Contents of the Talmud***,' in *The Hebrew Student*, Vol. 2, No. 1 (Sep., 1882)
19. Paul Foster, '***The Protevangelium of James***,' in *The Expository Times*, Volume 118, Number 12
20. Samir Johna, '***Hunayn ibn-Ishaq: A Forgotten Legend***,' in *American Surgeon*, 00031348, May2002, Vol. 68, Issue 5
21. Samuel Zwemer, '***The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?***,' in *The Moslem World*, V.11, October, 1921, No.4

22. Sidney Griffth, ‘***Disputing with Islam in Syriac: The Case of the Monk of Bêt Hãlê and a Muslim Emir***,’ in *Hugoye: Journal of Syriac Studies* Vol. 3 (No¨1)

23. Sidney Griffith, ‘***The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century***,’ in *Oriens Christianus,* 1985, Volume 69

24. Sidney Griffth, ‘***Jews and Muslims in Christian Syriac and Arabic texts of the ninth century***,’ in *Jewish History*, Volume 3, Number 1, March, 1988

25. Sidney H. Griffith, ‘***Theodore Abū Qurrah's Arabic Tract on the Christian Practice of Venerating Images***,’ in *Journal of the American Oriental Society*, Vol. 105, No. 1, Jan. - Mar., 1985

26. Stephen J. Shoemaker, ***Christmas in the Qur'an: The Qur'anic Account of Jesus' Nativity and Palestinian Local Tradition,’*** in *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 28 (2003)

27. Suleiman A. Mourad, ‘***From Hellinism to Christianity and Islam: The Origin of the Palm-tree Story Concerning Mary and Jesus in the Gospel of Pseudo-Matthew and the Qur’an***,’ in *Oriens Christianus* 86 (2002)

28. Willard Gurdon Oxtoby, ‘***Reviewed work*: *Louis Cheikho et Son Livre "Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam," Étude Critique* by Camille Hechaïmé**,’ in *Middle East Journal*, Vol. 23, No. 1 (Winter, 1969)

مقالات فريق (*Islamic-Awarness*)[1716]

1716 فريق عمل علمي مسلم، ينشر مقالات جادة على موقعه الخاص على النت، جلّها في مناقشة المنصرين والمستشرقين.

1. Khâlid al-Khazrâjî and others, ***Is The Bible Really The Source Of The Qur'ân?***
2. Khâlid al-Khazrâjî and others, ***The Prophet's Wives Teaching the Bible?***
3. M S M Saifullah & Abdullah David, ***Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?***
4. M S M Saifullah and Abdullah David, ***On Pirke De-Rabbi Eli`ezer As One Of The Sources Of The Qur'an***
5. M S M Saifullah, Elias Karim, `***Abdullah David & Qasim Iqbal, Historical Errors Of The Qur'an: Pharaoh & Haman***
6. M S M Saifullah, Mansur Ahmed and Elias Karim, ***On the Sources of the Story of Cain and Abel in the Qur'an***
7. M S M Saifullah & Imtiaz Damiel, ***Comments On Geiger & Tisdall's Books On The 'Sources' Of The Qur'ân***
8. M S M Saifullah, ***The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah***
9. M S M Saifullah, ***Is The Qur'anic Surah Of Joseph Borrowed From Jewish Midrashic Sources?***

المراجع الفرنسية

1. Armand Abel, '***L'Apocalypse de Bahira et la notion islamique de Mahdi***,' in *Annuaire de L'Institut de Philologies et d'Histoire Orientales* 3(1953) 1-12
2. Eusèbe, ***Histoire ecclésiastique***, Paris: Alphonse Picard, 1905
3. François Bovon et Pierre Geoltrain, ***Écrits Apocryphes Chrétiens***, Paris: Gallimard, 1997

4. Jan Gijsel, ***Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius***, Turnhout: Brepols, 1997
5. Jaques Berque, ***Relire le Coran***, Paris: Albin Michel, 1993
6. Jacques J. Clère, ***Les Chauves d'Hathor***, Leuven: Peeters Publishers, 1995
7. Joze Krasovec, ed. ***Interpretation der Bible***, England : Sheffield Academic Press, 1998
8. ***Journal Asiatique***, Juilet- aout, 1904
9. ***La Bible de Jerusalem***, Éditions du Cerf, 1973
10. ***La Bible de Semeur***
11. Louis Leblois, ***Les Bibles et les Initiateurs Religieux de L'Humanite***, Paris, Librairie Fischbacher, 1888
12. ***Marie et la Sainte Famille: Les Recits Apocryphes Chretiens***, Paris: Mediaspaul Editions, 2006
13. Maurice Bucaille, ***Moise et Pharaon***, ed. Seghers, 1995
14. Michel Nicolas, ***Etudes sur les évangiles apocryphes***, Paris: Libr. Michel levy, 1866
15. Migne, ed. , ***Dictionnaire des Apocryphes***, Paris: J.-P Migne, 1856
16. ***Patrologia Orientalis***, Paris: Firmin-Didot, 1923
17. Pierre Prigent, ***L'image dans le judaïsme du IIe au VIe siècles***, Labor et Fides, 1991
18. Tor Andrae, ***Mahomet, sa Vie et sa Doctrine***, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1945

19. Tor Andrea, ***Les Origines de L’Islam et le Christianisme***, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1955

المراجع الألمانيّة

Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, Leipzig: M.W. Kaufmann, 1902

المراجع الإيطالية

Mario E. Provera, ***Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. 387)***, Gerusalemme: Franciscan Print, 1973

المراجع اليونانية

1. ***Patrologiæ cursus completus***, Apud Garnier Fratres et J.-P. Migne Successores, 1862
2. S. Justin, ***Philosophi et Martyris cum Tryphone Judaeo Dialogus***, ed. W. Trollope, Cambridge: J. Hall, 1846
3.

المراجع السريانية

1. Agnes Smith Lewis, ***A translation of the four Gospels from the Syriac of the sinaitic palimpsest***, London: Macmillan and Co., 1894

2. F Crawford Burkitt, ***Evangelion da-Mepharreshe : the Curetonian Version of the four gospels, with the readings of the Sinai palimpsest and the early Syriac patristic evidence***, Cambridge: University Press, 1904
3. George Anton Kiraz, ***Comparative Edition of the Syriac Gospels Aligning the Sinaiticus, Curetonianus, Peshitta and Harklean Versions***, Leiden : E.J. Brill, 1996

كتب أخرى للمؤلف

المرأة بين اشراقات الاسلام و افتراءات المنصرين

رد تفصيلي على كتاب القمص مرقس عزيز "المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام"


المرأة
بين إشراقات الإسلام
وافتراءات المنصّرين
رداً على كتاب القمص مرقس عزيز
"المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام
سامي عامري

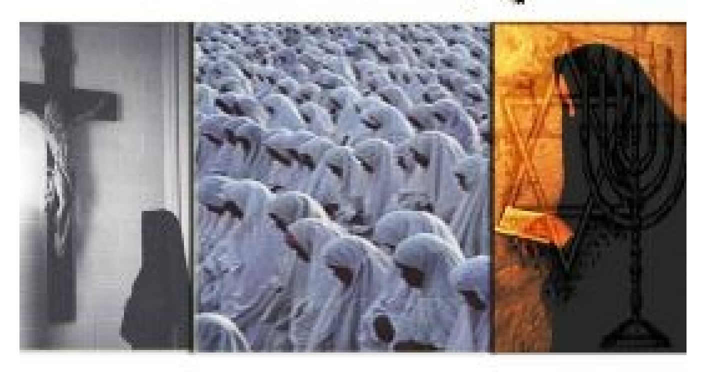
الحجاب .. شريعة الله في الإسلام واليهوديّة والنصرانيّة

رد تفصيلي على شبهات العالمانيين حول الحجاب في الإسلام، توثيق مباشر لأقوال أهل الكتاب في إثبات ربّانية هذه الشريعة من الكتب المقدسة والأحبار وآباء الكنيسة ...

الحجاب

شريعة الله

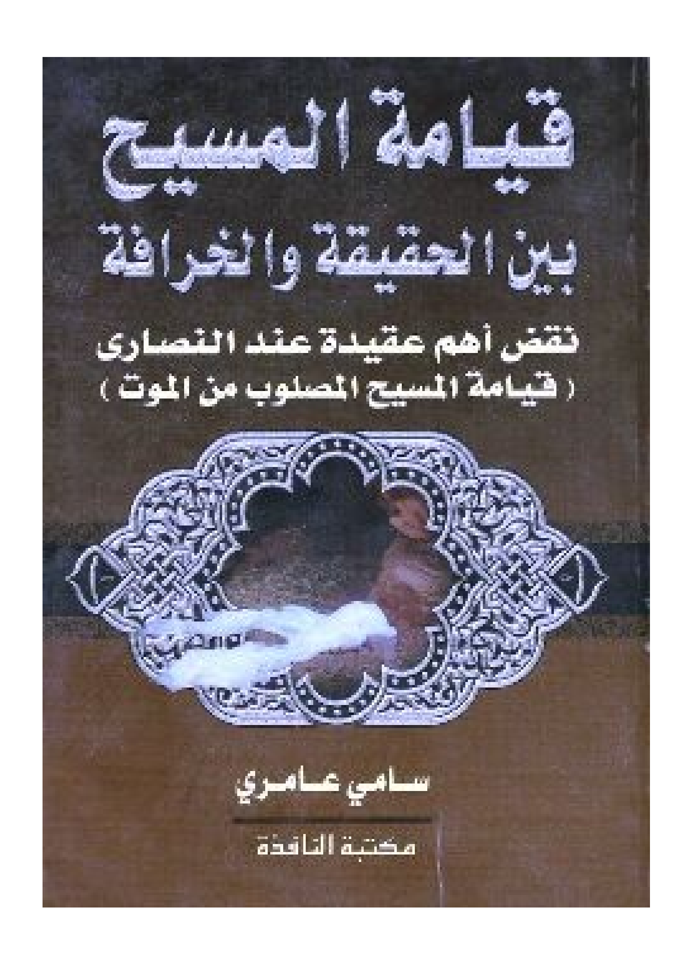
في الإسلام واليهودية والنصرانية



سامي عامري

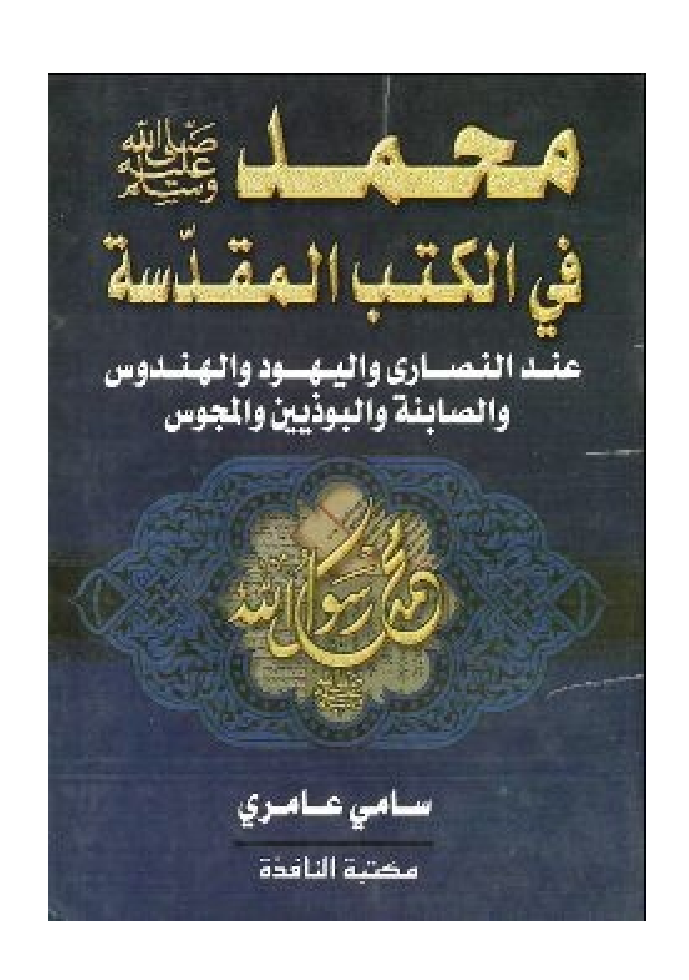
قيامة المسيح من الموت .. حقيقة أم خرافة؟

رد علمي تفصيلي على أشهر كتاب في المكتبة النصرانيّة العربيّة في إثبات أهم عقيدة نصرانيّة .. وجولة في كتابات كبار اللاهوتيين الغربيين في أحدث دراساتهم النقديّة في


قيامة المسيح
بين الحقيقة والخرافة
نقض أهم عقيدة عند النصارى
(قيامة المسيح المصلوب من الموت)
سامي عامري
مكتبة النافذة

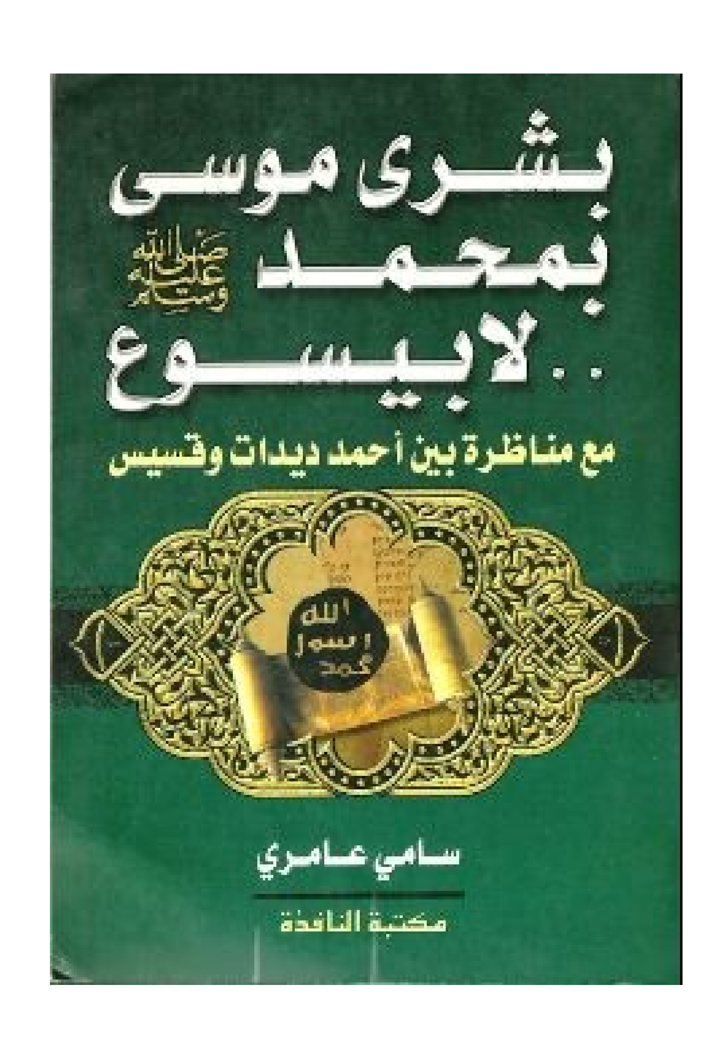
محمد صلى الله عليه وسلّم في الكتب المقدسة

أوّل كتاب باللغة العربيّة في بحث البشارة بالرسول صلّى الله عليه وسلّم في الكتب المقدسة للنصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس, في أكثر من أربعمائة صفحة


محمد صلى الله عليه وسلم
في الكتب المقدّسة
عند النصارى واليهود والهندوس
والصابئة والبوذيين والمجوس
محمد رسول الله
سامي عامري
مكتبة النافذة

بشرى موسى عليه بمحمد صلى الله عليه وسلّم لا بيسوع

تعريب لكتاب الشيخ أحمد ديدات رحمه الله, ودفع تفصيلي لاعتراضات المنصرين عليه


بشرى موسى
بمحمد صلى الله عليه وسلم
.. لا بيسوع
مع مناظرة بين أحمد ديدات وقسيس
سامي عامري
مكتبة النافذة